اربعة تساوي واحد

جيهان فاضل

أربعة تساوي واحد

چيهان فاضل

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب : أربعة تساوي واحد

المؤلف: جيهان فاضل

غلاف الكتاب: اماني مراد

موك اب الكتاب: سها منصور

تنسيق داخلي: منى وجيه

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الأول

كانـــت تتحـــدث بمـــرح كعادتهـــا مـــع صـــديقتها وهى تسير فى شوارع مدينتها الجميلة

- أنـــتِ يـــا بنـــت المجنونـــة مـــش عـــايزة توافقي على العريس ليه؟

-هو ده عريس بجد

- لا هزار يا خفيفة

-علـــى فكـــرة أنـــتِ اخـــدتي علـــيَّ أوي مكنـــوش واحـــد وعشـــرين ســـنة الـــلِ أعرفـــك فيهم عشان تكلميني كدا

-نعتـــذر للبشمهندســـة ممكـــن أعـــرف رافضـــه ليـــه دا أمـــك مســـبتش حـــد مـــن صحابك عشان يكلمك ويخليكي توافقي

بتكبر مصطنع:

-تقبلنا

-اللِ هو إيه؟

-الإعتذار

-يـــارب صـــبرني عليهـــا "وكملـــت بعصـــبية" ردي يا متخلفة رافضه ليه؟

نظـــرت لهـــا بخـــوف مصـــطنع مـــن عصـــبيتها وقالت:

-بغـــض النظـــر عـــن رأيـــك وأنـــي متخلفـــة لأنها بتفرحني لما بسمعها بس هقولك

بنفاذ صبر:

-قولي

- اسمعي ياستي ده عريس

-يـــارب صـــبرني لا عروســـة آمـــال إيـــه راجـــل محتـــرم وشـــغال ومعـــاه فلـــوس ومـــش هيخليكي محتاجة حاجة

-اســـتووووب بقـــى هـــو ده الـــلِ كنـــت عـــايزة اسمعه

-مش فاهمة

قالت بمرح:

-التعليم المجاني يغور

-يا بنتي اتهدي وكملي باقي كلامك جد

-رغم إني مش هقدر بس هحاول بصي يا ستي

-هاا

- ست الكل والحج شايفين أنه هيقدر يوكلني ناس طيبين وعلى قد حالهم نعمل إيه حظى كدا بقى فاكرين أنه طالما هياكلني يبقي خلاص مفيش مشكلة، يا عالم ياهوه فى حد هيموت من الجوع

-يابنتي أنا مش فاهمة ام حاجة اتكلمي عدل يا زفتت الطين

-مأنـــا قلـــت التعلـــيم المجـــاني يغـــور محـــدش صدقني

-واللهِ واللهِ يـــا "نـــوره" لـــو متكلمتـــي عـــدل لكون مزعلاكي مني

ردت "نور" بضحكة مستفزة:

-متـــزعليش نفســـك يـــا ضـــنايا لحســـن يجيلـــك شچر وده بيجي لصغيرين

تفوهت باسمها بغضب:

-"نوررره"

لم تهتم "نور" بتحذيرها:

-عيون "نوره" وقلب وروح "نوره"

اشـــتعل الغضـــب بهـــا فأســـرعت "نـــور" وقال:

-معلـــش يباشـــا عيـــل وغلـــط اســـمعي يـــا أحلى'جيجي" فى الدنيا

اردفت'جيهان" بنفاذ صبر:

-ارغي

قالت "نور" بجدية:

-بصي ياستي كلكم شايفين أنه كويس بس عشان شغال ويقدر يأكلني بس مش شايفين أنه بيدخن وأنا بتخنق من السجاير

ردت "جيهان" بما يحدث فعليًا:

-كل الشباب بتدخن ده مش سبب والموضوع منتشر بطريقة غريبة

لم تقبل "نور" بما قالت:

-مش معنى أن كل الشباب بتدخن يبقى أوافق أنا مش هقبل بواحد بيضيع فلوسه وصحته في شيء تافهة

تحدثت "جيهان" باقتراح:

-بسيطة خليه يبطل

أردفت "نور" بثبات:

-مع أنه مش سهل يبطل بس نشوف سبب غيره، ده مش بيصلي ولا يعرف أي حاجة عن دينه

تسألت "جيهان" بتعجب وهي تنظر لها:

-وأنتِ عرفتي ازاي؟

ابتسمت "نور" بخبث:

-ده سر المهنة يا روحي آمال يتقدم ليا عريس من غير ماعرف هو مين؟ دأنا عرفت عنه كل التفاصيل

هتفت "جيهان" ساخرة منها:

-لا جامد أنت، وأنتِ ممكن تخليه يصلي وتسمعوا دروس دينيه مع بعض وتشجيعيه وتأخدي بأيده

هــزت "نــور" رأســها بــرفض فهــي تريــد من يقربها إلى الله:

-يــا حجــة أنــا عــايزة حــد يأخــد بأيــدي وكمــان شــيخي المفضــل قــال أن الــزواج لــيس مؤسســة علاجيــة ولكنــه مقــام بنــاء أســرة يعنــي لمــا هفكــر اتجــوز هتجــوز الشــخص المناســب ليــا عشــان مقــولش هيتغيــر بعــد الجواز لان مفيش حد بيتغير

أَرْدَفَــتِ "جيهــان" فــي محاولــة أخيــرة لأقناعها:

-لــو حبيتيــه واتعــاملتي معــاه بمــا يرضــي الله هيتغيــر وهتبقــى حياتــك كلهــا ســعادة وسلام

ردت "نور" بلامبالة:

-نشوف سبب غيره

حدقت بها "جيهان" بشر:

-هو أنتِ عايزة ترفضي وخلاص

هزت "نور" رأسها:

-بصراحة اه

فقدت "جيهان" صبرها لتصيح بعصبية:

-نوررره

ردت "نور" بمرح:

-طيب بصي آخر سبب وهقنعك بيه وأنتِ تروحي زي الشاطرة تقنعي عمتك عشان زهقت منكم

قالت "جيهان" بنفاذ صبر:

-ارغي

تحدثت" نور" بجدية على غير عادتها:

-في صفات كتير وحشه وانتم بالنسبة ليكم عادي وأنا مش مرتحاله ومش

حاسه بيه مش هينفع أقبل بحد مش قبلا عشان ارضيكم، غير كل ده انا مش هقبل اتجوز واحد مش بيصلي وبيدخن مهما حصل

هدأت "جيهان" قليلًا :

-محدش هيجبرك على حاجة وأنتِ مش صغيرة بغض النظر عن غبائك وعبطك بس أنتِ بلوه

ردت "نور" بفخر:

-الله يكرم اصلك يا بنت خالي محدش بيفرحني غيركِ

ابتسمت "جيهان" بسخرية:

-أول مرة اشوف حد يفرح لما يتهزق

"نور" بفرحة طفلة:

-أنـــا بمـــوت فـــي الشـــتيمة وبخنـــي (بصـــوت رامز جلال)

تنهدت "جيهان" بضيق وهي تسِبها:

-الله ياخـــدك يـــا شـــيخه، قـــوليلي يـــا "نـــوره" بجد أي موصفات الزفت اللي أنتِ عايزة

تسألت "نور" بجدية:

-معاكي ورقه وقلم

هتفت "جيهان" بعدم فهم:

-ليه؟

ردت "نور" بضحك:

-عشـــــان تســـــجلي المواصـــــفات وتلحقـــــي تدوري على عريس لختك

وكملـــــت بمـــــرح وبصـــــوت مرتفـــــع بعـــــض الشيء:

-عشـــان القطـــر قـــرب يوصـــل مصـــر وأنـــا لســـه متجـــوزتش يـــا عـــالم حـــد يوقـــف القطـــر لمـــا اركـــب ويمشـــي تـــاني خمـــس دقـــايق بـــالله عليكـــي ولا أقولـــك دقيقـــة واحـــدة وأنـــا هركب بسرعة

وضـــعت "جيهـــان" يـــدها علـــى وجههـــا بعصبية:

-يـــا بـــت حـــرام عليكـــي تعبتينـــي اتكلمـــي جـــد شوية

- احم تعرفي زين؟

- لأ

-تعرفي أدهم؟

- لأ

-تعرفي مالك؟

-لأ

-تعرفي فهد؟

دفعتها "جيهان" لداخل:

-لا ويـــلا ادخلـــي عشـــان وصـــلنا والبنـــات هيقتلونا ونكمل جوه

ولجـــوا للمطعـــم وجلســـوا بجـــوار صـــديقاتهم بدون حديث لتقول "بسملة" بعصبية:

-واللهِ معنـــدكم دم لأنـــتِ ولا هـــي بقـــالكم ساعة بتقولوا في الطريق طريق إيه ده

نظـــرت "نـــور" لـــ "جيهـــان" تلقـــي الخطـــأ عليها:

-المـــرة دي ملـــيش دعـــوة شـــوفي البخيلـــة اللـــي مرضـــيتش تركـــب ســـرفيس عشـــان توفر ٢جنيه

ضربت "جيهان" يدها التي تشير بها:

-بخيلة فى عينك، أنا بحب اتمشى مش بحب اركب وأنتِ اللي كل خمس ثواني تقفي أنا مالي لو لوحدي كان زماني وصلت

أردفت "بسملة"بضيق:

-حبك برص

ردت" نور" بحنق:

-اي مستريحش أنا تعبت الله

سخرت "جيهان" منها:

-معلش أصلك عندك خمسين سنة

قالت "نور" بتمثيل:

-اه يا بنتي نعمل إيه السن بقى

تجاهلتها "جيهان" وهي تنظر لمن تجلس تتابعهم بصمت:

-أي يا "دودو" ساكته ليه

تحدثت "دعاء" ببرود:

-مستنيه تخلصوا خناق

هتفت "نور" بمرح:

-خـــلاص خلصـــنا ارغـــي مـــين اللـــي جـــامع الفرقة انهردة

اشارت "جيهان" على نفسها:

-أنـــا، عشـــان خـــاطر نشـــوف حـــل فيكـــي يـــلا قولي موصفات زفتك

تسالت "نور" ببعض المرح:

-أنـــتِ متعـــرفيش مالـــك، أدهـــم، فهـــد، زيـــن صح.

ردت "جيهان":

-صح.

غمزت لها "نور" بمشاغبة:

-بـــس أكيـــد عارفـــه "ياســـين الجـــارحي" طبعاً.

"جيهـــان" بعصـــبية بالغـــة كأنـــه حبيبهـــا وليس بطل روايتها المفضلة:

-إلا "ياســـين" ده خـــط أحمـــر ده ليـــا لوحدي.

أردفت "نور" بسخرية:

-يعني "أية" تقتلك.

"جيهان" بلامبالة:

-لأ "أية" غلبانة واقدر عليها.

هتفت "دعاء" بنفاذ صبر:

-اخرســـي أنـــتِ وهـــى اتكلمـــوا جـــد أنـــتم مجـــانين اللـــي أنـــتم بتتكلمـــوا علـــيهم دول خيال فوقي يا ماما.

ردت "جيهان" بحزن:

-بس أنا بحبه خالص واللهِ.

وضعت "نور" يدها عليها لكي تواسيها:

-متزعليش واللهِ عارفه بس نصيب هو متجوز نعمل إيه؟

كانت بسملة تحاول بصعوبة كتم ضحكتها خوفًا من غضب دعاء التي صاحت بهم:

-يعني أنتِ وهى جايبينا من آخر الدنيا عشان أسمع العبط ده وكمان جايين متأخرين يعني أنا اخد ساعة ونص فى الطريق عشان أسمع الكلام ده أعمل فيكم إيه؟

نظرت لها "نور" ببرأءة بعيدة كل البعد عنها:

-ولا حاجة يا جميل أنت الكبير العاقل اسمعي أنتِ وهي

هتفت "بسملة" ببرود:

-ارغي

رمشت "نور" بعيونها وهي تنظر لهم بهيام:

-أنا عايزة واحد زي "حمزة" جوز "مليكة" فى رواية "جميلة حد الفتنه" كدا طيب وشجاع ومحترم ومتدين ذكي واهبل وقمر ومبيكلمش بنات وبيغض بصره وكده يعني

***

فى مكان آخر، كان يقف بثقة وهو يقاتل بشراسه ولا يهتم لشيء فهو شخص لا يخشى أحد

كملت "نور" حديثها:

-ويكـــون حســـاس والأهـــم مبيـــدخنش لأنـــي بكرهه السجاير وريحتها واللي بيدخن

كـــان يـــنفخ فـــى الســـجارة بغضـــب وهـــي تحترق بين أنامله

تنهـــدت "نـــور" تنهـــي صـــفات فارســـها المستقبلي:

-والأهـــم مـــن كـــل ده أن يكـــون رومانســـي أوي

تسألت "دعاء" بسخرية:

-وده نجيبه منين؟

أجابت "نور" بمرح:

-من أقرب صيدلية

تجاهلتهـــا "بســـملة" وهـــي تحـــدث "جيهـــان": -وأنـــتِ يـــا "جيجـــي" إيـــه

مواصـــفات فتـــى أحلامـــك بمـــا أن "نـــور" مش هتجوز وهتفضل معنا

نظرت لها "نور" بشر:

-ليه يختي وحشة ولا وحشة

ردت "بسملة" بجدية:

-لأ بـــس الموصـــفات دي مســـتحيل تكـــون موجودة

أردفت "دعاء":

-بغـــض النظـــر عـــن فـــارس أحـــلام "نـــور" قولي أنتِ يا "جيهان"

اعتـــدلت "جيهـــان" فـــي جلســـتها تقـــول بجدية:

-احممـــم هـــو أنـــا مـــش مجنونـــة زي "نـــوره" أنا مواصفاتي عاقلة شوية

"دعاء"بابتسامة:

-طب الحمدلله قولي

ولكـــن تلاشـــت ابتســـامتها عنـــدما تحـــدثت "جيهان":

-أنـــا عـــايزة واحـــد يكـــون ابـــن كـــ**

يتجـــوزني غصـــب عنـــي وأنـــا رافضـــه

ويفضـــل يضـــرب فـــيَّ ليـــل نهـــار وأنـــا اكرهـــه

وبعـــدين يحبنـــي ويعـــاملني كـــويس وأنـــا

أعـــرف أنـــه بقـــي كـــدا بســـبب امـــه لمـــا ســـابت

ابـــوه كـــره جـــنس حـــواء وأنـــا اغيـــر تفكيـــره

ونعـــيش فـــى تبـــات ونبـــات ونخلـــف صـــبيان

وبنات إيه رأيكم

فـــى مكـــان آخـــر كـــان يجلـــس بهدوئـــه المعتـــاد

وهـــو يبتســـم بســـعادة تلـــك الابتســـامة التـــي لا

تفـــارق وجهـــة مهمـــا حـــدث وهـــو يـــداعب

طفلته الصغيرة ويتحدث معها بمرح

هتفت "نور" بفخر:

-هي دي الصفات ولا بلاش

قالت "دعاء" بسخرية:

-مـــا شـــاء الله هـــي دي الصـــفات ولا بـــلاش، بـــس مـــن غيـــر مقاطعـــه أنـــتِ وهـــى هتفضـــلوا جنب اهلكم

قالت "بسملة" بصدمة:

-بـــس يابـــت يـــا "جيجـــي" صـــدمتيني فـــي مواصفتك كنت فاكراكِ عاقلة عن كده

ردت "جيهـــان" وهـــي تحـــرك يـــدها بـــلا اهتمام:

-يا شيخه عيب عليكي عاقلة قال

غمزت "نور" لـ بسملة:

-طيب قولي أنتِ يا "بسوا"

ابتسمت "بسملة" وهي تجيب:

-عـــايزة واحـــد زي عنتـــر بـــن شـــداد شـــجاع وقـــوي وشـــاعر كـــدا يـــدور ورايـــا يقـــول شـــعر فيَّ وفجمالي

***

فـــى مكـــان آخـــر كـــان يقهقـــه بســـخرية علـــى الفتـــاة التـــي أخبرتـــه أنهـــا تهـــيم بـــه عشـــقًا فـــأردف بثقـــة أن العشـــق كذبـــة وهـــو لا يؤمن بهِ

صفقت "نور" بفرحها:

-الله الله الله علـــى الجمـــال هـــو ده الكـــلام ولا بلاش

نظرت لهم "دعاء" بسخرية وضيق:

-طيب وعنتر ده نجيبه منين يختي

ردت "بسملة" بمرح:

-من عند عم عبده المكوجي

قالــت "دعــاء" بتعــب ممــا يفعلــوا المجــانين بها:

-لا بجد ده كتير عليا واللهِ

تســـألت "جيهـــان" وهـــي تركـــز علـــى "دعاء":

-طيب وأنتِ يا "دودو" إيه مواصفاته

أردفت "دعاء" بهدوء:

-مفــيش مواصــفات بــس يحبنــي ويحترمنــي ويتقي ربنا فيَّ ويعاملني بما يرضي الله

حدقت "نور" بها بصدمة:

-هــي البنــت دي أزاي متــأثرتش بيــا رغــم كل اللي عملته عشانها

ربتت "جيهان" على يدها بموساه:

-معلش يا قلبي دي غلطها هي

قالت "نور" بحزن مصطنع:

-واللهِ أنـــا عملـــت كـــل اللـــي علـــيَّ عشـــان تنحـــرف وبرضـــوا زي مـــا هـــي حـــد يقـــولي أعمل إيه؟

"بسملة" بتأثر مصطنع:

-متزعليش يا قلبي

ردت "دعاء" بجدية:

-أنا هقولك تعملي إيه؟

أبتسمت "نور" بغباء:

-إيه؟

اردفت "دعاء" بضيق شديد:

-كـــل واحـــدة تـــروح علـــى بيـــت اهلهـــا عشـــان أنا كرهت اليوم اللي عرفتكم فيه

وعنـــد ذكـــر ذلـــك اليـــوم لـــم يســـتطيعوا تمالـــك أنفسهم وهم يقهقهون بشدة

Flash back

كانت تسير في الحرم الجامعي لا تعلم اين تذهب لتنتظر ابنة خالها فاليوم هو الأول لها في الجامعة بعدما رفضت ان تداوم الأسبوع الأول من الدراسة، كانت ترتدي سروال من خامة الجينز وفوقة بلوزة بنية قصيرة إلى حدً ما وحجاب قصير يخفي خصلات شعرها الكثيفة، وعيونها العسلية التي تزيدها جمالًا مع بشرتها البيضاء النقية دون مساحيق تجميل ، كانت تتحرك بثقة لتسمع صوت أحد الشباب وهو يخرج صوت صاخب «صفارة» وهتف بمراوغة:

-إيه يا جميل رايح فين؟

حدقت فيه بشر ولم ترد لتقول فتاة تجلس بجوار الشاب:

-سيبها يا "بودي" دي شكلها بيئة أوي

"نـــور" لـــم تكـــن مســـالمة لدرجـــة أن تســـمع أحـــد يخطـــأ بحقهـــا وتصـــمت لـــذلك عـــادت خطوتين وهتفت ببرود:

-البيئة دي أنتِ يا روح ماما

هبطـــت الفتـــاة مـــن علـــى الســـيارة التـــي تجلس عليها وقالت بعصبية:

-اتحركي يابت من هنا

نظـــرت "نـــور" حولهـــا يمينًـــا ويســـارًا تبحـــث عـــن شـــيء وعنـــدما لـــم تجـــده هتفـــت بسخرية:

-إيـــه ده؟ شـــكلك نســـيتي تكتبـــي اســـمك هنـــا، معلـــش المـــرة الجايـــة اكتبيـــه عشـــان عامـــة الشـــعب اللـــي زيـــي متعـــرفش ومتتعبـــيش نفسك وتقولي امشي من هنا

ضـــحك أحـــد الشـــباب مـــن مـــن يجلســـون لتنظر له الفتاة بشر وهتفت بتحذير:

-"عادل"

صـــمت المـــدعو "عـــادل" وقامـــت الفتـــاة بدفش نور بعيدًا وهي تقول:

-يلا يابت من هنا

اختـــل تـــوازن "نـــور" وســـقطت لتنطلـــق ضـــحكات الشـــباب والفتيـــات عليهـــا لتـــنهض بغضـــب وعلـــى حـــين غـــرة جـــذبت الفتـــاة مـــن حجابها بقوة وهي تهتف بشر:

-بقى أنا يا زبالة ترفعي إيدك عليا

تحركـــت أحـــدى الفتيـــات لكـــي تـــدافع عـــن صديقتها لتقول "نور" بعصبية:

-لو فكرتي تقربي هسيبها واضربك أنتِ

ركضت "جيهان" و"بسملة" بسرعة عندما وجدوا "نور" تضرب الفتاة، حاولوا ابعادها لكن أتت فتاة وضربت "نور" لكي تبعدها عن صديقتها، فغضبت "بسملة" ودفشتها بعيدًا، وحتد الشجار بينهم، واصبح الشجار بين "نور" و"جيهان" و"بسملة" وخمس فتيات اخريات إلى أن أتى أمن الجامعة، فقالت الفتاة التي كانت السبب في المشكلة وهي تشير على نور:

-هي دي اللي ضربتنا وجابت صحابها كادت "نور" أن تقترب لتبعدها "جيهان"، فقالت "دعاء" التي كانت تتابع الحديث منذ البداية:

-كدابـــة همـــا اللـــي غلطـــت فيهـــا وكمـــان وقعتها

قـــال الأمـــن: اتحركـــوا كلكـــم، وأنـــتِ تعـــالي أشـــار إلـــى "دعـــاء"، وذهـــب بهـــم إلـــى غرفـــة العميـــد وقـــص لـــه مـــا حـــدث ليقـــول العميـــد بعصبية:

-أنـــتم فـــاكرين نفســـكم فـــين؟ عشـــان خنـــاق وضرب في بداية الدراسة

تدخلت "دعاء" تقول بجدية وثقة:

-حضـــرتك هـــي مغلطـــتش الأســـتاذ ده كـــان بيضـــايقها بـــالكلام ومـــش هـــي بـــس كـــذا بنـــت قبلهـــا، ولمـــا ردت عليـــه، البنـــت دي زقتهـــا علـــى الأرض فطبيعـــي تـــدافع عـــن نفســـها احنـــا هنـــا بنـــتعلم ازاي نـــدافع عـــن حـــق النـــاس ونحقـــق العـــدل فمـــش معقـــول تســـكت

عـــن حقهـــا، وبعـــدها اصـــحابها ادخلـــوا عشـــان يخلصـــوا الموضـــوع، راحـــوا البنـــات دول ضربينهم، يبقى مين اللي غلطان

اشـــارت علـــى الشـــاب بعـــدها الفتـــاة ثـــم بـــاقي الفتيـــات، ثقتهـــا جعلـــت الـــدكتور الـــذي يجلـــس ينظـــر لهـــا باعجـــاب مـــن ثقتهـــا رغـــم أن الجميع يقف بخوف وقلق

قـــام العميـــد بفصـــل الشـــاب لمـــدة اســـبوع وهـــدد الفتيـــات، ثـــم غـــادروا غـــادرت "دعـــاء" أولاً لانهـــا لا تعـــرف أحـــد مـــنهم

وبعدها الفتيات وقالت "بسملة":

-" جيهان" هي دي بنت عمتك؟

ردت "جيهان" باسف:

-للأسف

أردفت "بسملة" بسخرية:

-دي بلطجية أكتر منك

وضعت "نور" يدها على قلبها وقامت بالانحناء قليلا كأنها تحيي أميرة وهتفت:

-شكراً شكراً

ثم تسالت بجدية واهتمام:

-هي مين البنت اللي دافعت عننا دي؟

ردت "بسملة":

-دي" دعاء" واحدة معنا في سنة تانية بس هادية أوي وملهاش دعوة بحد

أردفت "نور":

-طب تعالوا نتعرف عليها ونشكرها عشان اللي عملتوا

قالت" بسملة" بسخرية:

-طب اتعرفي عليا أنا الأول

ضربتها" نور" بخفه على رأسها:

-يـــاختي مـــا احنـــا اتعرفنـــا فـــي الخناقـــة، وبعـــدين انـــا كنـــت جايـــه ومـــش طيقـــاكي عشان "جيهان" صدعتني بيكي

وبعـــدها تحركـــوا يبحثـــون عـــن "دعـــاء" فوجدوها تجلس وهي تبكي

Back

وعـــادت كـــلًا مـــنهم إلـــى منزلهـــا بعـــد مشاكســـة لا نهائيـــة بـــين المجنونـــة "نـــور" والحنونة "دعاء "

فـــى صـــباح يـــوم جديـــد علـــى بطلنـــا الأول يســـتيقظ بطلنـــا الرائـــع وكعـــادة كـــل يـــوم يلـــتقط ســـيجارة مـــن علـــى كومـــود ويقـــوم بإشـــعالها لكـــي يهـــدأ لا أعلـــم حقًـــا مـــا علاقـــة

السجارة بالهدوء ويغيب في دوامة الماضي ليقطع شرودة رنين هاتفي ليلتقط الهاتف من جوارة وهو يستمع لطرف الاخر بهدوء

- ايوا

-تمام

-هكون هناك فوراً

وأغلق الهاتف،ثم توجه إلى المرحاض ليغتسل وبعد خروجه وقف يصفف خصلات شعره بعناية

دقات منفصلة على باب غرفته تليها سيدة في أواخر العقد الرابع من عمرها، تقول:

-صباح الخير يا "أشرف"

اقتــرب "أشــرف" منهــا وهــو يقبــل جبينهــا:

-صباح النور يا ماما فين "مازن"

ابتسمت منى لأبنها:

-"مازن" فى اوضتة أنت خارج

بادلها "اشرف" الابتسامة:

-اه يــا حبيبتــي خلــي بالــك منــه، أنــا عنــدي شغل ويمكن أتأخر

ربتت "منى" عليه بحنان:

-حاضــر يــا بنــي بــس متنســاش تــروح تتطمن على ولاد خالتك

هز رأسه وهو يهم بالمغادرة:

-حاضــر هشــوف بــس أفضــى ونــروح مــع بعض سلام عليكم

تركهــا وغــادر علــى الفــور وهــي جلســت بحــزن علــى حالــة أبنهــا فهــي تعلــم ابنهــا

منـــذ وفـــاة زوجتـــه الحبيبـــة وهـــو يلهـــي نفســـه فـــى العمـــل ولا تـــراه إلا بضـــع دقـــائق يـــأتي ليغيـــر ثيابـــه ويطمـــئن علـــى ابنـــه ويغـــادر مـــرة أخـــرى، ليتـــه يعـــود كمـــا كـــان، ايا ليت الزمان يعود يوماً

** * **

الفصل الثاني

♡أتمنـــي أدخـــل الجنـــة لكـــي أذهـــب إلـــى السـيدة خديجـــة وأبكـــي بشـــدة بـــين أحضـــانها وأخبرهـــا أن الحيـــاة قاســـية جـــدًا وأن حفيدتها تؤلمت كثيرًا من هذه الحياة.♡

***

صـــاحت "جيهـــان" باســـمها وهـــي تـــولج لـــداخل منـــزل "نـــور" بعـــدما فـــتح لهـــا ابـــن عمتها:

-نوره نوره نوره

لترد "نور" بضيق:

-إيه بتدوري على تايهه؟

ردت "جيهان" بلا اهتمام:

-يلا اتاخرنا

أردفت "نور" وهي تتناول طعامها:

-حاضـــر يـــاختي الجامعـــة مـــش هتمشـــي استني افطر

"جيهان" بذهول:

-لسه هتفطري

أردفت "نور" بتعجب:

-يعني أموت من الجوع

ذكرتهـــا "جيهـــان" بغضـــب "دعـــاء" كلمـــا تأخرت :

-لا هتموتي على ايد "دعاء"

ولكـــن "نـــور" لـــم تهـــتم وهـــي تـــرد عليهـــا بلامباله:

-ســـبيك منهـــا تعـــالي بـــس عمتـــك عاملـــه مكرونة بشاميل خيال

ابتســـمت "جيهـــان" بســـعادة وهـــي تـــرى طعامها المفضل أمامها:

-مكرونة بشاميل لا "دعاء" تستني بقى

جلســـت "جيهـــان" تتنـــاول بـــنهم وهـــي تحدث عمتها:

-تسلم ايدك يا عمتو ويخليكي ليا يارب

ردت العمه بحب:

-ويخليكي ليا وميحرمنيش منك يارب

نظـــرت لهـــم "نـــور" بغـــيظ ثـــم نظـــرت لوالدتها:

-اشـــمعنا دي تـــدعيلها وأنـــا لأ، ده أنـــا بحس أنها هي بنتك مش أنا

أجابت العمه بصدق:

-عشـــان هـــي بنتـــي، وأنـــتِ بقالـــك ســـاعة تطفحي ومقولتيش حتى كلمة

حدقت بها نور بضيق وقالت:

-هـــي بتجامـــل علـــى فكـــرة، ويـــلا يـــا زفتـــه قومي مش هأكل سديتي نفسي

قالت "جيهان" بتعجب:

-بـــس غريبـــة يـــا عمتـــو صـــاحيه بـــدري وعملتي كمان مكرونة

ردت عمتها بضيق:

-عشان الزن ويارب نخلص منه

جذبتها "نور" بعصبية:

-اخلصي وبطلي رخامه

نهضت "جيهان" وهي تودع عمتها:

-سلام يا عمتو

***

-"أشـــرف" بيـــه قبضـــنا علـــى كـــل العصـــابة ما عدا "حسن" هرب قبل ما ندخل

كـــان ذلـــك صـــوت أحـــد الضـــباط أقـــل رتبـــة، نظر له "أشرف" ثواني ثم قال:

-تمام خدهم على الحبس وأنا هتصرف

ادى الضابط التحية العسكرية:

-تمام يا فندم

بعـد دقـائق غـادر مـن المكـان ليقـود سـيارته إلـى وجهتـه ولكـن لفـت انتباهـه مجموعـة شـباب وفـي المنتصـف فتاتـان ويبـدو أنهـم مجموعـة أوغـاد يزعجـون الفتيـات، فقـرر أن يهـبط مـن السـيارة؛ ولكـن قبـل أن يهـبط أبتسـم حينمـا رأى فتـاة قويـة تصـفع أحـد الشباب بقوة...

رفضـت "نـور" مـا تقـول تلـك الحمقـى ابنـة خالها:

-أنسي أنا مش همشي لو مركبتيش السرفيس معي هركب لوحدي

ردت "جيهان" بتوسل مصطنع لعلها تقتنع:

-واللهِ في طريق قريب أنا مشيت فى امبارح

رفضت "نور" ما تقول تلك الحمقاء من وجهة نظرها:

-مش همشي برضوا

عادت "جيهان" تتوسل وهي تحدق بها ببرأة:

-عشان خاطري واحنا مروحين واللهِ هنركب

تنهدت "نور" باستسلام:

-يارب صبرني يلا

سارت معها في طريقها المجهول، وتكاد تقسم أن قتل إحدهم هنا فلن يعلم عنه أحد لأجل الهدوء الذي يخيم على المكان، شاكستها "جيهان" كالعادة لتندمج معها في مشاكستهم التي لم تنتهي؛ ولكن قطع حديثهم شخص يأتي من الخلف يجذب يد "جيهان" له وكأنها ملكية خاصة به، ويحدثها كأنها عشيقه له غادرت المنزل دون إن يإذن لها بذلك: على فين يا جميل؟

وكذلك فعل رجل آخر «عذرًا أقصد ذكر ليس رجل» مع "نور"

خمس شباب يتحركون حولهم ويرونهم غنيمة، يشبهون الحيوانات حينما تقع

أعينهم على فريسة، جذبت كلًا منهم يدها بقوة وغضب وصاحت "نور" بهم:

-وأنت مال أهلك

وجذبت يد "جيهان" وكادت بأن تتخطاهم وتسير في طريقها بلا أهتمام؛ ولكن جذب يدها شخصًا آخر وهو يبتسم أبتسامة مقيته:

-يعني جميلة ولسانك طويل تيجي ازاي

رد شاب آخر بنظرة مقززة:

-بس أنا بحب النوع ده أوي

أردفت "نور" بشجاعة:

-أنت متعرفش مش بس لساني طويل لا وايدي كمان وفكر تقرب مننا تاني وإلا... قاطعها شاب تالت بخوف مصطنع:

-لا لا لا مـــش لـــدرجادي دي بتهـــدد كمـــان أنـــا عـــايز دي وأنـــتم خـــدو دي (واشـــار إلـــى جيهان)

ردت "نور" بسخرية:

-لا والله ده بينقـــي كمـــان وســـع كـــدا يـــا حبيب أمك بدال ما اخليها تترحم عليك

رد الشاب الأول ببلاها:

-لا هي أصلاً الله يرحمها

"نور" بحزن مصطنع:

-يا حرام معلش يا ضنايا يلا يابت

ردت "جيهان" بانزعاج شديد:

-متقوليش يابت

صـــفعت "نـــور" وجهـــه بخفـــة ثـــم ردت عليها بضيق:

-يخربيتك ده وقته، ثم أنك السبب اللي جبتينا هنا عشان نشوف الحيوانات دي

دافعت "جيهان" عن نفسها:

-وأنا أعرف منين أن في حيوانات فى الشارع

أنزعج الشباب ليرد أحدهما بغضب:

-اخرسي أنتِ وهي ويلا قدامي (وجذبهم)

نظرت له "نور" بقوة:

-شكلك كدا عايز تترحم على عمرك

وركلته بقدمها فجذبها شخصًا آخر، فجذبت حفنه من التراب ثم صفعتة بها في وجهه وهي تركض و"جيهان" بيدها كأنها طفلتها

ركضـــوا خلفهـــم الشـــباب ليمســـكوا بهـــم ويصـــفعها أحـــدهم علـــى وجههـــا بقـــوة كـــادت بأســـقاطها أرضًـــا، لـــولا يـــد اســـرعت لتجذبها إليه قبل أن تسقط

فمن هو؟؟؟

تسأل "أشرف" باهتمام:

-أنتِ كويسه؟

هـــزت "نـــور" رأســـها بإيجـــاب، فوقـــف "أشـــرف" بثقـــة وهـــو ينظـــر لهـــم والغضـــب يســـيطر عليـــه لـــيلكم الشـــباب بغضـــب مميـــت ليركضوا هربًا من وحش ثائر كهذا

ابتسمت له "جيهان" بامتنان، وقالت:

-شكراً لحضرتك

بادلها "أشرف" البسمة بأخرى وقال:

-تعالوا اوصلكم

رفضت "نور" بلباقة:

-لا شكراً احنا شوية ونوصل

أردف "أشـــرف" بصـــيغة أمـــر فهـــو خشـــى أن يتعرضـــوا لموقـــف آخـــر كهـــذا فـــي هـــذا المكان المنعزل:

-قلت اركبوا واخلصي

"نور" بعند:

-وأنا قلت لا

حـــدقها "أشـــرف" بشـــر قبـــل أن يجـــذب يـــدها ويتحـــرك بهـــا جهـــة الســـيارة لتصـــعد بضـــيق بجـــوار مقعـــد الســـائق وصـــعدت "جيهـــان" بالخلف «وقاد بصمت»

تسأل "أشرف" وهو ينظر أمامه:

-رايحين فين؟

ردت "جيهان" بهدوء:

-الجامعة

لتقول "نور" بعصبية:

-أنت ازاي تعمل كده؟

أردف "أشرف" ببرود:

-زي الناس

هتفت "نور" بغضب:

-يعني أنت بدافع عننا عشان تخطفنا

كان بإمكانها أن ترفض الصعود معه ولكنها شعرت بالأمان بجوارة فشخص دافع عنهم لا يمكن أن يفعل شيء سيء بهم ولكنها أردت أن تزعجه لا أكثر

رد "أشرف" بسخرية:

-بس يا مجنونة اخطفك ليه؟ وأظن أن لبسكم ده يتلبس في البيت مش في الشارع ده مش لبس واحدة محجبة

أردت "نـــور" أن تزعجـــه ففعـــل هـــو، لتقـــول بجنون:

-وأنـــت مالـــك؟! وبعـــدين أنـــت مـــين أصـــلاً عشان تقولي البس إيه؟

تغاضـــى عـــن الجـــزء الأول ورد علـــى بـــاقي حديثها:

-أنـــا واحـــد عـــادي، بـــس ده مـــش لـــبس يخليني اغض بصري

كانـــت ترتـــدي ســـروال بـــاللون الأســـود وفوقـــه بلـــوزة بـــاللون البنفســـجي وحجـــاب بـــاللون الابـــيض بـــه نقـــوش بنفســـجيّة، نظرت له بغضب ولم تزعج نفسها بالرد

بعد لحظات تحدثت "جيهان" بغباء:

-عارفـــة يـــا بـــت يـــا "نـــوره" أنـــا كنـــت بفكـــر في إيه واحنا هنتخطف

تســـألت "نـــور" وهـــي تنظـــر لهـــا فـــي المرآة:

-إيه؟

ردت "جيهـــــان" بهيـــــام فـــــي حلمهـــــا المستحيل:

-أن أحنـــا هنتخطـــف ويكـــون فـــيهم واحـــد يتجوزني بالعافية ويعذبني وبعدين احبه

شردت "نور" بحلمها كذلك وقالت:

-يـــااااه فكرتينـــي وانـــا كنـــت بفكـــر أن هيجـــي واحـــد زي "حمـــزة" ينقـــذني ويكلمنـــي وهـــو بيـــبص فـــى الأرض واقولـــه شـــكراً، يـــاااا فكرتيني ليه؟

ردت "جيهان" بأسف: اه بس للأسف

أردفت "نور" بحزن: للأسف فعلاً

اما "أشرف" فلا يصدق هذا الكم من الغباء الذي يقبع داخل هاتان الحماقتان، ليتوقف بالسيارة أمام بوابة الجامعة ويقول:

- يلا انزلوا

مازالوا يتحدثان عن فارس احلامهن ولم يشغل بالهم أين هم؟ وكيف يثقون بشخص يرونه لأول مرة؟ ولكن للحق هم حماقتان كما أطلق عليهم

هبطوا من السيارة ونظرت له "جيهان" وقالت بهدوء:

-شكراً

أما "نور" فنفخت وجنتيها بضيق وهي تنظر له:

-احنا مكناش محتاجين مساعدة من حد بس شكراً

لم يهتم "أشرف" وهو يعود تشغيل السيارة:

-وأنا مش منتظر شكرك

وفي ثواني كان يختفي من امامهم بسيارته، ووقف فى المكان المنشود وغاب في شرود قصير فى تلك المجنونة صاحبة البشرة البيضاء كالحليب الصافي وعيونها اه من عيونها فهي عسليه مثلها وهي طويلة القامة ويقال كل ما هو قريب من القمر يشبه وقوامها رائع فهي حقًا فتاة جميلة فهي نورًا حقًا تشبه القمر فوجهها يشع ضوء كالقمر فى منتصف الشهر ولكنها مزعجه فى

ردائهـــا الملفـــت للأنظـــار وفـــى النهايـــة هـــي لا تعني له شيء.

كـــان يســـير داخـــل المشـــفى بهدوئـــه المعتـــاد لتقطع طريقة أحدى الممرضات:

-دكتور "إبراهيم "

وقف "إبراهيم" وتسأل: في حاجة؟

أجابت الممرضة بأحترام:

-الـــدكتورة "هـــاجر" عـــايزة حضـــرتك فـــي طفـــل حالتـــه صـــعبة ومحـــدش هيقـــدر يتعامـــل معا غير حضرتك

تســـأل "إبـــراهيم" بقلـــق عـــن طفـــل لا يعلـــم عنـــه شـــيء، لكـــن داخلـــه فطـــرة فـــي حـــب الأطفال:

-هو فين؟

أردفت الممرضة: فى غرفة رقم...

رد "إبراهيم" وهو يتحرك من أمامها:

-تمام

وتركها وغادر وهي وقفت تحدث نفسها:

-هو في حد كده، ده طيوب خالص ربنا يكرمنا بواحد نص حنية الدكتور "إبراهيم" يا حظها اللي هيكون من نصيبها

تسألت ممرضة أخرى وهي تقترب منها:

-أي يا "هبه" واقفه تكلمي نفسك

ردت "هبه" وهي ما زالت تنظر في الجهة التي سار فيها:

-لأ يـــا "مـــريم" بـــس كنـــت بفكـــر فـــى المحظوظـــة اللـــي هتتجـــوز الـــدكتور "إبراهيم"

أردفـــت "مـــريم": اه والله محظوظـــة بـــس الـــدكتورة "هـــاجر" هتمـــوت عليـــه وهـــو مـــش بيعبرهـــا رغـــم أنهـــا أحلـــى واشـــطر دكتورة في المستشفى

تحدثت "هبه" بغيرة:

-بس رخمه ودمها تقيل

أيدِت "مريم" حديثها:

-فـــي دي معـــك حـــق بـــس يـــلا نـــروح نشـــوف شغلنا وملناش دعوة بحد.

«حقًـــا لـــيس لـــكِ علاقـــة بأحـــد، إذًا مـــاذا يطلـــق علـــى مـــا حـــدث منـــذ ثـــواني؟ ســـوى

غيبـــة أو بهتـــان "وَتَحْسَـــبُونَهُ هَيِّنًـــا وَهُـــوَ عِندَ اللَّهِ عظيم"»

إمـــام يقـــول (لـــو إغتبـــت فـــى كـــل يـــوم شخصـــين فقـــط) وعشـــت بعـــد ســـن البلـــوغ سِـــتين ســـنة معنـــاه يـــوم القيامـــة راح يكـــون عنـــدك ٣٢٤٠٠ خصـــم أمـــام الله هـــل انـــت مستعد!!

مـــن تخلـــص مـــن الغيبـــة و النميمـــة تخلـــص من ثلث عذاب القبر

كفارة الغيبة:

اللهـــم اغفـــر لـــي ولمـــن اغتبتُـــه و ظلمتـــه وأسأتَ إليه وتجاوز عنّي وعنه.

***

"فى الجامعة"

تحـــدثت "بســـملة" براحـــة وهـــي تغـــادر قاعة المحاضرات:

-ياه أخيرًا خلصنا

ردت "جيهان" وهي تسير خلفها بملل:

-الدكتور ده ممل على الآخر

أيدتها "بسملة" في الحديث:

-اه واللهِ أنـــا لـــولا الملائمـــة مكنـــتش حضرت

أنزعجـت "دعـاء" مـن حـديثهم: بـس أنـتِ وهـي الـدكتور "فـارس" كـويس وبيشـرح حلو، أنتم بس أي حد لازم تتريقوا عليه

تسألت "جيهان" بحاجب مرفوع:

-وأنـتِ مالـك؟ احنـا اتكلمنـا عليكـي، بـس لاحظتـي يابـت يـا "بسـوا" الـدكتور كـان بيبص علينا ازاي

ابتسمت "بسملة" فهي علمت ما ترمي إليه صديقتها:

-اه ياختي كل شوية يقولنا فاهمين وهي تقوله اه يا دكتور وقعدين يوزعوا ابتسامات طول المحاضرة

توترت "دعاء" وقالت بضيق:

-إيه اللي بتقولوا ده؟ أنتم شكلكم اتجنيتوا

وتركتهم وسارت إلى كافتريا الجامعة وهم جلسُوا بجوارها، غمزت لها "جيهان" بمشاكسة:

-اعترفي كلنا عارفين أن عينه منك من أول يوم

رفضت "دعاء" أن تخوض في هذا الحديث الذي يؤلم قلبها:

-بس بقى أنتِ وهي

وغابت في شرود قصير فهي حقًا تتمنى أن يكون لها ولكنه المعيد وهي مجرد طالبة عادية بل أقل من العادية

فاقت من شرودها على صوت "نور" الذي يأتي من الخلف ورددت بصوت مسموع:

-اهي كملت وجات صاحبة المشاكل

تحدثت "نور" بمرح:

-مرحبًا متجمعين عند النبي يا قوم، وسمعتك على فكرة

"دعاء" بلا أهتمام: مش مهم اترزعي

جلست بجوارها، لتقول "بسملة":

-احكيلنا يا "نور" إيه اللي حصل الصبح؟ عشان الدكتور دخل قبل ما "جيجي" تحكي حاجة

غابت "نور" عنهم لبضع دقائق لأول مرة تفكر في رجل فهي فتاة تتجنب الاحتكاك بأي رجل، ولكن ذلك الشخص كان غريب بالنسبة لها كان شخصًا قوي تشاجر مع خمس رجال بدون أن يمسه أحد، كان ملامحه تدل على قوة شخصيته وبشرته السمراء وعينيه السوداء كسواد الليل وشعره الناعم ورغم طولها فهي وقفت بجانبه كأنها طفلة يالله هل يوجد رجل بهذا الجمال؟

-لحظـــة مـــن فضـــلك! أيـــن "حمـــزة" هـــذا الـــذي تريديـــه؟؟ فهـــو لا يشـــبه "حمـــزة" أبدًا، إذًا ليس هناك داعي لأفكر به

نادت "بسملة" عليها:

- نور نور نور

عـــادت "نـــور" للواقـــع وردت بانزعـــاج طفيف:

-إيه ياعم أنا كرهت "نور" بسببكم

تحـــدثت "دعـــاء" بســـخرية: "نـــور المهـــدي" ســـرحانه ده مـــن عجائـــب الـــدنيا صح، اعترفي كنتِ سرحانه فى مين؟

نظرت لها "نور" ببسمة ساخرة:

-اتنيلي هو أنا اعرف اشكال غيركم

ضحكت "بسملة" بمرح وهتفت:

-ما هي دي المشكلة؟

سردت لهم "نور" ما حدث باقتضاب:

-الزفتـــه دي هـــي اللـــي مشـــتنا مـــن الشـــارع وشـــفنا شـــباب زبالـــة كـــانوا عـــايزين يعملـــوا الغلـــط بـــس جـــه واحـــد جنتـــل وعمـــل معهـــم الغلـــط وربـــاهم خلاهـــم يجـــروا زي الكـــ*** ووصلنا لحد الجامعة ومشي

قالـــــت "دعـــــاء" بعصـــــبية: وانـــــتم ازاي تركبوا مع واحد غريب؟

ردت "جيهـــان" بهيـــام: اصـــلوا قمـــر كـــدا ومحدش يقدر يقوله لا

شـــعرت "نـــور" بـــالغيرة ولا تعلـــم لمـــاذا وتحدثت دون تفكير:

-احترمـــي نفســـك ازاي تقـــولي عنـــه كـــدا قدامي

نظـــروا لبعضـــهم بتعجـــب، فتحـــدثت هـــي موضحه مقصدها:

-مـــش قصـــدي بـــس احنـــا بنهـــزر فـــى كـــل حاجة إلا الرجالة مش بنعاكس حد

هتفت "بسملة" بمشاكسة:

-بس البت "نور" شكلها وقعت

وقالت "دعاء" بمرح:

-اواه حـــب مـــن أول نظـــره علـــى وضـــعك يـــا باشا

صفعة "جيهان" مقدمة رأسها:

-يـــــااااه دانـــــا غبيـــــه ازاي مخـــــدتش بـــــالي "نوره" بتغير

ردت "دعاء" بسخرية:

- طول عمرك غبية يا حبيبتي

انزعجت "نور" بشدة:

-بس بقى غيرة إيه وحب أيه اللي بتتكلموا عليه بطلوا عبط

لم يتحدثوا الفتيات كي لا يزعجونها

وبعد ثواني قالت "بسملة":

-طب يلا بقا نروح أحنا المحاضرة بتاعتنا اتلغت وأنتِ يا "نور" عندك محاضرات ولا هتروحي

أردفت"نور" بدون اهتمام: لا عندي بس مش هحضر اشمعنا انتم

ردت "جيهان" بجدية: عشان احنا معندناش بس أنتِ عندك

اردفت "نور": كان بس أنا لغيتها يلا نمشي

(دعاء، جيهان، بسملة في نفس العام، اما نور فهي أصغر منهم بعام)

فـــي مكـــان قريـــب كـــان يقـــف يتأملهـــا وهـــي تتحـــدث مـــع رفيقاتهـــا كـــم هـــي رقيقـــة وجميلـــة، جمالهـــا ملفـــت للأنظـــار بشـــرتها الســـــمراء تزيـــــدها جمـــــالًا وعيونهـــــا الخضـــراء تجعلـــك تعشـــق النظـــر لهـــا كانهـــا لوحـــة فنيـــة، فكـــل مـــن يراهـــا بعـــين قلبـــه لا يقـــول ســـوى كلمـــة واحـــدة "الله" فهـــي مـــن إبـــداع الخـــالق، ويتمنـــى أن يقتـــرب منهـــا ولكـــن لا تســـمح لـــه بـــالاقتراب ولـــم تعطيـــه يومًا إشارة لكي يقترب هو...

نعـــم أنـــه هـــو... الـــدكتور "فـــارس" عاشـــق "دعاء"

كـــانوا يســـيرون فـــي الطريـــق ليـــروا مشـــهد محـــزن طفـــل بريـــئ لـــم يتجـــاوز الأربـــع أعـــوام يتســـطح أرضًـــا فاقـــد للـــوعي وحولـــه

كم هائل من الناس لم يتحرك أحد لانقاذة

أسرعت الفتيات إليه لتحمله "جيهان"

وتتحرك به بسرعة فائقة لأقرب مشفى

وأصدقائها بجوارها

"في المشفى"

نظرت "جيهان" لأصدقائها وقالت:

-خلاص روحوا وأنا هتصل اطمنكم

عشان متتاخروش وأنا هستني اطمن

عليه وامشي

أيدت "نور" حديثها: ايوه روحوا وأنا و

"جيهان" بيتنا قريب لكن أنتم هتتاخروا

فكرت "دعاء" قليلًا وكادت أن ترفض

لكن تذكرت والدها فخشت أن يقلق

عليها:

-ماشي بس خلو بالكم من نفسكم

أردفت "نور" بهدوء: ماشي

جلـــس الاثنـــان بانتظـــار خـــروج الطبيـــب، إلى ان خرج بعد دقائق وقال بتسأل:

-أنتم تقربوا لطفل

نفـــت "جيهـــان" برأســـها: لا احنـــا شـــفناه فـــي الشـــارع وكـــان لازم نجيبـــه هـــو كـــويس

صـــح الـــدكتور بعمليـــة: ايـــوه بخيـــر متقلقـــيش بـــس لازم تســـتنوا عشـــان هنبلـــغ الشرطة عشان تعرف هو مين

ردت "جيهان" بهدوء: تمام يا دكتور

تســـألت "نـــور" بتعجـــب وهـــي تـــرى القلـــق واضح على "جيهان":

-يـــابنتي خايفـــة ليـــه كـــدا محسســـاني أن ابنك

ردت" جيهـــان" بحـــزن: مـــش عارفـــة يـــا "نوره" بس خايفة عليه قوي

ابتسمت "نور" لها لكي تطمئن:

-إن شاء الله خير

ردت "جيهان" بتمني: يارب

خرجـــت أحـــدى الممرضـــات وهـــي تقتـــرب منهم:

-يـــا مـــدام ابنـــك فـــاق و عمـــال يعـــيط تعـــالي شوفيه

ركضـــت "جيهـــان" بســـرعة، لتقـــول "نـــور" بدهشة:

-مـــدام... هـــي امـــه صـــح وأنـــا معـــرفش... إيـــه ده بطلـــي ذكـــاء وروحـــي شـــوفي ابـــن اختك

وقبـــل أن تخطـــوا لـــداخل أوقفهـــا الطبيـــب، وهو يقول:

-يا أنسه تعالي كلمي الظابط

تأففت "نور" ومع ذلك ردت:

-تمـــام بـــس الطفـــل بيعـــيط و "جيهـــان" دخلت تشوفه

رد الـــدكتور بثبـــات: تمـــام روحـــي وأنـــا هدخل اشوفها وابعتها

قالت "نور" وهي تتحرك: تمام

خطـــئ الطيـــب لـــداخل ليـــرى الفتـــاة تعـــانق الطفـــل بقـــوة وكأنهـــا تخشـــى أن يتركهـــا، أبتســـم وهـــو يراهـــا هكـــذا فالأمومـــة فطـــرة داخلنـــا فتـــرى طفلـــة تحتضـــن دميتهـــا وتخشـــى عليهـــا مـــن أن يمســـها أحـــد، وهـــي

حقًا كذلك منذ الصغر وهي أكثر ما تتمنى أن يصبح لديها طفلة وتصبح أم حنونة

إبتسم الدكتور؛ "إبراهيم" وقال:

-كلمي يا أنسه

تسالت "جيهان" بتعجب وهي تنظر له:

-مين؟

أردف "إبراهيم" بهدوء: الشرطة عشان تاخد اقوالك وتمشي

وهنا داهمها الحزن هل حقًا ستترك هذا الطفل الملاك؟ وتذهب

***

"عند نور"

صاحت "نور" بضيق من هذه الأسئلة التي لم تنتهي:

-يعني أنا أعرف منين ابن مين ده؟

رد الضابط بطريقة جعلت كل خلية بها تغضب:

-دلوقتي يا أنسه فى بنات كتير "أستغفر الله" بتعمل كدا وبترمي اولادها فى الشارع بدون رحمه

ردت "نور" بغضب ولم تهتم بمن أمامها: وأنا مال أهلي، احنا لقينا طفل صغير مرمي في الأرض، عملنا اللي علينا وجبنا المستشفى ولا هو خيرًا تعمل شرًا تلقى

فتح الباب وقال: قصدك أجرًا تلقى

نظرت له "نور" بصدمة: أنت؟؟؟

****

الفصل الثالث

"أتمنى أدخل الجنة لكي أذهب إلى سيدنا بلال وأطلب منه أن يأذن لي لأسمع صوته لأنها أحد أمنياتي أن أسمع صوته"

***

كانت "بسملة" و"دعاء" يجلسان في السرفيس للعودة للمنزل، فمنازلهم قريبة من بعضهم، فقالت "دعاء":

-اتصلي بـ "نور" اطمني روحت ولا لا.

أردفت "بسملة" بصوت منخفض:

-اتصلي أنتِ، أنا مش معي رصيد.

صفعتها "دعاء" على رأسها بخفة:

-يا ذكية يعني لو أنا معي كنت قولتلك ليه؟

حدقت بها "بسملة" بضيق وقالت:

-خلاص هبعتلها مسچ على الوتس.

هتفت "دعاء" بخفوت: طيب.

اخرجت "بسملة" الأموال من حقيبتها لتدفع أجرة السرفيس، ورفعت يدها لتناولها لمن يجلس امامها:

-لو سمحت اتنين من خمسين.

رد عليه الرجل: هاتي يا أنسة

ناولتها له "بسملة" واردفت: شكراً

وقف السرفيس فى الطريق ليصعد الرقاب، ليقول التباع:

-وسعي يا أستاذة قعدي الناس جنبك.

ردت "بسملة" بعدم فهم وهي تنظر لسرفيس الذي لا يوجد به مكان:

-ناس مين؟ هو فيه مكان فاضي.

فـــرد شـــاب بجديـــة: المكروبـــاص مليـــان اطلع ياسطا

أردف التبـــاع بعنـــد: هنركـــب الاتنـــين دول ونطلع

صـــاحت "بســـملة" بعصـــبية: هتـــركبهم فين؟ هو في مكان أنت هتستعبط.

تـــدخل الشـــاب يقـــول بهـــدوء: خـــلاص يـــا أنسة اهدي وأنا هكلمه.

نظرت له "بسملة" بشر وقالت بعصبية:

-وأنا مش صغيرة عشان حد يرد مكاني

نظـــر لهـــا بضـــيق ثـــم عـــاد ينظـــر لســـائق وقال:

-خـلاص اهـدي وأنـت يـا سـطا أطلـع يـا عـم اتاخرنا

تحـــرك الســـائق دون أن يصـــعد أحـــد لتقـــول "دعاء":

-يابنتي اتكلمي عدل الراجل مقلش حاجة

ردت "بسملة" بضيق:

-يعني هو حد قالوا يدخل أي الناس دي كـــان يســـتمع لحـــديثها الـــوقح وكيـــف تتجـــرأ أن تتحـــدث عنـــه هكـــذا وهـــو مـــن تـــركض خلفـــه الكثيـــر مـــن الفاتنـــات، إذن وجـــدنا دميـــة أخـــرى مشاكســـة ســـأجعلها تـــركض خلفـــي كالأخريـــات، ولكـــن مـــن هـــي هـــذة الفتـــاة يـــا تـــرى؟ هـــذة المـــرة الأولـــى التـــي أرهـــا تصـــعد ســـرفيس بلـــدتنا ولكـــن لا بـــأس ســـأعلم مـــن هـــي؟ ونبـــدأ تحـــدي الحصـــول عليها...

***

وقف الضابط باحترام وهو يقول:

-"أشرف" باشا بتعمل إيه هنا؟؟

رفع "أشرف" يده ليتبادلا تحية السلام وقال:

-مفيش يا "علي"، "مازن" تعبان وجيت عشان اطمن عليه، وعرفت أنك هنا جيت اسلم عليك.

أردف "علي" بجدية وهو يربت على يد صديقه:

-الف سلامة عليه، هو عامل إيه دلوقتي؟

رد "أشرف" بثبات: تمام الحمدلله بخير.

ثم نظر للخلف ليتحدث معها:

-بتعملي إيه هنا؟

أردفت "نور" بتهكم لازع:

-اهي كملت، بتفسح، يعني بعمل إيه؟!

هتف "علي" بعصبية:

-أنــتِ يابــت اتكلمــي بــاحترام مــع "أشــرف" باشا

قالت "نور" بنفاذ الصبر مما يحدث:

-بــت أي يــاعم أنــت هــو أنــا مجرمــه عنــدك عشــان تكلمنــي كــدا، ادي اخــرة اللــي يعمــل خير في ام البلد دي

قبل أن يرد عليها قاطعة أشرف قائلا:

-بــس يــا مجنونــة، خــلاص شــوفها يــا "علي" بتعمل إيه هنا؟ عشان تمشّي

أردفت "نور" بضيق شديد:

- لا كتر خيرك والله تعبناك معانا

وصاحت بغضب:

- إيه ياعم هو انتم ماسكني تحري، أنا فعلاً غلطانة، شوفوا مين يعمل معكم خير تاني

أردف "أشرف" بجدية: بس يا ام لسان طويل

نظرت له بتذمر ليبتسم "أشرف" ويقول:

-خلاص بقى

دقات منفصلة على الباب يليها العسكري يطلب الاذن لدخول "جيهان" وبعدها ولجت بخطوات هادئة وتسألت:

-اي يا "نوره" خلصتي

ردت "نور" بضيق منها: اه ياختي خلصت أنتِ سبب المشاكل من أول اليوم

أشـــارت "جيهـــان" علـــى نفســـها باســـتنكار وقالت:

-أنـــا... ليـــه إن شـــاء الله؟! هـــو أنـــا اللـــي اوقـــر كـــدا مخليـــه كـــل اللـــي رايـــح واللـــي جاي يعاكس فينا هتفت "نور" بتهكم:

- لأ يختـــي أنـــتِ اللـــي بخيلـــه ومـــش بترضـــي تركبي وتكسري رجلي من المشي

أردفت "جيهان" تدافع عن نفسها:

-أنـــا مـــش بخيلـــه بـــس بحـــب اتمشـــى، وبعـــدين مـــش أنـــتِ اللـــي قـــولتي تعـــالوا نروح نشتري وشفنا الطفل هناك

نظـــرت لهـــا "نـــور" بشـــر وهتفـــت مـــن بـــين اصطكاك اسنانها:

-بـــس أنـــتِ يـــاختي عملتـــي فيهـــا الام الحنونـــة وجريتـــي عليـــه واجبرتينـــا نيجـــى هنا

أبتســـم "أشـــرف" علـــى الصـــدمة التـــي تعتلـــي وجـــه "علـــي" مـــن هـــؤلاء الحمقـــى اللتـــان لـــم يهتمـــوا بـــاين هـــم؟ وامـــام مـــن يتشاجرون؟

ليقطـــع "أشـــرف" حـــديثهم الـــذي لـــن ينتهـــي بقوله:

- بس أنتِ وهي

ســـأل "علـــي" "جيهـــان" عـــدت اســـئلة، ثـــم سمح لهم بالمغادرة، لتقول "جيهان":

-لـــو ســـمحت لمـــا يصـــحي الطفـــل اتصـــل بيـــا عشان عاوزه اشوفه

جـــذبتها " نـــور" مـــن يـــدها وهـــي تـــدفعها لكي تسير أمامها:

-يـــــلا يـــــاختي جبتيلنـــــا الكـــــلام يخربيـــــت معرفتك

ردت "جيهان" ببرود: ومعرفتك

وخـــــرج الاثنـــــان مـــــن المشـــــفى يتشـــــاجرا كالعـــــادة، ليضـــــرب "أشـــــرف" كـــــف بكـــــف وهتف:

-مجانين

في المساء وتحديدًا في منزل نور

صاحت "نور" وهي تقترب من والدتها:

-ماما ماما ماما

ردت "فايزة" بضيق: نعم ياروح أمك

هتفـــت "نـــور" ببـــراءة مصـــطنعة وهـــي تعانق والدتها:

- ماما أنتِ عارفه أني بحبك صح؟

ابعدتها "فايزة" عنها برفق وقالت:

-مش مهم، عايزة إيه؟

قبلت "نور" يدها وهتفت بمرح:

-حبيبتي يا ماما يلي فهماني

أردفت "فايزة" بنفاذ صبر:

-وبعدين هتقولي عايزة إيه؟ ولا اقوم اشوف ورايا اي

تحدثت "نور" بسرعة: لا لا خلاص تعالي نروح عند بيت خالي، عشان خالي وحشني

عبثت "فايزة" بحنق: خالك برضوا! وبعدين أنتِ مش لسه كنتي معها

هتفت "نور" بكذب لم يخفى على والدتها:

-اصل عايزين نذاكر سوء

قالت "فايزة" ساخرة: أنتِ وش مذاكرة

تصنعت "نور" الحزن وقالت:

- ديمًا ظلماني

-أنا مش فاضية يا "نور"

-خلاص اروح أنا

-لأ اتصلي بيها أنتِ، اخوكي مش هنا ومفيش حد يوديكي

أردفت "نور" بتوسل: عشان خاطري يا ماما عيد الأم جاي وهجبلك هدية حلوة

حدقت بها "فايزة" ساخرة: دانا من يوم مخلفتك وأنتِ مجبتليش كوباية مياه

محت "نور" دموع وهميه وردت بحزن:

-برضوا كدا يا ماما زعلانة منك

هتفت "فايزة" ببرود: احسن

أردفت "نور" بجدية وحزن: ليه محسساني إن أنتِ مش ضنايا؟

تسألت "فايزة" بعدم فهم: أنا إيه ياخي؟!

ردت "نور" بمرح: متخديش فى بالك ياحب، يلا بقى اسيبك عشان الزفته وحشتني

قالت "فايزة" بقلة حيلة: ربنا يستر لما تتلموا على بعض يبقى فيه مصيبة

غمزت لها "نور" وهي تغادر :

-ده كرم منك واللهِ

***

"في منزل جيهان"

صـــاحت "جيهـــان" بعصـــبية فـــي وجـــه شقيقتها:

-بـــت أنـــتِ اطلعـــي مـــن دمـــاغي عشـــان مـــش ناقصاكي

ردت "نيـــرة" ببـــرود: ليـــه يـــا عســـل مالهـــا دماغـــك؟ دانتـــي فاشـــلة ولا بتـــذاكري ولا نيلة

هتفت "جيهان" بنفاذ صبر:

-الله يكرمـــك ابعـــدي عنـــي يـــا "نيـــرة" وقلتلـــك أنـــا مبلمســـش حاجـــة حـــد، والفســـتان مش أنا اللي اخدته

تســـألت "نيـــرة" بـــنفس البـــرود: امـــال ازاي كان في اوضتك؟؟

أردف "جيهـــان" بعصـــبية: يمكـــن الحيوانـــة التانية هي اللي حطته هنا

بكل برود قالت "نيرة": هي مخرجتش انهاردة

هدأت "جيهان" قليلًا وقالت:

-ماشي خليني معكِ هي مرحتش مكان، بس أنتِ مش شوفتيني وأنا داخله البيت وشفتي لابسة إيه، يبقي إيه هغير في الشارع مثلاً

نيرة: معرفش

صاحت "جيهان" بعصبية وقد فقدت صبرها وهي تدفعها خارج الغرفة:

-طالما متعرفيش ابعدي عني كدا عشان أنا مصدعه اصلا

حدثت "جيهان" نفسها بعد أن اغلقت الباب:

-يـــاربي أي النـــاس دي أنـــا نقصـــاكي أنـــتِ كمـــان بـــس ماشـــي يـــا "ملـــك" لربيكـــي علـــى اللي عملتيه بس افوقلك

وأثنـــــاء حـــــديثها اتفـــــتح البـــــاب بقـــــوة، فصاحت بجنون:

-عايزة إيه تاني يا غبية أنتِ...

صـــمتت عنـــدما رأت وجـــه الزائـــر وقالـــت بضيق:

-كـــان لازم أعـــرف أنـــه أنـــتِ، تصـــرف زي ده لازم يطلع منك

ردت "نور" بمرح: قلبي بقى

تســـألت "جيهـــان" بهـــدوء بعـــدما جلســـت على الفراش:

-جايه ليه؟

جلست "نور" بجانبها وقالت:

-في حد يقول لحد كدا

ردت "جيهان" بلامباله: مش أنا قولت يبقى فيه

أردفت "نور" بتعجب منها: هو أنا جايه احكيلك همي، القاقي شايله طاجن ستك

اعتدلت "جيهان" وقالت وهي تشير على الباب:

-روحي اقفلي الباب الأول وتعالي قوليلي "نوره" برضوا بتشيل الهم، دي "نوره" تشيله لبلد

تحركت "نور" جهة الباب وقامت باغلاقه وهي تقول:

-ظلماني يا اختي، بس قوليلي أنتِ مالك ده البيت كله بيشتكي منك وبيقولوا من ساعة ما رجعتي من بره مش مبطله

خنـــــاق رغـــــم انـــــك مروحـــــه زي الفـــــل واربعتاشر

أردفـــــت "جيهـــــان" بحـــــزن: الـــــدكتور مكلمنـــــيش وخايفـــــة علـــــى الطفـــــل أوي، ومش عارفة ليه؟ اقولك حاجة

أنتبهـــت لهـــا "نـــور" وهتفـــت باهتمـــام: قولي

نظرت لها "جيهان" وقالت بتردد:

-نفســـي يكـــون ملهـــوش أهـــل واخـــده اربيـــه مش عارفه ليه بس حاسه أن ابني

هتفت "نور" لا يليق بحديثهم الجاد:

-اعترفـــي يابـــت أنـــتِ اتجـــوزتي مـــن ورايـــا وده أبنك وبتضحكي علينا

وضـــعت "جيهـــان" يـــدها علـــى رأســـها بتعـــب وقالت:

-"نـــوره" بـــالله اتكلمـــي جـــد عشـــان أنـــا تعبانة ومش حملك

أردفـــت "نـــور" بجديـــة وضـــيق مـــن تفكيـــر تلك الحمقاء:

-"جيهـــان" أنـــتِ ســـامعة نفســـك بتقـــولي إيـــه؟ ميـــنفعش تفكـــري بأنانيـــه وتتمنـــي حاجـــة وحشـــه زي دي، أنـــتِ المفـــروض تدعي يلقى اهله بسرعة

لـــم تـــرد عليهـــا بـــل أكتفـــت بنظـــرة حزينـــة، لتقول "نور" بهدوء:

-طالمـــا ســـاكته يبقـــى كلامـــي مـــش عاجبـــك، اقولـــك بقـــى أنـــا جيـــت ليـــه ومســـتنتش اشوفكم بكرة

ردت "جيهان" بدون اهتمام: قولي

أخرجت "نور" هاتفها وهي تعبث فيه وقالت:

-استني اتصل بباقي الفرقة عشان مش هعيد كلامي كل شوية

قامت بالاتصال بـ "دعاء" ثم ضافت "بسملة" التي قالت بمرح:

-ها الكلام على إيه يا وش السعد

هتفت "نور" عبر الهاتف وقامت بتفعيل السماعة الخارجية:

-اسمعي ياستي الظابط اللي وصلنا أنا وزفتت الطين...

قاطعتها "جيهان" وهي تدفشها بعيدًا عنها:

-احترامي نفسك

اردفت "دعاء": سبيها تكمل، مالوا؟

ردت "جيهـــان" بتـــذمر: يعنـــي أنـــتِ مـــش سامعه؟

هتفـــت "بســـملة": يعنـــي هـــي غلطـــت فـــى البخاري، كملي يابت مالوا؟

ردت "نور" وهي تغمز لـ جيهان:

-اتصل بيا

نطق الثلاثة في نفس اللحظة: ليه؟

ردت "نـــور" بغـــرور: قـــالي اســـمك إيـــه ونتعرف وطلع أرمل ومعه ولد زي القمر

تســـألت "دعـــاء:" بثبـــات وأنـــتِ عرفتـــي منين أن ابنه زي القمر؟

حمحمت "نور" وهتفت بخجل مصطنع:

-احم أصل بعتلي صورته على الوتس

صـــاحت "جيهـــان" بعصـــبية: نعـــم يـــاروح امك وأنتِ كمان كلمتيه على الوتس

ردت "نـــور" ببـــرود: عمتـــك دي اللـــي بتغلطـي فيهـا، واسـمعوا بقـى أنـا قلتلـوا إيـه أنتم تعرفوا عني ذلك

أردفت "بسملة": أنتِ ذلك كله يا روحي

تسألت" دعاء" بهدوء: قلتي إيه؟

ردت "نـور" بمـرح: قولتلـوا أنـا بنـت نـاس محترمـه ومـبكلمش حـد بالطريقـة دي ولـو رن علـيّ تـاني هخليـه ينـدم علـى اليـوم اللي شافني فيه

هتفت "جيهان" بفخر: تربيتي وبعدين

ردت "نور: ولا حاجة

أردفـت "دعـاء" بعـد تفكيـر فهـي الوحيـدة التـي تتمتـع بـذكاء دون عـن الحمقـاوات صديقاتها:

-"نـــور" اخلصـــي وقـــولي ام الحقيقـــة لأن كل الكلام ده مدخلش دماغي

هتفـــت "نـــور" بمـــرح: بـــس دخـــل علـــيهم صح يابت

أردفـــت "بســـملة" بتعجـــب: يعنـــي كـــل الكـــلام ده مش حقيقي

ردت "نـــور" بهـــدوء: مـــش بـــالظبط فـــى جزء حقيقي

قالت "دعاء" بجدية: أنه رن عليكي

ردت عليها "نور" بمرح:

-ايـــوا يـــا جامـــد أنـــا مـــش عارفـــه أنـــتِ لســـه قاعـــدة معانـــا ليـــه المفـــروض تشـــوفيلك نـــاس مـــن برنـــامج العباقريـــة تصـــحبيهم مش اشكال زي دي

اشـــارت إلـــى "جيهـــان" التـــي قامـــت بضربها بالوسادة وقالت بغضب:

-يعنـــي أنـــتِ يـــا غبيـــة بقولـــك مضـــايقه وعمـــالا اتخـــانق مـــع كـــل اللـــي يكلمنـــي وأنـــتِ عمالا تألفي قصة من خيالك

قالت "بسملة" تايدها فيما تفعل:

- اضربيها يا "جيجي" تستاهل

حاولت "نور" تصد ضرباتها وقالت:

-خـــلاص يـــاعم كفايـــة، اســـتني اقـــولكم الحقيقـــة واســـمعي أنـــتِ عشـــان الموضـــوع يخصك

أشـــارت إلـــى "جيهـــان" التـــي هتفـــت بضيق:

-اخلصـــي عشـــان تغـــوري مـــن وشـــي مـــش عاوزه اشوف حد

ردت "نـــور" بجديـــة: كلمنـــي وقـــال أن الطفـــل معرفـــوش اهلـــه وهـــو بقـــي كـــويس وهينقلـــوا علـــى دار ايتـــام لحـــد مـــا حـــد يســـأل عليه

أردفت "جيهان" بفرحة: بجد الحمدلله

قالـــت "دعـــاء" بعـــد فهـــم: هـــي الغبيـــة دي فرحانة على إيه مش المفروض تزعل

ردت "نور" بتمثيل وحزن مصطنع:

-اصـــل بعيـــد عنـــك مـــن يـــوم مـــا ابنهـــا مـــات فـــي حـــادث القطـــر وهـــي كـــل مـــا تشـــوف طفـــل تفتكـــر ابنهـــا، مســـكينة نفســـها تبقـــى ام، فقـــدت عقلهـــا فـــي الحـــادث نعمـــل إيـــه الضـــنا غالي

وهتفـــت "بســـملة" تكمـــل حـــديث الأخـــرى: يـــا حـــراااام زعلـــت عليكـــي أوي يـــا قلبـــي،

ربنـــا يعوضـــك خيـــر معلـــش راح فـــى مكـــان احسن

وأردفـــت "دعـــاء" ببـــرود تشـــارك معهـــم السخرية منها:

-وأنـــا يـــا قلبـــي كنـــت مســـافرة مقـــدرتش اجـــي اعزيكـــي، بـــس متـــزعليش نفســـك أنـــتِ لســـه صـــغيرة والعمـــر قـــدامك وتجيبـــي عشـــرة صحتك بالدنيا ياقلبي

صـــفقت "نـــور" بفرحـــة وحمـــاس شـــديد مـــن مشاركة "دعاء" الحديث معهم:

-تحيـــا "دعـــاء" تحيـــا "دعـــاء" أخيـــراً كـــدا بقيتي البست فرند بتاعي

و"بســـملة" أخرجـــت صـــوتًا صـــاخب (صفرت):

-واو مـــين اللـــي بيـــتكلم "دعـــاء"مش معقـــول احنـــا لازم نعمـــل احتفـــال لانضمامك لفرقة المجانين

أردفـــت "جيهـــان" بضـــيق: خلصـــتي أنـــتِ وهي ولا لسه

هتفـــت "نـــور" ببـــرود: لســـه متفقنـــاش علـــى الحفلة هنعملها فين

دفشتها "جيهان" بعيد وقالت:

-"نـــوره" امشـــي مـــن هنـــا وانـــتم مـــش عايزة اعرفكم تاني

أردفـــت "دعـــاء" بثبـــات: خـــلاص بقـــى يـــا بنـــات متزعلوهـــاش فـــي النهايـــة انـــتم مـــش هتحسوا بيها الابن غالي برضوا

لـــم تســـتطيع "نـــور" و"بســـملة" الســـيطرة علـــى أنفســـهم لتصـــدح ضـــحاتهم تملـــئ المكان، لتهتف "جيهان" بغضب:

-حتى أنتِ يا "دعاء" اتعديتي منهم

ردت "دعـــاء" بهـــدوء: يعنـــي نقلـــك إيـــه؟ بـــذمتك ده صـــح اللـــي بتفكـــري فيـــه، عـــايزة طفـــل يكـــون معنـــدوش أهـــل، وافـــرض معندوش أنتِ هتعملي إيه؟

هتفت "جيهان" بندفاع ودون تفكير:

-هتبنى ويكون ابني

ضـــحكت "دعـــاء" بســـخرية وهـــي تقـــول: لا أنـــتِ كـــدا مجنونـــة فعـــلاً، يـــا ماما لازم عشـــان تتبنـــي طفـــل تكـــوني متجـــوزة وحالتـــك الماديـــة كويســـه وجـــوزك يوافـــق

غيـــر كـــدا أنـــتِ لســـة صـــغيرة يعنـــي اتجـــوزي وجيبي مكان الطفل عشرة فهمتي

هـــزت "جيهـــان" رأســـها بـــرفض كأنهـــا امامها وقالت بحزن:

-لأ مفهمـــتش ومـــش عـــايزة افهـــم، أنـــا هـــروح بكـــرة اشـــوفه فـــي المستشـــفى لـــو حـــد فـــيكم عـــايز يجـــي ماشـــي مـــش عـــايزين احسن

تنهـــدت "نـــور" بضـــيق وقالـــت: خـــلاص سبوها براحتها

تســـألت "دعـــاء" بجديـــة بعـــدما تـــذكرت شيء:

-"نـــور" أنـــتِ عرفتـــي منـــين أن الظـــابط متجوز ومعا طفل زي القمر؟؟

توترت "نور" ورغم ذلك قالت بتردد:

-كنت بهزر بس هو فعلاً معاه طفل لأني سمعته وأنا في المستشفى بيكلم الظابط وبيقول أن ابنه تعبان وكمان دخلت على الاكونت بتاعه وشوفته متصور معاه

تسألت "دعاء": ليه يا" نور" احنا مالنا بيه؟

ردت "نور" بحرج طفيف: فضول والله وعارفه إني غلطانة ومتقلقيش مش هتتكرر تاني، المهم انتم بقى اخباركم إيه

وبدأت كل واحدة منهم تقص لهم ما حدث منذ تركتهم، واعترض "نور" على طريقة تعامل "بسملة" مع الغرباء

***

كان يجلس بجوار الصغير وهو حزين وهو أكثر شخص يبغض الحزن ويقول دائماً أن الشيطان يرقص فرحاً عندما يرى الإنسان حزين، وهو لن يسمح لشيطانه أن يكون سعيد، ودائمًا يبتسم ويقول رب الخير لا يأتي الا بالخير ولكن الآن حزين على هذا الصغير الذي لم يتجاوز الأربع أعوام أين الرحمة في ترك طفل بريء في قارع الطريق؟ أين والدته التي تألمت تسعة أشهر؟ وتركته هكذا بلا رحمة ولكن ربما هناك شيئًا آخر لا أحد يعلمه

قاطعت سيل أفكاره دخول الدكتورة "هاجر":

-دكتور" إبراهيم" أنت لسه قاعد

رد "إبراهيم" بهدوء بعدما اعتدل:

-آه اتفضلي أنتِ أنا قاعدة شوية

تسألت "هاجر" بتعجب: بس أنت خلصت شغل واكيد تعبان

أبتسم "إبراهيم" وقال برفق: شكراً يا دكتورة على اهتمامك بس ممكن تمشى أنتِ

قالت "هاجر" بثبات: لو عايزني...

قاطع "إبراهيم" حديثها بقوله: لا شكراً اتفضلي

اردفت "هاجر" وهي توليه ظهرها: سلام

رد "إبراهيم" عليها: سلام

وبعد خروجها صدح رنين هاتف "إبراهيم" ليجذبه ويرد على المتصل:

-مساء الخير يا عمتو

ردت "سميرة" بجدية: مساء النور، اتاخرت ليه يا "إبراهيم"،" حنان" عنيدة ومش راضية تنام غير لما تيجي وعندها مدرسة الصبح تعالى شوف حل معها

رد "إبراهيم" بهدوء: خلاص با عمتو قوليلها إني جاي في الطريق

قالت "سميرة" بحب لابن شقيقها الوحيد والنسخة الأخرى من أبيه:

-توصل بالسلامة يا بني

رد "إبراهيم" ببسمة هادئة: الله يسلمك يا عمتو

واغلق الهاتف لينظر لصغير بحب وهو يهمس:

-هجيلك بكرة بدري.

«لم يكن أول ولا آخر طفل يترك بقارع الطريق بلا رحمة ولكن خلف كل كارثة سببًا مجهول، فلا شيء يحدث لنا عبث ربما السبب الذي جعل "إبراهيم" يتعلق بالصغير لهذا الحد هو مستقبله المجهول، فماذا سيفعل الصغير في غابة الحياة؟ التي لا ترحم الكبار فما بالك بالصغار»

***

كان "فارس" شارد في معذبة قلبه ولكن قرر أن يفعل المحال قبل فوات الاوان

و"أشرف" الذي لم يفكر يومًا بفتاة والآن وبكل آسف يمر طيفها امامه ربما بسبب جمالها الملفت للانظار، ولكن

للحق طريقتها في الحديث ملفته أكثر، جنونها وطريقتها الطائشة جعلته يبتسم، ربما هو لقائهم الأول وأبداً لن يكون الأخيرة.

«مازلنا فى البداية والحكاية لسه في اولها بين المجنونة والمغرور نلتقي في البارت الرابع إن شاء الله من رواية أربعة تساوي واحد»

****

الفصل الرابع

"بتمنى أدخل الجنة لكي أذهب لسيدة آسيا امرات فرعون واسألها ازاي كنتِ مؤمنة وأنتِ عايشه في بيت كله ظلم ومتأثرتيش، وازاي قدرتي تشيلي حجر كامل فوق بطنك، ازاي كنتي قوية كدا، وازي قدرتي تصبري"

***

"في المدرج "

جلسوا الأربع فتيات بجوار بعضهم وهم يتحدثون، لتقول "دعاء" بصوت منخفض:

-بس أنتِ وهي الله ياخدكم الدكتور هيطردنا بره

ردت "نور" بمرح وصوت منخفض بعض الشيء:

-متقلقيش معانا وسطى

تسألت "بسملة" بتعجب: وسطت أي دي

نغزتهـــا "نـــور" فـــي مرفقهـــا وهتفـــت وهـــي تغمز لها:

-ركـــزي يـــا غبيـــة الـــدكتور عينـــه هتطلـــع على بنت المستخبي

أردفـــت "جيهـــان" بهمـــس: آه يـــا بنـــت المحظوظـــة الـــدكتور هيمـــوت عليهـــا وطبعـــاً هتنجح من غير ما تتعب

ردت "دعـــاء" بضـــيق: ماشـــي أنـــتِ وهـــي لما نطلع بره هربيكم

قالـــت "نـــور" وهـــي تشـــير بيـــدها بـــلا اهتمام:

-ربي نفسك الأول ياختي

أرتفـــع صـــوت الـــدكتور "فـــارس" فـــى القاعة وهو يقول:

-الدكاترة بيتكلموا في إيه؟

اشارت نور على نفسها وهي ترد: احنا

رد الـــدكتور "فـــارس" بســـخرية: هـــو فـــي غيركم بيتكلم

نظـــرت يمينًـــا ويســـارًا وابتســـمت واردفـــت ببلاها:

-لا محدش بيتكلم غيرنا الحمدلله

همست "دعاء" بنبرة شبه باكية:

-منـــك لله يـــا "نـــور" يـــا بنـــت ام "نـــور" إيـــه اللي جابك تحضري معانا

ردت "نـــور" بحنـــق: وأنـــا أعـــرف منـــين أن دكتوركم رخم

عاد صوت "فارس" يصدح:

-إيه المهم اللي بتتكلموا فيه ومش مركزين معايا

نهضوا الأربعة وهم ينظرون لبعضهم البعض ولم يتحدث أيًا منهم، ليقول "فارس" بضيق:

-اطلعوا بره والمرة دي انذار المرة الجاية مش هتحضرولي تاني

ردت "دعاء" بحزن: يا دكتور احنا اسفين مش هتتكرر

نظر لها "فارس" وقال بثقة: عارف اتفضلوا

خرج الأربعة خلف بعضهم لتنظر "دعاء" بحزن لـ "فارس" ليبادلها النظرة بأخرى حنونة، ثم غادرت خلفهم، لتقول "نور" بسعادة:

-عارفة يابت يا "جيجي" شعور حلو اوي وأنتِ طالعه كدا مطرودة من السكشن يااااه دي أحلى حاجة عملها

هتفت"جيهان" بنفس السعادة: اه يابت الواحد مكنش فاهم حاجة وقاعد وخلاص

وقالت "بسملة" بمرح: احسن عمل الصح والله

أردفت "دعاء" بنفاذ صبر: أنتم معندكمش دم صح؟

ردت "نور" عليها بعدم فهم: لا عندنا ليه؟

لتقول "دعاء" بعصبية: يعني اتهزقتوا واتطردتوا ولسه بتضحوا فين الدم بقى

أردفت "نور" ساخرة: هو انتِ مش جامعة نفسك معنا ليه؟ هو أنتِ مش مطرودة معنا

تسألت "دعاء" بحنق: "نور" يا حبيبتي فاكرة لما اتقبلنا أول مرة

ردت "نور" وهي تضع يدها عليها:

-هو ده يوم يتنسي

دفشتها "دعاء" بضيق: يومها المفروض كنت قطعت لساني عشان ادخلك واتصاحبنا

هتفت "نور" بغرور: المفروض تبوسي ايدك وش وضهر عشان عرفتيني

ردت "دعاء" بضيق: اه طبعاً اصل أنتِ مش كل يوم تودیني فى داهيه ومشكلة شكل

تســـألت "بســـملة" بتـــذكر: علـــى ســـيرة المشـــكلة هتروحـــي المستشـــفى يـــا "جيجي"

ردت "جيهـــان" بلهفـــة: اه طبعـــاً هـــروح، هتجيوا معايا؟

قالـــت "بســـملة" بهـــدوء ثـــم أقترحـــت: أكيـــد، طـــب تعـــالوا نـــروح دلـــوقتي بمـــا أن معندناش حاجة

هـــزت "جيهـــان" رأســـها وكـــادت أن تتحـــرك لولا صوت "دعاء" الغاضب:

-محـــدش فـــيكم هيـــروح مكـــان غيـــر لمـــا يعتذر من الدكتور

وضـــعت "نـــور" يـــدها فـــي خصـــرها وهتفـــت بنزق:

-ليه إن شاء الله؟ أنا مش هعتذر لحد

قالت "دعاء" بعند: هتعتذري غصب عنك لأن محدش كان بيرغي غيرك

ردت "نور" بضيق: ليه ياختي مش أنتِ اللي قولتيلي احكيلك الحلم اللي حلمته

هتفت "دعاء" بنفاذ صبر: ده كان قبل الدكتور ما يدخل مش بعد

أردفت "نور" بلامبالاة: مبحبش اسكت غير لما اخلص كلامي اعمل إيه؟

ردت "دعاء" وهي تدفعها للأمام: تعتذري ويلا عشان الدكتور طلع

دخلوا الأربعة خلف بعض مكتب الدكتور "فارس" بعدما سمح لهم بالدخول وهتفوا في نفس اللحظة:

-اسفين يا دكتور مش هتتكرر

رد "فارس" بهدوء: تمام اتفضلوا بس أنا مبحبش حد يتكلم وأنا بشرح

كان يتحدث وهو ينظر لمن تقف في الخلف، وقبل خروجهم تحدث "فارس" بتردد:

-"دعاء" استني أنتِ

أردفت "نور" بابتسامة: في حاجة يا دكتور

رد "فارس" بسخرية: اسمك "دعاء"

قالت "نور" بسماجة: لأ، بس صحبتي

رد عليها "فارس" ببرود وهو يشير للباب:

-طيب اتفضلي أنتِ، وسيبي صحبتك

أن كان يظن أن "نور" ستغادر بهذه البساطة فقد أخطأ، لتهتف ببرود مماثل:

-ليه؟

رد "فارس" بحدة فقد نفذ صبره: قلت اتفضلي

أردفت "نور" بصوت منخفض: خلاص ياعم متزوقش

صدحت ضحكات "جيهان" و"بسملة" لتجعل "دعاء" تكاد تفقد وعيها من الخجل، نظرت لهم برجاء ألا يخرجوا ويتركوها بمفردها ولكن فات الأوان فهي تقف الآن أمامه ولم تستطع أن ترفع أعينها عن الارض حاولت أن تجمع قوتها التي تبخرت بعد نطقه اسمها بهذة الطريقة المميزة، فقال "فارس" بهدوء:

-مالك يا "دعاء" أنتِ خايفة مني كدا ليه؟؟ اتفضلي اقعدي عايز اتكلم معكِ

كان يجلس خلف مكتبة وهي تقبع قرب الباب، لتتحدث بتوتر:

-هو...في... حـ حاجة

أردف "فارس" بابتسامة: حاجة حلوة اقعدي

استجمعت "دعاء" ثقتها وقالت بثبات:

-اتفضل حضرتك قول عشان البنات مستنيني بره

أشار "فارس" للمقعد: اقعدي الأول

جلست على حافة المقعد بتردد وهي تشعر بالخجل يكاد يقتلها هذه المرة الأولى التي تتحدث معه منذُ رأته، فمر على لقائهم الأول ما يقارب الثلاث أعوام

ألقى "فارس" قنبلة وانتظر تأثيرها على من تقبع أمامه:

-تجوزيني؟

نظرت له "دعاء" بصدمة وعدم تصديق:

-إيه؟؟؟

قال "فارس" بهدوء وبسمة تزين وجهه:

-ميـنفعش اتقدملك وأنا معرفش رأيك فيا، موافقة ولا لا، فكريّ براحتك وهنتظر ردك ولو وافقتي او رافضتي ده ملوش علاقة بأني الدكتور وأنتي طالبة وتقديرك ملهوش دعوة بالكلام ده

لم تستطيع أن ترفع عيونها من الأرض هل حقًا حلمها المستحيل تحقق هكذا

ببساطة رباه هذا حلمًا جميل تخشى أن تستيقظ على كابوس مؤلم، قطع "فارس" صمتها:

-اتفضلي دلوقتي وأنا هنتظر ردك تكوني فكرتي في طلبي

وكأنها عصفور سجين وتم إطلاق صراحه، في ثانية كانت تختفي من أمامه، تنهد "فارس" براحه ينتظر ردها الذي يعلمه جيدًا ويعلم رأيها بهِ فهو رأى بعيونه نظرات الحب التي تلمع داخل مقلتيها، فتلك السمراء الفاتنة جعلته اسير منذ تعلقت عيونه بعيونها الخضراء

«من قال أن السمراء لم تخلق للحب، بل الحب خلق منها ولها»

عنـــدما وصـــلت إلـــى اصـــدقائها تســـألت "نور" بلهفة:

-إيه يابت قالك إيه؟؟

ردت "جيهـــان" بهـــدوء: اســـتني أنـــتِ مـــش شايفة وشها ضارب الوان ازاي

اقترحـــت "بســـملة" علـــيهم: طيـــب تعـــالوا نقعد في الكافتريا

ردت "جيهـــان" وهـــي تضـــع يـــدها بيـــد "بسملة":

-يلا

بعـــد جلوســـهم قالـــت "نـــور": هـــاااا انطقـــي كان عايزك فى إيه؟

وتســـألت "جيهـــان" بفضـــول: يـــلا يـــا "دودو" قولي الفضول هيموتني

أردفت "دعاء" بتوهان: عايز يتجوزني

ردت "نور" براحة: طب الحمدلله

ثم نظرت لها بصدمة وهتفت:

-إيه بتقولي إيه؟

أردفت "جيهان" بفرحة: احلفي

تسألت "بسملة" بعدم تصديق:

-بجد ولا بتهزري معنا

ابتسمت "دعاء" بعدما ادركت ما حدث:

-بس أنتِ وهي أنا مش مصدقة زيكم

قالت "نور" بحماس: وقلتيلوا موافقة طبعاً

هزة "دعاء" رأسها بنفي وقالت: لأ

اتسعت عيون "جيهان" وهي تصفعها على رأسها:

-يا بنت المجنونة في حد يضيع عريس زي ده، دأنتي هتموتي عليه

ردتلها "دعاء" الصفعة بأخرى: مردتش يا ذكية مش رفضت وقالي هستني ردك

غمزت له "نور" وردت بمرح: اشطا مبروك يا عروسة

قالت "بسملة" بحزن مصطنع: يا بنت المحظوظة هتودعي العزوبية قبلي

وأردفت "جيهان" بتمني: كدا أنتِ ضمنتي العريس والشهادة عبالي يارب

وضعت "دعاء" كفها في وجه "جيهان " وهي تقول:

- الله أكبر، إيه يا مصيبة منك ليه جوزتوني وأنا لسه موفقتش

غمزت لها "نور" بمشاكسة: يابت دانتي دقيقة كمان وكنتي قولتيله يلا بينا على المأذون

تســـألت "بســـملة" بهـــدوء: وهتـــردي عليـــه امتى؟

أبتســـمت "دعـــاء" وقالـــت: لمـــا أفكـــر بقـــى يستنى مانا بقالي تلات سنين مستنية

صـــفقت لهـــا "نـــور" وردت بمـــرح: يـــا جامـــد أنت تربيتي يا معلم

نهضـــت "جيهـــان" وهـــي تشـــير لهـــم: يـــلا يـــا معلـــم أنتـــي وهـــي عشـــان لـــو "حزومـــي" مشي ومشفتوش أنا هدخل فيكم السجن

ردت "نـــور" بســـخرية: مـــين "حزومـــك" ده ياختي؟

اردفـــت "جيهـــان" بابتســـامة : الـــواد الصغير ياختي بس قلت اخترلوا اسم

نهضت "نور" وهي تقول بسخرية:

-واخترتـــي "حزومـــك" والله ذوقـــك رائـــع يـــا اختاه

واشارت للفتيات: يلا عشان "حزومها"

***

في مكتب إبراهيم

أردف "إبـــراهيم" بهـــدوء: خلـــي بالـــك عليـــه وأنا إن شاء الله هتكفل بيه

قالـــت مـــديرة الـــدار: مـــتقلقش يـــا دكتـــور كـــل الأطفال اللي هناك ولادي

ناولها "إبراهيم" بطاقة تعريفيه:

-ده رقمـــي، فـــي أي وقـــت رنـــي عليـــا، لـــو تعب أو احتاج حاجة

ردت مديرة الدار وهي تنهض:

-ربنا يجزيك خير يا دكتور هستأذن أنا

أشار لها "إبراهيم" بهدوء: اتفضلي

وذهبت المديرة مع الطفل إلى دار الايتام

***

كانوا يسيرون في طريق المشفى ودون مقدمات سقطت "جيهان" أرضا لتطلق صرخة عالية:

-اههههههه

جلسوا اصدقائها بجوارها لكي تتمكن من الوقوف ولكن قدمها تؤلمها بشدة ولم تستطيع السير، لترد بوجع:

-اهه مش قادرة اقوم رجلي وجعاني قوي

قالت "دعاء" بحزن وهي تتفحص قدمها:

-حد فيكم يوقف تاكسي بسرعة

أردفت "نور" بهدوء: المستشفى قريبة خلينا نسندها وتمشي

ردت "جيهان" بوجع: مش هقدر امشي يارب تتشلي

حدقت فيها "نور" بشر وهتفت من بين اصطكاك اسنانها:

-ياريت كان اتقطع لسانك وخرستي بدل ما تتكسر رجلك وتعذبينا

أردفت "بسملة" بخوف عليها: خلاص بقى يا "نور" هي موجوعة وانتي عماله ترغي

قبل أن ترد عليها تحدثت "دعاء":

-اخلصي مش وقت خناق

وفجـــأة وقفـــت ســـيارة أمـــامهم ونـــزل هـــو بطلتـــه التـــي تخطـــف الأنظـــار، ليقـــول "أشرف" بثبات:

-في إيه؟ ومالها؟

أشـــار إلـــى "جيهـــان" لتقـــول "نـــور" بضيق:

-ملهاش

ردت "جيهـــان" بـــألم: لا مـــالي رجلـــي اتكسرت بسببك

أشـــارت "نـــور" علـــى نفســـها وتســـألت باستنكار:

-وأنا عملت إيه؟

ردت "جيهـــان" بنبـــرة باكيـــة: دعيتـــي عليـــا منك لله

ربتـــت "بســـملة" عليهـــا واشـــارت لـــ "نور":

-وقفـــي تاكســـي يـــا "نـــور" واخلصـــي هـــي موجوعة وأنتِ مش حاسه بيها

أردف "أشـــرف" بثبـــات: أنـــا رايـــح المستشفى اركبوا اوصلكم

ردت عليـــه "نـــور" بضـــيق: شـــكراً مـــش عايزين

رد "أشـــرف" بهـــدوء وهـــو يشـــير علـــى "جيهان":

-اخلصي صاحبتك تعبانة

أردفـــت "نـــور" بعنـــد: قولـــت لا وممكـــن تتفضل حضرتك

همســـت لـــه "دعـــاء" بخفـــوت: خـــلاص تعـــالي نركـــب لأنهـــا تعبانـــة ومفـــيش تاكســـي فاضي

ردت "نـــور" بغضـــب: مســـتحيل علـــى جثتي لو ركبتم معه

وبعـــد دقيقـــة كانـــت "نـــور" تجلـــس بجانـــب "أشـــرف" و"بســـملة" و"دعـــاء" و"جيهـــان" فـــي المقعـــد الخلفـــي، لتقـــول "نور" بضيق:

-"جيهـــان" ملاحظـــه إنـــك كـــل يـــوم تعملـــي كارثه

ردت "جيهـــان" بوجـــع: أنـــتِ الســـبب محدش دعا عليا غيرك

أردفـــت "دعـــاء" بســـخرية وهـــي تربـــت عليها:

-يعني أنتي شايفها شيخة

نظرت لها "نور" بشر وهتفت بنزق:

-نقطينا بسكاتك أنتي التانية

قالت "جيهان" وهي تكاد تبكي من الوجع:

-اههه منك لله يا "نور" يا بنت ام "نور" أنا مش عارفة عمتي عملت ذنب إيه عشان ربنا يبتليها بواحدة زيك

ردت "نور" ببرود:

-دانا اللي مش عارفة خالي عمل إيه وبيكفر عن اخطائه بيكي

تدخلت "بسملة" تقول بضيق منهم:

-بس أنتي وهي فضحتونا

هتفت "نور" ساخرة: مين اللي بيتكلم؟؟

تحدث "أشرف" وهو يقف بالسيارة أمام المشفى وينظر لها:

-وصلنا المستشفى ولا مش واخده بالك

خرج من السيارة وتقدم من "جيهان" ليحملها لداخل، لتقف "نور" أمامه وتتسأل بعدم فهم:

-إيه ياعم بتعمل إيه؟

أردف "أشرف" ببرود: يعني هعمل إيه هدخلها؟

ردت "نور" بعصبية: لما تتشل ابقى نشوف الموضوع ده بس هي هتدخل على رجليها

أشار عليها "أشرف" بثبات: بس هي تعبانة ومش قادرة تمشي

ردت "نور" بلامبالاة: أحسن

أنهت "دعاء" هذا الهراء بقولها الجاد:

-احنا هنسندها لحد جوه

امسكت بيدها "نور" و"دعاء" لتستند عليهم وتتقدم ببطيء

تحدثت "نور" بهمس وصل لـ "بسملة":

-ده اللي ناقص يشيلها كمان

دخلت لغرفة الكشف وبجوارها "دعاء" التي تتمسك بها كالطفلة ليقوم الطبيب بعمل واجبه ويخبرهم بعد دقائق أنها على ما يرام ولكن يجب أن تلزم الفراش لمدة أسبوع ولا تتحرك واعطاها إبرة مسكن، وبعد خروج الطبيب تقدمت "نور" و"بسملة" لداخل لتقول "نور":

-كل ده وفي الآخر طلع مش كسر آمال لو كسر كنتي عملتي فينا إيه؟

ردت عليها "جيهان": أنا عرفاكِ عاوزة تخلصي مني بس قاعدة على قلبك

ردت "دعاء" بيأس منهم: هو انتم مبتتعبوش؟ دانا تعبت

اردفت "نور" ببرودها المعتاد: لأ

شعرت "جيهان" بجوع لذلك قالت: روحي يا "نوره" هتيلي كشري عشان جعانه

قالت "نور": هروح عشان أنا كمان جعانه تعالي يابت "بسملة" معايا

ردت "بسملة" بتعب وهي تجلس بجوار "جيهان":

-لا روحي أنتِ أنا تعبانة

ضـــربتها "نـــور" علـــى رأســـها وقالـــت قبـــل ان تغادر:

-غـــوري مـــش عـــايزة حـــد مـــنكم أصـــحاب تعر

أبتســـمت لهـــا "بســـملة" بســـماجة: شـــكراً يـــا ذوق

قالـــت "جيهـــان" برجـــاء: عـــايزة اشـــوف "حمزة"

ردت عليهـــا "بســـملة": لمـــا تقـــومي بالسلامة

أردفـــت "جيهـــان" بهـــدوء: روحـــي أنتـــي طيب شوفيه، وتعالي قوليلي عامل إيه؟

أشـــارت "بســـملة" لـــ "دعـــاء": روحـــي أنتِ يا "دعاء" وأنا هقعد معها

أردفت "جيهان" بحزن مصطنع: روحوا انتم لتنين عشان خاطري ولا عشان انا تعبانة خلاص محدش هيروح يسأل على الواد اليتيم ده

أبتسمت "بسملة" بعدم تصديق وقالت:

-البت عايزة توزعنا

قالت "دعاء" بهدوء: طب حد فينا يقعد معكِ لحد ما تيجي "نور"

هزة "جيهان" رأسها بنفي: لا روحوا عشان عبال ما تيجي نمشي

***

كانت "نور" تسير بخطوات هادئة، ويسيروا خلفها ثلاث شبان في شارع المشفى، ليقول الشخص١:

-الجميل ماشي لوحدة ليه؟

وقال الشخص٢: لا وشايف المشية باشا باشا

قال الشخص٣ وهو يغمز لأصدقائه بعبث:

-من حقك تتقل يا جميل بس براحه على قلبي الضعيف

هتفت "نور" بضيق ونفاذ صبر: احترام نفسك أنت وهوه بدال ما ندمكم

رد الشخص١ وهو يغمز بوقاحة: وحش يا باشا أنا بحب القطط الشرسة

أصدرت "نور" صوتًا ساخر: أنا اقدر اوريك القطة دي ممكن تعمل إيه؟

في تلك اللحظة أتى "أشرف" وتسأل بغضب:

-فيه إيه؟؟؟

ردت "نور" وهي تنظر للشباب بتشفي:

-مفيش حاجة

وفـــي ثـــواني فقـــط اختفـــوا الـــثلاث شـــبان

لتقول "نور" بسخرية:

-جبناء

قال "أشرف" بجدية: صحبتك معها حق

نظـرت لـــه "نـــور" وتســـألت: حـــق فـــي إيـــه؟

مش فاهمه

نظـــر لهـــا "أشـــرف" مـــن أعلـــى لأســـفل

وهتف بضيق ملحوظ:

-جمالـــك اوڤـــر وكـــل شـــوية حـــد يعاكســـك

بسبب لبسك ده

وأشـــار إلـــى ثيابهـــا فقـــد كانـــت ترتـــدي جيـــب

ضـــيق للغايـــة بـــاللون الاســـود وبلـــوزه

بـــاللون الأبـــيض وحجـــاب يظهـــر بعـــض

خصـــلات شـــعرها، نظـــرت "نـــور" لـــلأرض بخجل، ليتسأل "أشرف" بحدة:

- أنتِ ازاي تطلعي كدا أصلا

تلاشى خجلها وردت عليه بعصبية:

-أنـــت مالـــك؟ وبعـــدين أنـــت مراقبنـــي كـــل مـــا روح مكان اشوفك

نظـر لهـا مـن أعلـى لأسـفل وهتـف يقلـل مـن شأنها:

-هرقبـــك أنـــتِ ليـــه يعنـــي؟ أنـــا جـــاي اشـــوف ابنـــي فـــي المستشـــفى ومعلـــش المـــرة الجايـــة ابقي اخد اذن سيادتك عشان اجي

كـــادت "نـــور" ان تســـأل عـــن شـــيء ولكـــن تراجعـــت، ليجيـــب ســـؤالها الغيـــر منطـــوق:

-أكيـــد كنـــت متجـــوز مـــش منزلـــه مـــن علـــى

Google play بـــس الله يرحمهـــا عنـــدك عروسة

أردفت "نور" تقلل منه كما فعل معها:

-ليـــه مســـتغني عنهـــا عشـــان ادهالـــك أنـــت، دانـــا عـــايزة اخلـــص مـــن البـــت "جيهـــان" اللي معذباني بس مش لدرجادي

هتـــف "أشـــرف" بثبـــات: ليـــه يـــا وزة مشبهش

ردت "نور" بضيق: اسمي "نورهان"

رد "أشـــرف" بثقـــة: عـــارف، ويـــلا روحـــي مكـــان ماريحـــه والـــبس ده مشـــوفكيش بيـــه تاني، وراجعي دينك يا اخت "نور"

وبحدة قال: فاهمة

وأن كـــان ظـــن ان صـــوته المرتفـــع ســـيجعلها تخشـــاه فقـــد أخطـــأ هـــذه "نـــور

المهـــدي" لا تخشـــى أحـــد لـــذلك نظـــرت لـــه بتحدي وقالت:

-أنـــت مـــين اصـــلا عشـــان تكلمنـــي كـــدا؟ التـــزم حدودك يا كابتن

اقترب منها بضع خطوات وأردف بثقة:

-اتمنـــى اشـــوفك تـــاني وتكـــوني لابســـه كـــدا وشوفي هعمل إيه؟

وتركهـــا وغـــادر وهـــي مازالـــت تقبـــع محلهـــا كالصنم لتحدث نفسها بهمس:

-إيـــه الغبـــاء ده؟ مـــين ده عشـــان يكلمنـــي كـــدا دانـــا محـــدش أبـــداً اتحكـــم فيـــا مغـــرور وغبي

ثم سارت في طريقها بغضب

"عند جيهان"

دقـــات هادئـــة كصـــاحبها علـــى بـــاب الغرفـــة لتـــأذن لطـــارق بالـــدخول، فـــولج "إبـــراهيم" وهو يبتسم لها:

-الف سلامة عليكي

أعتـــدلت "جيهـــان" فـــي جلســـتها وردت عليه:

-الله يسلمك يا دكتور

أردف "إبـــراهيم" بهـــدوء يفســـر ســـبب وجوده:

- أنـــا شـــوفتك وأنتـــي داخلـــه مـــع اصـــحابك تعبانة وجيت اطمن عليكي، أنتي كويسه

رغـــم تعجّـــب "جيهـــان" مـــن أهتمـــام لكنهـــا قالت:

-الحمـــدلله بخيـــر، المهـــم "حمـــزة" عامـــل إيه؟

رد بأستغراب: "حمزة" مين؟؟

قالت "جيهان" بحزن عندما تذكرت أنها لم ترى الصغير التي أتت لأجله:

-الواد الصغير اللي أنا جبته امبارح

رد "إبراهيم" بثبات: آه، راح الدار بس هو بخير متقلقيش

أردفت "جيهان" بزعل:

-أنا كنت جايه هنا عشان اشوفه ووقعت في الطريق وعشان كدا اتاخرت كان نفسي اشوفه

أبتسم "إبراهيم" لها وقال: متزعليش ممكن تروحيله الدار لما تبقي كويسه

هتفت "جيهان" بتمني: ياريت والله، نفسي اشوفه أوي

رد "إبـــــراهيم" برفـــــق: إن شـــــاء الله تشوفيه بعد اذنك

ردت "جيهان" بخفوت: اتفضل

نظـــر لهـــا "إبـــراهيم" بابتســـامة هادئـــة ثـــم غـــادر ليجـــد أمامـــه "دعـــاء" و"بســـملة" التي قالت:

-بقالنا ساعة ندور عليك يا دكتور

تسأل "إبراهيم" بتعجب: خير في حاجة؟

ردت "دعـــاء": لا خـــلاص أنـــت كنـــت طـــالع من عند اللي بعتتنا نطمن على "حمزة"

ضـــحك "إبـــراهيم بخفـــوت: قوليلهـــا الـــدكتور "إبـــراهيم" كتبـــة فـــي ســـجل المستشـــفى "رحيم"

ردت "بســـملة" بـــلا اهتمـــام: "رحـــيم" "رحيم" حلو برضوا

غـــادر "إبـــراهيم" وآتـــت "نـــور" مـــن الخـــارج ليتقـــدموا الثلاثـــة لـــداخل، فتفاجـــأت "نـــور" عنـــدما رأت "جيهـــان" تبكـــي فقالت بخوف: "جيجي" مالك في إيه؟

وأردفـــت "بســـملة" باهتمـــام: فـــي إيـــه يـــا بنتي مالك؟

أقتربـــت منهـــا "دعـــاء" وتســـألت: "جيجي" قولي بتعيطي ليه؟

و"جيهـــان" لا رد ومازلـــت تبكـــي، لتقـــول "نور": اخلصي قولي مالك؟

ردت "جيهـــان" ببكـــاء: "حمـــزة" مشـــي ومـــش هشـــوفه تـــاني، أنـــا عـــايزة اشـــوفه مليش دعوة

نظرت لها "نور" بشر ثم هتفت بهدوء:

-طيب اهدي وهنرحلوا كلنا لما تقومي بالسلامة

تسألت "جيهان" بحماس: بجد

ضحكت "نور" بيأس: بجد ياختي

تذكرت "بسملة" ما قاله "إبراهيم"، فقالت:

-"جيجي" الدكتور سماه "رحيم" مش "حمزة"

أردفت "جيهان" بعند: بس أنا سميته الأول مليش دعوة

قالت "دعاء" بهدوء: نتناقش في الاسم بعدين، المهم أنا مش هروح الكلية غير لما ارد على "فارس" و"جيجي" مش هتروح يبقي أنتم الاتنين تروحوا واحنا هنروح الأسبوع الجاي، تمام

أردفت "نور" بجدية: لأ مش تمام وأنا كمان مش هروح زيكم

نظرت له "دعاء" وتسألت بضيق: ليه ياختي؟

قالت "نور" بعند: اشمعنا أنتم

واردفت "بسملة": وأنا مش هروح زيكم

نظرت لهم "دعاء" بضيق وقالت: اهي كملت، ومين هينقل المحاضرات اللي مش هنحضرها؟

ردت "بسملة" بمرح: هنتصرف.

*****

الفصل الخامس

♡أتمنى كثيراً أن أدخل الجنة لكي أذهب لسيدنا عمر بن الخطاب وأخبره إنني أحببته في الله، وعشقت عدله وشجاعته وتمنيت أن التقي بهِ، ويومًا ما سيتربى إبني على شجاعة ابن الخطاب وسكون قدوته♡

***

بعد مرور أسبوع في الجامعة

أردفت "نور": يلا أتاخرنا

ردت "جيهان" بضيق: أنا مش عاوزه أحضر روحي قولي للبنات يحضروا هما

قالت "نور" وهي تنظر يمينًا ويسارًا تبحث عنهم:

-هي فين اصلًا الغبية اللي قالت هتستناني هنا؟

ردت "بسملة" بمرح وهي تأتي من خلفها:

-قلب الغبية

أبتسمت "نور" وهي تهز رأسها بنفي:

-مش أنتي الغبية التانية

أردفت "دعاء" بمرح وهي تصفعها على رأسها:

-قلب الغبية التانية، عارفه يابت يا "نور" رغم إني ارتحت منك الأسبوع اللي فات بس وحشتيني

أردفت "نور" بمرح مماثل وهي تعانقها:

-حبيبتشي

أبعدتهم "بسملة" عن بعض وقالت:

-يلا طيب عشان المحاضرة هتبدأ

ردت "جيهان" برفض: أنا مش هحضر

دفشتها "دعاء" أمامها وهي تقول: يلا يا ماما فشلنا

وذهبوا لدخول المدرج وبدأت المحاضرة ولكن كلًا منهم كانت في عالم آخر عالم بهِ أحلام وردية بعيدًا كل البعد عن عالمًا الحقيقي، وبعد إنتهاء المحاضرة تحدثت زمليه لهم تجلس خلفهم وهي توجه حديثها لآخرى:

-عارفه يا "علا" في ناس بتسكت لما تتهزق

ضحكت "علا" عندما علمت على من تتحدث وقالت:

-ناس تخاف متختشيش بس تصدقي يا "نرمين" طلع عندهم دم مكنتش أعرف

أرتفعـــــت ضـــــحكات "نـــــرمين" وقالـــــت بصعوبة وهي تقلد "دعاء":

-احنا آسفين يا دكتور

زادت ضـــــحكات "عـــــلا" بســـــبب طريقتهـــــا في الحديث:

-كان شكلهم يضحك

نظـــرت لهـــم "نـــور" بشـــر ثـــم ضـــحكت ساخرة:

-تصدقي وأنا كمان ضحكت

ردت "نـــرمين" بحاجـــب مرفـــوع: وأنتـــي مالكِ هو حد كلمكِ؟

حـــدقت فيهـــا "نـــور" بضـــيق وداخلهـــا صـــوت يخبرهـــا أن تجـــذبها مـــن شـــعرها وتعلمهـــا الاداب، ولكنهـــا تمالكـــت نفســـها وقالت:

-لا يا شيخه بجد، آمال انتِ بتتكلمي عن مين؟

ضحكت "علا" بسخرية: اللي على رأسه بطحه بيحسس عليها يا حبيبتي

أردفت "نور" بثقة: والكلاب برضوا مش بتعرف تعمل حاجة غير أنها تهوهو صح

هتفت "علا" بغضب: أنتي قصدكِ إيه؟

ردت "نور" بمراوغة: اللي فهمتي يا روحي

نهضت "دعاء" وهي تقول:

-سيبكِ منهم يا "نور" دول آخرهم كلام يلا

وجذبت يدها وخرجوا من القاعة، لتقول "علا" بغل وهي تحدث نفسها:

-ماشـــي ميبقـــاش اســـمي "عـــلا" لـــو مخلتكمش تتذلوا في الجامعة كلها

تسألت "جيهان" بجدية بعدما خرجوا:

-"دعـــاء" مقلتلـــيش هتروحـــي تقـــولي لدكتور "فارس" أنك موافقة أمتى

ردت "دعـــاء" بـــبعض الخجـــل: عـــايزة اروح بـــس مكســـوفه ومـــش عارفـــة اقولـــه إيه

ردت "نـــور" بجديـــة: تقوليلـــه أنـــك موافقـــة ولـــو عـــايزك يجـــي يتقـــدملك، الموضـــوع بسيط

وقالـــت "بســـملة": الموضـــوع بســـيط ومـــش محتـــاج كســـوف أنتـــي قليلـــو زي مـــا "نـــور" قالت وبس

فـــي تلـــك اللحظـــة تقـــدم "فـــارس" مـــنهم وقال بجدية:

-"دعاء" ممكن دقيقة

نظـــــروا الأربعـــــة لبعضـــــهم وابتســـــموا و"نـــور" غمـــزت لـــ "دعـــاء" فجعلتهـــا تـــوترت أكثـــر، تقـــدمت "دعـــاء" منـــه خطـــوه وبصـــوت حاولـــت بقـــدر الإمكـــان أن تجعلـــه طبيعي:

-حاضر

وتحركـــت خلفـــه وهـــو يســـير أمامهـــا إلـــى أن وصـــلوا لكافيـــة لـــتجلس امامـــه نظـــر لهـــا بهدوء وتحدث:

-ممكـــن أعـــرف مـــش بتيجـــي الكليـــة ليـــه؟ مـــن ســـاعة مـــا اتكلمـــت معـــك وأنـــا

مشـــفتكيش، تغيبـــي أســـبوع عشـــان اللـــي طلبته منك

ردت "دعـــاء" بارتبـــاك: لأ، هـــو... هـــو بـــس "جيهـــان" كانـــت تعبانـــة ومـــش هتقـــدر تيجـــي والبنـــات قـــالوا أنهـــم مـــش هيحضـــروا فمحبتش اجي لوحدي

أردف "فـــارس": رغـــم إنـــي مـــش مقتنـــع بس تمام، هاااا

ردت "دعاء" بغباء: هاا إيه؟

ابتسم لها "فارس" بحب وهو يقول:

-فكرتي؟؟

صـــمتت وصـــمت العـــالم فـــي نظـــرة ظـــن ان صـــمتها دليـــل علـــى رفضـــها ولـــم يـــرى وجههـــا المشـــتعل مـــن الخجـــل ولكنـــه أراد

ان يسمع الاجابة منها وهي لم ترد، فقال "فارس" برجاء خفي:

- ردي ومش هزعل حتى لو كان قرار مش هيسعدني بس دي حياتك أنتِ ووعد مني أن الكلية ملهوش أي علاقة بالموضوع عشان متخفيش وتوافقي عشان كدا

و"دعاء" ظلت على صمتها بسبب خجلها وهي تفرك يدها بتوتر، لينظر لها بحزن حاول اخفائه ثم نهض وقال:

-تمام أنا وصلني جوابك وآسف على ازعاجك

وتحرك خطوتين لتقول "دعاء" باندفاع وخوف:

-دكتور استني

وقف ثم عاد ليقف أمامها ويبتسم، لتقول "دعاء" بتوتر:

-حضرتك هتيجي عندنا امتى

رد "فارس" بسعادة: انهاردة لو حابه هتصل بباكي وهاخد منه معاد

تحدثت "دعاء" بسعادة ظاهرة وهي تغادر بسرعة:

-بعد أذنك

وفي ثانية كانت تختفي من أمامه ليبتسم ويتنهد براحة ويهمس:

-سنلتقي قريبًا دعائي وستصبحين لي وحدي، أمي وابنتي وزوجتي العزيزة

عند البنات ركضت "دعاء" لـ "نور" وعانقتها بفرحة شديدة وسعادة وصلت عنان السماء، ورغم مشاكسة "نور"

وحكاياتهـــا التـــي لا نهايـــة لهـــا ألا أنهـــا مصـــدر الحنـــان لصـــديقاتها ورغـــم أنهـــا أصـــغرهم ولكنهـــا تعـــرف جيـــدا متـــى تكـــون عاقلـــة ومتـــى تكـــون مجنونـــة وفـــي اغلـــب الاحيـــان هـــي مجنونـــة بالفعـــل، ربتـــت "نور" عليها وقالت:

-مبروك مبروك يا قلبي

أبعدتها "جيهان" عنها وأردفت:

-سيبيها عايزة احضنها أنا كمان

وهتفـــت "بســـملة" بحمـــاس وفرحـــة: وأنـــا وأنا

ردت "نـــور" بمشاكســـة: اقعـــدي أنتـــي يـــا ام سيد على جنب

نظرت لها "بسملة" بتذمر:

-ام سيد في عينك يام أربعة وأربعين

تعانقوا الأربعة بسعادة بالغة ولكن هناك مجنونة لن تترك الفرصة تضيع منها هباءً، فاردفت "نور" بغمزة وقحة:

-بس هنتمسك آداب

دفعتها "دعاء" بعيدًا عنها بضيق وقالت:

-فصلتيني غوري يخربيت معرفتك

ضحكت "نور" واردفت بمشاكسة: هو أنتي فون عشان افصلك

نظرت لها "دعاء" بشر وقالت:

-بس يا "نور" بس يا حبيبتي ارحميني

أردفت "جيهان" بحسرة وحزن مصطنع:

-هتودعي العزوبية قبلي يا بنت المحظوظة

وقالــت "نــور" وهــي تولــول كمــا العجــائز:

آه يــــاني يامــــا يلــــي محــــدش عبــــرك يــــا مسكينه هتعنسي بدري يا حزينة

هتفــت "بســملة" بتســأل: يعنــي إيــه عــانس يا "نور"؟

ردت "نــــور" بحنــــق: يعنــــي فاتهــــا القطــــر ياختي

هتفــــت "جيهــــان" بمــــرح: تركــــب القطــــر اللي بعده

أردفــت "نــور" وهــي تنظــر لــ "جيهــان" بضيق:

-اهي دي السخيفة بعينها

تــــدخلت "دعــــاء" تقــــول بجديــــة: مفــــيش حاجــــة اســــمها عــــانس وفاتهــــا القطــــر دي كلمــــة ملهــــاش معنــــي اخترعوهــــا نــــاس

متخلفة، في حاجه اسمها قسمة ونصيب ودى ارادت ربنا، يعني نصيبك هيجي لما ربنا يريد

حدقت فيهم "نور" وقالت: اهو عاجبك كدا فتحتيلنا الفيلسوفة ومش هتسكت

غيرت "جيهان" الحديث وهي تقول:

-سيبكم من الكلام ده، وقولوا مين هيجي معايا، أنا رايحة اشوف "حمزة" في الدار

ردت "نور" عليه: أكيد أنا بس هتصل بماما اقوله

هزة "جيهان" رأسها بنفي: لأ متقوليش عشان هتروح تقولهم وأنا مش عايزة حد يعرف

رغـــم أن "نـــور" لـــم تعتـــاد أن تخفـــي شـــيء على والدتها ولكنها رضخت لها:

-طيب

واردفـــت "دعـــاء" بهـــدوء: بـــس أنـــا لازم اقول لـ بابا

وقالت "بسملة" وهي تخرج هاتفها:

-وأنا كمان

نهضت "جيهان" وهي تشير لهم:

-ماشي بس يلا

***

كـــان يجلـــس "أشـــرف" بمكتبـــه يعمـــل ورن هاتفـــه فـــرد وعنـــدما آتـــى صـــوت الطـــرف الآخر فوقف بقلق، وقال:

-إيه؟

صـــمت يســـتمع لطـــرف الآخـــر وقـــال: أنـــا جاي حالًا

وأغلـــق الإتصـــال وقـــام بالاتصـــال بشـــخص آخر واردف بجدية:

٠جهز القوات حالًا

***

"دار الايتام"

كـــ طـــائر ســـجين تـــم إطـــلاق صـــراحة هكـــذا كانـــت "جيهـــان" تنطلـــق بســـعادة بالغـــة تصـــل عنـــان الســـماء مـــع طفـــل بـــريء يحمـــل مـــن الخـــذلان مـــا يكفـــي، خـــذلان لا يناســـب أعوامه الأربعة، وقالت بمرح:

-"حزومـــي" أنـــت بـــتغش شـــيفاك مفـــتح عنيك غمض يلا

أردف "حمـــزة" ببـــراءة وهـــو يضـــع يـــده أعلى عينيه:

-مش مفتح

وعلـــى بعـــد صـــغير كانـــت "نـــور" تـــركض خلف طفلة صغيرة وهي تضحك بشدة:

-امسك حرامي امسكيها يا "دودو"

ركضت "دعاء" خلفهم وهي تضحك:

-مش قادرة

و"بســـملة" كانـــت تحمـــل طفـــل صـــغير وترفعـــة للأعلـــى لتصـــدح ضـــحكاته تملـــىء المكان

كـــان المكـــان يمتلـــئ بالبهجـــة فـــ الأربعـــة صـــنعوا جـــو خـــاص بهـــن ملـــيء بالســـرور، وملامـــح الأطفـــال تنـــبض بالســـعادة ولكـــن توقـــف كـــل شـــيء حينمـــا دخـــل علـــيهم رجـــال

مقنعين يحملون السلاح الصمت عم المكان والاطفال ينظرون لهم بترقب وخوف شديد

ليتحدث إحدى الرجال١:

-كله يرفع ايده لفوق اي حركة هخلص عليكم

صوته جعل الأطفال يبكون ويصخرون بخوف وركضوا خلف المشرفات والأربعة فتيات حاولوا بقدر الإمكان أن يجعلوا الأطفال تهدأ

ليتحدث حقير أخر٢: لو سمعت نفس هخلص عليكم واللي معها تلفون تطلعه ومش عايز ذكاء عشان مترحمش عليكم

ردت "نور" بتذمر: ده جاي يقلبنا

اخـــرج الجميـــع هـــواتفهم مـــا عـــدا اذكـــى اخوتها قالت:

-مش معي

وقفـــت كـــل فتـــاة وبجوارهـــا مجموعـــة مـــن الأطفـــال لكـــي تهـــدئهم و'جيهـــان" تعـــانق "حمزة" بخوف عليه وبجوارها طفلتان

تســـالت "نـــور" بعصـــبية: أنـــتم مـــين؟ وعـــايزين إيـــه مـــن الأطفـــال دي ويعنـــي ســـايبين الـــدنيا كلهـــا وجـــاين عنـــد الايتـــام دول

رد شـــخص ثالـــث وهـــو الـــزعيم وبهـــدوء مرعب:

-احنـــا عـــايزين حاجـــة مـــن الحكومـــة هيعملوهـــا هتطلعـــوا ســـالمين غيـــر كـــدا قولوا على نفسكم يا رحمان يا رحيم

وأكمل بصوت مرتفع: دخلوهم كلهم في اوضة وخليكم مرقبينهم اي حركة خلصوا عليهم

وبعد تنفيذ ما قال رن هاتفه بالرقم المنتظر، ليرد بغرور:

-"أشرف" باشا يا مراحب وأنا أقول التلفون بيرقص ليه اتاري اسمك منور عـ الشاشة

رد "أشرف" بغضب: عايز إيه يا حسن الكلب؟؟

صدحت ضحكات "حسن" لتزيد جنون "أشرف" وقال:

-عايز سلامتك يا باشا

أردف "أشـــــرف" بغضـــــب: ورب الكعبـــــة لـــدفعك الـــتمن يـــا كلـــب وهوريـــك تلعـــب مـــع مين

زادت ضـــــحكات "حســـــن" وهـــــو يقـــــول: الوقـــت مـــش فـــي صـــالحك عشـــان تهـــدد اخويـــا يطلـــع مـــن الســـجن ويركـــب الطيـــارة اللـــي مســـتنيه وهنســـحب غيـــر كـــدا اتـــرحم على الشهداء

بعد صمت دام لدقيقة رد "أشرف":

-موافق بس لو لمست حد لدفنك مكانك

رغـــم تعجـــب "حســـن" مـــن رضـــوخه لـــه بهذه السرعة:

-معـــاك ســـاعة واحـــدة لـــو مكـــنش اخويـــا خـــارج حـــدود البلـــد اتـــرحم علـــيهم عشـــان هفجر الدار بالي فيه

أغلق الهاتف في وجهه وهو يضحك:

-ووقعت يا "أشرف" ومحدش سمى عليك

اما "أشرف" كان يضرب في العربية بجنون والقوات مازالت تنتظر أشارة منه وهو اتصل باللواء وقال بهدوء رغم غضب:

-ايوا يا فندم

تسأل اللواء بجدية: عملت إيه يا "أشرف" وعرفت مين اللي محتجزهم

رد "أشرف" بثبات: "حسن السيد" :هو اللي هناك عشان يطلع أخوه

أردف اللواء بتسأل: هتعمل إيه؟؟

رد "أشرف" بجدية: هطلب من حضرتك تطلع "حسين السيد" على مسؤوليتي

عشـــان أكســـب وقـــت، وهـــدخل أنـــا الـــدار لوحـــدي وهتعامـــل معهـــم والقـــوت هتســـتنى بره

أردف اللـــواء بحـــدة: هطلـــع واحـــد مجـــرم محكوم عليه بالإعدام

قـــال "أشـــرف" بهـــدوء: هيرجـــع وعلـــى مســـؤوليتي الشخصـــية يـــا فنـــدم، بـــس الأطفـــال مـــش ذنـــبهم حاجـــة عشـــان نخـــاطر بحياتهم

قـــال اللـــواء: تمـــام يـــا "أشـــرف" هطلعـــه بـــس أنت المسؤول قداميّ

رد "أشرف": تمام يا فندم

اللواء: ربنا معاكم

***

في الغرفة المحتجز بها الجميع

أردفـــت "بســـملة" بصـــوت مـــنخفض:

هنعمل إيه؟؟

ردت "دعاء" بقلة حيلة: مش عارفة؟

قالت "بسملة" بقلق وهي تنظر لهم:

-أنا خايفة قوي

زجرتها "دعاء" بنظراتها وقالت:

-طـب مـا احنـا كلنـا خـايفين مـش شـايفه الـولاد عـاملين ازاي، فكـريّ فـي حـل للمصيبة دي

أردفـت "نـور" بـاقتراح: احنـا كـل واحـدة تـدور علـى حاجـة ونقـف وراء البـاب ونصرخ وكل اللي يدخل نضربه

حـدقتها "دعـاء" بنظـرات سـاخرة: بـس ياما عـبط دول معهـم مسدسـات لـو عملنـا أي حركة هيقتلونا

جلســـت بجـــوارهم وهـــي تقـــول: طيـــب هنعمل إيه؟

ثـــم وجهـــت كلامهـــا لمـــن تحتضـــن الطفـــل بصمت غريب عليهم:

-أنتـــي يـــا زفتـــه يعنـــي محـــدش ســـامع صـــوتك يا سبب المصايب

ردت "جيهـــان" بضـــيق: بـــس يـــا "نـــوره" عشان مش فيقالك خالص

ردت "نـــور" بضـــيق مماثـــل: يعنـــي مـــش أنتي اللي جيبنا هنا

أردفـــت "جيهـــان" بضـــيق وقـــد أوشـــك صبرها على النفاذ:

-واللهِ مضـــربتكيش علـــى ايـــدك اهـــدي لمـــا أفكر هنعمل إيه؟

هتفت "نور" بغيظ: هدينا لما نشوف، تعالوا يا عيال نغني ونلعب مفيش حد واخد منها حاجة

جلست في منتصف الغرفة وجلس الأطفال بجانبها والمشرفات ينظرون لها بصدمة وأصدقائها بيأس من تصرفاتها، وأردفت "نور" بلا اهتمام:

-يا عيال أنا هغني وأنتم صققوا ماشي

رد الأطفال بحماس في صوت واحد:

-ماشي

بدأت "نور" في الغناء بحماس وكأنها في نزهة:

سكر محلي محطوط على كريمة كعبك محلي والعود على القيمة ...

وتجيني تلقيني لسه بخيري مش هتبقي لغيري ايوا أنا غيري مفيش...

بنت الجيران شاغلالي أنا عنيا وأنا في المكان في خلق حوليا مش عايز حد ياخد باله من اللي أنا فيه...

شوفت القمر سهرني لياليا وهموت عليكي ربي العالم بيا سيبي شباكك مفتوح ليه ليه تقفلي ...

بهوايه أنتي قاعدة معايا عنيكي ليا مراية يا جمال مراية العين...

خليكي لو هتمشي أنا ليكي أنتي ليا أنا ليكي احنا الاتنين قاطعين...

تسبيني أكره حياتي وسنيني واتوه ومش هلقيني واشرب خمور وحشيش ...

وتجيلي تلقيني لسه بخيري مش هتبقي لغيري ايوا أنا غيري مفيش

تحدثت أحدى المشرفات وهي تنظر لها بعدم تصديق:

-هي صاحبتكم مالها

ردت "دعاء" بابتسامة: هي كدا

قالت "بسملة" بتفكير:

-هو في حد ضرب البت "نور" على دماغها وهي صغيرة

ردت "دعاء" بتعجب: معرفش بس ليه؟

أردفت "بسملة" ساخرة وهي تشير عليها:

-اصل مش معقول دي واحدة مخطوفة، دي اللي يشوفها يقول طالعه رحلة

كانت "نوى" تغمز لـ "جيهان" لكي تسير جنونها فصرخت "جيهان" بعصبية:

-بسسسسس

وبسبب أرتفاع صوتها ولج أحدى رجال العصابة وقال بغضب:

-مين اللي بيغني؟

أشار الجميع على "نور" التي قالت بسخرية:

-والله يا جماعة مش عارفة اقول إيه؟ انتم أكتر من أصحاب عايزين تتحملوا نتيجة غلطي، لا طبعاً لا يمكن

ردت "بسملة" بمرح: عيب يا راجل متقولش كدا احنا أهل

بصـــقت "نـــور" علـــى الأرض وقالـــت: وطيه

الشـــخص١: عارفـــة لـــو ســـمعت نفـــس كلـــب هقتله

ردت "نـــور" بمـــرح ولا مبـــالاة: طيـــب الحمدلله مقلش "نور" اغني براحتي

تقـــدم منهـــا أحـــدهما بغضـــب لكـــي يصـــفعها علـــى وجههـــا اســـرعت الفتيـــات ليقفـــوا امامها، وردت "دعاء" بعصبية:

-أنـــتم قلـــتم مـــش هتلمســـوا حـــد وهـــي معملتش حاجة دي بتسكت العيال

الشـــخص٢: ســـيبهم دول اغبيـــاء طالمـــا محاولوش يعملوا حاجة يبقي خلاص

وخرجـــوا واغلقـــوا البـــاب خلفهـــم، لتقـــول "نور":

- يـلا يـا عيـال نكمـل هـاااا حـد فـيكم حـافظ حاجه لـ "مسلم" نغنيها سوا

فرد أكبرهم صاحب الاثنى عشر عامًا:

-مين "مسلم" ده يا أبله

ردت "نـــور" بصـــدمة مصـــطنعة: هـــو فـــي حـــد ميعـــرفش "مســـلم" وكمـــان ابلـــه دأنـــت غلبان ياض

قالـــت "بســـملة" بســـخرية: ليـــه هـــو فاشـــل زيك

ردت "نـــور" ســـاخرة: ملقـــيش دعـــوة يـــا بتاعـــــة "عمـــــرو حســـــن" و "فـــــارس قطرية"

جلســـت "جيهـــان" و"دعـــاء" علـــى الأرض ووضـــعوا ايـــديهم فـــوق رؤوســـهم و"نـــور" تغني لتنضم لها "بسملة"

"في منزل فارس"

خطى إلى الداخل بابتسامة وفرحة لا تصف ليجد الجميع يجلس يشاهد التلفاز ليلقي "فارس" السلام:

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رد الجميع التحية: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

أردف "مارس" بمشاغبه: دكتورنا وصل يا هلا وغلا بالبدلة الغالية ام ١٥٠ جنية

رد "فارس" عليه وهو يجلس بجوارة:

-بس يا عشوائي هو انا ذيك

نظر له بضيق وهو يصيح به: العشوائي ده طالع الأول على الدفعة هو أنا فاضي اروح اجيب اكل حتى، مش زي ناس

كانـــت بتخـــرج ليـــل نهـــار ولا كـــأن وزيـــر التعليم أبوه

ضحك "فارس" وهو يعانق أخيه بحب:

-أحلـــى عشـــوائي فـــي الـــدنيا بـــس يـــا باشـــا عـــيش حياتـــك الأيـــام بتمـــر والعمـــر لحظـــة لـــو قضـــيته وســـط الكتـــب مـــش هتلاقـــي حاجـــة تضـــحك عليهـــا لمـــا تكبـــر، خيـــر الأمـــور الوســـط يعنـــي المفـــروض انـــك تخلـــي يـــوم الخمـــيس بريـــك تخـــرج وتتفســـح مـــع صـــحابك وتعـــيش حياتـــك بـــس بـــدون مـــا تتخطى حدودك واظن فاهمني

رد "مـــارس" بجديـــة وقـــد علـــم مقصـــد أخيه:

-فاهمك يا دوكّ

ابتسم له "فارس" ثم نظر لـ أبيه وهو يخبره:

-بابا انا قررت اخطب

ابتسمت "روبين" بحماس وهي تقول:

-"مرنا" صح كنت عارفه...

قاطعها "فارس" بنفي تام: لا طبعاً "مرنا" مين دي؟؟ أنا هتجوز "دعاء مصطفى" طالبه عندي في الكلية

هتفت "روبين" بغضب: نعم

تسأل "فارس" بجدية: في إيه يا ماما؟

أردفت "روبين" بعصبية: وأنا مش موافقه

نظر لها "فارس" بثبات وتسأل بهدوء:

-ممكن اعرف ليه؟

هتفت "روبين" بعصبية: أكيد ضحكت عليك أنا عارفه الاشكال دي كويس

رد "فارس" بحدة غير مقصودة: ليه شايفاني صغير؟

كادت أن ترد لولا زوجها: في إيه يا "روبين" هو حر يتجوز اللي تعجبه ملكيش انك تدخلي في اختياره

ردت "روبين" بغضب اعمى: لأ ليا، وأنا مش موافقه على الجوازة دي

قال "فارس" بهدوء ولا مبالاة: أنا كلمت ابوها واخدت منه معاد بكرة هنروح عندهم

حدقت فيه "روبين" وهتفت بعصبية:

-والله امال جاي تقولنا ليه تأدية واجب وخلاص

ظهـــرت شـــبه ابتســـامة علـــى وجهـــه "فارس" وقال:

-لأ طبعاً يا ماما انتم الخير والبركه

نهضـت "روبـين" لكـي تغـادر: بعـد إيـه يـا حبيبي تتهنئ بيها

قـام "مـارس" ليعـانق أخيـه: مبـارك يـا حب

ربـت "فـارس" عليـه وقـال: الله يبـارك فيك يا حبيبي

تحـدث والـده بهـدوء: مبـروك يـا بنـي هنروح لناس امتى

ابتسم "فارس" وقال وهو ينظر لابيه:

-الله يبـارك فيـك يـا بابـا، بكـرة العصـر إن شاء الله

رد والده بحب: إن شاء الله يا حبيبي

همـــس "فـــارس" بحـــب: أقتـــرب اللقـــاء دعائي الغالية.

«لنـــرى كيـــف يمكـــن للأصـــدقاء الأربعـــة التصدي أمام الاعداء»

"نلتقـــي فـــي البـــارت الســـادس إن شـــاء الله من رواية أربعة تساوي واحد"

****

الفصل السادس

♡اتمنـــى أدخـــل الجنـــة لكـــي أذهـــب لســـيدة هـــاجر وأســـالها أزاي قـــدرتي تقعـــدي لوحـــدك فـــى الصـــحراء مـــن غيـــر حـــد يحرسك إزاي كان عندك كل الصبر ده♡

***

تســـلل "أشـــرف" للـــدار بطريقتـــه الخاصـــة ويســـير فـــي الممـــرات بهـــدوء رهيـــب كـــان يبحـــث هنـــا وهنـــاك ليـــرى الأطفـــال يريـــد الاطمئنـــان علـــيهم أولاً وبعـــد ذلـــك كـــل شـــيء هين

***

دخلـــــت الـــــدكتورة "هـــــاجر" مكتـــــب "إبـــراهيم" بخطـــوات هادئـــة لا تخلـــو مـــن الثقـــة المنبعثـــة مـــن خطواتهـــا قبـــل عينيهـــا

أتت لتزف له الأخبار الغير سارة بالمرة، فقالت:

-دكتور "إبراهيم" أنت سمعت اللي حصل

رفع "إبراهيم" نظرة لها ثم عاد لما يفعل بلا اهتمام:

- لأ

تحركت "هاجر" تقترب منه لتقوم بتشغيل فيديو من الهاتف الخاص بها:

-في عصابة اقتحمت دار الايتام ومحتجزين الأطفال رهائن وكمان الشرطة هناك

تناول "إبراهيم" منها الهاتف ليسمع ما يقال بصدمة:

-إيه؟؟؟ ازاي؟ ومن امتى الكلام ده؟؟؟

ردت "هاجر" وهي تنظر لساعة يدها:

-من ساعة كدا

الـــتقط "إبـــراهيم" الجاكـــت الخـــاص بـــه ليرتدية وهو يتحرك للخارج

تســـألت "هـــاجر" بتعجـــب: هـــو أنـــت رايـــح فين؟

رد "إبـــراهيم" قبـــل أن يغـــادر: الـــدار لازم اروح الدار "رحيم" في خطر

***

مـــا زالـــوا يجلســـون كمـــا هـــم منـــذ ســـاعة تقريبـــاً والصـــمت يخـــيم علـــيهم إلـــى أن قاطعـــت الهـــدوء "جيهـــان" وهـــي تصـــيح بهم:

-جاتني فكرة

تسألت "دعاء" بتركيز: فكرة إيه؟

ردت "جيهان" وهي تشير إلى النافذة:

-أنا هنط من الشباك ده للاوضة التانية وادخل واشوف حاجة امسكها في ايدي واضرب الراجل اللي واقف قدام الباب وافتحلكم ونربطه وكل اللي يجي نعمل كده

أردفت "دعاء" بنفاذ صبر:

-لأ طبعاً "نور" قالت نفس الفكرة واحنا مش موافقين تعرضي نفسك للخطر اصبري واكيد البوليس هيتصرف

ردت "جيهان" باصرار: سيبيها على الله احنا لازم نعمل حاجة مينفعش نفضل كدا

قالت "نور" بجدية: وأنا جايه معاكي

ردت "جيهان" بسخرية: ريحين فرح

أردفت "نور" بعند: مليش فيه رجلي على رجلك

تدخلت "بسملة" تقول بضيق وخوف عليهم:

-أنتم مجانين صح لا أنتي ولا هي هتروحوا مكان

أبتسمت لها "جيهان" وقالت لكي تطمنها:

-متقلقيش يا "بسملة" مش هيحصل حاجة

ثم نظرت لـ"نور" وقالت: يلا يا آخر صبري

"جيهان" كانت تعلم أن "نور" عنيدة ولن ترضى أن تتركها تذهب بمفردة

لـــذلك وافقـــت دون نقـــاش، لتقـــول "نـــور" بمرح:

-بدأت المتعة يحيا العدل

أشـــارت "جيهـــان" لصـــغير: "بســـملة" خلـــي بالـــك مـــن "حمـــزة" لـــو حصـــله حاجـــة هقتلـــك ســـامعه، وغنـــي أنتـــي مكـــان "نـــور" عشان محدش ياخد باله

ردت "بســـملة" بتـــذمر منهـــا: هـــو احنـــا كـــل اللـــي فيـــه ده بســـبك وبســـبب الأســـتاذ "حمزة"

رفعت "نور" يدها للأعلى وقالت بمرح:

-لـــن أتـــاخر يـــا ســـادة، بـــت يـــا "بســـملة" هسلمك المهنة لحد ماجي

ردت "دعاء" بضيق من تصرفاتها:

-العقل زينة ربنا يرحمك برحمته

قالت "نور" : أنتِ هتفولي علينا ولا إيه

وأكملت حديثها بمرح:

- ممس راجع يا بلد ممس راجع يا مصر

سحبتها "جيهان" من يدها بعصبية:

-اخلصي ياختي

صعدا الاثنان على المكتب المجاور لشرفة وهبطوا للغرفة المجاورة بهدوء خشيتً من أن يعلم أحد بهم، لتقول "نور" بهمس وهي تنفض ثيابها:

-هنعمل إيه؟

وقبل أن ترد عليها انتبهوا لصوت خطوات يأتي من الخارج ويقترب من الباب، فقالت "جيهان" بهمس:

-بس اسكتي في حد جاي تعالي بسرعة

جلسا الاثنان بجانب خزانة قريبة، وقالت "جيهان" بنبره خافته:

-هنشوف لو واحد لوحدة هنطلع نضربه بالحديدة دي

اشارت إلى قطعة حديد صغيرة رأتها وهي تجلس، وعادت تقول:

-ولو أكتر يبقي نستني نفكر

أردفت "نور" بهمس: ماشي

ولج احدهم بخفة بعدما فتح الباب برفق كأنه لص وكان يرتدي زيّ أسود وهو يضع قبعة الجاكت فوق رأسه، فهمست "نور":

-واحد بس

ردت "جيهان" بهمس مماثل: طيب يلا بس من غير صوت لحسن ياخد باله

جـــذبت "نـــور" منهـــا القطعـــة المعدنيـــة وهتفت:

-أنا اللي هضربه

جـــذبتها منهـــا "جيهـــان" بعنـــد: لا أنـــا اللـــي لقيت الحديدة

ردت "نـــور" بتصـــميم أقـــوى: بـــس أنـــا اللـــي هضرب مليش دعوة

قالـــت "جيهـــان" بنفـــاذ صـــبر: "نـــوره" مش هنتخانق أنا اللي هضربه

لـــم تهـــتم "نـــور" بمـــا قالـــت وهـــي تســـحب منها الحديدة وقالت:

-قولت أنا ويلا

خـــرج الاثنـــان مـــن جانـــب الخزانـــة بهـــدوء وقبـــل أن ترفـــع "نـــور" يـــدها كانـــت قبضـــته

تعصر يدها بقوة ألمتها وهو يقترب منها ويهمس بجوار أذانها بشر:

-لو حد تاني هو اللي دخل كنتي من أعداد الموتة دلوقتي

في الخارج

أردف أحدى الرجال: الطيارة لحد دلوقتي متحركتش

نظر "حسن" في ساعة يده: باقي ١٠ دقايق لو متحركتش خلصوا على كل الموجدين

تسأل أحد الرجال الذين يحملون سلاح:

-هو النمر ممكن يلعب معنا

بسمة ثقة انارت وجه "حسن" وهو يقول:

-مظـــنش هيخـــاف علـــى العيـــال اللـــي هنـــا، اصـــل بعيـــد عنـــك هههههـــه قلبـــه أبـــيض مش زينا

تســـأل نفـــس الشـــخص: بـــس النمـــر مـــش سهل معقول يستسلم بسهوله

رد "حســـن" بخبـــث: اللعبـــة لســـه فـــي اولهـــا هـــو هينشـــغل بينـــا وأنـــا هـــدفي الأساســـي بيتـــه انـــا عـــايز أحـــرق قلبـــه ولحـــد مـــا يرجـــع هيكـــون بيتـــه بقـــي كـــوم تـــراب هههههـــه هههههه

شخص١: مكدبش اللي قال عليك ثعلب

تعالـــت ضـــحكات "حســـن" بغـــرور ولكنـــه أخطى هذه المرة

***

"في منزل فارس وبالاخص بغرفة مارس"

يجلس أعلى الفراش وبجوارة مجموعة من الكتب وهو يتابع قراءة كتابه بتركيز شديد وبالقرب منه يجلس صديقة على المقعد الخاص بالمكتب وهو يتابع أحدى المحاضرات على اللاب توب وعلى الاريكة يجلس اخر يدون شيء في النوته

الكل يتابع ما يفعل بتركيز منذ ساعات إلى ان قال "مارس" وهو يتحرك بتعب واضح:

-أخيرًا

نظر له صديقة بتعب وهو يقول:

-أنـــا كمـــان عشـــر دقـــايق واخلـــص واروح بقى عايز أنام

تحـــدث "مـــارس" بعـــد تفكيـــر فـــي حـــديث أخيه:

-تعالى نخرج شوية نشم هوه

نظـــر لـــه اصـــدقائه بصـــدمة هـــل يعقـــل "مـــارس" يطلـــب الخـــروج وهـــو مـــن جعـــل حيـــاتهم تتـــراوح بـــين الدراســـة والعمـــل والمنـــزل ورغـــم ان الثلاثـــة لا يحتـــاجون للعمـــل لأن عـــائلتهم ميســـورة الحـــال... اخبـــرهم ذات مـــرة ان الرجـــل لا يجـــب ان يعتمـــد علـــى رجـــل مثلـــه وانـــه يجـــب ان يتعـــب لـــيعلم كيـــف يصـــرف مالـــه دون اســـراف أو تبـــذير... ويومهـــا بحـــث الثلاثـــة عـــن عمـــل إلـــى ان وجـــدوا فمـــنهم مـــن عمـــل

حارس آمن ومنهم عمل دليفري لخبرته في قيادة الدراجة وهو عمل مقدم طلبات في أحدى المطاعم ومازلوا مستمرين في عملهم ورفض كلًا منهم العمل مع والدة لكي يعتمدوا على أنفسهم أولاً وهذا ما حدث منذ عامان أو بالضبط بعد انتهاء اختبارات أتمام الثانوية العامة

أقترب منه "ربيع" وهو يضع يده على جبينه ليتفقد درجة حرارةً أن كان مريض:

-غريب شكلك كويس مش فاهم أنا سمعت صح ولا غلط

انطلقت ضحكات "مارس" تعم المكان ليتعجب أصدقائه مما يحدث معه وعلامات الدهشة واضحة وضوح

الشمس ليهدأ قليلًا وياخذ شهيق وزفير ويخبرهم ببساطة:

-معكم حق تستغربوا بس احنا بقالنا سنتين مخرجناش مع بعض رغم ان احنا ديمًا مع بعض بس ياما بنذاكر او بنخرج نبحث على معلومات محتاجينها في الأبحاث ولما بنجوع بنروح المطعم اللي شغال فيه وبناكل وكل واحد يروح شغله حتى في الاجازة مش بيتغير حاجة من الشغل للبيت وكل يوم نروح بيت حد فينا نقعد كل واحد في جنب وفي ايده كتاب بيقراء ولما يخلص يقلنا فهم واستفاد أيه

واكمل حديثه بعدما نظر لأصدقائه وعلامات التعجب ما زالت:

-اللـــــي بنعملـــــه مـــــش غلـــــط بـــــالعكس المعلومـــات اللـــي عنـــدنا معتقـــدش ان حـــد تـــاني ممكـــن يوصـــلها بســـهولة غيـــر اللغـــات اللـــي اتعلمنهـــا فـــي فتـــرة قصـــيرة وتفوقنـــا فـــي الاختبـــارات بـــس الحيـــاة برضـــوا مـــش كـــدا لازم علـــى الأقـــل يكـــون فـــي يـــوم اجـــازة نســـتريح فيـــه مـــن تعـــب الأســـبوع نخـــرج نشـــم هـــوا ونتغـــدا ونضـــحك ونهـــزر ذي البشـــر الطبيعـــين ومـــن غيـــر مـــا نغضـــب ربنـــا ولا نتعدى حدودًا

صـــمت قلـــيلًا ليـــرى ردت فعـــل أصـــدقائه، ليتحدث "فادي": معك حق والله –

-المفـــروض فعـــلاً نأخـــد بريـــك بعـــد كـــل التعـــب ده انا خلاص شوية وهفصل نور ومياه

وجلس بجوارهم على الفراش، تحدث "ربيع" هو الآخر: خلاص طالما اتفقنا نشوف يوم فاضي عندنا في الأسبوع ونخرج فيه

اقترح "مارس" عليهم: ممكن الخميس معندناش محاضرات

أردف "فادي" بهدوء: بس عندنا شغل

رد "ربيع" بجدية: خلاص يبقى الجمعة بعد الصلاة نطلع ونروح المكان اللي عايزينه

قال "فادي": ونأخد معنا الك...

قاطعه "مارس" وهو يعلم ما سيقول صديقة، هذا مدمن الكتب لقد نسى في ثواني أنه متعب ويريد البريك:

-لأ يا حبيبي من غير كتب احنا هنطلع عشان نشوف الناس مش نقراء في الهواء الطلق زي ما انت بتفكر

أردف "فادي" بضحك:

-هحاول أصل متعودتش اخرج من غير ما يكون معايا كتاب

قال "مارس" بجدية: اتفقنا

رد "ربيع" وهو ينهض: اتفقنا ويلا يا "فادي" نروح عشان تعبت

نهض "فادي" هو الآخر وقال بمرح:

-يلا سلام يا "ميمو"

حدقه "مارس" بضيق فهو لا يحب اسمه:

-احترم نفسك ياض، الله يسامحك يا ماما على ذوقك في الاسماء

غـــادر أصـــدقائه وعـــاد ليســـتلقي علـــى الفـــراش لتقـــع عينـــه علـــى ورقـــة صـــغير علـــى الحـــائط مـــدون عليهـــا "اطلبـــو العلـــم ولـــو فـــي الصـــين" ابتســـم وراح فـــي ثبـــات عميق

تـــرك "أشـــرف" يـــدها لتســـقط أرضًـــا، لتقـــول "نور" بألم:

-آه يـــأبن المفتريـــة يكـــش يقتلـــوك ونخلـــص منك

تســـــأل "أشـــــرف" بعصـــــبية ونبـــــرة منخفضة:

-انتم بتعملوا إيه هنا؟

ردت "نور" بسخرية: بنتفسح

نظـر لهـا "أشـرف" بشـر: أقسـم بربـي لـو متكلمتـيش عـدل لكـون أنـا مخلـص عليكـي ومريح البشرية منك ومن لسانك

ردت "جيهـان" ببـرود: احنـا فكرنـا أن حـد من العصابة هو اللي دخل

رد عليهـا بسـخرية: أنـا مـن رأيـي متفكـروش تـاني وبعـدين بتعملـوا إيـه هنـا؟ وفـين بـاقي النـاس المحتجـزة؟ والاطفـال حد حصلوا حاجة

إشارة "جيهان" على النافذة:

-هنـا، وأنـا و"نـوره" جينـا عشـان نضـرب العصابة ونحاول نطلع

أشـار إلـيهم بسـخرية لاذعـة: انـتم تقـدروا على الرجالة اللي بره دي

وصــعت "نــور" يــدها فــي خصــرها وهتفــت بتشنج:

-ومالك مستقل بينا كدا ليه إن شاء الله؟

هتــف "أشــرف" بحــدة: وطــي صــوتك كــان لازم اتوقــع انكــم هنــا أنــتم الاتنــين كــوارث متحركة

نظرت له "نور" بتذمر وقالت بضيق:

-هنعمل إيه دلوقتي؟

وصــلهم صــوت يقتــرب فقــال "أشــرف" بهمس:

-هششش فى حد جاي

تســألت "نــور" بعــدم فهــم: ايــوه يعنــي هنعمل إيه؟

وضــع "أشــرف" يــده علــى وجــه بيــأس وقال:

-يارب صبرني

قالت "جيهان": يلا نرجع مكانا لحد ما يجي وأنا اللي هضرب كل واحدة دور

ابتسمت "نور" بحماس: ماشي يلا

نظر "أشرف" للأعلى وهو يتنهد بضيق:

-لا بجد مش معقول أيه ده؟ دول كتر خير اهلهم والله انهم مستحملين الكوارث دي

وعاد يقلد صوت "نور": بس أنا اللي هضرب مليش دعوة، هيلعبوا مين يضرب الأول استغفر الله

تسحب ليقف خلف الباب وحينما ولج الرجل لداخل وقبل أن يستوعب ما حدث كان يسقط مخشى عليه بسبب ضربه

فــوق رأســه، تقــدمت "نــور" منــه فطرقــت يدها بالأخرى بحماس شديد:

-شاطر

وضــع "أشــرف" احــدى انامله علــى فمــه كي تصمت:

-هشش يخربيتك اسكتي

ردت "جيهــان" بغبــاء وهــي تشــير علــى السلاح: بت يا"نوره" ده معا مسدس

أردفــت "نــور" بــنفس الغبــاء: اه صــح أنــت جبــت المســدس ده منــين؟ اوع تكــون ســارقة ولا تكــون تبــع العصــابة وجــاي تقتلنا

وضــع فواهــة المســدس فــوق رأســه وقــال بعصبية:

-أنا هقتل نفسي وارتاح من كمية الغباء اللي عندكم

أخفضت "نور" يده وهي تقول بحنق:

-هتموت كافر حرام عليك

زجرها بعينيه وردد:

-حرام عليكي أنتِ، عارفة لو سمعت نفس واحدة فيكم هخلص عليها واريح البشرية منها سامعين

قال آخر كلامه بحدة لتجعلهم يهزوا رأسهم بمعنى حاضر، ليقول "أشرف" بهدوء:

-لفوا وشكم الناحية التانية

ردت "جيهان" بدون تفكير: ليه عايز تهرب؟

وضـــع "أشـــرف" يـــده علـــى رأســـه بقلـــة حيله:

-يارب صبرني، عشان هاخد اللبس ده

واشار لـ رجل الممدد على الأرض وقال:

-والبســه عشــان اقــدر اتحــرك فــى الــدار مــن غير ما حد يشك فيا

قالت "نور" بهدوء: ماشي

نظـــروا بعيـــد وأغمضـــوا أعنـــيهم إلـــى أن قال:

-يلا

قالــت "نــور" بإعجــاب: الله شــكلك حلــو فــي لبس الحرامي ألبسه على طول

ابتســم "أشــرف" بيــأس: حاضــر عــايزة حاجة تاني

ردت "نور" بتفكير: لا مش فاكرة

قـــال "أشـــرف" بتحـــذير: اخلصـــي أنتـــي وهـــي مفـــيش وقـــت، أنـــا هطلـــع وأنـــتم خلـــيكم هنـــا عشـــان ميحصـــلكمش حاجـــة ومحـــدش فيكم يتحرك

ردت "نـــور" ببـــرود: بـــص يـــا باشـــا هتتعـــب نفســـك فـــي الكـــلام وبرضـــوا هنطلـــع معـــك يبقي وفر كلامك ويلا

نظـــر لـــ "جيهـــان" لتهـــز رأســـها بمعنـــى اوافقهـــا الـــرأي، ليقـــول "أشـــرف" بنفـــاذ صبر:

-يلا

خرجـــوا الثلاثـــة ووضـــع كـــاتم صـــوت للســـلاح وكـــل مـــن يعتـــرض طريقـــة يلقـــى الموت إلى أن سمع صوت يبغضه كثيراً

-كنت عارف أن النمر مش هيستسلم بسهولة ارمي اللي في ايدك يا نمر عشان مخلصش عليهم

نظر له فرأى رجلين يضعون السلاح على رأس الأطفال، ألقى ما بيده وركلوا بعيدًا عنه وقال:

-طول عمرك مش راجل يا "حسن" دايما كنت بتتحمي فى الأطفال والنساء وعمرك ما اتحميت في دراعك

صدحت ضحكات "حسن" بسخرية:

وأنت لسه زي ما أنت عامل فيها النمر بس لو أنت النمر فأنا الثعلب

رد "أشرف" وهو ينظر بعيدًا:

-بس النمر عمره ما تهزم

وفي نفس اللحظة كان يعطي إشارة لـ "نور" بعينه أن تدخل الأطفال الغرفة المجاورة لهم بعد أن تركهم الرجال وتقدموا من "أشرف"

لكم الرجل الذي يمسك به بقوة اطاحت به وركل الآخر الذي يضع السلاح على رأسه وفي ثواني معدودة كان يقلب زمام المعركة لصالحة فهو لم يكن ضابطًا عاديًا أبداً، أستغل "حسن" الحرب الغير متكافئة بين النمر ورجاله وكاد بالهرب ولكن النمر قد لاحظ ذلك لينال منه طلقة نارية بقدمة لتصدح صرخاته في المكان لتأتي القوات ويتم القبض عليه خرج الجميع من الغرف لتنظر "نور"

و"بســـــــملة" و"جيهـــــــان" لبعضـــــــهم ليبتسموا وهم يهموا بالغناء:

-مصـــــر مصـــــر مصـــــر والله وعملوهـــــا الرجالـــة ورفعـــوا راس مصـــر بلـــدنا ووقـــف وقفـــــت رجالـــــه مبـــــروك لمصـــــر ولولـــدها...الكل طـــاير مـــن الفرحـــة ومصـــر لبســـالنا الطرحـــة يـــارب ديمـــا مـــن الفرحـــة متحرمناش

قالت "جيهان": "نوره" غني النمر

غنّة "نور":

-النمـــر أول مـــا بيظهـــر يخـــض واللـــي يقـــف قصـــاده يجيبـــه الارض...كلـــه بيتلـــبش مـــن دخلتـــه صـــاحب هيبـــه وعـــارف ســـكته عنـــده قـــوة تســـوق بشـــريه واللـــي يمســـه ده مالهوش ديه...مفيش حد قصاده يسد

كانت جميع المشرفات تنظر لبعضهم بصدمة هل هؤلاء جيل المستقبل؟ هل هم فتيات ناضجات؟ يومًا ما سيكونوا أمهات المستقبل ويخرجنا من تحت أيدهم جيلًا ناضجًا، هؤلاء لا يناسبهم سوى مشفى الأمراض العقلية

تحدث" أشرف" وهو ينظر لهم بصدمة:

-دول افضل مكان ليهم مستشفى المجانين

ورأى "دعاء" تقف وهي تنظر لهم بيأس من أفعالهم الطفولية اقترب منها وهو يهمس لها بصوت مسموع:

-هو أنتي مش زيهم ليه

أبتسمت "دعاء" وهي تجيب: هما مجانين اه بس طيبين خالص والله

رد "أشرف" بهدوء: باين عليهم

دخـــل "إبـــراهيم" خلـــف القـــوات وكـــان يبحـــث بعينـــه عـــنهم وحينمـــا رأتـــه "جيهـــان" اقتربـــت منـــه وهـــي تحمـــل "حمزة" فقال "إبراهيم" بأستغراب:

-أنتي بتعملي إيه هنا؟

ردت "جيهـــان" وهـــي تربـــت علـــى الصغير:

-جيـــت اشـــوف "حمـــزة" وبعـــدين جـــات العصـــابة علـــى حظـــي كانـــت مســـتنياني، وبعدين جه الكابتن وقبض عليهم

استنشـــق "إبـــراهيم" براحـــة فقـــد اطمـــئن قلبه:

-الحمدلله انكم بخير هاتي "رحيم"

-اسمه "حمزة"

- لأ"رحيم" أحلى

ردت "جيهان" بعند: قلت "حمزة"

ابتسم "إبراهيم" وقال بعند مماثل وهو يحمله منها:

-وأنا قلت "رحيم"

أتت عائلتهم الأربعة بعد علمهم بالخبر فاقترب "مصطفى" والد "دعاء" من ابنته ليعانقها بحب وخوف:

-أنتِ كويسه يا حبيبتي

ردت "دعاء" بحب: ايوه يا بابا الحمدلله

ابتعد "مصطفى" عن ابنته ونظر لها بحنان:

-كنت هموت لو حصلك حاجة

ردت "دعاء" بلهفة:

-بعد الشر عليك يا بابا ربنا يحفظك ليا وميحرمنيش منك أبداً

ابتسم "مصطفى" وهو يربت على حجابها:

-ويحفظك ليا يا حبيبتي

نظرت "نور" لـ "جيهان" وهي تهمس بنبرة شبه باكية:

-بصي الابهات ولا بلاش يلا ملناش في الطيب نصيب

تقدمت ام "بسملة" من ابنتها لتصفعها على وجهها من تهورها ثم جذبتها لاحضانها بقوة وهي تقول ببكاء:

-حبيبتي أنتِ كويسه

ردت "بسملة" وهي تبادلها العناق:

-الحمدلله يا ماما انا كويسه متقلقيش

أردفـــت "حوريـــة" بعـــدما ابتعـــدت عنهـــا ونظرت لها بتفحص:

-حد عملك حاجة

وضـــعت "بســـملة" يـــدها علـــى وجنتهـــا وقالت:

-لأ يـــا مامـــا محـــدش لمســـني ولا كلمنـــي بس أنتِ ايدك تقيله أوي

ضـــحكت "حوريـــة" ثـــم جـــذبتها مـــرة أخـــرى لاحضانها:

-طيب الحمدلله

تقـــدم "علـــي" مـــن ابنتـــه وهـــو يشـــير لزوجـــة بالابتعاد:

-اوعي كدا عايز اطمنى على بنتي

عانق ابنته وهو يقبل جبينها:

-ربنا يحفظك ليا يا قلبي من كل شر

اتســـــعت ابتســـــمت "بســـــملة" بحـــــب:

ويحفظك ليا يا بابا

قالـــــت "نـــــور" بضـــــيق: اســـــتني ابـــــوكي

هيجي يولع فينا بسببك

وقبـــــل أن تنطـــــق بحـــــرف كـــــان "عثمـــــان"

والد "جيهان" يتقدم منهم بغضب وقال:

-انتم الاتنين عايزين موتكم

ردت "جيهـــان" بهـــدوء اقـــرب للبـــرود: ليـــه

يا بابا عملنا إيه؟

نظـــر لهـــا بشـــر ثـــم تنهـــد وهتـــف بضـــيق

بعدما نظر على من حوله:

-ولا حاجة يا مصيبتي السودا

قالت "نور" بهدوء: يا خالوا احنا...

قاطعها "عثمان" بعصبية:

-اخرسي أنتي كمان، أنا هربيكم من جديد لأني تعبت منكم

نظرت "نور" للباب الخارجي لتجد والدها يتقدم إليهم لتتهمس لنفسها بسخرية:

- اهي كملت

أردف "المهدي" بسخرية بعدما اقترب منهم:

-"نور" هانم إيه متعبتيش؟ دا الشهر ده عماله حوالي عشر مصايب مش كفاية كدا

دافعت "نور" عن نفسها بقولها: وأنا مالي يعني مدافعش عن حقي ولا إيه؟

رد "المهدي" بسخرية:

-لا ازاي ودي تيجـــي برضـــو يبقـــى مـــش "نور"

ردت "نور" بمرح: شفت

هتـــف "المهـــدي" بنفـــاذ صـــبر: امشـــي قدامي ياخر صبري

وقبـــل ان تغـــادر نظـــرت "نـــور" إتجـــاه "أشـــرف" لتجـــده ينظـــر لهـــا نظـــرات لا تعلـــم مـــا معناهـــا لكنهـــا ابتســـمت لـــه وغـــادرت امـــا هـــو فكـــان يبتســـم بانتصـــار لانهـــا رضـــخت لـــه وارتـــدت ثيـــاب فضفاضـــة بعـــض الشـــيء فقـــد كانـــت ترتـــدي فســـتان متســـع بـــاللون الازرق الفـــاتح وحجابهـــا يخفـــي خصـــلات شـــعرها بالكامـــل، تنهـــد ببســـمة هادئـــة ثـــم تحـــرك إلـــى وجهته...

«قـــد لا أكـــون رفيقـــة موعـــدك الأول، أو حبـــك الأول، ولكنـــي أريـــد أن أكـــون الأخيرة»

****

الفصل السابع

♡اتمنى أدخل الجنة عشان أذهب لسيدنا عثمان بن عفان وأسأله أزاي قدرت تختم القرآن في ركعة واحدة وأنا لما بقرأ صورة كبيرة شوية بتعب ازاي أنت كدا نفسي أبقي زيك♡

***

"في منزل إبراهيم"

يجلس بجوار صغيرته يتابع معها مسلسلها المفضل ولكنها كانت تنظر له من حين إلى آخر بتردد إلى أن قالت بنبرة خافته:

- "إبراهيم"؟

رد عليها" إبراهيم" كعادة بابتسامة حنوانه:

-عيونه

أردفت "حنان" بارتباك وهي تضغط بيدها على المقعد:

-عايزة...

نظر لها "إبراهيم" باهتمام وقد لاحظ ارتباكها فقال:

-أنتِ تؤمري يا "حنون" قولي عايزة إيه؟ وساعة زمن هيكون عندك

نظرت له "حنان" بهدوء وهي تفكر في التراجع خوفًا من غضبه؛ لكنها تريد أن تذهب لذلك هتفت بشجاع بعدما حسمت أمرها: المدرسة مطلعة رحلة واصحابي كلهم طالعين وأنا...

قاطعها بنبرة لا تقبل النقاش:

-مستحيل أنتِ مش هتروحي مكان من غيري، لو عايزة تروحي مكان معين في

الإجـــازة نـــروح مـــع بعـــض لكـــن وحـــدك، أنسي

ردت "حنـــان" بحـــزن: يـــا "إبـــراهيم" كـــل اصحابي رايحين وأنا نفسي اروح معهم

زجرهـــا "إبـــراهيم" وهتـــف بحـــدة: أنـــا قلـــت كلمة وخلصنا يلا روحي ذاكري

تركتـــه ورحلـــت بخيبـــة أمـــل كانـــت تظـــن أنـــه ســـيوافق لأجلهـــا، رأتهـــا عمتهـــا وهـــي تتحـــرك إلـــى غرفتهـــا بحـــزن فقتربـــت منـــه وتســـألت: ليـــه يـــا بنـــي كـــدا كنـــت ســـبتها تروح مع أصحابها

أردف "إبـــراهيم" بحـــزن لـــم يســـتطيع أخفائه:

-يعني أنتِ مش عارفة ليه يا عمتو

جلست بجواره وربتت عليه بحنان وقالت:

-ده قضاء وقدر يا بني

قال "إبراهيم" بخفوت: ونعم بالله

وغاب في شرود قصير ليرحل بروحه الضائعة إلى الماضي الحزين وبالتحديد من خمس أعوام وفي اليوم الذي تم تعينة في المشفى كان عائد لمنزله كالفراشة تحلق بين الأزهار بسعادة بالغة هكذا كان هو سعيد للغاية وأخيرًا بعد عناء أعوام نال حلمه بين يديه ولكن قاطع كل هذا صدح رنين هاتفه ليرى اسم أبيه ينير شاشته، ليجيب بلهفة وهو يخبره على الفور أنه تم تعينة أخيرًا، ولكن الرد عليه كان قاتل أن أباه تعرض

لحـــادث ســـير بصـــحبة والدتـــه العزيـــزة وعنـــدما وصـــل علـــم أنهـــم غـــادروا الحيـــاة، وكـــأن عـــائلتهم الســـعيدة اصـــابتها لعنـــة وكـــل هـــذا لأجـــل رحلـــة كـــان بهـــا أخـــاه الأصـــغر وآتـــى اتصـــال لوالـــده ليخبـــروه أن ابنـــه ســـقط مـــن اللعبـــة وأن قدمـــه تـــأذت ليـــذهب هـــو وزوجتـــه للمشـــفى التـــي انتقـــل لهـــا ابنـــه وقبـــل أن يصـــل انقلبـــت الســـيارة راسًـــا علـــى عقـــب ولـــم تصـــب اللعنـــة والـــده ووالدتـــه فقـــط ولكـــن بعـــد يـــومين غـــادر أخـــاه الحيـــاة بســـبب الصـــدمة التـــي تعـــرض إليهـــا حينمـــا علـــم بوفـــاة والديـــه ومـــن يومهـــا إلـــى الآن لـــم يتبقـــى لـــه ســـوأ أختـــه الصـــغيرة وهـــو يخشـــى عليها من نسمة الهواء

أفاق من شرودة على صوت رنين هاتفه فرد "إبراهيم" ومازالت نبرته تحمل بقايا حزن:

-السلام عليكم

ردت الممرضة من الجهة الأخرى:

-وعليكم السلام يا دكتور في واحدة بتسأل على حضرتك

تسأل "إبراهيم" بتعجب:

-واحدة؟ قالتلك مين؟

أجابت الممرضة وهي تنظر للفتاة التي تقف أمامها:

-معرفش يا دكتور مرضيتش تقول بس مصره تستناك يا أما عايزة رقم حضرتك

رد "إبراهيم" بهدوء: طب تمام قوليلها

نــص ســاعة وأكــون عنــدك خليهــا تســتنى في مكتبي

الممرضة: تمام يا دكتور

نهض "إبراهيم" وهو يقول:

-خلــي بالــك مــن "حنــان" يــا عمتــو، أنــا رايح المستشفى

ردت بحنانهــا المعهــود: فــي عنيــا يــا حبيبــي خلــي بالــك مــن نفســك أنــت، وربنــا معــاك ويوفقك ويفرح قلبك

رد "إبــراهيم" وهــو يتحــرك بعــدما قبــل جبينها:

-اللهم آمين ربنا يحفظك لينا

***

"في الجامعة"

قالـــت "نـــور" بمـــرح وهـــي تقتـــرب مـــن صديقتها:

-أنا جيت

ردت "بسملة" ساخرة: عتمتي البيت

دفشتها "نور" برفق وأردفت:

-قصدك نورت البيت

فعلـــت "بســـملة" المثـــل وهـــي تدفشـــها بعيدًا:

-بس احنا في الجامعة

وضـــت "نـــور" يـــدها علـــى "دعـــاء" وهـــي تقول:

-يبقي نورت الجامعة

تســـألت "دعـــاء" بتعجـــب: آمـــال "جيجـــي" مجتش ليه؟؟

هزة "نور" اكتافها بجهل وأردفت:

-معـــرفش رحتلهـــا البيـــت لقتهـــا مشـــت افتكرت عندكم محاضرة بدري

ردت "دعـــاء" بتعجـــب مـــن عـــدم مجيأهـــا إلى الآن:

-احنـــا كـــان عنـــدنا محاضـــرة فعـــلاً، بـــس هـــي محضرتش معنا

تســـألت "بســـملة" بقلـــق: آمـــال راحـــت فـــين دي؟

وأردفـــت "دعـــاء" بهـــدوء وهـــي تنظـــر لـــ "نور":

-ربنـــا يســـتر عشـــان أنـــتِ وهـــي بقيتـــوا خطـــر على الكوكب

حركـــت "نـــور" جفونهـــا وهـــي تتحـــدث ببراءة كاذبة:

-يختي احنا غلابه

نظـــرت لهـــا "دعـــاء" ورفعـــت أحـــدى حاجبيهـــا بمعنـــى حقـــاً، لتنفلـــت ضـــحكة خافته من "نور" وهي تقول:

-مش اوي

أخرجت "بسملة" هاتفها وتسألت:

-مرنتيش عليها ليه؟

ردت "نور" عليها: مش بترد

هتفـــت "بســـملة" بمـــرح وهـــي تضـــع الهـــاتف علـــى اذنهـــا بعـــدما قامـــت بالاتصـــال عليها:

-يبقى جهزي نفسك لكارثة جديدة

ردت "نـــور" بمـــرح: أنـــا علـــى طـــول جـــاهزة يا باشا

قالت "دعاء" بهدوء وسعادة:

-"فـــارس" جـــاي بكـــرة وانـــتم هتكونـــوا موجدين تمام

ردت "بســـملة" بعـــدما أنتهـــت المكالمـــة دون رد:

- أنا قلت لـ بابا وماما وقالوا روحي

وهتفـت "نـور": وأنـا اعتبرينـي عنـدك مـن النهاردة

***

دلـف إلـى مكتـب صـديقه ليجـد معـالم وجـه تنبض بالضيق، فتسأل بتعجب:

-إيه يا باشا مالك؟

رد "ياسين" بضيق:

-عنـدي مـأموري يـا "أشـرف" وامـي مريضة ومش عايز اسيبها لوحدها

جلس "أشرف" على المقعد وقد فهم سبب ضيقه وتسأل:

-ألف سلامة عليها، امتى؟

رد "ياسين" بتأفف: بعد يومين

أردف "أشرف" بجدية: عندي فكرة

تسأل "ياسين" باهتمام: إيه؟

قال "أشرف" بهدوء: تعالى نروح عند اللواء ونطلب منه إني اطلع مكانك، ونفهمه ظروفك

أردف "ياسين" بيأس بعدما تحرك ليجلس على المقعد المقابل لـ "أشرف":

-مظنش أنه هيرضا

ربت "أشرف" على يده وقال: هنجرب مش هنخسر حاجة وسيبها على الله

رد "ياسين" بهدوء: ونعم بالله، بس مقولتليش عملت إيه مع الكلب اللي اسمه "حسن"؟

أشتعل الغضب داخل مقلتيه كلما تذكر ما حدث وأردف بعصبية:

-الكلب عمل كل ده عشان يبعت رجالته يحرقوا بيتي بس الحمدلله مكنش في حد في البيت

لم يتفاجا "ياسين" مما قال فقد اعتادوا على الخطر بسبب عملهم، وتسأل :

-والبيت اتحرق كله؟

رد "أشرف" بحزن بسبب خسارته لأشيائه الخاصة التي تحولت لرماد:

- آه، بس ورب الكعبة ما هخليه يشوف الشمس تاني

ربت "ياسين" على يده تلك المرة عندما وصلته نبرته الحزينة:

-ربنا يعوضك خيراً منه

***

في مكان آخر كان ينتظر صديقه على احر من الجمر إلى أن وصل أمامه فقال بفخر:

-جبتلك اخبار البت من طقطق لسلام عليكم

رد "تامر" وعيونها تلمع بانتصار: قول يا "بودي"

أردف "عبده" وهو يشير له بنظراته نحو الهاتف:

-لا نفذ الاتفاق الأول يا "تيمو"

هتف "تامر" بنفاذ صبر وهو يقوم بفتح هاتفه:

-اخلص وهديك الرقم

غمز له "عبده" بمشاكسة: الرقم الأول يا هندسة

تنهد "تامر" وهو يقول: أكتب ١٠**********

ابتسم "عبده" وقال: فل أوي، خد الورقة دي فيها كل حاجة عنها

سحب "تامر" الورقة من يده وهو يبتسم عندما قرأ الاسم:

-"بسملة علي"

ثم همس لنفسه: ماشي يا بسبوسة هنتقابل قريب اوي يا قمري

"فـــي المشـــفى وبـــالأخص فـــي مكتـــب د/إبراهيم"

كانـــت تجلـــس وهـــي تتمنـــى أن يوفقهـــا الله فـــي مـــا تفكـــر إلـــى أن فـــتح البـــاب وتقـــدم "إبراهيم" لداخل وقال قبل أن يراها:

-السلام عليكم

نهضـــت "جيهـــان" وهـــي تـــرد عليـــه السلام:

-وعليكم السلام

لينظـــر لهـــا "إبـــراهيم" بتعجـــب مـــن وجودها:

-أنتِ؟

ردت "جيهـــان" بحـــرج: أخبـــار حضـــرتك إيه؟

رد "إبـــراهيم" ببســـمة هادئـــة: الحمـــدلله بخير، اتفضلي اقعدي في حاجة ولا إيه؟

جلســـت وهـــي تقـــول بارتبـــاك : شـــكرًا هـــو أنا...

قطعـــت حـــديثها بتـــوتر ليبتســـم "إبـــراهيم" وهو يهمس داخله:

-مـــا بـــال الجميـــع اليـــوم يتحـــدث معـــه بخـــوف وقلق كانه تحول لوحش أمامهم؟!

ثـــم أردف بجديـــة حينمـــا طـــال صـــمتها: أنـــتِ إيه؟

قالـــت "جيهـــان" بارتبـــاك: أنـــا عـــاوزة اطلـــب من حضرتك طلب

ظهـــرت بســـمة علـــى وجـــه "إبـــراهيم" وهـــو يقول:

-أنتِ تأمري، بس تشربي إيه الأول

ردت "جيهـــــان" بخجـــــل: شـــــكراً هـــــو الموضوع يخص "حمزة"

نظـــر لهـــا باهتمـــام وتســـأل: مالـــه "رحـــيم"؟ أنتِ رحتي شوفتيه تاني؟

هزت "جيهان" رأسها بنفي وأردفت:

- لأ مـــن ســـاعة الحادثـــة اللـــي حصـــلت وأنـــا مشـــفتوش، بـــس بفكـــر فيـــه وخطـــر علـــى بالي فكرة بس مش عارفه اقولها ازاي؟

قالـــت جملتهـــا الاخيـــرة بنبـــرة خافتـــه، جعلـــت "إبراهيم":

-فكرة إيه؟؟

ردت "جيهان" بارتباك يخالطه الخجل:

-أنـــا عـــاوزة اتبنـــى "حمـــزة" بـــس لازم أكون متجوزة...

وصـــمتت تراقـــب رد فعلـــه، فتســـعت بســـمة "إبـــراهيم" عنـــدما فهـــم مـــا تريـــد وســـبب خجلهـــا الشـــديد، فرتـــدى نظارتـــه الطبيـــة وقال بجدية:

-كملي أنا سامعك

أردفت بلهفة وهي تغلق أعينها بخجل:

-ممكـــن تتجـــوزني اتبنـــى "حمـــزة" وطلقنـــي تاني

إبراهيم:....

***

كانـــت تســـير بمفردهـــا خـــارج المـــدرج ولكـــن توقفـــت حينمـــا اســـتمعت لاحـــد ينـــادي باسمها

-نور نور نور

أســـتدارت "نـــور" لتجـــد شـــاب يصـــغرها بعــام، هــي تعرفــه فقــد حــدث موقــف محــرج وهو ساعدها فيه، فقالت بتأفق:

-نعــم يــا "ربيــع" فــي حاجــة وبعــدين أنــا اسمي "نورهان"

رد "ربيـــع" باســـف: آســـف ممكـــن اتكلـــم معاكِ شوية

نظرت له "نور" بشر وهتفت:

- لاء، وميــنفعش تنــادم عليــا كــدا تــاني، أنــا هعــديها عشــان خــاطر أنــت شــخص محتــرم بــس لــو حــد تــاني كنــت علمتــه الأدب وأنــا مبتكلمش مع حد

قال "ربيع" بحزن: أنا آسف

ردت "نور" بجدية: بعد اذنك

وتركتـــه وغـــادرت بكـــل ثقـــة ولكـــن زفـــرت بضـــيق لأنهـــا تعلـــم كـــم يعشـــقها هـــذا الـــ "ربيـــع" منـــذ عـــام ولكـــن هـــي لا تشـــعر اتجاهـــه بشـــيء وهـــذا لـــيس خطاهـــا ولا خطـــأه ولكـــن لا ســـلطه لنـــا علـــى قلوبنـــا فهـــي تنـــبض لمـــن ارادت، وهـــي حاولـــت مـــرارًا وتكـــرارًا أن تخبـــره أنـــه يســـتحق افضـــل منهـــا وأنـــه يجـــب أن ينســـاها ولكـــن دون فائـــدة فهـــو يحبهـــا بشـــدة وهـــي تتمنـــى أن تحبـــه لكـــن لـــيس لـــديها القـــدرة علـــى ذلـــك... القلب وما يريد

امـــا "ربيـــع" صـــديق "مـــارس" كـــان ينظـــر لهـــا بحســـرة وهـــي ترحّـــل هـــو يعشـــقها ولا يريـــد ســـواها، يعلـــم بأنهـــا تفوقـــه بـــالعمر بعـــام ربمـــا هـــذا مـــا يجعلهـــا ترفضـــه لأنـــه

أصغر منها، ولكن من قال ان العشق له علاقة بالعمر ولا أي شيء آخر، العشق له علاقة بالقلب وفقط

«كنت أعلم أن الحب من طرف واحد خطيراً جداً ... وذلك ان جازت تسميته حباً أصلاً ... لكنه مرض لا اجر فيه...جرح لا يشفى أبداً وألم يتجدد طيلة الوقت ... استغرب كيف لم اييأس بعد كل هذه المحاولات التي باتت بالفشل»

ذهبت نور لأصدقائها وهي تشعر بالحزن، فتسألت "دعاء" بقلق:

-مالك يا "نور"؟

ردت "نور" وهي تحرك يدها بلا اهتمام:

-مفيش

تـــدخلت "بســـملة" تقـــول بجديـــة: يعنـــي إيـــه مفيش؟ امال زعلانة ليه؟

أردفـــت "نـــور" تغيـــر مجـــرى الحـــديث: هـــي "جيهان" لسه مجتش؟

فـــي تلـــك اللحظـــة رأت "دعـــاء"، "جيهـــان" تقترب منهم فقالت بهدوء:

-ابـــن الحـــلال عنـــد ذكـــره بيبـــان اهـــي ظهـــرت الكارثة التانية ربنا يستر

لكـــن "نـــور" لـــم تكـــن بهـــذا الهـــدوء، لتقـــول بعصبية:

-أنتِ يا غبية كنتِ فين؟

ردت "جيهـــان" ببـــرود: اهـــدي لمـــا تســـمعي اللي هقولوا ابقي اتعصبي مرة واحدة

لـــم تتعجـــب "بســـملة" مـــن برودهـــا وعلمـــت أن هناك كارثة خلفه:

-إيه يا بنتي البرود اللي أنتِ فيه ده يخربيتك

حدثتها "دعاء" برفق حينما وجدت السر يعلو نظرات "نور" و"بسملة":

-قلقتيني عليكي يا "جيهان" كنتِ فين؟؟ ومش بتردي على الفون ليه؟؟

ابتسمت "جيهان" له بسمة لا تنتمي لسعادة بشيء وقالت:

-هقلكم على كل حاجة، بس تعالوا نطلع من الجامعة نروح أي مكان أنا زهقت

ردت "نور" ساخرة من حديثها: معها حق زهقت من الكلية والمحاضرات وهي لسه داخله من البوابة

نظرت لها "جيهان" بعند وقالت بتحدي:

-اه زهقت عندك اعتراض، ويلا نمشي

تسألت "بسملة" بهدوء: هنروح فين؟

حـــدقت فيهـــا "نـــور" بشـــر، تتســـأل عـــن المكـــان؟ ولـــم تتســـأل عـــن الكارثـــة التـــي تقبع أمامهم ببرود؟ فقالت بضيق:

-أي داهيـــه مـــش هتفـــرق المهـــم نعـــرف الأستاذة كانت فين؟

قالـــت "جيهـــان" بلامبـــالاة بمـــا تقـــول: تعـــالوا نـــروح الكافيـــة عشـــان اقلكـــم آخـــر الأخبار

تحركـــت "نـــور" وهـــي تقـــول: يـــلا لمـــا نشوف اخرتها

فـــي الكافيـــة هتفـــت "نـــور" بغضـــب وصـــوت مرتفع:

-يا بنت المجنونة

زجرتها "جيهان" وهي تقول: إيه؟ وطي صوتك هتفضحيني

أردفت "نور" بعصبية: لا واللهِ واللي أنتِ عملتيه ده كان إيه؟

ردت "جيهان" ببرود: ولا حاجة

حدثت فيها "نور" بشر وهتفت: بت أنتي متستفزنيش بدل ما اخد فيكي تأبيده، منك لله يا آخر صبري

تسألت "جيهان" بعدم فهم لعصبيتها: ليه عملت إيه؟ وانتم قاعدين تتفرجوا عليها ما حدا يسكتها!

بسمة ساخرة ظهرت على وجه "بسملة" وهي تقول بحدة:

-نسكتها ليه ياختي، دأنا عايزة اولع فيكي على اللي عملتيه

أردفت "جيهان" ببرود: ليه عملت إيه؟

ردت "نـــور" بســـخرية: بصـــوا البـــت، ولا حاجـــة يـــا قلبـــي كـــل الحكايـــة إنـــك رخصـــتي نفســـك ورحتـــي اتقـــدمتي لواحـــد متعـــرفيش عنه حاجة، بسيطة إيه اللي يزعل

دافعـــت "جيهـــان" عـــن نفســـها بجديـــة: علـــى فكـــرة أنـــا مرخصـــتش نفســـي، وعارفـــة أنـــا عملت إيه كويس؟ وفكرت قبل أي حاجة

صـــدحت ضـــحكه ســـاخرة مـــن "نـــور" وهـــي تقول:

-فكرتـــي؟ طـــب تيجـــي ازاي بعـــد المصـــيبة اللي عملتيه

وضـــعت جيهـــان يـــدها علـــى وجههـــا وحركت اناملها برفق لكي تهدأ، وقالت:

-ممكـــن تســـمعيني الأول وبعـــدين اتكلمـــي، أنـــا مكـــنش ينفـــع اعمـــل غيـــر كـــدا أنـــا مـــش هقدر اسيب "حمزة" يتربى في الملجأ

كـــادت "نـــور" أن تســـب تلـــك الحمقـــاء و"حمـــزة" هـــذا ولكـــن قاطعتهـــا "دعـــاء" وهي تقول:

-"نـــور" ممكـــن تهـــدي، ســـيبها تكمـــل كلامها للآخر وبعدين نتكلم

أردفـــت "بســـملة" بضـــيق: يعنـــي أنـــتِ عاجبك اللي عملته؟

ردت "دعـــاء" بهـــدوء: مـــش عـــاجبني، بـــس أكيـــد فـــي ســـبب وهـــي برضـــوا مـــش صـــغيرة وعارفـــه عملـــت إيـــه اخبرتهم "جيهان" وجهة نظرها

وتفكيرهـــا الـــذي دفعهـــا لفعـــل ذلـــك وهـــي تقول:

-اولاً أنـــا معملـــتش حاجـــة غلـــط ولا حـــرام، أنـــا طلبـــت منـــه يتجـــوزني ولـــو فـــاكرين أن الســـيدة خديجـــة رضـــي الله عنهـــا هـــي اللـــي طلبـــت الـــزواج مـــن الرســـول عليـــه افضـــل الصـــلاة والســـلام ثانيًـــا دكتـــور "إبـــراهيم" شـــخص كـــويس صـــح أنـــا معرفـــوش، بـــس كمـــان أنـــا معـــرفش حـــد أفضـــل منـــه حاليًـــا ولأنـــي حســـيت أنـــه بيحـــب "حمـــزة" زيـــي فطلبـــت منـــه يتجـــوزني وبعـــد فتـــرة يطلقتـــي أكون قدرت اتبنى "حمزة "

هـــزت "نـــور" رأســـها بنفـــي لكـــل هـــذا الهـــرء الذي يخرج من فم ابنة خالها العزيز:

- لا لا أنا مش قادرة اتكلم حد يرد عليها بدل ما ارتكب جناية، لأ والبت بتتكلم ببساطة كأنها بتقولك أخبار الطقس

تدخلت "دعاء" تقول بهدوء: كل الكلام اللي قولتيه مفهوش غلط

نظرت "نور" و"بسملة" لبعض بصدمة و"جيهان" ابتسمت بانتصار، لتكمل "دعاء" حديثها بثبات:

-باستثناء طبعًا موضوع الطلاق لأن دي مش لعبة لو هتجوزية يبقى زواج كامل ويدوم لنهاية غير كدا مستحيل نوافق، وأنتِ بقى فكري لأني دي حياتك اللي هدمريها بغبائك

تنهدت "نور" تقول مرغمة لعلمها بشخصية صديقة طفولتها وشبابها:

-رغم إني مش مقتنعة من البداية بس ماشي، "دعاء" معها حق مفيش حاجة اسمها تطلقي وشغلي عقلك وحياة ابوكي عشان هتجيني جلطه منك قريب

واردفت "بسملة": وأنا رأيي من رأيهم

تسألت "نور" بجدية ساخرة: وأنتِ مين خد رأيك؟

ردت "بسملة" ببساطة: وانتِ مالك يا عسل؟

انفلتت ضحكة خافته من "دعاء" وقالت:

-قصف جبهه

قالت "جيهان" بعد تفكير: بس أنا مش هينفع ارجع في كلامي لأني قلتلوا إني هتجوزوا وبعدين اطلق

ردت "بسملة" بحدة فهي داخلها لا تقبل بهذا الهراء تخشى على صديقتها أن تقع في غياهب لا تعلم عنها شيء:

-ميخصناش الكلام ده، احنا اللي عندنا قولنا وأنتي هتكلميه وتقوليلوا، يامـا مفيش جواز وخلصنا

أردفت "نور" بمرح: ام سيد بتتكلم صح

صفعتها "بسملة" على رأسها:

-ام سيد في عينك

تحسست "نور" مكان الصفعة بألم مصطنع وقالت تغير الحديث:

-يلا اطلبونا حاجة نشربها الواحد جعان من الصبح

ردت "بسملة" بمرح: جعانه وعايزة تشرب آمال لو عطشانة كنتي هتأكلي

هـــزت "نـــور" رأســـها بمعنـــى اه، فطلبـــت لهـــم "دعـــاء" مـــا يريـــدون وعـــادوا يتحـــدثون فـــي امـــور كثيـــرة وعديـــدة إلـــى أن تســـألت "نـــور" بعـــدما تســـلل لهـــا رائحـــة غريبة:

-هي أي الريحة دي؟

ردت "دعـــاء" وهـــي تضـــع يـــدها علـــى انفها لتمنع الرائحة من الوصول لها:

-مش عارفه

قالـــت "بســـملة" بتخمـــين: دي ريحـــة بنـــزين او غاز

ســـعلت "جيهـــان" بشـــدة وقالـــت: الريحـــة شديدة قوي

بـــدأ كـــل مـــن فـــي الكافيـــة يســـعل بشـــدة ولا أحـــد يســـتطيع التـــنفس، فأردفـــت "نـــور"

بصـــعوبة بســـبب حساســـيتها المفرطـــه، عندما رأت مصدر الرائحة:

-يا نهاري في نار

تـــم أغـــلاق الكافيـــة ورائحـــة الـــدخان تختـــرق المكـــان والنـــار تخـــرج مـــن المطـــبخ تأكـــل كـــل مـــا يقابلهـــا، وعـــم الهـــرج والمـــرج المكـــان والكـــل فقـــد توازنـــه وبـــداء صـــراخ الفتيـــات والســـيدات يصـــدح فـــي المكـــان ليصـــيب الرجـــال بحالـــة ذهـــول ولا أحـــد قـــادر علـــى التفكيـــر، وكـــأن العقـــل توقـــف عـــن وظيفتـــه، كـــل رجـــل معـــه فتـــاة يحـــاول مســـاعدتها ولكـــن لا أحـــد يفكـــر كيـــف يمكـــنهم الخـــروج مـــن هنـــا قبـــل أن يحتـــرق المكـــان بهـــم وفرقـــة المجـــانين الأربعـــة فهـــم مـــازلوا كمـــا

همـــا ولا يســـتطيعون التـــنفس وســـقطت "نور" مغشي عليها

خـــارج الكافيـــة كـــان يتحـــدث فـــي الهـــاتف بحقد وكره شديد:

-العمليـــة نجحـــت ومـــن غيـــر خســـاير وبعـــد ســـاعات هيكـــون النمـــر فـــي اعـــداد الموتـــة ومعـــه شـــهداء الـــوطن هههههه، مـــش هتحـــرك غيـــر لمـــا اشـــوفه طـــالع علـــى نقـــالا هههههه سلام... يا ثعلب

***

كـــان يعمـــل بتركيـــز مـــع فريقـــة علـــى المشـــروع المكلـــف بـــه ولكـــن شـــعر بانقبـــاض قلبـــه ودقاتـــه ترتفـــع وهاجمـــه دوار حـــاد ليجـــد أحـــد يدعمـــه فـــي الوقـــوف وهو يتسأل بقلق:

-بشمهندس أنت كويس

رد "تامر" وهو يستند عليه: مش عارف مالي حاسس بحاجة مش عارف إيه هي؟

رد أحدى الشباب: ممكن ترتاح شوية ونكمل بعدين

تحرك خارج غرفة الاجتماعات وهو يقول:

-بعد اذنكم

دخل مكتبة ليجلس على أقرب مقعد ويشعر بالتشتت لا يعلم ما يحدث يغمض عينيه ليجد صورة احدهم يصارع الموت ويستغيث به ولا يعلم من هو؟ لتتغير الصورة لاخرى ليرى أن هناك جسد يجلس بعيدًا في ركن من الغرفة وهو

يتوسل له بالمساعدة و"تامر" يقبع جوار الباب عاجز عن التحرك ومازال لا يعلم من يجلس رجل ام فتاة ولكن كل ما يعلمه أن هذا الشخص الذي يطلب المساعدة يعني له الكثير

انتفض بصورة مفاجئة على رنين هاتفة لينظر له بلا اهتمام ليجد ان المتصل احدى فتياته مسجل بـ"حبيبتي ٥" ياللسخرية أصبح الحب لعبة ومضيعة للوقت، أغلق الهاتف ثم نظر للأعلى وهو يستغيث بالله:

-يارب أنا مش عارف في أيه؟ بس في حد غالي عليا في خطر وانا حتى مش عارف مين هو؟... يارب انقذه... يارب كن معه... يارب أحفظه من كل شر...

«ربما أنا مشاكس، ولا أستحق فتاة نارية مثلك؛ ولكن اروحنا إلتقت وأنتهى الأمر، إن لم تستطيعي أن تكوني مثلي سأكون أنا مثلك، ويا فرحة قلبي ان أصبح مثل ساكنته»

****

الفصل الثامن

"الحاجة الوحيدة اللي بتطمنى الواحد إن ربنا سبحانه وتعالى قادر يعدل كل حاجة في لحظة واحدة، قادر ينزل لطفه، ويرد الظالم، ويطيب خاطر المكسور، قادر يحول الخوف اللي جواك لأمان وطمأنينه، قادر يغير كل شيء في ثانيه، فأطمئن"

***

داخل الكافية سقطت "نور" أرضًا فاقدة للوعي فصدرت صرخة من "بسملة" هزت جدران المكان، فهذه "نور" الاخت والصديقة وكل شيء بالنسبة لهم؛ فهي أصبحت منذ لقائهم مصدر السعادة والفرح ورغم أنها أصغر منهم إلا أنها كانت كالأم تمنعهم من فعل أي شيء

يمكنه أن يضرهم ورغم مرحها المعتاد إلا أنها عند الجد تراها شخصًا آخر لا يمكن أن تتخيل ان هذه هي الفتاة المرحة صاحبة المشاكل.

وعلى بعد منهم وصله صوت "بسملة" لينقبض قلب ذاك النمر الذي كان يبحث عن مخرج فهو قادر على كتم أنفاسه لدقائق

ولكن هذه المرة لا يعلم لماذا انقبض قلبه ولأول مرة يشعر بالخوف على أحد غير امه وابنه الصغير ظل ينظر يمينًا ويسارًا إلى أن رأهم ليركض إليهم بسرعة وجد "نور" مغشى عليها ورأسها على قدم "جيهان" ولا تشعر بشيء و"دعاء" و"بسملة" و"جيهان"

دمـــوعهم تســـيل كالشـــلال ويكـــادوا يختنقـــوا مـــن كثـــرة الـــدخان، شـــعر النمـــر ان قلبـــه كـــاد يتوقـــف عنـــدما راهـــا هكـــذا وأصـــبح شـــرس كـــالنمر الـــذي تـــم أطلاقـــه يخـــبط فـــي كـــل شـــيء لعلـــه يســـتطيع ان يكســـر ذلـــك البـــاب ولكـــن النـــار أصـــبحت تحـــرق كـــل شـــيء وتزيـــد شـــيئًا فشـــيء والـــدخان جعـــل الجميـــع غيـــر قـــادرون علـــى التـــنفس ويكـــادوا يختنقـــوا أصـــبح النمـــر يخـــبط فـــي البـــاب بقـــوة شـــديد والآن وبعـــد دقـــائق مـــن العـــذاب اســـتطاع ان يفـــتح البـــاب وأخيـــراً ولكـــن الكـــل كـــان فاقـــد للـــوعي وهنـــاك اشـــخاص اصـــابتهم النـــار ولجـــت رجـــال الاطفـــاء لـــداخل لإخـــراج النـــاس، وأشـــرف ركـــض مـــرة آخـــره لـــ"نور" وحملهـــا وخـــرج بهـــا

و"بسـملة" و"دعـاء" و"جيهـان" ساعدوهم رجال الاطفاء وتم نقل الجميع إلى المشفى.

وبعد ما اطمئن عليها مرة واثنين وثلاثة من الطبيب ذهب خارج المشفى وهو يسأل نفسه ماذا حدث؟؟ وكيف حصل كل هذا؟؟ وهل هذه خطه لقتله؟؟ وان كان هذا صحيح من فعل هذا؟؟ والسؤال الاهم لما كاد قلبه يتوقف عندما راها بهذه الحالة؟؟ وهي لا تعني له شيء هو لا يعرفها إذن لِمَ شعر أنها جزءً منه؟؟

كان الجميع مجتمع في المشفى وبعد خروج الطبيب ركض "المهدي" له ليطمئن على ابنته وهو يردف بقلق:

-"نور" بنتي يا دكتور عاملة إيه؟

أردف الطبيب بعملية: بسبب وجودها فترة كبيرة في المكان وعدم قدرتها على التنفس فقدت الوعي بس الحمدلله هي حاليًا بخير

أستفسر "المهدي" براحة: هتفوق امتى؟

رد الطبيب قبل أن يغادر: في أي لحظة ممكن تفوق

في غرفة "نور" كانت تجلس والدتها بجانبها وهي تبكي بشدة خوفاً من خسارة ابنتها

كانت "نور" تتسطح على الفراش، وحركت جفونها ببطئ، وقد رأتها "ريهام" شقيقتها فانتفضت من مجلسها

وأقتربت منها وهي تتحدث بصوت عالي وفرحة شديدة:

-نور نور أنتِ كويسه؟

أقتربت والدتها منها بفرحة وعانقتها وهي تبكي وتردد:

-كنت هموت لو حصلك حاجة

ردت "نور" بتعب: بعد الشر عليكي يا ماما، البنات فين؟

أردفت "ريهام" لكي تطمنها:

-كلهم بخير الحمدلله، والحمدلله على سلامتك يا قلبي

ردت "نور" بتعب:

-الله يسلمك، عايزة أشوفهم

قالت "فايزة" برفق وهي تربت على رأسها:

-أنتِ لسه تعبانة شوية وهما هيجوا

هــزة "نــور" رأســها بنفــي وقالــت بخــوف أن يكون حدث لهم مكروه:

-لأ أنا عايزة اشوفهم دلوقتي

قبلــت "فــايزة" جبينهــا بحنــو وقالــت: أنــا هــروح اشــوف "جيهــان" واجيبهــا واجــي، وأنــتِ خليكــي هنــا، خلــي بالــك يــا "ريهــام" منها

هزة "ريهام" رأسها بطاعة واردفت:

-حاضر

خرجــت والــدتها فــدخل والــدها لكــي يطمــئن علــى ابنتــه الصــغيرة الملقبــة بالكارثــة المتحركة

فــي غرفــة آخــرى يوجــد بــه الــثلاث فتيــات فهــم يمثلــون الصــداقة الحقيقيــة كــلًا مــنهم

عندما استيقظت أول كلمة قالتها أين اصدقائي؟ وها هم انتقلوا الاثنان إلى غرفة "بسملة" لأنها مازالت فاقدة للوعي، وكان الكل مجتمع خارج تلك الغرفة ومنهم الدكتور "فارس" الذي كاد أن يفقد عقله عندما سمع ما حدث لمعشوقتة السمراء التي اقترب موعد لقائهم برابط مقدس كاد يفقدها والآن هو يأكله الانتظار إلى ان يراها ويطمئن عليها

قالت "دعاء" وهي تجلس بقلق على الاثنان:

-خليكي مع "بسملة" وأنا هروح اشوف "نور"

كانـــت "جيهـــان" تقبـــع بجانـــب "بســـملة" علـــى الفـــراش فقبلـــت جبينهـــا وقالـــت بعـــدما ابتعدت عنها:

-وأنا كمان عايزاه اروح اشوفها

قاطع حديثهم دخول "فايزة" التي قالت:

-عاملين إيه يا بنات

ردت "جيهـــان" ببســـمة: الحمـــدلله يـــا عمتـــو، "نـــوره" عاملـــة إيـــه احنـــا كنـــا ريحنلها

ردت "فـــايزة" بعـــدما أقتربـــت منهـــا وعانقتها:

-فاقت وبتسأل عليكم هي بخير الحمدلله

أردفـــت "بســـملة" بنبـــرة متعبـــة بعـــدما استيقظت لتو:

-طيب يلا نروح نشوفها

أقتربت منها "جيهان" بفرحة وهي تبتسم لها:

-انتي كويسة يا "بسوا" قلقت عليكي، الحمدلله أنك فوقتي، خليكي أنتي تعبانة هنروح نشوف "نوره" ونجيكي على طول وطنط "حورية" بره هتدخلك دلوقتي

ردت "بسملة" برفض لحديثها وهي تنهض:

-لا أنا كويسة هروح معكم نطمن عليها، ويلا

***

"في منزل إبراهيم"

كان يجلس حزين وهو يضع يده فوق رأسه وكأن حزن العالم داخلة ولا يعلم لِمَ هو حزين؟ ولِمَ يشعر بالأختناق

دخلت عليه عمته رأت الحزن بعينيه علمت بأنه ليس على ما يرام فقالت بلطف:

-مالك يا بني حزين كدا ليه؟

رد "إبراهيم" عليها بحزن بعدما رفع رأسه ليرها:

-مش عارف يا عمتو، بس حاسس إني تعبان وقلبي وجعني

ربتت "سميرة" عليه بحنو: بسم الله على قلبك حتى يهدأ بسم الله على روحك حتى تطمئن، اطمن يابني خير بإذن الله

نظـــر لهـــا بتـــردد كـــأن يريـــد أن يخبرهـــا شـــيء ولكنـــه تراجـــع، ولانـــه مثـــل ابنهـــا حتى وأن لم تكن أنجبته، قالت بحب:

-عـــايز تقـــولي حاجـــة بـــس متتـــرد قـــول يـــا ابن الغالي هتخبي عني

ابتسم "إبراهيم" لها وقال:

-هـــو فـــي موضـــوع كـــده كنـــت عـــايز اقولـــك عليه

نظـــرت لـــه "ســـميرة" باهتمـــام: موضـــوع إيه؟

قال "إبراهيم" بهدوء: أنا قررت اتجوز

الأطلـــق "ســـميرة" صـــوتًا صـــاخب يـــدل على فرحتها وهتفت:

-يا الف نهار أبيض ده يوم المنى اللي اشوفك فيه عريس بس مين سعيدة الحظ دكتوره "هاجر" صح

استمسرت بلطف لعلمها العلاقة التي تجمع بينهم، لكن "إبراهيم" هز رأسه بنفي وقال بضيق:

-لأ مش هي طبعاً، دي واحدة تاني لسه بتدرس في كلية الحقوق شوفتها وانا رايح لـ "فارس"

لم تعلق "سميرة" على أختياره فهي تثق به وهذه حياته لذلك قالت:

-ومالوا يا بني طالما أنت عايزها يبقى على خير الله هتتقدملها امتى أردف "إبراهيم" بجدية: بكرة إن شاء

الله هتصل باباها وحدد معاه معاد عشان اروحلهم

ردت "سميرة" عليه: ربنا يتملك على خير ويجعلك فى كل خطوة سلامة، ويكتبها من نصيبك لو كانت خير ليك ويبعدها عنك أن كانت شر

رد "إبراهيم" بلهفة يعترض على جملتها الأخيرة:

-ليه بتقولي كده بس؟

انطلقت ضحة خافته من "سميرة" وقالت بمزاح:

- دأنت وقعت بقى

تراجع "إبراهيم" وقد أدرك فعلته فقال بخفوت:

-لأ مش قصدي بس الدعاء مش كده

اغمزة له "سميرة" وتسألت بمكر:

- امال ازاي؟

تنهد "إبراهيم" وهو يقول:

-اللهم إن كانت خيرًا لي فجمعني بها وان كانت شرًا لي فصلحها لي واصلحني لها واجمعني بها

***

في الغرفة التي تقبع فيها "نور" كانت تجلس بارهاق على الفراش وشقيقتها تحاول أن تمنعها من التحرك إلى غرفة الفتيات إلى أن ولجوا خلف بعض، فخرجت "ريهام" لتتركهم على راحتهم، فقالت "جيهان":

-الحمدلله على سلامتك يا تعب قلبي

ردت "نـــور" ببســـمة خفيفـــة: الله يســـلمك يا بنت قلبي

قالـــت "بســـملة" بتعـــب وهـــي تجلـــس بجوارها:

-خوفت عليكي يا زفته

ردت "نـــور" عليهـــا، ثـــم استفســـرت: قلـــب الزفـــت، هـــو حصـــل إيـــه فـــي الكافيـــة؟ عشـــتن أنـــا مـــش فاهمـــة والحمـــدلله ان كلنـــا كويسين

أردفـــت "دعـــاء" بغمـــزة مـــاكرة: الحمـــدلله، بس عارفه إيه اللي حصل؟

قالت "بسملة" بلهفة: أنا اللي هحكيلها!

قاطعتها "جيهان": لأ، أنا اللي هحكي

أردفـــت "نـــور" بحـــدة: اخلصـــي يـــا زفتـــه أنتي وهي، حصل إيه؟

ردت "بسملة" باثارة وغمزة:

-حذر فذر، شفنا مين؟

هتفت "نور" بنفاذ صبر: أنتِ هتهزري؟ انطقي بدال ما أزعلك

أردفت "بسملة" وهي تصفعها على رأسها بخفة:

-الظابط اللي كل شوية نشوفه كان معنا في الكافية

ردت "نور" بلهفة وخوف: حصله حاجة؟!

نظر الجميع إليها بدهشة، مستغربين من رد فعلها، ولكن لم يعلق أحد، فتدخلت "جيهان" تقول بهدوء:

-لأ، محصلوش حاجة زي القرد وهو اللي فتح الباب و...

قاطعتهـــا "نـــور" وهـــي تتنهـــد براحـــة وقالت:

-الحمدلله و إيه؟

قالـــت "جيهـــان" بتعجـــب ممـــا حـــدث: كـــان خـــايف عليكـــي وشـــالك وطلـــع بيكـــي علـــى المستشـــفى فـــي عربيتـــه رغـــم أنـــه كـــان تعبان

ردت "نـــور" بعصـــبية: وانتـــوا كنتـــوا فـــين؟ سبتوا يأخدني يا واطين

ردت "دعـــاء" برفـــق: كلنـــا كنـــا تعبـــانين، ورحنـــا مـــع الاســـعاف لان محـــدش فينـــا كـــان واعي

أردفت "بسملة" بضجر:

-خـــلاص، اقفلـــوا الموضـــوع عشـــان بـــدأ يضايقني

ردت "نـــور" ســـاخرة: خـــلاص يـــا اختـــاه، ضيعوا علينا الخروجة ولد الذين

أيـــدتها "جيهـــان" بقولهـــا: اه واللهِ، كنـــت عـــايزة اشـــتري حاجـــة، وكـــدا مـــش هينفـــع نطلع غير الصبح

تـــدخلت "دعـــاء" تقـــوم بتـــذكيرهم: الصـــبح هتكوني عندي يا ماما، ولا نسيتوا؟!

أشـــارت "بســـملة" عليهـــا بضـــيق: بصـــوا البـــت مســـتعجله ازاي، احنـــا قـــايمين مـــن حدثه وكنا هنموت

ردت "دعاء" ببرود:

-بـــس محـــدش حصـــلوا حاجـــه، وحـــرام عليكم بقالي تلات سنين مستنيه

قالت "نور" بمشاكسة لكي تستفزها:

-لا احنا عايزين راحه يومين تلاته كدا، نأجل احنا مش مستعجلين

أردفت "جيهان" بمرح: فعلاً احنا ورانا إيه يعني؟ يستنى شوية، أنا تعبانة وعايزة انام يومين كده

ضحكت "بسملة" وهي تقول: وأنا كمان

ردت "دعاء" بعصبية: عارفه أنتِ وهي الساعة سبعة لو مشفتكمش قدامي هاجي اولع فيكم

ردت "نور" ساخرة: ليه رايحين نبيع لبن؟

أردفت "دعاء" بحدة: اه يا" نور"، وفكري تتأخري دقيقة واحدة

قالت "جيهان" بضيق:

-طيـــــب وبالنســـــبة أن بكـــــرة اجازتنـــــا، وبنصحى عشرة، نعمل إيه؟

هتفـــت "دعـــاء" بســـخرية: اعملـــي جمعيـــة، واياكي تتأخري

ردت "بســـملة" بجديـــة: خـــلاص يـــاعم بنهـــزر، هنيجـــي بـــس أكيـــد مـــش ســـبعة، ولا إيه يا بنات؟

أردفت "نور" و"جيهان": اشطا يا باشا

دخلت "ريهام" وهي تقول بمرح:

- فرقـــة المجـــانين أو الكـــوارث المتحركـــة بتعملوا إيه؟

ردت "نـــور" عليهـــا ببـــراءة: ولا حاجـــة احنا غلابه

ضحكت "ريهام" بسخرية وهي تقول:

-طب قولي لحد تاني ميعرفكمش، يلا جهزوا نفسكم عشان نمشي الدكتور سمحلكم بالخروج

ردت "دعاء" بعند وهي تنظر لهن بتحدي:

-حتى لو ما سمحش كنا هنخرج، ابقى تعالي يا "ريهام" بكره مع الزفته اختك

هزة "نور" رأسها برفض: لأ، محدش هيجي معي

ردت "ريهام" بضيق: غوري يابت، كده كدا مش هقدر اجي عشان جوزي حبيبي راجع من السفر بكره، وربنا يتملك على خير يا قلبي

كلهم في نفسك اللحظة: آمين

مـــر الليـــل مـــرور الكـــرام علـــى فرقـــة المجـانين، ولكـن لـم يكـن علـى مـا يـرام لـ "أشـــرف" الـــذي ظـــل شـــاردًا طـــوال الليـــل وهـــو يفكـــر فيمـــا حـــدث واســـتطع بعـــد ســـاعات معرفـــة مـــن فعـــل هـــذا ولكـــن مـــا يشـــغل تفكيـــره الآن، هـــي كيـــف حالهـــا الآن؟ منـــذُ تركهـــا نائمـــة وهـــو يتخيلهـــا أمامـــه ويريـــد الاطمئنـــان عليهـــا ولكـــن كيـــف؟ وهـــا هـــو يأخـــذ قـــرار فـــي شـــيئًا هـــام ويجـــب فعلـــه في أسرع وقت.

امـــا "تـــامر" فهـــو كعادتـــه يتحـــدث مـــع الفتيـــات طـــوال الليـــل ولكـــن مـــن حـــين لأخـــر تظهـــر تلـــك القطـــة المزعجـــة كمـــا اطلـــق عليهـــا أمامـــه ويريـــدها وبشـــدة فهـــي الفتـــاة الوحيـــدة التـــي لـــم تعجـــب بـــه مـــن النظـــرة

الأولى لأنه حقًا شابًا وسيم وجذاب ولكن ما يفيد الشكل والاخلاق سيئة.

و"فارس" كان ينظر من حين لآخر إلى الساعة يتمنى تشرق الشمس عاجلًا لتقربه من محبوبته الهادئة التي لا تنتمي أبدًا لاصدقائها ولكن يوجد شيء يجمعهم وهو نقاء قلوبهم.... تذكر لقائه بها في المشفى كيف كانت تبتسم بخجل أمامه؟ خجلها وحيائها يجعله يفقد السيطرة على قلبه ويود أن يسجنها داخله لكي لا يراها أحد غيرة.

اما "إبراهيم" فهو معجب بها وبجراتها وبحبها لـ "رحيم" ولذلك قرر أن يكون زواجه منها كاملًا ولن يسمح لها ان

تطلب الطلاق فهي و"رحيم" سيصبحون حياته بعد ايام بإذن الله

***

في الصباح

«الصباح لا يتغيّر.. ولكن كل يوم يأتي بشكل أجمل.. عطّر الله صباحكم برضاه»

"في منزل دعاء"

قالت "دعاء" بغضب وهي تفتح باب منزلها:

-أنتِ يا زفته منك ليها، قلت تيجوا سبعة مش عشرة، وكمان برن عليكم مش بترود، ومع بعض ازاي بقى؟

ردت "نور" بضجر: ياستي دخلينا الأول، هو في حد بيكلم حد على الباب

وضـــعت "دعـــاء" فـــي خصـــرها وقالـــت:

ايوه في أنا

دفعتهـــا "نـــور" برفـــق مـــن أمـــام البـــاب لتـــدخل وخلفهـــا "بســـملة" و"جيهـــان"، ليقول والدها ببسمة:

-عاملين إيه يا بنات؟

ردت "جيهـــان" برقـــة نـــادر أن تظهـــر عليها:

-الحمدلله يا عمو

قالـــت "نـــور" بتـــذمر وهـــي تشـــير علـــى "دعاء":

-شـــايف بنتـــك يـــا عمـــو مـــش راضـــيه تـــدخلنا بيتها

ردت "مصـــطفى" بطيبـــه: ده بيـــتكم زي مـــا هو بيتها

شاكستها "نور" وهي تخرج لها لسانها، فقالت "بسملة":

-بس طيب، يلا ندخل جوه عشان ورانا حاجات كتير

وأخيراً لاحظت "دعاء" الحقائب التي يحملوها فتسألت بتعجب:

-إيه اللي في ايدكم ده؟

ردت "بسملة"وهي تتحرك لداخل: تعالي بس ندخل جوه وهتعرفي

حينما ولجت لداخل غرفتها فتحت" نور" الحقيبة الأولى واخرجت منها فستان ازرق جميل للغاية "بلون دعاء المفضل"، فنظرت لها بابتسامة وتسألت:

-إيه رايك؟

ردت "دعـــاء" بإعجـــاب: حلـــو اووي، بـــس أنـــتِ هتلبســـي ده ليـــه هـــو هيشـــوفني أنـــا مـــش أنـــتِ؟ ومفـــيش حـــد يعـــرف أن "فـــارس" جـــاي يتقـــدملي غيـــركم وعمتـــي يبقى هتلبسي ده ليه؟

ردت "نـــور" بهـــدوء: ومـــين قـــال أن ده بتاعي اصلا؟

تســـألت "دعـــاء" باســـتغراب: امـــال بتـــاع مين؟

أردفت "نور" بحب: بتاعك أنتِ

لـــم تفهـــم "دعـــاء" أو حاولـــت أن تـــرفض الفكرة التي وصلتها:

-ازاي؟

قالـــت "نـــور" بمـــرح: أي يـــا "دودو" دانتي أذكى واحدة فينا، هدية مني ليكي

ردت "دعـــاء" بجديـــة وضـــيب: ومـــين قـــال إنـــي محتاجـــة حاجـــة؟ شـــكرًا يـــا "نـــور" بـــس أنا عندي فساتين

أقتربـــت منهـــا "نـــور" وقالـــت بلطـــف لعلمهـــا بحساسية الموقف:

-إيـــــه يـــــا "دودو" اللـــــي بتقوليـــــه دا؟ اولًا عارفـــة انـــك مـــش محتاجـــة حاجـــة، ثانيًـــا دا هديـــة، ثالثًـــا هتاخديـــة غصـــب عنـــك لأنـــي زيـــي زي "رحمـــة" أختـــك، ولا احنـــا مـــش أصحاب واخوات زي مابتقولي

عانقتهـــا "دعـــاء" وبكـــت بشـــدة فيشـــهد الله مكـــانتهم فـــي قلبهـــا فحبهـــا لهـــم يفـــوق قمـــم الجبـــال فهـــم دائمًـــا بجانبهـــا فـــي أي وقـــت فهـــم أكثـــر مـــن اخـــوه، فـــ "دعـــاء" حالتهـــا الماديـــة لا تســـمح لهـــا بشـــراء مـــا تريـــد

وكانت تفكر منذ أمس ماذا ترتدي عندما يأتي "فارس"؟ ولكن كانت تعلم أن واحدة منهم ستأتي بفستان من عندها لترتدية ولكن المفاجأة ان الفستان لم يمسه أحد قبلها إذن هذا ما جعلهم يتأخرون

اقتربت منهم "بسملة" وهي تبكي بصمت، تراقبهم وتعلم فيما تفكر كل واحدة منهم، وتتمنى لهم السعادة.

قطعت "جيهان" الصمت قائلة بضيق:

-"خلاص بقى! بطلوا نكد وتعالي شوفي هديتي... يا رب تعجبك."

رفعت "نور" يدها لتزيل دموعها بأناملها، قائلة بتحدٍ:

-"يا رب ما تعجبها حاجة غير هديتي!"

نظـــرت إليهـــا "بســـملة" بغضـــب مصـــطنع وردّت:

-"اصمتِ أيتها البلهاء."

ابتسمت "نور" بخبث وقالت:

-"بل أنتِ البلهاء، عزيزتي."

تـــدخّلت "جيهـــان" بلهجـــة صـــارمة وهـــي تضع يدها على خصرها:

-"اصـــمتوا أيهـــا الحمقـــى! فهـــديتي هـــي التي ستنال إعجابها."

لـــم تتـــأخر "بســـملة" عـــن الـــرد، ورفعـــت حاجبها بتحدٍ:

-"بل هديتي يا فتاة!"

ردّت "نور" بحماس:

-"بل أنا!"

صاحت "جيهان" وهي تلوّح بيديها:

-"بل أنا!"

حسمت "دعاء" النقاش بنفاد صبر، وهي ترفع صوتها لتسيطر على الموقف:

-"حقًا، أنتم جميعًا حمقى! أريد أن تصمتوا جميعًا! فأنا من سيقرر من هي صاحبة أفضل هدية."

في تلك اللحظة، ولجت "رحمة" إلى الغرفة، وتفاجأت بالمشهد الذي أمامها. لم تستطع أن تتمالك نفسها وانفجرت بالضحك بصوت عالٍ. سرعان ما شاركها الجميع الضحك، لتحوّل الأجواء إلى مرح.

قالت "نور" وهي تضحك بصوت عالٍ:

-"آهي افتكرتنا مجانين!"

ردّت "رحمة" وهي تمسك بطنها من شدة الضحك:

-"حسيت إني مشغّلة حلقة من غامبول!"

علّقت "نور" بابتسامة:

-"الحمد لله إنها جات في غامبول!"

تنهدت "بسملة" وهي تمسح على رأسها وكأنها تحاول جمعهم مجددًا:

-"طيب يلا نشوف ورانا إيه؟"

أعلنت "نور" بحماس وهي ترفع يدها:

-"أنا هغني وأنتم تشتغلوا... اتفقنا؟"

ردّت "جيهان" بسرعة وهي تضع يديها على رأسها وكأنها لا تريد سماع صوتها:

-"لا يـــا مامـــا! كلنـــا هنشـــتغل فـــي البيـــت سوا!"

وهكـــذا، بـــدأوا حملـــة تنظيـــف المنـــزل، إعـــداد الطعـــام، وتجهيـــز العـــروس. لـــم يخلـــو اليـــوم مـــن مشاكســـة "نـــور"، غنائهـــا بصـــوت مـــزعج، وثقتهـــا الزائـــدة وكأنهـــا ابنـــة مايكـــل جاكســـون، ممـــا أضـــفى علـــى العمـــل جـــوًا من المرح والضحك المستمر.

***

كـــان يقـــود دراجتـــه الناريـــة الخاصـــة بعمـــل الـــدلفري يســـير فـــي حـــواري المدينـــة لينحـــرف فـــي طريـــق مختصـــر ولكـــن ســـرعته كمـــا هـــي ليجـــد امامـــه فتاتـــان يخرجـــان مـــن إحـــدى المنـــازل ليحـــاول تفـــادي الموقـــف فلـــم يســـتطع لتنقلـــب

الدراجة به وداخله يحمد الله أن الفتاة لم يمسها سوء... اعتدل في جلسته ليقف ويرفع الدراجة ليرى الفتيات مازالو كما هم، ليتنحنح باحراج: والله مكنش قصدي.

لتجيب أحدهما برسمية: ولا يهمك أنت كويس؟

رد عليها وهو يتحاشى النظر لهم:

-الحمدلله وبجد أسف مكنش ينفع امشي بالسرعة دي

اجابت عليه نفس الفتاة: حصل خير

وغادرو من أمامه حاول تحاشي النظر لهم بقدر الإمكان ولكن فشل لينظر لهم بإبتسامة ويرحل وهو يستغفر الله على ما فعله

سـارت الفتاتـان فـي طـريقهم لتتسـأل أحدهم بتعجب:

-فـي أي يـا "ديـالا" مالـك سـاكته ليـه مـن الصبح؟

وقبـل أن تـرد عليهـا ارتفـع رنـين هاتفهـا لتجيب بمرح:

-"تيمو" واحشني يا راجل

*****

الفصل التاسع

♡ عـــزة الـــنفس أن تعـــيش دور المكتفـــي مـــن كـــل شـــيء ولـــو كنـــت بـــأمس الحاجـــة لـــه وأن لا تطلـــب الشـــيء مـــرتين إلا مـــن الله وحـــده، ولا تطـــرق بـــاب أغلـــق فـــي وجهـــك يومـــاً مـــا، بـــاب غيـــر بـــاب الله، فـــلا يوجـــد شـــيء يســـتحق أن يطـــرق أكثـــر مـــن مـــرة إلا الرجوع إلى الله♡

***

"في منزل تامر"

هـذا المنـزل أبسـط مـا يقـال عنـه جنـة علـى الأرض، فســـتكون لهـــا حظًـــا رائـــع مـــن ســـتحيا هنـــا داخـــل هـــذا المنـــزل الـــذي يوجـــد بـــهِ الهـــدوء والســـكينة وأصـــوات القـــرآن التـــي ترتـــل مـــن كـــل الغـــرف بخشـــوع تجعلـــك تبكي حينما تسمع هذه الأصوات الرائعة.

ولكن مهلًا ليس كل من في المنزل هكذا.

يدخل المنزل بطالته الرائعة ليرى الملاك الصغيرة تخطوا الدرج بهدوء فيذهب إليها بابتسامة هادئة فهي رغم كل شيء بريئة لدرجة مهلكة، وقف امامها يتسأل بتعجب:

-رايحة فين؟

ردت "ديالا" بإبتسامة ساحرة: رايحة الدرس يا "تيمو"

نظر "تامر" لساعة يده وقال: أنتِ مش كنتِ في الدرس من ساعة

هتفت "ديالا" بمرح: ايون ايون ده درس تاني... ثانوية عامة بقى مطلعة عيني ياخويا

ابتسم لها بمشاكسة ثم نظر إليها من أعلى إلى أسفل وتحدث باشمزاز:

-رايحه كدا

نظرت "ديالا" لنفسها بعدم فهم وقالت:

-كده اللي هو أزاي يعني؟

رد "تامر" ساخرًا: دي منظر بنت عندها ١٩ سنة دا اللي يشوفك كده يقول عندك ١٠٠ سنة

كانت ترتدي فستان فضفاض يصل إلى الأرض وخمار بنفس اللون والوانهم هادئة وبشرتها سمراء ونقيه وخالية من أي مساحيق تجميل، وقالت "ديالا" بتعجب:

-وأنت عايزني اعمل إيه عشان اثبتلك أني عندي ١٩ مش ١٠٠

أردف "تامر" بضيق: البسي زي البنات اللي في سنك مش القرف اللي أنتِ لبساه ده، ناقص تيجي يوم وتقولي عايزة البس البتاع اللي يخوف ده "يقصد النقاب"

أبتسمت "ديالا" وقالت بشوق لتلك اللحظة:

-والله نفسي، بس ماما اللي مش راضية بس متقلقش هقنعها إن شاء الله

رد "تامر" بعصبية: دا مستحيل، ويلا اطلعي غيري والبسي حاجة زي الناس عشان هروح اوصلك

وقبل ان تتحدث قاطعة صوت غاضب يأتي من خلف ظهره، لتظهر ابتسامتها على وجهها:

-عـــايز تخلـــي بنتـــي تغيـــر لبســـها الواســـع وتلـــــبس لـــــبس اســـــتغفر الله زي اللـــــي بيعجبك

رد "تـــامر" علـــى والـــده بهـــدوء: يـــا حـــج هـــي لســـه صـــغيرة علـــى اللـــي هـــي عمـــلا فـــي نفسها ده

حـــدق فيـــه "حســـني" بســـخرية: عنـــدها ١٩ ســـنة وصـــغيرة، وهتكبـــر امتـــى لمـــا تكمـــل خمســـين؟ وبعـــدين مـــش ربنـــا أمـــر أن لـــبس المـــــرأة ألا يصـــــف وألا يشـــــف، ولا أنـــــت نسيت دينك يا أستاذ يا محترم

قال "تامر": بس يا...

قاطعـــة" حســـني" بحـــدة وشـــر: مبســـش ملكش دعوة ببنتي أنت فاهم

-في ايه يا حسني مالك صوتك عالي كدا ليه؟

كان ذلك صوت زوجته، فرد "حسني" بهدوء:

-مفيش يا ام كريم حضري الغداء

ردت "عايدة" بطبيتها المعهودة: حاضر

وذهبت تلك المرأة الهادئة الطيبة التي تجاوزت العقد الرابع من عمرها، فهي كالبلسم أخت عظيمة وزوجة صالحة وأم حنونه فهذه هي المرأة المسلمة الذي يقال عنها حفيدة خديجة وعائشة رضي الله عنهما، تقدمت "ديالا" بخطوات هادئة من أبيها وقبلت يده، وهو أبتسم وعانقها بحب طفلته الصغيرة ملاكه

البريـــئ التـــي يتمنـــى ان يكـــون قـــدرها كنقـــاء قلبها، رد "حسني" بحنو:

-يلا روحي يا حبيبتي عشان متتأخريش

أبتسمت "ديالا" له وقالت: حاضر يا بابا

ثـــم وجهـــت حـــديثها لشـــقيقها: "تـــامر" مـــش هينفـــــع توصـــــلني عشـــــان رايحـــــه أنـــــا و"لمار"

رد "تامر" بضيق: طيب، فين عمتو؟

أشار "حسني" للاعلى: فوق

غـــادرت "ديـــالا" المنـــزل وصـــعد "تـــامر" للأعلى وهو يهتف بنبرة عالية:

-عمتو يا عمتو

تنهـــد "حســـني" بقلـــة حيلهـــا وهـــو يـــردد: والله محـــدش خـــلاك كـــده غيرهـــا، ربنـــا يهديك ويصلح حالك يا بني

"في منزل أشرف"

جلس "أشرف" بجانب ابنه وهو يضع قماشة بيضاء على جبينه لتنخفض الحرارة، فولجت أمه لداخل وقالت بقلق:

-قوم يا "أشرف" ناملك شوية انت راجع من الشغل تعبان وأنا هخلي بالي منه

رد "أشرف" بهدوء: أنا يمكن اسافر بكرة عندي شغل ومش عارف هرجع امتى، خلي بالك منه ومن نفسك يا ماما ولو أحتاجتي حاجة ولا "مازن" تعب أتصلي بـ "إبراهيم" هيجي على طول

ربتت "منى" على يده وهي تقول: خلي بالك من نفسك، ومتشغلش بالك بينا واتصل بي طمني عليك

رد "أشـــرف" عليهـــا وهـــو يـــنهض لكـــي يتجهز للخروج:

-سبيها على الله

وبعـــد دقـــائق خـــرج "أشـــرف" مـــن المنـــزل بعـــد ارتدائـــه لســـروال بـــالوان الأســـود وجاكـــت جلـــد أســـود وهـــو يســـير بكبريـــاء وغـــرور إلـــى أن وصـــل لســـيارة فقـــاد بســـرعته المعتـــادة إلـــى ان توقـــف أمـــام المقـــر وتوجـــه إلـــى مكتبـــة واثنـــاء ذهابـــه توقـــف امامـــه عســـكري بـــأحترام وادى التحية وهو يقول:

-اللواء طالب يشوف سيادتك

رد "أشـــرف" وهـــو يتحـــرك مـــن أمامـــه: تمام

وذهب إلى مكتب اللواء طرق العسكري الباب ودخل هو بكل شموخ وكبرياء وقال باحترام:

-حضرتك طلبتني

أشار له اللواء بجدية: اتفضل أقعد يا سيادة المقدم

جلس "أشرف" وأنتظر أن يتحدث اللواء ولكن ظل صامتٍ فقطع هو الصمت:

-هو في إيه يا فندم؟

اللواء: جاتنا معلومات عن مجموعات إرهابية بتدخل الجامعة وبيضحكوا على الطلاب باسم الدين عشان ينضموا ليهم ومش بس الشباب لا وكمان البنات بيستغلوهم اسوء إستغلال ويبعتولهم

بنـــات تضـــحك علـــيهم وتحكـــيلهم عـــن جهـــاد النكـــــاح وفضـــــلة عشـــــان يحللـــــوا اللـــــي بيعملـــــوا والشـــــباب مـــــن كتـــــر حماســـــهم بيصدقوا

هتـــــف "أشـــــرف" بغضـــــب: لدرجـــــة دي الشباب بقيت اغبية

اللـــــــــواء: وأكتـــــــــر دول بيقولـــــــــولهم أن التلفزيـــون حـــرام والتكنولوجيـــا وفـــي بنـــت ابوهـــا طردهـــا مـــن البيـــت بســـبب أنهـــا اتخانقـــت معـــاه عشـــان أمهـــا كانـــت قاعـــدة مـــع ابوهـــا بيســـمعوا مـــاتش بتقولـــه ازاي ســـايب مراتـــك تتفـــرج علـــى الرجالـــة وأنـــت قاعـــد ملكـــش لازمـــه وهـــي حاليًـــا فـــي المستشـــفى بســـبب أن ابوهـــا وقعهـــا علـــى

السلم بالغلط ودي هي اللي هتوصلنا للجماعة

استفسر "أشرف" بتعجب: طيب ازاي شباب جامعية يصدقوا كلام زي ده؟

اللواء: حب الدين بيتولد معانا والشباب بيكون واخدهم الحماس للجهاد في سبيل الله وهما بيستغلوا دا وبيكونوا فاكرين أن اللي بيعملوا ده صح

تنهد "أشرف" وهو يقول: والمطلوب مني

اللواء: أنت هتسافر ومعاك "باسل" بصفتكم من ضمن الشباب اللي هتهرب وتبقى فرد من المجموعة وتعرف مين بيساعدهم هنا و"أحمد" هيتواصل مع

البنت بطريقة غير مباشرة وأي معلومة هيعرفها هيتواصل معاك

قال "أشرف" بجدية: تمام يا فندم بس أنا كان عندي مهمة...

قاطعة اللواء: عارف، هيسافر مكانك "حسين"

تسأل "أشرف" عن الموعد: تمام، السفر امتى؟

وضع اللواء امامه ملف: الملف ده فيه كل المعلومات اللي هتحتاجها وكمان جواز سفر باسم مستعار

نهض "أشرف" ثم أدى التحية العسكرية وقال: تمام يا فندم

وغادر المكتب وارسل رسالة لـ "ياسين" أنه لا يستطيع السفر مكانه

لمهمة عاجلة، ودخل إلى مكتبة ليدرس القضية الموكل بها

"في منزل دعاء"

كانت "دعاء" تجلس بجوار والدها "مصطفى"، واضعةً رأسها أرضًا بخجلٍ شديد. أمامهما كان يجلس "فارس" بصحبة والده ووالدته، بينما الفتيات يختبئن خلف الباب، يتنصتن بحماس على ما يحدث.

تحدث "فارس" باحترام شديد مع "مصطفى" قائلًا:

-كدا يا عمي، حضرتك عرفت كل حاجة عني، بتمنى توافق.

نظر "مصطفى" إليه بابتسامة خفيفة وقال:

-ده شـــرف ليـــا إنـــي أناســـبك، بـــس الـــرأي الأول والأخير هو رأي دعاء.

تحولـــت الأنظـــار نحـــو "دعـــاء"، التـــي خجلت بشدة وظلت صامتة.

عاد "مصطفى" ليكرر سؤاله برفق:

-إيه رأيك يا دعاء؟

وفجـــأة، اقتحمـــت "نـــور" المكـــان كـــالبرق وقالت بحماس:

-موافقة طبعًا يا عمي! هو في كلام؟!

نظـــرت والـــدة "فـــارس"، "روبـــين"، إليهـــا بضيق وقالت:

-هو أنتِ العروسة ولا هي؟

ردت "نور" بمرح:

-أنا وهي واحد.

لكـــن "دعـــاء" لـــم تتحـــرك ولـــم تـــرد، ممـــا أثـــار اســـتياء "روبـــين"، التـــي كانـــت تشـــعر أنـها أجبرت على الحضور.

قالت "روبين" بضيق:

-خـــلاص ســـبوها تفكـــر ويـــردوا علينـــا بعدين.

نظـــر "فـــارس" إلـــى "دعـــاء" بحـــزن، يتمنـــى أن تكســـر صـــمتها وتـــرد. عنـــدها، اقتربـــت "نـــور" مـــن "دعـــاء" وهمســـت لهـــا بغضب مكتوم:

-ردي يـــا بـــت الفرطـــوس، وإلا هخلـــي يومـــك أســـود زي وشـــك! هتمـــوتي عليـــه وعملالي مكسوفة!

ثم ضربتها فوق رأسها.

بعد لحظات من الصمت، وأمام نظرات الجميع، تجرأت "دعاء" وردت بخجل:

-اللي تشوفه يا بابا... أنا موافقة عليه.

ارتسمت السعادة على وجوه الجميع باستثناء "روبين"، التي لم تكن راضية تمامًا.

قال "مصطفى" بحماس:

-"طيب على بركة الله... نقرأ الفاتحة."

لكن فجأة، دوى صوت "نور" مجددًا:

-لا! الفاتحة لا!

استدار "فارس" نحوها بحدة غير مقصودة:

-لا ليه؟!

أجابت "نور" بجدية:

-لأن قـــراءة الفاتحـــة بدعـــة، وأيـــام النبـــي والصـــحابة كانـــت الخطوبـــة مـــن غيـــر حاجـــة اســـمها قرايـــة فاتحـــة. ولا إيـــه يـــا شـــيخة دعاء؟

أومأت "دعاء" موافقة بخجل:

-نور معها حق.

سأل "فارس" بنبرة متعجبة:

-والمطلوب يا أستاذة نورهان؟

ردت "نور" بفرحة شديدة:

-نتفـــق النهـــاردة علـــى كـــل حاجـــة، وبكـــرة نجيب الشبكة ونجهز لكتب الكتاب.

نظـــر "فـــارس" إلـــى "مصـــطفى" بســـعادة وقد راق له الكلام:

-إيه رأيك يا عمي؟ أنا موافق.

اعترضت "روبين" قائلة:

-كـــده اســـتعجال، حتـــى البنـــت مفكـــرتش ولا عطتوها فرصة تفكر.

قاطعتها "نور" بنبرة عملية:

-خير البر عاجله يا خالتي.

ثـــم صـــرخت بصـــوت عـــالٍ: زغرطـــي يـــا بـــت يا بسملة!

وبالفعـــــل، انطلقـــــت "بســـــملة" بالزغاريـــــد، وبـــدأت البهجـــة تعـــم المكـــان. وافـــق والـــد فـــارس علـــى العشـــاء بعـــد إصـــرار شـــديد مـــن "مصـــــطفى"، واتجهـــــت الفتيـــــات لتجهيـــــز الطعام.

بعـــد العشـــاء، جـــاء الوقـــت المنتظـــر: جلـــوس "فـــارس ودعـــاء" معًـــا. خـــرج الجميـــع مـــن غرفـــة الســـفرة، لكـــن... بـــالطبع، لـــم تتـــرك

"نـــور" اللحظـــة تضـــيع. جلســـت معهـــم ببساطة، وكأن وجودها طبيعي تمامًا.

قـــال "فـــارس"، وهـــو ينظـــر إلـــى" دعـــاء" بحب:

-إيـــه يـــا دودو؟ مـــش موافقـــة ولا إيـــه؟ ساكتة من الصبح.

ردت "نور" سريعًا بمرح:

-إحنـــا هنهـــرّج؟ مـــا أنـــت عـــارف إنهـــا موافقة، هي بس مكسوفة.

قـــال "فـــارس" بغـــيظ وهـــو ينظـــر نحـــو "نور":

-أنا بكلمها هي، مش أنتِ.

نظـرت "نـور" لـه بتـذمر ثـم صـمتت. لكـن "دعاء" بقيت خجلة تهمس أخيرًا:

-أكيد موافقة، بس مش متعودة أتكلم مع حضرتك.

شهقت "نور" بصدمة مصطنعة:

-حضرتك مين يا بت المستخبي؟ داحنا دفنينه سوا!

نظرت "دعاء" إليها بصدمة وهمست لها بغضب مكبوت:

-هتفضحيني يخرب بيتك! ماشي يا نور الكلب، لما يمشي هوريكي.

تحركت "نور" خارج الغرفة، فبتسم "فارس" بخفة وقال لها:

-سيبك منها يا دودو... أنا عايز أقولك حاجة.

تحاشت "دعاء" النظر إليه وسط نظراته التي كانت تلتهمها بصمت، وسألته بخجل:

-حاجة إيه؟

أجاب "فارس" وهو يبتسم:

-دودو، أنا بـ...

لكن صوته قُطع فجأة عندما عادت "نور"، ومعها "الدعم". اقتحمت "جيهان" الغرفة وقالت بسخرية:

-بتحبها، كلنا عارفين يا دكتور إنك بتحبها، وهي متنيلة على عينها بتحبك، إيه الجديد؟ كله عارف ما عدا عم الحج مصطفى.

نفخ "فارس" بضيق ونظر نحو "دعاء" مجددًا وهو يحاول استجماع أفكاره.

لكن، بالطبع، الفتيات لم يتركن الفرصة ليمر هذا المشهد بسلام. جلسن جميعًا على الأرض وكأنهن يشاهدن فيلمًا رومانسيًا، بينما "دعاء" تحاول كتم ضحكتها من عبث صديقاتها.

بدأت "دعاء" تشعر بالإحراج أكثر، بينما كانت عينا "فارس" مثبتتين عليها بابتسامة دافئة. كانت تريد الهروب من الموقف، لكن "نور" وأصدقائها جعلوا كل شيء أكثر صعوبة.

هكذا، استمرت الأجواء بين خجل "دعاء"، حماس" فارس"، وعبث "نور" وصديقاتها. أما "فارس"، فقد وجد نفسه مضطرًا لمواصلة معركة

"الاعتـــراف" فـــي ظـــل حضـــور جمهـــور غريب الأطوار.

قـــال "فـــارس" وهـــو يحـــاول لفـــت انتباههـــا مجددًا:

-وكـــأن عينيـــكِ وُلـــدتا مـــن خضـــرة الغابـــات فـــي مغيـــب الشـــمس، ليكتمـــل الســـحر علـــى بشـــرتك الســـمراء فتُشـــبهين لوحـــة رســـمتها الطبيعة بإتقان.

وقبـــل أن تُظهـــر "دعـــاء" أي رد فعـــل، انطلقت "نور" بضيق، مقاطعة كلامه:

-بـــالله عليـــك أتكلـــم بـــالعربي! عشـــان مـــش فاهمة ولا كلمة!

نظـــرت "جيهـــان" إليـــه ببـــرود وســـخرت قائلة:

-"فـــاكر نفســـه محمـــود درويـــش؟ مقـــدرش يقولهـــا: أنـــا بحبـــك يابـــت يـــا نوســـه، زي اللمبي. عامل فيها شاعر!

صـــفعت "نـــور"، "بســـملة" علـــى رأســـها وهي تتسأل: بتبصي على إيه؟

ضـــحكت "بســـملة" وهـــي تنظـــر لـــلأرض قائلة:

-"أنـــا بشـــوف الترجمـــة! مـــش هـــي بتبقـــى تحت؟"

هـــذه المـــرة، لـــم تســـتطع "دعـــاء" أن تتمالـــك نفســـها، فســـقطت بجـــانبهن وهـــي تضـــحك بشـــدة. أمـــا "فـــارس"، الـــذي نفـــد صـــبره تمامًـــا، نظـــر إلـــيهن جميعًـــا بضـــيق ثـــم نهض وهو يقول بحسم:

-"أنا مش هقعد معاكم ثانية واحدة! إنتو مجموعة مجانين!"

خرج "فارس" من الغرفة غاضبًا، تاركًا الفتيات يضحكن بشكل هستيري. كانت "نور" تقهقه وهي تقول:

-حلوة قوي! هو افتكر نفسه في فيلم رومانسي، وطلعنا إحنا بنهزر!

نظرت "دعاء" نحو الباب الذي خرج منه "فارس"، ثم قالت بهدوء وهي تحاول كبح ضحكتها:

-كدا زعل يا نور.

قالت "جيهان" بتهكم:

-ما هو ده اللي عايزاه؟

لكن "نور" لم تسكت وأضافت بحماس:

-عادي عادي، بكرة يتعود على جنانا.

وصـــدقيني يـــا دعـــاء، فـــارس دا مـــش هيسيبك قبل ما يجيب آخرك!

ثـم وضـعت يـدها علـى رأس "دعـاء" قائلـة بمكر:

-والله لأجهـز لـك خطـة عشـان تقـولي لـه أنا بحبك وتريحينا!

ضحكت "بسملة" وهي تضيف:

-وإحنا نقف نهتف من بعيد... تمام؟

كانـت "دعـاء' تحـاول كـتم ضـحكتها، لكنهـا لـم تسـتطع، فأشـاحت بوجههـا بعيـدًا عـنهن حتـى لا يزيـد الأمـر سـوءًا. أمـا فـي الخـارج، كـان "فـارس" يقـف مـع والـده الذي لاحظ توتره.

سأل والده بابتسامة خفيفة:

-مالك يا فارس؟ إيه اللي مضايقك؟

أجابه "فارس" وهو ينفخ بضيق:

-مجموعة مجانين يا بابا! أنا مش عارف أتعامل معهم. وبعدين دعاء... مش عارف أطلع منها كلمة واحدة!

ضحك الأب بخفّة قائلاً:

-هدي نفسك يا بني. هي البنت خجولة، وأكيد مع الوقت هتتكلم معاك براحتها.

نظر "فارس" نحو الباب مجددًا ثم تمتم لنفسه بابتسامة صغيرة:

-بكرة تشوفي يا دودو، أنا مش هسيبك غير لما تردي عليّ زي ما أنا عايز.

وهكذا، انتهى اليوم وسط أجواء من البهجة والمرح، حيث ظل "فارس" عالقًا بين إعجابه بدعاء وجنون صديقاتها، بينما الفتيات و"نور"

بالتحديد لن يتركن الأمور تمر مرور الكرام.

ولكن، يا ترى، ما الذي سيحدث في اللقاء القادم؟ وهل ستتغلب دعاء على خجلها؟

***

"في المشفى التي يعمل بها إبراهيم"

جلست على المقعد أمام رفيقتها بكبرياء وغرور تستمع لها بصمت إلى ان قاطعة حديثها بغضب:

-"مي" آخر مرة هسمحلك تفتحي الموضوع ده أنتِ سامعة

ردت "مي" بهدوء: في إيه يا "هاجر"؟ لازم ترجعي لجوزك عشان ابنك على الأقل

قالت "هاجر" ببرود: تصحيح طليقي يا روحي ، وأنا مش عشان ابني ارجع لواحد زي ده... كمان متقلقيش هتجوز قريب

تغاضت عن الجزء الأخير وردت على الأول:

- امال عشان إيه؟ ممكن ترجعيله شفتي حالة ابنك عاملة ازاي؟

صمتت "هاجر" لبضع ثواني لكي تتحمل ألم قلبها لا تريد أن يراها أحد ضعيفة:

-شفته ... وعارفة كويس ان كدا أفضل ليه؟ شويه وهيرجع لحضني، وبكره هيشكرني اني اطلقت من واحد زي أبوه، كان هيدمر بجد لو عاش بينا

أردفت "مي": بس على الأقل أفضل أنه يكون عايش وسط أبوه وامه مش عايش مع أبوه ومحروم من أمه أو العكس أنا جربت الشعور ده وصعب أوي على الطفل أنه يبعد عن حد فيهم

ردت عليها "هاجر" وقد عادت لبرودها:

-لا مش أفضل... إيه الأفضل في وجوده وسط صراع ملوش نهاية... انا شايفة كدا احسن على الأقل هيكون شخص قوي مش معتمد على حد وكمان عشان اقدر اتابع كل تصرفاته من بعيد واعرف اتعامل معاه ازاي

تنهدت "مي" وردت بلامبالاة: على العموم براحتك انتِ ادراى بمصلحة

ابنـــك... المهـــم قـــوليلي قصـــدك إيـــه بهتجـــوز قريب

صـــمتت تفكـــر قلـــيلًا لتـــرد ببســـاطة وهـــي تتناول قهوتها بتلذذ:

-هتجوز "إبراهيم".

نظرت لها"مي" بصدمة: ازاي؟

ردت "هاجر" بثقة:

-أنـــتِ عارفـــه أنـــه كـــان بيحبنـــي مـــن زمـــان هروح اقوله إني عايزة اتجوزة عادي

ضـــحكت "مـــي" بســـخرية: انـــتِ مجنونـــة صـــح... كـــان بيحبـــك زمـــان قبـــل مـــا ترفضـــية وتتجـــوزي... ثـــم إن ازاي تنزلـــي مـــن نفسك وتقولي لواحد تعالى اتجوزني

ردت "هاجر" بلامبالاة: عادي

نهضت "مي" من على مقعدها بضيق:

-مفيش فايدة من الكلام معاكِ

وقبـــل أن تغـــادر وقفـــت علـــى صـــوت صديقتها التي تتحدث بسخرية:

- "مـــي" متنســـيش تقـــولي لاخـــوكِ يخلـــي باله من إبني لحد ما يرجع لحضني

«كـــان المثـــل الشـــعبي الـــدارج يقـــول "تعـــرف فـــــلان؟ آه، عاشـــــرته؟ لاء، تبقـــــي متعرفـــوش" مـــا تحكمـــش علـــى حـــد بالظـــاهر، ســـمعته وهـــو بيـــتكلم عـــن نفســـه؟ عـــن ذكـــرى لـــه؟ عـــن مخاوفـــه؟ عـــن ظنونـــه؟ شـــاركك حتـــة مـــن روحـــه؟ مـــن أفكـــاره؟ بجـــد حـــرام نحكـــم علـــى بعـــض لمجـــرد أن احنـــا بنعـــرف نمثـــل كـــويس، احنـــا اتعودنـــا نخبـــي كـــل حاجـــة جوانـــا، كبريائنـــا وغرورنـــا بيخلينـــا نمنـــع نفســـنا مـــن الضـــعف قـــدام حـــد،

عشـــان كـــدا بـــلاش تحكمـــوا علـــى حـــد لمجـــرد صـــــمته المبـــــالغ فيـــــه أو تصـــــرف أنـــــت متعرفش سببه إيه»

***

الفصل العاشر

"لا تجبر أحدًا على الاهتمام بك أو السؤال عنك؛ فمن يحبك حقًا سيبحث عنك كما لو كان يبحث عن شيء ثمين ضاع منه. فالاهتمام صفة لا يمكن لأحد أن يتصنعها، فلا تحاول أن تجبر أحدًا على الاهتمام بك، فتصبح كمن يسقي شجرة صناعية وينتظر منها أن تثمر!"

***

ذهبت كل واحدة منهن إلى منزلها بعد قضاء يوم جميل ومتعب. فالسبت يوم إجازة، لكن "نور" كان لديها كورس، فذهبت بمفردها إلى السنتر. وأثناء ذهابها، توقفت سيارة أمامها فجأة، وخرج منها أحدهم ليجذبها بقوة إلى

داخل السيارة، لتنطلق بعدها بسرعة البرق.

كانت تسير في منزلها بخطوات راقصة وهي تغني بسعادة غامرة، تتمايل يمينًا ويسارًا وكأنها فراشة تتنقل بين الزهور.

اليوم كان رائعًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فصديقتها المقربة أخيرًا حصلت على حب حياتها الذي انتظرته لأكثر من ثلاث سنوات. لطالما دعت الله أن يجمع بينهما، واليوم استجاب الله لدعواتها وتمت خطبتهما على أكمل وجه.

في تلك الأثناء، كانت "جيهان" تردد بصوت عالٍ وهي تدور في أرجاء المنزل:

-"يـــا ليلـــة العيـــد آنســـتينا... وجـــدتي الأمـــل فينا... يا ليلة العيد!"

فجـــأة قاطعهـــا صـــوت والـــدها "عثمـــان" بحـــدة، وهـــو يطـــل عليهـــا مـــن بعيـــد بنظـــرة ساخرة:

-"عيـــد إيـــه يـــا بنـــت المجنونـــة؟ احنـــا فـــي أول السنة!"

توقفـــــت "جيهـــــان" للحظـــــة وابتســـــمت بمشاكسة قائلة:

-وإيـــه يعنـــي يـــا بابـــا؟ يعنـــي مغنـــيش ولا إيه؟

رد "عثمان" وهو يهز رأسه بضيق:

-لا، مـــا تغنـــيش... شـــوفي حاجـــة نافعـــة تعمليها بدل الرغي ده!

لـــم تفـــوت "جيهـــان" الفرصـــة لتمازحـــه مجـــددًا، فقالـــت بمـــرح وهـــي تضـــع يـــديها على خصرها:

-بابـــا هـــو أنـــا مـــرات أبـــوك وأنـــا مـــش عارفة؟ مالك مش طايقني ليه؟

نظـــر لهـــا "عثمـــان" بنظـــرة صـــارمة هـــذه المرة وقال:

-بـــس يـــا أم لســـان طويـــل، وتعـــالي... عايزك في موضوع مهم.

لحقـــت "جيهـــان" بوالـــدها بخطـــوات مرحـــة، واتخـــذت مكانهـــا بجـــواره علـــى الأريكـــة.

نظـــرت إليـــه بتفـــاؤل وابتســـامة لا تفـــارق وجهها وقالت بخفة دم:

-خير يا حج؟!

تجاهل "عثمان" طريقتها المرحة ونظر إليها بجدية وهو يقول:

-"محمد" بن عمك طالب إيدك.

ضحكت "جيهان" ساخرة وردت بسخرية طفولية:

-ليه؟ هو عايز إيدي يعمل بيها إيه؟ ما عنده اتنين... ولا هو طمع وخلاص!

ازدادت جدية "عثمان" هذه المرة وهو يكرر بصرامة:

-جيهان، مش بهزر.

تبدلت ملامح "جيهان" إلى الحزن، خفضت صوتها وهي تقول بحزم:

-ولا أنا يا بابا... أنت عارف رأيي في الموضوع ده.

حاول "عثمان" إقناعها بهدوء:

-بس ده ابن عمك، مهندس قد الدنيا، وعايزك... وأنا موافق لأني مش هلاقي أحسن من ابن أخويا لبنتي.

أخذت "جيهان" نفسًا عميقًا، وكأنها تحاول كبح مشاعرها. نظرت له بحزم وقالت:

-بغض النظر عن أنك مش هتلاقي أحسن منه، بس هو مغرور يا بابا. أنا مستحيل أوافق على واحد شايفنا كلنا أقل منه عشان دخل هندسة وأنا دخلت حقوق. ولو حضرتك موافق فده حقك، بس أنا مش موافقة. بعد إذنك يا بابا.

وقفت فجأة وغادرت المكان بخطوات مسرعة قبل أن يرد والدها. دخلت غرفتها وأغلقت الباب خلفها، وكأنها

تحاول الهروب من مواجهة غير مرغوبة. جلست على الأرض تحاول السيطرة على دموعها كي لا يراها أحد، لكن وحدتها سمحت لدموعها أن تنهمر بحرية.

تذكرت "جيهان" تلك الأيام الماضية، عندما ظهرت نتيجة الثانوية العامة وسخريته منها كانت قاسية كخنجر اخترق قلبها. تذكرت طفولتها معه، ذلك الحب الذي نما دون أن تشعر، لكنه تحول مع مرور الوقت إلى شيء يشبه اللامبالاة. كيف تحول "محمد" من شخص كانت تراه كل شيء إلى مجرد ذكرى مزعجة في حياتها بسبب غروره وكلماته القاسية؟

قطع سير أفكارها رنين هاتفها فجأة.

نظرت إلى الهاتف بارتباك، ومسحت دموعها سريعًا، ثم أجابت بصوت مرتجف:

-ألو؟

***

كانت "بسملة" تجلس على مكتبها تدرس بتركيز شديد. حتى الآن، لم يكن هناك ما يشغل تفكيرها سوى تحقيق حلمها بأن تصبح وكيل نيابة. كانت الأولى على دفعتها في الأعوام الماضية، وتطمح أن تكون الأولى في هذا العام أيضًا، ليصبح حلمها حقيقة ملموسة. كانت تراجع دروسها بهمة، مستمتعة

بشـــغفها بمـــا تفعلـــه، لكـــن فجـــأة قُطـــع تركيزها على طرقات الباب.

فـــردت "بســـملة" بابتســـامة: ادخلـــي يـــا ماما.

دخلـــت "حوريـــة" بهـــدوء، وهـــي تحمـــل بـــين يـــديها كوبًـــا مـــن العصـــير، وابتســـامة دافئـــة تـــزين وجههـــا. نظـــرت إلـــى ابنتهـــا بفخـــر، ثـــم جلســـت علـــى حافـــة المكتـــب بـــالقرب منهـــا، وضـــعت يـــدها علـــى كتـــف "بســـملة" بحنـــو، وقالت بلطف:

-حبيبتي، عاملة إيه؟

ردت "بســـملة" برضـــا: "بخيـــر الحمـــد لله، بابا فين؟

أردفـــت "حوريـــة: طلـــع بـــره... احكيلـــي، عملتي إيه عند "دعاء"؟

ابتسمت "بسملة" بتلقائية، وعادت بذاكرتها إلى اللقاء الذي جمعها بـ "دعاء" اليوم، وهي تتحدث عن التفاصيل بتفاؤل وحماسة. كانت "دعاء" صديقتها المقربة، وكانت دائمًا تملأ حياتها بالمغامرات والضحك.

ضحكت "حورية" وهي تقول:

-نور دي مشكلة.

فقالت "بسملة: رغم كل اللي بتعمله، بس طيبة خالص. عارفه يا ماما، كان نفسي يكون عندي أخت، بس بعد ما تعرفت عليهم، حمدت ربنا إنه استجاب لدعائي وبقي عندي تلاتة مش واحدة.

ربتت "حورية عليها وقالت: ربنا يسعدك ويفرحك يا قلبي، وأفرح بيكي.

ابتسمت "بسملة" وقالت بنبرة مرحة، تحاول أن تخفف من حدة اللحظة:

-كده ظلم! أنتِ بتدعي لبنت واحدة، وأنتِ عندك أربعة. وانجح وانجح! كملي يلا.

ضحكت "حورية" وقالت بلطف:

-ربنا ينجحكم وافرح بيكم ويسعدكم، وأشوفكم أحلى عرايس في الدنيا كلها! كده حلو.

احتضنت "بسملة" والدتها بحب، ولم تستطع منع ابتسامتها الواسعة وهي ترد:

-حلو يا حلو، أنتِ.

***

كانت الأجواء في المنزل تضج بالمرح، كما لو أن السعادة قد اجتمعت بين جدرانه. كانت "ديالا" تشع حيوية ونشاطًا، تدخل غرفته كالإعصار وهي تصيح بمرح، غير مبالية بما سيحدث.

"ديالا" بحماس وهي تهتف: تيمو... يا تيمو!

رفع "تامر" رأسه من على الوسادة بضيق واضح، وقد بدا النوم يسيطر عليه. قال بتذمر وهو ينظر لها بنصف عين:

-عايزة إيه؟

ابتسمت "ديالا" بخبث قبل أن ترد سريعًا:

-حذر فذر... عمتو عملت إيه؟

أجابها "تامر" من وسط نومه وكأنه يعرف السيناريو تمامًا:

-حطت مناكير في إيدها اليمين... صح؟

توقفت "ديالا" للحظة وهي تنظر له بدهشة، ثم انفجرت بالضحك بشدة.

كانت عمتها "إيمان" دائمة التذمر لعدم قدرتها على وضع طلاء الأظافر في يدها اليمنى.

فضحكت "ديالا" وقالت: لا... المرة دي عملت أكل وعايزة الكل ينزل يأكل!

اعتدل "تامر" فجأة وهو ينهض من على الفراش بفزع كمن سمع خبرًا مرعبًا وقال بخوف:

-لا... انسي! المرة اللي فاتت قعدت يومين في السرير! قوليلها "تامر" نام ولا مات... أي حاجة!

"ديالا" بضحكة خبيثة: عمتو هتزعل، وهي قالت كلكم لازم تاكلوا.

قال "تامر" بعد تنهيدة قصيرة وهو يستسلم لقلة الحيلة بعد أن رأى إصرارها:

-طيب... المرة دي عاملة أكل إيه؟

"ديالا" وهي تتصنع الجدية:

"مرضيتش تدخل حد المطبخ وقالت: مفاجأة!

اتسعت عينا "تامر" وقال بتهكم ساخر وهو يشير إلى الباب:

-ربنـــا يســـتر... هتصـــل بالإســـعاف وأجـــي وراكي!

ضـــحكت "ديـــالا" وهـــي تلـــوح لـــه بيـــدها قائلة:

-أوك، بس متتأخرش!

"تامر" ساخرًا: "طيب ياختي.

***

"في غرفة السفرة"

كـــان الجميـــع يجلـــس علـــى الطاولـــة بترقـــب، وهـــم يراقبـــون "إيمـــان" التـــي تقـــف بفخـــر أمامهم وتبتسم بثقة.

"إيمـــان" بابتســـامة عريضـــة: يـــلا الكـــل يبـــدأ بســـم الله... عملالكـــم بشـــاميل... أنمـــا أي عسل!

كانت "إيمان" شابة مرحة، نحيلة وطويلة، لم تتزوج بعد، لكنها وجدت في عائلتها كل حياتها ولم ترغب يومًا في تركهم.

تبادل الجميع النظرات في صمت؛ "حسني" وزوجته، "تامر" و"ديالا"، ثم "كريم" و"سلمى". بدا على وجوههم الشك والخوف من التجربة الجديدة.

"إيمان" بحزم: الكل يبدأ مع بعض!

"ديالا" وهي تهمس لتامر بمرح وخوف:

-اتصلت بالإسعاف ياض؟ المرة دي عايزانا ناكل مع بعض يعني موتة جماعية!

"تـــامر" وهـــو يغمـــز لهـــا: "واد... فـــي عينك! اتصلت ياختي!

حـــاول "كـــريم" أن ينقـــذ نفســـه مـــن الموقـــف وقـــال بنبـــرة رســـمية وهـــو ينظـــر لســـاعته:

-يـــا جماعـــة... أنـــا عنـــدي شـــغل ضـــروري فـــي المستشـــفى. مـــش هينفـــع أتـــأخر... دي أرواح ناس!

ردت "إيمـــان" بحـــدة: مـــش هتمشـــي غيـــر لمـــا تأكـــل! مـــش كـــل مـــرة تضـــحك عليـــا بأرواح الناس!

قـــال "تـــامر" بمـــرح: إيـــوا يـــا عمتـــو... ده بيكدب عنده أجازة.

نظـــر "كـــريم" إلـــى "تـــامر" بغضـــب وقـــال بنبرة خافتة:

-ماشي يا كلب.

بـــدأت "ديـــالا" أول مـــن يتـــذوق الطعـــام بمعلقـــة مكرونـــة بشـــاميل، لتتوقـــف فجـــأة وتقول بفرحة غريبة:

-الله! دي عسل!

نظر لها "تامر" بريبة وقال:

-مـــش معقـــول... عمتـــو أخيـــرًا اتعلمـــت تطبخ!

وبحركـــة مفاجئـــة، صـــفعته "إيمـــان" علـــى رأســـه، فقـــال "تـــامر" وهـــو يغمـــز لهـــا بابتسامة:

-دأنـــتِ الحـــب... يـــلا حـــد يأكـــل تـــاني!

بـــدأت "ســـلمى" الأكـــل هـــي الأخـــرى، ثـــم نظـــرت إلـــى "ديـــالا" بدهشـــة وقالـــت بإعجاب:

-الله! فعلًا حلوة.

ضيق "كريم" عينيه وهو يراقبهم بشك:

-بجد؟ يعني مش هتصلوا بالإسعاف زي كل مرة؟

أشارت له "سلمى" بمعنى: "اطمئن!"

جلس الجميع يأكلون، لكن نظراتهم لم تخلُ من الاستغراب. كانت الصدمة تتسع على وجوههم كلما تذوقوا الطعام.

وأخيرًا، انفجرت "ديالا" في الضحك بصوت عالٍ، تبعتها "سلمى"، حتى سقطتا أرضًا من شدة الضحك.

نظر الجميع إليهما بذهول، ثم ما لبث أن انضموا إليهما في موجة ضحك عارمة.

وقفت "إيمان" في مكانها غاضبة ومستفسرة:

-بتضحكوا على إيه؟

قال "تامر" وهو يحاول كتم ضحكه:

-إنتي حاطة إيه في البشاميل يا أمنيتي؟

"إيمـــان" بغضـــب: إنتـــوا بتضـــحكوا علـــى إيه؟

ناولهـــا "كـــريم" الملعقـــة وقـــال وهـــو يضحك:

-خدي... كلي يا عمتو!

تناولـــت "إيمـــان" الملعقـــة ووضـــعتها فـــي فمهـــا. ومـــا إن تـــذوقت الطعـــام، حتـــى انفجرت بالضحك معهم.

فقـــال "حســـني" بســـخرية: حاطـــة ســـكر فـــي الأكـــل يـــا إيمـــان! وأنـــا أقـــول مـــش معقـــول تعملـــي أكـــل حلـــو وهـــم يقولـــوا عســـل... طلـــع عسل بجد!

"تـــامر" وهـــو يصـــفق بمـــرح: ســـكر يـــا إيمان... سكر! يا خسارة تعبي فيكِ!

قالـــت "ســـلمى" وهـــي تضـــحك: لا يـــا جماعـــة، الغلـــط المـــرة دي بســـبب "ديـــالا"! هـــي اللـــي بـــدلت علبـــة الســـكر بـــالملح عشـــان نشوف خالتو هتعمل إيه!

هتفـــت "ديـــالا" بصـــدمة: يـــا فتّانـــة! دي لـــو بيعذبوكي مش هتعترفي كده!

ركضـــت "إيمـــان" خلفهـــم وهـــي تصـــيح، بينمـــا ركـــض الجميـــع فـــي أرجـــاء البيـــت يضـــحكون بمـــرح، كـــأن الســـعادة قـــررت أن تتوقف عندهم لبعض الوقت.

لكـــن فجـــأة، قـــاطع هـــذا الجـــو الجميـــل صـــوت "تامر" وهو يقول بجدية:

-أنا عايز أتجوز!

توقفت الضحكات فجأة، واتسعت عيون الجميع بدهشة.

***

كانت "جيهان" تجلس في غرفتها عندما رن الهاتف، فردت بابتسامة وهي تضع السماعة على أذنها:

-ألو... أيه يا عمتو؟

استمعت بصمت بينما تتغير ملامحها تدريجيًا إلى قلق.

"جيهان" مطمئنة: لا، مكلمتهاش، هي كان عندها كورس والمفروض خلصت من بدري.

توقفت للحظة، ثم قالت بحزم: خلاص متقلقيش، أنا هكلم حد من البنات

يشـــوفها. ماشـــي... هـــرن عليكـــي تـــاني. سلام.

وضـــعت الهـــاتف جانبًـــا وهـــي تشـــعر بتـــوتر يتســـلل إلـــى قلبهـــا، ثـــم قـــررت الاتصـــال بصديقة "نور"، "أحلام".

"جيهـــان" وهـــي تتحـــدث بجديـــة: الســـلام عليكم يا أحلام!

"أحـــلام" بترحـــاب: وعلـــيكم الســـلام، عاملـــة إيه يا جيهان؟

"جيهـــان" مباشـــرة: خلصـــتوا الكـــورس بتاع النهاردة؟

"أحـــلام" باســـتغراب: أيـــوة، خلصـــناه مـــن زمان.

توقفـــت "جيهـــان" للحظـــة وهـــي تحـــاول استيعاب الكلمات، ثم قالت بقلق:

-طيـــب... هـــي "نـــور" اتـــأخرت ليـــه؟ متعرفيش؟

"أحـــلام" بدهشـــة: "إيـــه؟! نـــور مجـــتش أصلًا!

اتسعت عينا "جيهان" وهي تقف فجأة:

مجتش... إزاي؟!

ردت "أحـــــلام": معـــــرفش والله، يمكـــــن حصـــلها حاجـــة، فونهـــا كـــان مقفـــول مـــن بدري.

"جيهان" وهي تحاول تهدئة أعصابها:

-خلاص، أنا هطمنك. سلام.

أغلقـــت "جيهـــان" الهـــاتف وهـــي تتمـــتم بغضب ممزوج بالخوف:

-فينك يا زفتة الطين!

جلست لثوانٍ تستجمع قواها، ثم اتصلت بصديقتها الأخرى "دعاء".

"دعاء" بمرح وهي ترد: إيه يا جيهان؟ وحشتك؟

"جيهان" بقلق واضح: دعاء... آخر مرة كلمتي "نور" إمتى؟

شعرت "دعاء" أن شيئًا غير طبيعي يحدث، فردت بحذر:

-في إيه؟ مالك ومالها "نور"؟

"جيهان" وهي تمشي بقلق في الغرفة: معرفش، فونها مغلق، ومرحتش الكورس، ومش في البيت... واتأخرت أوي!

صمتت "دعاء" للحظة، ثم صاحت بفزع:

-إيه؟! أنا مكلمتهاش من ساعة ما كنتوا عندي! يا ربي، راحت فين دي؟ أنا خايفة عليها أوي... "نور" دي هتموتنا كلنا، نقصين عمر!

"جيهان" بحزم وهي تحاول السيطرة على الوضع: يا ربي بس ترجع بخير... أنا هعلمها الأدب! مية مرة قلتلها الفون ميتقفلش! اتصلي بـ "بسملة"، شوفي آخر مرة كلمتها إمتى.

"دعاء" بسرعة: ماشي، هكلمها حالًا.

في تلك اللحظات، بدأ الجميع رحلة البحث عن "نور". حالة من الذعر والقلق عمّت كل من يعرفها. الاتصالات لم تهدأ، والأسئلة تتكرر بلا إجابة: "فين نور؟ راحت فين؟"

تحـــرك والـــد "نـــور" إلـــى قســـم الشـــرطة، لكنه عاد محبطًا بعد أن قيل له:

"الضـــابط" ببـــرود: لازم يمـــر ٢٤ ســـاعة على اختفائها عشان نبدأ نبحث رسميًا.

أمـــا والـــدتها، فقـــد خرجـــت تبحـــث عنهـــا عنـــد كـــل الأصـــدقاء والمعـــارف، لكـــن الإجابـــة كانت واحدة:

-"محدش شافها."

فـــي منـــزل "نـــور"، كانـــت "جيهـــان"، "دعـــاء"، و"بســـملة" يجلســـن معًـــا، وقـــد بـــدأ الخـــوف يـــنهش قلـــوبهن. الـــثلاث فتيـــات لـــم يكففـــن عـــن الـــدعاء والـــدموع تنهمـــر مـــن أعينهن.

"جيهـــان" وهـــي تبكـــي بـــدعاء خافـــت: يـــا رب... يا رب رجّعها لنا بخير

أمـــا والـــدتها، التـــي كانـــت أشـــدهم خوفًـــا، جلســـت علـــى الأريكـــة وهـــي ترتجـــف. كانـــت عيناهـــا تـــائهتين وكأنهـــا تبحـــث عـــن ابنتهـــا فـــي الفـــراغ. همســـت بصـــوت خافـــت وهـــي تبكي:

-يا ترى أنتِ فين يا "نور"؟!

وقبـــل أن تكمـــل جملتهـــا، ســـقطت فجـــأة علـــى الأرض مغشـــيًا عليهـــا.عم الصـــمت المكـــان، ولـــم يتبـــقَ ســـوى أصـــوات شـــهقات البكـــاء ودعـــوات تُرفـــع إلـــى الســـماء، بينمـــا تســـاءل الجميع:

-"أين أنتِ يا نور؟ وما الذي حدث لكِ؟"

عـــاد "إبـــراهيم" إلـــى منزلـــه بعـــد قضـــاء ليلـــة مرهقـــة برفقـــة المرضـــى. بمجـــرد وصـــوله، توجـــه مباشـــرة إلـــى غرفتـــه، ثـــم دخـــل

المرحاض على أمل أن يخفف بعضًا من إرهاق جسده. قضى ما يقارب ربع ساعة بالداخل، ليخرج بعدها وهو يجفف شعره بالمنشفة. رفع رأسه نحو الفراش ليلمح صغيرته "حنان" جالسة تنتظره، فابتسم لها بحب وهو يقف أمام المرآة يصفف شعره.

"إبراهيم" بحنان: أنتِ كمان وحشتيني، بس والله غصب عني... كان عندي شغل كتير.

نظرت إليه "حنان" بحزن وهي تعاتبه ثم قالت بتذمر:

-بس كده ظلم! كل يوم تقول هنخرج مع بعض وفي الآخر تقول عندي شغل!

ثـــم أضـــافت بصـــوت مـــنخفض ونبـــرة حزينة:

-أنـــت وحشـــتني أوي... وبطّلـــت تقعـــد تـــتكلم معايـــا زي زمـــان، وأنـــا معنـــديش حـــد مقـــرب منـــي غيـــرك... وكمـــان مـــش بترضـــى تخليني أخرج مع صحابي.

نظـــر لهـــا "إبـــراهيم" بحـــزن عميـــق. هـــل قصـــر فـــي حـــق صـــغيرته مـــؤخرًا؟ ربمـــا بســـبب ضـــغوط العمـــل، ولكـــن "حنـــان" كانـــت وســـتظل عالمـــه كلـــه. لـــن يســـمح للحزن بأن يسيطر على وجهها البريء.

تقـــدم نحوهـــا لـــيجلس بجانبهـــا، ثـــم عانقهـــا بحب أبوي وهمس بجوار أذنها:

-حقـــك عليّـــا يـــا حنـــون، متـــزعليش منـــي... بـــس أنـــا خـــايف عليـــكِ، عشـــان كـــده مـــش

عـــايزك تخرجـــي مـــن غيـــري. وإن شـــاء الله بكـــرة هاخـــد أجـــازة، وهنقضـــي أحلـــى يـــوم مـــع بعـــض... والمكـــان اللـــي أنـــتِ عـــايزاه هنروحه. إيه رأيك؟

"حنـــان" بفرحـــة وهـــي تبادلـــه العنـــاق: موافقـــة طبعًـــا! بـــس يـــارب متغيـــرش كلامك.

ضـــحك "إبـــراهيم" وهـــو يبتعـــد قلـــيلًا عنهـــا ليقول مازحًا:

-لا، متخـــافيش... ده آخـــر كـــلام. وبعـــدين، مرحتيش المدرسة النهاردة ليه؟"

"حنـــان" وهـــي تجلـــس بجـــواره: معنـــديش حاجة مهمة، فقلت هقعد أذاكر في البيت.

"إبـــراهيم" بحـــزم أبـــوي وهـــو يشـــير إلـــى الخـــارج: طيـــب يـــلا... مـــن غيـــر مطـــرود،

روحـــي ذاكـــري وســـبيني أنـــام شـــوية، عشان تعبان.

"حنـــان" بملـــل وهـــي تهـــمّ بـــالوقوف: مانـــا طول اليوم بذاكر!

"إبـــراهيم" بجديـــة وهـــو يجلـــس علـــى الفراش:

-ذاكـــري تـــاني، أنـــتِ شـــهادة، وعـــايزك تطلعي من الأوائل.

نظـــرت لـــه "حنـــان" بتـــذمر واضـــح وقالـــت وهي تغادر:

-حاضـــر! أوائـــل قـــال! مكنـــتش إعداديـــة دي اللي هتذلونا بيها بذاكري ذاكري!

جلـــس "إبـــراهيم" علـــى الفـــراش وأرخـــى جســـده المنهـــك. أغمـــض عينيـــه بهـــدوء، لكنـــه مـــا لبـــث أن تـــذكر وجـــه صـــغيرته،

فابتسم لا شعوريًا. وفي خياله، عادت به الذكريات لأول لقاء جمعه بها...

كان يعلم منذ اللحظة الأولى أنها له. كانت تشبهه كثيرًا، وكأنها نسخة مصغرة عنه، بكل ما تحمله من طاقة وجنون. قد تكون كارثة متحركة تجعل أي عاقل يفكر ألف مرة قبل اتخاذ قرار الارتباط بها، لكنه يعرفها أكثر من أي شخص آخر. يعرف ما تخفيه خلف هذا الجنون المبالغ فيه، ولن يتحمل أحد هذا الجنون كما يفعل هو.

همس لنفسه بابتسامة: "هي ليّ... وانتهى الأمر."

في مكان مظلم وفارغ، لا يضيئه إلا نور خافت يتسلل عبر فتحة صغيرة، جلست

"نـــور" مقيـــدة علـــى مقعـــد خشـــبي قـــديم. كانـــت تحـــاول التحـــرك بقـــدر الإمكـــان لكـــن قيودها تمنعها.

"نـــور" بصـــوت مرتفـــع وملامـــح غاضـــبة: يا قوم! أين أنتم يا قوم؟!

ثـــم أردفـــت بلهجـــة ســـاخرة وقـــد بـــدأت معدتها تصرخ جوعًا:

-طـــب يـــا بشـــر حـــد يـــرد علـــيّ! أنـــا جعانـــة، عايزة آكل!

استرســـلت فـــي حـــديثها وكأنهـــا تواســـي نفسها:

-منـــك لله يـــا بســـملة، أنـــتِ الســـبب! فـــاكرة نفســـها أحمـــد زويـــل، مـــش عـــايزة نأكـــل عشـــان نرجـــع بســـرعة! هتتخـــرّج تبقـــى

وزيـــرة، أيـــوه مـــا هـــو طموحـــك كبيـــر، ولمـــا أرجع بس... لوريكي.

أخـــذت نفسًـــا عميقًـــا وعـــادت للصـــراخ مجددًا:

-يـــا نـــااس! اللـــي هنـــا... حـــد يـــرد عليّـــا، أمـــي فين؟!

صـــمتت فجـــأة حينمـــا ســـمعت صـــوت بـــاب يُفـــتح بصـــرير مـــزعج. ارتجـــف قلبهـــا قلـــيلًا وهـــي تتـــابع بـــأعين متســـعة رجـــلًا ضـــخم الجثـــة يـــدخل إلـــى الغرفـــة. لـــم تســـتطع رؤيـــة ملامحـــه بســـبب الظـــلام، لكنـــه بـــدا كأنـــه عملاق آلي من الأفلام.

"نـــور" وهـــي تتفحصـــه بتفكيـــر مرتـــاب وبلهجة ساخرة:

-هـو جـون مايكـل عـرف إنّـي هنـا وجـي ينقـذني؟ لا لا... ده شـكله جـون سـينا! ولا أمال مين ده؟

الرجل بصوت عالٍ غاضب: اخرسي!

"نـور" بـلا مبـالاة تجـاه صـراخه: هـو أنـت اسمك إيه بس؟ أنا نور، و...

قاطعهـا الرجـل بصـوتٍ أعلـى هـذه المـرة، والغضب يتصاعد منه:

-قلتلك اخرسي!

ردت "نور" بمرح وهي تتجاهل تهديده:

-عاشـت الأسـامي! بـص بقـى، أنـا هقعـد عنـدكم شـوية، فـلازم تحترمـوني، وبعـدين أنـا جعانـة دلـوقتي... عـايزة أكـل ومياه! ولـع النـور، ولا أقولـك؟ كفايـة نـوري هههههه.

تجمد الرجل في مكانه للحظة، وهو ينظر إليها ببلاهة. كانت شجاعتها أو ربما لا مبالاتها تفاجئه.

"نور" وهي تتحدث بثقة مصطنعة: صح، نسيت أسألك، أنت مستورد صح؟ تعرف حد من مصر؟ أنا كمان كنت مستوردة وشعري كان أصفر وعينيّ خضراء، بس استوِت وبقيت زي ما انت شايف!

الرجل وهو يصيح بغضب وقد فقد أعصابه:

-اخرسي! أنتِ غبية؟ فاكرة نفسك فين؟ أنتِ مخطوفة!

"نور" بفرحة مصطنعة وكأنها لم تفهم خطورة الوضع: الله! ده بيتكلم عربي!

وبعـــدين عيـــب، احنـــا مســـتوردين زي بعـــض، لازم يكـــون فـــي احتـــرام. ويـــلا بقـــى، بطل رغي وهات الأكل والمياه!

أمســـك الرجـــل بســـلاحه ورفعـــه فـــي وجههـــا، لتتراجـــع "نـــور" بخـــوف مفتعـــل وهـــي تلـــوح بيدها بسرعة:

-إيـــه يـــا راجـــل، أنـــا كنـــت بهـــزر معـــاك! عـــايزين بينّـــا عـــيش وملـــح... بـــس خـــلاص، لو زعلان مش لازم.

"الرجـــل" بتهديـــد وهـــو يقتـــرب: لـــو ســـمعت صوتك تاني، هخلّص عليكِ.

ثـــم التفـــت وغـــادر الغرفـــة غاضـــبًا، وصـــفع الباب بقوة خلفه.

"نـــور" وهـــي تتـــذمر بخفـــوت: براحـــة علـــى الباب يا عم، هو مش قدّك!

سكتت لوهلة ثم عادت تحدث نفسها بصوتٍ مرح وهي تحاول تسلية نفسها:

-مش لو كنت اتخطفت مع حد كان زمانه مسليني بدل القعدة دي! ماشي يا أندال... أقلهم تعالوا معايا، واحدة عاملة أحمد زويل، والتانية مامة كريمة، والتالتة إليسا. بس اصبروا لما أرجعلكم.

ثم وضعت رأسها على المقعد وهمست بابتسامة ساخرة وخيال جامح:

-بس إيه يا بت يا نور... بقيتي مهمة وبتتخطفِي! بس يا ترى مين هيجي ينقذني؟ أكيد مفيش حد... هو الخاطف الشرير هيدخل دلوقتي، يشوفني ويتأمل عنيا ويحبني، وبعدها يجيب المأذون ويكتب عليّا! وبعدين يسيبني ويقول

امشـــي، أرد عليـــه وأقـــول هشـــوفك إزاي؟ يقـــولي هخلّـــص آخـــر مهمـــة وهـــاجي مـــش هســـيبك تـــاني، ونعـــيش فـــي ثبـــات ونبـــات ونخلّف صبيان وبنات.

ابتســـمت وهـــي تضـــرب رأســـها برفـــق،لكن تلاشـــت ابتســـامتها عنـــدما وصـــلها صـــوت أحدهما يقول بسخرية:

-دأنتي خيالك واسع!

تساؤلات:

من قال هذه العبارة؟

من هو خاطف نور؟ وماذا يريد منها؟

جيهان، من ستتزوج؟

تـــامر، مـــن يريـــد أن يتـــزوج؟ وهـــل يـــا تـــرى ستوافق أم سترفض؟

ماذا يخفي القدر لـ دعاء وفارس؟

إذا قـــــرر القـــــدر أن يجعـــــل بســـــملة دواءً لأحـــــدهما، فمـــــاذا ســـــتفعل؟ هـــــل ســـــتقبل أم سترفض؟

*****

الفصل الحادي عشر

"حين وصف الله القمر قال: {قَمَرًا مُنيْرًا} وحين وصف الشمس قال: {سِرَاجًا وَهَّاجًا} أمّا حين وصف النّبي ﷺ قال: {وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا} فجمعَ ﷻ له بين الوصفين ليكتملَ الجمال بالجلال، وليَلتحم الضِّياءُ بالنُّور، فيشرقُ العالم كله بهديه وسنّته العظيمة. ﷺ "

***

في غرفة مظلمة، تتسلل إضاءة خافتة بالكاد تكشف تفاصيل المكان. تجلس "نور" مقيدة على مقعد، وجهها يحمل مزيجًا من التحدي والمرح المعتاد رغم الموقف المريب.

فقالت "نور" بصوت ساخر وهي تحدق في الشخص الجالس على بعد خطوات منها:

-هو أنت؟

رد "أشرف" بابتسامة جانبية: للأسف.

نظرت له "نور" بتذمر مصطنع: وعامل سوبرمان وأنت كمان مخطوف؟ خصم عليك!

هتف "أشرف" بنفاد صبر: بطّلي رغي، إنتِ ما بتسكتِش؟

قالت "نور" ببراءة مستفزة: بِت في عينك! والله لو جون مايكل عرف إنك هنا، هيجي يخلص عليك.

رد "أشرف" ساخرًا: جون مايكل اللي كنتِ زي القطة قدامه؟

قالت "نور" بتعالٍ زائف: أنا بس متربية، ما بردش على الكبير، والكبير ليه احترامه.

"أشرف" ساخرًا: يا سلام!

"نور" وهي تحرك كتفيها بلامبالاة:

-آمممم.

قال "أشرف" ببسمة: وأنا كمان.

تسألت "نور" مستنكرة: وأنت كمان إيه؟

رد "أشرف" متلعثمًا: متركزيش... المهم بتعملي إيه هنا؟

ردت "نور" بتهكم واضح:

-بتفسح! زهقت من البيت قلت أخطف نفسي شوية.

نظـــر إليهـــا "أشـــرف" باســـتغراب وهـــو يهمس لنفسه بسخرية:

-مش كفاية خطفتي قلبي كمان؟

وقد لاحظت "نور" همسه: بتقول إيه؟

أردف "أشـــرف" مرتبكًـــا: ولا حاجـــة... إيه رأيك نهرب من هنا؟

قالـــت "نـــور" بعنـــاد: لا، اســـتنى نشـــوف هيعملـــوا فينـــا إيـــه. يمكـــن الخـــاطف يطلـــع جنتـــل ويتجـــوزني ويحتـــاج شـــاهد مـــع جـــون مايكل.

هتف "أشرف" بغيظ شديد:

-إنتِ أول بنت في الدنيا تقول كده!

"نـــور" بضـــحكة مرحـــة: نحـــن نختلـــف عـــن الآخرون يا باشا

ثم أكملت بنبرة حزينة مفاجئة: أنا عايزة أرتبط لسبب واحد بس.

تغيرت ملامح "أشرف" وهو ينظر إليها بحزن. لأول مرة يرى "نور" بنبرة جدية وحزن حقيقي خلف مرحها المعتاد. هل كانت تخفي آلامها تحت قناع الجنون والضحك؟ تساءل في نفسه إن كان أهلها يتعاملون معها ببرود أو قسوة، ربما لهذا تبحث عن مهرب دائم، لكنها لن تكون وحدها بعد الآن.

فستفسر "أشرف" بصوت خافت: سبب إيه؟

ردت "نور" متصنعة الحزن: عندي شوية بوستات رومانسية وكام فيديو، وعايزة أنزلهم في الاستوري، ومستنية

أرتبط عشان أنزلهم وبعدين أرجع سنجل تاني.

نظر لها "أشرف" بذهول وهو يفكر:

-"هذه البنت ليست طبيعية! هل هربت من مشفى للأمراض العقلية؟ يا ربّاه! تريد الزواج لمجرد نشر صور وفيديوهات؟"

قال "أشرف" بغضب مكتوم: إنتِ مجنونة بجد؟ إيه كمية الغباء دي؟

حركت "نور" اهدابها ببراءة:

- ليه بس يا حج؟

"أشرف" بضيق: ربنا يرحمني برحمته، أنا اللي جبت ده لنفسي!

ردت "نور" بتذمر: مالك قافش كده؟ الواحد جعان! يلا نام واسكت.

أغلقت "نور" عينيها وهي تتظاهر بالنوم. لكن بعد دقائق ناداها "أشرف" بصوت خافت، وهو يبتسم مازحًا:

-يا وزة... بس بس!

ردت "نور" وهي تفتح عينيها بغضب:

-إيه ياعم! أنت بتنادي على قطة ولا وزة؟ حدد!

"أشرف" بغمزة مشاكسة: "عليكي إنتِ."

"نور" بتهكم: اسمي زفتة!

"أشرف" وهو يبتسم بنبرة جادة يملؤها الحب:

-ماشي يا زفتة... تتجوزيني؟

"نور" باستياء: زفتة في عينك!

"أشـــرف" بنفـــاد صـــبر: محـــدش طـــول لسانه عليا غيرك.

"نـــور" وهـــي تبتســـم بمكـــر: نحـــن نختلـــف عن الآخرين يا باشا.

حـــاول "أشـــرف" أن يبـــدو جـــادًا وهـــو يقـــدم نفســـه لهـــا، فقـــد حـــان الوقـــت لتعـــرف مـــن هو حقًا، فقال بجدية:

-بصـــي، أنـــا المقـــدم أشـــرف المصـــري. مراتـــي ماتـــت مـــن ســـنة وعنـــدي "مـــازن" عمره أربع سنين دلوقتي.

رغـــم أنهـــا كانـــت تنظـــر فـــي اتجـــاه آخـــر وكأنهـــا لا تهـــتم، إلا أنهـــا كانـــت تصـــغي إليـــه بكـــل جوارحهـــا، وعنـــدما لاحـــظ صـــمتها تسأل:

-هاه؟ ساكتة ليه؟

"نـــور" عـــادت بمرحهـــا المعتـــاد: عـــايزة حووشي!

"أشرف" باندهاش: نعم؟

"نور": إيه؟

"أشـــرف" وهـــو يجـــاري جنونهـــا: ومـــش عايزاه إضافات مع الحووشي؟

"نـــور" وهـــي تضـــحك: مـــش مشـــكلة، أي حاجة.

"أشـــرف" بتهديـــد ســـاخر: اســـكتي بقـــى، مش عايز أسمع صوتك!"

"نـــور" بضـــحكة خافتـــة: مالـــك قـــافش كـــده؟ خليك رُوَيح يا با رشدي!

"أشـــرف" وهـــو يتمـــتم: ربـــي، لا أســـألك رد القضاء، ولكني أسألك اللطف فيه!

"نـــور" بضـــحكة: مالـــك قلبـــت شـــيخ دعـــاء كده ليه؟

نظـــر إليهـــا "أشـــرف" بإعجـــاب وابتســـامة صـــغيرة وهـــو يتأمـــل جنونهـــا، لكنـــه كـــان يشـــعر بحنـــان خفـــي تجاهها. ربمـــا كـــان هـــذا الجنـــون يغطـــي علـــى خوفهـــا الحقيقـــي.

كانت "نور" دائمًا تردد في سرها:

- "قوتك هي نقطة ضعف عدوك".

"أشرف" بنبرة هادئة وهو ينظر إليها:

-تصبحي من أهلي يا وزة.

ابتســـمت "نـــور" ثـــم أغلقـــت عينيهـــا مـــرة أخـــرى مطمئنـــة، وهـــي تعلـــم أن وجـــوده هنـــا يخفـــف عنهـــا خوفهـــا. ظـــل "أشـــرف" يراقبهـــا بصـــمت إلـــى أن ســـقط هـــو الآخـــر في النوم.

مـــرَّ الليـــل هادئًـــا علـــى "المجنونـــة" و"المغـــرور"، لكنـــه لـــم يمـــر بســـلام علـــى عائلتهمـــا وأصـــدقائهما، الـــذين عاشـــوا ســـاعات طويلـــة مـــن القلـــق والخـــوف، يتساءلون عن مصيرهما المجهول.

فـــي الصـــباح البـــاكر، وفـــي منـــزل "نـــور"، خـــيم الصـــمت علـــى المكـــان رغـــم امتلائـــه بأصـــوات البكـــاء والهمـــس. كـــان جميـــع نســـاء العائلـــة يجلســـن معًـــا فـــي غرفـــة المعيشـــة، تحـــيط بهـــن أجـــواء التـــوتر والقلـــق، بينمـــا الرجـــال كـــانوا يواصـــلون البحث عن "نور" في كل مكان.

جلســـت "ريهـــام" تبكـــي بحرقـــة، وهـــي تضـــع يـــديها علـــى بطنهـــا المنتفخـــة بســـبب الحمل:

-طيب هترجع إمتى بقى؟ أنا عايزة أختي!

حاولت "نيرة" تهدئتها وهي تضع يدها على كتفها بحنان:

-اهدي يا ريهام... أنتِ حامل وممكن تتعبي كده، حرام عليكِ نفسك والبيبي.

انتفضت "ريهام" غاضبة وهي ترد بحدة:

-أهدى إيه؟! ودي أختي! مش عارفة هي فين ولا حصّلها إيه!

تدخلت "جيهان" التي كانت تحاول أن تبدو هادئة، رغم اللهيب المشتعل في داخلها فقالت بثقة مصطنعة:

-محصلهاش حاجة... هترجع بخير، أنا واثقة من كده.

لكـــن كلمـــات "جيهـــان" لـــم تُطفـــئ غضـــب "ريهام"، فاستدارت إليها بغضب شديد:

-بـــس أنـــتِ متتكلمـــيش، عشـــان أنـــتِ الســـبب! لـــو كنتـــي رحتـــي معاهـــا، كـــان هيحصل إيه؟!

نظـــرت "جيهـــان" إليهـــا بحـــزن وهـــدوء ظـــاهري، رغـــم أن الشـــعور بالـــذنب كـــان يفتـــك بهـــا مـــن الـــداخل وقالـــت بصـــوت هادئ:

-نـــور مـــش فـــي الروضـــة عشـــان أروح معاهـــا... وبعـــدين كـــل واحـــدة فينـــا فـــي ســـنة مختلفة، أروح معها إزاي؟

"ريهام" وهي تصرخ بعشوائية:

-معـــرفش! كـــان لازم تكـــوني معاهـــا وخلاص!

تجمدت الكلمات على شفتي "جيهان"، وهي تشعر أن ما قالته "ريهام" أشعل نيران الذنب أكثر. لم تستطع تحمل الجلسة أكثر، فوقفت فجأة وخرجت من الغرفة بخطوات سريعة. منذ ليلة البارحة وهي لا تكف عن لوم نفسها... "أين أنتِ يا نور؟!" كان هذا السؤال يتردد في عقلها باستمرار، يقتلها ببطء.

في تلك الأثناء، كانت والدة "نور" تجلس على الأريكة في زاوية الغرفة، تمسك بمنديل مبلل من كثرة بكائها. رغم أنها كانت امرأة قوية اعتادت مواجهة الحياة بشجاعة، إلا أن اختفاء ابنتها الصغيرة حطمها تمامًا. "نور" طفلتها المزعجة التي كانت تضفي الحياة إلى

المنـــزل بضـــحكاتها وجنونهـــا... منـــزلهم الآن مظلم، بلا طعم ولا روح بدونها.

صـــمتت النســـاء للحظـــة، ولـــم يتبـــقَّ ســـوى همســـات الـــدعاء وبكـــاء مكتـــوم. الجميـــع يشـــعر بـــالقلق، والحـــزن يـــنهش القلـــوب، بينمـــا ســـؤال واحـــد يصـــرخ فـــي أعمـــاق كـــل فرد فيهم:

-"أين هي نور؟ وماذا حدث لها؟"

كانـــت تلـــك اللحظـــات ثقيلـــة علـــى الجميـــع، حتـــى الهـــواء أصـــبح ثقـــيلًا يصـــعب تنفســـه، كـــأنهم عـــالقون فـــي كـــابوس لا يعرفـــون متى سينتهي.

***

فـــي منـــزل "دعـــاء"، كـــان الجـــو مشـــحونًا بـــالحزن والتـــوتر. جلـــس "مصـــطفى" والـــد

دعـــاء يحـــاول إقناعهـــا بضـــرورة حضـــور مراســـم تجهيـــز الخطبـــة، بينمـــا كانـــت "دعاء" ترفض بشدة.

"دعـــاء" بحـــزم وهـــي تمســـح دموعهـــا: لا يـــا بابـــا، مـــش هـــروح مكـــان غيـــر لمـــا أطمـــن على نور.

"مصطفى" بلهجة هادئة ولكنها حازمة:

-يـــا بنتـــي، إحنـــا رايحـــين نجيـــب الشـــبكة بـــس، ولمـــا ترجـــع بالســـلامة تبقـــى تلبســـيها. النـــاس جـــات وميـــنفعش نقـــولهم لا بعـــد مـــا اتفقنا.

ردت "دعـــاء" ببكـــاء وهـــي تهـــز رأســـها: - مـــاليش فيـــه! مـــش هينفـــع أروح مكـــان ونور مش معايا.

"مصـــطفى" متـــوترًا: طيـــب نقـــول للنـــاس إيه دلوقتي؟

"دعـــاء" بحـــزن عميـــق: قلهـــم إن صـــحبتها مختفية، ومش هينفع أفرح من غيرها.

"مصـــطفى" بنبـــرة قاســـية قلـــيلًا: يـــا بنتـــي، اسمعي الكلام مرة واحدة.

"دعـــاء" وقـــد زاد بكاؤهـــا خوفًـــا علـــى صـــديقتها وحزنًـــا علـــى حلـــم خطبتهـــا الـــذي يكـــاد ينهـــار: يـــا بابـــا افهمنـــي، إنـــت متعـــرفش نـــور كانـــت بتعمـــل إيـــه عشـــاني... خـــلاص يـــا بابا! تعال معايا وأنا هقولهم بنفسي.

استســـلم والـــدها أخيـــرًا، وتبعتـــه "دعـــاء" بخطـــوات بطيئـــة مثقلـــة بـــالحزن، وكأنهـــا تجـــرّ قـــدميها إلـــى المجهـــول، تشـــعر أنهـــا على وشك إنهاء حلمها بيدها.

دخلت "دعاء" الغرفة بثبات مصطنع، قائلة بصوت منخفض:

-السلام عليكم.

رد الجميع السلام، وجوههم تباينت بين من سعيد برؤيتها، ومن يتمنى ألا يراها، ومن لا يبالي على الإطلاق.

فقالت بحزن وهي تنظر إلى الأرض خشية أن تلتقي عينيه:

-أنا آسفة... بس مش هينفع نجيب الشبكة النهاردة.

ظهرت السعادة الخفية على وجه أحدهم، بينما تحدث "فارس" بحزن حاول إخفاءه:

-ليه؟

"دعـــاء" بصـــوت مختنـــق ودمـــوع تكـــاد تفضحها:

-نـــور مختفيـــة مـــن امبـــارح ومـــش عـــارفين هـــي فـــين، وأنـــا مـــش هينفـــع أعمـــل حاجـــة من غير ما أطمن على صاحبتي.

قاطعتهـــا والـــدة "فـــارس" بعصـــبية وهـــي تنظر لمصطفى بسخرية واضحة:

-اســـتغفر الله العظـــيم! بنـــات آخـــر زمـــن... يمكـــن تكـــون راحـــت مكـــان كـــده ولا كـــده، وبعـــدين إحنـــا متفقـــين، ولا هـــو كـــلام عيـــال ولا إيه؟!

لـــم تحتمـــل "دعـــاء" حـــديثها الجـــارح، فردت بحزم رغم حزنها:

-لـــو ســـمحتي يـــا خـــالتي، مـــا تقـــوليش كـــده عليها!

قبل أن ترد "أم فارس"، تدخل "مارس" الابن الأصغر بحكمة:

-خلاص يا ماما، اهدي.

قال "فارس" بهدوء وهو ينظر إلى "مصطفى":

-عمي، ممكن أتكلم مع دعاء دقيقتين؟

نظرت "دعاء" إلى والدها بعيون ترجوه أن يرفض، لكنه تجاهلها ورد بصوت مرحب:

-اتفضل يا بني، البيت بيتك.

نظرت "دعاء" لوالدها بخيبة أمل وخرجت من الغرفة يتبعها "فارس".

في الخارج، التفتت "دعاء" إليه ببرود ظاهر، تحاول أن تبدو أقوى مما تشعر به:

- في إيه يا دكتور؟

قال "فارس" وهو يحدق بها بحزم: إنتِ اللي في إيه؟ لو مش عايزاني، قولي وخلاص، لكن إيه حكاية مش هينفع نجيب الدهب النهاردة؟ مش إحنا متفقين من امبارح؟

انهمرت دموع "دعاء" بغزارة، وهي تشعر أن كلماته تفسر تصرفها خطأ، بينما الحقيقة أنها لا تريد من الحياة سوى أن يكون بجانبها.

"فارس" وقد شعر بوخزة في قلبه لرؤية دموعها:

- أنا آسف... مش عايز دموعك دي تنزل تاني. إنتِ عايزة إيه؟ وأنا هعمله.

مسحت "دعاء" دموعها كالأطفال، قائلة بصوت ضعيف:

- نستنى نور ترجع بالسلامة... وأنا هتصل بيك فورًا.

ثم أكملت بخجل: عشان نروح نجيبها.

تسأل "فارس" بابتسامة هادئة: وأنتِ تعرفي رقمي منين؟

"دعاء" وقد احمر وجهها بخجل: هو... أصل... أنا...

ضحك "فارس" وهو يتأمل ارتباكها الظريف:

-خلاص يا ستي، مش عايز أعرف. كل ده عشان الرقم؟ طيب ما أنا معايا رقمك.

صـــمتت "دعـــاء" وهـــي تنتظـــر أن يخبرهـــا مـــن أيـــن حصـــل علـــى رقمهـــا، لكنـــه قـــال بمرح:

-مـــــش هقولـــــك عرفتـــــه إزاي. واحـــــدة بواحدة.

ثـــم أكمـــل بابتســـامة مشاكســـة: ويـــلا يـــا آخـــر صـــبري، نـــروح نـــبلغهم بتأجيـــل الموضـــوع، لحـــد مـــا نشـــوف أخـــرة الكارثـــة المتحركـــة اللي إنتِ مصاحبها.

أطلقـــت "دعـــاء" ضـــحكة عاليـــة علـــى لقـــب "نور"، قائلة بمرح:

-كارثة متحركة!

اقتـــرب منهـــا "فـــارس" وهمـــس لهـــا بصـــوت يمتلئ بالحب:

-ضحكتك تجنن.

توقفت "دعاء" عن الضحك فجأة، وقد ارتبكت من كلماته وهمسته، لتنظر إلى الأرض بخجل واضح.

"فارس" بابتسامة ناعمة: اتفضلي قدامي يا قمري.

كان "فارس" يسير خلفها مبتسمًا، بينما عادت "دعاء" إلى الغرفة بنبضات قلب متسارعة. لم يمر اليوم كما خطط له الجميع، لكن بالنسبة لـ"فارس" و"دعاء"، كان شيئًا جديدًا يولد بينهما، ينتظر فقط أن تنتهي عاصفة "نور" لتشرق شمس جديدة في حياتهما.

عند "أشرف" و"نور"...

كان المكان هادئًا إلا من أنفاسهما، والضوء الخافت يتسلل من نافذة

صـــغيرة. جلـــس "أشـــرف" يتأمـــل "نـــور" وهـــي غارقـــة فـــي نـــوم عميـــق وكأنهـــا فـــي منزلهـــا، رغـــم ظـــروف اختطافهمـــا. اقتـــرب منها قليلًا وناداها بصوت هادئ هامسًا:

-نور... نور!

لكـــن "نـــور" ردت بنبـــرة ناعســـة وهـــي تدير وجهها له:

-غوري يا بت... مش رايحة مكان!

ابتســـم "أشـــرف" ســـاخرًا، ثـــم قـــال وهـــو يضحك:

-قومي يا ماما... عندك مدرسة!

ردت "نـــور" وهـــي تـــزداد التفافًـــا علـــى نفسها:

-لا مـــش هـــروح... خلـــي "ريهـــام" والبـــت الزفتة "جيهان"!

انفجـــر "أشـــرف" بالضـــحك علـــى حـــديثها العفوي، ثم صاح بصوت عالٍ فجأة:

-نووورر!

انتفضـــت "نـــور" بفـــزع، وقـــد اعتـــدلت جالسة بسرعة لتصرخ بعصبية:

-إيه ياعم؟ بتنادي على تايهة ولا إيه؟!

نظـــر إليهـــا "أشـــرف" بـــتهكم، وهـــو يرفـــع حاجبه ساخرًا:

-وده منظـــــر واحـــــدة مخطوفـــــة ونايمـــــة بتشخر؟!

"نـــور" رمقتـــه بنظـــرة غاضـــبة، وقالـــت وهي تكاد تخرج عن شعورها:

-نعم يا خويا؟! أنا بشخر؟!

"أشـــــرف" مبتســـــمًا باســـــتفزاز: أه والله! المهم يلا نمشي.

حـــدقت فيـــه "نـــور" باســـتغراب شـــديد، ثـــم نظرت حولها لتدرك أمرًا غريبًا:

-نمشـــــي إيـــــه؟ وأنـــــت إزاي قمـــــت وأنـــــت مربـــــوط؟ وأنـــــا فـــــين الحبـــــل اللـــــي كنـــــت مربوطة بيه؟!

كانـــت "نـــور" تتـــذكر أنهـــا كانـــت مقيـــدة بحبـــل غلـــيظ الليلـــة الماضـــية، والآن لا تـــرى أي أثـــر لـــذلك الحبـــل. وقفـــت لتتشـــاجر معه دون أن تفكر كيف فك قيدها أصلاً.

رد عليهـــا ببـــرود وهـــو يمـــد يـــده ليجـــذبها معه:

-أنا اللي حلّيتك... ويلا بسرعة.

أمســـك "أشـــرف" بيـــد "نـــور" وســـحبها خلفـــه بحـــذر وهـــو يخـــرج مـــن الغرفـــة التـــي كانـــا محتجـــزين فيهـــا. ســـار الاثنـــان فـــي ممـــر

مظلم هادئ، لم يكسر الصمت سوى صوت خطوات بعيدة تقترب شيئًا فشيئًا.

توقف "أشرف" فجأة، وسحب "نور" بسرعة ليختبئا خلف أحد الجدران.

كان يقف بجانبها، يراقب القادم من بعيد بعينين حادتين. في أقل من لحظات، تحرك "أشرف" كالنمر، ولم تمضِ ثوانٍ حتى كان الرجلان المطاردان جثتين هامدتين على الأرض.

"نور" نظرت إلى المشهد بصدمة، وقد همست بصوت مرتجف وهي تلتصق بالحائط:

-ده... ده قتال قتلة!

التفت إليها "أشرف" بهدوء وقال بحزم:

-يلا.

سارت "نور" خلفه مجددًا، بينما يتقدم "أشرف" بحذر، لكن فجأة ظهر أمامهما خمسة رجال مسلحين، يتقدمهم رجل ضخم يشبه أسطورة "جون مايكل" في عيني "نور". دارت معركة شرسة لم تستغرق وقتًا طويلًا، انتهت فيها الجثث ممددة على الأرض، بينما خرج "أشرف" منها ببعض الكدمات الخفيفة على وجهه.

خرج الاثنان من المخزن الموحش، وتوجه "أشرف" نحو إحدى السيارات المركونة أمامه، استقلّها بسرعة وانطلق بها بعيدًا عن ذلك المكان. ظل يقود بصمت حتى اطمأن أنه ابتعد تمامًا.

أوقف السيارة في مكان آمن ونظر إلى "نور"، التي كانت جالسة بجواره تحاول استيعاب ما حدث.

نور" بجدية وهي تنظر له بعينين حائرتين:

-مين دول؟ وعايزين مني إيه؟ أنا مش فاهمة حاجة!

التفت إليها "أشرف" وابتسم بخبث، قائلًا:

-هستنى ردك... وبعدين هتفهمي.

رفعت "نور" حاجبها باستغراب وهي تسأله:

- رد على إيه؟!

غمز لها "أشرف" وقال بنبرة ماكرة:

-على جوازك مني.

صـــاحت "نـــور" ســـريعًا بانفعـــال: مـــش موافقة! يلا فهمني بقى!

ضحك "أشرف" وهو يهز رأسه بمرح:

-تـــو تـــو تـــو! مـــش هـــي دي الإجابـــة اللـــي عايزهـــا... قـــولي موافقـــة وأنـــا هفهمـــك كـــل حاجة.

نظـــرت لـــه "نـــور" بتحـــدٍّ وهـــي تعقـــد ذراعيها:

-ليـــه إن شـــاء الله؟! أنـــا لازم أفهـــم دلـــوقتي ومن غير موافقة.

ألقـــى عليهـــا نظـــرة جانبيـــة ثـــم قـــال وهـــو يعاود تشغيل السيارة:

-بعدين يا وِزّة.

"نـــور" تنظـــر لـــه بضـــيق وهـــي تـــزم شفتيها:

-هنغور فين؟!

أجابها "أشرف" بابتسامة مطمئنة:

-هروحك.

ظل يقود السيارة، بينما "نور" ما زالت تنظر له بريبة وفضول، وكأنها تحاول قراءة ما يخفيه وراء هدوئه. أما "أشرف"، فظل يبتسم وهو ينظر للطريق، وكأن مغامرة جديدة قد بدأت بالفعل.

***

في المشفى...

كان "إبراهيم" جالسًا خلف مكتبه، شارد الذهن، يتأمل الفراغ أمامه بعينين غائرتين وكأنهما تراقبان شيئًا لا يراه غيره. كانت صورتها تتسلل إلى أفكاره

كالعادة، تلك "البلهاء معذبة قلبه"، كما يحب أن يصفها ساخرًا في داخله، رغم أن قلبه ينبض حبًا لها.

كيف لها أن تقول إنها تريد الارتباط به ثم تنفصل عنه؟!

كلماتها الساذجة ما زالت ترن في أذنه... لم تدرك "هي" كم هو يعشقها حد الجنون، حد التعلق بتفاصيلها الصغيرة. لم تكن أول مرة يراها حين التقيا في المشفى؛ بل كانت تراوده كثيرًا في أحلامه وخيالاته منذ سنوات. أصبحت الآن حقيقة أمامه، ولن يسمح لها بالاختفاء من حياته مجددًا.

"لن أتركك أبدًا..."

قطـــع شـــروده المفـــاجئ رنـــين هاتفـــه المحمـــول. انبعثـــت ابتســـامة خفيفـــة علـــى وجهـــه، وكأنـــه كـــان ينتظـــر هـــذا الاتصـــال. أمســـك الهـــاتف ورد بســـرعة وهـــو يجاهـــد ليبدو طبيعيًا.

"إبـــراهيم" بابتســـامة هادئـــة: الســـلام عليكم.

صوت من الهاتف: .....

قـــال "إبـــراهيم" باهتمـــام: الحمـــد لله بخير... أخبار حضرتك إيه؟

الصـــوت يسترســـل بـــالكلام، و"إبـــراهيم" يهز رأسه وهو يستمع بانتباه.

فقـــال "إبـــراهيم" بقلـــق مفـــاجئ: إيـــه؟! ليه... حصل حاجة؟

الصـــوت يـــرد محـــاولًا تهدئتـــه، لكنـــه يبقـــى متوترًا وهو يقول:

-ولا يهم حضرتك... إن شاء الله خير.

أنهى المكالمة أخيرًا وهو يقول بهدوء:

-سلام عليكم.

وضـــع الهـــاتف أمامـــه، ثـــم اســـتند بمرفقيـــه إلـــى المكتـــب، وأخـــذ يتأمـــل يديـــه للحظـــات. تنهـــد بعمـــق وهـــو يهمـــس بصـــوت بالكـــاد يُسمع:

-"قريبًا جدًا سنلتقي يا معذبة فؤادي..."

كانـــت تلـــك الجملـــة أشـــبه بوعـــد قطعـــه لنفســـه... مهمـــا طـــال الوقـــت، ســـيجد طريقـــه إليها.

***

في منزل تامر...

كان "تامر" يجلس في صالة المنزل شارد الذهن، يحاول التركيز على التلفاز أمامه، لكن صوته لم يكن يصل لعقله، وكأن هناك ما يشغل تفكيره بعيدًا.

هتفت "سلمى" بصوت عالٍ وهي تقترب منه:

- تامر... تامر... تيموو!

"تامر" بضيق وهو يلتفت نحوها: إيه يا بنتي... عايزة إيه؟!

"سلمى" بفضول: سرحان في إيه؟

"تامر" بلامبالاة: وليه يعني؟

"سلمى" وهي تضربه بخفة: بطل رخامة وقول!

رد "تامر" بسخرية وهو ينظر إليها:

-سلمى، لو مش واخدة بالك... أنتِ مراتي أخويا مش مراتي أنا، عشان كده بلاش تحقيقات.

"سلمى" بعبوس طفولي: رخم!

"تامر" بابتسامة جانبية: وإنتِ أرخم!

دخل "كريم" فجأة إلى الصالة وهو يضحك عليهما:

-بس أنتوا الاثنين عاملين زي القط والفار!

"سلمى" بدلع مفتعل وهي تلتفت نحو زوجها:

-هو رخم يا كيمو!

"كريم" بابتسامة: عارف يا قلب كيمو.

"تامر" وهو ينظر إليهما باستفزاز: بطلوا محن... وخليها تبعد عني! كل

شـــوية عاملـــة فيهـــا المحقـــق كونـــان وبتســـأل الناس.

"كريم" مازحًا وهو يغمز لـ "سلمى":

-تســـأل براحتهـــا، وأنـــت تجـــاوب غصـــب عنك.

"تامر" مستنكرًا: ليه بقى؟!

"ســـلمى" بجديـــة مصـــطنعة: عشـــان أنـــا أختك في الرضاعة يا ناصح!

"ســـلمى، زوجـــة كـــريم وابنـــة خـــالتهم، وتـــامر شـــقيقها فـــي الرضـــاعة، لكنهـــا دائمًـــا ما تتصرف بحرية لأنه شقيقها الوحيد.

"تـــامر" بضـــحكة ســـاخرة: يـــا شـــيخة روحـــي! دانـــا أختـــي الحقيقـــة مـــش بتنطـــق قدامي!

دخلـــت "ديـــالا" فجـــأة وهـــي تحمـــل كيسًـــا وتستعرض فستانها الجديد:

- ليه بقى؟ ماسك عليَّ ذلّي ولا إيه؟!

"تامر" بغضب وهو ينظر لها: بت...

"ديالا" مقاطعة وهي تبتسم:

-قلـــب وعيـــون وروح البـــت! المهـــم... إيـــه رأيكـــم فـــي الفســـتان الجديـــد اللـــي هحضـــر بيه خطوبة لمار؟

نظـــر "تـــامر" لهـــا بدقـــة، قبـــل أن يـــرد ساخرًا:

-إيه القرف اللي أنتِ لبساه ده؟!

"ديالا" بحزن وهي تلمس فستانها:

-وحش؟

"تـــامر" بحـــدة: زفـــت! ده فســـتان فـــرح ولا عزاء؟!

"كانت ترتدي فستانًا رمادي اللون، يتسع من الأسفل بشكل كبير، وعليه خمار طويل يغطي شعرها بالكامل، بنفس لون عينيها الرماديتين."

قال "كريم" بحب وهو يبتسم لـ "ديالا":

-قمر يا قلبي، ما تسمعيش كلامه، ده معندوش ذوق.

"ديالا" بفرحة وهي تلتفت نحوه: بجد؟!

ردت "إيمان" وهي تنظر بإعجاب للفستان:

-جد الجد يا روح عمتك! أنا هخليكِ تجيبي واحد ليا، عجبني أوي!

"ديالا" بفرحة عارمة: أنا أصلًا جبت واحد ليكِ وواحد لـ سلمى فوق... هطلع أجيبهم حالًا!

ركضت "ديالا" للأعلى بحماس، تاركة خلفها أصوات ضحكاتهم تتعالى.

فقالت "إيمان" بجدية وهي تلتفت نحو "تامر":

-إيه يا تامر؟ مقدرتش تقول كلمة حلوة لأختك؟ تزعلها كده!

" كريم" وهو يهز رأسه ساخرًا: سيبك منه يا عمتو، ده بارد ومعندوش دم!

ردت "سلمى" مؤكدة: فعلًا!

"تامر" بانزعاج وهو ينظر نحوهم: بس يا زفتة! أهو أنا أعمل إيه يعني؟ أكدب وأقولها حلو وهو وحش؟!

"إيمان" بحزم: في حاجة اسمها جبر الخواطر يا تيمو!

"تـــامر" مبتســـمًا وهـــو يرفـــع يـــده مستسلمًا:

-"حاضـــر يـــا عمتـــو! المـــرة الجايـــة هكـــدب وأقولها حلو... حاجة تانية؟!

توقف قليلًا قبل أن يتابع بجديّة:

-وبالمناســـبة... جهـــزوا نفســـكم! يـــوم الخمـــيس هتـــروح معايـــا أخطـــب... ســـلام يـــا أمنيتي!

"سلمى" وهي تضحك: مقلتليش سلام!

"تـــامر" وهـــو ينظـــر لهـــا باســـتهزاء: ســـلام يا زفتة!

غـــادر الصـــالة وســـط ضـــحكاتهم، بينمـــا "سلمى" تتابعه بعينين حائرتين.

***

من داخل المقهى...

تنطلق أغنية كوكب الشرق "كنت بشتاق لك..." لتضفي على المكان جوًا من الشجن والحنين. كانت "بسملة" تجلس على مقعد في الخارج، تتململ من الانتظار، بينما تتفحص الساعة كل بضع دقائق. تأخرت صديقتها كثيرًا، وبدأ الضيق يتسلل إلى ملامحها.

التفتت إلى يمينها فجأة، لتقع عيناها على شاب يحتضن فتاة وهما يتقدمان نحو المقهى. شعرت بالانزعاج من المشهد، بينما تهمس لنفسها بضيق:

-"ما هذا؟ عناق أمام الملأ بلا خجل! لكن... ما شأني بهم؟ ربما تكون زوجته أو أخته... المهم، إن لم تأتِ تلك الحمقاء قريبًا، سأغادر الآن."

تنهدت بضيق، ثم وقفت لتتوجه إلى المرحاض داخل المقهى. كانت تسير وهي تركز على هاتفها المحمول، قبل أن تصطدم فجأة بشخص أمامها، ليسقط الهاتف من يدها. انحنت سريعًا لتلتقطه، لكنها وجدته قد التقطه قبلها وناولها إياه وهو يعتدل في وقفته.

قال "تامر" بابتسامة خفيفة: ولا يهمك... أنتِ كويسة؟

رفعت "بسملة" حاجبها باستغراب، وهي تنظر له بنظرة حادة:

-أنت تعرفني عشان تقول لي أنتِ كويسة؟ واه يا سيدي... كويسة. في حاجة تاني؟

نظـــر لهـــا "تـــامر" بصـــدمة واضـــحة مـــن حدة ردها:

-كل ده عشان قولت لك أنتِ كويسة؟

أردفـــت "بســـملة" بحـــدة: وتقـــول لـــي ليـــه أصلًا؟

قبـــل أن يـــرد، اقتربـــت "ســـميرة" وهـــي تلهث:

-آســـفة يـــا بســـملة، واللهِ اتـــأخرت غصـــب عني!

التفـــت الاثنـــان نحـــو الفتـــاة القادمـــة، لتصـــيح "بسملة" بعصبية وملامح غاضبة:

-آســـفة إيـــه وزفـــت إيـــه؟ أنـــا مـــن الصـــبح مستنياكِ!

شـــعرت "ســـميرة" بـــإحراج واضـــح، وهـــي تنظـــر حولهـــا بعـــدما جـــذب صـــوت "بســـملة" المرتفع انتباه الجميع:

-معلش، حصل موقف في الطريق كده...

"بســـملة" وهـــي تلـــتقط أنفاســـها لـــتخفض من حدة صوتها:

-آســـفة يـــا ســـميرة، مقصـــدش... تعـــالي نقعـــد بره ونتكلم.

ردت "سميرة" بلطف: ماشي، يلا.

منحـــت "بســـملة" نظـــرة ســـاخطة لـــ "تـــامر" قبـــل أن تتجـــاوزه بملامـــح متجهمـــة. بينمـــا هو يبتسم لنفسه وهمس بهدوء:

-"شـــكلك هتتعـــب أوي يـــا تيمـــو... بـــس تستاهل، تعب الدنيا كلها تحت رجليها."

في زاوية أخرى من المقهى...

جلس "تامر" على مقعد بجوار فتاة تتشبث به وكأنها لا تريد أن تتركه للحظة.

"مريم" بدلال وهي تتمايل بجواره:

-وحشتني يا تيمو! مش بترد عليا ليه لما برن عليك؟

رد "تامر" بملامح جادة وبصوت هادئ:

-أنا آسف يا مريم... مش هينفع نكمل.

تجمدت ملامح "مريم"، وتحولت من الدلال إلى الحزن والصدمة وهي ترد بعدم تصديق:

-تامر... أنت بتقول إيه؟! أنا آسفة والله، مش عارفة عملت إيه زعلك، بس حقك عليا... متسبنيش!

"تـــامر" بأســـف ظـــاهر: متـــزعليش يـــا مريم... بس مفيش نصيب.

قالت "مريم" وهي تبكي بحرقة:

-تـــامر، عشـــان خـــاطري متســـبنيش! مـــش هعمل حاجة تضايقك تاني، أرجوك!

وقـــف "تـــامر" بجمـــود وهـــو ينظـــر إليهـــا بحزم:

-مـــــريم، متـــــزعليش... وربنـــــا يرزقـــــك بالأحسن مني.

لـــم تـــرد "مـــريم" ســـوى بالبكـــاء، بينمـــا غادر "تامر" دون أن يلتفت.

وفـــي زاويـــة المقهـــى، جلســـت "بســـملة" تتأمـــل المشـــهد مـــن بعيـــد، بينمـــا همســـت لنفسها بسخرية ممزوجة بالحزن:

-"ربنـــا؟! أنـــت لـــو تعـــرف ربنـــا بجـــد، مكنـــتش تلعـــب ببنـــات النـــاس كـــده! ومتنْســـاش... كمـــا تـــدين تُـــدان، هيتـــرد لـــك فـــي وقـــت غيـــر متوقـــع ومـــن أقـــرب النـــاس ليك... انتظر."

«يتحـــدثون باســـم الحـــب، ولا أحـــد يعلـــم مـــا معنـــى الحـــب، الحـــب أعظـــم ممـــا يخـــرج مـــن أفـــواههم، الحـــب أرقـــى وأســـمى ممـــا يقولـــون، الحـــب الـــذي أعرفـــه أنـــا غيـــر الحـــب الـــذي يعرفونـــه الحـــب تســـامح، إخـــلاص، وفـــاء، والأهـــم مـــن ذلـــك الحـــب اكتفـــاء، فأنـــا أرى رجـــلًا واحـــدًا يخبـــر أكثـــر مـــن ثـــلاث فتيـــات أنـــه يحـــبهم ويطلـــق علـــى الثلاثـــة حبيبـــاتي، الحـــب أصـــبح لعبـــةٍ لتســـلية يـــا لســـخرية، الحـــب أن تضـــع حـــدود

للجميع ويتخطاها هو، وأنت تبتسم؛ لأنه الاستثناء الوحيد، الحب ليس كلامًا يقال؛ بل هو شعورٌ فوق الرائع وفوق الوصف أيضًا، وكما قال نزار:- "كلماتنا في الحب تقتل حبنا، إن الحروف تموت حين تقال" أما ما يحدث في هذا الزمن بعيدٌ كل البعد عن الحب.»

*****

الفصل الثاني عشر

عندما ترى عيباً فيني، أخبرني ولا تُخبر غيري؛ فأنا المعني بتغييره. - ففي الأولى : نصيحة وأجر- وفي الأخرى : غيبة ووزر.

لماذا حين نرى سلبية في أحد نُخبر كل من حوله ولا نخبره هو بها؟ نحن نجيد التشهير بالتحدث عن بعضنا، لا مع بعضنا!

أعجبتني عبارة مكتوبة في أحد الفنادق:

-"إن أرضيناك فتحدث عنا وإن لم نرضك فتحدث إلينا"

فلنطبقها لتنتهي الغيبة بيننا، فالحياة ما هي إلا قصة قصيرة (من تراب - على تراب - إلى تراب)

ثـــم (حســـاب - فثـــواب أو عقـــاب). فعـــش حياتـــك لله تكـــن أســـعد الخلـــق، تعجبنـــي فكـــرة أن نمحـــــي الغلطـــــة مـــــن أجـــــل "تســـــتمر الأخـــوة" ولـــيس أن "نمحـــي الأخـــوة" مـــن أجل غلطة

لا تســـبوا أصـــحاب المعاصـــي ولاتحتقـــروهم فإنمـــا نحيـــا بســـتر الله ولـــو كشـــف الله عنـــا ســـتره لفضـــحنا. ولا تغتـــرو بكثـــرة صـــيام او صـــلاة فـــلا تـــدري مـــن يكـــون إلـــى الله اقـــرب إنصـــــح ولا تفضـــــح، وعاتـــــب دون أن تجرح!!♡

كـــان الجميـــع يجلـــس بـــداخل المنـــزل بـــلا اســـتثناء؛ أصـــدقاء "نـــور" وعـــائلتهم. نظرت "دعاء" حولها بضيق وقالت:

-طب إيه؟ هنفضل قاعدين كده من غير ما نعمل حاجة؟

ردت عليها "بسملة" بنبرة محبطة:

-هنعمل إيه؟ هما دوروا عليها في كل مكان.

تنهدت "دعاء" بضيق: طب وبعدين؟

هزّت "بسملة" كتفيها وقالت: معرفش.

ثم التفتت إلى "جيهان" التي كانت شاردة على غير العادة وقالت:

-جيهان، مالك؟

أفاقت "جيهان" من شرودها وردّت ببرود:

-مليش.

نظرت "دعاء" إليهما باقتراح قائلة: طب تعالوا نروح عند طنط نشوفها.

تحركت الفتيات الثلاث متوجهات إلى "أم نور" التي تجلس في زاوية بمفردها.

عندما وصلن، جلست "بسملة" بجوار "أم محمد"، والدة نور، وقالت بحنان وهي تحاول التخفيف عنها:

-نور هترجع يا طنط، وهتصدعك كمان، بس هي مش بتحب الحزن والنكد اللي إحنا عاملينه ده.

نظرت "أم محمد" إليهن بعينين تملؤهما الدموع وقالت بحزن:

-أنا عايزاها تصدعني بس... ترجع.

ابتسمت "دعاء" محاولة التخفيف من حزنها وقالت:

-هترجـــع وتزهقـــي منهـــا كمـــان، بـــس ادعيلها يا طنط.

أومـــأت "أم محمـــد" وهـــي تتمـــتم: بـــدعيلها وبدعيلكم كلكم يا رب.

قالت "بسملة" ممازحة لتخفيف الجو:

-رغـــم إن نـــور مزعجـــة ورخمـــة أوي، بـــس كلنا بنحب جنانها.

ضحكت "دعاء" وقالت بمرح:

-عارفة فارس بيقول عليها إيه؟

نظرت "بسملة" إليها متسائلة: إيه؟

أجابت "دعاء" ضاحكة: كارثة متحركة!

انطلقـــت ضـــحكة خفيفـــة مـــن "أم محمـــد" وســـط دموعهـــا، وكـــأن الكـــلام أعـــاد لهـــا بعضًا من روحها.

قالـــت "بســـملة" بضـــحكة: احمـــدي ربنـــا إن نـــور مـــش هنـــا، عشـــان لـــو عرفـــت، هتولّـــع فيه!

ضـــــحكت "أم محمـــــد" بحرقـــــة وعانقـــــت "بسملة" و"دعاء" قائلة بحنان:

-نور كانت بتحبكم أوي.

فجـــأة، قـــاطعهم صـــوت ســـاخر مـــن الخـــارج يقول:

-ليه؟ هي ماتت؟!

***

"في منزل فارس..."

كانـــت "روبـــين" تســـير بعصـــبية فـــي أرجـــاء المنزل وهي تتحدث بحدة:

-يعنـــــي إيـــــه بنـــــت زي دي تمشـــــي كلامهـــــا علينا كلنا؟!

جلس "فارس" بهدوء، محاولًا السيطرة على غضبه وقال بنبرة ثابتة:

-ماما، هي مش بتمشي كلامها، بس دي صحبتها، وفعلًا مينفعش نعمل حاجة وصاحبتها مختفية.

نظرت له "روبين" بسخرية وردت: آه طبعًا! لازم نستنى البرنسيسة هي وصاحبتها، الله أعلم بتعمل إيه! يمكن ضحكت على واحد عشان فلوسه.

انتفض "فارس" واقفًا ورد عليها بحدة:

-ماما! إيه اللي بتقولي ده؟! إن بعض الظن إثم.

لوّحت "روبين" بيدها وقالت باستفزاز:

-اسم النبي حارسك وصاينك يا حبيبي،

إنت لسه صغير، متعرفش البنات الفقيرة دي ممكن يعملوا إيه.

زفر "فارس" بغضب وقال بجدية: أولًا، هم مش فقراء. ثانيًا، أنا مش صغير وعارف كويس مين الكويس ومين الوحش.

تجمدت ملامح "روبين" وقالت بنبرة حادة: قصدك إيه يا دكتور فارس؟

نظر إليها "فارس" نظرة حادة وهو يقول:

-اللي فهمتيه يا ماما، بعد إذنك.

ثم غادر المنزل بخطوات غاضبة، تاركًا والدته غارقة في أفكارها.

رفعت "روبين" رأسها بتكبر وهي تهمس لنفسها:

-أنـــا؟ وحـــدة زي دي تبقـــى مـــرات ابنـــي؟! ده مش هيحصل أبدًا.

دخـــل "مـــارس" إلـــى الصـــالة بهـــدوء وقـــال بملل:

-يـــا مامـــا، إحنـــا مالنـــا؟ مـــش هـــو اللـــي اختارها يبقى خلاص.

ردت عليـــه "روبـــين" بغضـــب واضـــح: أكيـــد عملالـــه حاجـــة. دي لا شـــكل ولا منظـــر! مالهـــا مرنـــا؟ تقـــول للقمـــر قـــوم وأنـــا أقعـــد مكانك.

ضحك "مارس" وهو يقول ممازحًا:

-يعني قليلة ذوق!

رمقتـــه "روبـــين" بنظـــرة غضـــب، فرفـــع يديه مستسلمًا وقال بضحكة خفيفة:

-بهزر معاكي يا روبي.

ردت عليه بتهكم:

-ابقـــى اعمـــل زي أخـــوك وروح نقـــي واحـــدة من الشارع.

وقـــف "مـــارس" مســـتعدًا للمغـــادرة وهـــو يقول ساخرًا:

-حاضر، من غير ما تقولي.

سألته "روبين" بحدة: على فين؟

أجابها دون أن يلتفت: رايح لصحابي.

علّقت بتهكم: الفاشلين؟!

أجابهـــا "مـــارس" بلامبـــالاة: آه همـــا سلام.

غـــادر "مـــارس" وهـــو يتمـــتم لنفســـه بضيق:

-مش فاهم إزاي بتقول عليهم فاشلين، وإحنا مبنعملش حاجة غير يا بنذاكر يا بنشتغل... إيه ده يا ربي!

***

-ليه؟ هي ماتت؟

كان هذا صوت "نور" المشاغبة، ليصدم الجميع ويصيحون بفرحة: نور!

كانت "أم محمد" أول من أسرعت لتعانق طفلتها المزعجة. ورغم تجاوز "نور" لعمر العشرين عامًا، إلا أنها ستظل طفلتها الصغيرة في نظر والدتها. راحت تتفحصها بدقة، وكأنها تريد أن تطمئن أن ابنتها ما زالت بخير.

قالت "نور" بمرح وهي تحاول تخفيف التوتر:

-أنا بخير يا حجة، في إيه؟

صفعتها "ريهام" بخفة على كتفها ثم احتضنتها بقوة:

- وحشتيني يا زبالة، كنت هموت من خوفي عليكي.

ضحكت "نور" بمرح وردت: متخافيش يا أختش، أنا زي القرد.

قاطعتها "دعاء" وهي تدفع "ريهام" بلطف:

-اوعي كده يا ريهام! عايزة أسلم على اللي تخفة.

تظاهرت "نور" بالدهشة وقالت بمزاح:

-إيه الحب اللي ظهر عليكم فجأة ده؟

احتضـــنتها "دعـــاء" بقـــوة قائلـــة: قلقتينـــا عليكـــي يـــا مجنونـــة، وبســـببك أجلنـــا الشبكة! ياللي تتشلي.

ضـــحكت "نـــور" وقالـــت بمـــرح: وأنـــا مـــالي يا بوحه، الله؟

تدخلت "بسملة" بفرح وهي تقول:

-وحشتيني يا سطا.

نظرت "نور" لها بعيون ضيقة وقالت:

-وأنتِ يا معلم...

ثـــم تـــذكرت فجـــأة الموقـــف الـــذي أغضـــبها، فأشارت إليها بغضب ساخر:

-ابعدي يابت! أنا مخصماكي.

تعجبت "بسملة" قائلة: ليه يا بوحه؟!

ردت "نور" بحدة مصطنعة:

-عشان قلتلك استني ناكل عند الزفتة، وأنتِ عاملة فيها أحمد زويل وتقولي لا!

ضحكت "دعاء" وقالت بسخرية: زفتة في عينك! إيه اللي رجعك تاني؟ كنا ارتحنا منك شوية.

أشارت لها "نور" بإصبعها وقالت بثقة:

-كدابة يا سيد، ما تقدريش تعيشي من غيري.

ثم نظرت إلى "جيهان" التي كانت تلتزم الصمت منذ عودتها وقالت باستغراب:

-آمال الحجة زهرة ساكتة ليه؟

تدخلت "بسملة" وهي تنظر إلى "جيهان":

-إيه يا جيجي، ساكتة ليه؟

تحركت "جيهان" بضع خطوات لتقف أمام "نور". وفي لحظة، كانت تصفعها بقوة وهي تسبها بغضب:

-يا زبالة! يا حيوانة! هتموتيني ناقصة عمري!

احتضنتها "نور" بمرح وهي تضحك:

-يا شيخة، الأعمار بيد الله. إنتِ ماسكة فيها ليه؟

ضحكت "بسملة" وقالت: اضربيها يا جيجي، البنت اللي متربتش دي.

ثم رفعت يدها بابتسامة غبية وقالت سريعًا:

-لمؤاخذة يا طنط.

ضحكت "أم محمد" وقالت وهي تربت على رأسها:

-ولا يهمك يا قلبي، أصلًا هي متربتش فعلًا.

في تلك اللحظة، كان هو يقف بعيدًا يتابع ما يحدث بابتسامة تسلب العقول، وهو يحدث نفسه بدهشة:

-"أيعقل أن تكون هناك فتاة بهذا القدر من الجنون؟"

قطع أفكاره دخول رجال العائلة فجأة، بينما يسأل أحدهم بجدية:

-"من هذا؟"

قال "المهدي" بصوت هادئ: السلام عليكم، مين حضرتك؟

تقدم "أشرف" مصافحًا وقال بجدية:

-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. أنا المقدم أشرف المصري.

رد "المهـــدي" بابتســـامة فـــاترة: أهـــلًا وســـهلًا. تشـــرفنا، بـــس ممكـــن تفهمنـــي إيـــه اللي حصل؟ ونور كانت فين؟

قـــال "أشـــرف" بحـــزم: طبعًـــا هفهـــم حضـــرتك، بـــس ممكـــن نقعـــد فـــي مكـــان بعيـــد عـــن الدوشـــة؛ ثـــم ألقـــى نظـــرة خاطفـــة علـــى "نور".

قالـــت "نـــور" بصـــوت مـــنخفض وهـــي تضيق عينيها:

-دوشة في عينك الحلوة.

أشـــار "المهـــدي" نحـــو الـــداخل: آه طبعًـــا، تفضل جوه.

اعترضت "نور" وهي تقول بحماس:

-بـــس أنـــا عـــايزة أعـــرف! هتقـــولهم إيـــه؟ عشان مش فاهمة زيهم.

فـــي تلـــك اللحظـــة، صـــاح "عثمـــان" مـــن بعيد:

-نوررر!

تراجعـــت "نـــور" للخلـــف وهـــي تهمـــس بخوف:

-أنا بقول كده برضو.

***

"في المندرة..."

دخـــل الرجـــال إلـــى المكـــان المخصـــص لهـــم، بينمـــا جلـــس "أشـــرف" مـــع "المهـــدي" فـــي ركن منعزل ليتحدثا.

جلســـت "نـــور" علـــى الأرض وســـط دائـــرة التـــفّ حولهـــا الجميـــع بفضـــول، يتطلعـــون لســـماع تفاصـــيل مـــا حـــدث معهـــا. كـــان

الترقـــب يمـــلأ المكـــان، والعيـــون كلهـــا مُسلطة عليها.

قالـت "دعـاء" بلهفـة: هـا يـا نـور، احكـي؛ حصل إيه بعد ما مشيتي من عندي؟

تظـــاهرت "نـــور" بالثقـــة وهـــي ترفـــع حاجبيها وتبدأ الحكي قائلة:

-بصـي يـا سـتي، أنـا كنـت ماشـية فـي أمـان الله... فجأة...

قاطعتهـــا "ريهـــام" بفـــزع: هـــا، حصـــل إيه؟!

تابعـت "نـور" بحمـاس زائـف: طلعـت عليـا عربيـة، رشـت فـي وشـي ريحـة حلـوة. - وبعـدين محسـتش بنفسـي غيـر وأنـا بنـزل مـن العربيـة. وكـان فيـه رجالـة كتيـر أوي. قمت أنا عملت إيه...؟

قالـــت "بســـملة" بفضـــول وهـــي تقتـــرب أكثر:

-إيه؟؟؟

أكملـــت "نـــور" وهـــي تلـــوح بيـــديها كأنهـــا تحاكي المشهد:

- ضـــربت الراجـــل اللـــي كـــان ماســـكني! آمـــال هو فاكر نفسه خاطف أي حد؟

علّقـــت "جيهـــان" ببـــرود وهـــي ترفـــع حاجبها:

- كدابة!

تجاهلتهـــا "نـــور" وكأنهـــا لـــم تســـمع شـــيئًا واسترسلت:

-"وجريـــت بســـرعة، وكـــان فـــي اتنـــين بيجـــروا ورايـــا. قمـــت أنـــا وقفـــت ورا الحـــيط ومـــديت رجلـــي، راح الراجـــل وقـــع. مســـكت

العصـــاية اللـــي كانـــت جنبـــي وفضـــلت أضـــرب فيـــه هـــو وصـــاحبه لحـــد مـــا كـــانوا هيموتوا في إيدي.

عادت "جيهان" تقول بسخرية: كذابة!

"نـــور" رفعـــت صـــوتها بغضـــب مصـــطنع وهي تنظر لـ "جيهان":

-إيه يا عم؟! إنتِ كنتِ معايا؟!

ضـــحك الـــبعض بخفـــة، بينمـــا تســـاءلت "بسملة" مندهشة:

- وبعدين؟!

أجابـــت "نـــور" بمبالغـــة وهـــي تشـــير بيديها:

-راح طلعلي بقى إيه؟

قالـــت "بســـملة" بحمـــاس وهـــي ترفـــع حاجبيها:

- إيه؟!

ردت "نـــور" بجديـــة مصـــطنعة: راجـــل بدورين!

نظرت "بسملة" باندهاش: إزاي يعني؟!

ابتسمت "نور" بمكر وقالت:

-عارفـــة الراجـــل اللـــي فـــي المولـــد اللـــي بيبقى مركّب خشب في رجليه؟

ردت "بســـملة" وهـــي تهـــز رأســـها: آه، ماله؟

قالـــت "نـــور" بنبـــرة دراميـــة: هـــو ده! بـــس الراجـــل اللـــي طلعلـــي رجليـــه حقيقيـــة، قمـــت أنا عملت إيه؟

"بسملة" بتلهف: إيه؟!

ضحكت "نور" وأضافت:

-عضّـــيته فـــي رجلـــه! وقـــع علـــى الأرض، وفضـــلت أضـــرب فيـــه لحـــد مـــا ظهـــر جـــون مايكل!

قالـــت "جيهـــان" بحـــدة وهـــي تهـــز رأســـها نافية:

- كدابة!

التفتـــت "نـــور" إليهـــا بغضـــب وهـــي تصرخ:

-إيه يا عم؟! إنتِ كنتِ معايا ولا إيه؟!

علّقـــت "دعـــاء" وهـــي تحـــاول كـــبح ضحكتها:

-أصـــل الكـــلام اللـــي بتقوليـــه محـــدش يصدقه!

أكملـــت "نـــور" بلامبـــالاة: المهـــم بقـــى، ظهـــر جـــون مايكـــل وربطنـــي. مـــاهي الكتَـــر

تغلب الشجاعة، وده جون مايكل يا جماعة!

تنهدت "أم محمد" بضيق وقالت بصرامة:

-ما تنجزي يابت وتقولي الحقيقة وتخلصينا!

ابتسمت "نور" وهي ترفع كتفيها ببراءة:

-هو باين أوي إني بحوّر؟

ضحكت "دعاء" وقالت ساخرة: الحقيقة أوي!

التفتت "جيهان" إلى "نور" وقالت: أنا هروح أشرب حاجة. استني ما تحكيش حاجة لحد ما أرجع.

قالت "نور" باستهزاء وهي تلوّح لها بيدها:

-ماشي، روحي. استنيكي ولا يهمك!

تنهدت "نور" بعمق، ثم بدأت تحكي الحقيقة رغم غياب "جيهان":

-المهم، في واحد رش حاجة في وشي، ودخلني العربية. بعدها فتحت عيني لقيت نفسي مربوطة، ونمت تاني. لما صحيت اليوم اللي بعده، كان في راجل واقف قدامي بيقولي: يلا، أروّحك!

نظرت إليهم جميعًا وقالت وهي تهز رأسها:

-وأنا بقى زي زيكم مش فاهمة أي حاجة خالص! مستنيّة الراجل ده يطلع عشان أفهم من الحج.

وبعد دقائق من الضحك والسخرية، خرج "المهدي" ومعه "أشرف" من المندرة، وكان الأخير يتجه إلى خارج المنزل. قبل أن يغادر، ألقى نظرة سريعة على "نور"، مجنونته كما أطلق عليها، ثم غادر مبتسمًا.

***

"في منزل تامر"

كان جميع سكان المنزل يجلسون في دائرة وفي المنتصف زجاجة مياه فارغة، فقالت "ديالا" بحماس:

-يلا يا عمتو، لفي الزجاجة!

التقطت "إيمان" الزجاجة وبدأت في لفها وسط ترقب الجميع. توقفت الزجاجة، فصاحت "سلمى" بفرحة:

-أشطه بقى، أنا اللي هسأل!

قال "تامر" وهو يزفر بضيق: ربنا يستر!

نظرت "سلمى" له بمكر وسألته:

-"كم عدد الفتيات اللي اتكلمت معاهم في السر؟ ولا تكذب! أنا بحذرك يا قميلة."

رفع "تامر" حاجبه بسخرية وقال: اتكلمي زي الناس يا أختي!

ردت "سلمى" بتحدٍ: هذه لغتي الأم يا أحمق!

نظر "تامر" إليها نظرات غاضبة، ثم تذكر وجود والده بينهم، فقال بحدة:

-سلمى!

ضحك والده "حسني" بسخرية وهو يراقب نظراته:

-متـــزعلش يـــا حبيبـــي، عـــارف أنـــك صـــايع.

قول، قول!

قالـــت "ديـــالا" بمـــرح: يـــلا يـــا تيمـــو، قـــول لنا!

تنهد "تامر" وقال مستهزئًا:

-مـــالكوا متحمســـين كـــده ليـــه؟ كـــأني هقـــول لكم إزاي حصلت على جائزة نوبل!

قال "كريم" بضيق وهو يتابع الحوار:

-انجز وقلهم خلينا نخلص!

زفر "تامر" بملل وبدأ يعد على أصابعه:

-مـــــريم... أحـــــلام... آيـــــة... فاطمـــــة... تيسير... فريدة... إسراء...

وضـــعت "ديـــالا" يـــدها علـــى فمهـــا بصـــدمة وعـــدم تصـــديق، بينمـــا أكمـــل "تـــامر" بضيق:

-مش عارف كام بصراحة، لأن عددهم كتير. منهم في المدرسة، الجامعة، الشارع... يعني كتير!

ضحك "حسني" بسخرية وقال: معلش يا بني، سألتك سؤال صعب!

قال "كريم": لفي الزجاجة يا إيمان!

أمسكت "إيمان" الزجاجة ولفتها مجددًا. توقفت الزجاجة بين "تامر" و"كريم".

قال "تامر" بانتصار: بما أن مراتك فضحتني، يلا قول. مين أول واحدة حبيتها ولسه بتحبها ولا لا؟"

ثم أكمل بنفس لهجة "سلمى": ولا تكذب! أنا بحذرك يا قميلة.

نظرت له "سلمى" بغضب وقالت: بارد!

تنهد "كريم" بحزن مصطنع وقال:

-ماشي يا تامر، عايز تخرب بيت أخوك؟

تساءلت "سلمى" في سرها، هل كان لكريم حب في حياته قبلها؟ لكن سرعان ما بادلها "كريم" النظرة بحب نابع من القلب وهو يقول:

-أنا محبتش ولا هحب في حياتي غير واحدة فتحت عنيا شفتها بتلعب قدامي، كانت مكتوبة ليا من ساعة ما جت الدنيا. ورغم إني خطبت قبلها عشان أبعد عنها، لقيتني بقرب منها أكتر وبحبها أضعاف الحب نفسه. هي ملاك بضحكتها اللي تخطف القلب، دموعها اللي بتكسرني، وخجلها اللي محليها. صوتها المزعج وهي بتغني... كل حاجة

فيها حلوة! وأنا بحبها زي ما هي، بل بعشقها!

صفق الجميع بفرحة، وصفّر "تامر" وهو يغمز لسلمى التي كادت تبكي من شدة الخجل.

قالت "ديالا" بتمني: يا رب أكرمنا!

صفعها "تامر" بخفة وهو يقول: احترمي نفسك، ده أنا قاعد!

ردت "ديالا" وهي تضحك: معلش، الحماس خدني. يلا يا عمتو لفي!

لفت "إيمان" الزجاجة مجددًا وتوقفت على "عايدة" فقالت "عايدة" وهي تهز رأسها برفض:

-لا، أنا مش هلعب معاكم. أنا قاعدة كده بس.

قـــال "تـــامر" مازحًـــا: متهـــربيش يـــا أم تامر!

صـــفعه "كـــريم" بخفـــة وهـــو يقـــول: اســـمها أم كريم!

قالـــت "إيمـــان" بضـــحكة خبيثـــة: نســـيب المهـــم ونمســـك فـــي هـــي أم مـــين؟ اخلصـــي يا أم تامر!

ثـــم توقفـــت عنـــد الاســـم لتغـــيظ "كـــريم"، رد "كريم" مبتسمًا:

-إيه يا إيمان؟ ده أنا حتى حبيبك!

نظـــرت لـــه "إيمـــان" بغضـــب مصـــطنع: مـــش مرضـــتش تجيـــب لـــي بيتـــزا وأنـــت جـــاي، يبقى ولا أعرفك!

قالـــت "ديـــالا" بضـــحك: يـــلا يـــا عمتـــو، اسألي ماما. بتهرب!

سألت "إيمان":

-بتحبي أخويا ولا لا؟ ومتقليش أه وأبو العيال والكلام ده. عايزين نسمع قصة حب!

نظرت "عايدة" بخجل نحو زوجها "حسني" الذي ابتسم لها ليشجعها على الحديث.

قالت "عايدة" بصوت هادئ: اللي بيني وبين حسني أطهر من إني أقول عليه حب زي اللي بتتكلموا عليه. هو كان أبويا قبل ما يكون جوزي. كنت بغلط كتير أول جوازنا، بس عمره ما رفع إيده عليّ ولا حتى صوته. كان دايمًا رحيم. فاكرة كويس قالي مرة: أوعي حد فينا ينام زعلان من التاني، لو إنتِ

غلطانـــة أنـــا هـــاجي أصـــالحك، ولـــو أنـــا غلطـــان تعـــالي صـــالحيني. ومـــدخليش حـــد بينـــا، لأن أي علاقـــة بيـــدخل فيهـــا طـــرف تالت بتخرب حتى لو نيته خير.

صـــاح "تـــامر" بإعجـــاب: الله! الله! الله! هـــو ده الكـــلام. وأنـــا أقـــول طـــالع لمـــين؟ اتاري طالع لروميو وجوليت!

قـــال "حســـني" بصـــرامة: احتـــرم نفســـك يـــا واد!

ثـــم نظـــر لزوجتـــه بفخـــر، كأنهـــا كـــل انتصاراته، قال "تامر":

-حاضر يا باشا. لفي الزجاجة يا حب!

لفـــت "إيمـــان" الزجاجـــة، وتوقفـــت علـــى "ديالا" و"حسني".

قالت "ديالا": بابا، في سؤال محيرني من زمان. ليه الناس فاكرة إن الملتزمين حياتهم كلها جد ومفيش ضحك؟

أجاب "حسني" مبتسمًا: عشان الدراما المصرية صورت الرجل المتدين بجلابية ولحية، ودايمًا غضبان ويقول أستغفر الله العظيم كأنه معترض. لكن ده غلط. الدين يجمّل حياتنا، مش يعقّدها...

أكمل حديثه بإسهاب حول التوازن بين الالتزام والاستمتاع بالحياة، لتعم الحكمة والهدوء المكان وهو ينظر للجميع:

-بُصوا يا ولاد، الدين مش مجرد عبادات نأديها وخلاص، ولا صورة مرسومة غلط في خيال الناس. الدين ده حياة... رحمة، حب، عدل، وبهجة. النبي صلى

الله عليه وسلم كان أكتر الناس التزامًا بالدين، لكنه كان يبتسم ويمزح مع أصحابه، ويلاعب الأطفال، وكان حياته مليانة خير وتوازن.

سألته "ديالا" باهتمام: يعني إيه توازن يا بابا؟

أجابها برفق: يعني ما يكونش الإنسان متدين في المسجد بس وينسى الدين في باقي جوانب حياته. الدين بيظهر في أخلاقنا، في تعاملنا مع الناس، في برنا بأهلنا، وفي حبنا لأصحابنا. لما تكوني بتدرسي، لما تساعدي أمك، لما تفرحي قلب حد بكلمة حلوة، ده كله دين. ربنا بيحب يشوف عباده سعداء في طاعته.

قالت "سلمى": طب ليه بنشوف ناس متدينة فعلاً بس قاسية وما بيضحكوش؟

رد "حسني" بحكمة: دي مش صورة الدين الصح يا سلمى. ربنا سبحانه وتعالى وصف النبي في القرآن وقال: وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين. لو الالتزام بالدين ما خلاش الإنسان رحيم ومتسامح، يبقى فيه حاجة غلط في فهمه للدين. النبي كان لينًا وطيبًا، وكان يخاطب كل واحد بما يفهمه، وبيحترم الناس حتى لو مختلفين معاه.

سأل "تامر" وهو ينظر بفضول: طب يعني ممكن الإنسان يكون ملتزم ويضحك ويتبسط؟

ابتسم "حسني" وقال: طبعًا يا تامر! الدين ما منعش الفرحة ولا الضحك، بالعكس، ربنا خلق لنا الدنيا بمباهجها علشان نفرح ونستمتع، لكن في إطار اللي يرضي ربنا. يعني نضحك من غير ما نجرح حد، نتبسط من غير معصية، نفرح بس ما ننساش شكر ربنا على نعمه.

أضافت "ديالا" وهي تبتسم: يعني نعيش حياتنا عادي بس من غير ما نبعد عن ربنا؟

هز "حسني" رأسه مؤكدًا:

-بالظبط. الدين يسهّل حياتك ويطمن قلبك. لما تكون علاقتك بربنا قوية، هتحس إنك مطمئن حتى في أصعب

ظروفك، وهتحس بالفرحة في أبسط الحاجات. مفيش تعارض بين إنك تكون إنسان ملتزم وإنك تعيش حياتك وتفرح.

قالت "سلمى" وهي تفكر: يعني الدين مش مجرد صلاة وصوم؟

رد "حسني": الصلاة والصوم أركان أساسية، لكن الدين كمان أخلاق ومعاملة. لما تسامحي، لما تعيني حد محتاج، لما تحبي الخير لغيرك زي ما بتحبيه لنفسك، لما تتكلمي بأدب واحترام... ده دين. والنبي قال: إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

نظر "حسني" إليهم بحب وقال: الدين مش حاجة تقيدك، ده نور ينور لك طريقك. الدين ما بيحرمكش من الفرح،

لكـــن يعلمـــك تفـــرح صـــح. يعلمـــك إن الضـــحكة اللـــي تخـــرج مـــن القلـــب تكـــون صافية وما تؤذيش حد.

صـــاحت "ديـــالا" بحمـــاس: يـــا ســـلام يـــا بابـــا! يعنـــي اللـــي فـــاكر إن الـــدين كآبـــة، هـــو اللـــي مش فاهم الدين أصلاً.

ضـــحك "حســـني" وقـــال: بـــالظبط! الـــدين رحمـــة وســـعادة وتـــوازن. ربنـــا مـــا خلقنـــاش علشـــان نعـــيش فـــي حـــزن، ربنـــا قـــال: ولا تنس نصيبك من الدنيا.

قالـــت "إيمـــان" مبتســـمة وهـــي تلـــف الزجاجة مرة أخرى:

-خـــلاص يـــا جماعـــة، هنعـــيش حياتنـــا صـــح وبالـــدين، مـــن غيـــر مـــا نخلّـــي حـــد يحســـنا

إن الـــدين تعقيـــد. ديننـــا جميـــل وبيحـــب الحياة.

ضـــحك الجميـــع وأكملـــوا لعبـــتهم وهـــم يفكـــرون فـــي كـــلام "حســـني" الـــذي زرع فـــي قلـــوبهم حبًـــا للفهـــم الصـــحيح للـــدين، بعيدًا عن الصور النمطية المغلوطة.

***

"نور" بلهفة وهي تتحدث مع والدها:

-أيـــوة يـــا بابـــا يعنـــي قالـــك إيـــه؟ أنـــا مـــش فاهمـــة حاجـــة! عـــايزة أفهـــم مـــين اللـــي خطفني؟ وليه؟

"المهدي" بنبرة هادئة محاولًا تهدئتها:

-اهـــدي يـــا "نـــور"، محصـــلش حاجـــة. هـــو قـــال إنـــه كـــان معـــدّي وســـمع صـــوت ضـــرب،

دخل وضرب الرجالة وأنتِ كنتِ نايمة، فقومك وجابك هنا.

همست "نور" لنفسها بقلق وارتباك، بينما كانت عيناها شاردة:

-بس هو كان موجود قبلي... يبقى إزاي الكلام ده؟ أكيد في سر ومش عايزيني أعرفه... يا إما هو كدب على بابا. بس ليه؟

"المهدي" بنبرة أبوية: ادخلي نامي شوية يا "نور"، يمكن تعبانة ودماغك مش مرتاحة.

ردت "نور" بهدوء: حاضر يا بابا. يلا يا بنات على الأوضة، عايزاكم في حاجة.

تحركت الفتيات معها إلى الغرفة وأغلقن الباب خلفهن. جلست "نور" على السرير بينما تجمعن حولها بفضول.

"نور" بضيق وهي تسرد لهن كل ما حدث:

-هو ده اللي حصل... وأنا مش فاهمة حاجة.

"بسملة" بتفكير:

-ولا إحنا! مين اللي خطفك وإيه علاقة "أشرف" بالموضوع ده؟

"دعاء" وهي تعقد حاجبيها بتفكير عميق:

-الموضوع يقلق... بس أظن إن عمي أكيد عرف الحقيقة، لأن الكلام اللي قاله ما يقنعش حتى عيل صغير.

"بسـملة" موافقـة: صـح! حتـى أنـا مـش مقتنعة.

"نور" ضاحكة: اهي عيلة مقتنعتش!

"بسملة" بعصبية مفتعلة: نور!

"نـور" بمـرح وهـي تضـحك: قلـب وروح "نور"!

"دعـاء" بتصـميم: أنـا هتصـل بـ "فـارس" وأقوله إنك رجعتي. هو قلقان عليكي.

"نور" بسرعة: لا والله!

"بسملة" بتهكم وهي تنظر لـ "نور":

-وأقـول لهـا يـا "دعـاء" "فـارس" قـال إيـه عليها؟

"نور" بفضول: قولي يا بت!

"دعاء" بتصحيح نبرة صوتها الجادة:

-اسمه الدكتور "فارس"، وفكري تقولي لها حاجة... وأنا هوصيه عليكي!

"بسملة" بمرح: لا يا عم الطيب أحسن... عايزين نعدي السنة بسلام.

"نور" ساخرة: جبانة!

"بسملة" مدافعة عن نفسها: لا يا أختي، دي مش تهديد... ده نص الدفعة شال المادة بتاعته السنة اللي فاتت!

ضحكت الفتيات، ثم أمسكَت "دعاء" هاتفها واتصلت بـ "فارس".

رد "فارس" بمرح معتاد من الطرف الآخر:

-وأنا أقول الفون بيغني وفرحان ليه! اتاري اسم جميلة الجميلات منور عندي.

"دعـــاء" بصـــوت مـــنخفض جـــدًا وهـــي تحاول السيطرة على خجلها:

- مساء الخير.

"فارس" بنبرة مليئة بالمرح:

-"مســـاء الـــورد يـــا جميـــل. حصـــل حاجـــة؟ ولا وحشتك؟

"نـــور" وهـــي تهمـــس وتضـــحك بجانـــب "دعاء":

-يا محني!

"دعـــاء" بضـــيق وهـــي تحـــاول إبعـــاد "نور" عنها:

-غوري يا بت في داهية!

"فـــارس" وهـــو يضـــحك عنـــدما ســـمع حديثهما:

-هي الكارثة المتحركة رجعت؟

"دعاء" بجدية: آه، رجعت من ساعتين.

"فارس" بارتياح:

-حمدلله على سلامتها يا قلبي.

"دعـــاء" بخجـــل وهـــي تبتســـم: الله يســـلم حضرتك.

"فـــارس" بمـــزاح: حضـــرتي؟ ماشـــي! بلغيـــه عمـــي إننـــا هنيجـــي النهـــاردة نجيـــب الـــدهب، وبكـــرة نكتـــب الكتـــاب وتصـــبحي على اسمي يا جميلتي.

احمـــرّ وجـــه "دعـــاء" مـــن شـــدة الخجـــل وقالت بتلعثم:

-قول لبابا أنت!

"فـــارس" بضـــحكة خفيفـــة: أكيـــد هتصـــل بيه. خلي بالك من نفسك لحد ما أجي.

"دعاء" بخجل: وأنت كمان... سلام.

"فارس": سلام.

أنهت "دعاء" المكالمة، بينما كانت "نور" و"بسملة" تحدقان بها بدهشة وابتسامة خبيثة، وجيهان تتابع الحديث منذ البداية بصمت.

"نور" وهي تضحك: مبروك يا عروسة، أنا العريس.

"بسملة" بمزاح: الدكتور "فارس" قلبه عليكِ أوي... مش عارفين مين هيسقط السنة الجاية!

ضحكت الفتيات بصوت عالٍ، بينما جلست "دعاء" تحاول إخفاء خجلها بين ضحكاتهن، في جو امتلأ بالمرح وخفّة الدم.

الفصل الثالث عشر

♡ لقد مرت عليك فترات أشد قسوة من هذة الفترة..! أعرف، لكنني وفي الماضي كنت أمتلك طاقة تتحمل كل شيء، الآن أنا مستهلَك.♡

***

كانت تسير في منتصف الطريق بثقتها المعهودة، لا تبالي بالسيارات التي تسير بالاتجاه المعاكس؛ لكن الآن، وهي شاردة الذهن، كادت أن تصطدم بإحدى السيارات. توقف السائق أمامها في اللحظة الأخيرة ليصيح بغضب أعمى:

-أنتِ يا متخلفة! ابعدي عن الطريق بدل ما تجيبي لحد تهمة!

نظرت له ببرود، ثم واصلت طريقها دون اكتراث. لو كانت بحالة تسمح لها

بالجدال، لما صمتت على صراخه بها؛ لكن الآن، هي متعبة... متعبة للحد الذي يجعلها صامتة بشكل مرعب، بسبب والدها العزيز الذي اخبرها بموافقته على الزواج من ابن شقيقه.

كان يسير خلفها بخطوات سريعة، يريد الوصول إليها الآن؛ ما إن اقترب منها حتى نادى باسمها:

-جيهان!

توقفت مكانها، تتمنى أن تكون أذناها قد خدعتها، وألا يكون هو؛ إنه آخر شخص تود رؤيته الآن، لكن، ببطء، التفتت لتجده يقف أمامها، ينظر لها بتقييم واضح، تنفست بعمق وهي تقول باستغراب:

-نعم؟ في إيه تاني؟ وماشي ورايا ليه؟

رد عليها بثقة أقرب للغرور: عايز أتكلم معاكي.

لم يكن طلبًا بقدر ما كان أمرًا، فنظرت له بسخرية، قائلة:

-معقول البشمهندس هيتواضع ويتكلم مع عامة الشعب؟ ده كتير والله!

وضع يده في جيبه، مثبتًا نظراته عليها، وقال ببرود:

-شوفتي؟

لترد عليه بحدة:

-عايز إيه يا محمد؟ مش خلصنا؟

ابتسم "محمد" بسخرية:

-تو تو تو... عايزك إنتِ يا جوجو.

أطلقت "جيهان" ضحكة ساخرة عند سماع لقبها المفضل من طفولتها، والذي لم ينادِها به سواه:

-وأنا مش عايزاك يا حمادة!

"محمد" بثقة: طالما حمادة يبقى هنتفق.

نظرت له "جيهان" بحزن، قائلة:

-صعب يا ابن عمي، كل حاجة انتهت من زمان.

اقترب منها بجدية، وقال: لو انتهت بجد مكنتيش تبصي في كل الاتجاهات إلا عنيا؛ لكن أنتِ بتعملي كده عشان تدلعي وتفرحي إنّي متمسك بيكي قدام صحابك، وأنا معنديش مانع، بس مطوّليش... عشان أنتِ عارفاني بزهق بسرعة.

لـــو كـــان شـــخص آخـــر مكانهـــا لَأصـــيب بالـــذهول، لكـــن هـــي تحفظـــه عـــن ظهـــر قلـــب، ردت بهدوء يخالف ضجيج روحها:

-مـــش ملاحـــظ إن غـــرورك زاد عـــن الأول بكتير؟ ومش عارفة السبب إيه!

ابتســـم "محمـــد" بثقـــة: دي ثقـــة يـــا باشـــمحامية، مـــش غـــرور، وازاي مـــش عارفة السبب؟

كـــان يقصـــد أنـــه يتحـــدث بثقـــة لأنـــه يعلـــم أنهـــا تحبـــه كثيـــرًا لدرجـــة لـــيس لهـــا حـــدود؛ لكنهـــا فهمـــت كلامـــه بشـــكل آخـــر، لذلكصـــاحت بـــه بغضب مفاجئ بالنسبة له:

-لا! غلطانـــة! ازاي نســـيت البشـــمهندس وكليـــة الهندســـة القمـــة وأنـــا واحـــدة فاشـــلة دخلت حقوق بالعافية؟

قال سريعًا: مقصدتش كده!

قاطعت كلامه بحدة: ولا تقصد! مش فارقة... اسمعني يا محمد، عشان دي آخر مرة هكلمك فيها.

نظر لها بترقب، ينتظر ما ستقوله.

للحظة، بدا وكأنه لا يهتم برأيها؛ فهي بالنسبة له، بكل الأحوال، ستكون له.

قالت "جيهان" بحزن نابع من أعماق قلبها:

-إنت كنت تتحب وقت ما أنا حبيتك. لكن دلوقتي... لا تتحب، ولا أنا بقيت أحبك.

ابتسم بثقة وقال: متنكريش... إنتِ لسه بتحبيني.

هزت رأسها وقالت بمرارة: قولتلك مش هنكر إنّي حبيتك. لا... دا أنا عشقتك

مـــش حبيتـــك بـــس! واســـتحملت منـــك أســـوأ معاملـــة، وبرضـــو متكلمـــتش، بـــس كفايـــة كـــده... أنـــا تعبـــت. ومـــش عـــايزاك، ابعـــد عني... الله يرضى عنك.

تركتـــه وغـــادرت بـــألم كـــاد يحرقهـــا، بينمـــا هـــو وقـــف يتأمـــل رحيلهـــا بابتســـامة واثقـــة وهو يتمتم لنفسه:

-إنتِ ليا... حتى لو غصب عنك.

"قولتلها انا رافض نبقى أصحاب

يا تكوني معايا يا ماتكونيليش

سكتت لحظة

علشان كانت هي ملاحظه

ان انا مكسور وبهددها

مدت ايدها

ومسكت ايدي

وقالتلي خلاص فُك يا سيدي

عازماك على قهوة ما تكسفنيش"

كانت "بسملة" تجلس في غرفتها، أعلى سريرها، تحتضن وسادتها وتبكي وهي تستمع إلى شاعرها المفضل؛ لكن فجأة، اقتحم إعصار هدوءها الرومانسي الهادئ.

قالت "نور" وهي تفتح الباب دون استئذان:

-أنتِ بتحبي من ورايا يا بت؟

نظرت "بسملة" لها بغضب وردت بحدة:

-بت في عينك يا مصيبة! مش في باب تخبطي عليه ولا داخلة زي الطور الهايج؟

دخلـــت "نـــور" الغرفـــة وجلســـت بجوارهـــا وهي ترد ببرود:

-أنـــا عمـــري جيـــت عنـــدك وخبطـــت علـــى الباب؟

"بسملة" رفعت حاجبها بسخرية:

-بصراحة... لأ! معلش، أنا اللي غلطانة.

ابتسمت "نور" بانتصار:

-شـــوفتي! هـــا... ردي بقـــى، فـــي حـــب جديـــد ولا إيه؟

ردت "بســـــملة" وهـــــي ترفـــــع عينيهـــــا بضيق:

-هو كان في قديم عشان يبقى فيه جديد؟

غمـــزت "نـــور" بمكـــر وقالـــت: عينـــي فـــي عينك كده!

نظرت لها "بسملة" بتحذير صارم:

-نووور!

رفعت "نور" يديها مستسلمة وقالت:

-خـــلاص يـــا ســـتي... قـــوليلي مالـــك طيـــب؟ عشان نروح لـ دعاء.

أجابـــــت "بســـــملة" وهـــــي تحـــــاول كـــــتم دموعها:

-مضـــــايقة أوي ومخنوقـــــة ومـــــش عارفـــــة مالي.

"نـــور" باهتمـــام: ليـــه؟ حصـــل حاجـــة معـــاكِ؟ أو حد قالك حاجة؟

هزت "بسملة" رأسها نفيًا وقالت:

-المشكلة إنه لأ.

ردت "نـــور" بـــتهكم: يـــا بـــت النكديـــة! أمـــال مضايقة ليه؟

دخلت عليهما فجأة "حورية" وهي تقول بابتسامة ساخرة:

-والله أنا ما نكدية، هي مش عارفة طالِعة لمين!

ضحكت "نور" وقالت بمرح:

-يا كسفتك يا حازم!

نظرت "بسملة" إليها بتشفي وقالت:

-أحسن!

"نور" بمرح زائد: منورة البيت يا طنط!

ابتسمت "حورية" بلطف وهي ترد: ده نورك يا نور؛ أنا كنت جاية أسألكم، تشربوا حاجة ولا تتغدوا؟

"بسملة" بحماس: أنا جعانة!

"نـــور" اعتـــذرت قائلـــة: تســـلمي يـــا طـــنط، بـــس إحنـــا لازم نمشـــي عشـــان نـــروح لـــ دعاء؛ من الصبح وهي ترن عليا.

ردت "حوريـــة" بحنـــان: طيـــب، هجهـــزلكم بسرعة مش هتأخر.

"نـــور" بهـــدوء: معلـــش يـــا طـــنط، هنأكـــل عند دعاء عشان متزعلش.

قالـــت "حوريـــة" بابتســـامة: خـــلاص، براحتكم.

ثـــم تركتهمـــا وغـــادرت الغرفـــة؛ نظـــرت "بســـملة" إلـــى "نـــور" وقالـــت وهـــي تنهض:

-هنروح نشتري حاجة الأول.

"نـــور" بســـرعة: طيـــب، بـــس جهـــزي بسرعة. دعاء هتولع فينا!

وقفت "بسملة" لتجهز نفسها، لكن فجأة رن هاتفها، نظرت للشاشة لتجد "دعاء" هي المتصلة؛ أشارت لـ "نور" قائلة:

-ردي عليها عبال ما أخلص.

التقطت "نور" الهاتف وردت بمرح:

-عروستنا القمر وحشانا!

جاء صوت "دعاء" من الطرف الآخر بعصبية:

-ماشي والله... لوريكم أنتِ وهي بس لما تيجوا!

ضحكت "نور" وقالت: اهدي يا جميل، العصبية وحشة عليكِ.

لكن "دعاء"، وقد فاض بها الكيل، صرخت بها:

-نور! أنتم فين؟

"نور" بسرعة:

-خـــلاص متـــزعليش، أنـــا عنـــد بســـملة، هتجهـــز وهنيجـــي علـــى طـــول، مـــش هنتأخر.

ســـألت "دعـــاء" بضـــيق: والزفتـــة التالتـــة فين؟

ردت "نـــور" بتعجـــب: مـــش عارفـــة؛ افتكرتهـــا وصـــلت عنـــدك، عشـــان رحتلهـــا البيت لقيتها مشيت.

هـــزت "دعـــاء" رأســـها بنفـــي قائلـــة: لا، مجـــتش وبـــرن عليهـــا مـــش بتـــرد، هـــرن عليها تاني.

"نـــور" بتهدئـــة: ماشـــي، مســـافة الطريـــق ونكون عندك.

أغلقت الهاتف، ثم صاحت بضيق وهي تلتفت لـ "بسملة":

- يلا يا زفتة، يا بسملة!

***

اتصلت "دعاء" بـ "جيهان" لتخبرها الأخيرة أنها في الطريق إليها.

أصبح منزل "دعاء" مليئًا بالعائلة؛ فالليلة لقاء القلوب برباط عقد مقدس، ورغم الهرج والمرج الذي يملأ المكان، إلا أنها شعرت بالوحدة بدون صديقاتها، فهن مصدر البهجة في حياتها، بينما كانت تجلس، تذكرت ما حدث بالأمس في محل المجوهرات، وما فعلته "نور".

«Flashback»

كانت "نور" تمسك بإحدى الدِبَل وهي تقول للبائع بجرأة:

- بص يا عمو، سيبك من الكلام اللي قاله الدكتور، أنت هتكتب اسمي على الدبلة تمام؟ ولو حطيت جنبها قلب يبقى كتر خيرك!

نظر لها "فارس" بدهشة وهو يقول ساخرًا:

-ويكتب اسمك ليه إن شاء الله؟

نظرت "نور" إلى "دعاء" وكأنها تنتظر إجابة، لكن "دعاء" بدت مرتبكة ولم تفهم الإشارة. رفعت "نور" حاجبها وقالت بحدة: أنا عارفة إنك غبية ومش بتفهمي بالإشارة؛ ردي على الأستاذ... أنا أبقى ليكي إيه؟

تدخلت "بسملة" تقول بتصحيح ساخر:

-دكتور... مش أستاذ.

ردت "نور" بلا اهتمام: مش هنتناقش في المهنة دلوقتي، ردي يا دعاء، أنا أبقى إيه؟

"دعاء"، بإحراج واضح من تصرف "نور"، أجابت بخجل:

-صاحبتي.

وجهت "نور" نظرها إلى "فارس" مجددًا وقالت بجدية مضحكة:

-شفت؟ يلا يا عمو، اكتب الاسم عشان نمشي!

تدخلت "جيهان" وهي تبتسم قائلة: لا يا نوره، مينفعش تكتبي اسمك وحدك!

ابتسم "فارس" أخيرًا ظنًا منه أن "جيهان" تتحدث بعقل، لكن ابتسامته تلاشت حين أكملت "جيهان" بحماس:

-أنتِ أنانية؛ عايزة تكتبي اسمك لوحدك ليه؟! احنا هنكتب الحروف أحسن!

ثم أشارت إلى "فارس" وهي تضيف:

-وهنكتب حرفك معانا!

رد "فارس" بسخرية واضحة: إيه الكرم ده؟ كتر خيرك والله!

ثم صاح بهم بنفاذ صبر: أنتِ مجنونة أنتِ وهي؟ هتكتبوا على الدبلة بصفتكم إيه؟!

نظرت "نور" إلى "بسملة" الواقفة بجوارها وقالت:

-هـــو فاقـــد الـــذاكرة ولا إيـــه؟ مـــش لســـه دعاء قايلة إني صحبتها؟

قالـــت "بســـملة" وهـــي تهـــز رأســـها بأســـف مصطنع:

-شـــكله كـــده؛ يعينـــي عليـــكِ يـــا دعـــاء، ملحقتيش تفرحي بيه!

رد "فـــارس" وقـــد بـــدأ صـــبره ينفـــد: لـــو كنتـــوا خلصـــتوا، ممكـــن تســـتنوا بـــره مـــع العيلة؟

قالت "نور" ببراءة زائفة:

-وليه؟ أنا هستنى حضرتك؟!

تجاهلهـــا "فـــارس" وهـــو يتحـــدث إلـــى الصائغ بحدة:

-لـــو ســـمحت، اكتـــب اللـــي مكتـــوب فـــي الورقة!

تـــدخلت "نـــور" مـــرة أخـــرى بانـــدفاع: وليـــه يكتب اللي أنت قولته وما يكتبش اسمي؟

رد "فـــــارس" بغضـــــب مكبـــــوت: يمكـــــن عشـــان خطيبهـــا مـــثلًا؟ ودي شـــبكتنا وبكـــرة هتكون مراتي!

قالـــت "جيهـــان" بتحـــدٍّ ســـاخر: وده مبـــرر يخليـــك متكتـــبش حروفنـــا؟ وتمشـــي ســـلطتك علينا حتى برا الحرم الجامعي؟

"فـــارس" بحـــزم: أيـــوه مبـــرر، ولـــو مســـكتيش، هســـتغل ســـلطتي بطريقـــة مـــش هتعجبك!

صـــمتت "جيهـــان"، تفكـــر فـــي كلامـــه، ثـــم ســـارت بهـــدوء لـــتجلس بجـــوار "دعـــاء"، لحقـــت بهـــا "بســـملة" وهـــي تهمـــس، بصوت سمعه "فارس" بوضوح:

-ده بيهـــدد يـــا عـــم مـــن أولهـــا! أنـــا مـــش لاعبة معاكم تاني.

"فـــارس"، وهـــو ينظـــر إلـــيهم بنظـــرات تحذيرية:

-ده مش تهديد، ده آخر تحذير ليكم!

ثـــم التفـــت إلـــى "نـــور" التـــي كانـــت تنظـــر إليه بسماجة واضحة، لتقول بتحدٍّ:

-إيـــه بتبصـــلي كـــده ليـــه؟ همـــا خـــايفين علـــى مســـتقبلهم ليضـــيع، أنـــا معنـــديش مســـتقبل أصلًا. هاا... كنا بنقول إيه؟

"فـــارس"، وقـــد فقـــد أعصـــابه وهـــو يجـــز على أسنانه:

-آنسة نورهان!

التفتت "نور" إلى "دعاء" وقالت بمرح:

-خلاص يا عم؛ يا بت يا دعاء، ده بيتحوّل! سيبيه، واجوزك أخويا اللي دايمًا بتقولي عليه عسل!

نظر لها "فارس" بنظرة مشتعلة، وكاد يحرقها بها، لتسرع "نور" وتهرول بعيدًا، وتجلس بهدوء بجوار "دعاء".

كانت "دعاء" تتابع الحوار بصمت، ثم نظرت إلى صديقاتها الثلاث، اللواتي يحدّقن في "فارس" ببراءة مصطنعة، لتطلق ضحكات خافتة وهي تهز رأسها.

«Back to present»

جلست "دعاء"، تبتسم بحب، وهي تهمس لنفسها:

-الله يكـــون فـــي عـــون فـــارس الأيـــام الجايـــة... المجـــانين مـــش هيســـيبوه فـــي حاله!

***

نفخـــت "نـــور" بضـــيق وهـــي تراقـــب صديقتها:

-هاااا، خلصتي ولا لسه؟

"بســـملة" وهـــي منشـــغلة بترتيـــب أغراضها:

-خـــلاص، دقيقتـــين ونمشـــي... هـــروح أحاسب وارجع.

تركـــت "بســـملة" نـــور واتجهـــت نحـــو الكاشـــير بخطـــوات ســـريعة، لكـــن خطواتهـــا توقفـــت فجـــأة عنـــدما رأت ذلـــك المشـــهد الـــذي جمـــدها فـــي مكانهـــا؛ كـــان "تـــامر"

يعانق فتاة بطريقة مستفزة، يهمس في أذنها بكلمات لا تدري ماهيتها، بينما أطلقت الفتاة ضحكات عالية أثارت انتباه كل من في المكان؛ لاحظ "تامر" ذلك، فتوقف لينظر بغضب إلى الفتاة، يحذرها بعينيه أن تكف عن هذا التصرف، لكنه صُدم عندما وقعت عيناه على "بسملة".

تحولت نظراته من الغضب إلى الدهشة، وأبعد ذراعيه عن الفتاة بسرعة وكأنه ارتكب جريمة؛ أما "بسملة"، فقد اكتفت برفع حاجبها بسخرية، ترسم ابتسامة باردة على وجهها قبل أن تدير ظهرها وترحل.

تأفف "تامر" بضيق وهو يتمتم:

-"هي آخر شخص كنت أتمنى يشوفني كده."

ثم التفت إلى الفتاة التي ما زالت تتعلق به بدلع مصطنع، وقال بحدة:

-امشي.

الفتاة، وهي ترمقه بدلال: تيمو...

قاطعها بغضب متصاعد: قولت لك امشي!

شعرت الفتاة بالإهانة فغادرت مسرعة، بينما هو أخذ نفسًا غاضبًا وتحرك نحو الكاشير، ليقف بجانب "بسملة" التي كانت تحاسب؛ لم يكن يريد أن يترك الأمر هكذا، فهمس لها بصوت يحمل مزيجًا من التبرير والارتباك:

-دي أخـــت صـــاحبي... كانـــت هتقـــع وأنـــا سندتها.

رفعـــت "بســـملة" رأســـها إليـــه بحـــدة، تنظـــر لـــه بتعجـــب شـــديد؛ لمـــاذا يبـــرر لهـــا أصـــلًا؟ مـــا شـــأنها بـــه وبحياتـــه؟ لقـــد رأتـــه بالفعـــل أكثـــر مـــن مـــرة فـــي مثـــل هـــذه الأوضـــاع، ولـــم تهتم.

قالـــت لـــه بصـــوت بـــارد وقـــاطع: وأنـــا مـــالي بيك؟! أنت حر.

ثـــم حملـــت أغراضـــها واتجهـــت نحـــو "نـــور" التـــي كانـــت تنتظرهـــا عنـــد البـــاب، خرجـــت الاثنتـــان مـــن المكـــان، تاركـــة "تـــامر" يغلـــي مـــن الـــداخل؛ لكـــم الحـــائط بقـــوة، غضـــبًا جحيميًا، وهو يتمتم بحنق:

مـــش عـــارف ليـــه كـــل مـــرة لازم تشـــوفني في أسوأ وضع!

***

«قـــد يمنحـــك القـــدر فرصًـــا كثيـــرة؛ ولكـــن واحـــدة فقـــط هـــي هديـــة العمـــر، وهكـــذا كانـــت هـــي بالنســـبة لـــه "هديـــة القـــدر". كـــان بإمكانـــه أن يـــرتبط بفتـــاة تملـــك المـــال والجمـــال، ولكنـــه لا يهـــتم بكـــل هـــذا، فهـــو يردد دائمًا:

-"اختـــر مـــن يرتضـــيه قلبـــك وعقلـــك"...

وهي من ارتضاها قلبه وعقله.»

كـــان "فـــارس" يقـــف أمـــام المـــرآة يصـــفف شـــعره، يعيـــده كلـــه للخلـــف بعـــد أن ارتـــدى بدلـــة رماديـــة فـــاخرة جعلتـــه شـــديد الوســـامة؛ ألقـــى نظـــرة أخيـــرة علـــى انعكاســـه

فـــي المـــرآة، ثـــم ابتســـم برضـــا، وغـــادر الغرفة متجهًا نحو غرفة أخيه.

مـــا إن دلـــف إلـــى الـــداخل حتـــى تغيـــرت ملامحه، وصاح بغضب:

-كـــل ده بتجهـــز؟ بقالـــك ســـاعة! أنـــا العـــريس مش أنت.

اســـتدار لـــه "مـــارس" وقـــد لاحـــت فـــي عينيـــه لمعـــة إعجـــاب، ثـــم بـــدأ يصـــفر، غيـــر مبـــالٍ بغضب أخيه وسعيد بما يراه:

- واو... أنا لو بنت كنت اتجوزتك!

صـــفعه "فـــارس" علـــى رقبتـــه بخفـــة وهـــو يرد ساخرًا:

-احترم نفسك.

ثم احتضنه بحب أخوي، قال "مارس" وهو يربت على كتفه:

- مبروك يا دوك، ربنا يتمملك على خير.

ابتسم "فارس" وقال بصدق: الله يبارك فيك... وعقبالك يا حبيبي.

في هذه اللحظة، دلفت "روبين" إلى الغرفة، مرفوعة الرأس بشموخ، ووجهت حديثها لـ "فارس": جبت لـ 'سنّيورة' اللي قولت لك عليه؟ بدل ما تفضحنا بلبسها قدام العيلة!

رد "فارس" بهدوء: آه يا ماما، جبت... في حاجة تاني؟

تابعت "روبين" حديثها بحدة: آه، ياريت تقولها متعزمش صحابها، لأني مش

عـايزة أشـوفهم بعـد اللـي حصـل فـي محـل المجوهرات.

رد "فـارس" مـدافعًا عـن أصـدقاء خطيبته:

-مامـا، دول أصـحابها، وهمـا كـانوا بيهـزروا معايـا، وبعـدين ده بيتهـا مـش هنتحكم مين ييجي ومين ميجيش.

صـرخت "روبـين" بعصـبية مفرطـة: يعنـي إيه؟ أنت ملقتش غير واحدة زي دي؟!

تحـدث "فـارس" بحـزم، وملامحـه غاضـبة غير مقصودة:

-مالها دي؟! أنا مشوفتش أفضل منها!

قالـت "روبـين" بسـخرية: يبقـى تكشـف نظر... لأن مستواك انحدر أوي.

أجابها "فارس" بحدة: إلا 'دعاء' يا ماما، دعاء خط أحمر! لو مش عاجبة حضرتك ده شيء يرجع لك، بس هي عجباني... وأوي كمان.

"روبين" بحدة: مش عاجباني، ومش قابلة إن واحدة زي دي تتجوز ابني.

نظر لها "فارس" بجدية: بس أنا اللي هعيش معاها مش حضرتك.

قبل أن ترد، دلف زوجها "ياسر" إلى الغرفة، ونظر إليها بحدة قائلًا:

-الموضوع ميخصكيش يا روبين، محدش قبل كده جبرك على اختيار، ولا اختارلك حاجة، عشان تختاري لابنك، وبعدين ابنك مش صغير، يقدر يتحمل نتيجة اختياره... ولا إيه؟

قالت "روبين" بغضب: ياسر، البنت دي...

قاطعها "ياسر" مجددًا، وقد بدا حازمًا:

-يلا عشان ما نتأخرش على الناس.

غادرت "روبين" الغرفة غاضبة وهي تتمتم بوعيد، لتقسم أنها لن تسمح لهذا الزواج أن يتم، همس "مارس" الذي كان يتابع الحديث بصمت:

-ربنا يستر.

ابتسم "ياسر" وقال له: هيستر بإذن الله.

ثم تقدم من "فارس" ليحتضنه: مبروك يا حبيبي.

بادله "فارس" العناق بحب: ١

-لله يبارك في حضرتك يا بابا.

قال "ياسر" وهو يغادر الغرفة: هسيبكم وأشوف روبين لحد ما تخلصوا.

علق "مارس" بمرح وهو يضحك: ربنا معاك يا حج.

ثم التفت إلى "فارس" الذي جلس على الفراش بضيق وقال بجدية:

-مالك يا عريس؟

رد "فارس" بخوف: خايف ماما تقول لـ 'دعاء' كلمة تزعلها في يوم زي ده.

جلس "مارس" بجواره وقال وهو ينظر له باهتمام:

-اشمعنا 'دعاء'؟

في البداية لم يفهم "فارس" سؤاله، لكنه سرح قليلًا ثم همس بحرارة: مختلفة... مميزة... دافئة... حنونة...

هشـــة رغـــم قوتهـــا الظـــاهرة للجميـــع، إلا إن عينهـــا تكشـــف قـــد إيـــه هـــي ضـــعيفة... بتـــوزع حنـــان وحـــب للجميـــع وهـــي أكتـــر حـــد محتاجـــه... فـــي عينهـــا بـــراءة الكـــون كلـــه، وكأنها أميرة خرجت من كتب الأساطير.

صـــمت للحظـــات وهـــو يتـــذكر لقـــاءه الأول بهـــا فـــي مكتـــب العميـــد، حـــين كانـــت تـــدافع عـــن صـــديقاتها بـــلا خـــوف. عـــاد ليكمـــل بصوت غائم بعاطفة:

-أول مـــرة شـــفتها كانـــت بتـــتكلم بكـــل ثقـــة قـــدام العميـــد، عجبتنـــي أوي قوتهـــا، وفـــي آخـــر اليـــوم شـــفتها قاعـــدة فـــي مكـــان منعـــزل وبتبكـــي زي الأطفـــال، وقفـــت مكـــاني أتابعهـــا، ولمـــا قـــررت أروح أشـــوف مالهـــا، لقيـــت أصـــحابها جـــم قعـــدوا جنبهـــا، كملـــت

طريقي، لكن صورتها اتحفرت في ذاكرتي للأبد.

قال "مارس" بمرح وهو يبتسم: الله الله عليك يا حبيب والديك! كل ده ومخبي على مارس حبيبك؟!

ابتسم "فارس" بخجل وأكمل: مش عارف بحبها بجد ولا لأ، بس كل اللي أعرفه إنها ليا وأنا ليها من أول لحظة شفتها، ومينفعش يكون حد مكانها.

نهض "مارس" ليحتضنه بسعادة وقال بحماس:

-أنت بتعشقها يا بني، مش بتحبها.

"فارس" بابتسامة هادئة: مش هتسرع وأقول بحبها... هسيب الأيام تحدد مسمى لمشاعري، بس حاليًا اللي أعرفه

إنهـــا ســـر ســـعادتي، وإنهـــا الوحيـــدة اللـــي بفرح من قلبي لما بشوفها.

***

وصـــلت بعـــد نصـــف ســـاعة إلـــى مكتبـــه، وكـــادت أن تـــدق البـــاب، لكنهـــا تراجعـــت وهمّـــت بالمغـــادرة، ولحســـن حظـــه كـــان هـــو خـــارج المكتـــب فقـــال "إبـــراهيم" بنبـــرة واضـــحة وهـــو يقـــف خلفهـــا: وصـــلتي هنـــا وهتمشـــي مـــن غيـــر مـــا نـــتكلم؟ طيـــب جيتـــي ليه؟

التفتـــت "جيهـــان" إليـــه، وهمســـت بحـــزن وهي تحاول تبرير مغادرتها:

- أصل افتكرت حاجة... ولازم أمشي.

فـــتح "إبـــراهيم" بـــاب مكتبـــه وهـــو ينظـــر إليها بثبات:

-طيب تعالي نتكلم وبعدين امشي.

ردت "جيهـــان" بارتبـــاك: مـــش هينفـــع... أصلي اتأخرت.

قال "إبراهيم" بإصرار لكن بنبرة هادئة:

-محتـــاج أتكلـــم معـــاكي شـــوية... معلـــش عشر دقايق بس.

تـــرددت للحظـــة، ثـــم دخلـــت إلـــى المكتـــب قبلـــه وجلســـت علـــى المقعـــد المقابـــل لمكتبـــه، بينمـــا جلـــس هـــو أمامهـــا، يتابعهـــا بقلـــق، ثـــم ســـألها بنبـــرة حنونـــة، وكـــأن حنـــان الكـــون وضع في قلبه:

-مالك؟

كانـــت كلماتـــه البســـيطة كافيـــة لتفجيـــر دموعهـــا، فـــانهمرت كالشـــلال، رفعـــت يـــديها لتخفـــي وجههـــا، وظلـــت تبكـــي لـــدقائق،

بينما هو عاجز حتى عن قول كلمة، ليتها تعلم من هي بالنسبة له لتجعله يرى دموعها هكذا ببساطة. دموعها تسيل على وجنتيها فتسقط على قلبه كالنيران. إن كانت تتألم، فهو يتألم أكثر منها، رؤيتها بهذه الحالة تحرق قلبه وكأن أوجاع الكون بأكملها وضعت فيه.

همس أخيرًا بكلمة واحدة وهو يقدم لها منديلاً ورقيًا:

-كفاية.

أخذت المنديل، ومسحت بقايا دموعها، ثم نطقت بصوت يحمل بقايا حزن:

-أنا آسفة.

رد "إبراهيم" بثبات وقد عاد إليه هدوءه المعتاد:

-على إيه؟

قالت "جيهان" بحيرة وملامح يائسة:

-مش عارفة... آسفة ليك وآسفة ليا، وآسفة لكل حد دخلت حياته... أنا أسوأ حد ممكن تقابله في حياتك.

تحدث "إبراهيم" بجدية ونبرة دافئة: لو عايزة تعتذري لحد، يبقى تعتذري لنفسك، أنتِ أجمل بنوتة شفتها في حياتي... مزيج بين كل حاجة حلوة... بنت عظيمة، وأخت سند، وصديقة مخلصة، وأم...

نظرت له باندهاش وكأنها تطلب منه أن يكمل، فقال وهو يبتسم برقة:

-أول مـــرة أشـــوف واحـــدة فيهـــا كـــل الحنيـــة دي. حنيتـــك علـــى 'رحـــيم' تخلـــي أي حـــد يشوفك يعشقك، مش بس يحبك.

احمـــر وجـــه "جيهـــان" بخجـــل، ثـــم وقفـــت لتغادر وهي تقول:

-أنا اتأخرت... لازم أمشي.

لكنهـــا توقفـــت فجـــأة عنـــدما ســـمعت كلماتـــه التي همس بها بحرارة:

-أنـــا بحبـــك أوي يـــا 'جيهـــان'... ومـــن زمـــان كمان.

تصـــلّبت مكانهـــا للحظـــة، ثـــم اســـتدارت لتنظـــر إليـــه وكأنهـــا تـــراه لأول مـــرة، تقـــدم "إبراهيم" بضع خطوات وهو يكمل:

-مكنـــتش عـــايز أقولـــك غيـــر لمـــا نتجـــوز، بـــس حســـيت إنـــك محتاجـــة تســـمعيها

دلــوقتي؛ عشــان كــده هقولهــا مــرة واتنــين وعشــرة... أنــا محبــتش قبلــك ولا هحــب حــد بعدك.

حاولـــــت "جيهـــــان" الســـــيطرة علـــــى انفعالاتها المختلطة، وسألته بذهول:

- إزاي مـــن زمـــان؟ وأنـــت شـــوفتني مـــن شهر بس؟

ابتسم "إبراهيم" بثقة وهو يخبرها:

-محصـــلش... أنـــا أعرفـــك مـــن زمـــان أوي، لو ركزتي هتفتكري إننا اتقابلنا كتير.

حاولـــت التـــذكر، لكنهـــا لـــم تســـتطع، عقلهـــا كـــان مشوشًـــا بالكامـــل، فقالـــت بصـــوت أقرب للبكاء:

-مش فاكرة.

رد عليها بلطف: مش مهم تفتكري دلوقتي... هنفتكر مع بعض بعدين؛ وصح، نسيت أقولك حاجة.

سألته باستغراب: إيه؟

قال مبتسمًا: أنا كلمت الأستاذ "عثمان"، وأخدت منه معاد... ويوم الخميس هنكون عندكم.

رفعت رأسها إليه باندهاش، تكاد تبكي من الصدمة:

-ده بجد؟

أجابها "إبراهيم" بجدية وهو يبتسم: جد الجد كمان.

عاد يتحدث بجدية أكبر: مش هسألك دلوقتي على سبب انهيارك، بس هستنى

لمـــا أنـــتِ تيجـــي تقـــوليلي، وافتكـــري دايمًـــا إني موجود معاكي في أي وقت.

ثم أكمل بنبرة حازمة، لكنها تحمل حنانًا:

-ودي آخـــر مـــرة هســـمحلك تبكـــي فيهـــا، أنـــا بحب جنانك أكتر يا مجنونة!

نظـــرت لـــه بامتنـــان، وابتســـمت أخيـــرًا رغـــم دموعها المتبقية:

-شكرًا.

"نلتقـــي فـــي البـــارت الرابـــع عشـــر مـــن رواية أربعة تساوي واحد"

*****

الفصل الرابع عشر

"تلاقيه قاعد مخنوق وقرفان ومتضايق .. ومحدش جيه جنبه أصلاً .. وهو نفسه لو سألته إيه مضايقك هـ يقولك مش عارف وهو مُستوحِش وهو مش واخد باله ..!

هو دا بالظبط تعريف " الوَحشة "

إنتَ قلبك بِفطرته علي طول عاوز ربنا"

***

نسمات الهواء الباردة تداعب وجنتيها برقة وهي تجلس أمام المرآة. تبتسم بفرحة لا تصدقها؛ هل يُعقل أن اليوم هو عقد قرانها على من سكن قلبها منذ النظرة الأولى؟! ربما هو عطاء القدر الذي يأتي بلا حسبان. تشعر وكأنها في حلم وردي لا تريد الاستيقاظ منه، لكنه

واقــع... واقــع جميــل يُقلقهــا لأنهــا لــم تعتــد أن تكون أحلامها بهذا الجمال.

كــان بالنســبة لهــا نجمًــا بعيــدًا، بُعــد الســماء عـــــن الأرض، وقريبًـــــا كأنفاســـــها...

"فـــارس" هـــو نجمهـــا المضـــيء، والآن تقولها بكل ما تملك من روح:

-"فارس هو هدية السماء."

أصــدقاؤها الثلاثــة يجلســون علــى الفــراش يتــأملون شــرودها المقلــق، فقــد شــاركوها كل شيء وهم أيضًا يخشون القادم.

وفجــأة، طرقــات علــى البــاب تعلــن عــن قدوم ضيف غير مرحب به.

دلفــت "خالتهــا" بخطــوات حانقــة وهــي تتأمل "دعاء" بنظرة استحقار:

-مبـــروك يـــا دعـــاء! والله وطلعتـــي أشـــطر مـــن بنـــت خالتـــك وعرفتـــي تـــوقعي واحـــد زي ده، عـــايزاكي تقعـــدي مـــع "ياســـمين" وعلميها تعمل زيك!

تجمـــدت "دعـــاء" مكانهـــا وبهـــت وجههـــا أمـــام هـــذا الاتهـــام المهـــين. لـــم تســـتطع الـــرد بينمـــا أصـــدقاؤها ينظـــرون إليهـــا بحـــزن. لكـــن "نـــور" لـــم تســـتطع الصـــمت، فتقـــدمت واحتضـــنت "دعـــاء"، ثـــم وجهـــت لخالتهـــا نظرات نارية وقالت:

-للأســـف، دعـــاء ملهـــاش فـــي الكـــلام ده، بـــس أنـــا ليـــا، خلـــي بنتـــك تيجـــي وأنـــا أعلمهـــا... أعلمهـــا الأدب، لأن الظـــاهر مش موجود عندكم!

نظـــرت لهـــا "الخالـــة" بعصـــبية وقالـــت: إنتي تقصدي إيه يا بنت؟!

ردت "نـــور" بهـــدوء غيـــر معتـــاد: قصـــدي إن حضـــرتك جايـــة النهـــاردة تبـــاركي لبنـــت أختـــك مـــش تتهميهـــا، دعـــاء مـــش مـــن النـــوع ده، لـــو بنتـــك تعـــرف توقـــع حـــد، ابقـــي اسأليها وقعت مين!

صـــاحت "الخالـــة" بســـخرية: همـــا دول اللي مصحباهم يا دكتورة دعاء؟!

صححتها "جيهان" بابتسامة ساخرة:

-محاميـــة بعـــد إذنـــك، تعبنـــا طـــول الســـنين دي عشـــان حـــد يتريـــق علينـــا ويقـــول يـــا دكتورة.

غـــادرت "الخالـــة" الغرفـــة غاضـــبة بينمـــا علّقـــوا جميعًـــا فـــي ســـرهم علـــى أمـــل أن

تتـــرك المنـــزل بأكملـــه، تقـــدمت "بســـملة" وقالت بتهكم:

-لا ويقولـــوا الخالـــة زي الأم، أنـــا لـــو أمـــي واحدة زي دي كنت اتبريت منها!

جلســـت "دعـــاء" علـــى الأرض بإهمـــال، لـــيجلس أصـــدقاؤها حولهـــا. قالـــت "جيهان" بضيق وهي تتفقد فستانها:

-أنـــا مـــش بعـــرف أقعـــد فـــي الأرض، والفستان هيوسخ ولسه مفرحتش بيه!

جـذبتها "نـور" مـن يـدها لـتجلس قائلـة: يـا شيخة اقعدي واسكتي!

ابتســـمت "دعـــاء" ابتســـامة حزينـــة لـــم تظهـــر ســـوى فـــي عينيهـــا، ثـــم همســـت "جيهان" بحنان وهي تربت على يدها:

-دعاء...

ردت "دعـــاء" بحـــزن: لمـــا بـــبص فـــي عينيهـــا بحـــس إنـــي وحشـــة أوي، فـــي كـــل مـــرة بشـــوفها، بفضـــل قـــدام المرايـــة بالســـاعة أتأكـــد مـــن نظرتهـــا ليـــا، يـــا تـــرى أنـــا فعلاً وحشة؟

توقفـــت لوهلـــة تبتلـــع غصـــة البكـــاء، ثـــم أكملت:

-مـــش عارفـــة هـــي بتحاســـبني ليـــه علـــى إنـــي ســـودة، هـــو أنـــا اختـــرت لـــون بشـــرتي؟ لـــو عليـــا، كنـــت اختـــرت أكـــون بيضـــاء عشـــان محدش يتريق عليا!

عانقتهـــا "بســـملة" بشـــدة لتبكـــي "دعـــاء" بـــين أحضـــانها، مســـحت "بســـملة" دموعهـــا وقالت بحزم:

-هي اللي وحشة ونظرها ضعيف، لأن السواد في قلبها هي مش فيكي، أنتِ جميلة بحنانك وطيبة قلبك؛ كنت فاكراك ذكية يا دعاء، لكن طلعتي غبية!

نظرت لها "دعاء" بتساؤل، فأجابت "بسملة" بابتسامة:

-أيوة غبية عشان تنكدي على نفسك في يوم زي ده بسبب واحدة متخلفة ما بتشوفش غير المظاهر.

أضافت "جيهان" على الفور:

- لأنك فعلاً حلوة... وأحلى واحدة فينا، ربنا قال في كتابه العزيز: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، ودا جواب قسم يعني ربنا خلقك في أحسن صورة ليكِ.

نظـــرت لهـــم "دعـــاء" بامتنـــان وقالـــت بابتسامة:

-أنتم بس اللي بتحسسوني إني حلوة.

أجابـــت "نـــور": عشـــان أنـــتِ حلـــوة، وطـــظ فـــيهم كلهـــم، اللـــي مـــش عاجبـــه يخـــبط دماغـــه فـــي الحـــيط. أنســـي! أنـــتِ ملكـــة النهاردة وهتتوّجي على قلب فارس.

نظـــرت لهـــا "دعـــاء" بضـــيق: اســـمه دكتـــور فارس.

صـــفعتها "نـــور" علـــى رأســـها بمـــرح: ده وقته؟ سيبك! المهم جهزين يا حلويات؟

التفتـــت "نـــور" لـــ "جيهـــان" وابتســـمتا بخبث لتبادلهما "بسملة" الغمزة:

-جاهز يا باشا.

نظـرت لهـم "دعـاء" بخـوف: نـاويين علـى إيه؟!

ردت "نور" ببراءة مصطنعة:

- مفـيش. قلنـا مـن زمـان إن فرقـة المجـانين مـا عملـتش مشـاكل، فأقترحنـا نعمل حاجة صغيرة كدا.

هـزت "جيهـان" و"بسـملة" رأسـيهما تأكيدًا، لترد "دعاء" بسخرية:

-مـن زمـان إيـه؟ مـن يـوم مـا اتخطفـتِ ولا إمبارح في محل الدهب؟"

ردت "نـور" بتـذمر: قلبـك أسـود يـا دودو. كنت بهزر مع فارسنا... بس النهاردة؟

قاطعتهـا "دعـاء" بغيـرة خفيفـة: فـارس بتاعي أنا!

ضحك الثلاثة بشر، ثم جذبوها إلى عناق جماعي محبب لهم.

وعلى بعد خطوات، كان "فارس" يقف مع والدها واختها ووصل له حديثها الذي ألم قلبه، دلفت أختها لتخبرهم بوصوله، ليتسرب الفرح إلى وجوههم.

تقدم والدها ليقول لها: فارس طلب يتكلم معاكي قبل كتب الكتاب.

لكن "فارس" قاطع بلطف: شكرًا لحضرتك، خلاص هتكلم معاها بعد ما نكتب.

غادر "فارس" بصحبة الفتيات الثلاث، الذين نظروا إليه بدهشة بعد كلمته الأخيرة:

-شكرًا... شكرًا على كل حاجة.

رحل تاركًا خلفه ابتسامة أمل وراحة... فالموعد المنتظر قد حان.

"تركيا"

في مكان جبلي، كان يقف رجل فوق صخرة مرتديًا جلبابًا أبيض وقبعة على رأسه. كان صاحب بشرة بيضاء ولحية كبيرة غير منمقة. بدا صوته مرتفعًا وهو يخاطب من أمامه؛ لم يكن غاضبًا، ولكن هكذا يجب أن يكون الأمير من وجهة نظرهم.

على بعد صغير، وبين الرجال، كان "أشرف" يقف وبجواره صديقه "باسل". كان "أشرف" ينظر إلى الأمير بغضب يعتصره، يريد الفتك به فورًا، لكن عليه التحلي بالصبر والانتظار.

الكلمات التي يتفوه بها هذا الحقير كانت كافية لتشعل غضبه، حتى همس له "باسل" برجاء:

-اهدى يا أشرف، الخطة هتبوظ لو حد لاحظ علينا حاجة.

تنفس "أشرف" بعمق محاولًا تهدئة نفسه، لكن سرعان ما صدح صوت الأمير مجددًا ليقول:

-ستذهبون الآن مع قائد الجناح العسكري لجماعة الإخوان المسلمين.

ثم أشار الأمير إلى أحد الرجال، وهو القائد، ليتقدم نحو المجموعة المستجدة ويصطحبهم معه لإلقاء خطبة عن الجهاد. كان "أشرف" و"باسل" ضمن هذه المجموعة.

في مكان بعيد قليلًا، جلست مجموعة من الرجال على الأرض، وأمامهم جلس رجل على مشارف العقد الرابع من عمره. بدا وكأنه على استعداد لإلقاء خطبة ملتهبة، رغم أن كلماته كانت بعيدة كل البعد عن أي سلام. رفع صوته قائلًا:

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أيها المباركون، اخترتم لأنفسكم أعلى العبادات، وهي عبادة الجهاد في سبيل الله. ثم اخترتم من بين تلك العبادات أرقاها، وهو أن تكونوا هنا... أن تكونوا رجال الدين الذين يبغضون الفواحش ويحاربون دفاعًا عن أرض ودين.

كان "أشرف" يرمقهم بنظرات غاضبة بينما كانوا يستمعون إليه بإنصات وجدية. همس لنفسه بسخرية:

-"يا للسخرية... هؤلاء شباب المستقبل، لا يفقهون شيئًا في أمور دينهم. لا يميزون بين الصواب والخطأ، ويصدقون هذا الهراء. يضحون بأرواحهم من أجل لا شيء، ويظنون أنهم سيخلدون في الجنة. حمقى... حقًا حمقى إن صدقوا هذا."

وبعد عدة ساعات، انتهت الخطبة وأمرهم القائد بالذهاب للنوم. توجه الجميع إلى مكان يشبه الكوخ، لكنه كان واسعًا بما يكفي ليسمح لهم بالتمدد على الأرض.

كان "أشرف" يتظاهر بالنوم بينما يتفقد الشباب حوله. عندما اطمأن أن الجميع غرق في سبات عميق، همس لصديقه:

-باسل... يلا!

لم يتفاجأ بأن "باسل" مستيقظ بالفعل نهض الأخير بسرعة وهو يهمس وينظر يمينًا ويسارًا بحذر:

-يلا.

أوقفه "أشرف" وقال بجدية: إنت هتراقب بره، أي حركة ابعتلي إشارة.

وأشار إلى ساعته التي بها جهاز إرسال؛ رد "باسل" بهمسة منخفضة:

-أنت هتعمل إيه بالضبط؟

أجابه "أشرف" بضيق، محاولًا السيطرة على غضبه:

-كل المعلومات اللي محتاجينها على اللاب، هعملها كوبي وأبعتها للواء، كده هيتبقى حاجة واحدة ونخلص المهمة.

نظر له "باسل" بتردد وقال: طيب، مش شايف إننا بنستعجل؟ ممكن حد ياخد باله، وبعدين إزاي هتدخل أوضة الأمير؟ معتقدش هتقدر.

تطلع إليه "أشرف" بغضب وهمس بنبرة حادة:

-نسيت إني ظابط ولا إيه؟

شعر "باسل" بالإحراج وقال: أنا بس كنت...

قاطعه "أشرف" بعجلة وهو يهم بالمغادرة:

-استنى هنا، لو في حاجة ضروري ابعتلي إشارة فورًا.

تركه "أشرف" وغادر بخطوات سريعة وسط الظلام، ليهمس "باسل" لنفسه بقلق:

-ربنا يستر...

تقدمت "دعاء" بخجل من "روبين" التي كانت تجلس واضعة قدمًا فوق الأخرى بكبرياء. حاولت "دعاء" التحدث بأدب:

-إزي حضرتك؟

نظرت إليها "روبين" باستحقار وردت ببرود واقتضاب:

-بخير... مبروك.

قالت "دعاء" بارتباك: الله يبارك في حضرتك.

في هذه اللحظة، تقدمت "حورية" لتعانق "دعاء" بحب وابتسامة وهي تهمس لها بفرحة:

-مبارك يا حبيبتي.

ثم جعلتها تجلس على مقعد بالقرب منها.

كانت "دعاء" تبحث بعينيها في جميع الاتجاهات بقلق، لكنها لم تجدهم، زفرت بضيق لعلمها أنهم بالتأكيد يفعلون شيئًا كارثيًا، فقالت "حورية" بقلق خفيف:

-في حاجة يا دعاء؟

ردت "دعاء": مش عارفة بسملة والبنات فين؟!

"حوريـــة" بابتســـامة ســـاخرة: أنـــا شـــفتهم من شوية واقفين يتكلموا مع بعض.

همســـت "دعـــاء" وهـــي تشـــعر بـــالقلق: ربنـــا يستر...

ضحكت "أم بسملة" قائلة:

-هتحصل كارثة صح؟

ردت "دعـــاء" بصـــدمة وهـــي تـــرى مشـــهدًا غريبًا أمامها وكأنها على وشك البكاء:

-هـــي كارثـــة واحـــدة؟ دول تلاتـــة! يعينـــي عليَّ وعلى بختي اللي وقعني فيهم!

اســـتدارت "أم بســـملة" لـــتفهم مـــا تقصـــده "دعـــاء"، وفجـــأة رأتهـــم. الـــثلاث حمقـــاوات "نـــور"، "بســـملة"، و"جيهـــان" يرتـــدين أزيـــاء خاصـــة بأعيـــاد المـــيلاد، يتوســـطون

الغرفة، فجأة صدحت الأغنية الشهيرة "حمادة هلال":

"أنا سبونج بوب بوب!"

كانت جميع الوجوه مصدومة، هل هذا عقد قرآن أم حفلة للأطفال؟!

في منتصف الغرفة، كانت الفتيات الثلاث يتحركن على أنغام الأغنية بسعادة طفولية.

قالت "جيهان" بامتعاض وهي تتذمر: أنا كنت عايزة ألبس سبونج بوب!

ردت "بسملة" بفخر وهي تنظر لنفسها: بس هو حلو عليَّ أكتر!

ثم ضحكت بسعادة وهي تردد مع الأغنية: أصفر كموني!

نظـــرت "نـــور" إلـــى "جيهـــان" بشـــماتة:

بس بسيط هيأكل منك حتة!

ردت "جيهـــان" بالمثـــل: و"شـــفيق" عامـــل شغل مع طولك، هههه!

ضحكت "نور" بمشاكسة: عاجبني.

ثـــم تقـــدمت نحـــو "دعـــاء" لتشـــدها إلـــى الـــرقص معهـــم، لكـــن "دعـــاء" رفضـــت بقوة:

-لا... مش هرقص! خلصوا لعب بقى!

بعـــد محـــاولات كثيـــرة، وجـــدت "دعـــاء" نفســـها تقبـــع وســـطهم، بينمـــا كـــل واحـــدة منهم تحركها بسعادة.

تبـــدلت الأغنيـــة لأخـــرى أكثـــر "حمقًـــا"، وبدأت "بسملة" تغني بصوت مرتفع:

"أنا سبونج بوب بوب...

أنا سبونج بوب أصفر كموني موني...

أنا سفنجة ومش جبنة رومي...

شخص طبيعي ومش كرتوني!

بزعل من أي حاجة وبعيط...

بس برضوا بفرح بسرعة...

بحب اللعب بالفقاعات...

وبحب أنام جوا الاناناس!"

أشـــارت "بســـملة" لـــ"نور" و"جيهـــان"

وهي تكمل الأغنية:

"صاحبي شفيق وبسيط...

فاكرني حويط...

مطلعين عليا سمعة...

وأنا غلوبه خالص وطيب...

ومش شرير خالص يا ناس...

أنا سبونج بوب بوب!"

همست "دعاء" بضيق وهي تنظر لهم باستغراب:

-إيه اللي بيحصل ده؟!

ردت "نور" ببراءة مصطنعة: والله مش قصدنا نضايقك... إحنا بس مش بنسكت عن حقنا، واهو زي ما أنتِ شايفة... في ناس عايزة تحرقنا، وده معناه إن الخطة نجحت بامتياز!

"دعاء" بحزم: طيب كفاية كده!

ردت "بسملة" بابتسامة عريضة: إحنا كده كده متفقين على أغنيتين!

في الخلفية، كانت خالة "دعاء" تقف بنظرات مشتعلة تكاد تحرقهم، وهي تهمس لنفسها بغضب:

-قليلات الحياء...

أمـــا "روبـــين"، فكانـــت تنظـــر لهـــن باســـتياء كبير وهي تفكر بمرارة:

-"مـــاذا فعلـــت هـــذه الحقيـــرة لتجعـــل ابنـــي يتزوجها؟"

فـــي نفـــس الوقـــت، كانـــت "ابنـــة أخـــت روبـــين" تصـــفق بحمـــاس كبيـــر، حتـــى نظـــرت إليهـــا "روبـــين" بحـــدة جعلتهـــا تتوقف فورًا.

دخـــل "مصـــطفى" بوقـــار إلـــى الغرفـــة، وهـــو يقول:

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رد الجميـــع: وعلـــيكم الســـلام ورحمـــة الله وبركاته.

قـــال "مصـــطفى" بابتســـامة: المـــأذون بره... يلا يا دعاء.

فجـــأة، صـــاحت "نـــور" وهـــي تهـــرول للداخل:

-اســـتنى يـــا عمـــو... عشـــر دقـــايق وأكـــون عندك!

نظـــر الجميـــع لهـــا بدهشـــة، لكنهـــا لـــم تهـــتم، وتبعتهـــا "بســـملة" و"جيهـــان" التـــي قالـــت بتحذير:

-اوعى حد يتحرك قبل ما نيجي!

اقتربـــت "دعـــاء" مـــن والـــدها وقالـــت بسرعة:

- يلا يا بابا... بسرعة قبل ما يجوا!

ضـــحك "مصـــطفى" وهـــو يـــرد عليهـــا: لـــو مســـتنتيش المجنونـــة صـــاحبتك، هتقلـــب الدنيا!

قالت "دعاء" بقلق: أنا عايزة نكتب قبل ما تيجي... عشان مش ضمناها!

خرج "مصطفى" بابنته نحو "المندرة" حيث سيتم عقد القرآن، وخلفه بعض الضيوف.

جلست "دعاء" باستحياء على مقعد منعزل قليلًا، بينما وقفت أختها بجوارها.

جلس "مصطفى" بجوار "فارس" الذي ابتسم له بسعادة، ثم نظر بريبة إلى "مصطفى" وسأل:

-آمال فين أصحاب دعاء؟

رد "مصطفى" بابتسامة هادئة: شوية وجايين... متقلقش.

تنهد "فارس" بخوف وقال: ربنا يستر... يلا نكتب بسرعة قبل ما يجوا.

ضحك "مصطفى" على خوفه، ثم مد يده لـ"فارس" لتعانق الأيدي. وضع المأذون منديلًا أبيض منقوشًا عليه أسماؤهم وبدأ بمراسم الزواج.

بمجرد أن قال المأذون:

-"بارك الله لكم وبارك عليكم وجمع بينكم في خير."

انطلقت الزغاريد من فم "نور" و"بسملة" وأمها. سادت البهجة أرجاء المنزل، بينما كانت "جيهان" تصفق بحماس شديد قبل أن تنقض على "دعاء" لتحتضنها وتقبلها وهي تقول بسعادة:

-مبارك... مبارك يا قلبي! مش عارفة أقولك إيه... أنا فرحانة أوي!

ردت "دعـــاء" وهـــي تعانقهـــا بحـــب: الله يبـــارك فيـــكِ يـــا قلبـــي... وعبالـــك أنـــتِ والبنات يا رب!

دفعتهـــا "نـــور" بعيـــدًا لتأخـــذ مكانهـــا وتعـــانق "دعـــاء" بحـــب نـــابع مـــن القلـــب. تلتهـــا "بســـملة" بـــنفس الفرحـــة، ثـــم انتهـــى الأمـــر بعناق جماعي محبب لهن جميعًا.

ثـــم تركوهـــا ليـــأتي الجميـــع ليبـــارك لهـــا؛ وبعـــد مـــدة مـــن المباركـــات والاحتفـــال، غـــادر الجميـــع إلـــى منـــازلهم، ولـــم يتبـــقَ ســـوى الفتيـــات و"فـــارس" الـــذي انتظـــر هـــذه الفرصـــة بفـــارغ الصـــبر لـــيجلس مـــع زوجتـــه بحريـــة. لكـــن... هـــل ستســـمح لـــه فرقـــة "المجانين" بذلك؟!

تنحنح "فارس" ليلفت انتباه عديمات الذوق من وجهة نظره، وهن يجلسن بجوار زوجته العزيزة رافضات تركهما بمفردهما.

قالت "بسملة" بابتسامة مستفزة:

- في حاجة يا دكتور؟

رد "فارس" بنبرة واثقة: لا، ولا حاجة. بس نسيت أقولكم إن النهاردة كتب كتابي، لو متعرفوش، وإنها بقت مراتي يعني... عادي أقعد معاها لوحدي، صح؟

"بسملة" وهي تتظاهر بالغباء: مبارك يا دكتور، ربنا يتملك على خير... بس اتجوزت مين؟

قالت "نور" بضيق واضح: متبركلوش عشان معزمناش!

أضافت "جيهان" وهي تتقمص الجدية:

-فعلاً... مش مبارك يا دكتور.

ثم مالت نحو "دعاء" وهمست بصوت منخفض لكنه كان واضحًا لـ"فارس":

-شفتي؟! أهو طلع متجوز، أنا قلتلك بلاش ده... هيعمل فيها دكتور وغني وهيتجوز عليكِ.

وضع "فارس" قدمًا فوق الأخرى وابتسم في هدوء وهو يتذكر نقطة ضعفهن قائلًا بنبرة ماكرة:

-بس أنا دكتور فعلًا، وعندكم Test بكرة... وهشوف هتعملوا إيه.

توقفت "بسملة" للحظة لتبتسم ببلاهة قبل أن تقول:

-كان نفسي أقعد معاكم، بس ماما مستنياني من بدري. عن إذنكم يا جماعة!

ثم غادرت، وتبعتها "جيهان" وهي تقول بخبث:

-أنا كمان لازم أمشي، نشوفكم بكرة في الامتحان، يا دكتور!

التفتت نظرات "فارس" إلى "نور" التي كانت تبتسم له بثقة، وكأنها تتحداه بعينيها؛ أخرج هاتفه واتصل بأحدهم، واضعًا المكالمة على مكبر الصوت.

جاءه صوت الطرف الآخر بعد لحظات:

-إيه يا بني، مش كنت لسه عندك من ساعة؟! إيه... وحشتك ولا إيه؟

ابتلعت "نور" ريقها بتوتر، مدركة خطورة هذا الاتصال، خاصة عندما أكد "فارس" بوضوح:

-مفيش، كنت عايز منك خدمة كده.

رد الطرف الآخر: خير؟

قال "فارس" ببراءة مصطنعة: في طالبة عندك غالية عليَّ، وعايز أوصيك عليها.

انتفضت "نور" من مكانها واقتربت منه بعينين بريئتين كعيون القطط وهي تضغط على زر كتم الصوت في الهاتف، ثم همست: بالله عليك بلاش توصية! ده مبيفهمش أكتر منك... ده ممكن يودّيني ورا الشمس بشارعين تلاتة!

نظـــر لهـــا "فـــارس" بغضـــب ممـــا قالتـــه، لتسرع في التوضيح:

-مـــش قصـــدي حاجـــة، بـــس بـــلاش دكتـــور أمجد... الله يكرمك!

أشـــار إلـــى ســـاعته قـــائلًا بصـــرامة: أعتقـــد اتأخرتي.

نظـــرت "نـــور" إلـــى يـــدها الفارغـــة ثـــم همست بصدمة مصطنعة:

-أوبس! اتأخرت أوي... سلام عليكم!

وغـــادرت فـــورًا وهـــي تلـــتقط حقيبتهـــا ســـريعًا. أغلـــق "فـــارس" الهـــاتف مـــع صـــديقه بكلمـــات مقتضـــبة، ثـــم توجـــه إلـــى زوجته "دعاء" التي تكاد تحترق خجلًا.

جلـــس بجوارهـــا مبتســـمًا بحـــب، وقـــال بنبـــرة هادئة:

-دعاء...

رفعت "دعاء" عينيها له، ليقعا في لقاء طويل صامت، لكنه يحوي بين طياته آلاف الكلمات. اقترب منها أكثر ليضع قبلات متتالية على يدها. وقبل أن تستوعب ما يحدث، وجدت نفسها بين ذراعيه في عناق دافئ، وهو يهمس بجوار أذنها:

-بحبك... بحبك أوي يا دعاء، أنا معرفتش الحب غير بيكِ وليكِ، أوعي في يوم تزعلي مني أو تبعدي عني... إنتِ روحي، وبدونك أنا ولا حاجة.

يا الله! كيف لها ألا تشعر بأنها تملك الدنيا الآن؟ الغرفة لا تسع أجنحتها من

السعادة، فهي تكاد تحلق في السماء.

ردت عليه بصوت متقطع يكاد يخرج:

-وأنا... وأنا...

أبعدها "فارس" قليلًا لينظر في عينيها بحب هامسًا برجاء:

- إنتِ إيه يا دودو؟

همست بخجل: بحبك أوي.

اندفعت لتعانقه مرة أخرى، لتختبئ داخل أحضانه التي أصبحت من الآن ملاذها ومسكنها. ربت على ظهرها بحنان وهو يهمس:

-وأنا بموت فيكِ... يا عمري.

ابتعدت عنه بخجل شديد، فضحك "فارس" قائلًا بغمزة:

-أنا جوزك على فكرة!

ثـــم أضـــاف وهـــو يخـــرج علبـــة صـــغيرة حمراء مزينة بشريط أبيض:

-شفتي نسيتيني إزاي؟ خدي دي.

نظرت إليه بدهشة: إيه ده؟!

رد مبتسمًا: افتحيها.

فتحـــت "دعـــاء" العلبـــة بخجـــل، لتجـــد سلســـلة فضـــية بهـــا صـــورة تجمعهـــا مـــع "فـــارس". تأملـــت الهديـــة بدهشـــة وســـعادة، فهـــذا أكثـــر ممـــا حلمـــت بـــه، إلـــى جانـــب السلســـلة، وجـــدت ورقـــة مطويـــة. التقطتهـــا بســـرعة ونظـــرت إلـــى "فـــارس" الـــذي كـــان يبتسم لها بحب.

فتحت الورقة وقرأت:

-«حبيبتـــي دعـــاء، أنـــتِ نقيـــة كزهـــرة بيضـــاء، مُبهجـــة كـــالمطر بعـــد الجفـــاف،

نـــادرة لا يشـــبهها أحـــد؛ قيـــل للجمـــال كُـــن... فكان "دعاء". أحبك دعائي.»

أغلقـــت الورقـــة ووجههـــا يضـــيء بنـــور كلماتـــه العذبـــة. انـــدفعت مـــرة أخـــرى إلـــى حضـــنه، وهـــي تشـــعر أنهـــا ملكـــت العـــالم بأسره.

***

بعـــد قضـــاء يـــوم ممتـــع مـــع صـــديقاتها، عـــادت إلـــى منزلهـــا لتعـــود معهـــا مشـــاعر الحـــزن التـــي لـــم تتركهـــا إلا لبضـــع ســـاعات، دخلـــت غرفتهـــا وأغلقتهـــا خلفهـــا، ثـــم انهـــارت علـــى الأرض، تبكـــي بحرقـــة لـــم تســـتطع طـــرد كلمـــات زوجـــة أبيهـــا التـــي أطلقتهـــا فـــي الصـــباح قبـــل خروجهـــا مـــن المنزل.

قالـــت "زوجـــة أبيهـــا" بنبـــرة حـــادة وهـــي تشير إليها بازدراء:

-هتتجوزيـــه غصـــب عنـــكِ! وبعـــدين إنـــتِ تطـــولي تتجـــوزي مهنـــدس قـــد الـــدنيا؟! احمدي ربنا إنه رضي بيكِ.

رفعـــت "جيهـــان" وجههـــا المغطـــى بالـــدموع وهي ترد بصوت مرتجف:

-بـــس أنـــا مـــش عـــايزة... مـــش هتجـــوزه لـــو كان آخر راجل في الدنيا!

اقتربـــت "زوجـــة أبيهـــا" منهـــا، لتـــرد بوجـــه متجهم وصوت يقطر كرهًا:

-هتتجوزيـــه... ورجلـــك فـــوق رقبتـــك! أنـــا أصـــلاً بكرهـــك... وبكـــره اليـــوم اللـــي شُـــفتك فيه، ياريت كنتِ موتي وارتحت منك!

نظـــرت "جيهـــان" لهـــا بســـخرية مريـــرة وهي تهمس بصوت متعب:

-وأنا بموت فيكي... الصراحة.

اشـــتعل الغضـــب فـــي عينـــي "زوجـــة أبيهـــا"، فـــدفعتها بقـــوة نحـــو الطاولـــة. ارتطـــم رأس "جيهـــان" بحافتهـــا، لتســـقط علـــى الأرض وهـــي تتـــأوه مـــن شـــدة الألـــم؛ وضـــعت يـــدها علـــى رأســـها، لكـــن الألـــم الـــذي أحســـت بـــه فـــي روحهـــا كـــان أكبـــر وأعمـــق مـــن أي وجع جسدي.

جلســـت علـــى الأرض، مغمضـــة عينيهـــا، وهـــي تســـتعيد تلـــك اللحظـــة وكلمـــات "زوجـــة أبيهـــا" التـــي مـــا زالـــت تـــدوي فـــي رأسها.

لكنها استفاقت من شرودها على صوت إشعار هاتفها؛ مدّت يدها المرتعشة والتقطت الهاتف لتفتح الرسالة؛ قرأت محتواها لتزيح دموعها، ثم ترتسم على وجهها ابتسامة باهتة، كأنها وجدت طوق نجاة وسط بحر حزنها.

«مش قولتلك بلاش دموع؟ ليه حاسس إنك بتبكي؟»

تمعنت في الكلمات للحظات، ثم همست لنفسها وهي تمسح دموعها:

-يمكن... هو الوحيد اللي حاسس بيا.

***

كانت "بسملة" تنام بهدوء يشبه هدوء الملائكة، إلى أن قطع سكون نومها صوت إشعار بوصول رسالة من رقم

مجهـــول. فتحـــت عينيهـــا بتكاســـل، ثـــم مـــدّت يـــدها إلـــى هاتفهـــا لتجـــد رســـالة قصـــيرة تحتوي على كلمة واحدة:

-"آسف".

نظـــــرت إلـــــى الرســـــالة للحظـــــات دون اكتـــراث، ثـــم أغلقـــت الهـــاتف وعـــادت إلـــى نومها وكأن شيئًا لم يكن.

«ربمـــا أقتربـــت بدايـــة الرحلـــة، أو أقتـــرب أختبار الصداقة»

*****

الفصل الخامس عشر

أشـــرقت الشـــمس لتطلـــق أشـــعتها الذهبيـــة فـــي كـــل أرجـــاء الأرض، وكأنهـــا تعلـــن بدايـــة حلـــم جديـــد أو نهايـــة لحكايـــة قديمـــة.

اجتمعـــت الفتيـــات، كعـــادتهن، فـــي كافيتريـــا الجامعـــة يتحـــدثن عـــن مـــا مضـــى مـــن أحـــداث. وســـط هـــذا الجـــو، كانـــت "جيهـــان" شاردة في عالم آخر، يخيّم عليها الحزن.

قالـــت "بســـملة" بقلـــق: مالـــك يـــا جيجـــي؟ حاسة إنك متغيرة بقالك فترة.

ردت "جيهـــــان" بابتســـــامة مصـــــطنعة: مفيش حاجة.

نظـــرت إليهـــا "دعـــاء" بدهشـــة وقالـــت: آمال إيه الابتسامة دي؟ قولي في إيه.

فجـــأة، فقـــدت "جيهـــان" الســـيطرة علـــى أعصابها وصاحت:

-مفيش حاجة، الله!

ردت "نـــور" باســـتغراب: بتزعقـــي ليـــه كده؟

نهضـــت "جيهـــان" وهـــي تقـــول بســـرعة: عن إذنكم، سلام.

قالت "نور" وهي تحاول تهدئتها:

-جيهان، رايحة فين؟

ردت "جيهـــان" بحـــدة: عـــايزة أتمشـــى لوحدي شوية، عندك مانع؟

وغـــادرت المكـــان بخطـــوات ســـريعة، تبادلـــت "بســـملة" و"دعـــاء" النظـــرات، قبل أن تقول "بسملة":

- أكيد حاصل معاها حاجة.

قالت "دعاء" بحزم: أكيد، هروح أشوف مالها وارجعلكم.

التفتت "نور" إلى "بسملة" وقالت: في حاجة بين دعاء وجيهان، ومش راضيين يقولوها.

ردت "بسملة" بتردد: تفتكري حاجة إيه؟

قالت "نور": مش عارفة؛ المهم أنا عندي محاضرة، لما أخلص أبقى أشوف الموضوع، لو دعاء قالتلك حاجة، رني عليا.

قالت "بسملة": تمام، وأنا هستناها هنا لحد ما تيجي.

لحقت "دعاء" بـ"جيهان"، تمشي بخطوات مسرعة حتى وصلت إليها، قالت "دعاء":

-جيهان، استني!

نظرت إليها "جيهان" بتعبير متفاجئ وقالت:

-في إيه؟

قالت "دعاء" بإصرار: إنتِ اللي قولي، إيه اللي حصل جديد؟

تنهدت "جيهان" بضيق وقالت: في كذا حاجة فوق رأسي، ومش عارفة أعمل إيه.

سألتها "دعاء" بهدوء: زي إيه؟

بعد تردد، أجابت "جيهان": عمي طالب مني حاجة، ومش عارفة أعملها إزاي.

ثم قصت لها كل ما دار بينهما، قالت "دعاء" بعد تفكير:

-طيب، بسيطة، اعملي زي ما قال، أكيد هو عارف بيعمل إيه.

ردت "جيهان" بتردد: هشوف... ربنا يستر، ارجعي إنتِ، وأنا مش هتأخر.

قالت "دعاء" وهي تنظر لها بتمعن: مش ده السبب اللي مزعلك؟ في إيه تاني؟

أجابت "جيهان" بعد لحظات بخوف:

-إبراهيم جاي بكرة، وخايفة بابا ميوافقش بسبب محمد.

ردت "دعاء" بدهشة: بكرة؟ إزاي ومحدش فينا يعرف؟

قالت "جيهان" بارتباك: نسيت أقولكم.

قالت "دعاء": سيبها على الله، واللي في الخير يقدمه ربنا، بس إنتِ اتفقتي معاه على اللي قولناه؟

ردت "جيهان" وهي تهز رأسها بنفي: لا، بس هو قالي حاجة تانية أهم، بكرة لما نجتمع مع البنات هحكيلكم كل حاجة.

قالت "دعاء": خلاص روحي، وأنا هروح أشوف البنات وأقولهم إنك كنتِ زعلانة بسبب موضوع ابن عمك.

قالت "جيهان" ببسمة خفيفه: اشطا، سلام.

غادرت "جيهان" متوجهة إلى مكان آخر، بينما عادت "دعاء" إلى "بسملة" وأخبرتها بما حدث، قامت "بسملة"

على الفور بإرسال رسالة لـ"نور" تخبرها بما قالته "دعاء".

عادت "نور" من الجامعة، وما إن وصلت إلى منزلها حتى فوجئت برؤية "جيهان" تخرج من هناك. تساءلت في حيرة:

- "ماذا جاء بها إلى هنا؟"

لكن الأمر ازداد غرابة عندما تلقت مكالمة منها، تنحت "نور" جانبًا لترد على الهاتف قائلة:

-السلام عليكم.

ردت "جيهان" بصوت واثق: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، خلصتي ولا لسة؟

قالت "نور" متسائلة: خلصت، إنتِ فين؟

أجابتها "جيهان" ببرود: في الجامعة، شوية وأكون عندكم.

شعرت "نور" بالارتباك؛ "تكذب... جيهان تكذب؟ ولماذا؟"

ردت بحذر: لا، أنا قربت أوصل البيت.

قالت "جيهان" بنبرة سريعة: خلاص، تعالي في الليل، عايزاكِ.

أجابت "نور": تمام، هخلص اللي ورايا وهاجي.

قالت "جيهان": سلام.

أنهت "نور" المكالمة وهي تشعر بتضارب في مشاعرها، تتساءل في صمت: "لماذا الكذب؟ وما الذي تغيّر

فيها مؤخرًا؟" شعور القلق بدأ يتسلل إلى قلبها، لكنها قررت أن تحتفظ بتساؤلاتها لنفسها في الوقت الحالي.

دخلت "نور" المنزل متجهة مباشرة إلى غرفتها، محاولةً تجاهل كل ما يدور حولها. جلست على سريرها تفكر فيما حدث حتى قطع تفكيرها صوت إشعار رسالة على هاتفها. نظرت إلى الشاشة لتتسع عيناها في ذهول وهي تقرأ الرسالة بصوت مسموع:

-«صحبتك الغالية بتخونك، ولو مش مصدقة تعالي بكرة على العنوان ده... سلام يا حلوة.»

ارتجفت يداها وهي تمسك بالهاتف، وسرعان ما تداعت الأفكار إلى عقلها.

"لماذا أول من خطر على بالي هو جيهان؟" حاولت طرد الفكرة من ذهنها، لكنها لم تستطع تجاهل الشك الذي تسلل ببطء.

بدأت تدور في غرفتها جيئة وذهابًا وهي تفكر: "هل أذهب؟ أم لا؟" شعرت بالإحباط من نفسها، فصرخت بصوت عالٍ: "أف بقى! خلاص، مستحيل أروح! أنا عندي ثقة في أصحابي كلهم، وخصوصًا جيهان."

في المساء، قررت "نور" زيارة منزل "جيهان". هناك، اجتمعن مع باقي الأصدقاء بعد أن قامت "نور" بالاتصال بهن للحضور. جلست "جيهان" تخبرهن بتفاصيل ما يشغل بالها، قائلة:

إبـــراهيم جـــاي بكـــرة، وأنـــا خايفـــة مـــن رد فعـــل بابـــا، خصوصًـــا بســـبب موضـــوع محمد.

حاولت "نور" طمأنتها، قائلة بثقة:

-كـــل شـــيء هيكـــون علـــى مـــا يـــرام، متقلقيش.

كـــان الجـــو مليئًـــا بالـــدعم، لكـــن فـــي داخـــل "نـــور"، ظـــل الســـؤال قائمًـــا: "مـــاذا كانـــت تفعل جيهان اليوم؟ ولماذا الكذب؟"

***

مـــرت الأيـــام ســـريعًا، ليعـــود الغائـــب أخيـــرًا إلـــى أرض الـــوطن. كـــان "أشـــرف" يقـــف فـــي المطـــار، ينتظرهـــا بفـــارغ الصـــبر، وعينـــاه تبحثـــان عنهـــا بـــين الحشـــود. فجـــأة،

ظهـــرت مـــن العـــدم بابتســـامة مشـــرقة وقالت:

-حمدلله على سلامتك.

ابتســـم لهـــا ورد قـــائلاً: الله يســـلمك يـــا 'جيهان'.

-عاملة إيه؟

قالـــت "جيهـــان" بابتســـامة: الحمـــدلله، بخير. وأنت؟

أجـــاب "أشـــرف" بحمـــاس: ميـــة فـــل وعشـــرة، بـــس أخبـــارك اتقطعـــت بقالـــك فترة، ليه؟

تنهـــدت "جيهـــان" بخفـــة وقالـــت: معلـــش، كنت مشغولة شوية.

قـــال "أشـــرف" متفاجئًـــا: أوعـــي تقـــولي رجعتي لنشاطك تاني!

ضحكت "جيهان" وقالت: لا والله، بقالنا فترة عاملين إضراب.

رد "أشرف" بنبرة ساخرة: طيب الحمدلله، لأني تعبت من جنانكم.

قالت "جيهان" ممازحة: لا يا باشا، أنا مقلتش بطلنا... إحنا أجازة مش أكتر.

علق "أشرف" بابتسامة صغيرة: ربنا يستر؛ المهم، إيه آخر الأخبار؟

جلست "جيهان" تحكي له تفاصيل ما حدث منذ أن غادر البلاد، رغم أنها كانت ترسل له يوميًا رسائل مختصرة عما يجري؛ لكنها الآن أضافت التفاصيل الدقيقة، متحدثة بحماس، بينما كان "أشرف" يصغي إليها باهتمام، يبتسم بين الحين والآخر وكأنه يستعيد ذكرياته

مع كل كلمة تقولها، كان الجو مليئًا بالدفء، وكأن الغائب لم يبتعد يومًا.

***

كانت "بسملة" و"دعاء" و"نور" يجلسن في المدرج بعد أن غادر الدكتور القاعة، الجو كان مزيجًا من القلق والتساؤلات، إذ أن "جيهان" تغيّرت كثيرًا في الآونة الأخيرة.

قالت "بسملة" وهي تنظر إلى "دعاء":

-جيهان اتغيرت قوي، مبقتش تقعد معانا وكل شوية تقول رايحة مشوار لوحدها، رغم إنها مكنتش بتتحرك من غيرنا.

هزّت "دعاء" رأسها وقالت: يمكن بسبب إن أبوها لحد دلوقتي مردش على "إبراهيم"، لا بالموافقة ولا بالرفض.

صمتت "نور" لفترة طويلة ثم قالت: لا، مش موضوع إبراهيم. في حاجة غلط، أكيد مخبية عننا حاجة، تصرفاتها مش طبيعية.

ردت "بسملة" بتأييد: وأنا مع رأي نور، في حاجة غلط فعلًا، شوية بتضحك وتهزر عادي، وشوية بتكون متوترة كأنها عاملة مصيبة، وشوية حزينة وشايلة هموم الدنيا كلها.

كادت "دعاء" أن ترد، لكنها صمتت عندما رأت "جيهان" تتقدم نحوهن بابتسامة تبدو غير طبيعية، قالت "جيهان":

-السلام عليكم يا بنات.

ردت الفتيات السلام بهدوء، فيما تبادلت "نور" و"دعاء" نظرات ذات مغزى، إذ كانت "جيهان" قد غادرت غاضبة منذ ساعة، لكنها الآن تبدو وكأن شيئًا لم يحدث.

قالت "نور" بلهجة متسائلة: كنتِ فين؟

جلست "جيهان" بجوارها وأجابت ببساطة:

-رحت شفت حد أعرفه لسه جاي من السفر.

نظرت "بسملة" لها بتعجب وسألت: حد مين؟

ردت "جيهان" بلا مبالاة: محدش فيكم يعرفه.

قالت "نور" بإصرار: مين يعني؟

ردت "جيهان" بنبرة غير مهتمة: مش مهم.

في هذه اللحظة، وردت لها رسالة على هاتفها، قرأتها ثم ابتسمت وردت بسرعة، أثار ذلك ضيق "نور"، فنفخت بغضب وقالت وهي تنهض:

- أنا عندي محاضرة أخيرة وهتأخر، محدش يستناني.

وغادرت على الفور دون أن تنتظر ردًا، نظرت "جيهان" مستغربة وسألت:

-نوره مالها؟

ردت "بسملة" وهي تحاول السيطرة على غضبها:

-والله السؤال هنا إنتِ اللي مالك؟ متغيرة من فترة وأحوالك مش طبيعية.

قالت "جيهان" بجمود: مليش.

تنهدت "بسملة" بضيق وقالت: طيب، يلا يا 'دعاء'.

- أنا اتأخرت وعايزة أمشي.

قالت "دعاء" بلطف: معلش يا 'بسوا'، 'فارس' جاي عندنا وقاللي أستناه علشان نروح سوا.

قالت "بسملة" وهي تنهض: "خلاص، همشي أنا. سلام."

وغادرت "بسملة" المكان، تاركة "دعاء" و"جيهان" في حالة من التوتر والارتباك.

كانت تسير بخفة الفراشة، هدوؤها وحياؤها يلفتان الأنظار. جمالها الطبيعي يخطف القلوب، ولبسها الفضفاض

يزيدها نقاءً يجعلك تخجل من النظر إليها. كانت كالملاك تمشي على الأرض، لكن هناك عيوناً مترصدة، عيوناً قذرة خالية من الأخلاق والضمير، تنهشها بنظرات مقززة كأنها فريسة.

ظلوا يسيرون خلفها كاللصوص، متحينين الفرصة، حتى دخلت شارعاً خالياً من المارة. اقترب أحدهم منها بخطوات حثيثة، ولم يمهلها حتى استوعبت الموقف، فمد يده ليمسك بها.

نظرت إليه بخوف، ونفضت يده بقوة رغم ضعفها، فهي فتاة مرهفة، حنونة، لم تعتد التعامل مع الغرباء ولا تعرف كيف تواجه الخطر، صوتها المرتجف خرج بالكاد وهي تقول:

-أبعد عني!

ضحك الرجل الأول بنظرة قذرة وقال:

-البعد وحش يا جميل.

اقتـــرب منهـــا أكثـــر، لكنهـــا صـــفعته علـــى وجهه صفعة مدوية أوقفت ضحكاته.

جـــن جنونـــه، واقتـــرب منهـــا بغضـــب ليجـــذب حجابهـــا بقســـوة تؤلمهـــا. انقـــض عليهـــا رفاقـــه، اثنـــان منهمـــا أمســـك كـــل منهمـــا بـــذراع، بينمـــا كـــتم الثالـــث فمهـــا بيـــده. حاولـــت أن تصـــرخ، أن تـــدافع عـــن نفســـها، لكـــن الـــدموع كانـــت أســـرع منهـــا، تســـيل على وجنتيها بلا توقف.

أحـــدهم تمـــادى أكثـــر ومـــزق جـــزءاً مـــن ملابســـها، وهـــي تـــئن محاولـــة الصـــمود، جســـدها كـــان أضـــعف مـــن أن يقـــاوم ثلاثـــة

ذئاب بشرية، لتنهار بينهم فاقدةً للوعي، تاركة لهم زمام الأمر يفعلون ما شاءوا.

يا الله! هل وصل بهم الحد إلى أن يعتدوا على فتاة في وضح النهار؟ كيف لا يخشون أحداً؟

"ولأن الله لا يترك أحداً تحت سمائه ضائعاً، بعث لها طوق النجاة."

كان "مارس" عائداً من زيارة منزل أحد أصدقائه عندما رأى المشهد الذي تقشعر له الأبدان: فتاة مفترشة الأرض، تحيط بها وحوش لا ترحم، تنهش جسدها بلا شفقة.

تقدم بغضب لم يسبق أن شعر به في حياته.، أول ما فعله هو أن ركل أحدهم الذي كاد أن يعتليها، ثم انقض على

الآخر بضربة أسقطته أرضاً. كانت النار المشتعلة في داخله أقوى من أي شعور آخر، استمر في ضرب هذا وذاك بلا توقف.

كانوا ثلاثة "ذكور" – عذرًا، فهؤلاء لا يستحقون لقب رجال. كانوا ضعفاء، فقد استنزفتهم الخمور والفواحش التي جعلتهم مجرد حثالة لا تقوى على المقاومة.

بعد أن شتتهم بعيدًا عن الفتاة، أخرج "مارس" هاتفه واتصل بالشرطة ليبلغهم بما حدث، ثم اتصل بصديقه ليبقى مع هؤلاء "الحيوانات" حتى تصل الشرطة.

أغلق الهاتف، ثم التفت إلى الفتاة الملقاة على الأرض. نظر إليها بحزن عميق، وخلع جاكيت بدلته ليغطيها به. حملها برفق وكأنها قطعة كريستال يخشى عليها من الكسر، دون أن يدرك أنها انكسرت بالفعل، وربما إلى الأبد.

فتح هاتفها المحمول، وبحث عن آخر رقم تم الاتصال به. قرر أن يتصل بأحد أفراد عائلتها، فقد كانت حياتها الآن هي الأولوية.

***

صعدت "بسملة" إلى السرفيس، وجلست بجوار النافذة، بينما تفكيرها يسبح في ذكريات اللقاء الذي جمعها بـ"تامر" وعائلته عندما أتى لخطبتها.

تفاجأت به وقتها، ولكنه قوبل برفض قاطع منها. لن تقبل بشخص محمل بالذنوب، فهي تريد رجلاً يقربها إلى الله... لا يبعدها عنه. ورغم ذلك، لم تستطع فهم السبب الذي يجعل صورته لا تفارق ذهنها منذ ذلك الحين.

مرّ أسبوع كامل على لقائهم الأخير، لكنها لم تتوقف عن التفكير به.

قطع شرودها صوت السرفيس عند وصوله إلى محطته. نزلت وسارت بخطوات ثابتة نحو منزلها، إلا أن طريقها قُطع مرة أخرى...

كان هو.

زفرت بغضب، وأطلقت كلماتها بحدة قائلة:

-فـــي إيـــه؟ أنـــت مـــش بـــتفهم؟ قلتلـــك مـــش عايزة أشوف وشك تاني!

رد "تـــامر" بنبـــرة متوســـلة: بســـملة، أنـــا آســـف... صـــدقيني، مـــن أول مـــا شـــفتك وأنـــا اتغيرت، محتاجك في حياتي.

نظـــرت إليـــه ببـــرود وقالـــت: أولاً: متـــرفعش الألقـــاب. "آنســـة بســـملة" لـــو ســـمحت. ثانيًـــا: ميهمنـــيش اتغيـــرت ولا لا. وثالثًـــا: أنـــا مـــش محتجالك.

حـــاول أن يبـــرر: بســـملة، صـــدقيني، البنـــت اللـــي كلمتـــك ... أنـــا كنـــت أعرفهـــا مـــن قبـــل مـــا أشـــوفك، وهـــي بتكـــدب، أنـــا متعـــدتش حدودي معاها.

ردت عليـــه بصـــرامة: أنـــا عارفـــة كـــويس مـــين الكـــداب ومـــين الصـــادق، بـــس صـــدقني

أنت وهي متهمونيش لو عايز نصيحتي، اتغير عشان نفسك مش عشاني، واعرف أن ربنا هيحاسبك على كل كبيرة وصغيرة. وعلى فكرة، بنات الناس مش لعبة فكر لو حد عمل مع أختك حاجة زي دي، هتعمل إيه؟

تغيرت ملامحه إلى الغضب، وصاح:

-محدش يقدر يتجرأ يعمل كدا مع أختي، أختي خط أحمر!

ردت عليه بسخرية لاذعة: وبنات الناس خط إيه؟ أبيض؟

حاول الدفاع عن نفسه بعصبية: أنا مغصبتش حد على حاجة! كله كان برضاهم.

نظـــرت إليـــه بعينـــين غاضـــبتين وقالـــت بحدة:

-ده مبـــرر؟ ربنـــا هيحاســـبك حتـــى علـــى النظـــرة، مـــش تقـــول لـــي مغصـــبتش حـــد، ارجـــع لربنـــا وانـــدم علـــى اللـــي عملتـــه قبـــل ما ترجع غصب عنك.

اســـتدارت لتغـــادر، لكنـــه وقـــف أمامهـــا ليقول بتوسل:

-بسملة، لو سمحتِ، اسمعيني.

قبـــل أن تـــرد عليـــه، قاطعتـــه نغمـــة هاتفـــه. أجـــاب علـــى المكالمـــة، لكـــن شـــيئاً مـــا أصـــابه بالصـــدمة. تجمـــد فـــي مكانـــه، وعينـــاه اتســـعتا بعـــدم تصـــديق. ســـقط الهـــاتف مـــن يده.

نظرت إليه "بسملة" بخوف:

-أنت كويس؟ في إيه؟

لم يرد. فقط التقط هاتفه وركض بسرعة جنونية، تاركاً خلفه تساؤلات لا تنتهي.

***

جلس "فارس" بجوار "دعاء" يتناولان الطعام، وهو يبتسم لها بحب واضح في عينيه. كانت تبادله الابتسامة بحب أكبر، تشعر وكأنها تحيا في حلم جميل تحقق أخيرًا. نصيبها يشبه نقاء الثلج، كما تخيلته دومًا.

همس باسمها بحب: دودو...

نظرت إليه بابتسامة رقيقة، وقالت: نعم؟

ابتسم بحنان وقال: بحبك.

غمزت له بخفة وقالت بابتسامة مرحة:

-عارفة.

قهقه "فارس" بصوت عالٍ، وقال: يا جامدة أنتِ!

ردت عليه بجرأة لم يعهدها منها: من زمان يا باشا!

ضحك بشدة وقال: طيب، تعالي أقولك كلمة سر.

نهض من مكانه وأمسك يدها برفق لتنهض معه. ثم جذبها لعناق مفاجئ، وهمس بخفة عندما حاولت دفعه مبتعدة:

-إيه يا قلبي! قلبتي قطة دلوقتي يعني؟

نجحت في الابتعاد عنه أخيرًا، لكن خجلها كان واضحًا، ونظرت للأرض

بعينين تملأهما الدموع من شدة حيائها، وقالت بصوت ضعيف:

-بس بقى...

لم يستطع كتم ضحكته، ثم جذبها مرة أخرى لتجلس بجواره على الأريكة، واضعًا ذراعه حولها بحنان؛ همس باسمها بلطف:

-دعاء...

همهمت بخجل: نعم؟

سألها بجدية ممزوجة بحب: امتى عرفتي إنك بتحبيني؟

بقيت صامتة لدقائق، تتذكر تفاصيل أول لقاء جمعهما، ثم رفعت عينيها له وقالت بصوت هادئ:

-في امتحانات الترم الأول سنة أولى، كنتَ مراقب في اللجنة اللي جنبي، دي أول مرة أشوفك كنتَ واقف بثقة وقوة غريبة، مخلتش حد يتنفس أو يبص جنبَه، عجبتني أوي وقتها؛ لأنك ما سمحتش لحد يأخذ حق مش حقه.

بعدها، بقيت بدور عليك بفضول، بس ما كنتش بشوفك كتير؛ لكن بصراحة، ما غبتش عن بالي لحظة.

ابتسم "فارس" لها بحب وقال:

-عارفة، ما كنتش أعرف إنّي محظوظ أوي عشان تكوني إنتِ من نصيبي.

يبختي بيكِ.

ضحكت "دعاء" بمرح وقالت: وليه متقولش إني أنا اللي حظي حلو؟ بما إنّي

اتجوزت دكتور قد الدنيا، وأنا واحدة عادية.

ابتسم وقال بثقة: تو تو تو! حظي أنا اللي حلو وحلو أوي كمان. ولو كنتِ عادية في نظر الدنيا كلها، فأنتِ مش عادية في نظري.

شعرت بالتوتر من كلامه، وقالت بحذر: بجد؟ يعني أنتَ شايفني حلوة؟ البنات اللي في الجامعة حلوين أوي، وأنا بخاف تكون...

لم يتركها تكمل جملتها، بل جذبها مرة أخرى، واقترب من أذنها وهمس بحب عميق:

-"أنتِ النجمة الوحيدة في سماء قلبي؛ أنتِ الوطن بعد غربة، أنتِ أنا... ولولا أنتِ، لِمَ كنت أنا."

***

"في المستشفى..."

كان الدكتور "كريم" يسير بجدية مطلقة داخل ممرات المشفى، يتابع الحالات التابعة له باهتمام بالغ. فجأة، سمع ضوضاء قادمة من جهة الاستقبال، فتوجه بسرعة ليرى ما يحدث.

رأى شابًا يصرخ بجنون، طالبًا المساعدة بإلحاح. ركض "كريم" نحوه وأشار للممرض الذي يقف بلا مبالاة بأن يُحضر فراشًا نقالًا فورًا. هرول

الممرض لتنفيذ ما طُلب منه، وعاد خلال دقيقة يحمل الفراش.

وضع "مارس" الفتاة المصابة على الفراش بحرص، وعيناه ممتلئتان بحزن عميق. أشار "كريم" بسرعة بنقلها إلى غرفة العمليات دون أن ينظر إلى وجهها. لكن حينما تبعهم إلى الداخل ليبدأ عمله، توقف في مكانه كأنه أصيب بصدمة. تجمدت عيناه، وارتسمت على ملامحه دهشة غير مصدقة؛ دمعة خائنة انسابت على خده بينما يهمس بصوت مختنق:

ـ ديالا... ديالا!

ثم صرخ اسمها وكأن قلبه ينفطر؛ كانت "ديالا" ممددة على السرير، فاقدة

للحيـــاة؛ نظـــر إليهـــا بحســـرة وهـــو يتســـاءل في داخله:

-"هـــل هـــذه طفلتـــي البريئـــة؟ أختـــي المشاكسة؟ كيف حدث هذا؟"

قطـــع الموقـــف أحـــد الممرضـــين فـــي الغرفـــة قائلاً:

دكتور كريم، المريضة بتنزف بشدة.

انتفض "كريم" من شروده، وهتف بألم:

-نادوا لي الدكتور محمد، بسرعة!

ركضـــت الممرضـــة لتنفيـــذ أوامـــره، أمـــا هـــو فجلـــس بجـــوار "ديـــالا"، يتحســـس وجههـــا بأنامل مرتعشة، وهمس:

-ورب الكعبـــة، لجبلـــك حقـــك، وهخلـــي اللـــي عمل فيكِ يدفع تمن غالي.

خـــرج "كـــريم" مـــن غرفـــة العمليـــات بعـــد أن وصـــل الطبيـــب "محمـــد"، غيـــر قـــادر علـــى أن يكمل عمله؛ التفت إليه قائلاً:

-روحـــي بـــين إيـــديك يـــا محمـــد... أرجـــوك خلي بالك منها.

***

في الخارج

جلـــس "مـــارس" بإرهـــاق شـــديد، وكـــأن نصـــفه الآخـــر يحتضـــر بالـــداخل؛ لـــم تمـــضِ دقـــائق حتـــى خـــرج الطبيـــب مـــن الغرفـــة، فـــركض إليـــه "مـــارس" بلهفـــة قـــائلاً:

طمني يا دكتور!

نظـــر إليـــه "كـــريم" بعينـــين غامضـــتين، ثـــم قال بجمود:

-تعالى معايا.

سار الاثنان باتجاه مكتب الطبيب. أشار "كريم" لـ"مارس" بالجلوس، ثم جلس أمامه. قال "مارس" بقلق:

-خير يا دكتور؟

رد "كريم" بحدة بعد أن فقد أعصابه:

-مين اللي عمل فيها كدا؟ احكيلي كل حاجة!

تراجع "مارس" قليلًا وقال بضيق: من فضلك اهدى؛ ممكن أعرف حضرتك مين؟

جلس "كريم" مجددًا وقال بصوت مكسور:

-ديالا أختي...

حينها، روى "مارس" كل ما حدث بالتفصيل؛ في النهاية، قال له بنبرة مشجعة:

-هي هتكون بخير إن شاء الله، وحقها هيرجعلها. بس انهيارك مش في صالحها، لازم تبقى قوي. لما تفوق، هتحتاج عيلتها جنبها، محتاجة تعرف إنها مش لوحدها.

البداية... ولكن ماذا بعد؟

بدأت رحلة "تامر" من هنا، ولكن ماذا سيحدث فيما بعد؟

ما علاقة "أشرف" بـ"جيهان"؟

ماذا ستفعل "نور" عندما تعرف الحقيقة؟

كيف ستواجه "ديالا" واقعها الجديد؟

هـــل ســـتظل الصـــداقة التـــي جمعـــت بـــين الأبطـــال صـــلبة أمـــام التحـــديات، أم أنهـــا مجرد وهم؟

رحلـــة معقـــدة بـــدأت للتـــو، ولكـــن هـــل ستنتهي نهاية سعيدة؟

****

الفصل السادس عشر

لخليك خفيف علي قلوب النااس وحااول تسيب أثر لطيف عند أي حد بتتعاامل معاه عشاان يفتكرك بالخير ولو مش هتقدر تسيب أثر لطيف يبقي متأذيش أي حد أو تسيب أثر سئ جواهم وافتكر دايماً إن خراب القلوب والنفوس ليس بِهين"

***

بعد يوم متعب وطويل، عادت "نور" إلى منزلها وهي تشعر بالإرهاق الشديد. ولكن بمجرد أن وقع نظرها على والدتها "فايزة"، التي كانت تنتظرها بابتسامتها الدافئة، تبدّد التعب تدريجيًا. بالنسبة لـ"نور"، لم تكن والدتها مجرد أم؛ بل

كانـــــت الحبيبـــــة الأولـــــى، والصـــــديقة المخلصـــة، والكنـــز الثمـــين الـــذي وهبـــه الله لها.

ابتســمت وهــي تلقــي التحيــة: مســاء الخيــر يا حب.

ردت "فـــايزة" بحـــب: مســـاء النـــور يـــا نوري.

اقتربت منها وهي تخلع حقيبتها:

-أي جديد؟

اردفـــت "فـــايزة": مفـــيش، أختـــك جـــات ومشـــت، وأبـــوكِ نـــايم، وأخـــوكِ بـــره، وأنـــا قاعدة هنا.

ضـــحكت "نـــور" بخفـــة وهـــي تربـــت علـــى كتف والدتها:

-أنتِ الخير والبركة يا حبي؛ المهم، أنا هموت من الجوع.

ـــ روحي غيري هدومك عبال ما أجهز لك الأكل.

ركضت "نور" نحو غرفتها بخفة وهي تهتف ضاحكة:

-هوا!

في غرفتها، أغلقت الباب خلفها ووقفت أمام المرآة. نزعت حجابها بعناية، وفكت رابطة شعرها، تاركة خصلاتها تتناثر بحرية. نظرت إلى نفسها في المرآة، وزفرت بضيق وهي تعبث بشعرها:

-يا خي خلصتي على نص الشعرات! حرام عليكي يا توكة، تعر!

ضحكت بخفة ثم قالت وكأنها تحادث نفسها:

-بتكلمي نفسك يا مجنونة؟ يلا ياختي، الواحد جعان. وبعدين، مالو اللي يكلم نفسه؟ مش أحسن ما يكلم حد مش بيفهم.

توقفت للحظة، تتأمل انعكاسها في المرآة، قبل أن تقترب منها وتطبع قبلة على صورتها في الزجاج:

-والنبي أنتِ عسل يا بنت يا نوري. خدي بوسة!

تراجعت قليلاً، واصطنعت الجدية وهي توبخ نفسها:

-عيب يا بنت الناس. الناس تقول عليكِ إيه؟ مجنونة؟ لا سمح الله!

ضحكت من قلبها، ثم التفتت لتبدل ملابسها. ارتدت منامة وردية وربطت شعرها على هيئة كعكة، زينتها برباط وردي يلائم لون المنامة. وبينما كانت تهم بالخروج، قطع صوت هاتفها اللحظة.

نغمة الرسائل المميزة صدحت:

"جاتك رسالة، اقراها يا حبيبي!"

التقطت الهاتف، وفتحت الرسالة بفضول. قرأت النص المكتوب:

-«بالشفا يا حلوة عشان تصدقي إن مفيش حاجة اسمها أصحاب، ولو فاكرة الصورة مركبة تعالي على العنوان ده بكرة الساعة ١١ وانتِ تشوفي بنفسك.»

تجمدت مكانها، وعينيها مثبتتان على الشاشة. لم تفتح الصورة المرفقة، لكن كلمات الرسالة أثارت زوبعة من الأفكار والمخاوف. ماذا لو كانت حقيقية؟ ماذا لو تغيرت كل الأشياء التي وثقت بها؟

-نوررررر! نور! يا نور!

جذبها صوت والدتها من الخارج، فقطعت أفكارها ووضعت الهاتف على الفراش. خرجت لتجلس مع والدتها لتناول الطعام، لكن عقلها ظل شاردًا في الرسالة التي قد تحمل معها تغييرًا عميقًا في حياتها.

***

جلست "بسملة" برفقة والديها يشاهدان التلفاز، وهي تسترخي بأحضان والدتها

كطفلة صغيرة. كانت والدتها "حورية" تعبث بخصلات شعرها المجعد بحنان واضح. لم تكن علاقة "بسملة" بوالديها عابرة أو متوترة كما تسمع عن العديد من العائلات؛ فوالدها "علي"، رغم صرامته أحيانًا، كان حنونًا ولطيفًا معها، ووالدتها، على الرغم من قوتها، كانت تحمل في قلبها محيطًا من الرحمة.

كانت عائلتها مختلفة. كانوا قريبين منها إلى حد أنفاسها، يعلمون عنها كل شيء، ويثقون بها ثقة عمياء، وللحقيقة، "بسملة" كانت تستحق تلك الثقة؛ فهي لم تخذلهم يومًا.

بينما كانت مستغرقة في دفء اللحظة، تسلل إلى ذهنها لقاءها بـ"تامر" قبل

ساعتين. تلك المكالمة التي وردته أثناء لقائهما لم تفارق عقلها. لم تعرف محتواها، لكنها شعرت بأنها تحمل له خبرًا سيئًا.

اعتدلت في جلستها فجأة، وقالت بصوت هادئ:

-هدخل أتكلم مع واحدة صاحبتي وراجعة.

ابتسم "علي" موافقًا: روحي يا حبيبتي.

لكن "حورية" سألتها بفضول: صاحبتك مين؟

ترددت "بسملة" للحظة قبل أن تكذب لأول مرة، محاولة التهرب:

-هكلم 'جيهان'، عايزة أسألها على حاجة.

نظـــر "علـــي" إلـــى "حوريـــة" متســـائلًا: بتسأليها ليه؟

أجابـــت "حوريـــة" ببســـاطة: عـــادي، فضـــول. روحـــي يـــا "بســـملة" وســـلميلي عليها.

ابتسمت "بسملة" بتوتر خفيف: ماشي.

وغـــادرت إلـــى غرفتهـــا. دخلـــت "بســـملة" غرفتهـــا وأغلقـــت البـــاب خلفهـــا. بـــدأت تجـــوب الغرفـــة ذهابًـــا وإيابًـــا وهـــي تفكـــر. هـــل تتصـــل بـــه أم لا؟ لـــم يكـــن الأمـــر ســـهلًا بالنســـبة لهـــا. شـــعرت بـــالقلق والخـــوف مـــن رد فعلـــه، لكـــن رغبتهـــا فـــي معرفـــة مـــا يمـــر به دفعها إلى اتخاذ القرار.

توقفـــت فجـــأة، تنفســـت بعمـــق، ثـــم التقطـــت هاتفهـــا وضـــغطت علـــى اســـمه فـــي ســـجل

المكالمات. بينما كانت النغمة تدق في أذنها، شعرت بتسارع دقات قلبها وكأنها تنتظر شيئًا مجهولًا.

***

قبل قليل...

في ممرات المستشفى، كان "تامر" يركض كالمجنون، لا يصدق ما سمعه للتو. لم يدرك كيف وصل إلى المستشفى بهذه السرعة، لكنه وجد شقيقه "كريم" جالسًا على أحد المقاعد أمام غرفة العمليات. ركض نحوه بلهفة وسأل بفزع:

-كريم! في إيه؟ مالها "ديالا"؟

لم يرد "كريم"، واستمر في التحديق بشرود في الفراغ. لم يحتمل "تامر" صمته فصرخ فيه بعصبية:

-كريم!

لكن "كريم" لم يُجب، ليقترب منه "مارس"، هو وصديقه، بحزن واضح، محاولًا تهدئته:

-لو سمحت، اهدى... هي لسه في العمليات، محدش خرج يقول حاجة.

نظر إليه "تامر" بقلق وسأله: أنت اللي كلمتني، صح؟

هز "مارس" رأسه بالإيجاب، ليواصل "تامر" بصوت متهدج:

-إيه اللي حصل؟

كان "مارس" يحاول تمالك نفسه، لكن صوته خرج مكسورًا وهو يروي ما حدث باختصار، كأن استرجاع التفاصيل يحرق قلبه من جديد.

تراجع "تامر" إلى الخلف، غير قادر على استيعاب الموقف، وبدأ يذرع الممر جيئة وذهابًا، عاجزًا عن الجلوس بجوارهم. مضت نصف ساعة بدت وكأنها دهور، قبل أن يخرج الطبيب أخيرًا من غرفة العمليات بملامح جدية. ركض الثلاثة نحوه بلهفة، وبدأ "مارس" الحديث، منتظرًا إجابة الطبيب:

-طمني يا دكتور، هي كويسة؟

أجـــاب الطبيـــب بحـــذر وهـــو يختـــار كلماتـــه بعناية:

-المريضـــة تعرضـــت لحـــادث اغـــت... صـــ.. اب عنيـــف. جســـديًا هـــي بخيـــر الآن، لكـــن هنســـتنى تفيـــق لـــنفهم حالتهـــا النفســـية، وهنحتـــاج إلـــى تـــدخل طبيـــب نفســـي لأنهـــا لســـه صـــغيرة، وأعتقـــد أن الموضـــوع هيكون صعب عليها.

سأل "مارس" بألم: هتفوق إمتى؟

-بعـــد ســـاعة تقريبًـــا. دلـــوقتي هتتنقـــل إلـــى غرفة عادية.

قـــام "مـــارس" بالاتصـــال بشـــقيقه ليطلـــب مســـاعدته فـــي المستشـــفى علـــى وجـــه السرعة.

بعد نقلها إلى غرفة عادية...

جلس "تامر" على أحد المقاعد، مستندًا برأسه على الحائط، وقد غرق في أفكاره. تذكر حديث "بسملة" معه، عندما أخبرته بما قد يحدث لو أصاب شقيقته سوء. الآن، ها هو عاجز عن فعل أي شيء لها، عاجز حتى عن مواساتها، وربما هذا عقاب له على كل ما اقترفه من أخطاء بحق الآخرين. لكنه تساءل في داخله: ما ذنبها هي؟ هي التي كانت تخشى الله في كل شيء.

قطع تفكيره صوت هاتفه الذي أضاء باسم "زوجتي المستقبلية". ابتسم رغم حزنه حينما قرأ الاسم، ونهض مبتعدًا قليلًا عن الآخرين للإجابة.

لكـــن قبـــل أن يضـــغط علـــى زر الإجابـــة، اســـتمع إلـــى صـــوت "كـــريم" المتعـــب يناديه:

-لـــو "إيمـــان" اتصـــلت، مـــا تقـــول لهـــاش حاجة، مش هتقدر تستحمل.

هـز "تـامر" رأسـه بـتفهم، فهـو يعلـم جيـدًا مـدى حـب "إيمـان" لهـم، وخصوصًـا لـ"ديالا"، التي كانت مدللتهم الصغيرة.

ضـغط علـى زر الإجابـة وأجـاب بصـوت مرهق:

-ألو.

علـى الطـرف الآخـر، اسـتمعت "بسـملة" لصـوته الحـزين، وتحـدثت بعـد صـمت قصير:

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رد عليها بهدوء: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ترددت "بسملة" قليلًا قبل أن تقول بصوت منخفض:

-أنا اتصلت عشان... عشان... هو حصل إيه؟ يعني أنت كويس؟

طال صمته حتى ظنت أنه أغلق الهاتف، لكنها أعادت النظر إلى الشاشة، ثم وضعت الهاتف على أذنها مرة أخرى وهمست بقلق:

- تامر

رد عليها أخيرًا بصوت متهدج مليء بالحزن:

-هـــي مـــا لهـــاش ذنـــب بـــاللي أنـــا عملتـــه. حـــرام والله اللـــي حصـــلها... هـــي مـــا تستاهلش.

ارتبكـــت "بســـملة"، وســـألت بحـــذر: حصلها إيه؟

رد بصـــوت مخنـــوق: فـــي كـــلاب زيـــي نهشوا لحمها من غير رحمة.

صُـــدمت "بســـملة"، وأغرقـــت الـــدموع وجههـــا، فقـــد شـــعرت بألمـــه، لكنهـــا تعلـــم أن ألمـــه لا يُقـــارن بمـــا تشـــعر بـــه تلـــك المسكينة. بصوت مكسور سألته:

-هي مين؟

ـ أختي الصغيرة

تـــذكرتها، تلـــك الفتـــاة البريئـــة التـــي رأتهـــا مـــرة فـــي منـــزلهم. كانـــت مرحـــة وبريئـــة ولا

تســـتحق أي شـــيء ممـــا حـــدث. صـــمت الاثنـــان للحظـــات قبـــل أن تقطـــع "بســـملة" الصمت قائلة:

-هـــي لســـه فـــي المستشـــفى؟ يعنـــي ينفـــع أجي أشوفها؟

همس "تامر" بتردد: ياريت.

شـــعر للحظـــة أنـــه بحاجـــة لرؤيـــة أحـــد يفهمـــه، أو يخبـــره أن مـــا حـــدث لـــيس خطـــأه. لكنـــه يعلـــم فـــي أعماقـــه أنـــه المـــذنب الوحيد في ما جرى لشقيقته.

ـ مستشفى إيه؟

ســـألت "بســـملة"، وهـــي تنتظـــر إجابتـــه بفارغ الصبر.

***

بعد أن أخبرها باسم المشفى، أغلقت بسملة الاتصال سريعًا وأخذت هاتفها لترسل رسالة في جروب "فرقة المجانين"، الذي أنشأته "نور" منذ سنوات، وكان يجمع الأربعة فقط. دونت "بسملة" الرسالة:

-"أنا رايحة مشوار ضروري، لو ماما اتصلت بيكم قولولها إني معكم."

لم يمر وقت طويل حتى ردت "نور" متسائلة:

-مشوار إيه؟

ترددت "بسملة" للحظة، لكنها اكتفت بالرد:

-بكرة هقولكم.

لم يرق هذا الرد لـ"نور"، فقالت: طب أجي معاكِ؟ أنا مخنوقة ومش عايزة أقعد في البيت.

ابتسمت "بسملة" لنفسها وأرسلت:

-ماشي، اجهزي وهرن عليكِ، بس أوعي تتأخري.

أجابتها "نور" بحماس: تمام!

ارتدت "بسملة" ملابس الخروج بسرعة، ثم توجهت إلى والديها لتخبرهما بأنها ستقابل الفتيات في المقهى الذي يجتمعن فيه دائمًا. وبينما كانت تغادر، اتصلت بـ "نور" لتخبرها بمكان اللقاء قائلة:

نور، أنا هعدي عليكِ قدام البيت. جهزي نفسك عشان متأخرش.

ردت "نـــور" بحمـــاس: ماشـــي، أنـــا هجهـــز في خمس دقايق.

انتهـــت المكالمـــة وخرجـــت "بســـملة" بخطـــوات ســـريعة، متوجهـــة للقـــاء صـــديقتها، وقلبهـــا مثقـــل بـــالتفكير فيمـــا ينتظرها في المشفى.

وصـــل "فـــارس" و"دعـــاء" إلـــى المشـــفى ليعرفـــا مـــاذا حـــدث لـــ "مـــارس". و"دعـــاء"، التـــي أصـــرت علـــى الـــذهاب معـــه بعـــد أن علمـــت بوجـــود "مـــارس" هنـــاك، أرادت أن تطمـــئن عليـــه وتكـــون برفقـــة زوجهـــا. "فـــارس" بـــدوره اســـتأذن مـــن والدها ليأخذها معه بعد إصرارها.

عنـــدما دخـــلا، توجـــه "فـــارس" نحـــو أخيـــه "مـــارس"، الـــذي كـــان يجلـــس بإهمـــال

واضعًا يده فوق رأسه، وكأن الدنيا بما عليها تثقل كاهله. سأله "فارس" بقلق:

-مارس؟ مالك؟

رفع "مارس" رأسه ببطء، وعندما رأى أخاه، وقف ليعانقه بقوة، فيما "فارس" يربت على ظهره بحنو، غير مدرك بعد ما يحدث. حاول "مارس" التماسك، لكنه انفجر حكيًا، يروي كل ما حدث بوجع واضح. احتضنه "فارس" مرة أخرى، محاولًا تهدئته بكلمات داعمة.

خلال حديثهما، فهم "فارس" أن أخاه تعرض لضغوط كبيرة خلال الفترة الماضية بسبب العمل والدراسة، وأن هذا الموقف كان القشة التي دفعته للانهيار.

بعد وقت ليس بالقليل، قُطع حديثهما بصوت صراخ عالٍ قادم من إحدى الغرف. هرول الجميع نحو الصوت، ليجدوا "ديالا" تصرخ بهستيرية وتبكي بشدة، وهي تقذف كل ما يقع في يدها نحو من حولها.

حاول "كريم" الاقتراب منها، لكنه فشل، بينما لم يستطع "تامر" تحمّل المشهد أكثر، فخرج محطم القلب على حالة شقيقته. حاول "مارس" تهدئتها، لكنها صرخت به بصوت عالٍ:

-إبعد عني! محدش فيكم حاسس بيا!

في هذه اللحظة، اقتحمت "نور" و"بسملة" الغرفة لتجدا الجميع عاجزًا

عـــن الاقتـــراب منهـــا. صـــاحت "دعـــاء" بحزن وهي تنظر للجميع:

-لـــو ســـمحتم، كلكـــم اطلعـــوا بـــره! أنـــتم كـــده بتخوفوها أكتر.

لكـــن لا أحـــد اســـتجاب لهـــا، مـــا دفعهـــا لأن تتجـــه نحـــو "فـــارس"، تتوســـل لـــه بعينـــين غارقتين في الدموع، وتقول ببكاء:

-فـــارس، بـــالله عليـــك خلـــيهم يطلعـــوا، وإحنـــا هنحاول نهديها.

نظـــر لهـــا "فـــارس" بقلـــق وقـــال: دعـــاء، هي مش في وعيها، وممكن تأذيك.

ردت "دعـــاء" وهـــي تبكـــي: مـــتخفش، بـــس خرجهم من هنا عشان خاطري.

أمـــام إصـــرارها، انصـــاع "فـــارس" لهـــا وقال بحذر:

-خلي بالك من نفسك، طيب.

اقتـــرب "فـــارس" مـــن أخيـــه "مـــارس" ليقنعـــه بـــالخروج، لكـــن الحـــزن الـــذي ســـيطر علـــى "مـــارس" جعلـــه يـــرفض فـــي البدايـــة. بعـــد محـــاولات، غـــادر الغرفـــة علـــى مضـــض. بعـــده، غـــادر "كـــريم" أيضًـــا برفقـــة "فارس" الذي أقنعه بالخروج بصعوبة.

بقيـــت الغرفـــة هادئـــة نســـبيًا، إلا مـــن صـــوت "ديـــالا"، التـــي مـــا زالـــت واقفـــة علـــى الفـــراش، تحمـــل بيـــدها إبـــرة محقـــن فارغـــة. فـــي هـــذه اللحظـــة، دخلـــت الممرضـــة تحمـــل حقنة مهدئة.

وقفـــت "بســـملة" أمـــام الممرضـــة التـــي كانـــت تحمـــل الحقنـــة المهدئـــة، وقالـــت لهـــا بحزم وهي ترفع يدها:

-لـــو ســـمحتي، ارجعـــي لـــورا. متخلـــيش وجودك يخوفها أكتر.

تـــرددت الممرضـــة للحظـــة، ثـــم تراجعـــت ببطء، تاركة المجال لـ"بسملة".

التفتـــت "بســـملة" نحـــو "ديـــالا" التـــي كانـــت تجلـــس علـــى الفـــراش بحالـــة مـــن الفوضـــى والانهيـــار، ثـــم اقتربـــت منهـــا بخطـــوات بطيئـــة، وابتســـامة حزينـــة تعلـــو وجههـــا بينمـــا الـــدموع تتســـاقط مـــن عينيهـــا، وقالـــت بصوت ناعم:

-فـــاكراني؟ إحنـــا اتقابلنـــا قبـــل كـــده، صـــح؟ وقتهـــا قـــولتيلي إنـــك حبيتينـــي أوي وعـــايزة نكـــون أصـــحاب. أنـــا هنـــا، اهـــو بمـــدلك إيدي... تعالي نكون أصحاب.

لكـــن "ديـــالا"، التـــي كانـــت تراقبهـــا بعينـــين مضـــطربتين، صـــرخت فجـــأة بجنـــون وهـــي تتراجع إلى الوراء:

- إبعـــدي عنـــي! إبعـــدي عنـــي! محـــدش فـــيكم حاسس بيا!

توقفـــت "بســـملة" فـــي مكانهـــا، بينمـــا تماســـكت "نـــور" قلـــيلًا رغـــم غصـــة البكـــاء التـــي خانتهـــا، وقالـــت بصـــوت ملـــيء بالشجن:

-والله إحنـــا عـــارفين إنـــك موجوعـــة... ومحـــدش يقـــدر يتحمـــل وجعـــك... بـــس إحنـــا هنا عشانك.

ردت "ديـــالا" بانهيـــار تـــام، والـــدموع تغـــرق وجهها:

-لأ... متعرفوش! أنا... أنا ضعت... ضعت خلاص! خدوا كل حاجة مني... أنا عايزة أموت... يارب أموت... يارب... يارب!

جلست على الفراش بإهمال، وكأن جسدها لم يعد يحتمل الألم. المشهد حطم القلوب، لكن "دعاء" لم تستطع الوقوف مكتوفة الأيدي، فتقدمت نحوها وهي تمسح دموعها، ثم جلست بجانبها وقالت ببكاء:

-هما اللي لازم يتمنوا الموت، مش إنتِ. إنتِ ضحية وحوش مفيش في قلبهم رحمة.

اقتربت "بسملة" أكثر، ثم انحنت لتحتضنها بقوة. تشبثت "ديالا" بها

وكأنها تبحث عن طوق نجاة، بينما بدأت الدموع تتساقط من الجميع بلا توقف.

همست "بسملة" بصوت ناعم وهي تربت على ظهر "ديالا":

- إنتِ قوية. لازم تقومي وتاخدي حقك منهم. متسمحيش لحد إنه يكسرك.

ردت "ديالا" بصوت مكسور، وبنظرة شاردة:

-بس... هما كسروني خلاص...

هزت "بسملة" رأسها بحزم وقالت: لا، محصلش. ضعفك هو اللي هيكسرك. ده ابتلاء من ربنا عشان يختبر إيمانك وقوة صبرك.

رفعت "ديالا" رأسها قليلًا وقالت بتشتت: بس... ابتلاء صعب قوي. مش هقدر أتحمله.

اقتربت "نور" منها وربتت على كتفها بلطف، وقالت بصوت هادئ مطمئن:

-هتقدري إن شاء الله. بس إنتِ اصبري، وربنا هينتقم منهم أشد انتقام.

في تلك اللحظة، تعانق الأربعة في عناق جماعي، بينما كان بكاؤهم يصل واضحًا إلى من هم خارج الغرفة.

قالت "دعاء" وهي تمسح دموع "ديالا" بيدها بحنان:

-عيطي براحتك، وخدي وقتك في الحزن، بس الحزن ده لازم ميكسركيش. خلي اللي دمر حياتكِ هم اللي يدمروا،

مـــش إنـــتِ. بعـــد لحظـــات مـــن العنـــاق، ابتعـــدوا عنهـــا قلـــيلاً ليجعلوهـــا تســـتلقي فـــي منتصـــف الفـــراش. قـــاموا برفـــع الغطـــاء عليهـــا برفـــق، كـــأنهم يخشـــون أن يزعجوها.

اقتربـــت الممرضـــة بحـــذر، وحقنتهـــا بالمهـــدئ بهـــدوء، ثـــم خرجـــت دون أن تنطق بكلمة.

وقفـــوا بجوارهـــا لبضـــع دقـــائق، يراقبـــون وجههـــا الـــذي بـــدأ يهـــدأ مـــع تـــأثير المهـــدئ. مســـحوا دمـــوعهم بأصـــابعهم، ثـــم غـــادروا الغرفـــة بهـــدوء. كانـــت ملامحهـــم تنـــبض بـــالألم، وكـــأن كـــل مـــنهم يحمـــل جـــزءًا مـــن معاناتها في قلبه.

عنـــدما رأى "كـــريم" "نـــور" وهـــي تخـــرج من الغرفة، توجه إليها وسأل بقلق:

-عاملة إيه؟

أجابتـــه "نـــور" بنبـــرة مطمئنـــة: خـــدت المهـــدئ ونامـــت. إن شـــاء الله لمـــا تفـــوق تكـــون أحســـن. إحنـــا اتكلمنـــا معاهـــا وياريـــت محـــدش يســـألها عـــن تفاصـــيل اللـــي حصـــل، الموضـــــوع صـــــعب عليهـــــا أوي. ولـــــو الشـــرطة طلبـــت تقابلهـــا يبقـــى المفـــروض أمهـــا أو حـــد قريـــب منهـــا يكـــون جنبهـــا ويفكـــروا فـــي كـــل كلمـــة قبـــل مـــا يقولـــوا حاجة، لأن الكلمة ممكن تدمرها.

أشـــار "كـــريم" برأســـه بـــتفهم، ثـــم همـــس بامتنان:

-شكرًا.

ابتسمت له "نور" بلطف، ثم جلست بعيدًا، تنتظر "بسملة" لتغادرا معًا.

على الجانب الآخر، اقترب "فارس" من "دعاء" وهو يتفحصها بعينين قلقتين، وسأل:

-أنتِ كويسة؟

ردت "دعاء" بصوت منخفض وحزين:

-الحمدلله.

ثم عانقته بشدة وهي تضيف: بس هي تعبانة أوي يا فارس... حرام اللي حصلها والله.

احتضنها "فارس" بدوره وهو يهمس بصوت مشفق:

-ربنا يصبرها يا حبيبتي... يلا عشان أوصلك البيت.

ابتعدت عنه قليلاً وقالت: هشوف البنات الأول، وبعد كده نمشي.

توجه "فارس" إلى أخيه "مارس"، الذي كان يجلس مستغرقًا في أفكاره، وقال:

-يلا نمشي عشان ترتاح شوية.

هز "مارس" رأسه بصمت، ثم وقف ليخبر "كريم" قبل المغادرة.

قال "مارس" وهو يتوجه نحو "كريم":

-دكتور، أنا همشي وربنا يصبركم.

أجابه "كريم" وهو يحاول التماسك:

-ممكن رقمك؟ أكيد هحتاجك لأن البلاغ باسمك.

أعطاه "مارس" الرقم وقال: أنا كنت ناوي أجي بكرة أطمن عليها، بعد إذنك يعني.

ابتسم له "كريم" بخفوت وقال: تمام، وشكرًا ليك على اللي عملته... وعلى اللي عملوه البنات مع أختي.

رد "مارس" بحزن: مفيش داعي للشكر... وحقيقي أنا آسف لأني وصلت متأخّر.

في زاوية أخرى، كانت "بسملة" تقف بجانب "تامر" الذي بدا محطّمًا تمامًا، تحاول أن تواسيه وهي تقول:

-مش أنت السبب على فكرة.

نظر لها "تامر" متسائلًا، فأكملت بنبرة هادئة:

-هـو نصـيبها... واختبـار لـيكم كلكـم، مـش ليهـا بـس. هـي محتاجـة تسـتمد قوتهـا مـنكم، لكـن بالشـكل ده، أنـتم بتضـعفوها أكتر.

ثـم انتقلـت بنظرهـا للجميـع وسـألت: هـي أمك فين؟ ليه مش موجودة معكم؟

أجابهـا "تـامر" بلهجـة متعبـة: مامـا وبابـا مسـافرين مـع 'سـلمى' فـي مـؤتمر طبـي فـي دبـي. و'عمتـو' فـي البيـت، كـل شـوية تـرن عليـا تسـأل عـن 'ديـالا' لأنهـا متـأخّرة، ومتعرفش اللي حصل.

تسـاءلت "بسـملة" باهتمـام: هـي 'سـلمى' دكتـورة؟ وليـه 'كـريم' مسـافرش معاهـا؟ مش هو جوزها؟

رد "تامر": 'كريم' عنده شغل مقدرش يسافر، وبابا سافر معاها وخد ماما، لأنه مبيحبش يروح مكان من غيرها. وطلب مننا نخلي بالنا من 'عمتو' و'ديالا'، بس للأسف ميعرفش اللي حصل.

"بسملة" بتفهم: هيرجعوا إمتى؟

"تامر": بعد يومين.

هزت "بسملة" رأسها بتفهم، ثم قالت: أنا لازم أمشي عشان اتأخرت. هتصل بيك عشان أطمن عليها.

"تامر": متتعبيش نفسك... كفاية اللي عملتيه، مش عارف أشكرك إزاي.

ابتسمت له "بسملة" وقالت: أنا معملتش حاجة. وبعدين، هي زي أختي... ربنا يكون معاها ويصبرها.

سألها "تامر" باهتمام: هتروحي إزاي؟

أجابته: هشوف 'دعاء'، لو 'فارس' مش هيوصلها، يبقى هنروح مع بعض. ولو راحت معاه، أنا و'نور' هنرجع مع بعض.

"تامر": خلي بالك من نفسك.

ابتسمت له "بسملة" وغادرت لتجد "دعاء" تقترب من "نور"، ليجتمع الثلاثة معًا.

سألتها "نور" بفضول: بتعملي إيه هنا يا 'دعاء'؟

"دعاء": جيت مع 'فارس' لأن 'مارس' هو اللي شافها في الطريق وجابها المستشفى.

ثـــم نظـــرت إلـــى "بســـملة" وســـألتها: لكـــن أنتم بتعملوا إيه هنا؟

نظـــرت "نـــور" و"دعـــاء" إلـــى "بســـملة" منتظرتين الإجابة، لترد بإرهاق:

-بكـــرة أقـــولكم بعمـــل إيـــه هنـــا. حاليًـــا تعبانـــة ومـــش قـــادرة أتكلـــم. هتروحـــي معانـــا يـــا 'دعاء' ولا لا؟

"دعـــاء": تعـــالي معانـــا، "فـــارس' هيوصـــلنا لحد البيت.

رفضـــت "بســـملة" الاقتـــراح وقالـــت: لا، عـــايزة أتمشـــى شـــوية، وبعـــدين أبقـــى أركـــب سرفيس.

"دعـــاء": خـــلاص، هـــروح أقـــول لـــ 'فارس' ونمشي مع بعض.

مـــرت دقـــائق، وخـــرج الجميـــع مـــن المشـــفى بعـــد لحظـــات، وقـــد بـــدا التعـــب علـــى وجـــوههم جميعًـــا. ولـــم يتبـــقَ فـــي الـــداخل ســـوى "كـــريم" و"تـــامر"، اللـــذين جلســـا بجـــوار فـــراش شـــقيقتهما، يراقبانهـــا وهـــي غارقة في نومها.

فـــي الخـــارج، صـــعد "مـــارس" بجـــوار أخيـــه "فـــارس"، بعـــد أن شـــكر "دعـــاء" ورفيقتيهـــا علـــى مـــا فعلنـــه مـــن أجـــل "ديـــالا". وقـــف "فـــارس" للحظـــات ليـــودع زوجته، وأخبرها بقلق:

-طمنينـــي لمـــا توصـــلي البيـــت، خلـــي بالـــك من نفسك.

هـــزت "دعـــاء" رأســـها بابتســـامة خفيفـــة، ثم انصرفت مع "بسملة" و"نور".

أثناء سير الفتيات في طريقهن إلى موقف السيارات، توقفت خطواتهن فجأة عندما لمحوا مشهدًا غير متوقع. تبادلت الفتيات نظرات مذهولة قبل أن تنظر "نور" بتوتر نحو "دعاء"، ثم همست بدهشة:

-خالوا بيعمل إيه مع "إبراهيم"؟

كانت "دعاء" تحدق في الرجلين الجالسين على أحد مقاهي الشارع:

-"عثمان"، والد "جيهان"، و"إبراهيم"، الذي يريد الزواج منها، بدا وكأنهما في حديث جاد.

قالت "دعاء" بصوت مليء بالخوف:

-مش عارفة، بس خايفة اللي بفكر فيه يكون صح.

"بسملة" وهي تنظر للرجلين بحذر:

-قصـــدك إن المقابلـــة دي عشـــان يـــرفض خطوبة 'جيهان' منه؟

ردت "نور" بتأكيد:

-أكيد. مفيش سبب تاني.

قالـــت "بســـملة" وهـــي تضـــع يـــدها علـــى قلبها بتوتر:

-يـــاربي... 'جيهـــان' هتزعـــل لـــو عرفـــت. وبعـــدين هـــي مـــش طايقـــة ابـــن خالـــك ده أصلاً!

"دعاء" وهي تحاول استيعاب الموقف:

-هـــي بقالهـــا فتـــرة متـــوترة بســـبب الموضـــوع ده. ولـــو عرفـــت إن أبوهـــا رفضـــه، هتتصـــدم. أنـــا حاســـة إنهـــا اتعلقـــت بيه من وقت ما عرفت إنه بيحبها.

ردت "نور" بخفوت: ربنا يستر!

"دعاء" و"بسملة" معًا: يارب!

عادوا يسيرون في طريقهم وبعد دقائق صعدت الفتيات أخيرًا إلى سرفيس، كل واحدة منهن غارقة في أفكارها. بينما غادرت "نور" في طريقها إلى منزلها، لكنها لم تكن تعلم أنها على وشك مواجهة صدمة أخرى.

بينما كانت تسير باتجاه منزلها، توقفت فجأة، وعيناها تتسعان دهشة. في أحد المطاعم القريبة، رأت "جيهان"، صديقتها، جالسة مع "أشرف"، يتناولان الطعام معًا، ويبدوان في غاية السعادة.

وقفت "نور" في مكانها، غير قادرة على استيعاب ما تراه. همست لنفسها بصدمة:

-لا... مش معقول! مستحيل!

سرعان ما فتحت هاتفها لتتفحص رسالة كانت قد استلمتها منذ فترة ولم تفتحها. وعندما فتحتها، رأت صورة "جيهان" وهي تقف بصحبة "أشرف"، مما أكد لها الشكوك.

ما فعلته "بسملة" كان خطأً، ولكن ماذا ستفعل إن تحول الخطأ إلى جريمة؟

هناك سر يجمع "أشرف" بـ"جيهان"، ولكن ماذا لو من أجله انتهت علاقة دامت لسنوات؟

مـــاذا ســـتفعل كـــل واحـــدة مـــنهن؟ ومـــن سيستطيع أن يواجه هذا الجنون؟

"جيهـــان"... هـــل ســـتقبل بمـــا فعلـــه والـــدها أم ســـترفض؟ ومـــاذا ســـتكون عاقبـــة هـــذا الرفض؟

ومـــا الـــذي ســـيحدث إذا أتـــى مجهـــول إلـــى حياة "دعاء" ليقلبها رأسًا على عقب؟

*****

الفصل السابع عشر

"السلام عليكُم ورحمة الله وبركاته"

فُـرِض غَـض البصـر علـيْ الرجـال والنسـاء سواء

لِأن الرجـال سـريعة الإفتِتـان ؛ولِأن النسـاء سريعة التعلُّق 'فـَ غُض البصر أولا'.

***

بعـد ذهـاب "نـور"، أتـى "المهـدي" وزوجتـه، وجلسـا برفقـة "جيهـان" و"أشـرف". بـدأ "أشـرف" الحـديث قـائلاً بامتنان:

-مش عارف أشكرك إزاي يا 'جيهان'.

ابتسمت "جيهان" وردت بثقة:

-هقولـك إزاي، بـس مـش دلـوقتي... لمـا أشوف 'عمتو' هتقدر تقنع 'بابا' ولا لا.

قالـــــت "فـــــايزة" بابتســـــامة مطمئنـــــة: إن شاء الله هقنعه، وهنفرح بيكم قريب.

ردت "جيهـــان" بمـــرح وقـــد لمعـــت عيناهـــا بالسعادة:

-يا رب، يا رب.

ضحكت "فايزة" وهي تقول ممازحة:

-شوفي البت هتموت وتتجوز.

نظـــرت لهـــم "جيهـــان" بـــإحراج واضـــح وقالت مرتبكة:

-لا مش قصدي!

انفجـــر الجميـــع بالضـــحك علـــى ارتباكهـــا، ثـــم استأذنت منهم قائلة:

-أنا هقوم أمشي.

ردت "فـــــايزة" بســـــرعة: اســـــتني، هنوصلك.

قالت "جيهان" وهي تهز رأسها: لا، أصل رايحة أشتري حاجة قبل ما أرجع.

اردفت "فايزة" بنبرة هادئة: خلاص، روحي، بس متتأخريش.

"جيهان": تمام يا 'عمتو'، سلام عليكم.

"خارج المطعم"

غادرت "جيهان" المطعم وهي تشعر بالبهجة. أثناء سيرها، تلقت رسالة من "إبراهيم" يخبرها أن يلتقي بها. ابتسمت بخفة وكأنها كانت تنتظر هذه الرسالة بفارغ الصبر. أسرعت بخطواتها حتى وصلت إلى المكان المتفق عليه، لتسأله بلهفة قبل أن تجلس:

-ها... قالك إيه؟

ضـــحك "إبـــراهيم" علـــى لهفتهـــا وقـــال مبتسماً:

-طيب اقعدي الأول!

جلســـت "جيهـــان" وقـــد ارتســـم علـــى وجههـــا إحـــراج واضـــح، لكنهـــا لـــم تســـتطع إخفاء فضولها:

-هاااا؟

أخـــذ "إبـــراهيم" نفســـاً عميقـــاً، ثـــم تحـــدث بجدية:

-قبـــل مـــا أقولـــك أي حاجـــة، خليكـــي فـــاكرة إنـــي مســـتحيل أبعـــد عنـــك مهمـــا حصـــل. أنـــا مصـــدقت لقيتـــك، وإنـــك هتكـــوني ليـــا غصـــب عـــن الـــدنيا كلهـــا، لأن مـــن يـــوم مـــا شـــفتك وأنـــا بطلبـــك مـــن المـــولى عـــز وجـــل مالـــك الدنيا وما عليها...

ابتسمت له "جيهان" بخجل واضح، ليكمل حديثه قائلاً:

-"زي ما اتوقعتي، ابوكي قال إنك بتحبي ابن عمك وإنك زعلانة منه مش أكتر، وكمان انتم مخطوبين من وإنتوا صغيرين. وقال إنه موافق على "ابن أخوه"، وإنه هيعمل خطوبة وكتب كتاب قريب، والفرح بعد الامتحانات."

صمتت "جيهان" للحظة، وقد بدا الحزن على وجهها، فهي تعرف هذه التفاصيل جيداً. لكن "إبراهيم" أكمل حديثه قائلاً:

-جزء من كلامه صح، وهيحصل. لكن الجزء التاني... لا.

نظرت إليه "جيهان" بدهشة وتساؤل، ليخبرها بابتسامة محبة:

-يعني هنعمل خطوبة وكتب كتاب قريب إن شاء الله، بس خطوبتنا إحنا. أما الفرح، فده هخليها عليا، واستني الشهر ونص دول بتوع الامتحانات، وربنا يصبرني بقى!

قال جملته الأخيرة بمرح جعلها تضحك رغم خوفها، ثم سألته بنبرة قلقة:

-طيب، هنعمل إيه؟

رد "إبراهيم" وهو يطمئنها: إنتِ مش هتعملي حاجة، أنا اللي هعمل.

تردد للحظة، ثم قرر أن يسألها: كنتي بتحبيه؟

صمتت "جيهان" قليلاً وهي تسترجع ذكرياتها، ثم قالت بصوت يحمل مزيجاً من الحزن والإصرار:

-مكنتش بشوف غيره، كنت بشوف حياتي كلها فيه. يعني من غيره كنت ولا حاجة. بس أفعاله حولت حبي ليه لكره شديد، لدرجة إني مش عايزة أشوفه. وبعدين بقى وجوده وغيابه واحد.

نظر إليها "إبراهيم" بعمق وسألها مرة أخرى:

- طيب... وأنا؟

ابتسمت "جيهان" بخجل، ثم نظرت بعيداً وهمست:

-ينفع مردش؟

ضحك "إبراهيم" قائلاً: مش عارفة الإجابة؟

قالت "جيهان" بثقة: لا، عارفاها... وعارفاها أوي كمان.

رد "إبراهيم" وهو يبتسم:

-إذا كان كده، ينفع متردیش. مع إني كنت حابب أسمعها منك، بس مش مشكلة دلوقتي.

وقفت "جيهان" فجأة وقالت: همشي أنا، عشان اتأخرت.

رد عليها وهو ينظر إليها باهتمام: تمام، بس لما توصلي كلميني، وخلي بالك من نفسك.

"جيهان" بابتسامة: تمام.

***

أشرقت شمس يوم جديد بأشعتها الذهبية، تحمل الأمل للبعض، بينما تحمل الفراق والحزن للبعض الآخر.

في الجامعة

داخل إحدى القاعات المخصصة للمحاضرات، جلست الفتيات يستمعن إلى الدكتور بتركيز شديد. وما إن انتهت المحاضرة، حتى خرجن معًا ليجدن "نور" تجلس بانتظارهن في الكافيتيريا.

اتجهت "دعاء" لتجلس بجانب "نور"، بينما جلست "جيهان" و"بسملة" أمامها.

بادرت "نور" الحديث وهي تنظر إلى "جيهان" بترقب:

-عرفتي يا 'جيهان' اللي حصل؟

ألقت "دعاء" و"بسملة" نظرة تحذيرية على "نور"، وكأنهما تطلبان منها الصمت، لكن "جيهان" استفسرت بقلق:

-حصل إيه؟

تـــدخلت "بســـملة" محاولـــة تهدئـــة الأمـــور: رحنـــا المستشـــفى امبـــارح وحكيتلـــك أنـــا اللي حصل.

ردت "جيهـــــان" بتأكيـــــد: أه، 'بســـــملة' حكتلي.

زفـــرت "نـــور" بضـــيق، قائلـــة بنبـــرة متوترة:

-كنتِ فين يا 'جيهان' امبارح؟

أجابت "جيهان" وهي تحاول التهرب:

-مكنتش في مكان.

قالت "نور" بحدة: والله؟

"جيهـــان" مستفســـرة ببـــرود: فـــي إيـــه يـــا 'نوره'؟ مالك؟

فجـــأة، أخرجـــت "نـــور" هاتفهـــا ووضـــعته أمام "جيهان"، قائلة بغضب:

-عايزة أفهم... إيه ده؟!

ألقت "جيهان" نظرة على الهاتف، ثم ابتسمت ببرود:

-حلوة الصورة دي، ابعتيهالي عشان أحتفظ بيها. كنت عايزة أتصور بالطقم ده ونسيت.

تدخلت "بسملة" بغضب بعد أن رأت الصورة:

-بطلي برود يا 'جيهان'، وقولي... إيه الصورة دي؟

ردت "جيهان" ببرود: صورة عادية.

"نور" بصوت عالٍ: إزاي يعني صورة عادية؟

"جيهان" بهدوء مستفز: زي الناس.

تســـألت "نـــور" بفقـــدان أعصـــاب: جيهـــان، كنتِ بتعملي إيه مع 'أشرف'؟

فأتاها الرد من "جيهان" بنفس البرود:

-وانتِ مالك؟

وقفـــت "نـــور" أمامهـــا بغضـــب وقالـــت بحدة:

-يعنـــي إيـــه أنـــا مـــالي؟ وإيـــه علاقتـــك بـ'أشرف'؟

نظرت إليها "جيهان" بثبات وأجابت:

-بحبه.

تـــدخلت "بســـملة" بصـــدمة: و'إبـــراهيم' و'حمزة'؟

أردفـــت "جيهـــان" بنبـــرة جـــادة: بابـــا" رفضـــه، وفكـــرت فـــي كلامكـــم، ولقيـــت إنـــه

من الأفضل أتجوز عادي وأجيب بدل العيل عشرة.

ثم أضافت بكل برود: وأنا بحب "أشرف".

ساد الصمت للحظات، وكأن الجميع غير قادرين على استيعاب الصدمة، حتى جاءت المفاجأة الكبرى عندما صفعت "نور" "جيهان" على وجهها.

تدخلت "دعاء" على الفور، دافعة "نور" بعيدًا عنها، وصاحت بغضب:

-'نور'، أنتِ مجنونة؟ إزاي تعملي كده؟

ردت "نور" بصوت مرتفع: ويعني اللي هي عملته صح؟

نظرت إليها "جيهان" بهدوء، ثم أبعدت "دعاء" برفق وتحدثت بحزم:

-مـــن اللحظـــة اللـــي شـــكيتِ فيهـــا فـــيَّ، وفكـــرتِ ترفعـــي إيـــدك عليـــا، صـــداقتنا وعلاقتـــي بيـــكِ انتهـــت للأبـــد. أنـــتِ دلـــوقتي مجـــرد بنـــت عمتـــي، لا أكتـــر. وحتـــى هكـــون حريصـــة إننـــا منجـــتمعش فـــي مكـــان بعـــد اليوم.

تحركـــت "جيهـــان" مبتعـــدة، لكنهـــا توقفـــت وعـــادت لتقـــف أمـــام "نـــور" مـــرة أخـــرى، قائلة بسخرية:

-أوه، صـــح، نســـيت أقولـــكِ... للأســـف الشديد خسرت الرهان.

غـــادرت "جيهـــان" تاركـــة الجميـــع فـــي صـــدمة. أثنـــاء ســـيرها، اعتـــرض طريقهـــا "فارس"، وقال بهدوء:

-تعالي معايا.

ردت "جيهـــان" ببـــرود: معلـــش يـــا 'دكتور'، مش هقدر حاليًا.

قـــال "فـــارس" بإصـــرار: تعـــالي مـــن فضـــلك، دقيقتين عايز أتكلم معاكي.

أشـــارت لـــه بالموافقـــة وســـارت خلفـــه. أثنـــاء ذلـــك، أخـــرج "فـــارس" هاتفـــه وأرســـل رســـالة إلـــى "دعـــاء" يطلـــب منهـــا أن تـــأتي مع البنات إلى مكتبه.

"في الكافيتيريا"

قالـــت "بســـملة" بغضـــب: أنـــتِ إزاي تعملـــي كده؟

تنهـــدت "نـــور" قائلـــة وهـــي تجلـــس: زي مـــا هي عملت. أنتِ عاجبك اللي عملته؟

ردت "بســـملة" بحنـــق: أنـــا مـــش شـــايفة إنهـــا عملـــت حاجـــة غلـــط، لكـــن اللـــي أنـــتِ

عملتيه غلط كبير. إزاي تمدي إيدك عليها؟

تدخلت "دعاء" متسائلة: إيه اللي زعلك في إنها تحب 'أشرف'؟ أنتِ بتحبيه؟

صرخت "نور" بعصبية بالغة: حب إيه وزفت إيه؟ يعني أنتم عاجبكم إنها تخبي علينا؟

هتفت "بسملة" اسمها بتحذير: نور'...

صمتت "نور" للحظات، ثم همست بضيق:

-للأسف... بحبه؛ والمفروض إنكم كلكم عارفين، حتى لو أنا مقلتش.

نظرت لها "بسملة" بحزن: وهنعرف منين طالما مقولتيش لحد؟ وبعدين، طالما هو معاها في الصورة، يبقى أكيد

بيحبهـــا. يعنـــي أنـــتِ اللـــي هتكـــوني الطـــرف التالت.

ردت "دعـــاء" مقاطعـــة بحـــدة: بـــس يـــا 'بسملة'، خلاص! تعالوا معايا.

"نور" متسائلة: رايحة فين؟

"دعاء":ة'فـــارس' عايزنـــا فـــي مكتبـــه ضروري.

قالت "بسملة" بتعجب: عايز إيه؟

"دعاء": تعالوا نشوف.

تحـــركن جميعًـــا باتجـــاه مكتـــب "فـــارس"، وهن لا يعلمن ماذا ينتظرهن هناك.

***

في المكتب

جلســـت "جيهـــان" علـــى المقعـــد، بينمـــا جلس "فارس" في المقعد المقابل لها.

بـــدأت "جيهـــان" الحـــديث ببـــرود: خيـــر يـــا دكتور؟

تنهد "فارس" قبل أن يتحدث:

-من تلات سنين شفت موقف غريب...

رفعـــــت "جيهـــــان" حاجبيهـــــا باهتمـــــام، ليكمل:

-أربـــع بنـــات واقفـــين قـــدام العميـــد، بيـــدافعوا عـــن بعـــض وكـــأنهم روح واحـــدة. وقتهـــا اســـــتغربت: إزاي حـــــد ممكـــــن يعـــــرض مســـــتقبله للخطـــــر عشـــــان يـــــدافع عـــــن زميلاتـــــه؟ قلـــــت يمكـــــن بســـــبب تشـــــابه صـــــفاتهم، لكـــــن اكتشـــــفت بعـــــد فتـــــرة إنهـــــم مختلفـــــين تمامًـــــا، ومـــــافيش صـــــفة واحـــــدة متشـــــابهة بيـــــنهم غيـــــر نقـــــاء قلـــــوبهم. وقتهـــــا قلت إن صداقتكم هتدوم للأبد.

تنهد مرة أخرى وأردف بنبرة حزينة: بس شايف العكس دلوقتي. موقف صغير بيهدد الرابط المقدس اللي بينكم. "دعاء" بقالها كام يوم خايفة، ولما سألتها قالت إن في حاجة هتحصل هتفرق بينكم. لما شفتكم بتتخانقوا، فهمت إنها كانت عارفة بس مش راضية تقول. أحيانًا بنحتاج نتنازل شوية عشان ما نخسرش بعض.

نظرت إليه "جيهان" بحدة وقالت:

-دكتور، أنت متعرفش حاجة. هي اللي كسرت الرابط ده لما فقدت ثقتها فيَّ. محاولتش تسألني بهدوء، لكن استجوبتني وكأنها بتحاكمني. أنا عندي ثقة فيهم كلهم، ولو سمعتهم بيقولوا

عنـــي كـــلام وحـــش، هكـــدّب نفســـي قـــبلهم. مـــش مجـــرد صـــورة تخليهـــا تعمـــل كـــده. علـــى العمـــوم، الموضـــوع انتهـــى. ولـــو 'بســـملة" كمـــان واقفـــة فـــي صـــفها، مـــش هكلمها.

ســـألها "فـــارس" بجديـــة: 'ودعـــاء"؟ دعـــاء عارفة اللي أنتِ مش عايزة حد يعرفه.

تنهـــدت "جيهـــان" وهـــي تـــرد: 'دعـــاء' ســـمعتني بالصـــدفة وأنـــا بـــتكلم فـــي التلفـــون. وكـــده كـــده الموضـــوع هيتعـــرف قريـــب، ووقتها حقي هيكون رجعلي.

"فـــارس" بنبـــرة هادئـــة: لازم تعـــرف الحقيقة منك، مش من حد تاني.

قبـــل أن تـــرد "جيهـــان"، تقـــدمت "دعـــاء" إلـــى الـــداخل وخلفهـــا "بســـملة" و"نـــور".

مـــا إن وقعـــت عينـــا "نـــور" علـــى "جيهـــان"، حتـــى شـــعرت بالغضـــب. أمـــا "جيهـــان"، فوقفـــت فـــورًا لتغـــادر، لكـــن صوت "فارس" الحازم أوقفها:

-محـدش هيطلـع مـن هنـا غيـر لمـا تصـلحوا اللي بينكم!

ابتســـمت "بســـملة" و"دعـــاء"، لكـــن "جيهان" ردت ببرود:

- بس أنا مش عايزة أصلح حاجة.

وقبـــل أن تـــرد عليهـــل بحـــديث لازع، دق البـــاب، ودخـــل آخـــر شـــخص يتوقـــع الجميـــع رؤيته في هذا المكان.

قالت "بسملة" بسخرية: صدمة أخرى.

ابتســـم "إبـــراهيم" بخفـــة وهـــو يعلـــق: إيـــه ده؟ فرقة المجانين هنا؟

تساءل "فارس" باستغراب: أنت تعرفهم؟

أجابت "نور" وهي تقترب من "إبراهيم":

-طبعًا. كان بينا أطفال ومشروع جواز.

ارتفع حاجبا "فارس" بدهشة: أطفال؟ جواز؟ مش فاهم!

همست "دعاء" لـ"بسملة" بصدمة: يا ربي... إيه ده بقى؟

ردت "بسملة" بحماس: استني، الموضوع بدأ يبقى أكشن!

"دعاء" باستنكار: أنتِ فرحانة؟

قالت "بسملة" بمرح طفيف: لا والله، بس مش عارفة أعمل إيه!

قالت "نور" بنبرة غاضبة موجهة حديثها لـ"فارس":

-أنت متعرفش؟

التفت "فارس" لـ"دعاء"، وقال باستغراب:

-خير؟

"دعاء" بتحذير: نور، خلاص!

لكن "بسملة"، تدخلت قائلة بنفاد صبر:

-دكتور "إبراهيم' كان هيخطب 'جيهان'، لكن والدها رفض وماحصلش نصيب.

ابتسم "إبراهيم" بثقة وأردف: هو رفض في البداية، بس في النهاية هيوافق. أنا جيت أشوفك وأقولك بنفسي، يا 'فارس'، عشان متزعلش.

التفتت "بسملة"، "نور"، و"دعاء" لبعضهن بصدمة، وهن لا يصدقن ما يسمعن. "دعاء" وحدها كانت تعلم علاقة "جيهان" بـ"إبراهيم"، لكنها لم تكن تعرف التفاصيل.

تقدم "فارس" ليعانق صديقه، قائلًا بحماس:

-مبارك، وربنا يتملك على خير!

ابتعد عنه "فارس"، لكن "نور" قطعت اللحظة بسؤالها المتوتر:

-أنا مش فاهمة حاجة. أو يمكن أنت فاهم غلط، لأن 'جيهان' بتقول إنها بتحب واحد تاني!

التفت "إبراهيم" إلى "جيهان"، التي جلست بهدوء على المقعد، تنظر لهم

وكـــأن الأمـــر لا يعنيهـــا. ابتســـم لهـــا بحـــب، وابتســـمت لـــه بالمثـــل، قبـــل أن يتقـــدم للجلوس أمامها. سألها باهتمام:

-عاملة إيه؟

ردت "جيهـــان" بهـــدوء: الحمـــد لله، بخيـــر. وأنت؟

همهمت "نور" بغضب: وبعدين؟

نظر "إبراهيم" إليها بجدية وقال:

-بصـــي، يـــا "نورهـــان". أنـــا هتجـــوز 'جيهـــان'، واللـــي بتفكـــري فيـــه مجـــرد ســـوء تفاهم.

ســـأله "فـــارس" باســـتفهام: "إبـــراهيم"، وضح كلامك أكتر.

رد "إبـــراهيم" بهـــدوء: الموضـــوع ببســـاطة إننـــا هنكمـــل حياتنـــا ســـوا.

وبالنسبة للمشكلة بين 'جيهان' و'نورهان'، فهي محتاجة وقت. وهتفهموا كل حاجة بعدين، لأن ماقدرش أدخل في حاجة ما تخصنيش.

نظرت "جيهان" إلى ساعة الحائط، فوجدتها تشير إلى الحادية عشر. وقفت وقالت بهدوء:

-بعد إذنكم، أنا لازم أمشي.

ثم نظرت إلى "إبراهيم" وقالت بخفوت:

-سلام.

وغادرت الغرفة، لتلحق بها "بسملة" و"نور".

اقتربت "دعاء" من "فارس" وسألته بفضول:

-أنت تعرف الدكتور 'إبراهيم' منين؟

ضحك "فارس" بمشاكسة وقال: بعدين أقولك.

نظرت له "دعاء" بغضب قبل أن تتركه وترحل.

***

في الخارج...

وقفت "بسملة" أمام "جيهان" بعناد، وقالت بحدة:

-جيهان، مش هتمشي غير لما تفسري اللي حصل. أنتِ مش قولتي إنك بتحبي "أشرف"، يعني إيه اللي قاله "إبراهيم"؟

ابتسمت "جيهان" بخبث وردت بثقة:

-اسمعي يا 'بسو'، أنا بكلم الاتنين وبحبهم. وأنتِ عارفة بابا وطريقته،

فهجيبلـــــه تلاتـــــة: ظـــــابط، ودكتـــــور، ومهندس، وهو اللي يختار!

رفعـــت "بســـملة" حاجبيهـــا بصـــدمة، بينمـــا أكملـــت "جيهـــان" وهـــي تنظـــر إلـــى "نـــور" وتبتسم:

-مـــع إن لـــو أنـــا اللـــي هختـــار، فطبعًـــا هختـــار الظـــابط. قمـــر وجنتـــل وحاجـــة كـــده خيـــال. لكـــن "إبـــراهيم" طيـــب وهـــادي ومـــش هيقـــدر يتحمـــل مصـــايبي. بـــس لـــو الظـــابط قمـــر، فالدكتور شمس!

تنهـــدت "جيهـــان" بعمـــق، ونظـــرة هيـــام تملأ عينيها:

-شمس حياتي.

صـــاحت بهـــا "بســـملة" بغضـــب: أنـــتِ إزاي تفكـــــري كـــــده؟! لا أخلاقـــــك ولا دينـــــك يسمحوا بكده!

هـــزت "جيهـــان" رأســـها بابتســـامة مـــاكرة وقالت:

-'بســـو'، دلـــوقتي عنـــدي مشـــوار مهـــم أخلصـــه، ولمـــا أرجـــع، هخليكـــي ادينـــي درس في الأخلاق.

«وتركتهـــا وغـــادرت إلـــى المكـــان الـــذي سيكشف الحقيقة كاملة.»

مع "بسملة" و"نور"

تنهـــدت "بســـملة" بإحبـــاط، وقالـــت: 'نـــور'، أنا بفكر أروح لـ'ديالا'. تيجي معايا؟

"نـــور" التـــي كانـــت شـــاردة، لـــم تـــرد، فقالـــت "بسملة" بغيظ:

-"نوررر"!

"نور" تنتبه فجأة: هاه؟ في إيه؟

"بسملة" بحدة: بكلمك من بدري!

بقولك:

-تروحي معي المستشفى؟

ردت "نور" ببرود وهي تهم بالمغادرة:

-لا، عندي محاضرة. سلام، هخلص وأكلمك.

وسارت "نور" إلى العنوان المدون في الرسالة التي وصلت لها منذ دقائق، وهي تفكر. ربما ستسعد بما ستعلمه، وربما سيجن جنونها وتغضب من الجميع.

وصلت "دعاء" لتجد "بسملة" تقف بمفردها، فسألت باستغراب:

-راحوا فين؟

ردت "بسملة" وهي تهز كتفيها: مش عارفة. المهم، هتيجي معايا، ولا أروح لوحدي؟

"دعاء" بابتسامة: كنت عارفة إنك هتروحي، عشان كده استأذنت من 'فارس' امبارح.

ابتسمت "بسملة" بسعادة لا تعرف سببها وقالت:

-اشطا! يلا بينا.

سارتا معًا، لكن "دعاء" تساءلت بجدية:

-'بسملة'، إيه الموضوع؟ أنتِ مش كنتِ رافضة؟ ليه رجعتي تكلميه؟

توقفت "بسملة" ونظرت إليها بجدية:

-يعني إيه رجعت؟ أنا مكلمتوش أصلاً عشان أرجع! كل الحكاية إن "ديالا" صعبانة عليا، مش أكتر.

نظرت إليها "دعاء" نظرة مشككة وقالت:

-والله؟ ما تقولي الحقيقة وتخلصي!

زفرت "بسملة" بضيق، ولم تستطع إخفاء مشاعرها أكثر. اعترفت:

-مش عارفة! بفكر فيه ليل نهار، ومن امبارح وأنا زعلانة عليه. مش عارفة أعمل إيه؟ شكله وهو حزين وجع قلبي. من امبارح وأنا مستنية الشمس تطلع عشان أشوفه. منمتش ولا ثانية من زعلي عليه.

ابتسمت "دعاء" بمكر وقالت: حلو! يبقى نعمل فرحنا إحنا الأربعة مع بعض!

***

في المستشفى

حمل "تامر" "ديالا" برفق، كأنها قطعة كريستال يخشى أن تنكسر بين يديه. وجهه كان مليئًا بالندم، وكأنه يحاول تعويض ما اقترفه بحقها وبحق الجميع. كانت "ديالا" تنظر إليه بخجل واضح، فقد كانت ترفض أن يحملها أمام الجميع، ولكن إصراره جعلها تستسلم. أراد أن تكون قريبة من قلبه، ليُشعرها بندمه وحنانه الذي لم يعبر عنه من قبل.

بجانبه كانت "إيمان" تسير بهدوء، بينما "كريم" يمسك يدها بقوة، وكأن

لمسة يده تخبرها بأن كل شيء سيكون على ما يرام. وقف "تامر" أمام السيارة، ليفتح "كريم" الباب الخلفي. وضع "تامر" "ديالا" بحنان شديد على المقعد، ثم انحنى ليقبل جبينها بقبلة امتلأت بالاعتذار. نظرت إليه بابتسامة خجولة، وكأنها تخبره بأنها تفهم مشاعره.

جلست "إيمان" بجوار "ديالا"، بينما قاد "كريم" السيارة، و"تامر" جلس إلى جانبه، شارد الذهن.

بينما كان "تامر" يحدق في الطريق أمامه، تذكر فجأة "بسملة"، تلك الروح التي أصبح وجودها بالنسبة له

ضـــروريًا. مـــد يـــده إلـــى جيبـــه وأخـــرج هاتفه، ليكتب لها رسالة نصية:

«ديـــالا طلعـــت مـــن المستشـــفى، وإحنـــا فـــي طريقنـــا للبيـــت. لـــو تســـمحي، عـــايز أتكلـــم معـــــاكِ ضـــــروري. وصـــــدقيني، مـــــش هزعجـــك تـــاني. ولـــو مـــش عـــايزاني، هختفي من حياتك للأبد.»

ثـــم توقـــف قلـــيلاً قبـــل أن يضـــيف فـــي نهايـــة الرسالة:

«ضائع... وجدكِ ملجأه.»

نظـــر إلـــى الرســـالة مـــرة أخـــرى قبـــل أن يضـــغط علـــى زر الإرســـال، ثـــم تنهـــد بعمـــق وهو يعيد الهاتف إلى جيبه.

***

كانت "بسملة" تسير بخطوات مترددة باتجاه المستشفى، حين صدر إشعار من هاتفها برسالة نصية. فتحت الرسالة لتقرأ محتواها بدهشة:

«ديالا طلعت من المستشفى واحنا في طريقنا للبيت. لو تسمحي عايز أتكلم معاكِ ضروري وصدقيني مش هزعجك تاني ولو مش عايزاني هختفي من حياتك للأبد. ضائع... وجدكِ ملجأه.»

توقفت للحظة، مستغرقة في أفكارها: كيف علم أنني سأذهب؟ هل أنا من أخبرته؟ لا أذكر ذلك... وماذا يريد مني؟ ولماذا أشعر بالخوف من القادم؟ ظلت تعيد قراءة العبارة الأخيرة: «ضائع...

وجـدكِ ملجـأه.» كأنهـا تبحـث بـين كلماتهـا عن معنى خفي.

قطـع صـوت "دعـاء" أفكارهـا: الرسـالة دي منه! وكان عايز إيه؟

رفعـت "بسـملة" عينيهـا نحوهـا، محاولـة إخفاء ارتباكها:

- أيـوة، بيقـول إن أختـه طلعـت مـن المستشفى وإنهم راجعين البيت.

ابتسـمت "دعـاء" بارتيـاح: الحمـد لله إنـه قال قبل ما نروح على الفاضي.

سـارت الاثنتـان فـي الطريـق للحظـات، ثـم تساءلت "بسملة" فجأة:

-هنعمـل إيـه دلـوقتي؟ هنرجـع الجامعـة ولا...

توقفت عن الحديث فجأة، وكأنها تذكرت شيئًا، ثم نظرت إلى "دعاء" بنظرة حادة:

-دعاء، إيه اللي مخبياه أنتِ و"جيهان" عننا؟

توترت "دعاء" وهي تهرب بعينيها بعيدًا:

-هخبي إيه يعني؟ مفيش حاجة.

اقتربت "بسملة" منها بخطوات ثابتة، وقالت بجدية:

-أنا مش عبيطة عشان مخدش بالي من اللي بيحصل بينا، فنجزي وقولي في إيه.

وقبل أن ترد "دعاء"، رن هاتفها باسم "جيهان". جذبت "بسملة" الهاتف

بســـرعة وردت قبـــل أن تتحـــدث "دعـــاء".

جاءهـــا صـــوت "جيهـــان" مـــن الجانـــب الآخر:

-دعـــاء، أنـــتِ فـــين؟ عـــايزة أتكلـــم معـــاكي ضـــروري! تعـــالي علـــى الكافيـــه اللـــي بنقعـــد فيه دايمًا.

ردت "بســـملة" بســـخرية: للأســـف، أنـــا "بسملة" مش "دعاء".

ســـاد الصـــمت للحظـــة، ثـــم ســـألت "جيهـــان" بارتباك:

-اتأكـــدت مـــن الاســـم قبـــل مـــا أرن، ده فـــون "دعاء"، صح؟

أجابـــت "بســـملة" بنبـــرة ســـاخرة: أيـــوة، فـــون "دعـــاء"، بـــس أنـــا اللـــي رديـــت. قوليلي، إيه اللي مخبياه عني؟

تنهدت "جيهان" بضيق وقالت: تمام يا "بسملة"، تعالي مع "دعاء" وهحكيلك كل حاجة. بس أوعي تقولي لـ"نور" حاجة، حتى ما تقوليلهاش إنك جايه.

صح، هي فين؟

-قالت إنها عندها محاضرة.

-حلو. مستنياكم، متتأخروش.

***

في الكافيه

جلست "بسملة" و"دعاء" أمام "جيهان" التي بدت متوترة قليلاً.

سارعت "بسملة" بالسؤال:

-ها يا "جيهان"، مخبية عني إيه؟ وليه مش عايزة "نور" تعرف؟

تنهدت "جيهان" وقالت بجدية: اسمعي، اليوم اللي رجعت فيه "نور" مع "أشرف" وقالت إنها كانت مخطوفة، يومها عمو قال كلام محدش فينا صدقه، صح؟

نظرت "بسملة" لها بتركيز: أيوة، أنتِ عارفة إيه اللي حصل يومها؟

أومأت "جيهان" برأسها وأكملت: لما كنا قاعدين كلنا، و"نور" بتحكي عن اللي حصل معاها، قلتلكم إني رايحة أشرب، ووقتها سمعت "أشرف" وهو بيتكلم مع عمو.

تقدمت "بسملة" بجسدها للأمام، تسأل بفضول:

-سمعتي إيه؟

الفصل الثامن عشر

كانَ أعرَابي عَلى خِلافٍ معَ زوجتِه.

سَألُوه: مَا السَّبب؟

قالَ: لا أتكلَّمُ عَن عِرضي.

فلمَّا طلَّقها، سَألُوه: مَا السَّبب؟

قالَ: لا أتكلَّمُ عَن أعراضِ النَّاسِ.

***

في مكتب فارس...

كان "فارس" يجلس على كرسي مكتبه منشغلاً ببعض الأوراق حين رفع رأسه ليجد "إبراهيم" يدخل بابتسامة عريضة. بعدما غادر ليتحدث عبر الهاتف، أشار له بالجلوس، وبدأ الحديث:

-إبراهيم، أنت بجد هتتجوز "جيهان"؟

رد "إبراهيم" بابتسامة:

-طبعـــاً! أنـــا جـــاي عشـــان أحكيلـــك... الموضوع ده في هزار؟

نظـــر لـــه "فـــارس" بدهشـــة: لا، بـــس مـــش عـــارف أقولـــك إيـــه! خـــايف أقـــول حاجـــة تخرب الدنيا.

ضـــحك "إبـــراهيم" وهـــو يقـــول: مـــتقلقش، هـــي قـــالتلي علـــى كـــل حاجـــة، بـــس مـــش هقدر أقول لحد.

نظـــر "فـــارس" إليـــه بعينـــين حـــائرتين. كـــان يعلـــم أن هنـــاك حلقـــة مفقـــودة فـــي القصـــة، لكنـــه قـــرر ألا يضـــغط عليـــه الآن، وبـــدلاً مـــن ذلـــك حـــاول تغييـــر الموضـــوع: المهـــم، أنـــت عامل إيه؟ وإيه أخبار...

قاطعه صوت رنين هاتفه، نظر إلى الشاشة ووجد اسم أخيه "مارس".

استأذن من "إبراهيم" بابتسامة ورد على الفور:

-مكالمتك زادت، يعني مكنتش بشوف اسمك غير في الأعياد!

رد "مارس" ضاحكاً: محتاجك معايا في مشوار.

تسأل "فارس" باهتمام: مشوار إيه؟

أردف "مارس" بتوتر: عايز... عايز أروح عند "ديالا" بيتها، أطمن عليها، بس مكسوف أروح لوحدي.

تسأل "فارس" مستغرباً: ديالا مين؟

قال "مارس" بخفوت: البنت المريضة اللي حصل لها الحادث.

هتف "فارس" بجدية: وأنت مش عملت الواجب ورحت المستشفى؟ ملوش لازمة تروح البيت، وبعدين غلط تروح عندهم!

تنهد "مارس" وهو يقول: عارف، بس عايز أطمن عليها عشان خاطري يا فارس. تعالى معايا!

تنهد "فارس" بضيق، ثم أجاب بعد لحظة تردد:

-طيب، هتروح إمتى؟

قال "مارس" بفرحة: دلوقتي! هعدي عليك، أنا عرفت عنوانها من المستشفى.

رضخ "فارس" له قائلًا: تعال، مستنيك أغلق الهاتف وألقى به على الطاولة،

متنهداً بتعب. لاحظ "إبراهيم" تغير ملامحه فسأله بقلق:

-مالك؟ في إيه؟

أخبره "فارس" بكل ما جرى، ليرد "إبراهيم" وهو يقف مستعداً للمغادرة:

-خلاص، روح معاه. أنا هسيبك عشان عندي شغل.

ثم غمز له مازحاً وهو يهم بالخروج:

-هنشوف بعض كتير الفترة الجاية، سلام!

ابتسم "فارس" ورد: سلام.

غادر "إبراهيم" المكتب، بينما جلس "فارس" يحاول إقناع نفسه بأن هذا المشوار لن يتسبب بمزيد من التعقيدات.

فـي أحـد المطـاعم كـان الجميـع يجلـس حـول الطاولـة فـي انتظـار أن تُخبـرهم "جيهـان" بمـا حـدث، بينمـا كانـت "نـور" تقـف بـالقرب مـنهم، مسـتمعةً دون أن يلاحظهـا أحد.

أردفـت "بسـملة" بنبـرة متسـائلة وهـي تحرك يدها أمام وجه "جيهان":

-هـا يـا جيهـان، سـرحتي فـي إيـه؟ انجـزي وقولي اللي حصل.

نظـرت لهـا "جيهـان" وهـي تأخـذ نفسًـا عميقًا وتبدأ في الحديث:

-أسمعي يا ستي...

"Flash back"

كانـت "جيهـان" تمشـي بتـأفف، غيـر مرتاحـة لمشـاكل "نـور" التـي كانـت

تفتعلها على ما يبدو، لكنها توقفت عندما سمعت فجأة صوت "المهدي" يصرخ في وجه "أشرف".

قال "المهدي" بغضب شديد: يعني إيه تتجوز بنتي في السر؟ أنت فاكرها إيه؟

تنهد "أشرف" محاولًا تهدئته وهو يقف أمامه:

- حضرتك ممكن تهدأ وتسمعني.

هتف "المهدي" وقد بدأت ملامحه تعكس الغضب أكثر:

-أهدأ إزاي بعد اللي أنت قولته؟

حاول "أشرف" تبرير الموقف بهدوء قائلًا:

-حضـــرتك اتفضـــل ارتـــاح، ولـــو كلامـــي معجـــبكش، همشـــي مـــن هنـــا وبعتـــذر علـــى اللي حصل.

جلـــس "المهـــدي" بضـــيق وهـــو يحـــاول أن يفهم الموقف:

-اتفضل، كمل كلامك.

بـــدأ "أشـــرف" يشـــرح الموقـــف وملابســـات القضـــية، نظـــر لـــه وهـــو يشـــرع فـــي الحـــديث: شـــهاب شـــعبان ده دكتـــور تجميـــل، لكـــن مـــريض نفســـي. كـــان متجـــوز وبيحـــب مراتـــه أوي، وفـــي يـــوم صـــحي لقيهـــا ســـابت البلـــد وهربـــت بابنهـــا الصـــغير لمـــا تعبـــت مـــن تصـــرفاته. هـــو مقتنـــع إنهـــا اتخطفـــت واتقتلـــت، ورفـــع قضـــية ضـــد عيلتهـــا وعيلتـــه، رغـــم كـــل الأدلـــة اللـــي أثبتـــت إنهـــا

سافرت. هو مش مقتنع وكمان اعتبر الحكومة مشتركه في الجريمة، وهدد القاضي في المحكمة وتحبس يومين. بدأ يعمل عمليات تجميل للسيدات اللي بيجيله في العيادة عشان يبقوا نسخة طبق الأصل من مراته. مش بس كده، ده بيجبرهم يعيشوا معاه تحت التهديد.

نظر له "المهدي" مرتبكًا وهو يحاول أن يفهم العلاقة بين هذا وبين ابنته "نور":

-ايوة، برضه مش فاهم إيه علاقة بنتي في كل ده.

تنهد "أشرف" بضيق: اللي حصل للأسف إن نور شبه مراته لدرجة كبيرة، أو بمعنى أصح، نور نسخة تانية منها.

نظر "المهدي" بقلق إلى "أشرف":

-وبعدين؟

رد "أشرف" بحزم: هو دلوقتي بيدور على كل المعلومات اللي تخص نور. ولو عرف إنها متجوزة، أكيد هيبعد عنها ومش هيأذيها. وكمان هخلي واحد يكون مع نور خطوة بخطوة من غير ما تحس عشان لو حصل حاجة يتصرف. صدقني مفيش حل تاني يحميها غير ده، وإلا الله أعلم ممكن يحصلها إيه.

شعر "المهدي" بالارتباك والخوف، كان من الواضح أنه لا يعرف ماذا يفعل. ثم اقترح "أشرف" حلًا آخر:

-ولو حضرتك قلقان مني، أنا هديك وعد أن بعد الفترة دي ما تخلص ونقبض

على الدكتور، لو هي عايزة تطلق لما تعرف هطلقها. وكمان لو أنت رافضني، أنا شخصيًا وعندك حد عايز يتجوزها، تمام. بس أهم حاجة محدش يعرف باللي قولته.

قال "المهدي" وهو يفكر في الموضوع بجدية:

-طيب، ليه محدش يعرف؟ مش المفروض أنت هتتجوزه عشان هو يبعد عنها؟

رد "أشرف": هو شخص ذكي جداً، لو عرف من حد إنها متجوزة، هيعرف إنها لعبة، ومش هنتوقع رد فعله؛ عشان كده لازم هو اللي يتأكد بنفسه.

أردف "المهـــــدي" بلهجـــــة مضـــــطربة:

سبني يومين أفكر.

نهـــض "أشـــرف" لكـــي يغـــادر، ثـــم قـــال:

تمـــام، بـــس ياريـــت تعـــرف إن كـــل لحظـــة تـــأخير فيهـــا خطـــر علـــى بنتـــك. وكمـــان لازم متقـــولش لحـــد، ولـــو قلـــت لحـــد المفـــروض تكون واثق فيه مية في المية.

في الخارج

كانـــت "جيهـــان" تقـــف مصـــدومة، تســـتمع لكـــل مـــا يقـــال، حتـــى ســـقط الهـــاتف مـــن يـــدها فجأة.

في الداخل

نظـــر "أشـــرف" إلـــى "المهـــدي" بتســـاؤل بعـــدما ســـمع صـــوت شـــيء يســـقط، فقـــال

"المهـــدي" ســـريعًا: هطلـــع أشـــوف فيـــه أيه.

"Back"

شـــرحت لهـــن "جيهـــان" مـــا حـــدث،ثم صمتت لتلتقط أنفاسها:

-ده اللـــي حصـــل، ولمـــا وقـــع منـــي التليفـــون، طلعـــوا وشـــافوني وطلبـــوا منـــي مقـــولش لحد اللي سمعته.

قالت "بسملة" بتساؤل: وبعدين؟

ردت "جيهـــان": بعـــد يـــومين اتصـــلت عمتـــو بيـــا، وطلبـــت منـــي أخلـــي نـــور توقـــع علـــى قســـيمة الجـــواز مـــن غيـــر مـــا تعـــرف. وبعـــدين قولـــت لـــ "دعـــاء" لمـــا ســـمعتني وأنـــا بـــتكلم فـــي التليفـــون، وقـــدرنا نخليهـــا توقع. وهي دلوقتي مراته.

نظـــرت لهـــا "بســـملة" بدهشـــة: طيـــب، بصمت إزاي؟

قالـــت "جيهـــان": عمتـــو وهـــي نايمـــة خلتهـــا تبصـــم، ومســـحت لهـــا الآثـــار عشـــان متعرفش.

ردت "بســـملة" بغضـــب: مـــش مصـــدقة! إزاي تعملـــوا معاهـــا كـــده؟ هـــي مـــن حقهـــا تفـــرح زي بـــاقي البنـــات! أنـــتم ســـرقتوا فرحتها!

تـــدخلت "دعـــاء" محاولـــة أن تكـــون واقعية:

-عملـــوا كـــده عشـــان خـــايفين عليهـــا يـــا بسملة.

هتفت "بسملة" بعصبية:

-ده مش مبرر! ولسه مش فاهمة يعني إيه مفيش طريقة تحميها بيها غير الجواز؟

ردت "جيهان" بنفاد صبر: لا مبرر لأنه مكنش فيه حل تاني عشان ينقذها من الدكتور...

ثم رن هاتف "بسملة" فجأة برقم "تامر" الغير مسجل. نظرت إليها "دعاء" بضيق، بينما "بسملة" أجابت، مبتعدة عنهم لخارج المطعم، قائلة:

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رد "تامر": وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. إزايك يا بسملة؟

قالت "بسملة" بحدة: أنسة بسملة لو سمحت، ديالا عاملة إيه؟

ابتسم "تامر" بحزن: الحمدلله، بخير. ينفع أشوفك؟

ردت "بسملة" بعصبية: حضرتك فاكرني إيه؟ أنا مش زي البنات اللي تعرفهم وبتتسلى بيهم.

أردف "تامر" باسف: أنا آسف والله، مقصدش. وعارف كويس أنتِ مين، وأنا كمان مكنتش بتسلى. أنا جيتك لحد البيت ومستعد أجي أطلبك بدل المرة عشرة.

نظرت "بسملة" حولها ثم قالت بهدوء:

-طيب، خير في إيه؟

قال "تامر" محاولًا تجميع جملة لطيفه لكي لا تنزعج منه:

-عـايز أشـوفك مـرة واحـدة، هقولـك حاجـة. وصـدقيني، لـو مـش عـايزة تشـوفيني تاني، هختفي من حياتك للأبد.

صـمتت "بسـملة" للحظـة تفكـر فـي الأمـر قبل أن ترد:

-تمـام، أنـا موجـودة حاليًـا مـع أصـحابي فـي مطعم الرحمة في المدينة، هستناك.

ابتسـم "تـامر": مسـافة الطريـق وأكـون عندك. سلام.

تنهدت "بسملة": سلام.

عـادت "بسـملة" إلـى الطاولـة وقالـت بـلا مقدمات:

-تـامر عـايز يـتكلم معايـا، وأنـا قولـت لـه يجي هنا.

تسألت "جيهان" بتعجب: تامر مين؟

ردت "دعـــاء" بضـــيق: الأســـتاذ اللـــي اتقـــدملها مـــن فتـــرة ورفضـــته، ودلـــوقتي كـــل شوية تكلمه.

دافعـــت "بســـملة" عـــن نفســـها بضـــيق: فـــي إيـــه يـــا دعـــاء؟ أنـــا عملـــت إيـــه؟ ومالـــك مضايقة ليه؟

ردت "دعاء" بجدية:

-بســـملة، أنـــتِ رفضـــتيه ودلـــوقتي بتكلميـــه؛ طالما عايزة ليه رفضتيه؟

قالـــت "بســـملة" وهـــي تتحاشـــى النظـــر لهن:

-أنـــا مـــش عـــايزاه! هـــو اللـــي بيكلمنـــي، وبعدين هو قال إن دي آخر مرة هشوفه.

قالـــت جملتهـــا الأخيـــرة بحـــزن، لتـــرد "جيهان" ببسمة:

-شكلك عاوزاه ومترددة.

صمتت "بسملة" ولم تجب، بينما وقفت "دعاء" وقالت:

-خلاص، هروح أنا.

ردت "بسملة": خليكِ، نروح مع بعض.

هزت "دعاء" رأسها بنفي:

-لا، عشان عندي حاجات كتير عايزة أعملها، وعايزة أذاكر، الامتحانات قربت.

نهضت "جيهان" هي الأخرى: طيب، يلا، أنا كمان همشي.

***

كان "أشرف" يجلس في السيارة أمام بوابة الجامعة، ينتظر انتهاء محاضرتها التي أخبرته بها "جيهان". كان ينوي

الاتصال بها ليخبرها الحقيقة كاملة. يعلم جيدًا أنها ستغضب وتثور، لكنه كان على يقين أنه سيتوصل إلى طريقة لتهدئتها. قاطع شروده صوت هاتفه، ليلاحظ بدهشة الاسم المدون على الشاشة: "مجنونتي". ماذا؟ "المجنونة" تتصل به؟ كيف؟ ولِمَ؟ ومن أين حصلت على رقمه؟! انتهت المكالمة وهو ما يزال يفكر في هذه الأسئلة، لكن قرر أن يبعد تلك الأفكار ليقوم بالاتصال بها.

بعد لحظات من الانتظار، أجابت "نور" بصوت هادئ:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رد "أشـــرف" وكأنـــه لا يعرفهـــا متســـائلًا عن هويتها:

-وعلـــيكم الســـلام ورحمـــة الله وبركاتـــه، مين معايا؟

ضـــحكت "نـــور" بســـخرية وهمســـت لنفسها:

-والله مـــين معايـــا، عامـــل أنـــه ميعـــرفنيش تمام.

نظّـــر "أشـــرف" للهـــاتف معتقـــدًا أنهـــا أغلقـــت المكالمـــة، لكنـــه عـــاد وســـألها بحيـــرة من صمتها:

-ألو، مين؟

ردت "نـــور" بثقـــة لا تليـــق إلا بهـــا: معـــاك نـــور المهـــدي يـــا كـــابتن، محتاجـــة أتكلـــم معاك شوية، ممكن؟

رد "أشـــرف" متســـائلًا: تتكلمـــي معايـــا أنـــا في إيه؟

أردفـــت "نـــور" بثبـــات: لمـــا أشـــوفك هتعرف. أنت فين؟ وأنا جيلك.

ضـــحك "أشـــرف" بســـخرية وقـــال: والله هـــو مـــش المفـــروض أنـــا اللـــي أقولـــك أنـــتِ فـــين وأنا أجيلك؟

تشـــكلت بســـمة ســـاخرة علـــى وجـــه "نـــور" قائلة:

-مـــش هتفـــرق يـــا كـــابتن. علـــى العمـــوم، أنـــا في الجامعة.

رد "أشـــرف" بجديـــة: تمـــام، أنـــا قريـــب عليكِ. أطلعي هتلقيني مستنيكي.

أردفـــت "نـــور": أوكـــي، عشـــر دقـــايق وأكون عندك

تنهد "أشرف" وهو يقول قبل أن تغلق:

-سلام مؤقت.

أغلق الهاتف وهو يشرد بحيرة، يفكر في كيفية تمكن "نور" من التواصل معه بهذا الشكل. تساءل في نفسه:

- "أكيد عرفت! مستحيل تكون متعرفش وتتكلم معايا بالطريقة دي!"

ثم تذكر "جيهان"، فأرسل لها رسالة نصية:

-«أنتِ قولتي لـ نور على اللي حصل، أو حد قالها؟»

بعد دقيقة، أجابت "جيهان" برسالة نصية:

-«لا، محدش قالها حاجة. أصلاً مكناش عارفين نوقلها إزاي. بس بتسأل ليه؟»

رد "أشرف" على الفور:

«مفيش، هو سؤال مش أكتر.»

أغلق الهاتف، وهو في حالة تفكير عميقة، مُنتظرًا حربه القادمة مع "المجنونة" الخاصة به.

***

كانت "ديالا" تسير وسط صحراء كاحلة، تستنجد وتصيح وتبكي، بينما كانت تتمنى أن يأتي أحد وينقذها من هذا البلاء، لكن لا حياة لمن تنادي.

اقتربت منها حيوانات مفترسة وهاجمتها، لتصرخ وتصرخ حتى كادت أحبالها الصوتية أن تقطع، ولا يأتي أحد لإنقاذها.

انتقلت صرخاتها إلى الواقع، لتنتفض "إيمان" من جوارها، وتقول بخوف وهي تعانقها:

-ديالا حبيبتي اهدي؛ ده حلم، متخفيش، مفيش حاجة.

قالت "ديالا" ببكاء وهي تتمسك بها بقوة:

-لا يا عمتو، أنا خايفة، خايفة أوي... أنا... أنا مش عارفة؟... هما... هما كانوا ماشين ورايا... وبعدين، بعدين...

ازداد بكائها لتصرخ بألم: أنا سبتهم... سبتهم يعملوا فيا كده وسكت... أنا السبب... أنا السبب. يارب، يارب ارحمني، يارب!

ابتعدت عن "إيمان" وهي تعود إلى هذيانها قائلة بصوت متقطع:

-بابا هيعمل إيه؟ طيب ماما هيحصلها حاجة بسببي صح... طيب أنا أعمل إيه دلوقتي؟

صرخت بكل ما فيها وبصوت يملؤه الألم:

-يارب!

ثم سقطت مغشيًا عليها في أحضان "إيمان"، التي كانت تبكي بوجع على حالتها، وعلى طفلتها وابنة أخيها.

في غرفة "كريم"...

كان "كريم" يجلس بإرهاق وهو يحدث زوجته عبر الهاتف وهو يقول بضيق:

-خـــلاص يـــا ســـلمى، لمـــا تيجـــي تعرفـــي مالي.

ردت "ســـلمى" بقلـــق: آســـفة يـــا حبيبـــي، بـــس خايفـــة عليـــك، صـــوتك تعبـــان وأنـــت مش راضي تقولي مالك.

تنهـــد "كـــريم" محـــاولًا التخفيـــف: خـــلاص حصـــل خيـــر، متقـــوليش لمامـــا إنـــي تعبـــان عشـــان مـــا تقلقـــش، وعرفينـــي معـــاد الطيـــارة إمتـــى عشـــان أجـــي اســـتقبلكم فـــي المطار.

لكـــن قبـــل أن تجيـــب، ارتفـــع صـــوت صـــراخ "ديالا"، ليقول بسرعة:

-سلام يا سلمى، هكلمك بعدين.

تســـألت "ســـلمى" بقلـــق: فـــي إيـــه يـــا كـــريم؟ ومال "ديالا"؟

أغلق الهاتف دون أن يجيب، ثم ركض بلهفة صوب غرفة شقيقته. عندما دخل الغرفة، وجدها مستلقية على الفراش بلا حول ولا قوة، وجوارها كانت "إيمان" تجلس تربت على رأسها بحنان فائق، ودموعها تسيل على وجنتيها.

تسأل "كريم" بقلق: فيه إيه؟

ردت "إيمان" ببكاء: كانت نايمة وشافت كابوس وصحيت تعيط؛ أنا قلبي واجعني أوي عليها، هي عملت إيه لكل ده؟

تنهد "كريم" بحزن على ما أصاب عائلته، وقال:

- استغفري ربك يا عمتو، ده قضاء وقدر، اللهم لا اعتراض.

هتفت "إيمان" بوجع: يارب، يارب ارحمها برحمتك.

تساؤل "كريم" باهتمام: عطتيها العلاج؟

هزت "إيمان" رأسها وهي تقول: أيوة عطيتها، قبل ما تنام كانت كويسة، والكابوس اللي شافته هو اللي عمل فيها كده.

أردف "كريم" بحزن عميق: ديالا بتمثل يا عمتو إنها كويسة، بس هي تعبانة؛ ربنا يكون معها وتمر الأيام دي على خير. أنا هتصل بدكتور صاحبي يجي يشوفها، أكيد محتاجاه. خلي بالك منها يا عمتو، ولو في حاجة رني عليا.

غـــادر الغرفـــة بوجـــع، لا يعلـــم كيـــف سـيحتمل المزيـد. فمـا أصـاب شـقيقته لـيس هينًا.

وقـف "كـريم" أمـام بـاب المنـزل ليفتحـه، فوجـد ضـيوفًا كـادوا أن يطرقـوا البـاب. ابتسـم لهـم فـي هـدوء، ليسـمع صـوت أحـدهم يقـول بحـرج طفيـف مـن وجـوده هنا:

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رد "كـريم" بابتسـامة هادئـة: وعلـيكم السلام ورحمة الله وبركاته، اتفضلوا.

صـافح "فـارس" و"مـارس"، الـذي كـان يقبـع خلفـه بصـمت مقلـق، قـال "فـارس" معتذرًا:

- باعتذر لوجودنا في وقت غير مناسب، لو حضرتك خارج ممكن نيجي في وقت تاني.

رد "كريم" مبتسمًا: لا طبعًا، اتفضلوا، مفيش داعي للاعتذار. تشرفونا في أي وقت.

***

كانت "نور" تجلس بصمت أمام "أشرف" منذ دقائق، وهو يشعر بالتوتر من هذا الصمت الثقيل؛ كان يحاول أن يقرأ ما تفكر فيه، ولكن لا شيء كان واضحًا. هل هي تنتظر أن يتحدث هو أولًا؟ أم أنها تتردد في طرح ما تود قوله؟ نظر إليها، ثم أخذ نفسًا عميقًا، وتنحنح ليلفت انتباهها.

فقال وهو يحاول فتح الحوار: مالك؟ مش عادتك إنك تسكتي، في حاجة ولا إيه؟

رفعت "نور" رأسها ببطء، وتحدثت بصوت منخفض:

-محتاجة أطلب من حضرتك طلب ومش عارفة أقوله إزاي.

لاحظ "أشرف" التوتر في نبرتها، فابتسم بحذر وقال بجدية:

-اطلبي بالطريقة اللي تريحك.

ثم بدأت "نور" في الحديث، وكأنها قررت أن تكون صريحة، وقد عادت لهجتها إلى طبيعتها:

-بص يا سيدي، بدون مقدمات، أنا عندي مشكلة وبما إنك ظابط مال وهدومك، عايزك تساعدني.

فكر "أشرف" في كلامها لوهلة قبل أن يسأل بحذر:

-مشكلة إيه؟

ردت "نور": في واحد من فترة بيمشي ورايا وعمال يضايقني، وأنا زهقت منه.

أجاب "أشرف" بعصبية، وهو يشعر بالانزعاج وقد اتسعت عيناه مما قالت:

-مين ده؟! وإزاي تسكتي لحد دلوقتي؟

ثم ضاف بغضب: وربي لحسابهم الكلاب اللي ملهمش لزمه

تسألت "نور" وهي تنظر له بخبث: كلاب مين؟

ولكـــن رد فعـــل "أشـــرف" كـــان ســـريعًا وغاضبًا حينما قال بلهجة حادة:

-ملكـــيش دعـــوة... انطقـــي مـــين ده اللـــي بيمشي وراكي؟

بـدأت "نـور" ترفـع حاجبهـا فـي تعبيـر عـن الاستفهام، ثم قالت بهدوء:

-أهـدى طيـب، أنـت متعصـب ليـه؟ وبعـدين المشكلة مش هنا.

نظـــر "أشـــرف" إليهـــا بعينـــين ملؤهمـــا الحيرة، مستغربًا:

-إيه؟ طب فين المشكلة؟

ردت "نـــور" بمـــرح طفيـــف: بـــص يـــا ســـيدي، أنـــا لمـــا لقيتـــه مضـــايقني، عملـــت إيه؟

كان "أشرف" يضغط على نفسه ليفهم الموقف:

-إيه؟

هتفت "نور" بمرح: عديت من طريق مختصر.

هتف "أشرف" وقد بدأ يشك في تصرفاتها:

-مش فاهم.

أكملت "نور" بتفاصيل إضافية وهي تشرح ببطء:

-البت زفته، كل شوية تلاقي طريق مختصر، ومفيش حد بيعدي منه عشان نتمشى براحتنا. رحت أنا عديت من الشارع ده، ومكنش فيه حد خالص في الشارع...

كـــان "أشـــرف" يراقبهـــا بتركيـــز، وعينـــاه متسعتان في تساؤل:

- هاا وبعدين؟

ردت "نـــور" بثبـــات: والـــواد اللـــي ماشـــي ورايـــا كنـــت عارفـــة إنـــه هيســـتغل الفرصـــة إن مفيش حد ويكلمني.

انفجـــر "أشـــرف" فـــي وجههـــا بعصـــبية وهو يتنفس بصعوبة:

- انجزي ومش كل شوية تسكتي!

قالـــت "نـــور" بهـــدوء وهـــي تبتســـم لـــه جعلت أعصابه تتوتر أكثر:

-إيـــه، مخـــدش نفســـي. المهـــم الـــواد وقـــف يكلمني، رحت أنا عملت إيه؟

أجـــاب "أشـــرف" باســـتياء محـــاولًا السيطرة على غضبه:

- يا رب صبرني. إيه؟

ردت "نـــور" بكـــل بســـاطة وهـــي تبتســـم بسخرية:

- ضـــربته بحجـــر علـــى رأســـه كنـــت حاطـــة فـــي الشـــنطة، فـــالواد أغمـــى عليـــه. حاولـــت أفوقـــه مـــرديش، رحـــت ســـبته ومشـــيت. هـــاا هتساعدني؟

نظر لها "أشرف" مذهولًا: في إيه؟؟

ردت "نـــور" وكـــأن مـــا قالتـــه كـــان أمـــرًا عاديًا:

-في اللي قولته؟

نظـــر إليهـــا "أشـــرف" بحيـــرة متســـألًا: اللـــي هو؟

قالـــت "نـــور" ســـاخرة: مالـــك أنـــت عيـــان ولا إيه؟

فجـــأة، انفجـــر "أشـــرف" فـــي وجههـــا بغضب عارم وهو يلوح بيده:

-بتِ أنتِ مجنونة ولا غبية ولا إيه؟

وقفـــت "نـــور" بـــبطء، ثـــم أخـــذت حقيبتهـــا بحركـــة عنيفـــة وقالـــت باســـتخفاف وبنبـــرة جافة:

- إلا الغلـــط يـــا باشـــا! مـــش عـــايزة منـــك مساعدة، بلا مجنونة قال.

بينمـــا كـــان "أشـــرف" فـــي حالـــة مـــن الغضـــب الـــذي يتصـــاعد داخلـــة، قـــال بصـــوت متقطـــع مراعيًا لمكان تواجدهم:

-قعـــدي مكانـــك، وأيـــاكي تتحركـــي غيـــر لمـــا أقولك.

ردت "نـــور" بعنـــاد شـــديد: ليـــه إن شـــاء الله تـــ...

ولكنـــه قاطعهـــا فجـــأة بصـــرخة غاضـــبة غيـــر مهتم بمن حوله:

-نوررر!

جلســـت "نـــور" أخيـــرًا فـــي مكانهـــا، بينمـــا كـــان "أشـــرف" يضـــع يـــده علـــى وجهـــه، يتـــنفس بصـــعوبة. نظـــر إليهـــا بحيـــرة قبـــل أن يرفع يده ويتساءل بهدوء:

-أنتِ غبية؟

لـــم تـــرد "نـــور" مباشـــرة، بـــل أخـــذت وقتًـــا لتفكـــر قبـــل أن تجيـــب، وهـــي تحـــاول التخفيف من تأثير كلماتها، قائلة ببرود:

-مـــش ديمًـــا. يعنـــي أحيانًـــا البنـــات بيقولـــوا عليـــا غبيـــة، وأحيانًـــا لا. بـــس همـــا بيقولـــوا

البت زفته أغبى مني. يعني بصِّ، البت دعاء عملالنا مستويات. يعني زفته المستوى الأول "تقصد جيهان"، وأنا المستوى التاني، والزفته التانية المستوى التالت "تقصد بسملة". أما الزفته التالتة فهي ذكية الصراحة، مقدرش أقول عليها حاجة "تقصد دعاء".

شعر "أشرف" وكأن العالم ينهار أمامه، وكانت هذه الإجابة بمثابة القشة التي قصمت ظهره. همس لنفسه في ضيق:

"يالله، ستصيبة بالجنون لا محال."

ثم أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يتحدث بلهجة محبطة:

-حقيقي، أنا عاجز عن الرد.

لكـــن "أشـــرف" لـــم يســـتطع أن يتـــرك الأمـــور هكـــذا، فاســـتمر فـــي محاولتـــه للســـيطرة علـــى الموقـــف، قـــائلًا بصـــوت هادئ:

-نـــور، تصـــرفاتك دي مـــش طبيعيـــة. يعنـــي مكنتـــيش قـــادرة تقـــولي لحـــد يتصـــرف مـــع الـــواد ده؟ لازم تعملـــي فيهـــا المفـــتش كونـــان. افتـــرض حصـــلك حاجـــة، لا وكمـــان مســـهلة عليـــه مهمتـــه! معديـــة مـــن طريـــق مهجـــور! والله حـــرام عليـــكِ اللـــي بتعمليـــه ده.

صمت للحظة، ثم نظر إليها باستهزاء:

- لا، وأنـــا اللـــي خـــايف عليهـــا وأقـــول عملهـــا إيـــه؟ اتـــاري المفـــروض أخـــاف علـــى الواد منها.

ابتسمت "نور" ابتسامة مستفزة، وأجابت:

-سيبك من الكلام ده. أنت لحد دلوقتي مطلبتش أكل، ولا مش معك فلوس؟ اطلب وأنا اللي هحاسب.

زادت عصبية "أشرف" وهو يقول:

مش عايز أسمع صوتك عشان إحنا في مكان عام، ومش عايز أعمل حاجة أندم عليها.

لكن "نور" أجابته بنبرة غير مكترثة:

-يعني هتطلب أكل ولا لا؟

تجاهل "أشرف" حديثها، واستمر في طرح أسئلته بغضب:

-حصـــل الكـــلام اللـــي بتقوليـــه ده إمتـــى؟ والشـــارع اللـــي كنـــتم فيـــه اســـمه إيـــه؟ وتعرفي اسم الواد؟

عبثـــت "نـــور" فـــي حقيبتهـــا، لكنهـــا لـــم تجب. نظر إليها بحدة، ثم انفجر:

-هو أنا مش بكلمك؟

ردت "نـــور" ببـــرود: مـــش زعقـــت فيـــا وقولت مش عايز أسمع صوتك تاني.

ضحك "أشرف" وهو يقول: والله؟

ابتسمت له "نور" بتحدٍ: واللهِ.

همـــس "أشـــرف" لنفســـه، وهـــو لا يعـــرف كيف يتعامل معها:

"المفـــروض أتعامـــل معاهـــا إزاي دي يـــا ربي؟"

ثم تحدث بضيق، وهو يحاول أن يظل هادئًا:

-أنا آسف يا نور هانم، بس بعد إذنك لما أسلك تردي عليا لو مش هتعبك.

تنهدت "نور" وهي تقول بتأفف: طيب.

هتف "أشرف" بحدة أكبر: ردي.

نفخت "نور" بضيق وقالت: أنت عمال تزعق وأنا ساكته، ومش هسكت تاني.

الحوار حصل من ساعة، وهعرف اسمه منين؟ كنت هطلعلوا بطاقة.

تنهد "أشرف" بقلة حيلة: طيب، والشارع اللي كنتِ فيه؟

ردت بسخرية: مبركزش على اسم الشارع، عشان مش هطلعلوا بطاقة

برضه. بس أكيد البت زفته عارفة اسمه.

قال "أشرف": اتصلي اسأليها.

نظرت له بضيق قائلة: مش بكلمها.

تعجب "أشرف" من أجابتها وتسأل بتوتر:

-ليه؟

نظرت "نور" له وهي ترفع أحد حاجبيها بمعنى:

- "حقًا؟"، ثم جذبت هاتفها من على الطاولة، لتفتحه وتضعه أمامه على صورته برفقة "جيهان".

ابتسم "أشرف" بهدوء: عايزة تعرفي كنت معها ليه؟ كنت بسألها عنك. نور،

فـــي موضـــوع هقولـــك عليـــه بـــس حـــاولي تشغلي عقلك ولو مرة واحدة...

أتســـعت بســـمة "نـــور" ثـــم قالـــت كلمـــة واحدة:

-طلقني.

ســـــقطت الكلمـــــة علـــــى "أشـــــرف" كالصاعقة، ليبتلع بتوتر...

*****

الفصل التاسع عشر

"إنـــي يـــا الله مـــدّدتُ قلبـــي إليـــكَ فـــلا تـــردهُ إلا مجبوراً."

****

-طلقني.

كلمـــة واحـــدة تفوهـــت بهـــا "نـــور"، ســـقطت كالصـــاعقة علـــى مســـامع "أشـــرف". شـــعر بتـــوتر شـــديد، ابتلـــع ريقـــه بصـــعوبة قبـــل أن يتمكن من النطق:

-نور...

رفعـــت حاجبيهـــا بتحـــدٍ، وقالـــت: طلقنـــي بـــالأدب. أنـــا بعـــد ســـنة وكـــام شـــهر هكـــون محاميـــة، وعارفـــة كـــويس أوي إن اللـــي أنـــتم عملتـــوه ده مصـــيبة. ولـــو رفعـــت عليكم قضية، كلكم هتتحاسبوا. بس...

توقفت قليلاً، ثم ابتسمت ابتسامة صغيرة وقالت: -بس عشان خاطر أنا طيبة وكيوت وقمر، هسكت عن حقي مقابل إنك تطلقني بهدوء.

ابتسم "أشرف" بهدوء مستفز ورد: طيب بصي يا وزة... 'طلقني' مش من ضمن اختياراتك.

نظرت له "نور" بسخرية واضحة وسألته:

-وأيه هي اختياراتي يا باشا؟

قال بثبات: تزعلي مني، أو تتعصبي عليا، أو تتخانقي معايا. وأنا مستعد أقبل كل ده، وهحاول بكل الطرق إني أرضيكي وهفهمك اللي حصل. لكن طلاق وكلام فاضي؟ انسِ.

اشـــتعلت "نـــور" غضـــباً وردت عليـــه بعصبية:

-كـــلام فاضـــي؟! وأنكـــم تضـــحكوا عليـــا وتعتبرونـــي لعبـــة ده كـــلام فاضـــي؟! وكمـــان عايزني أسكت؟!

حـــاول تهـــدئتها، قـــائلاً: نـــور، أهـــدي عشـــان خـــاطري. افهمـــي الأول اللـــي حصـــل وبعدين اتكلمي.

ردت بصـــوت مرتفـــع: مفـــيش بينـــا كـــلام. اللـــي بينـــي وبينـــك كلمـــة، انطقهـــا وخلينـــا نخلص من الحوار ده.

نظـــر لهـــا بتصـــميم وقـــال: نـــور، متجبـــرنيش أخليكي تسمعيني بطريقتي.

ردت بعصـــبية أشـــد: مفـــيش بينـــا كـــلام، أنـــت مبتفهمش.

ورغم تخطيها للحدود، كان يدرك أنها تملك كل الحق في ذلك، فسألها بهدوء:

-أنتِ عرفتي منين؟

ضحكت بسخرية وقالت: مش مهم أنا عرفت إزاي، المهم إني عرفت أنكم بتلعبوا بيا.

حاول الدفاع عن نفسه قائلاً: يا بنتي، هلعب بيكِ إيه؟ أنا متجوزك عشان...

قاطعت كلامه بحدة وهي تهم بالمغادرة:

-معاك ٢٤ ساعة تفكر فيها وتيجي البيت عشان تطلقني. لو عَدّت المدة، هرفع عليكم قضية ونتقابل في المحكمة يا باشا.

وغـــادرت المكـــان بخطـــوات ثابتـــة، تاركـــةً وراءهـــا صـــمتاً مشـــحوناً بالأســـئلة والمشاعر المضطربة.

***

كانـــت "بســـملة" تجلـــس علـــى الطاولـــة بمفردهـــا، تنظـــر إلـــى اللاشـــيء بقلـــق وحـــزن لا تفهـــم ســـببه. بينمـــا كانـــت شـــاردة فـــي أفكارهـــا، ســـحب "تـــامر" أحـــد المقاعـــد وجلـــس بهـــدوء دون أن تشـــعر بـــه. مـــد يـــده ليهزهـــا برفـــق، لتنـــتفض فـــي جلســـتها وتصيح بغضب:

-إزاي تتجرأ وتلمسني؟!

تراجـــع "تـــامر" بســـرعة وقـــال معتـــذراً: آســـف والله، مقصـــدش. أنـــا بكلمـــك مـــن شوية ومش بتردي.

اعتـــدلت فـــي جلســـتها بضـــيق، وقالـــت بنبـــرة حادة:

-نعم؟ عايز مني إيه؟

نظر لها بحرج بسبب طريقتها، ثم قال:

-كنت عايز أقولك حاجة قبل ما أسافر.

نظـــرت إليـــه بصـــدمة مشـــوبة بـــالحزن والخوف، وقالت دون وعي:

-تسافر؟

لاحظـــت مـــا تفوهـــت بـــه ســـريعاً، لتتـــدارك الأمـــر وهـــي تعبـــث بزجاجـــة الميـــاه الفارغـــة أمامها:

-قصـــدي، هتســـافر ليـــه؟ وإزاي تســـيب أختك في الوضع اللي هي فيه؟

تنهـــد "تـــامر" بحـــزن وأجـــاب: عشـــان الوضـــع اللـــي هـــي فيـــه بســـببي. أنـــا الســـبب

فـــي اللـــي حصـــل، ومعنـــديش القـــدرة إنـــي أواجـــه أبويـــا. نظرتـــه ممكـــن تقتلنـــي، لأنـــي متأكد إنه هيلومني على اللي حصلها.

نظـــرت لـــه "بســـملة" بدهشـــة وقالـــت باستنكار:

-وأنـــت إزاي الســـبب؟ يعنـــي عشـــان البنـــات اللي بتكلمهم ولا إيه؟

أجابهـــا بصـــراحة: أيـــوة. هـــو حـــاول كتيـــر يقنعنـــي إن اللـــي بعملـــه غلـــط، بـــس أنـــا كنـــت مصر على الغلط.

هـــزت رأســـها بحـــزم وقالـــت: ده مكـــنش غلـــط، ده ذنـــب كبيـــر. لازم تتـــوب عنـــه مـــش تهـــرب. مـــش هقـــدر أقولـــك إن اللـــي حصـــل لـــ"ديالا" بســـببك، بـــس أكيـــد ده اختبـــار لـــيكم وليك أنت شخصياً عشان تتوب.

قاطعها بسرعة وقال: والله من يوم ما شوفتك وأنا قطعت علاقتي بكل البنات اللي كنت بكلمهم.

نظرت له بجدية وقالت: المفروض تقطع علاقتك بيهم عشان نفسك مش عشاني. لأن لو أنا مش ليك، ممكن ترجعلهم تاني. لكن لو سبتهم وأنت مقتنع إن اللي بتعمله حرام، عمرك ما هترجع لهم.

نظر إليها ملياً قبل أن يقول: عارف، وعشان كده عايز أبعد عن هنا. هعيد حساباتي، يمكن لما أرجع أكون شخص تاني وتقبلي بيا.

صمتت للحظات تفكر، ثم سألته بجدية:

-طيب، كنت عايز مني إيه؟

قال وهو يتنهد: وعد.

نظرت له بعدم فهم: وعد؟

أجابها بثقة: إنك تستنيني. عارف إن ده مش من حقي أطلبه، بس عندي إحساس إنك عايزاني، بس على شروطك أو إن أكون الشخص اللي في بالك. وأنا هعمل كل اللي أقدر عليه عشان أتغير. وصدقيني، لما أرجع، هكون الشخص اللي بتتمنيه.

تنهدت "بسملة" وقالت: متعودتش أوعد بحاجة مقدرش عليها. سافر وادعي ربنا باللي أنت عايزه، وربنا قادر على كل شيء.

ابتسم لها بثقة وقال: إن شاء الله تكوني من نصيبي.

نهضت لتغادر وقالت: أنا لازم أمشي. ولو سمحت، متحاولش تكلمني تاني، عشان مقابلتي ليك دي غلط. وياريت تمسح رقمي دلوقتي.

رد بإذعان: حاضر، بس ممكن أطلب منك حاجة أخيرة؟

قالت بحذر: اتفضل.

طلب بهدوء: ينفع كل فترة تروحي أنتِ وصحابك تشوفي 'ديالا"؟

أجابته بثبات: من غير ما تقول، كنت هعمل كده.

ابتسم بشكر وقال: شكراً بجد على وجودك في حياتي.

قالت وهي تغادر: امسح رقمي قبل ما أمشي.

أخــرج هاتفــه وفعــل مــا طلبــت، لكنــه يعلــم أن رقمها محفور في قلبه قبل عقله.

وقفــت عنــد البــاب والتفتــت إليــه لــتهمس بخجل:

-خلي بالك من نفسك.

شــعرت بالنــدم فــوراً بعــد أن غــادرت المكان، تحدثت مع نفسها:

"حمقــاء! كيــف تجــرأتِ علــى تجــاوز حــدودكِ معــه؟ مــا شــأنكِ أن يعتنــي بنفســه أم لا؟ فليذهب للجحيم!"

ردت على نفسها:

"بــل شــأني. إن لــم يكــن شــأني، فشــأن من؟"

داهمها صوت داخلي:

"ستقبلين بشخص سيء مثله؟ ربما يكذب عليكِ. من اعتاد اللهث خلف النساء لا يستقيم أبداً."

لكنها أجابت بثقة:

"بل فعلها لأجلي. وسأنتظره حتى يفنى عمري."

عاد الصوت الداخلي ليحذرها:

"ستندمين."

فردت بتحدٍ:

"لن يحدث. أنا أثق به."

تركت المكان، وفي ذهنها تساؤلات لا تنتهي: "ماذا سيفعل هذا الدنجوان في الأيام المقبلة؟"

جلس "فارس" بحرج بجوار أخيه "مارس"، ينتظران عودة "كريم" الذي

ذهب ليُحضِر القهوة. في محاولة لكسر الصمت، نظر "مارس" إلى أخيه وسأله بهدوء:

-مالك؟

أجاب "فارس" بتوتر: أنا مش عارف إحنا هنا بنعمل إيه!

رد "مارس" بنبرة ساخرة: يعني هنكون هنعمل إيه؟!

عاد "كريم" يحمل صينية القهوة، يبتسم بودّ وهو يقدم الفناجين لهم:

-اتفضلوا.

تناول "فارس" و"مارس" القهوة منه وشكراه، ثم جلس "كريم" على المقعد المقابل لهم. قال "فارس" بحرج:

-إحنا جينا نطمن على الآنسة ديالا... هي بخير؟

رد "كريم" بحزن ظاهر:

-الحمد لله، وإن شاء الله هتكون بخير. أنا كنت طالع أشوف الدكتور مصطفى صاحبي يجي يشوفها.

تساءل "فارس" بقلق: دكتور إيه؟

أجاب "كريم": دكتور نفسي، لأنها مش راضية تتكلم مع حد، بتصحى تعيط وتنام.

تدخل "مارس" في الحديث قائلاً بجدية:

-معتقدش إنها ممكن تتكلم مع دكتور، لأن بعد اللي حصل هيكون عندها خوف من أي راجل غريب. الأفضل تكون دكتورة.

فكر "كريم" للحظة، ثم قال: معاك حق، هشوف دكتورة في أقرب وقت.

اقترح "مارس" بحماس: مفيش داعي تشوف حد. بنت خالتي دكتورة نفسية شاطرة وعندها عيادة خاصة، ممكن أكلمها. وحضرتك ممكن تسأل عنها لو مش واثق في كلامي.

ابتسم "كريم" وقال بارتياح: تمام، مفيش مشكلة. كلمها وشوف ممكن تيجي إمتى. هي اسمها إيه؟

رد "مارس": تقى علي.

قال "كريم" بتذكر: تقريباً سمعت اسمها قبل كده. بجد شكراً ليك على كل اللي بتعمله.

رد "مـــارس" بتواضـــع: العفـــو، مفـــيش داعـــي للشـــكر. هكلمهـــا وأبلغـــك. بـــس أنـــا كنت عايز أطلب من حضرتك طلب.

قـــال "كـــريم" بجديـــة: اتفضـــل، اطلـــب اللـــي أنت عايزه، ولو أقدر أعمله مش هتأخر.

تحـــدث "مـــارس" بثقـــة: أنـــا اســـمي مـــارس ياســـر، ٢١ ســـنة، فـــي كليـــة آداب الفرقـــة الثانيـــة، شـــغال جرســـون فـــي مطعـــم... الحمـــد لله، ســـمعتي زي الـــدهب مفـــيش فيهـــا غلطـــة. حيـــاتي عبـــارة عـــن دراســـة وشـــغل، وممكـــن تســـأل عليـــا وتعـــرف إنّـــي مكدبتش في حرف.

نظـــر "فـــارس" إلـــى أخيـــه بدهشـــة وهـــو لا يفهـــم مـــا يقولـــه، ليبتســـم لـــه "مـــارس" مطمئنـــاً بعينيـــه أن كـــل شـــيء علـــى مـــا يـــرام.

بعد لحظات من الصمت، قال "كريم" متسائلاً:

-الحقيقة برضو مفهمتش... أنت عايز إيه؟

أجاب "مارس" بثبات: أنا بطلب إيد الآنسة ديالا من حضرتك. وطلبي ده مش بدافع الشفقة، عشان خاطر متفهمنيش غلط. أنا شفتها قبل الحادثة هي وصاحبتها في المطعم اللي بشتغل فيه، وأعجبت بيها. ولو حضرتك وافقت مبدئيًا، هجيب بابا وماما ونجي نطلبها رسمي.

قال "كريم" بعد لحظات من التفكير: بس أنت مش شايف إن الوقت مش مناسب للكلام ده؟ وكمان أنت لسه صغير.

رد "مـــارس" بإصـــرار: بـــالعكس، الوقـــت مناســـب جـــداً. أنـــا عـــايز أكـــون جنبهـــا. وكمـــان ٢١ ســـنة مـــش صـــغير، وبرضـــو مـــش هتجوزهـــا النهـــارده. إحنـــا بـــس نكتـــب الكتـــاب، وبعـــدين أســـتنى أظـــبط أمـــوري ونتجوز يعني مش أقل من سنتين.

ابتســـم "كـــريم" وقـــال: مـــش عـــارف أقولـــك إيـــه، بـــس حقيقـــي فخـــور إن فـــي شـــباب بتفكـــر زيـــك. صـــدقني، أنـــا مقـــدر زعلـــك علـــى أختـــي وإنـــك عـــايز تســـاعدها، بـــس الجـــواز مـــش بيجـــي بالطريقـــة المندفعـــة دي. ويمكـــن لـــو عملـــت كـــده تنـــدم بعـــدين. لـــذلك فكر قبل ما تاخد قرار مصيري زي ده.

رد "مـــارس" بجديـــة: أنـــا فكـــرت كـــويس، وعمـــري مـــا كنـــت منـــدفع لحاجـــة، وواثـــق إني مش هندم.

ســـأله "كـــريم" متعجبـــاً: فكـــرت إمتـــى؟! الحـــادث حصـــل مـــن يـــوم وكـــام ســـاعة، لحقت تفكر؟

أجـــاب "مـــارس" بثقـــة: أيـــوة فكـــرت، وعـــارف أنـــا بقـــول إيـــه. ومـــن فضـــلك، خـــد كلامـــي علـــى محمـــل الجـــد وهنتظـــر ردك عشان أجي أنا وأهلي.

قـــال "كـــريم" بواقعيـــة: بـــص، بابـــا هيجـــي بعـــد يـــومين. هحكيلـــه موقفـــك وهـــو اللـــي يفكـــر. وفـــي النهايـــة، الـــرأي الأول والأخيـــر رأي ديـــالا، ومســـتحيل بابـــا يفاتحهـــا فـــي

موضـــوع زي ده دلـــوقتي. وأنـــت ممكـــن تفكر في الفترة دي وتراجع قرارك.

أجـــاب "مـــارس" بهـــدوء: تمـــام، هنتظـــر اليـــومين، وهتصـــل بيـــك أفكـــرك بالموضوع. لأني عارف قراري.

نظـــر "كـــريم" إلـــى "فـــارس" وســـأله: ليـــه معترضتش على كلام أخوك؟

رد "فـــارس" بثقـــة: لأنـــي معنـــديش اعتـــراض. هـــو اللـــي هيتجـــوز، وطالمـــا اختـــار وهيكـــون مبســـوط يبقـــى أنـــا تمـــام. وربنـــا يتمملـــه علـــى خيـــر. وصـــدقني مـــش هتنـــدم لـــو وافقـــت. أخويـــا راجـــل وهيحـــافظ علـــى أختـــك بحياتـــه. وكمـــان أخويـــا مـــش متســـرع، أكيـــد فكـــر كـــويس. وبابـــا اتجـــوز

فـــي نفـــس عمـــر مـــارس يعنـــي مـــش صـــغير.

وبتمنى بجد إنك توافق.

صـــمت "كـــريم" للحظـــات ثـــم قـــال بابتســـامة صغيرة:

-هنشوف الأيام الجاية.

وقـــف "مـــارس" وقـــال: هنســـتاذن، وإن شاء الله متكونش آخر زيارة.

صافحه "كريم" قائلاً: إن شاء الله.

قـــال "فـــارس" وهـــو يهـــم بالمغـــادرة: الســـلام علـــيكم ورحمـــة الله وبركاتـــه.

خليك، متتعبش نفسك وتطلع.

رد "كـــريم": مفـــيش تعـــب ولا حاجـــة، أنـــا كنت خارج.

سأله "مارس": رايح فين؟

أجاب "كريم" باستغراب: المستشفى

قال "مارس": طيب، اتفضل معنا نوصلّك، كده كده في طريقنا.

رد "كريم" برفض: شكراً، مفيش داعي.

تحدث "فارس" بمرح طفيف:

-مفيهاش حاجة. ده طريقنا، وأنت هتقعد في العربية مش فوق راسنا.

بعد إصرار من "مارس" و"فارس"، صعد "كريم" إلى السيارة وجلس في المقعد الخلفي. جلس "مارس" بجوار "فارس" الذي كان يقود، وانطلقت السيارة في طريقها...

***

في المشفى، كان "إبراهيم" يتابع حالة طفلة صغيرة تدعى "مريم". جلس بجانبها بابتسامة حانية وهو يقول:

-شطورة يا مريوم.

ابتسمت الطفلة ببراءة وسألته بتلهف:

-يعني كده مش هاخد حقنة تاني، صح؟

أجابها مطمئنًا: صح الصح يا مريوم. ومش بس كده، أنتِ كمان بكرة هترجعي البيت وتلعبي مع أصحابك برحتك.

قالت بسعادة ولهفة: بجد يعني؟ هلعب مع ملك برحتي؟

هز "إبراهيم" رأسه مبتسمًا، لكن ملامحها سرعان ما تغيرت للحزن وهي تقول:

-وكده مش هشوفك تاني؟ أنت هتوحشني أوي.

ربت على يدها بحنان وقال:

-وأنتِ كمان يا مريوم، بس لازم ترجعي عشان أكيد ملك وحشتك. وكمان ممكن ترني عليّا من عند بابا في أي وقت. مش إحنا أصحاب؟ والأصحاب مش بيسيبوا بعض أبدًا حتى لو كل واحد في مكان.

نهضت الطفلة من على الفراش واقتربت لتعانقه بحب طفولي، وهو يبادلها العناق بحنان. همست له:

-أنا بحبك أوي يا صاحبي.

أبعدها قليلاً عنه وابتسم قائلاً: وأنا كمان بحبك يا صحبتي.

قطع حديثهم صوت إحدى الممرضات التي دخلت الغرفة قائلة:

-في واحدة منتظرة حضرتك في المكتب يا دكتور.

نظر "إبراهيم" إلى "مريم" وقال مبتسمًا:

-سلام يا مريوم. هشوفك بكرة قبل ما تمشي.

في المكتب...

دخل "إبراهيم" مكتبه وهو يقول دون أن ينظر لمن تجلس بانتظاره:

- أنا بدأت أحب المستشفى من ساعة ما بقيت أشوفك فيها.

رفعت "جيهان" نظرها إليه مبتسمة بخجل، لكنها سرعان ما بدلت تعبيرها إلى المرح وهي تقول:

-نـــوره عرفـــت كـــل حاجـــة وطلبـــت الطـــلاق من أشرف.

جلـــس علـــى مقعـــده وقـــال بدهشـــة: وأنـــتِ فرحانـــة كـــده ليـــه؟! مـــش المفـــروض تكـــوني زعلانة؟

ضحكت "جيهان" بمرح وهي تجيب:

-أصـــل كنـــت متوقعـــة ده مـــن نـــوره، ومخيبتش ظني.

قـــال "إبـــراهيم" مســـتنكرًا: يعنـــي لـــو خيبـــت ظنك كنتِ زعلتي؟

أجابت بثقة: طبعًا، دي فيها كلام؟

سألها باستغراب: مين قالك إنها عرفت؟

ردت: أشـــرف اتصـــل بـــيّ، وأنـــا اتصـــلت بعمته وقلتلها. وجيت أقولك.

ظهـــرت عليـــه ملامـــح الانزعـــاج والغيـــرة وهو يقول:

-طيـــب، طالمـــا كـــده الموضـــوع خلـــص، بلاش كل شوية تقابلي أشرف وتكلميه.

سألته بحدة: ليه؟

رد بحزم: أنتِ عارفة ليه.

قالـــت باســـتنكار: يعنـــي أنـــت معنـــدكش ثقـــة فيا؟

أجابهـــا بنبـــرة هادئـــة: أنـــا عنـــدي ثقـــة فيـــكِ أكبـــر مـــن ثقتـــي فـــي نفســـي. بـــس خـــلاص، الموضوع خلص، هتكلميه تاني ليه؟

نظـرت بعيـدًا عنـه وقالـت: أنـت لـو قلـت مـن البدايـــة متـــدخليش فـــي الموضـــوع، مكنـــتش كلمته. وأنا كده كده مكنتش هكلمه تاني.

ابتسم لها وقال بلطف: كملي. وبعد ما نوره عرفت، هيحصل إيه؟

أجابت: أشرف هيقنعها أكيد. نوره عايزة، بس هتعاند شوية، مش أكتر.

هز رأسه وقال: تمام.

ثم سألت فجأة: هو أشرف ابن خالتك، صح؟

أجابها مستغربًا: أيوة، ليه؟

قالت: مفيش. بس استغربت من كلامك.

ابتسم قائلاً: إنه يكون ابن خالتي حاجة، وأنتِ حاجة تانية.

ابتسمت ولم ترد، فنظر إليها بحنان وسأل:

-المهم، أنتِ عاملة إيه؟

قالت بهدوء: أنا بخير الحمد لله. وبابا اتصل وقال إنه عايزني في حاجة مهمة، بس مش عارفة إيه.

رد مطمئنًا: خير إن شاء الله، وابقي طمنيني.

وقفت "جيهان" لتغادر وقالت: تمام. همشي أنا، ولو في حاجة هبقى أقولك.

وقف هو الآخر وقال بابتسامة دافئة: خلي بالك من نفسك. سلام.

ردت بابتسامة صغيرة: سلام.

***

في منزل "نور"

كـــان الجـــو مشـــحونًا بالغضـــب والتـــوتر، و"نـــور" تصـــرخ بجنـــون علـــى جميـــع أفـــراد الأسرة:

-تجـوزوني مـن غيـر مـا أعـرف؟ طـب ليـه؟ لدرجة دي أنا تقيلة عليكم؟

حاولـــت "فـــايزة" تهـــدئتها قائلـــة بصـــوت خافت:

-نور، اهدي وهنفهمك اللي حصل.

لكن "نور" لم تهدأ وزادت حدة صوتها:

-تفهمينـــي إيـــه؟! إنكـــم تعبـــتم منـــي فبعتـــوني لأول واحد خبط عليكم؟!

قاطعها "المهدي" بغضب: نور!

صـــرخت "نـــور" بغضـــب مماثـــل: نـــور إيـــه وزفـــت إيـــه! الله ياخـــد نـــور عشـــان ترتـــاحوا مني!

تـــدخلت "ريهـــام" بحـــدة ولكـــن بصـــوت أقـــل حدة من "نور":

-مـــا خـــلاص يـــا نـــور! اســـمعي اللـــي حصـــل وبعدين اتكلمي.

ردت "نور" بعصبية واضحة:

-مـــش عـــايزة أســـمع حاجـــة مـــن حـــد! وهطلـــق منـــه غصـــب عنـــه، وإلا هرفـــع عليه قضية.

قـــال "المهـــدي" بحـــزم: مـــش هتطلقـــي يـــا نور.

ردت "نـــور" متحديـــة: هطلـــق يـــا بابـــا، ولـــو مخلتهـــوش يطلقنـــي زي مـــا اتجـــوزني يبقـــى استحملوا اللي هيحصل.

حملت "نور" حقيبتها بعصبية وهي تهم بالمغادرة، وعندما سمعت صوت والدتها تسألها:

-رايحة فين دلوقتي؟

استدارت "نور" ونظرت إليها بنبرة تحمل الألم والغضب معًا:

-رايحة عند 'بسملة'. طالما وجودي مضايقكم أوي كده، هشوف مكان أعيش فيه.

ثم استدارت وغادرت المنزل دون أن تنتظر ردًا من أحد. أما أفراد العائلة، فوقفوا صامتين، يعلمون أن ما تمر به "نور" صعب عليها للغاية ولا يمكن تهدئتها بسهولة.

بعد مغادرتها، أمسك "المهدي" هاتفه واتصل بـ"أشرف"، وأخبره بما حدث.

حاول "أشرف" تهدئته قائلًا بثقة: ما تقلقش، كل حاجة هتكون تمام بكرة.

النهارده سيبها تهدى وتفكر بعقل.

وأنهى المكالمة وهو يخطط لكيفية التعامل مع "نور" في اليوم التالي.

***

في منزل "جيهان"...

كانت "جيهان" تجلس برفقة والدها وزوجته، تنصت لما يقولانه لكنها لم تستطع فهم السياق. تجرأت على السؤال بصوت يحمل الحيرة:

-بابا، أنا مالي بصلة الرحم وترابط الأسر؟ فيه إيه؟ لأني مش فاهمة.

رد والـــدها "عثمـــان" بنبـــرة جـــادة: عمـــك كان هنا من شوية.

نظـــرت إليـــه تنتظـــر بقيـــة الحـــديث، وهـــي واثقـــة أن مـــا ســـيقوله لـــن يســـرّها. لـــم يخيّـــب والـــدها ظنهـــا حـــين قـــال بجديّـــة لا تقبـــل النقاش:

- اتفقنـــا علـــى خطوبتـــك مـــن 'محمـــد' بعـــد يومين.

ضـــحكت "جيهـــان" بســـخرية تحـــاول إخفـــاء صدمتها:

-بعـــد يـــومين؟ مـــش كتيـــر... طيـــب، اليـــومين دول أعمـــل فـــيهم إيـــه؟ أجهّـــز الفســـتان ولا أعـــزم صـــحابي؟ تفتكـــر هلحـــق أجهّـــز نفسي؟

نظـــر إليهـــا "عثمـــان" بغضـــب وقـــال: ليـــه، إنتِ هتعملي إيه؟

ردت "جيهـــــان" بحيـــــرة حقيقيـــــة: مـــــش عارفـــــة، بـــــس تقريبًـــــا فيـــــه حاجـــــة أنـــــتم ناسيينها.

تـــدخلت زوجـــة أبيهـــا بنبـــرة حـــادة: حاجـــة إيه؟

قالـــت "جيهـــان" بجـــرأة: رأيـــي، ولا هـــو مش مهم؟

تحـــدث "عثمـــان" بغضـــب يحـــاول إنهـــاء النقاش:

-جيهـــان، بطّلـــي دلـــع! أنـــا خـــلاص اتفقـــت مع عمّك.

ردت "جيهـــــان" بعنـــــاد يحمـــــل بعـــــض التحدي:

-خلاص، اتجوزوا أنتم.

قبل أن تنهي جملتها، كانت صفعة قوية قد هوت على وجهها، ليتبعها سقوط دموعها بصمت وهي تنظر إلى زوجة أبيها التي وقفت أمامها غاضبة. ثم قالت بنبرة قاسية:

-قليلة الأدب! عايزة تصغّري أبوكي قدام عمّك؟

ابتسمت "جيهان" بسخرية تخفي جرحها العميق:

-لأ أزاي... أتجوز واحد مش عايزاه عادي.

ردت زوجة أبيها بحدة أكبر: ومالُه 'محمد'؟ مش كنتِ بتلزقي فيه زي

العلقـــة؟ ولا عشـــان رفضـــك زمـــان عـــايزة ترديها له؟

قالـــت "جيهـــان" بجـــرأة، وكأنهـــا تريـــد أن تنهي هذا الحوار بأي ثمن:

-لا، عشان بحب واحد غيره.

لـــم تمهلهـــا زوجـــة أبيهـــا فرصـــة للتفكيـــر، إذ هـــوت عليهـــا صـــفعة أخـــرى أقـــوى مـــن الأولـــى. تـــدخل "عثمـــان" هـــذه المـــرة بغضب شديد وهو يصرخ:

-اخرســـي، يـــا قليلـــة الأدب! هتتجوزيـــه غصب عنك.

تحـــدثت "جيهـــان" بصـــوت مكســـور يحمـــل استسلامًا وحزنًا:

-حاضـــر... ينفـــع أروح عنـــد 'بســـملة"؟ عشان تعبانة... ومتخفش، مش ههرب.

حاولت زوجة أبيها الإشارة لوالدها بأن يرفض، لكنه نظر إلى ابنته وقال بنبرة أقل حدّة:

-ما تتأخريش.

تركتهم "جيهان" وتوجهت إلى غرفتها بصمت، جذبت حجابها وارتدته بسرعة، ثم غادرت المنزل. كانت خطواتها ثقيلة وحزينة، تحمل معها ألمًا عميقًا وخيبة أمل.

هل يمكن أن يتحول مصدر الأمان إلى خوف وقلق ورهبة؟

***

كانت "دعاء" تسير في الممر المؤدي إلى مكتب "فارس" بابتسامة دافئة تخطف العقول. أرادت أن تفاجئه؛ فقد

أخبرته أنها عائدة للمنزل، لكنها جاءت لتراه لأنها حقًا اشتاقت إليه، رغم أنها كانت معه منذ ساعات قليلة.

وصلت أخيرًا إلى باب المكتب وفتحته دون أن تطرق، لتُصعق بالمشهد الذي أمامها: "فارس" يعانق فتاة بحنان ويقبل جبينها.

انفلتت منها شهقة عالية جذبت انتباهه.

ابتعد "فارس" عن الفتاة بسرعة وتقدم نحو "دعاء"، لكنها صرخت بصوت مكسور:

-أوعى تِقرب!

تحدث "فارس" محاولًا تهدئتها: دعاء، اهدي وأنا هفهمك... أنتِ فاهمة غلط.

صـــرخت "دعـــاء"، ودموعهـــا تســـاقطت كأمطار ديسمبر:

-غلط؟ بتحضنها وتقولي غلط؟!

حـــاول "فـــارس" الاقتـــراب منهـــا بخطـــوات حذرة وقال:

-دعاء، اسمعيني الأول، عشان خاطري.

ردت بصـــوت يخـــتلط بالبكـــاء: اســـمعك؟! أنـــا مش عايزة أعرفك تاني!

اســـتدارت وركضـــت إلـــى الخـــارج، تحمـــل فـــي قلبهـــا وجعًـــا عميقًـــا علـــى مـــا اعتبرتـــه نهاية زواجها.

"تساؤلات"

إذا رفـــض "أشـــرف" إطـــلاق ســـراح "نور"، ماذا ستكون خطوتها القادمة؟

كيف سيرد "أشرف" إذا قامت "نور" برفع قضية ضده؟

بعد مغادرة "تامر" للبلد، كيف ستواجه "بسملة" هذا الفراغ؟

ماذا ستفعل "روبين" إذا علمت أن "مارس" يريد الارتباط بفتاة تعرضت لحادث بشع؟

هل "مارس" مستعد لخوض معركة ضد والدته من أجل من يحب؟

الثقة بين "فارس" و"دعاء" أصبحت ضعيفة، فهل ستستمر علاقتهم المقدسة أم ستنتهي إلى الأبد؟

هل انتهت العلاقة بين "نور" و"جيهان"، أم أن القدر يخبئ لهما مفاجأة؟

مـــا الخطـــوة القادمـــة التـــي ســـيقوم بهـــا "إبراهيم" ليجعل "جيهان" من نصيبه؟

****

الفصل العشرون

"والـــدار ليســـت بالبنـــاء جميلـــة إن الـــديارَ جميلةٌ بذويها."

***

وقـــف ينظـــر إلـــى رحيلهـــا بحـــزن؛ فهـــو لا يريـــدها حزينـــة، ولكـــن الأكثـــر إيلامًـــا أنـــه يـــدرك أنهـــا لا تثـــق بـــه. لـــذا تركهـــا تمضـــي، علـــى أمـــل أن يصـــل تفكيرهـــا العقـــيم إلـــى بـــر الأمـــان. اســـتفاق مـــن دوامـــة أفكـــاره علـــى صـــوت الفتـــاة التـــي كانـــت تعانقـــه وهـــي تسأله بمرح:

-هي دي دعاء؟! حلوة على فكرة.

اســـتدار نحوهـــا، والغضـــب يتطـــاير مـــن عينيه، وقال بحدة:

-يعنـــي عاجبـــك كـــدا؟ مـــش قـــادرة تســـتني لمـــا أرجع البيت؟

اقتربت منه بدلال قائلة: بحبك يا أبو الفوارس الله!

قال لها بضيق: وأنا بحبك، بس عاجبك كدا؟ اهي زعلت، أعمل إيه أنا دلوقتي؟

ردت عليه بابتسامة هادئة: حقها يا فارس، يعني لو أنا مكانها كنت ولعت فيك وفيها.

قال لها بحزن: بس كان لازم يكون عندها ثقة فيَّ.

هزت رأسها وقالت: في حاجات ملهاش علاقة بالثقة، دي شافت جوزها بيحضن واحدة تانية. حط نفسك مكانها وقولي، لو شفتها كدا هتعمل إيه؟

صمت "فارس" ونفخ بضيق، فلم يجد ما يرد به. فقالت هي:

-شـــوفت؟ مجـــرد تخيـــل مقـــدرتش، وبعـــدين دي شـــكلها طيبـــة. والله لـــو مكانهـــا كنـــت ولعـــت فـــي المكتـــب بـــاللي فيـــه مـــش أعـــيط وأجري.

نظـــر لهـــا مســـتنكرًا وقـــال: هـــو كـــل البنـــات بلطجية زيك؟

وضـــعت يـــدها علـــى قلبهـــا مدعيـــة الحـــزن وقالت:

-كـــدا غلـــط يـــا دوك، أنـــت بتجـــرح مشـــاعري كأنثى لطيفة بريئة.

رفعـــت حاجبيهـــا ببـــراءة مصـــطنعة وحركـــت جفونها قليلاً. فحدّق بها بحنق وقال:

-أنـــتِ شـــكلك أنثـــى، لكـــن لمـــا تتكلمـــي بحســـك عبـــده موتـــه. وبعـــدين مـــن إمتـــى وانـــتِ ليـــكِ علاقة باللطافة والبراءة؟

تحدثت بضيق وهي تضع يديها على خصرها:

-كدا يا فارس؟ أنا غلطانة أني جيت من المطار عليك. أنا هروح لـ (تونزي)، أكيد قلقان عليَّ أني اتأخرت.

رفع حاجبيه مستنكرًا وقال:

-هو عارف إنك جاية؟

ابتسمت وقالت بثقة: طبعًا ده كلام، دا الحب كله.

جذبها "فارس" من قبعة ثيابها الرجالية نحو باب المكتب وهو يقول بتهكم:

-منوش، امشي من هنا عشان مش ناقص وجع رأس. الحمد لله أنك متعرفيش الكارثة التانية (يقصد نور). كنت سبتلكم البلد باللي فيها.

تحـــدثت "منـــار" بحمـــاس وقالـــت: مـــين دي؟ أوعـــى تقـــول صـــاحبة دعـــاء اللـــي ماما حكتلي عنها!

تركها "فارس" وهو يقول بضيق:

-هي ياختي... ويلا سلام!

ردت "منـــوش" بمـــرح: اشـــطا! هتعرفنـــي عليها.

نظر إليها بجدية وقال بحزم: بتحلمي.

ردت بابتســـامة خبيثـــة: هـــروح أخلـــي مارس يعرفني عليها.

قـــال "فـــارس" بحـــزم: منـــار، انســـي أن يكون ليكِ علاقة بالكارثة دي.

نظـــرت إليـــه بدهشـــة وقالـــت: إيـــه ده؟ أنـــت متعصـــب لدرجـــة أنـــك قلـــت منـــار؟ خـــلاص يـــا

عـــم همشـــي واشـــوفك بعـــدين. دي مقابلـــة تقابلني بيها بعد كل ده؟!

اقتـــرب منهـــا "فـــارس" وعانقهـــا قـــائلًا بهدوء:

- متـــزعليش يـــا منـــوش، والله مضـــايق بسبب دعاء.

ابتســـمت وربتـــت علـــى كتفـــه وقالـــت مطمئنة:

-ولا يهمـــك يـــا حـــب، كلمـــة منـــك تراضـــيها ولا تزعل نفسك.

ابتســـم لهـــا، فقالـــت بمـــرح وهـــي تهـــم بالمغادرة:

-سلام يا حب!

***

في منزل "بسملة"...

كانت تجلس في غرفتها على الفراش منذ عادت من الجامعة، تبكي بانهيار تام. لم تكن تعلم السبب الحقيقي لبكائها، لكنها شعرت وكأن جزءًا كبيرًا من قلبها قد رحل عندما غادرته...

ولجت والدتها "حورية" إلى الغرفة، لتجدها في حالة يُرثى لها. هرعت إليها بلهفة وسألتها بقلق: حبيبتي مالك؟ فيه إيه؟

انفجرت "بسملة" في البكاء بصوت مرتفع، فاحتضنتها والدتها بحنان وربتت على ظهرها قائلة:

-خلاص يا حبيبتي، اهدي عشان خاطري.

ردت "بسملة" وسط بكائها: أنا تعبانة أوي يا ماما... قلبي واجعني أوي، حاسه إني روحي هتطلع.

قالت "حورية" بحزن وهي تواسيها: بعد الشر عليكِ يا حبيبتي... إيه اللي واجع قلبك؟ قوليلي.

ردت "بسملة" بوجع، والدموع تملأ وجهها:

-مش عارفة، المشكلة إني مش عارفة... حاسة أن قلبي مكسور وخايفة... خايفة حلمي ميتحققش.

تحدثت "حورية" بحنان وهي ما تزال تربت على ظهرها لعلها تهدئها:

-متخفيش يا حبيبتي، كل شيء وله حل... بس قوليلي، حلم إيه اللي مخليكي منهارة كدا؟

ابتعدت "بسملة" عن والدتها فجأة بعدما تداركت نفسها، وكادت أن تعترف لها بالحقيقة. مسحت دموعها بسرعة وقالت بتوتر:

-الامتحانات قربت، وأنا خايفة حلمي ميتحققش. أنا بقالي سنين بتعب عشان يتحقق، وخلاص فاضل أقل من شهر على الامتحانات ومش عارفة أعمل إيه.

نظرت "حورية" إليها بتفحص، فقد علمت أن ابنتها تكذب. هي كتاب مفتوح بالنسبة لها، والنسخة المصغرة منها كما يطلق عليها والدها دائمًا. أما

"بسملة"، فكانت تعلم أن والدتها كشفت كذبها، لذا حاولت أن ترسم ابتسامة مطمئنة وقالت:

-متفكريش يا ماما، مفيش حاجة. أنا بس خايفة شوية.

وقبل أن تتمكن "حورية" من الرد، فتح باب الغرفة على مصراعيه فجأة. استدارت الأم لترى من القادم، وكذلك فعلت "بسملة" التي أغمضت عينيها بضيق حين رأت "نور"، الثرثارة التي لن تهدأ حتى تعرف ما يجري.

صدح صوت "نور" بمرح وهي تقول:

-مرحبًا يا بشر!

دخلت الغرفة وجلست بجوار "بسملة" على الفراش، ثم التفتت إلى "حورية" قائلة بمشاكسة:

-عاملة إيه يا حوريتي؟

ابتسمت "حورية" على مشاكسة "نور" وردت:

-الحمد لله بخير يا نور... حاصل معكم حاجة ولا إيه؟

نظرت "نور" لها بعدم فهم: حاجة إيه؟

ثم التفتت إلى "بسملة"، التي ما زالت ملامح الحزن تسيطر على وجهها، وسألتها بعينيها:

-"ماذا هناك؟"

ردت "بسملة" بإشارة خفيفة أنها ستخبرها لاحقًا.

قالت "نور" وهي تعود بنظرها إلى "حورية":

-مفيش حاجة يا خالتو، متشغليش بالك... دي بتدلع.

ابتسمت "حورية" وهي تدرك أن ابنتها لا تريد الحديث أمامها. رأت الإشارة التي وجهتها لـ"نور"، فقررت أن تغادر الغرفة وتتركهما على راحتهما.

ما إن غادرت، سألت "نور" بفضول:

فيه إيه؟ مالك؟

ردت "بسملة" بتردد:

-مفيش، مضايقة شوية.

سألتها "نور" بإلحاح: من إيه يا عسل؟

وقبل أن تجيب، دخلت "دعاء" إلى الغرفة بهدوء وحزن، أغلقت الباب

خلفها برفق، وصعدت إلى الفراش لتتمدد بجوار "بسملة" دون أن تنطق بكلمة واحدة.

نادت "بسملة" اسمها باستغراب: دعاء؟

لكن "دعاء" لم ترد. تدخلت "نور" بسخرية قائلة:

- الصديقة المخلصة كاتمة الأسرار، مالك؟

ردت "دعاء" بضيق وحزن: نور، مش وقتك خالص، سبيني في حالي.

سألتها "بسملة" باهتمام: فيه إيه؟ أنا سيباكي كويسة... اتخانقتي مع فارس ولا إيه؟

وقبل أن تجيب "دعاء"، فتح الباب بعنف، ودخلت "جيهان" وهي تغلقه خلفها بعصبية.

قالت "بسملة" بضيق: براحه ياختي على الباب، مش قدك هو!

ثم أكملت بتذمر: حاسه إن أوضتي محطة مصر... كل شوية حد يدخل من غير ما يخبط!

اعتدلت "نور" في جلستها وقالت بسخرية:

-نورتي يا أستاذة جيهان!

تقدمت "جيهان" نحو الفراش وجلست بجوار "دعاء"، وقالت بحزن:

-نوره، سبيني في حالي... الله لا يسيئك، عشان مش ناقصة.

ردت "نـــور" بســـخرية: مالـــك يـــاختي؟ إيـــه... فـــي حـــد جديـــد ومحتـــارة تختـــاري مين؟

ردت "جيهـــان" بعصـــبية: ســـيبك مـــن الكـــلام الفاضـــي اللـــي بتقوليـــه... مـــش وقتـــه، ثـــم إن خـــلاص الحـــوار خلـــص، ودول بســـملة ودعـــاء يعنـــي مـــش هنحـــور عليهم.

سألتها "بسملة" باستغراب:

-يعنـــي إيـــه بســـملة ودعـــاء؟ مـــش فاهمـــة... وحوار إيه ده؟

تـــدخلت "نـــور" قائلـــة: خـــلاص، خـــلاص، هقولـــك بعـــدين... المهـــم، حاصـــل إيـــه معكـــم؟ كلكم كدا شكلكم ميطمنش.

قالـــــت "جيهـــــان" وهـــــي تنظـــــر إلـــــى "بسملة":

-عملتـــي إيـــه يـــا بســـملة فـــي مقابلتـــك مـــع تامر؟

***

في منزل "إبراهيم"...

جلـــس "إبـــراهيم" أخيـــرًا برفقـــة "أشـــرف" ليتحـــدثا بحريـــة بعيـــدًا عـــن والدتـــه التـــي لـــم تعلـــم بعـــد أن ابنهـــا قـــد تـــزوج. بـــدأ "أشرف" الحديث بضيق وهو يقول:

-دلـــوقتي مـــش عـــارف أعمـــل إيـــه؟ وأصالحها إزاي؟

رد عليه "إبراهيم" بابتسامة مستفزة:

-قولتلـــك مـــتعملش كـــده، بـــس أنـــت عنيـــد ومبتسمعش لحد... فتستاهل.

نظـــر لـــه "أشـــرف" بغضـــب وقـــال: يـــا إبـــراهيم، مـــش ناقصـــك. يـــا تقـــول حاجـــة مفيدة، يا تسكت خالص!

رد "إبراهيم" بهدوء: خلاص، اهدى.

رد عليـــه "أشـــرف" بعصـــبية: هـــو أنـــت فاكر كل الناس باردة زيك؟

ابتســـم "إبـــراهيم" باتســـاع وهـــو يســـتمتع بإثارة غضب ابن خالته أكثر:

-وأنت فاكر كل الناس زيك...

صـــمت للحظـــة قبـــل أن يكمـــل: مغـــرور وعنيـــد، ولـــو كنـــت ســـمعت كلامـــي مـــن الأول، مكنش ده كله حصل.

تنفس "أشرف" بعمق ليهدأ، ثم قال:

-متوقعتش رد فعلها.

رد "إبـــراهيم" بجديـــة: اللـــي فهمتـــه مـــن جيهـــان أنهـــا مـــش رافضـــة شخصـــك، هـــي بس رافضة فكرة إنكم ضحكتم عليها.

سأله "أشرف" بقلق: يعني...

قاطعه "إبراهيم" ليكمل:

-يعنـــي، الصـــبح تـــروح تشـــوفها، وتاخـــدها فـــي مكـــان مفيهـــوش نـــاس كتيـــر عشـــان تقـــدروا تتكلمـــوا بـــراحتكم. لازم تتحمـــل رد فعلهـــا، لأنهـــا حقهـــا تزعـــل. بـــس أكيـــد أنـــت هتعرف تصالحها بطريقتك.

قـــال جملتـــه الأخيـــرة وهـــو يغمـــز لـــه بخبـــث، ممـــا جعـــل "أشـــرف" يضـــحك بيـــأس قبـــل أن يسأل بعد برهة:

-طيب... وأنت؟ هتعمل إيه؟

رد "إبراهيم" بعدم فهم: في إيه؟

نظـــر لـــه "أشـــرف" باســـتفهام: أنـــت متعرفش اللي حصل؟

تغيرت ملامح "إبراهيم" وسأل بضيق:

-حصل إيه؟

تـوتر "أشـرف" وهـو يقـول: لمـا كنـت فـي بيـت نـور، سـمعت أمهـا وهـي بتـتكلم عـن خطوبـة جيهـان بعـد يـومين علـى ابـن عمها.

بـدت الصـدمة واضـحة علـى وجـه "إبراهيم" وهو يرد بعدم تصديق:

-ده بجد؟

أشـار لـه "أشـرف" برأسـه وقـال: افتكـرت إن جيهان قالتلك.

تـذكر "إبـراهيم" أن "جيهـان" أخبرتـه أن والدها يريدها لأمر هام. لكنه تساءل:

-"لماذا لم تتصل به لتخبره بما علمت؟ ربما هي حزينة الآن... بل هو يكاد يجزم أنها تضحك بمرح الآن، وتخفي حروبًا تشتعل داخلها!"

خرج من أفكاره عندما لاحظ نظرات "أشرف" المتابعة له باهتمام، ليقول دون تفكير:

-أشرف، إيه رأيك تحبسه ونرتاح منه؟

رد "أشرف" بعدم فهم: مين ده؟

قال "إبراهيم" بجدية ظاهرة: ابن عمها. احبسه لحد ما نتجوز وطلعه بعدين.

ضحك "أشرف" من الجدية التي يتحدث بها "إبراهيم"، ورد بسخرية:

-هـــي جيهـــان لحقـــت تـــأثر عليـــك للدرجـــة دي؟ أصـــل الحـــبس ده بيـــت أبويـــا؟ احـــبس اللي يعجبك!

رد "إبـــراهيم" بنبـــرة دفاعيـــة: أولًا، ملقـــش دعـــوة بيهـــا. وثانيًـــا، ممكـــن تتهمـــه بســـرقة أو جريمـــة قتـــل مـــش معـــروف مـــين القاتـــل. واهو يمكن تترقى بسببي!

ضـــحك "أشـــرف" غيـــر مصـــدق للأفكـــار التي يطلقها "إبراهيم"، وقال مازحًا:

-مـــن إمتـــى وأنـــت أنـــاني؟ بتفكـــر تـــؤذي حـــد لمصلحتك الشخصية؟

رد "إبـــراهيم" بضـــيق: أنـــا مســـتحيل أؤذي حـــد! هـــو شـــخص بـــارد، يعنـــي واحـــدة مـــش عاوزة تتجوزه بالعافية.

قال "أشرف" بتردد: بس أنا عرفت إنهم كانوا بـ...

قاطعه "إبراهيم" بسرعة: كان... وده ماضي. المهم دلوقتي...

سأله "أشرف": إيه؟

أجابه "إبراهيم" بنبرة ساخرة: هتحبسه.

رد "أشرف" ضاحكًا: فكر بجدية، وسيبك من الكلام ده. ونصيحة مني، متتكلمش كتير مع جيهان، عشان هتضيع كل سنين تعبك بأفكارها دي وهتخليك زيها!

رد "إبراهيم" بتهكم: ونفس النصيحة هقولها لك... متتكلمش مع نورهان تاني، لأنها مجنونة أكتر من جيهان!

خطـــرت فكـــرة علـــى بـــال "أشـــرف"، فابتســـم وقال بحماس:

-جاتني فكرة هتساعدك وتساعدني!

رد "إبراهيم" بلهفة: فكرة إيه؟

قال "أشرف" بابتسامة ماكرة: هقولك...

في غرفة "بسملة"

كانـــت الغرفـــة هادئـــة، والجميـــع مســـتلقٍ علـــى الفـــراش بجانـــب بعضـــهم الـــبعض، يتشـــاركون لحظـــات مـــن الحـــزن والقلـــق. تنهـــدت "بســـملة" بشـــدة لتكســـر الصـــمت قائلة:

-هيسافر.

ردت "نـــور" بـــتهكم وهـــي تقلـــب عينيهـــا: في داهية بتاع البنات ده!

قاطعتهـــا "دعـــاء" بنبـــرة تحـــذير: نـــور، كفاية بقى!

أخـــذت "نـــور" شـــهيقًا طـــويلًا قبـــل أن تصمت، بينما أكملت "بسملة" بحزن:

-طلب مني أوعده أني أستناه لما يرجع.

نظرت "دعاء" إليها باستغراب وسألت:

-وبعدين؟

هـــزّت "بســـملة" رأســـها وهـــي تتـــابع بصوت منكسر:

-ماقـــدرتش أوعـــده... بـــس أنـــا زعلانـــة أوي ومـــش عارفـــة ليـــه؟ أو يمكـــن عارفـــة... أنـــا مش عايزاه يسافر.

ربتـــت "جيهـــان" علـــى كتفهـــا قائلـــة: لـــو بيحبك يا بسملة، هيرجع حتى لو سافر.

نظـــرت "بســـملة" إلـــى الســـقف وقالـــت بخفوت:

-ويمكن يرجع ناسيني.

ردت "نـــور" بتلقائيـــة: فـــي داهيـــة! يعنـــي مفيش غيره؟

قاطعتهـــا "دعـــاء" بنبـــرة صـــارمة: نـــور، مـــش وقتـــه الكـــلام ده! بـــس يـــا بســـملة، يمكـــن ده أفضـــل شـــيء يعملـــه عشـــان تعرفـــي أنـــتِ عـــاوزة إيـــه فعـــلاً. حزنـــك دلـــوقتي نـــابع مـــن لحظـــة المفاجـــأة، بكـــرة ممكن تكتشفي أنك متعرفيهوش أصلًا.

هـــزّت "نـــور" رأســـها موافقـــة وأضـــافت: أنـــا كمـــان شـــايفة كـــده، حزنـــك مـــش لأنـــه بتحبيـــه، لأنـــك ملحقتـــيش تحبيـــه أصـــلاً. كـــل

زعلـــك عشـــان صـــعبان عليـــكِ وحاســـه بالذنب بسبب اللي حصل لأخته.

نظـــرت "جيهـــان" إلـــى "بســـملة" بابتســـامة مطمئنة وقالت:

-وأنـــتِ لـــو بتحبيـــه فعـــلاً، اســـتنيه. ســـنة واتنـــين وعشـــرة مـــش فارقـــة لـــو هـــو نصـــيبك. لكـــن دلـــوقتي ركّـــزي فـــي امتحاناتك وربنا يصبر قلبك.

تنهـــدت "بســـملة" بارتيـــاح وقالـــت: الحمـــد لله إنكم معايا في حياتي.

ثـــم نظـــرت إلـــى "نـــور" بجانبهـــا وســـألتها بفضول:

-مالك يا نور؟

ضحكت "نور" بسخرية، بينما نظرت "دعاء" إليها بامتعاض، واعتدلت في جلستها قائلة:

-أنا؟ زي الفل!

رفعت "بسملة" حاجبيها بتعجب وسألت: -إزاي؟ مامتك اتصلت بيا وقالت إنك اتخانقتي معاهم وجاية تنامي عندي، وإنك متعصبة جدًا.

تنهّدت "نور" وقالت ببساطة: اسمعي، أنا سمعتكم وانتم بتتكلموا فكلمت "أشرف" وقابلته، وطلبت منه الطلاق، وهددته لو مطلقنيش هرفع عليه قضية. بعدها روحت البيت، اتخانقت معاهم، وجيتلك.

صمتت "بسملة" مذهولة، بينما أخذت "دعاء" ترمش بعدم تصديق. أما "جيهان"، فكانت غارقة في الضحك بسخرية.

نظرت "دعاء" إليها بحدة وسألت: أنتِ بتضحكي ليه؟

همست "بسملة" بدهشة: يعني هتطلقي؟

ردت "نور" بمرح: بعد الشر يا أختي! ده تهديد بس!

سألتها "بسملة" بحيرة: أمال إزاي بتقولي طلبتي الطلاق؟

أجابت "نور" بابتسامة ماكرة: دلع، أو تقدري تقولي انتقام صغير منهم على اللي عملوه.

هتفت "دعاء" بصدمة: ده بجد؟

هــزّت "نــور" رأســها مؤكــدة: أيــوة طبعًــا. ده الحب كله يا أختي.

ســألتها "بســملة" مازحــة: نــور المهــدي بتحب؟ معقول؟

ضــحكت "نــور" وقالــت بفخــر: أيــوة يــا أختي! ده جوزي، قرة عيني!

قاطعتهــا "بســملة" وهــي تنظــر إلــى "دعاء":

-خلصنا من نور، وأنتِ يا دعاء، مالك؟

تــذكرت "دعــاء" مــا حــدث، لتســقط دموعهــا بحــزن وهــي تخبــر صــديقاتها بوجع يمزقها:

-فارس بيخوني.

ســـاد الصـــمت للحظـــات قبـــل أن تظهـــر الصـــدمة علـــى أوجـــه الجميـــع، باســـتثناء "نـــور" التـــي أشـــرق وجههـــا بســـعادة كأنهـــا شمس بعد الغروب، لتقول متحمسة:

-بجد؟

نظـــرت "دعـــاء" إليهـــا بغضـــب وأعينهـــا تتوهج بشرر:

- إنـــتِ فرحانـــة كـــدا ليـــه؟ هـــو أنـــا بقولـــك إنـــه هيتكرم!

ردت "نـــور" بـــلا مبـــالاة: وأنـــا لـــو هيتكـــرم هفرح برضه. أنا بس زعلانة عليكِ.

نظـــرت إليهـــا "دعـــاء" مـــن أعلـــى إلـــى أســـفل بازدراء، وقالت بحدة:

-كـــدا زعلانـــة؟ أمـــال لـــو فرحانـــة كنـــتِ عملتي إيه؟

ردت "نـــور" بابتســـامة مـــاكرة: بصـــي الصـــراحة، أنـــا مبحـــبش الراجـــل اللـــي إنـــتِ متجـــوزاه. عامـــل فيهـــا دكتـــور، وهـــو شـــكله مستفز.

ردت "دعاء" بنبرة حادة:

-نـــور، يـــا حبيبتـــي، هـــو فعـــلاً دكتـــور، ولـــو هو مستفز يبقى إنتِ إيه؟

أجابـــت "نـــور" بثقـــة ودلال: قمـــر وعســـل وقشـــطة وحـــلاوة، وتعملـــيهم ســـندوتش حكاية!

تـــدخلت "جيهـــان" بســـخرية: أنـــا مبحـــبش القشطة.

ردت "نور" بمرح: أحسن!

تنفســـت "دعـــاء" بعمـــق وهـــي تقـــول بنفـــاذ صبر:

-يارب صبرني، مش ناقصة الغباء ده.

تحدثت "نور" بجديتها المزيفة: طب يا دعاء، إيه رأيك تطلقي منه وأجوزك أخويا؟ أهو على الأقل ساعات بحبه، بس مش كتير.

نظرت "دعاء" إليها باستغراب وقالت بسخرية:

-نور، متتكلميش تاني! وبعدين يا ذكية، أخوكي أصغر منك يعني أصغر مني، يعني مينفعش. يارب نفهم!

ابتسمت "نور" وقالت بلا تردد: أصل أنا مش بحب جوزك.

ردت "دعاء" بثقة: وأنا بحبه، وده مش كفاية؟

هنـــا تـــدخلت "بســـملة" محاولـــة تهدئـــة الحـــوار الـــذي لـــن ينتهـــي طالمـــا تشـــاركته "نـــور": ســـيبك منهـــا، قـــوليلي عرفتـــي إزاي إنه بيخونك؟

أجابـــت "دعـــاء" بحـــزن عميـــق: رحـــت لـــه المكتب، وشوفته وهو بيحضن فيها.

نظـــرت إليهـــا "جيهـــان" بتعـــاطف وقالـــت بحذر:

-يمكن فاهمة غلط. ليه مسألتيهوش؟"

هـــزت "دعـــاء" رأســـها، والـــدموع تتســـاقط من عينيها:

- مقـــدرتش أســـتنى لحظـــة بعـــد مـــا شـــفتهم. حســـيت إن قلبـــي اتكســـر. متخيلـــتش فـــي حيـــاتي إن فـــارس يعمـــل فيـــا كـــدا. هـــو

عـــارف إن حيـــاتي كلهـــا متعلقـــة بيـــه. إزاي قدر يوجعني بالطريقة دي؟

«مـــا أصـــعب أن تشـــعر بـــالحزن العميـــق وكأنـــه كـــامنٌ فـــي داخلـــك ألـــم عريـــق، ومـــا أصـــعب أن تـــرى النـــور ظلامًـــا، ومـــا أصـــعب أن تـــرى الســـعادة أوهامًـــا، ويتحـــول الأمـــل البـــاقي إلـــى بريـــق، ومـــا أصـــعب أن تكـــون المنبـــوذ مـــن الجميـــع دائمًـــا، وتجـــد وجهـــك بين الدموع غريق.»

انهـــارت "دعـــاء" فـــي البكـــاء، ولـــم تســـتطع الســـيطرة علـــى مشـــاعرها. جـــذبتها "بســـملة" إلـــى أحضـــانها، تربـــت علـــى كتفها بحزن قائلة:

-هتعدي، أحنا معاكِ.

كـــان المنظـــر مـــؤثرًا للغايـــة لدرجـــة أن دمـــوع "جيهـــان" انهمـــرت تـــأثرًا بمـــا يحـــدث، بينمـــا اكتفـــت "نـــور" بالحـــديث بقوة:

-أكيـد فاهمـة غلـط. إحنـا عـارفين الـدكتور فـارس مسـتحيل يعمـل كـدا. ولـو عمـل كـدا فعـلاً، يبقـى تاخـدي حقـك منـه مـش تقعـدي تعيطي!

ابتعـدت "دعـاء" عـن "بسـملة" ومسـحت دموعها وهي تقول بحيرة:

-طب أعمل إيه؟

ردت "نـور" بمـرح معتـاد: تيجـي معايـا بكـرة نرفـع علـيهم قضـية خلـع، وهجـوزك أبويـا طالمـا أخويـا مـش عاجبـك. مـش إنـتِ دايمًا بتقوليلي "أبوكِ عينيه حلوة"؟

ضـــحكت "دعـــاء" رغـــم حزنهـــا، وقالـــت بيأس:

-إنـــتِ مبتكملـــيش جملـــة جـــد أبـــدًا. وبعـــدين، أنـــا موافقـــة أتجـــوز أبـــوكِ عشـــان عنيـــه الحلوة دي!

حاولت "بسملة" إعادة الأمور لنصابها:

-افتحـــي تلفونـــك، يـــا دعـــاء، وكلميـــه. أكيـــد هيفهمـــك اللـــي حصـــل، لأنـــه مـــش معقـــول يعمـــل كـــدا. وبعـــدين الوقـــت اتـــأخر، مـــش هتروحي؟

أجابـــت "دعـــاء" وهـــي تحـــاول الـــتحكم فـــي مشاعرها:

-لا، هنـــام هنـــا. اتصـــلت بـــ بابـــا قبـــل مـــا أقفـــل التلفـــون وقلـــت لـــه إنـــك تعبانـــة، ومـــش هينفع أسيبك.

تـــدخلت "بســـملة" وهـــي تنظـــر لـــ "جيهان":

-وأنـــتِ يـــا جيهـــان، هتروحـــي ولا هتنـــامي هنا؟

ردت "جيهـــان" بهـــدوء: هـــو المفـــروض أروح، بـــس طالمـــا كلكـــم هنـــا، يبقـــى مـــش هـــروح. هخلـــي خـــالتي 'حوريـــة" تكلـــم ماما وتقول لها إنك تعبانة وكلنا هنا.

قالـــت "بســـملة" بتـــردد: بـــس ماما مـــش هترضى تكدب.

غمزت لها "جيهان" بمرح وقالت:

-ملكِيش دعوة. هقنعها.

ضـــحكت "دعـــاء" لكنهـــا لـــم تســـتطع كـــبح فضولها:

-وأنتِ يا جيهان، مالك؟

عـــاد الحـــزن ليســـكن وجـــه "جيهـــان' وهـــي تقول بصوت متحشرج:

- بابـــا حـــدد خطـــوبتي أنـــا ومحمـــد بعـــد يومين.

تبادلـــت الفتيـــات نظـــرات الصـــدمة، ثـــم قـــالن جميعًا بصوت واحد:

-إيه؟!

تحـــدثت "جيهـــان" بحـــزن عميـــق: اللـــي حصل. ومش عارفة أعمل إيه.

تدخلت "بسملة" بعصبية واضحة:

-إزاي يعنـــي يحـــددوا خطوبتـــك مـــن واحـــد مـــش عـــاوزاه؟ هـــو عـــبط؟ محـــدش مـــن حقـــه يختارلـــك، لأنـــك إنـــتِ اللـــي هتعيشـــي معـــاه مش هما.

تنهـــدت "جيهـــان" وقالـــت باستســـلام: عنـــدنا مفـــيش حاجـــة اســـمها تختـــاري. طالمـــا همـــا مـــوافقين علـــى الشـــخص، يبقـــى رأيـــك مـــالوش لازمـــة. أنـــا بـــس كنـــت محظوظـــة شـــوية لمـــا خلـــوني أفكـــر عشـــان أوافـــق، ولمـــا شـــافوا إن رأيـــي زي مـــا هـــو، قـــالوا خـــلاص زيهـــا زي غيرهـــا. هـــي مـــش أحســـن مـــن بنـــات العيلـــة اللـــي اتجـــوزوا بالطريقة دي.

ســـاد الصـــمت للحظـــات، فقـــررت "دعـــاء" أن تحاول مواساة صديقتها:

-رب الخيـــر لا يـــأتي إلا بـــالخير. يمكـــن يكـــون اتغيـــر وهـــو نصـــيبك، لأنـــك قلتـــي زمـــان إنـــك كنـــتِ بتـــدعي يكـــون مـــن نصـــيبك ليل ونهار.

هـــزت جيهـــان رأســـها بيـــأس: محمـــد مســـتحيل يتغيـــر. محـــدش يعرفـــه قـــدّي. وأنـــا مـــش عـــايزاه، أنـــا عـــايزة واحـــد حنـــين يعوضـــني عـــن كـــل اللـــي عشـــته. مـــش واحـــد فاكر إنه محور الكون.

علّقـــت "نـــور" بمـــرح وهـــي تحـــاول كســـر الحزن:

-بسيطة! نطفّشوا. سهلة أهي.

أيـــدتها "بســـملة" بفكـــرة ســـاخرة: معـــاكِ يـــا ســـطّا. داحنـــا نطفّـــش بلـــد، مـــش حثالـــة زي ابن عمك.

ضـــحكت "نـــور" وقالـــت بـــدلال: بنـــت! عيب، ابن خالي ده اللي بتغلطي فيه.

ردت "بســـملة" بابتســـامة واســـعة: أولعـــي إنتِ وهو.

وضعت "نور" يدها على قلبها بمبالغة درامية وقالت:

-حبيبتي! فكري يا بت يا 'بسوا' نعمل معاه إيه الواد الرخم ده، عشان أنا كمان مبحبوش.

ضحكت "دعاء" وهي تقول: ربنا يستر! أنا كده هيصعب عليّا الواد من دماغكم إنتوا.

صمتت للحظات، ثم تذكرت ما حدث في خطبتها، وقررت للمرة الأولى أن تكون جزءًا من خطط صديقاتها:

- أنا كمان هفكر معاكم نخرب خطوبتها إزاي. على الأقل آخد جزء من حقي من اللي اتعمل فيا يوم خطوبتي.

أشارت لهن مازحة: وانتوا دوركم جاي على فكرة.

ضحكت "نور" وقالت بثقة: ياختي اتنيلي! أنا هكون معاكم يوم خطوبتي نفكر ننتقم من أشرف إزاي.

علّقت "جيهان" بمزاح: يعني هنتوقع منك إيه مثلاً؟ تقعدي في الكوشة عاقلة؟ مستحيل!

ردت "نور" بمرح: طبعاً يا أختي، دي فيها كلام!

نظرت "بسملة" إلى "دعاء" بعدم فهم، فبادلتها دعاء النظرة، ثم قالت بشك وهي تنظر للجميع:

-إنتوا كنتم متخصمين ولا أنا كان بيتهيألي؟

اعتدلت "نور" في جلستها ونظرت إلى "جيهان" التي اعتدلت بدورها، لتتبادلا النظرات. ثم فجأة، انطلقت منهما ضحكات ملأت المكان.

***

جمع أغراضه بعناية في حقيبة سفره، ثم توقف للحظة يتأمل غرفته التي عاش فيها طفولته وشبابه. كانت عيناه مليئتين بالحزن، لكنه لم يستطع مواجهة شقيقه لإخباره أنه سيغادر البلاد. لذا، اختار ترك رسالة وداع على الفراش، كلمات قليلة كافية لتشرح ما لم يتمكن من البوح به وجهًا لوجه.

رغم قراره بالرحيل، لم يستطع منع نفسه من رؤية شقيقته الحبيبة للمرة

الأخيـــرة. حمـــل حقيبتـــه بصـــمت وتركهـــا أمـــام غرفتهـــا، ثـــم ولـــج بهـــدوء. كانـــت تغـــرق فـــي نـــوم عميـــق بفعـــل الأدويـــة التـــي تناولتها لتسكين آلامها.

اقتـــرب بخطـــوات حـــذرة حتـــى وقـــف علـــى مســـافة صـــغيرة منهـــا. همـــس بصـــوت مفعـــم بالندم والاعتذار:

-أنـــا آســـف يـــا حبيبتـــي... حقـــك عليـــا. سامحيني... اللي حصلك كان بسببي.

ثـــم انحنـــى بـــبطء وقبّـــل جبينهـــا وكأنـــه يعتـــذر بكـــل خليـــة فـــي جســـده. وقـــف للحظـــة، يأخـــذ نفسًـــا عميقًـــا، ثـــم اســـتدار بخطـــوات ثقيلـــة. لـــم يكـــن يغـــادر الغرفـــة فقـــط، بـــل كـــان يغـــادر المنـــزل، والقريـــة، والمدينـــة... بـــل الـــوطن بأكمله.

وداع الوطن...

هـا هـو الآن يجلـس علـى مـتن الطـائرة، ينظـر عبـر النافـذة بحـزن عميـق. بـدا المشـهد مـن الأعلـى وكـأن وطنـه كلـه يتلاشـى بـبطء. هـو يعلـم فـي قـرارة نفسـه أنـه شـخص عابـث، لـم يعـرف يومًـا قيمـة دينـه كمـا يجـب، رغـم نشـأته فـي منـزل كـان يعج بالدفء والإيمان.

كـان صـوت والدتـه الحبيبـة وهـي تتلـو القـرآن كـل صـباح مـن أروع مـا يوقظـه مـن نومـه، وصـوت والـده الحـازم يحـثهم علـى قـراءة الأذكـار لحفظهـم مـن كـل سـوء. لـم يـنسَ كيـف كـان والـده يـوقظهم قبـل الفجـر رغـم تـذمره المسـتمر ليأخـذهم للصـلاة فـي المسجد القريب.

كان والده يملك قاعدة واضحة: العبث مسموح، لكن الصلاة خط أحمر لا يُتجاوز.

تذكر عمته الحنونة التي كانت تراه أكثر من مجرد ابن أخ، كان تعتبره طفلها وتدافع عنه دائمًا، حتى في أخطائه.

وتذكر زوجة أخيه المشاكسة التي لم تتوقف يومًا عن إزعاجه، لكنها كانت تضيف المرح إلى حياته.

أما شقيقته الخجولة، فكانت قلب العائلة. كانت تخجل حتى من إطراء والدها على جمالها وبراءتها. الآن، وهو ينظر عبر نافذة الطائرة، يدرك أنها ستفقد تلك البراءة وستتغير بسبب ما حدث لها.

كان يترك كل ذلك خلفه: العائلة، الدفء، الذكريات، وكل ما جعله يعشق وطنه.

رغم كل أخطائه وعثراته، لم يتمنَّ يومًا مغادرة هذا المكان الذي يسكن قلبه.

همس بصوت متهدج وهو ينظر إلى الأفق البعيد:

-"وللقدر رأيًا آخر."

*****

الفصل الواحد والعشرون

ماذا لو أنك أُعتقت من النار في رمضان وأنك الآن تمشي على الأرض وأن اسمك أُدرِج في سجلات أهل الجنة ..

اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين.

***

"أشرقت شمس الحياة" تعلن عن يوم جديد مليء بالفرص وأحلام لم تكتمل بعد. نهضت "نور" بنشاط بعد ليلة ممتعة قضتها مع أصدقائها، مزيج من البكاء والمرح والجنون ملأ تلك الساعات. توجهت إلى المرحاض لتغتسل وتؤدي صلاتها، ثم قررت أن تضع حدًا لكسل صديقاتها اللواتي أرهقن المنبه دون أن يرهقهن النوم.

دخلت الغرفة حيث يعم السكون، لتنظر إليهن بنظرة ساخرة قبل أن تصيح بصوت عالٍ:

- يا حجة! إنتِ وهي، قومي ياختي، اتأخرنا! المنبه تعب منكم، وإنتوا لسه نايمين!

ردت "بسملة" وهي مغمضة عينيها وتنطق بنبرة نعسة:

-اطفي النور، يا نور، وامشي.

ثم جذبت الغطاء على وجهها بإصرار؛ لم تستسلم "نور" بسهولة، فبدأت تجذب الغطاء بقوة عنهن وهي تهدد بمرح:

-قومي ياختي، وإلا والله هصبحكم بحاجة مش هتعجبكم!

ردت "دعـــاء" وهـــي تغلـــق عينيهـــا وتحـــاول استعادة الغطاء بيدها:

-نـــور، امشـــي الله يحفظـــكِ، عـــايزة أنـــام. وبعـــدين إحنـــا عنـــدنا محاضـــرة الســـاعة عشرة، مش دلوقتي. يلا، امشي.

أيـــدتها "بســـملة" بنبـــرة كســـولة: ماما أكيـــد جهـــزت الفطـــار، روحـــي افطـــري معاهـــا وقولي لها متصحيناش.

تنهـــدت "نـــور" بحـــدة وقالـــت بإصـــرار: يـــلا يـــا انـــدال، أنـــا بحضـــر معكـــم علـــى طـــول. تعـــالوا معايـــا النهـــاردة، مـــش عـــايزة أروح لوحدي.

ردت "دعـــاء" بضـــحكة خافتـــة: والله إنـــتِ بتحضـــري غصـــب عننـــا، وكـــل مـــرة بتحضري بنطرد شر طردة.

نفخت "نور" بضيق وقالت بتهكم:

-واطين!

أمـــا "بســـملة" فقالـــت وهـــي تلـــف نفســـها بالغطاء:

-من بعد ما عندكم، اطفي النور بقى!

ارتـــدت "نـــور" حجابهـــا وغـــادرت الغرفـــة دون أن تغلـــق الإضـــاءة، وهـــي تســـب وتلعـــن فـــيهم بخفـــة، متوجهـــة إلـــى المطـــبخ حيث كانت "حورية" تقف تعد الفطور.

ابتســـمت "نـــور" واقتربـــت منهـــا قائلـــة بحماس:

- صباح الخير يا حوريتي!

اســـتدارت "حوريـــة" إليهـــا وابتســـمت بلطف:

-صباح النور يا نور. كنت لسة جاية أصحيكم.

ردت "نور" بمرح: خليهم نايمين. لسة بدري على محاضرتهم. أنا بس عندي سكشن بدري. الله يسامح الدكتور، ولا لأ؟ حسبي الله فيه! واحد يصحى الساعة ستة عشان ينكد على أهلي!

ضحكت "حورية" وهي تضع طبقًا أمامها:

-يا بنت عيب، ده الدكتور! يلا، افطري بسرعة.

جلست "نور" تتناول الفطور معها، ثم غادرت سريعًا حتى لا تتأخر.

سارت بتأفف صوب موقف السرفيس، تتأمل الطريق بملل، لتجد سيارة تقف

أمامهـــا مباشـــرة. خفـــض الســـائق نافذتـــه وقال بصوت هادئ ولكن صارم:

-اركبي.

نظرت "نور" إليه بسخرية وقالت بحدة:

-نعم يا عسل؟

رد "أشـــرف" بنبـــرة آمـــرة: اخلصـــي يـــا نور، واركبي.

بـــدت غيـــر مباليـــة وواصـــلت الســـير بعيـــدًا عنـــه، غيـــر مكترثـــة بمـــا يقـــول. لكنـــه لـــم يســـمح لهـــا بالمضـــي أكثـــر، إذ هـــبط مـــن الســـيارة ولحـــق بهـــا. جـــذبها مـــن ذراعهـــا بقـــوة، وبـــدأ يســـير بهـــا نحـــو الســـيارة دون أن يمنحها فرصة للاعتراض.

حاولـــت "نـــور" الإفـــلات وهـــي تصـــيح بغضب مصطنع:

-إيه ده! إنت بتعمل إيه؟ سيبني!

لكن "أشرف" تجاهل كلماتها تمامًا، أجلسها في السيارة وأغلق الباب خلفها بحزم. تحرك نحو الجهة الأخرى، صعد إلى السيارة، وأدار المحرك، كل هذا وهو صامت تمامًا.

جلست "نور" على المقعد بجانبه، تنظر من نافذة السيارة وهي تنفخ بغضب، لكنها كانت تخفي ابتسامة صغيرة تتسلل إلى وجهها. شعرت بسعادة خفية، لكنها استمرت في تمثيل الغضب وهي تقول بحدة مصطنعة:

-إنتَ فاكر نفسك مين؟!

***

في غرفة "بسملة"...

في جو هادئ من الصباح الباكر، صدح رنين هاتف "جيهان"، الذي كانت تعانقه وكأنه قطعة لا تُفارقها حتى وهي نائمة. أما "نور"، فكانت تحتضن هاتفها وكأنه كنز غالٍ استُرد بعد طول غياب. على النقيض، وضعت "بسملة" و"دعاء" هواتفهما بلا مبالاة على الكمود بجانب سريريهما.

"جيهان"، بدافع العادة، فتحت الاتصال دون أن تنظر إلى هوية المتصل، وردت بنبرة مثقلة بالنوم:

-السلام عليكم.

أتى صوت رجولي قوي بعد ثوانٍ، ملىء بالاستغراب:

-الحج اسمعين معايا؟

نظـــرت "جيهـــان" إلـــى الهـــاتف بعينـــين نصـــف مفتـــوحتين، لتكتشـــف أن الـــرقم غيـــر مســـجل. نهضـــت وجلســـت وهـــي تقـــول بضيق:

- أول حاجـــة، اســـمه "إســـماعيل" بـــاللام مـــش "اســـمعين"، وتـــاني حاجـــة "إســـماعيل" ده ذاتـــه لمـــا أبـــوه نـــوى يذبحـــه، مـــا صـــحهوش الســـاعة ســـتة الصـــبح! وبعـــدين، يـــا أســـتاذ، فـــي حـــد يـــرن علـــى حـــد فـــي وقـــت زي ده ؟ إيـــه، رايـــح تبيع لبن؟

رد الرجل مرة أخرى، بنبرة أكثر قوة:

-يعني "اسمعين" معايا؟

تنهـــدت "جيهـــان" بعمـــق، وهـــي تفـــرك عينيها:

- لا، يـــا حـــج، مـــش "اســـمعين". الـــرقم غلط.

ثم أغلقت الهاتف دون انتظار رده.

وضـــعت الهـــاتف بجانبهـــا وهـــي تتـــأفف، لتلتفـــت وتجـــد "دعـــاء" تـــنهض مـــن سريرها بملل وتقول:

-هـــو محـــدش هينـــام فـــي البيـــت ده؟ أنـــا هروح بيتي، يا عم!

ردت "بســـملة" بصـــوت مكتـــوم مـــن تحـــت الغطاء:

- مش قولتي مش هتروحي؟

قالـــت "دعـــاء": آه، بـــس بمـــا إنـــي مـــش عارفـــة أنـــام، هـــروح أشـــوف إيـــه الأخبـــار فـــي البيـــت، وأغيـــر هـــدومي، ونتقابـــل واحنـــا طالعين.

ردت "بسملة" بخفوت: خلاص ماشي. بس متتأخريش، عشان معيش رصيد أرن عليكِ. وأنتِ يا "جيهان"، هتروحي ولا إيه؟

عادت "جيهان" للاستلقاء وغطّت نفسها وهي ترد بكسل:

-لا، أنا مشواري بعيد؛ ألبس حاجة من عندك، زي ما "نور" عملت.

انتفضت "بسملة" فجأة، ورفعت الغطاء عن وجهها، تتساءل بدهشة:

-هي "نور" فتحت دولابي من غير إذني؟!

هزّت "دعاء" رأسها بالإيجاب قبل أن تتجه إلى المرحاض، بينما قالت "بسملة" بحنق:

-ماشي يا "نور"، وتقولي أنا ألبس من عامة الشعب؟ أهي لبست يعني! والله لزلك على كلام امبارح لشهرين قدام.

" ذكرى الأمس"

تذكرت "بسملة" ما حدث بالأمس، حينما اقترحت على صديقاتها أن يرتدين من ثيابها قبل الذهاب إلى الجامعة. كان رد "نور" صادمًا ومزاحها جارحًا:

"أنا ألبس من عامة الشعب؟ زيكم؟ لا، يا "بسملة"، شكراً. أفضل ألبس هدوم متسخة ولا ألبس منك!"

لم يفت هذا المزاح "بسملة"، لكنها لم ترد وقتها.

"عودة للواقع"

عاد وعي "بسملة" إلى الحاضر على صوت "دعاء" وهي تقول بحزم: يلا، أنا ماشية. متتأخريش على المعاد.

ردت "بسملة": ماشي، سلام.

غادرت "دعاء"، بينما تمددت "بسملة" على سريرها، وعقلها مشغول بخطط الرد على "نور" بطريقة تجعلها تندم على كل كلمة قالتها بالأمس.

***

في الخارج، كان "فارس" يقف خارج سيارته، وجهه متجهم، والغضب يعصف بملامحه. لم يتمكن من النوم طوال الليل؛ فالقلق والحزن الذي يعتريها كان بسببه، ولم يستطع التواصل معها لأن هاتفها كان مغلقًا. لم يُرِد أن يخبر والدها

بما حدث، فهو يكره تدخل الآخرين في حياتهم؛ لذلك استيقظ باكرًا وقرر الذهاب إلى منزلها.

عندما وصل، استقبله والدها بابتسامة ودودة، وأخبره أن "دعاء" تقضي الليلة في منزل صديقتها. شعر "فارس" بالإحراج من وجوده في هذا الوقت المبكر، لكنه أخفى انزعاجه بابتسامة مصطنعة. شكر والدها وغادر المنزل، لكن عقله لم يسمح له بالعودة. لم يستطع الابتعاد عنها أو حتى البقاء بعيدًا عن القرية.

وقف أمام منزل "بسملة" ينتظرها. قرر أنه لن يذهب قبل أن يراها، وقلبه يشتعل شوقًا وقلقًا. لم يستغرق الأمر طويلًا

حتى رأى "دعاء" تخطو بهدوء من باب المنزل، كعادتها التي تأسره دائمًا.

بمجرد أن رأته، اتسعت عيناها بتعجب.

وقفت للحظة، تتساءل عن سبب وجوده في هذا الوقت. لم يمنحها فرصة للكلام، بل أشار بيده نحو السيارة، ثم تحرك بثقة نحوها.

ترددت قليلاً، ثم تبعته بخطوات ثابتة.

صعدت إلى السيارة وجلست بجواره، لتتفاجأ بأنه انطلق بها بسرعة جنونية.

تمسكت "دعاء" بحزام الأمان بكل قوتها، ونطقت بصوت مرتجف مليء بالخوف:

-فارس، بالله عليك سوق بالراحة! أنا خايفة.

ألقى "فارس" نظرة خاطفة عليها، لكن ملامحه لم تُظهر شيئًا سوى التصميم. حاول أن يتماسك، لكنه قال بصوت منخفض مليء بالغضب:

-وأنا كمان خايف، يا "دعاء". خايف عليكِ، خايف من الفكرة إنك تبعدي عني، حتى لو ليلة واحدة.

نظرت إليه "دعاء" بدهشة، لكنها لم تستطع الرد. اكتفت بالصمت، وعيناها تراقب طريقه، بينما قلبها ينبض بقوة بين خوفها من السرعة وارتباكها من كلماته.

خفض "فارس" سرعته تدريجيًا، ثم توقف على جانب الطريق. وضع يديه على المقود وشهق بعمق، وكأنه يحاول

كتم مشاعره. استدار إليها أخيرًا، وقال بصوت خافت:

-مش هقدر يا "دعاء". مش هقدر أعيش يوم وأنا مش عارف أنتِ كويسة ولا لأ. متعمليش فيا كده تاني.

أرادت "دعاء" الرد، لكنها شعرت أن الكلمات خانتها. اكتفت بالنظر إليه بعينين مليئتين بالدموع، بينما ارتسمت على شفتيها ابتسامة صغيرة تخفف من توتر اللحظة.

***

وقف "أشرف" بسيارته أمام إحدى البنايات، ينظر إلى "نور" بابتسامة مُربكة، قبل أن يشير لها بيده ويقول:

-يلا انزلي.

لكن "نور" لم تكن سهلة، فصاحت فيه بغضب: لا يا باشا! فاكرني من البنات اللي بيضحك عليهم، وتقولها:

- "أمي تعبانة، تعالي شوفيها"، وبعدين تسقيني حاجة صفراء وتستفرد بيا؟!

نظر إليها "أشرف" بصدمة ممزوجة بالاستغراب، وقال:

-إيه الفيلم الهندي ده؟! أنا قلتلك أمي تعبانة؟! أنا بقولك ننزل ونتكلم فوق شوية.

قاطعت حديثه بحدة، وكأنها لم تسمعه:

-عشان تستفرد بيا، صح؟!

تنفس "أشرف" بعمق محاولًا التماسك، ثم قال:

-استغفر الله العظيم، يا بنتي استفرد بيكي إيه؟! أنتِ مراتي!

ضحكت "نور" بسخرية: عارفة أنا الحركات دي، يا بنت أنتِ مراتي، ومش عارفة إيه. تضحك عليا لحد ما أطلع معاك، صح؟!

ثم صاحت بعصبية أشد: مش "نور المهدي" اللي حد يضحك عليها، يا باشا!

توقف "أشرف" عن مجادلتها، ونظر إليها بثقة وهو يقول:

-بس "نور المهدي" فعلاً مراتي، ولا إيه؟

شعرت "نور" بالتوتر من نظرته المباشرة، وأخذت تتحاشى النظر إليه. همست لنفسها بصوت خافت، لكنه كان واضحًا بما يكفي ليسمعه:

- أيوة، صح... أنا مراته.

ابتسم "أشرف" بخبث وقال: شفتي؟!

انتفضت من شرودها وقالت: بس أنا مش هطلع معاك. مضمنكش.

رد عليها بابتسامة ماكرة: ليه يا وزة؟ وبعدين، متقلقيش، أنا مكلم أبوكي وعارف أنك معايا.

وأضاف بسخرية: ومش هسقيكي حاجة صفراء، ولا حمراء حتى.

ردت "نور" بضيق: لا صفراء ولا حمرا. أنا مش هشرب من عندك حاجة!

نظر لها وهو يحاول كتم ضحكته: حاضر، في أي أوامر تاني؟ استنيني هنا دقيقة، هروح أجيب حاجة من السوبر ماركت عشان تطمني.

قالت بتحدٍّ: وإيه يضمنلي إنك متحطش في اللي تجيبه حاجة؟!

انفجر "أشرف" بعصبية: يا بنتي، أنتِ غاوية تعصبيني وخلاص! هو أنا جايبك من الشارع؟! بقولك: أنتِ مراتي! إيه مش بتفهمي؟!

صاحت فيه بغضب: حافظ على كلامك يا باشا، وبعدين كفاية بقى "أنتِ مراتي، أنتِ مراتي"! خلاص عرفنا إنك زفتتني. ويومين وهبقى طليقتك، يا رب نخلص.

بعد دقائق، كان "أشرف" يقف أمام شقة بالطابق السادس. فتح الباب ونظر إلى "نور"، التي كانت تتنفس بصعوبة بسبب صعودها الدرج. ابتسم بتشفي وقال:

-تســـــتاهلي. قولتلـــــك تعـــــالي نطلـــــع بالأسانسير، مردتيش.

نظـــرت لـــه بحنـــق وقالـــت: أيـــوة، مـــدخلش الأسانسير مع حد غريب.

رد عليهـــا بســـخرية وهـــو يفـــتح البـــاب: طيب، يلا ادخلي.

خطـــت "نـــور" إلـــى الـــداخل بحـــذر. بمجـــرد أن أغلـــق "أشـــرف" البـــاب خلفهـــا، صـــاحت به بفزع:

-متقفلش الباب!

تجاهلهـــا تمامًـــا، وتوجـــه للجلـــوس علـــى أحـــد المقاعـــد. أشـــار لهـــا بـــالجلوس وقـــال بهدوء:

-تعـــالي، يـــا "نـــور". اقعـــدي. عـــايز أتكلـــم معاكي.

جلست أمامه بتوتر واضح. بدأ حديثه بلهجة جادة:

-اسألي يا "نور" اللي أنتِ عايزاه، وأنا هرد عليكي. وسيبك من حوار الطلاق والكلام الفاضي، لأني مش متجوزك عشان أطلقك. صمتت "نور" لدقائق، وكان يحترم صمتها حتى قالت أخيرًا بصوت خافت وهي تنظر إليه:

-اتجوزتني ليه؟ وسيبك من حكاية: 'عشان أحميك'. أنت كنت مسافر، وواحد من رجالتك هو اللي كان بيراقبني، يعني مش أنت.

ابتسم "أشرف" وسألها بهدوء: تفتكري أنا اتجوزتك ليه؟

تنهدت بضيق وقالت: متجاوبش سؤال بسؤال.

نظر لها بحب وقال ببساطة: عشان بحبك، يا "نوري".

خفق قلبها من صراحته، لكنها قالت مرتبكة:

-مش فاهمة.

رد عليها بابتسامة: إيه اللي مش فاهمة؟

قالت بتردد: حبيتني إمتى؟ ولو بتحبني ليه ما تقدمتليش عادي زي أي حد؟

صمت "أشرف" قليلًا قبل أن يعترف بجزء من الحقيقة:

-من أول لحظة شفتك فيها. كنت عجباني، لكن ماكنتش جاهز أفكر في

الارتبـــــاط؛ لأن الشـــــغل ومـــــازن كـــــانوا واخـــدين كـــل وقتـــي. ولمـــا حصـــل موضـــوع الدكتور، لقيتها فرصة إنك تكوني ليا.

تجنـــب النظـــر إليهـــا ثـــم أضـــاف بصـــوت هادئ:

-وخصوصًـــا بعـــد مـــا اســـتفزتيني فـــي المستشـــفى بـــاللبس اللـــي كنتـــي لابســـاه. وقتها قررت إني أتجوزك.

حاولـــت "نـــور" أن تخفـــي توترهـــا، لكنهـــا لـــم تســـتطع منـــع الـــدموع مـــن مـــلء عينيهـــا.

سألها بخوف:

- بتعيطي ليه؟

بدأت تبكي بصوت مرتفع وهي تقول:

-حـــرام علـــيكم. ظلمتـــوني! كـــان نفســـي أفـــرح زي أي حـــد. ييجـــي شـــخص

يخطبنـــي، وأفكـــر أوافـــق ولا لا. لكـــن أنـــتم فرضتوا كل حاجة عليا!

اقتـــرب منهـــا "أشـــرف" بســـرعة، وجـــذبها إلـــى حضـــنه بحنـــان، وهمـــس بصـــوت خافت:

-يعني أنتِ مش عايزاني، يا "نوري"؟

تشـــبثت بـــه بقـــوة دون أن تجيـــب. ابتســـم وهو يشعر أنها تريده وقال بحب:

-حقـك عليـا يـا روحـي. أنـا آسـف. مـاكنتش أعرف إنك زعلانة كده.

ابتعدت عنه بخجل وهمست: روحك؟

ابتســم "أشــرف" وقــال بثقــة: أيــوة، طبعًــا روحي. عندك مانع؟"

ضحكت بخفة وقالت:

-عايزاك تجيبلي حووشي.

نظر لها بدهشة وقال: عايزاها إيه؟!

ردت بمرح: حووشي!

مسح وجهه بإحباط وقال: أبو شكلك، فصلتيني!

ضحكت بمشاكسة وقالت: ليه، أنت فون عشان أفصلك؟

نظر إليها بضيق وقال: بس يا "وزه" اسكتي. كلامك بيعصبني.

ناولها الحقيبة التي أحضرها من الماركت وقال:

-اتفضلي.

أخذتها منه وبدأت تتناول محتوياتها بدون أي اكتراث. ضحك وقال:

-مش خايفة أكون حاطط حاجة فيها؟

ابتسمت وهي تتذكر ما قالته له سابقًا، وضحكت. أما هو، فنظر إليها بحب وابتسامة هادئة، بينما قلبه يرفرف كالعصفور.

***

ارتبكت "دعاء" وأبعدت جسدها عن قربه بعدما التصقت به دون وعي، ظل يقود بهدوء حتى وصل إلى أحد المطاعم القريبة من الجامعة. أوقف السيارة وترجل منها، فتبعته "دعاء" بخطوات مترددة. دخلا معًا إلى المطعم وجلسا على طاولة في زاوية هادئة. طلب "فارس" الطعام، ومرت دقائق من الصمت الثقيل بينهما.

قطع "فارس" هذا الصمت وهو ينظر إليها بملامح حازمة:

-مش هحاسبك على أنك نمتي بره البيت من غير إذني؛ حتى لو زعلانة مني، كان ممكن تبعتيلي رسالة وتقفلي التليفون بدل ما تسيبيني مش عارف أنتي فين.

رفعت "دعاء" رأسها بخجل، تدرك أنها أخطأت. حقه كزوجها أن يعلم أين كانت. لكنها لم تجد الكلمات للدفاع عن نفسها.

تابع "فارس" بنبرة صارمة: بس هحاسبك على شكك فيا.

شعرت "دعاء" بالتوتر، خاصة مع نظراته الغاضبة، لترد بضيق:

-هو أنت زعلان ليه؟ مش المفروض أنا اللي أزعل؟

نظر إليها "فارس" بجدية، ثم رد بنبرة جافة:

-واللهِ؟

صرخت "دعاء" فجأة وهي تشعر بغيرة وحزن يخنقانها:

-والله، أنا مش شفتك بعنيا وأنت بتحضنها؟ أيه، كنت بحلم؟

زجرها "فارس" بحدة وهو ينظر حوله محاولًا تهدئة الأجواء:

-وطي صوتك!

وضعت "دعاء" يدها على وجهها، وأجهشت بالبكاء بصوت مكتوم. همست من بين شهقاتها:

-كنت فاكرة أنك بتحبني...

بـــدا الحـــزن واضـــحًا علـــى وجـــه "فـــارس" وهو يرد بصوت هادئ:

-وطلعـــت أيـــه؟ أنـــا اللـــي كنـــت فـــاكر أن عندك ثقة فيا.

نظرت إليه بدهشة وقالت: يعني إيه؟

تنهـد "فـارس" قلـيلًا ثـم تـابع: يعنـي هكلـم عمي مصطفى...

قاطعـــت "دعـــاء" حديثـــه وهـــي تصـــيح بخوف:

-هتطلقني؟!

ابتســـم "فـــارس" بحـــب وهـــو ينظـــر إلـــى عينيهـــا المليئتـــين بـــالخوف، مســـتمتعًا بـــردة فعلها:

-مقـــدرش يـــا حبيبتـــي. حيـــاتي كلهـــا متعلقـــة بيكِ؛ لأنك كل حياتي.

ابتســـمت لـــه بتـــأثر، لكـــن "فـــارس" لـــم يكـــن لينســـى غضـــبها بســـهولة، فأكمـــل جملتـــه السابقة بهدوء:

-هكلمـــه عشـــان أســـتأذن منـــه أجـــي عنـــدكم فـــي الليـــل وأعرفـــك عليهـــا، عشـــان بـــس تتأكدي أنك غلطتي، وبعدين نتحاسب.

شـــعرت "دعـــاء" بغيـــرة تتصـــاعد فـــي قلبهـــا وهي تقول بغضب:

- أيًـــا كانـــت هـــي مـــين، مـــش مـــن حقهـــا أنهـــا تقرب منك كده!

رد "فـــارس" بمكـــر: لا يـــا حبيبتـــي، مـــن حقها، أمال من حق مين؟

اشـــتعلت عينـــا "دعـــاء" بالغضـــب، وقالـــت بصوت عالٍ دون أن تهتم بمن حولها:

-حقـــي أنـــا! مـــش مـــن حـــق أي حـــد يلمســـك أو يقرب منك غيري!

تفاجـــأ "فـــارس" مـــن ردهـــا المباشـــر، لكنـــه ابتسم بحب وسألها بمرح:

-ومين عطاكِ الحق ده؟

أشـــارت "دعـــاء" إلـــى الدبلـــة التـــي ترتـــديها وقالت بثقة:

-دي يا حبيبي.

ضـــحك "فـــارس" مـــن عبارتهـــا الأخيـــرة التـــي أثـــارت مشـــاعره، ثـــم قـــال وهـــو يعبـــث بهاتفه:

-أنا هتصل بـ'منوش' أشوفها فين.

نظرت "دعاء" إليه باستغراب وسألت:

-مين 'منوش' دي؟ وليه؟

رد "فارس" ببرود:

-عشان أحضنها تاني، هي السبب في أنك تقوليلي يا حبيبي لأول مرة.

صرخت "دعاء" بغضب: فارس، متعصبنيش! مين الزفتة دي؟!

قال "فارس" بنبرة مصطنعة الجدية:

-دعاء، عيب تغلطي فيها. وبعدين لما تعرفيها، هتعرفي أنك غلطانة.

تمتمت "دعاء' بضيق وهي تنظر بعيدًا:

-غلطانة وزفت، لما نشوف أخرتها.

حاول "فارس" كتم ضحكته، لكنه تابع بنبرة هادئة:

-يلا نأكل، الأكل برد"

تناولت "دعاء" الطعام بصمت، لكن عقلها كان مشغولًا بكل ما قاله "فارس". عندما انتهت، قالت بهدوء:

- فارس... أنت ممكن تخوني؟

رفع "فارس" حاجبه بدهشة وقال:

-تفتكري؟

ترددت "دعاء"، لكنها قالت بنبرة متحفظة:

-معرفش... بس كل الرجالة بتخون.

ضحك "فارس" ساخرًا وقال: اللي بيخون اسمه ذكر، مش راجل. الراجل ميخونش.

شعرت "دعاء" بالحرج، لكنها لم تستسلم، وقالت: نزار قباني قال: "أنا

وكـــل الرجـــال خـــائنون." وكمـــان آجاثـــا كريستي قالت:

- "أن تهجـــري رجـــلًا لأنـــه يكـــذب، هـــو بمثابـــة مغـــادرة وطنـــك لأنهـــا تُمطـــر. أيـــن تذهبين؟ إنها تمطر في جميع الأوطان."

ثـم نظـرت لـه بثقـة وهـي تقـول: يعنـي كلكـم كدابين وخاينين.

نظـــر "فـــارس" إليهـــا بدهشـــة وقـــال: مـــن إمتى وأنتِ مثقفة يا حبيبتي؟

نفـــت "دعـــاء" بتـــوتر وقالـــت: ولا مثقفـــة ولا نيلـــة، بـــس "نـــور" كـــل شـــوية تقـــول اقتباس جديد.

ضحك "فارس" وقال ممازحًا:

-طيـــب أنـــا هـــرد عليـــكِ. دوستويفســـكي قـــال لحبيبتـــه: "فـــي الشـــارع الـــذي تقيمـــين فيـــه

تسع نساء أجمل منك، وأخرى تحبني أكثر مما تفعلين، وفي العمل هناك امرأة تبتسم لي دائمًا، والنادلة في المطعم تضع لي عسلًا بدلًا من السكر. ولكني أحبك أنتِ.'

صمت لحظة قبل أن يكمل بحب: لكني أحبك أنتِ.

ردت "دعاء" بضيق بعدما تذكرت حديث "نور" السابق عن هذا الدوستويفسكي المخلص:

-وأنت مصدق الكلام ده؟ ده بيقولك تسعة أحلى منها! أمال لو خانها كان عمل إيه؟

تنهد "فارس" بيأس وهو يتمتم: لا تعليق.

تناولت "دعاء" الطعام بصمت، لكنه ظل ينظر إليها بحب، يهمس لها بعبارات بسيطة جعلت قلبها يخفق من جديد.

***

في منزل تامر...

كانت أجواء المنزل هادئة إلا من أصوات خطواتهم التي قطعت هذا الصمت، وقالت "عايدة" بضيق وهي تنظر إلى "سلمى":

-دلوقتي أول ما ندخل، هيقلقوا وهيفتكروا إن في حاجة.

ردت "سلمى" وهي تدير المفتاح في باب المنزل:

-ليه بس يا خالتو؟ النهارده من بكرة مش حاجة.

ثم أضافت بمشاكسة وهي تبتسم بخفة:

-ولا أنتِ عاجبك وجودك مع عمو لوحدكم؟

ضحك "حسني" بخفة وقال: خلاص يا أم كريم، وصلنا أهو. وهي خلصت شغلها، هنقعد ليه؟

ردت "عايدة": لسه باقي يوم.

فتحت "سلمى" الباب ودخلت المنزل أولًا، تسحب الحقيبة خلفها وتنظر بلهفة في أرجاء المكان وكأنها تبحث عن شيء. لم تمضِ إلا لحظات حتى وجدته يهبط الدرج... "كريم"، بهيئته المعتادة، ولكن وجهه؟ كان شاحبًا وكأنه لم ينم

منذ أيام، أو كأن هموم الكون تثقل كاهله.

شعرت "سلمى" بالذنب فجأة، همومه وحده بينما هي غارقة في عملها! دون تفكير، ركضت نحوه بلهفة، ثم ارتمت في حضنه تربت عليه بحنو كما لو كان طفلًا صغيرًا.

تفاجأ "كريم" من وجودهم في هذا الوقت، وأكثر من عناقها أمام الملأ. هي التي دائمًا ما تخجل من إظهار مشاعرها. لكنه لم يستطع إخفاء سعادته، وابتسم بحب وهو يطبع قبلة خفيفة على جبينها. أبعدها برفق وقال:

-مش قولتي معاد الطيارة بكرة؟

أرادت أن ترد، لكن صوت "عايدة" قطع حديثهما وهي تقول بخبث:

-دلوقتي عرفنا مستعجلة ليه على الرجوع.

تراجعت "سلمى" بخجل لتقف خلف "كريم"، الذي ابتسم بخفة على خجلها المبالغ فيه، ثم قال:

-حمد لله على سلامتكم.

رد "حسني": الله يسلمك.

قالت "عايدة" بابتسامة: الله يسلمك يا حبيبي. إخواتك نايمين؟

أجاب "كريم" بارتباك: آه يا ماما. حتى إيمان جهزت الفطار وقالت إنها هتروح تنام.

قال "حسني" بهدوء: تعالي يا أم كريم، نرتاح شوية ونشوفهم على الغداء.

غادرا إلى غرفتهما، بينما بقي "كريم وسلمى". نظرت "سلمى" إليه بقلق وسألته:

-في إيه يا كريم؟ مالك؟

اقترب "كريم" منها وجذبها برفق وهو يقول:

-مفيش حاجة يا حبيبتي. اطلعي ارتاحي شوية. أكيد تعبانة من السفر.

ازدادت ملامح القلق على وجهها وقالت بجديّة:

-مش هطلع غير لما أعرف مالك.

تنهد "كريم" بحزن، أمسك بيدها وسحب الحقيبة بيده الأخرى وقال:

-طيب، تعالي فوق، هقولك.

صعدت معه باستسلام، تعلم أن ما سيخبرها به لن يكون سهلًا. ولما دخلا الغرفة، وقفت أمامه وسألته بحنان:

-ها... مالك يا حبيبي؟

كانت نبرتها كفيلة بأن تُسقط قناع الثبات عن "كريم"، فانفجر باكيًا فجأة. جذبها إلى عناق ساحق، بكى كطفل صغير، وكأن هذا الحضن هو ملاذه الوحيد.

بكى على شقيقته "ديالا"، وعلى شقيقه الذي يلوم نفسه على ما حدث، وبكى خوفًا على والدته التي يعلم أنها لن تتحمل الحقيقة.

في المقابل، بكت "سلمى" على بكائه، قلبها يتألم عليه دون أن تعلم بعد ما

الـــذي حـــدث. حاولـــت الابتعـــاد عنـــه قلـــيلًا، لكنـــه تشـــبث بهـــا كالطفـــل الـــذي يخشـــى فقـــدان أمـــه. دفعـــت جســـده برفـــق لتجلســـه علـــى الفـــراش، لكنهـــا لـــم تتركـــه، ظـــل يحتضنها وكأنها طوق النجاة.

أبعدتـــه "ســـلمى" قلـــيلًا، وضـــمت وجهـــه بـــين كفيهـــا وقالـــت بصـــوت متحشـــرج بالبكاء:

-أنـــا آســـفة... والله آســـفة. كـــريم... حقـــك علـــيَّ. والله مـــش هبعـــد عنـــك تـــاني، ولا هـــروح مكـــان مـــن غيـــرك. بـــس بـــالله عليـــك، متـــوجعش قلبـــي أكتـــر مـــن كـــده. وقـــولي مالك، عشان خاطري.

أحســـت بـــالعجز، فعـــدم معرفتهـــا بمـــا يجـــري يزيـــد مـــن ألمهـــا. هـــدأ "كـــريم" قلـــيلًا عنـــدما

رأى دموعها، وجذبها إلى حضنه مجددًا وقال بهدوء:

-هقولك، بس بالله عليكِ تهدي. مش هتحمل أشوفك زعلانة.

قالت بصوت متهدج: طيب، قول عشان خاطري.

حاولت أن تبتعد مرة أخرى، لكنه رفض، وقال بصوت مكسور:

-ديالا... اتعرضت لغ.ت.صاب من يومين.

وقعت كلماته كالصاعقة عليها. تجمدت في مكانها، صدمت، عقلها يرفض التصديق. ردت بعصبية وهي تهز رأسها:

-مستحيل... لا، لا، أنت بتهزر، صح؟

لكن صمته أكد لها الحقيقة. عادت تعانقه وهي تكتم بكاءها، لا تريد أن تزيد ألمه.

شعرت فجأة بثقل همّه، وأدركت حجم المعاناة التي مرّ بها في غيابها.

كان "كريم" يحتضنها بشدة، وكأنها الملاذ الذي يخفف من آلامه. تمتم بشرود:

-ريحتك حلوة أوي.

ابتسمت رغم دموعها. كان دائمًا يقول ذلك لها، رغم أنها لم تضع عطرًا. بالنسبة له، رائحتها تشبه المسك، أروع من أي شيء آخر.

وفجأة، قطع صوتهما المتهدج صوت والدته وهي تصرخ باسم شقيقته:

- ديالاااا!

انـــتفض "كـــريم" مـــن مكانـــه، وركـــض خـــارج الغرفـــة بخـــوف، يعلـــم أن شـــيئًا قـــد حـــدث. وجـــد والدتـــه ممـــددة علـــى الأرض وقد فقدت الوعي.

****

الفصل الثاني والعشرون

"ليجمع الله بينك وبين مرادك كما جمع موسى بحضن أمه، وجمع يعقوب بيوسف بحق قوله..

"وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِير"

***

ولج "كريم" إلى الغرفة، ووقف مذهولًا للحظة عندما رأى والدته تفترش الأرض. هرول سريعًا نحوها، رفعها برفق وأسندها على الفراش بجوار "ديالا" التي كانت ما زالت تغط في نوم عميق، غير شاعرة بأي شيء بسبب تأثير العلاج.

التفت "كريم" بقلق إلى "إيمان" التي كانت تجلس على الأرض باكية، وسألها

بخوف، وهو يخشى أن تكون قد أخبرتها بما حدث:

-مال ماما يا عمتو؟

بكت "إيمان" وهي تجيب بصوت متقطع:

-كانت بتحاول تصحي ديالا، بس هي مش حاسة بسبب العلاج، فقلقت وفضلت تسألني مالها. أنا رحت قولتلها... بس والله مكنتش أقصد يحصلها كده.

ربت "كريم" على كتفها بحزن وهو يحاول تهدئتها وقال:

-حصل خير يا عمتو، هي كده كده كانت هتعرف.

اقتربت "سلمى" من "إيمان" وعانقتها تهوّن عليها، بينما جلس "كريم" بجانب والدته يفحصها بحرص. ما لبثت أن استعادت وعيها، فنطقت أول كلمة خرجت من بين شفتيها بصوت مرتجف:

- ديالا...

اعتدلت "عايدة" بتعب واضح، ثم جذبت رأس "ديالا" بحنان إلى صدرها وبكت بحرقة وهي تقول:

-ليه؟ ليه بنتي يحصل فيها كده؟ طول عمرها ملهاش دعوة بحد، وعمرها مأذتش حد. ليه يحصل كده؟ والله حرام... حرام يا رب.

عـمّ الحـزن الغرفـة، وبكـى الجميـع بحرقـة علـى مصـاب "ديـالا". تسـاؤلات كثيـرة مزقـت قلـوبهم؛ مـا ذنبهـا أن تقـع فريسـة لـذئاب بشـرية بـلا رحمـة؟ مـا ذنبهـا فـي قانون يتهاون مع من فقدوا إنسانيتهم؟

وفـي الخـارج، وقـف "حسـني" بجانـب البـاب، يسـتمع لكـل مـا يجـري داخـل الغرفـة. كـان حزنـه أكبـر مـن أن يوصـف، ذلـك الرجـل الـذي لـم يـنحنِ ظهـره طـوال حياتـه إلا لربـه، هـا هـو اليـوم ينحنـي أمـام ثقـل المصـاب. مسـح دموعـه سـريعًا بأناملـه، تلـك الـدموع التـي كانـت أغلـى وأثقـل مـن أن تسـقط. بصـوت متهـدج، تمتم بحوقلة: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

تنهد "حسني" بحزن، ثم دخل الغرفة واقترب من الفراش. نظر إلى صغيرته "ديالا"، التي كانت مستلقية بلا حراك، وقبّل جبينها بحنان. دثرها جيدًا بالغطاء، ثم التفت إلى زوجته التي ما زالت تبكي بحرقة، وقال بصوت مختنق:

-قومي يا أم كريم، ارتاحي شوية، ولما تصحى شوفيها.

رفضت زوجته وهي تبكي بحرقة: مش هتحرك من مكاني غير لما أطمن على بنتي.

تنهد "حسني" بصوت عالٍ وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كان يعلم جيدًا عنادها، ويعرف أنها لن تتحرك من مكانها، لذلك تركها وبقي

بجانبها. نظر إلى "سلمى" التي كانت تعانق "إيمان" وتحاول تهدئتها، وقال بنبرة آمرة:

-سلمى، خدي إيمان واطلعوا فوق.

أومأت "سلمى" برأسها دون أن تنطق كلمة، وخرجت برفقة "إيمان" بهدوء.

ثم التفت "حسني" إلى "كريم"، ونظر إليه بغضب، وقال بحدة:

-فين أخوك؟

أجاب "كريم" بصوت خافت يحمل الحزن:

-أكيد في أوضته. آخر مرة شفته كانت امبارح بالليل.

سأله "حسني" بصرامة: مرحش صلى الفجر، صح؟

أطــرق "كــريم" برأســه خجــلًا. كــان يعلــم أنــه مخطــئ، فهــو أيضًــا لــم يصــلِّ، إذ لــم يــنم منــذ يــومين، وعنــدما غلبــه النــوم، لــم يســمع الأذان. فهــم والــده صــمته وقــال بسخرية مريرة:

-يــومين غبنــا عــن البيــت، حصــل كــده؟ روح شغلك، ولما تيجي، لينا كلام.

حاول "كريم" الاعتراض وقال بحزن:

-بابا، أنا...

قاطعــه "حســني" بصــرامة: ســمعت أنــا قلت إيه؟

نظــر "كــريم" إلــى والــده بحــزن، لكنــه أطاعــه وغــادر الغرفــة. جلــس "حســني" بجانــب "ديــالا" علــى الفــراش، وضــع يــده علــى رأســها وبــدأ يمســد خصــلات شــعرها

بحنـــان. ثـــم همـــس بصـــوت متهـــدج، ملـــيء بـــالوجع: حقـــك عليـــا يـــا حبيبتـــي. حاولـــت أحـــافظ عليـــكِ، بـــس اللـــي حصـــلك غصـــب عني... سامحيني.

***

في الجامعة...

انتهـــت المحاضـــرة، وتحركـــت "بســـملة" برفقـــة "جيهـــان" خـــارج المـــدرج. تطلعـــت "بســـملة" حولهـــا بتعجـــب، ثـــم قالـــت مستغربة:

-غريبه... نور مظهرتش لحد دلوقتي.

ردت "جيهـــان" بنبـــرة غيـــر مكترثـــة: يمكـــن عندها محاضرة تانية.

هـــزت "بســـملة" رأســـها بـــالنفي وقالـــت: لا، معندهاش حاجة غير بعد ساعة.

ابتسمت "جيهان" بقلق خفيف وهي ترد:

-ربنا يستر... لما بتختفي كده يبقى في مصيبة.

ضحكت "بسملة" وقالت بخفة: آه والله، المهم رني على دعاء شوفيها خلصت مع الدكتور ولا لسه.

أخرجت "جيهان" هاتفها وهي ترد:

-ماشي، وأنتِ ابعتي لي نور رسالة شوفيها فين.

أجرت "جيهان" اتصالها بـ "دعاء"، التي أخبرتها بأنها ما زالت مع الدكتور لكنها ستنضم إليهن في المطعم بعد دقائق. وفي هذه الأثناء، فتحت

"بسملة" هاتفها لتتواصل مع "نور"، لكنها وجدت رسالة منها تقول:

-"أنا في المطعم، تعالي بسرعة. عايزة أقولك حاجة مهمة."

التفتت "جيهان" إلى "بسملة" وقالت:

-دعاء قالت هتيجي ورانا.

أومأت "بسملة" وأجابت: ونور قاعدة مستنيانا هناك.

ابتسمت "جيهان" وقالت بحماس وهي تسير بجانبها:

-طيب، يلا بينا.

بادلتها "بسملة" البسمة وهي تتذكر حديثها الأمس عن كيف تصالحت هي و"نور" بعد كل ما حدث، قائلة بخفة:

-إزاي يـــا بنتـــي كنتـــوا متخاصـــمين وبعـــد كـــده رجعتـــوا أحبـــاب؟ القصـــة مـــش داخلـــة دماغي.

ضحكت "نور" وهي تجيب:

-مـــش قصـــة كبيـــرة زي مـــا أنـــتِ فـــاكرة، بس خليني أحكيلك من الأول.

Flashback

كـــان الجـــو فـــي الغرفـــة مشـــحونًا بـــالتوتر، وكـــل واحـــدة مـــنهن تحمـــل فـــي قلبهـــا تســـاؤلات لـــم تجـــد لهـــا إجابـــة بعـــد. جلســـت "بســـملة" واضـــعة يـــديها علـــى فخـــذيها، وهـــي تنظـــر بعينـــين متســـائلتين إلـــى "نـــور" و"جيهان"، تنتظر تفسيرًا لما يحدث.

فقالـــت بعـــدم فهـــم: إنتـــوا كنـــتم متخاصـــمين ولا أنا كان بيتهيألي؟

تبادلت "نور" و"جيهان" النظرات بصمت، ثم انفجرتا في ضحك عفوي كسر حدة الأجواء. فقالت "جيهان" بثقة وهي تميل بجسدها للأمام:

-يعني أنتم يا أذكياء فاكرين إني ممكن أعمل حاجة زي دي في نوره؟

استفسرت "بسملة" بعدم فهم: مش فاهمة.

ردت "جيهان" وهي تعتدل في جلستها:

-اسمعي يا ستي. اليوم اللي أشرف وعمو طلبوا مني أخلي نوره تمضي قسيمة الجواز، نوره شافتني وأنا خارجة من بيتها، بس عملت إنها مشافتنيش وكلمتني عادي. فأنا فكرت إنه مينفعش أخليها تمضي من غير ما

تعرف الحقيقة. لما جت عندي بالليل، قلتلها كل حاجة بصراحة.

قاطعتها "دعاء" بدهشة: ووافقت بسهولة؟

أومأت "جيهان" برأسها وقالت: وافقت، بس بشرط.

اتسعت عينا "دعاء" وهي تسأل: شرط إيه؟

تنهدت "جيهان" وقالت: إن محدش يعرف إنها عارفة حاجة، كانت عايزة تتصرف على إنها متفاجئة بكل اللي هيحصل، عشان تعرف تاخد حقها من أشرف لما زعق فيها.

هتفت "بسملة" بدهشة: يعني وافقتي عالجوازة عشان زعق فيكي؟

أجابت "نور" بابتسامة: أيوة، وقتها كنت عايزة أضايقه زي ما ضايقني. بس مكنتش أعرف إني هحبه.

قالت "دعاء" بضيق: وأنا ليه معرفش الكلام ده؟

ابتسمت "جيهان" وقالت وهي تشير إلى "نور":

-مليش دعوة. نوره قالتلي متقوليش لحد، حتى لما قلتلها إنك ممكن تعرفي، رفضت وقالت نشوف هتتصرفي إزاي لو عرفتي.

نظرت "بسملة" لهما بعصبية وقالت:

-والله يعني أنتم بتلعبوا علينا.

ردت "نور" بجديّة: هي لعبة فعلاً، بس مش عليكم.

استفسرت "بسملة" بنفاد صبر: أمال على مين؟

قالت "نور" وهي تتذكر: علا. كانت بتبعتلي رسائل مجهولة بتقول إن جيهان مش صديقة حقيقية، وإنها بتلعب بيا. في البداية ما كنتش فاهمة، لكن كنت محتارة.

قاطعتها "جيهان" وهي تنظر نحو "دعاء":

-الرسائل كانت من علا. ولما قابلتها بالصدفة عند الجامعة، خبطت فيها، واتخانقنا. وقتها قالتلي إن علاقتنا مجرد تمثيل وإننا بنكره بعض، وبعدها عرضت عليّ رهان.

تساءلت "دعاء" بدهشة: رهان إيه؟

ردت "جيهان"بجدية: لو أنا خسرت، أعتذرلها وأقول إنها صح. ولو هي خسرت، تعتذرلي بنفس الطريقة.

ضحكت "بسملة" وهي تهز رأسها بيأس:

-حتى الرهانات داخلة في صداقتكم؟

ردت "نور" وهي تشير بعينيها نحو "بسملة":

-الرهان كان لإثبات إننا أقوى من إنها تفرق بينا.

نظرت "دعاء" بتعجب إلى "نور" و"جيهان"، وقالت بعد لحظة صمت:

-يعني كل ده عشان تردوا على علا؟

قالت جيهان" بابتسامة واثقة:

-مش بس عشان علا. كان عشان نثبت لأنفسنا إن صداقتنا حقيقية وما تتهزش.

ضحكت "بسملة" وهي تميل برأسها:

-حقيقي أنتم أبطال مسلسل تركي. بس المرة الجاية دخّلوني في الدراما من الأول!

أردفت "نور" بابتسامة خفيفة: ولا يهمك، بس المرة الجاية هتكون القصة أمتع.

ضحكت "بسملة" وهي تميل برأسها قائلة بخفة:

-أنا فاهمة إنكم أبطال مسلسلات، بس المرة الجاية حاولوا تخلوني في الصورة من الأول!

ردت "نـــور" بابتســـامة خفيفـــة: ولا يهمـــك، بـــس المـــرة الجايـــة هتكـــون درامـــا جديـــدة، استعدي!

وعلـــى الـــرغم مـــن المـــزاح، كانـــت كـــل واحـــدة مـــنهن تـــدرك أن هنـــاك المزيـــد ممـــا تخفيه الأيام

Back

ولكـــن وراء هـــذا المـــزاح، كـــان الصـــراع مـــع "عـــلا" مـــا زال يشـــتعل فـــي الكـــواليس، و"نـــور" تعـــرف أن المواجهـــة الحقيقيـــة لـــم تنتهِ بعد.

***

فـــي أحـــد شـــوارع المدينـــة كانـــت "نـــور" تســـير بخفـــة ومـــرح، بعـــدما رفضـــت عـــرض "أشـــرف" لإيصـــالها. كـــان قـــد تلقـــى اتصـــالًا

هامًـــا، فطلـــب منهـــا الســـماح لـــه بالمغـــادرة، لكنها أصرت قائلة بخفة:

- مـــا تقلقـــش علـــيَّ، أنـــا كبيـــرة وكفايـــة عليـــك اللي عندك!

ورغـــم تـــرددە ورفضـــه الشـــديد، استســـلم فـــي النهايـــة أمـــام إصـــرارها. وهـــا هـــي الآن تتهـــادى بخطـــوات واثقـــة، تتـــنفس الحريـــة وتبتســـم بعـــدما حُلّـــت مشـــكلة زواجهـــا وأخيرًا تقبلتها بصدر رحب.

وفجـــأة، قطعـــت عليهـــا ســـيدة خمســـينية الطريـــق، صـــاحبة صـــوت جهـــوري نادتهـــا بحزم:

- إنتِ يا بت!

توقفـــت "نـــور" فـــي حيـــرة، وأشـــارت لنفسها متسائلة بمرح:

- أنا؟

أومأت السيدة برأسها واقتربت منها وهي تسلمها هاتفًا قديمًا بأزرار بارزة، قائلة بجدية مفرطة:

-خدي، اتصلي بـ "نعمة" عشان أقولها 'سميرة العقربة' عملت إيه!

حاولت "نور" كتم ضحكة كادت أن تفلت منها وهي تسمع هذه الجملة غير المألوفة. تناولت الهاتف من السيدة وبدأت بالبحث في قائمة الأسماء، لكنها لم تجد اسم "نعمة". رفعت رأسها وقالت بتردد:

-مفيش حد مسجل باسم نعمة هنا.

تأففت السيدة ووضعت يديها على خصرها، قائلة بضيق:

-أكيد العقربة هي اللي مسحتها عشان مكلمش نعمة. طيب شوفي مين اللي موجود عندك!

بدأت "نور" تقرأ الأسماء بصوت عالٍ: أم أحمد... أم سيد... و... أم خالد.

فجأة، انتزعت السيدة الهاتف منها بعصبية وقالت:

-هاتي بلا نيلة! رايحة فين؟ رايحة المدرسة، جاية منين؟ جاية من المدرسة، وفي الآخر مش عارفة إن "نعمة" هي "أم خالد"!

ثم ابتعدت وهي تمتم بضيق، تاركة "نور" تقف مذهولة في مكانها، لا تفهم ما حدث للتو. تمتمت لنفسها بشردود وهي تتابع السيدة بنظراتها:

-هو أنا كنت غايبة يوم ما خدوا درس إن نعمة هي أم خالد؟ طيب بس يا ترى خدوا الدرس ده في سنة كام؟"

أطلقت زفرة صغيرة وابتسمت وهي تهمس لنفسها:

-يلا يا نور، اسألي البنات عن نعمة دي. شكلي فعلاً طلعت فاشلة في فهم العلاقات الاجتماعية!

وأكملت طريقها، لكنها لم تستطع كتم الضحكة التي ظلت تتردد في عقلها وهي تتذكر حكاية "سميرة العقربة".

***

زفر بضيق وهو يجلس على المقعد بعدما يئس من أن تجيب على الهاتف. كان يشعر بالقلق عليها، يعلم أنها

حزينـــة، لكنـــه عـــازم علـــى فعـــل المســـتحيل ليجعلها من نصيبه.

طرقـــات خفيفـــة علـــى بـــاب مكتبـــه قطعـــت تفكيـــره، تبعهـــا دخـــول الممرضـــة التـــي قالـــت بلهجة عملية:

-فيـــه واحـــدة عـــايزة تقابـــل حضـــرتك يـــا دكتور.

رفـــع "إبـــراهيم" عينيـــه نحوهـــا باســـتغراب وسأل:

-مين؟

ردت الممرضـــــة وهـــــي تهـــــز رأســـــها: مقلتش اسمها.

أشار بيده وقال: خليها تدخل.

دخلـــت الزائـــرة بهـــدوء يشـــوبه الحـــزن. كـــان هـــو منشـــغلاً بترتيـــب بعـــض الأوراق

أمامه، وحين رفع رأسه ورآها، نهض من مكانه واقترب منها بقلق وهو يسأل:

-فيه إيه يا "جيهان"؟ وليه مش بتردي على الفون؟

نظرت إليه بعينين تحملان مزيجًا من الحزن والفرحة بسبب اهتمامه وخوفه عليها، ثم قالت بصوت خافت:

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أجابها وهو يشير نحو المقعد لتجلس:

-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

اتفضلي اقعدي.

جلست على الكرسي، وبدا عليها التردد قبل أن تقول بحزن:

-أنا جاية أقولك...

توقفت ولم تكمل حديثها، فنظر إليها بابتسامة مشجعة وقال:

-كملي يا "جيهان"، أنا سامعك.

رفعت عينيها نحوه، وتعلقت بنظراته السوداء الكحيلة للحظة قبل أن تتنهد وتقول:

-أنا آسفة، بس مش هينفع أكلمك تاني. من فضلك، امسح رقمي ومتحاولش تتصل بيا.

وقفت استعدادًا للمغادرة، لكنها حين وصلت إلى الباب استدارت لتنظر إليه نظرة أخيرة. كادت تخرج حين سمعت صوته يناديها:

-استني!

اقتـــرب بخطـــوات ثابتـــة ليقـــف خلفهـــا ويسأل:

-معلش، قلتي إيه؟ عشان مسمعتش.

التفتـــت إليـــه بتـــوتر وقالـــت: أنـــا خطـــوبتي بكرة... على ابن عمي.

صمت قليلاً قبل أن يرد بكلمة واحدة:

-وبعدين؟

نظـــرت إليـــه بحيـــرة وانهـــارت أخيـــرًا، عـــادت إلـــى الكرســـي وجلســـت عليـــه، ثـــم همســـت بحزن:

-إحســـاس الخيانـــة وحـــش أوي. أنـــا بكـــره الخيانة وبكره أي حد بيخون.

جلـــس علـــى كرســـيه المقابـــل لهـــا، مســـتمعًا لكـــل كلمـــة تقولهـــا. تنهـــدت بصـــوت مرتفـــع وأكملت:

- أنا مش موافقة على "ابن عمي"، وهو عارف، بس بابا وافق. حاليًا مقدرش أعمل حاجة، لكن كده كده خطوبتي هتتفشكل سواء طولت أو قصرت. ومع ذلك، ده ميعطنيش الحق إني أخونه وأكلمك.

رفعت رأسها لتواجهه، وعيناها تلمعان بالدموع. ثم قالت بصدق:

-مجرد التفكير فيك خيانة، وأنا هكره نفسي لو خنته. عشان كده، مش هينفع يكون بينا أي تواصل غير لما خطوبتي منه تنتهي.

نظر إليها بفخر وابتسم كابتسامة أب يرى نجاح ابنته، ثم قال:

- أنـــا فخـــور بيـــكِ وبتفكيـــرك. حاضـــر، مـــش هـــرن عليـــكِ تـــاني. بـــس عـــايزك متـــزعليش وتطمنـــي، لأنـــي مـــش هســـمح للخطوبـــة إنهـــا تتم.

نظـــرت إليـــه بتســـاؤل، لكنـــه ابتســـم بخبـــث ونهـــض مـــن كرســـيه لـــيجلس علـــى كرســـيه الرئيسي، قائلاً:

- تقـــدري تمشـــي دلـــوقتي، عشـــان مشـــغول. ونتقابل بكرة.

لـــم تتحـــرك، بـــل ظلـــت تحـــدق فيـــه بضـــيق قبـــل أن تسأله:

-أنـــا مـــش فاهمـــة... إزاي الخطوبـــة مـــش هتم؟

أجابهـــا بهـــدوء وهـــو ينظـــر إلـــى ســـاعته: والله لـــولا إنـــي عنـــدي شـــغل، مكنـــتش قلتلـــك

امشـــي. لأن مفـــيش حاجـــة أحـــب علـــى قلبـــي من وجودك.

احمـــــر وجههـــــا خجـــــلًا، وغـــــادرت دون أن تضيف كلمة أخرى.

***

صـــرخاتها مـــلأت المنـــزل، رافضـــة رفضًـــا قاطعًـــا أن يـــرتبط ابنهـــا الصـــغير بواحـــدة ملوثـــة كهـــذه. أمـــا هـــو، فكـــان يجلـــس أمامهـــا بـــلا مبـــالاة، وكـــأن صـــراخها لا يعنيـــه؛ فقـــد اتخذ قراره، وانتهى الأمر.

حـــاول "ياســـر" التـــدخل لتهدئـــة الوضـــع بـــين زوجتـــه العنيـــدة وابنـــه الـــذي ينافســـها في العناد:

-اهـــدي يـــا 'روبـــين'، المواضـــيع متـــتحلش كده.

صرخت "روبين"، وقد فاض بها الكيل:

-اهـــدى؟ اهـــدى إزاي؟ وابنـــي عـــايز يتجـــوز واحدة رخيصة زي دي!

وهنـــا لـــم يســـتطع "مـــارس" الاســـتمرار فـــي التـــزام الهـــدوء، فـــانتفض مـــن مكانـــه صـــارخًا فـــي وجههـــا، متناســـيًا تمامًـــا أنهـــا والدته التي يجب عليه احترامها:

-مامـــا! إيـــاكي تقـــولي عنهـــا إنهـــا رخيصـــة تـــاني! ذنبهـــا إيـــه فـــي اللـــي حصـــلها؟ ردي! كـــان ممكـــن اللـــي حصـــلها يحصـــل مـــع حضـــرتك أو مـــع 'منـــار'، يـــا تـــرى كـــان كلامك هيختلف؟

اقتربـــت منـــه "روبـــين"، وصـــفعته علـــى وجهـــه صـــفعة دوى صـــوتها فـــي الأجـــواء، وجعلت الجميع في حالة صدمة.

ركضت "منار" بلهفة نحو "مارس"، وأمسكت بذراعه، تحاول جذبه بعيدًا عن المواجهة خوفًا من أن تتفاقم الأمور أكثر، وهي تقول معتذرة:

-حقك عليا يا "مارس"، عشان خاطري، تعالى معايا وبعدين نتكلم.

أبعدها برفق، ثم اقترب ليقف أمام والدته، ينظر في عينيها بتحدٍّ:

-هستنى لما أخوها يرد عليا ويقولي إنهم موافقين عشان نروح نخطبها. ولو حضرتك رفضتي تروحي معايا، أو حاولتي تبعديها عني، هيكون ده آخر يوم ليّا هنا. يومها، اعتبري إن ابنك مات، وأنا كمان هعتبر إن ماعنديش أم.

تركها تستوعب كلماته بصدمة، وصعد إلى غرفته، تتبعه "منار" بصمت.

وقف "ياسر" في مكانه، ينظر إلى "روبين" بضيق، ثم قال بحدة:

-عاجبك كده؟ متعرفيش تتكلمي براحة أبداً!

غادر المنزل دون انتظار ردها، وصفع الباب خلفه بقوة. التفتت "روبين" نحو "فارس"، الذي كان يجلس بهدوء وكأن ما يحدث لا يعنيه، وقالت بعصبية:

-وأنت كمان مستني إيه؟ قول كلمتين وامشي زيهم! مانت السبب، لما اتجوزت واحدة من المستنقع ده! أكيد شافها يوم خطوبتك من 'السنيورة'!

ابتسم "فارس" بهدوء، ورد بعقلانية:

-سبيك من "السنيورة" لأنها خلاص بقيت مراتي، وأكيد أنتِ عارفة إن مفيش قوة على الأرض هتبعدني عنها إلا لو ربنا ليه حكمة في كده. عشان كده، خلينا في المهم.

نظر إليها بثبات وأكمل: البنت من عيلة محترمة، وأخلاقها مفيش حد يقدر يقول عليها كلمة. أنا سألت عنها بنفسي، ده أولاً. ثانيًا، اللي هيتجوزها هو "مارس"، مش حد فينا. هو اللي هيشيل نتيجة اختياره، سواء كان صح أو غلط.

تنهد، ثم أردف: وثالثًا، أنا عمري ما أقبل على أخويا إنه يرتبط بواحدة رخيصة زي ما بتقولي. ولو فيه نسبة ١٪ إنها مش كويسة، كنت وقفت قصاده

ومنعتـــه بكـــل الطـــرق. بـــس الحقيقـــة إن البنت كويسة جداً، وأنا فخور باختياره.

صـــرخت فيـــه بجنـــون: فخـــور؟ فخـــور إنـــه يتجوز واحدة زي دي؟

رد عليهـــا بتنهـــد ضـــيق: ماـــا، اللـــي حصـــل للبنـــت خـــارج عـــن إرادتهـــا، وكلامـــك ده هيخليـــكِ تخســـري "مـــارس". وإنـــتِ عارفـــة إنـــه طـــول عمـــره مـــا بيعتمـــدش علـــى حـــد، يعنـــي ممكـــن يســـيب البيـــت ويعـــيش لوحـــده. وأظـــن إنـــك مـــش هتكـــوني مبســـوطة لـــو حصل كده.

وقـــف ليســـتعد للمغـــادرة، ثـــم قـــال قبـــل أن يتركها:

-راجعـــي نفســـك يـــا ماـــا، عشـــان ده حقـــه إنه يختار البنت اللي عايزها. بعد إذنك.

غـــادر المكـــان وصـــعد إلـــى غرفـــة شـــقيقه، تاركًا "روبين" في مواجهة أفكارها.

***

كانـــت فرقـــة "المجـــانين" تجلـــس علـــى إحـــدى الطـــاولات فـــي المطعـــم، يتنـــاولون الطعـــام بهـــدوء غيـــر معتـــاد، قبـــل أن تقطـــع ذلك الهدوء "بسملة" بسؤالها:

-كنتي فين يا 'نور'؟

ردت "نـــور" بعـــد لحظـــات مـــن الصـــمت:

كنت مع 'أشرف'.

ضـــج تصـــفيق حـــار مـــن "بســـملة"، وهـــي تهتف بحماس:

-اشطا! كنتي بتعملي إيه بقى؟

بـــدأت "نـــور" تســـرد مـــا حـــدث بتفاصـــيلها، وهي تشعر بالحماس:

-اسمعي يا ستي، لما نزلت من عندك لقيته واقف مستنيني. في الأول مردتش أركب معاه، بس بعدين قعد يتحايل شوية فصعب عليا وركبت. وقف قدام عمارة وقال لي: "انزلي". في الأول مردتش، بس بعدين نزلت وطلعت معاه الشقة.

-طلعتي معاه الشقة؟!

سؤال خرج بصدمة من "دعاء"، لترد "نور" بضيق واضح من مقاطعتها وصدمتها المبالغ فيها:

- أيوة ياختي، ده جوزي على فكرة.

ردت "دعاء" بحدة: ولو! برضو أنتِ اتجننتي تطلعي معاه الشقة؟

نظرت "بسملة" إلى "دعاء" بسخرية، ثم وجهت حديثها إلى "نور":

-إزاي يعني تطلعي مع جوزك الشقة، عشان عايز يتكلم معاكي ويفهمك اللي حصل؟ أكيد كان عايز يخلص من حوار الطلاق اللي أنتِ ماسكة فيه.

ثم تجاهلت "دعاء"، التي تنظر إليها بعدم تصديق، وقالت بجدية:

- كملي يا "نور"، وسيبك من الشيخة 'دعاء'.

ابتسمت "نور" عندما رأت وجه "دعاء" يشتعل غضبًا، وقالت وهي تستأنف:

-وبس يا ستي، طلعت وفضل يتحايل ويبوس إيدي ويقول لي: "أنا آسف". صعب عليا وقلت أكسب فيه ثواب.

-كذابة!

قاطعتهـــا "جيهـــان"، التـــي أكملـــت بسخرية:

-هتموتي عليه، وتقولي صعب عليا؟

اشـــتعلت نظـــرات "نـــور" بالغضـــب، وهتفـــت بين احتكاك أسنانها:

-أنـــتِ مالـــك يـــا بـــاردة؟ وبعـــدين كنـــتِ معايـــا عشان تقولي كدابة؟

أجابت "جيهان" باستفزاز وهي تكذب:

-أيوة، كنت معاكِ.

تجاهلتهـــا "نـــور"، ووجهـــت حـــديثها إلـــى "بسملة" لتكمل:

- وبعـدين يـا بـت يـا 'بسـوا'، سـامحته وقـال لـي إنـه هيجـي يخطبنـي مـن جديـد، ويعملـي أحلى خطوبة عشان مزعلش.

قالـــت الجملـــة الأخيـــرة بحمـــاس، ففـــرح الجميع بالخبر، وتمنوا لها السعادة.

نظرت "جيهان" إلى "دعاء"، وسألتها:

-وإنتِ يا 'دعاء'، عملتي إيه؟

أنصـــت الجميـــع باهتمـــام، لتـــرد "دعـــاء" بضيق:

-طلعنـــي غلطانـــة، وقـــال لـــي إنـــه جـــاي عنـــدنا فـــي الليـــل وهيجيبهـــا معـــاه، وبعـــدين يحاسبني على إني شكيت فيه.

قالـــت "نـــور" بتفكيـــر: تفتكـــري تطلـــع مـــين؟ ممكن تكون أخته.

نفـــت "دعـــاء" هـــذه الفكـــرة: معنـــدوش أخوات غير 'مارس'.

همّت "جيهان" أن تتحدث، ولكن قاطعها صوت خلفها يقول بعدم تصديق:

-جيهان عثمان!

وقفت "جيهان" لترى من المتحدث، لتصيح بفرحة عندما رأتها. دفعت المقعد بعيدًا وعانقتها بسعادة، وهي تهتف:

-منوش! وحشتيني يا بنتي! مختفية فين كل ده؟

ردت "منار"، وهي تبادلها العناق: أنا برضو يا واطية اللي مختفية؟ مش أنتِ اللي غيرتي رقمك ومكلفتيش نفسك ترني عليا؟

ابتعدت "جيهان" عنها وقالت باعتذار:

-والله، الأرقام كلها اتمسحت من عندي ومعرفتش أوصلك.

ابتسمت "منار" باشتياق، وقالت:

-وحشـــتيني والله. إيـــه ده؟ "نـــور المهـــدي" كمان هنا؟

وقفـــت "نـــور" ترحـــب بهـــا، فهـــي صـــديقة "جيهـــان" منـــذ الطفولـــة، و"نـــور" بـــالطبع تعرفها جيدًا:

-أخبـــارك إيـــه يـــا "منـــار"؟ وحشـــانا أيامـــك والله.

صـــافحتها "منـــار" بســـعادة: الحمـــد لله بخير. وإنتو والله كلكم واحشيني.

ثـــم قالـــت بمـــرح: إيـــه؟ مـــش هتعرفـــوني علـــى الحلويـــات وتقولـــولي اتفضـــلي يـــا برنسيسة؟

ضـــحكت "جيهـــان" وقالـــت بمشاكســـة: هـــي لسه حكاية البرنسيسة شغالة؟

ردت "منـــار" بجديـــة وغمـــزة: طبعـــاً، دي فيها كلام!

أشـــارت "جيهـــان" إلـــى "بســـملة": دي 'بسملة علي'، صاحبتي.

تبادلـــت "منـــار" و"بســـملة" الســـلام بابتسامة هادئة.

ثـــم أشـــارت "جيهـــان" إلـــى "دعـــاء"، التـــي تجلـــس مصـــدومة منـــذ أن رأت "منـــار"، لا تصـــدق أن "جيهـــان" و"نـــور" يعرفونهـــا. كيـــف؟ وهـــي نفـــس الفتـــاة التـــي عانقـــت زوجها ولم يخبرها أحد عنها.

قبـــل أن تتحـــدث "جيهـــان"، قالـــت "منـــار" بحماس:

-مـــش معقـــول! 'دعـــاء' كمـــان هنـــا؟ دي احلوت أوي!

نظـــرت لهـــا "دعـــاء" بحاجـــب مرفـــوع، وردت بضيق:

-واللهِ؟

نظـــرت "نـــور" إلـــى حمـــاس "منـــار" واشـــتعال غضـــب "دعـــاء"، التـــي بـــدأت تطـــرق الطاولـــة بضـــيق، وقالـــت بعـــدما فهمت:

-أوعـــي تقـــولي إنـــك الشـــريرة فـــي روايـــة 'دعاء'!

ســـحبت "منـــار" مقعـــدًا واقتربـــت مـــن الطاولـــة وهـــي تبتســـم وتـــومئ برأســـها موافقة.

ابتســـمت "جيهـــان" بســـخرية بعـــدما فهمـــت الموقـــف؛ فهـــي الوحيـــدة التـــي تعـــرف

الـــرابط الـــذي يجمـــع "منـــار" بـــ"فارس".

ثم قالت مازحة:

-معقـــول يـــا "دعـــاء"؟ أنـــتِ مريضـــة بالـــدكتور "فـــارس" لدرجـــة إنـــك تعملـــي حـــداد طـــول الليـــل وتصـــحى الصـــبح تلبســـي أســـود، عشان شفتيه بيحضن أخته؟

-أخته؟

***

طرقـــت البـــاب برفـــق، وانتظـــرت حتـــى ســـمح لهـــا بالـــدخول. ولجـــت بخطـــوات واثقـــة تعكـــس كبرياءهـــا المعتـــاد، وجلســـت علـــى المقعـــد أمامـــه واضـــعةً قـــدمًا فـــوق الأخـــرى، تنظر إليه بثقة جمّة، قبل أن تقول:

أخبارك إيه يا "إبراهيم"؟

رفـــع "إبـــراهيم" نظـــره نحوهـــا، ورد بعملية واضحة:

-بخيـر يـا دكتـورة 'هـاجر'. قلـتِ إنـك عـايزة تتكلمي معايا في حاجة مهمة. خير؟

لـم تتـردد "هـاجر" فـي الـرد، بـدا صـوتها واثقًـا، بـل وأقـرب إلـى الغـرور، وهـي تقول:

-أنـت زمـان طلبـت إيـدي، وأنـا رفضـت. دلوقتي أنا جاية أقولك: تتجوزني.

*****

الفصل الثالث والعشرون

وخوفي منك يا الله.

كـــان يـــدفعني لتصـــديق كـــل مـــن يحلـــف باسمك، كنت اظنهم يخافون مثلما افعل.!

***

توقفـــت "دعـــاء" للحظـــة، ثـــم همســـت بصدمة وهي تنظر إلى "منار":

-أخته؟

انفجـــرت "منـــار" ضـــاحكة، ومالـــت نحوهـــا وهي تهمس بمرح:

-يعني اتصدمتي كده؟

لـــم تســـتوعب "دعـــاء" مـــا ســـمعته، فتمتمـــت بعدم فهم:

-أخته إزاي يعني؟ مش فاهمة.

هـــدأت "منـــار" مـــن نوبـــة الضـــحك، واســتقامت فــي جلســتها وهــي تقــول بجديــة وكأنها تشرح أمرًا مهمًا:

-بصـــي يـــا ســـتي، مـــن ٢٢ ســـنة ونـــص، اتولـــدت، ولمـــا فتحـــت عينـــي لقيـــت ولـــد صـــغير شـــايلني. لمـــا ســـألت ده مـــين؟ قـــالولي إنـــه أخـــوكي. والوالـــد الصـــغير ده يـــا ستي هو الدكتور فارس، أخويا.

نظـــرت "دعـــاء" إليهـــا بدهشـــة بالغـــة، وكأنهـــا تحـــاول اســـتيعاب مـــا قيـــل للتـــو.

تدخلت "جيهان" وهي تبتسم:

-أنـــا مـــش عارفـــة إزاي أنتـــي متعـــرفيش، بـــس أنـــا عارفـــة إن منـــار أخـــت الـــدكتور فارس.

لاحظت "منار" الحزن الذي بدأ يتسلل إلى وجه "دعاء"، فقالت بهدوء:

-لما فارس قرر يخطبك، كنت مسافرة. كلّمني وقالي، وأنا قولتله ميتكلمش عني قدامك لحد ما أرجع وأشوفك بنفسي.

شعرت "دعاء" بالإحراج، خاصة بعدما اتهمت "فارس" بالخيانة. تمتمت بخجل:

-يعني أنتي أخته بجد؟

تدخلت "بسملة" بسرعة، محاولة تخفيف الأجواء:

-خلاص يا جماعة، حصل خير.

كان الجميع يتابع الحديث بتركيز، لكن "نور" قررت تغيير الأجواء لتقول بابتسامة مشاكسة:

-بت يا منار، إيه رأيك تيجي معانا حفلة تنكرية؟

نظرت "جيهان" إليها بعدم فهم: حفلة إيه؟

ردت "نور" بمشاكسة: حفلة خاصة برفقة المجانين، باستثنائك طبعًا.

أصرت "جيهان" بعناد: ليه يعني؟ هحضر معاكم طبعًا.

غمزت لها "نور" بخفة: انسي يا حبيبتي. المهم يا منار، إيه رأيك؟

ردت "منار" بحماس: طبعًا يا باشا، دي فيها كلام؟ أنا أموت في الحفلات الخاصة.

ضحكت "نور" بخبث وقالت: رقمك بقى، عشان الحفلة سرية وميـنفعش حد يعرف عنها.

تبادلت "منار" و"نور" الأرقام وسط ضيق "جيهان"، التي صاحت بغضب مصطنع:

-ماشي يا نوره.

كادت "نور" أن ترد، لكن صوت هاتف "بسملة" قاطعها. صدح الهاتف بنغمة أغنية مميزة، جعلت "نور" و"جيهان" و"دعاء" ينفجرن ضاحكات، بينما نظرت إليهن "بسملة" بغضب وأغلقت الهاتف بعصبية، ثم وضعته على الطاولة.

رددت "نـــور" بمـــرح وهـــي تـــدق علـــى الطاولة بنفس إيقاع النغمة:

-خايفـــة لمـــا تســـافر علـــى البلـــد الغريـــب... تنسى إنك سايب في بلدك حبيب.

أكملـــت "جيهـــان" وهـــي تقلـــدها: مســـتني بأشواق... تعباه تعباه.

انـــدمجت "منـــار" معهمـــا قائلـــة: كـــان نفســـي أكون جنبك حبيبة... حبيبة من بلدك.

شـــاركت "دعـــاء" بابتســـامة خجولـــة: لمـــا تجينـــي تـــاني تـــاني... آه تـــاني تـــاني تـــاني من البلد الغريب.

ضـــحكن جميعًـــا معًـــا وبـــدأن التصـــفيق، إلا أن "بسملة" صاحت بسخرية:

-خلصـــتم؟ هنطـــرد مـــن المطعـــم بســـبب خفتكم!

نظـــرت "نـــور" إليهـــا بخفـــة وابتســـمت قائلة:

-مـــا تخـــافيش يـــا بســـوا، كـــل اللـــي هنـــا عارفين إننا مجانين.

تـــدخلت "دعـــاء" بجديـــة، محاولـــة تهدئـــة الموقف:

-فيـــه إيـــه يـــا بســـملة؟ مـــش كنـــا اتفقنـــا إن الموضوع انتهى؟

ردت "بســـملة" بعصـــبية وهـــي تحـــاول التظاهر باللامبالاة:

-موضـــوع إيـــه؟ دي مجـــرد أغنيـــة والســـلام. أنتم اللي مكبرين الأمور.

ضـــحكت "نـــور" وقالـــت بمكـــر: إحنـــا مكبرينهـــا ولا أنتـــي اللـــي زعلانـــة بســـبب اللي حصل امبارح؟

صـــــاحت "بســـــملة" بحـــــدة: نورهـــــان! خلصنا.

اتســـــعت عينـــــا "نـــــور" بصـــــدمة، وقالـــــت بدهشة مصطنعة:

-نورهان؟ والله!

حاولت "دعاء" التهدئة وقالت بلطف:

-خـــلاص يـــا نـــور. وأنـــتِ يـــا بســـملة، ملـــوش لازمة تزعلى على حاجة فاضية.

تنهـــدت "بســـملة" بحـــزن وقالـــت بصـــوت منخفض:

-فعلاً... ملوش لازمة.

ســـاد الصـــمت للحظـــات، ثـــم تحـــدثت "نـــور" و"دعـــاء" فـــي نفـــس الوقـــت، بلهجـــة مليئـــة بالاعتذار:

- آسفين يا بسملة، متزعليش.

ابتسمت "بسملة" ورفعت رأسها لترد بمرح:

-ولا يهمكم يا حلويات.

عاد الجميع إلى حديثهم وضحكاتهم، بينما كانت "منار" تندمج معهم، وكأنها جزء من هذا الجنون منذ البداية

لم يتفاجأ "إبراهيم" من صراحة "هاجر"، بل اعتدل في جلسته ورد بابتسامة هادئة:

-آسف، بس أنا تقريبًا خطبت.

رفعت "هاجر" حاجبها بكبرياء، وسألته بنبرة تحمل بعض التحدي:

-البنت اللي كل يوم تجيك المستشفى، صح؟

ابتسم "إبراهيم" بحب حين مرّ طيفها في ذهنه وهمس:

-جيهان.

نظرت إليه "هاجر" بنظرة مستفهمة، ليضيف بتوضيح:

-اسمها جيهان. وحاليًا، أنا منتظر والدها يرد عليا.

نهضت "هاجر" وهي تمسك بحقيبتها، وقالت بنبرة خافتة:

-مبروك يا دكتور.

رد عليها بابتسامة هادئة: الله يبارك فيكِ، عبقالك.

غادرت المكتب بخطوات هادئة، بينما تنهد "إبراهيم" واستسلم لذكريات الماضي. تذكر أيام الجامعة، حين كانت

"هـــاجر" زميلـــة مجتهـــدة لا تهـــتم بأحـــد، وهـــذا مـــا جذبـــه إليهـــا. فـــي أول فرصـــة سـنحت لـــه، تقـــدم لخطبتهـــا، لكنهـــا رفضـــته بلباقـــة. لاحقًـــا، علـــم أنهـــا كانـــت تحـــب شخصًا آخر وتزوجته أثناء دراستهما.

تنهـــد مجـــددًا وحـــدث نفســـه: فـــي الحقيقـــة، أنـــا مكنـــتش بحبهـــا. كنـــت شـــايفها مناســـبة وبس.

عـــاد بظهـــره للخلـــف، وجـــذب هاتفـــه ليبعـــث برسالة قصيرة إلى أحدهم:

-إيه آخر الأخبار؟

لـــم يمـــر ســـوى دقيقتـــين حتـــى جـــاءه الـــرد: كله تمام، اطمن يا دوك.

ابتســـم وهـــو يتـــذكر أول لقـــاء لـــه بـــ "جيهان" منذ عامين...

Flashback

كان يسير باتجاه مكتب الدكتور "فارس" في الجامعة عندما اصطدم بفتاة ترتدي فستانًا سماويًا مع حجاب أبيض. كانت تبدو كزهرة حمراء وسط باقة من الزهور البيضاء.

كانت تحمل بعض الكتب التي سقطت منها أثناء الاصطدام. كاد "إبراهيم" أن ينحني لمساعدتها، لكنها جذبت كتبها بسرعة وابتعدت دون أن تعيره اهتمامًا أو حتى تسمع اعتذاره.

وقف في مكانه ينظر إليها وهي تبتعد بخطوات مسرعة، ثم ابتسم وهو يهمس لنفسه: إيه الصباح الجميل ده!

أمـــا "جيهـــان"، التـــي كانـــت تـــركض بلهفـــة للحـــاق بمحاضـــرتها، فلـــم تهـــتم بمـــن اصـــطدمت بـــه، إذ كـــان كـــل مـــا يشـــغلها ألا يرفض الدكتور دخولها بسبب تأخرها.

Back to Present

عـــاد "إبـــراهيم" مـــن شـــروده بابتســـامة واسعة وهمس لنفسه:

-هـــي جميلـــة أوي... وأجمـــل هـــدايا القـــدر يـــا قدري.

***

انتهـــى اليـــوم وجـــاء المســـاء فـــي منـــزل "دعـــاء". جلـــس "فـــارس" و"مـــارس" و"منـــار" مـــع والـــدها، "مصـــطفى"، يتحـــدثون عـــن مواضـــيع عامـــة كالسياســـة وكـــرة القـــدم. كانـــت الأجـــواء هادئـــة إلـــى أن

قطعت حديثهم "دعاء" بدخولها، ترتدي فستانًا أنيقًا أخضر اللون يبرز جمال عينيها الخضراوين. ألقت التحية بتردد قائلة:

-السلام عليكم.

رد الجميع بصوت واحد: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

حاول "فارس" أن يتجاهل وجودها، لكن عينيه خانتاه، فالتفت نحوها بابتسامة خفيفة وعينين تتلألآن كنجوم الليل. لم يستطع مقاومة تأمل ملامحها الساحرة؛ عيناها الخضراوان تشبهان غابة هادئة، وحجابها الأبيض الذي يغطي خصلات شعرها يضفي عليها طابعًا ملائكيًا. تمتم في داخله:

"هـــذه الفتـــاة فتنتـــي الوحيـــدة... أتمنـــى أن لا يراها أحد غيري."

اقتربـــت "منـــار" مـــن "دعـــاء" وعانقتهـــا وهمســـت لهـــا بشـــيء لـــم يســـمعه أحـــد. ثـــم قالت بمرح:

-والله وحشتيني!

ضـــحكت "دعـــاء" بخجـــل وهـــي تـــرد: وأنـــتِ أكتر.

رفـــع "فـــارس" حاجبيـــه باســـتغراب، ونظـــر نحو "دعاء" متسائلًا بسخرية خفيفة:

-وأنتِ أكتر؟ أزاي يعني؟

أجابـــت "منـــار" بـــدلًا عنهـــا بابتســـامة ماكرة:

-إيه ده؟ هو أنت متعرفش؟

قال بنبرة حادة قليلًا: لا، معرفش!

جلست الفتاتان معًا، بينما ظل "فارس" يراقبهما بشك، فقالت "منار" وهي تضحك:

-مش أنا ودعاء طلعنا أصحاب.

رد بتوجس: اللي هو أزاي؟

أوضحت "منار" بابتسامة: النهارده وأنا رايحة أشوف فريدة، قابلت جيهان، صحبتي القديمة، وطلعت دعاء معاها. واتعرفنا، وجيهان قالتلها إننا أخوات. وبس يا سيدي.

تنهد "فارس" وقال بنبرة هادئة: حصل خير.

ثم التفت إلى "دعاء" ونظر إليها نظرة مليئة بالعتاب، وكأنه يقول بعينيه:

-"علمتِ الآن ما علاقتي بـ'منار'؟" بدت "دعاء" خجولة وهي ترد بابتسامة اعتذار صامتة.

قاطع حديثهم صوت "منار" التي تساءلت بمرح:

-مش هتوريني هتلبسي إيه بكرة، يا دعاء؟

تساءل "فارس" بحدة وهو يوجه حديثه نحو "دعاء":

- ليه؟ رايحة فين بكرة؟

حاولت "دعاء" أن ترد، لكن "منار" سبقتها قائلة:

-بكرة خطوبة جيهان، والبنات كلهم رايحين من أول الصبح.

أشاح "فارس" وجهه عنها وهو يضغط على يده بوضوح. كانت "دعاء" تدرك من صمته أنه غاضب لأنها لم تخبره مسبقًا. حاولت التبرير بعينيها، لكن الحديث قُطع بصوت والدها:

-ربنا يتمملها بخير.

أردف "مارس" مبتسمًا: ربنا يتمملها بخير وعقبال فرحكم، يا فارس.

ابتسمت "دعاء" بخجل وقالت: وعقبالك يا رب.

رد "مارس" بابتسامة حالمة: إن شاء الله قريب.

صاحت "منار" ضاحكة: مش عارفة إن مارس كمان هيخطب قريب؟

اتسعت عينا "دعاء" بفرح: بجد؟

ابتسم "مارس" وهو يجيب: إن شاء الله، وهي من البلد هنا.

تساءل "مصطفى": بنت مين؟

أجاب "مارس" بهدوء:

-بنت حسني محمد أبو بكر.

ردت "دعاء" بحماس عفوي: أخت تامر؟

على الفور، تحول وجه "فارس" إلى الغضب، ونظر إليها نظرات نارية قائلًا:

-تعرفيه منين؟

ارتبكت "دعاء" وقالت بتوتر: هو... هو كان... كان هيخطب بسملة.

قال "مصطفى" وهو لم يرَ النظرات المتبادلة بين "فارس" و"دعاء":

-يلا يا دعاء، جهزي العشا.

وقبل أن يعترض "فارس"، رد "مصطفى" بحسم:

-عيب يا بني. ده بيتكم، وإحنا مستنيينكم من بدري.

ابتسم "مارس" مازحًا: أنا عن نفسي مكنتش همشي من غير عشا. واقع من الجوع!

نهضت "دعاء" و"منار" لتحضير العشاء...

وبعد دقائق وضعوا الطعام على طاولة صغيرة (الطبلية)، وجلس الجميع لتناول الطعام بهدوء. الرجال في المندرة، بينما البنات جلسن في الداخل. بعد الانتهاء من العشاء، استأذن "فارس" للحديث مع "دعاء" بمفردهما.

دخلت "دعاء" غرفتها وترك "فارس" الباب مفتوحًا خلفه. جلست على فراشها بتوتر، بينما جلس هو على المقعد المقابل للطاولة التي تستخدمها للدراسة. ظل ينظر إليها بصمت حتى قطع هو الهدوء بقوله: قولي لي يا دعاء، غلطتي في حقي كام مرة النهارده؟

رفعت عينيها إليه بصدمة، قائلة: أنا مغلطش ولا مرة!

رد بعصبية واضحة: والله؟ تحبي أقولك أنا كام مرة؟

وحينما وجدها صامتة أكمل حديثه بغضب، ونبرة قوية:

-أول غلطة لما شكيتي فيا واتهمتيني إني بخونك، ومستنتيش لحظة تعرفي

منـــي الحقيقـــة. التانيـــة لمـــا مقلتلـــيش إنـــك رحتـــي مـــع أصـــحابك مكـــان مـــن غيـــر علمـــي. وكمـــــان رايحـــــة بكـــــرة عنـــــد جيهـــــان ومكلفتـــيش نفســـك تقـــولي لـــي. والتالتـــة، والأهـــم، إنـــك تنطقـــي اســـم راجـــل قـــدامي ولا كأنه واحد صاحبك!

لـــم تســـتوعب "دعـــاء" كلماتـــه بالكامـــل، لتهمس بغصة بكاء:

- أنـــا آســـفة... مقصـــدش أشـــك فيـــك، بـــس لمـــا شـــفتها فـــي حضـــنك خفـــت تســـبني بعـــد ما تعلقت بيك.

تحـــدث بعصـــبية أكبـــر وهـــو يـــنهض مـــن على المقعد:

-أســـيبك إيـــه يـــا مجنونـــة؟ هـــو أنـــا عنـــدي أغلى منك؟

لـــم تتحمـــل "دعـــاء" صـــراخه، فـــانهمرت دموعها كالشلال، قائلة بصوت متقطع:

-أنـــا طـــول الوقـــت مســـتنية اللحظـــة اللـــي هتســـبني فيهـــا... لســـه مـــش مصـــدقة إنـــك بقيت ليا لوحدي!

بـــدأ "فـــارس" يتحـــرك فـــي الغرفـــة بضـــع خطـــوات ليهـــدأ، ثـــم عـــاد إليهـــا وجـــذبها لتقـــف أمامـــه. همـــس لهـــا بنبـــرة هادئـــة ليطمئنها:

-بصـــي فـــي عنيـــا يـــا دعـــاء، وقـــولي لـــي... دي نظـــرة عينـــين ممكـــن تشـــوف غيـــرك؟ أنـــا متمنـــتش فـــي حيـــاتي حاجـــة قـــد مـــا تمنيتك.

ردت دون وعي وهي تحدق في عينيه:

-عينيك حلوين.

ابتسم "فارس" بتأثر، وقبل جبينها برفق. جعلها تجلس مجددًا، ثم عاد إلى مقعده. لكن الغضب عاد ليسيطر عليه حينما تذكر خروجها دون إذنه. قال بحزم:

-أنا آسف لأني محكتلكيش عن منار. بس خروجك من غير إذني ده غلط!

عادت "دعاء" تبكي وهي تتجنب النظر إليه، ثم ارتفعت شهقاتها قائلة:

-أنا متعودة أروح أنا والبنات المطعم ده، وبابا عارف، عشان كده نسيت أقولك. والله كنت هقولك إني رايحة عند جيهان، بس أنت عرفت قبل ما أقول.

تنهد "فارس" بضيق وهو يحاول السيطرة على غضبه:

-زمـــان أنـــا مكنـــتش موجـــود، لكـــن دلـــوقتي المفـــروض أكـــون عـــارف كـــل خطـــوة بتخطيهـــا. تخيلـــي أكـــون داخـــل المطعـــم وأشـــوف مراتـــي هنـــاك بالصـــدفة وأنـــا معرفش!

ثـــم تســـاءل بصـــوت خافـــت لكنـــه ملـــيء بالعتاب:

-هـــو أنـــا مـــش مـــن حقـــي أعـــرف مراتـــي فـــين؟ وبعـــدين يـــا دعـــاء، أنـــا مـــش كـــل شـــويه بـــرن عليكـــي وبقولـــك أنـــا فـــين... المفـــروض أنتِ اللي تعملي كده، مش أنا.

مســـــحت "دعـــــاء" دموعهـــــا بيـــــديها المرتعشتين، كالأطفال، وقالت بخجل:

-أنـــا آســـفة... والله مـــا هـــروح مكـــان مـــن غير ما أقولك.

تنهد "فارس" بعصبية، لكنه لا يريدها أن تبكي أكثر. قال بهدوء:

-آخر حاجة... أوعي يا دعاء تنطقي اسم راجل تاني قدامي باللهفة دي.

رفعت "دعاء" نظرها إليه، وقالت ببراءة وهي تمسح دموعها:

-أمال أقول إيه؟ مش هو اسمه كده؟

لم يحتمل "فارس" نظراتها ووجهها البريء الممتلئ بالدموع. تقدم منها وعانقها بقوة، وصاح بها بضيق يناقض حنانه وهو يربت على ظهرها:

-أنتِ مستغلة يا حبيبتي عشان عارفة إن دموعك دي بتوجعني!

ثم همس برفق وهو يقبل جبينها مرة أخرى:

-حقك عليا يا حبيبتي. أنا آسف على كل دمعة نزلت من عنيكي.

***

مرَّ اليوم مرور الكرام، وأتى اليوم المنتظر، يوم خطبة "جيهان". اجتمع الجميع في منزلها، والكل يعمل لتجهيز خطبة تليق بالعائلة. الشباب في الخارج يضعون الزينة في الشارع، والبنات يجهزن الضيافة في المطبخ ومنهم صديقاتها، أما هي فتجلس في غرفتها بحزن. الجميع سعيد حولها، فلماذا لم يسألها أحدهم إن كانت سعيدة أم لا؟ لماذا لم يشعر بها أحد؟ ألم يكن من المفترض أن تكون أكثرهم سعادة؟!

مـــا بالهـــا الآن تبكـــي كـــأن اليـــوم هـــو نهايتهـــا؟ نعـــم، هـــي تـــرى أن اليـــوم نهايتهـــا، فـــأي شـــيء ســـيأتي بعـــد مـــا حـــدث؟ ســـتُزف لرجـــل لا تريـــده. سينكســـر قلبهـــا اليـــوم حينمـــا تجلـــس برفقـــة شـــخص آخـــر، شـــخص غيـــر الـــذي ســـكن فؤادهـــا. يـــا لهـــا مـــن ســـوء حـــظّ! تبكـــي ومـــا يفيـــد البكـــاء؟ تصـــرخ، وهـــل هنـــاك مـــن يســـمع؟ فـــالجميع أصـــيب بالصـــمم. ستستســـلم لهـــم ليفعلـــوا مـــا يحلـــو لهـــم، وهـــل بيـــدها شـــيء آخـــر غيـــر الاستسلام؟

ابتعـــدت "جيهـــان" عـــن المـــرآة التـــي تقبـــع أمامهـــا، لا تريـــد أن تـــرى وجههـــا الآن، لا تريـــد أن تـــرى دموعهـــا التـــي تهـــبط كالســـيول ولا أحـــد يشـــعر. وضـــعت يـــدها

على قلبها، تتنهد بوجع وهي تهمس لنفسها بكلمات داعمة:

-كل شيء هينتهي، وجعك هينتهي، اصبري متزعليش. حقك عليا أنا آسفة إني ضعيفة ومش قادرة أتكلم ولا أدافع عن أبسط حقوقي.

بكت بقوة وهي تحاول مواساة نفسها:

-حقك عليا يا جوجو، أنتي أغلى حاجة عندي، متزعليش، كله هيعدي.

ظلت تتنفس بصوت مرتفع لكي تهدأ ويدها تربت على الأخرى بحنان، وما زالت تردد:

-اهدي، اهدي، بسيطة، خلاص حصل خير، متزعليش.

ولجت "نور" إلى الداخل وهي تردد بصوت مرتفع لتدرك "جيهان" وجودها، فتمسح آثار الدموع وتبتسم وتردد معها الأغنية وقلبها ينزف وجعًا:

-افرحي يا عروسة، أنا العريس!

ولجت خلفها "دعاء" و"منار" و"بسملة"، هاربات من المطبخ لكي يجلسن برفقة صديقتهن التي يعلمن حالتها جيدًا حتى وإن أخفت ذلك.

ابتسمت "منار" وهي تقول: يلا يا بنات، البسوا عشان نمشي.

تساءلت "جيهان" باستغراب: رايحين فين؟

ردت "بسملة": فارس عَطَّى لـ دعاء فلوس وأصر إنها تجيب فستان جديد،

وإحنا هنروح معاها عشان إحنا كمان هنشتري.

صاحت بهم "جيهان" بعصبية: والله رايحين تجيبوا فساتين يعني فرحانين فيا؟

أرادت "نور" أن تستفزها لتقول: قصدك فرحانين ليكي، هو مش النهاردة خطوبتك والمفروض كله يفرح؟ وبعدين أشرف حبيبي جاي ولازم يشوفني بفستان جديد!

صرخت بها "جيهان" بغضب: نوره، مش ناقصاكي!

اقتربت منها "دعاء": معلش يا جيهان، والله مش هنتأخر.

ابتعـــدت "جيهـــان" عنهـــا لـــتجلس علـــى الفراش بحزن:

- براحتكم.

نظـــروا لبعضـــهم لتغمـــز "نـــور" لهـــم، وتفهـــم "بســـملة" إشـــارتها لتقتـــرب مـــن "جيهـــان" وتدغـــدغها هـــي و"نـــور، لتطلـــق "جيهـــان" ضـــحكات صـــاخبة، وكـــذلك فعلـــت "منـــار" و"دعـــاء". لتنقلـــب الغرفـــة مـــن الحـــزن إلـــى مرح وضحكات تهز الجدران.

وبعـــد دقـــائق، غـــادرن الثلاثـــة، ولـــم يبـــقَ ســـوى "بســـملة" التـــي رفضـــت أن تتـــرك "جيهان" بمفردها.

***

حـــل المســـاء وحلّـــت معـــه أجـــواء تبعـــث الســـعادة فـــي القلـــوب، تصـــدح الأغـــاني

بـــدون موســـيقى التـــي أصـــرت "جيهـــان" علـــى تشـــغيلها، فـــتملأ الأجـــواء بهجـــة حتـــى لـــو كـــان الحـــزن يثقـــل قلبهـــا. جلســـت "جيهـــان" بجـــوار خطيبهـــا المزعـــوم، وأمامهـــا أصـــدقاؤها يتراقصـــون بفـــرح غامر. نظرت إليهم بحنق وهمست:

-أبـــو شـــكلك أنتـــي وهـــي، مـــش عارفـــه فرحـــانين علـــى إيـــه وهمـــا عـــارفين اللـــي فيها.

ســـألها خطيبهـــا بابتســـامة واســـعة، لـــم تفارق وجهه:

-بتقولي حاجة يا حبيبتي؟

التفتت إليه بنظرة تحدٍّ، وردّت بتلقائية:

-حبك برص وعشرة خرص.

أخفـــى غضـــبه ببراعـــة، واقتـــرب منهـــا وهمس بنبرة تهديد خافتة:

-ألفاظـــك يـــا حبيبتـــي، عشـــان لســـانك الحلـــو ده مقطعهوش.

ابتسمت بسخرية وقالت بنفس التحدي:

-حبـــك بـــرص مـــرة تانيـــة، وابقـــى ورّينـــي هتعمل إيه.

لـــم يـــرد علـــى حـــديثها، بـــل أشـــار لوالدتـــه أن تـــأتي بالشـــبكة لتضـــعها فـــي يـــد العـــروس.

اســـتجابت والدتـــه وتحركـــت لتـــأتي بهـــا، لكن قاطعها صوت "نور" وهي تقول:

-رايحة فين يا مرات خالي؟

توقفـــت زوجـــة خالهـــا، ونظـــرت إلـــى الصـــينية التـــي تحمـــل الـــذهب ثـــم نظـــرت إلـــى "نور" بسخرية:

-رايحة أدي الشبكة للعريس.

لـــم تخـــفَ نبـــرة الســـخرية علـــى "نـــور"، لكنها تجاهلتها وقالت بابتسامة ودودة:

- اســـتني خمـــس دقـــايق، واحـــدة صـــاحبتنا جايـــة فـــي الطريـــق، وهتزعـــل لـــو وصـــلت ولقت جيهان لابسة الشبكة.

نظـــرت إليهـــا زوجـــة خالهـــا بضـــيق، لكنهـــا لاحظـــت نظـــرات الرجـــاء فـــي عينـــي "نـــور"، فتنهّـــدت وأعطتهـــا الـــذهب لتضـــعه فـــي الـــداخل. أخـــذت "نـــور" الـــذهب بصـــدر رحـــب، لكـــن قبـــل أن تتحـــرك، غمـــزت بعينيهـــا لرفيقاتهـــا اللـــواتي كـــن يراقبنهـــا بصمت.

لحسن الحظ، رأت "جيهان" تلك الغمزة، فأشارت إلى "دعاء" التي كانت قريبة منها وسألتها بفضول:

-نوره كانت بتغمزلكم ليه؟

همّت "دعاء" أن تجيب، لكنها تراجعت حين أكملت "جيهان" بحزم:

-من غير كذب يا دعاء!

تنهدت "دعاء" وأجابت ببساطة:

-فاكرة عملتي إيه في خطوبتي؟

نظرت إليها "جيهان" بترقب، لتكمل الأخرى بمرح:

-كما تدين تدان.

فهمت "جيهان" المغزى، فصاحت بحماس:

-أجي معاكم؟

لكـــن "دعـــاء" رفضـــت بحـــزم: جيهـــان، مينفعش. استني أنتي بس.

ثـــم غـــادرت "دعـــاء" مســـرعة خلـــف أصـــدقائها الـــذين ســـبقوها بمجـــرد إشـــارة من "نور".

***

"في منزل تامر حسني"...

جلســـت أمـــام "الـــدكتورة تقـــى" التـــي أرســـلها "مـــارس" لمعالجـــة "ديـــالا". حالتهـــا كانـــت بخيـــر أو هـــي كانـــت تـــوهمهم بـــذلك، إلـــى أن أتـــت والـــدتها واحتضـــنتها حضـــنها الـــدافئ فنهـــارت حصـــونها، والتزمـــت الصـــمت مـــع بكـــاء حـــار. كانـــت تبكي فقط، وبكائها مزق قلوبهم.

ابتسمت "الدكتورة تقى" ابتسامة تبعث في النفس الراحة وقالت بمرح: ب

-صي بقى يا للي اسمك جميل شبهك، أنا مبحبش حوار إن حد يتعامل معايا على أني دكتورة، أنا بحب نكون أصحاب. فإيه رأيك بقى نبقى صحاب؟

وحينما رأت شبه ابتسامة تظهر على وجه "ديالا"، أكملت حديثها:

-هعرفك بنفسي، أنا اسمي تقى وبحب اسمي أوي. هتسألني بحبه ليه؟ هقولك معرفش. المهم هما بيقولوا إني دكتورة، بس الحقيقة إني مكنتش عايزة أبقى كدا، بس الحج الله يسامحه كان مطلع عيني في الثانوية عشان أبقى زيه. وأهو، يستي بقيت أجمل وأشيك دكتورة.

تحـــدثت "ســـلمى" التـــي كانـــت تجلـــس بهدوء بعيدًا عنهم:

-هـــو مـــش المفـــروض تقـــولي أشـــطر دكتورة مش أجمل؟

نفـــت "تقـــى" هـــذا الحـــديث الغيـــر صـــحيح بالنسبة لها:

-أشـــطر دكتـــورة دي قـــدمت، المهـــم أكـــون الأجمـــل. يرضـــيك أكـــون دكتـــورة ومـــش حلوة؟

ضـــحكت "ســـلمى" بمـــرح: لا طبعًـــا ده كلام.

عـــادت "تقـــى" تتحـــدث بعـــدما نجحـــت فـــي جذب اهتمام "ديالا" بما تقول:

-المهـــم يـــا ســـتي، أنـــا عرفـــت إنـــك فـــي ثانويـــة. المـــرة الجايـــة هجبلـــك أســـماء كـــل

الكليات عشان نشوف أنتِ شكل أي كلية ونذاكر على الأساس ده. اتفقنا؟

أخذت نفسًا عميقًا ثم قالت وهي تنظر إليها:

-ها، هتقبلي نبقى أصحاب ولا أروح أصاحب البنت اللي شبه دبلوم صنايع اللي هناك؟

أشارت على "سلمى"، التي نظرت إليها بحنق، فاجتهدت "ديالا" في الضحك بشدة وقالت:

-نبقى صحاب، وسيبك من دبلوم صنايع اللي هناك.

ردت "سلمى" بتذمر وهي تنهض:

ماشي يا ديالا، أنا غلطانة إني سايبة جوزي وجاية أقعد معاكم.

وقبل أن تغادر الغرفة، استدارت لتنظر إلى "تقى" بحنق وقالت:

-وعلى فكرة، أنتي محصلتيش تبقي شبه محو الأمية.

وتمتمت وهي تغلق الباب: قال دبلوم صنايع قال.

سقطت "ديالا" في نوبة ضحك عارمة، وشاركتها "تقى" بسعادة لنجاحها في أول خطوة.

هدأت "تقى" من نوبة الضحك، لتتحدث بجدية:

-اللي عده يا ديالا انتهى ومش هنقدر نغيره، ولازم نرضى بيه أيًا كان. بس نقدر نغير اللي جاي، أو على الأقل نحاول يكون مناسب لينا مهما مر من

مشـــاكل هتنتهـــي حتـــى لـــو كانـــت صـــعبة. فعـــايزاكِ تبصـــي لأي مشـــكلة مـــن الجانـــب الإيجابي مش السلبي.

رأت نظـــرات التشـــتت والخـــوف فـــي وجـــه "ديالا"، فربتت على يدها بحنان:

-هنتخطـــى كـــل حاجـــة، متخفـــيش. المهـــم إحنـــا المفـــروض نتقابـــل كـــل أســـبوع مـــرة بـــس، لكـــن لأنـــك جايالـــك توصـــية مـــن فـــوق، هنتقابل يومين في الأسبوع.

صـــمتت لحظـــة ثـــم ابتســـمت لهـــا: النهـــاردة حابـــة اتعـــرف عليكـــي، يـــلا بقـــى احكيلـــي عاملـــة إيـــه فـــي الثانويـــة وعـــايزة تـــدخلي كلية إيه؟

نظـــرت إليهـــا "ديـــالا" لعـــدة دقـــائق، فاحترمـــت "تقـــى" صـــمتها ولـــم تتحـــدث،

إلـــى أن بـــدأت "ديـــالا" تســـرد لهـــا بحمـــاس ما تتمنى، وقد تناست ما حدث معها.

***

الكـــل يعلـــم أنهـــم مجـــانين، ولكـــن لـــم يتوقـــع أحـــد أن يصـــل جنـــانهم لهـــذا الحـــد، الـــذي جعـــل الجميـــع فـــي حالـــة صـــدمة ولـــم يصـــدر مـــن أحـــدهم رد فعـــل واحـــد يوقـــف هـــذا الهـــراء. والمجـــانين علـــى المســـرح كـــانوا يتوقعـــون صـــدمتهم ولـــم يهتمـــوا، كـــل مـــا يهمهـــم الآن هـــو أن تتـــأخر هـــذه الخطبـــة بضع دقائق...

وقفـــت "نـــور" علـــى المســـرح ترتـــدي جَلَّابِيَّـــة رجـــالي بـــألوان الأســـود وعمامـــة فـــوق الحجـــاب ("الجَلّابيـــة هـــو ثـــوب فضـــفاض يلبســـه الرجـــال فـــي الصـــعيد")،

وكـــذلك فعلـــت "منـــار" و"بســـملة"، لكـــن "دعـــاء" رفضـــت ذلـــك وارتـــدت عبـــاءة ســـوداء لا تناســـب بـــأي شـــكل مـــن الأشـــكال هـــذه الخطبـــة، ولكنهـــا مناســـبة لمـــا يحـــدث الآن.

تحركـــت "نـــور" برشـــاقة وفـــي يـــدها عصـــا تغنـــي وتحـــرك قـــدمها بحركـــات متتاليـــة للأعلى والأسفل:

-كـــان ليـــا فـــي يـــوم حبيـــب يـــا خســـارة بـــاعني بالغالي اشتريتو وبالرخيص باعني.

ابتعـــدت "نـــور" عـــدة خطـــوات تتـــراقص مـــع "منـــار" التـــي أخـــذت منهـــا المايـــك لتشاركها الغناء:

-وأنـــا لا نـــدمان عليـــه ولا هبكـــي فـــي يـــوم عليه وأنا... إيه... أنا... إيه.

يتراقصون رقصًا صعيديًا لا يناسب ما يتفهون به، لتقول "بسملة" بحماس وهي تدور حول نفسها:

-أنا لا مسطول ولا بطوح، أنا جاي أجامل ومروح، واشوف اللي باعني وسابني وخانني، خلى قلبي بيتمطوح.

تركت "نور" العصا وجذبت يد "دعاء" تتراقص معها، واليد الأخرى بها المايك تتشارك هي و"دعاء" الغناء:

-اه ياما اه واه يابا، دي عيلة واطية ونصابة.

قهقهت "منار" وهي تتراقص مثلهم وتشاركهم الغناء:

-والليلة جينا نهنيكم، هاتو الفلوس اللي عليكم.

أشارت "نور" على العريس وهي تقول:

-خطـــب خطيبتـــي ده واد منحـــوس، خطبهـــا وهي عليها فلوس.

انتقـــل المايـــك مـــن يـــد لأخـــرى لتقـــول "بسملة" وهي تصفع وجنتها بخفة:

- ده الفقـــري فقـــري لـــو حتـــى علقـــوا علـــى دماغه فانوس.

تشـــاركوا الأربعـــة الغنـــاء: أنـــا لا مســـطول ولا بطـــوح... أنـــا جـــاي أجامـــل ومـــروح، واشـــوف اللـــي بـــاعني وســـابني وخـــانني، خلى قلبي بيتمطوح.

ابتعـــدوا عـــن "نـــور" يترقصـــون، والتـــي أخـــذت الـــدور الـــرئيس لتشـــير لزوجـــة خالهـــا وابنهـــا: ودولا نـــاس ملهـــاش عـــزة بفلوســـي أنـــا، عملـــوا جـــوازه. والكـــل فرحـــان بيهنـــي،

وأنـــا يعينـــي مليـــاش عـــزة. اه ياما اه واه يابـــا، دي عيلـــة واطيـــة ونصـــابة. الليلـــة جينا نهنيكم، هاتوا الفلوس اللي عليكم.

بضـــع دقـــائق يتراقصـــون أمـــام الفتيـــات ونســـاء العائلـــة والجيـــران، إلـــى أن انتهـــت الرقصـــة وعـــم الصـــمت المكـــان. ليتحـــرك "عثمـــان" والـــد "جيهـــان" نحـــوهم بعـــدما أتـــى مـــن الخـــارج عنـــدما اســـتمع إلـــى غنـــائهم. فتـــرك خيمـــة الرجـــال وجـــاء ينهـــي هـــذه المهزلـــة التـــي تحـــدث فـــي خيمـــة النساء. صرخ بغضب:

-نور!

نظـــرت "نـــور" لـــه بخـــوف، وقبـــل أن تتحـــدث قاطعهـــا شـــقيقها الـــذي كـــان يـــركض

نحـــوهم بلهفـــة وهـــو يخبـــرهم بقلـــق وينظـــر جهة العريس:

-فيه بوليس بره وطالبين محمد.

*****

الفصل الرابع والعشرون

"ولعلَّ ما تُلحِين على الله بهِ، كَتبهُ الله
لكِ وعَسى أن يأتيكِ بهِ قَريباً"

***

تحـــرَّك العـــريس ليقـــف أمـــام "محمـــد" متسائلًا:

- هما قالوا طالبين أنا؟

رد "محمـــد" عليـــه: أيـــوة، الظـــابط قـــال عايز محمد جمعة.

صـــاح العـــريس باســـتنكار وغـــرور: مـــن غير مهندس؟!

صُـــدم الجميـــع مـــن رد فعلـــه؛ فهـــل هـــذا مـــا يشـــغل تفكيـــره؟ أن الشـــرطي لـــم يُضـــف رتبتـــه قبـــل الاســـم؟! ولكـــن "جيهـــان" صاحت بحماس وهي تقترب منهم:

-بجد؟

انتقلـــت النظـــرات إليهـــا، وقـــال "محمـــد" بشك:

-أنتِ فرحانة؟

ردت بتلقائية: جداً!

زجرهـــا والـــدها بنظراتـــه الحـــادة لتتراجـــع خطوة قائلة بتوتر:

-مش قصدي أنا...

قاطعهـــا دخـــول الشـــرطة وصـــوت الضـــابط يتحدث بجدية وهو يشير إلى "محمد":

-أنت محمد جمعة؟

تحدث "محمد" بثقة: أيوة، خير؟

قال الضابط: اتفضل معانا.

لـم تـتلاشَ ثقـة "محمـد" مقـدار شـعرة وهـو يتحدث بقوة:

-السبب؟ لأني أكيد مش هسيب خطوبتي وأنا مش فاهم حاجة!

أردف الضابط بحدة وهو يشير إلى أحد العساكر:

-اتفضل معانا، وهناك هتعرف.

سحب أحد العساكر "محمد" إلى سيارة الشرطة، وركض خلفه والده وعمه وباقي رجال العائلة.

ولجت "جيهان" داخل المنزل ثم إلى غرفتها بعدما انتهت خطبتها، وخلفها صديقاتها. أغلقت "نور" الباب خلفها ونظرت لتجد "جيهان" تدور حول نفسها بسعادة بالغة، وكأنها فراشة تحلق بين الأزهار.

ابتسمت "نور" وهي تجذب يدها وتدور معها، والاثنتان تضحكان بشدة، بينما "بسملة" تصفق لهما بحماس، و"دعاء" تجلس بهدوء، و"منار" تخبرهن بسعادة:

-ياااه، الخطوبة كانت تحفة بجد! ياريت يا نور تعزميني على خطوبة زي دي كتير.

ردت "نور" بتعب وهي تجلس بجوارها:

-فاتك خطوبة أخوكي، كانت أحلى!

نظرت لها "دعاء" بحنق: هيجي لك دور، وساعتها أنا بنفسي هنتقم من اللي عملتيه في فارس يوم الدهب!

أرسلت لها "نور" قبلة في الهواء وهي تغمز:

-براحتك يا حبي!

تحدثت "بسملة": عارفة يا بت يا نور، لو هو سمع كلامنا ورضي يجي، كانت الخطوبة هتكون أحلى.

تساءلت "جيهان" بعدم فهم: مين ده؟

تجاهلتها "بسملة" لترد "منار" بصدمة:

-معقول عرضتوا عليه يجي يشارك في المهزلة دي؟!

التوى ثغر "نور" بحنق: أيوة ياختي، وكان نفسي ياخد البطولة وحاولت أقنعه، بس هو مرضيش! خايف على شكله، فاكر نفسه مهم.

ضـــحكت "منـــار" وشـــاركتها الضـــحك "بسملة" التي قالت:

-كـان هيبقـى شـكله تحفـة لـو جـه، ومتأكـدة إن جيهـان كانـت غيـرت رأيهـا لـو شـافته كده.

وأشـارت إلـى ثيابهـا الرجاليـة، لتقـول "جيهان" بضيق وقد نفد صبرها:

-فهمـوني بتتكلمـوا علـى إيـه عشـان مـش فاهمة حاجة!

ردت "نـور" وهـي تـنهض وتقتـرب مـن "دعـاء" التـي تجلـس علـى الأرض وتـدون شـيئًا بالهـاتف، والابتسـامة لـم تفـارق وجههـا. أدركـت "نـور" أنهـا تتحـدث مـع ذلـك البغـيض الـذي لا تعلـم لمـاذا تنـزعج كلما رأته:

-اســـــتني أنتـــــي! لمـــــا نشـــــوف روميـــــو وجولييـــــت اللـــــي مـــــش مبطلـــــين حـــــب فـــــي بعض كأن محدش اتجوز غيرهم.

ضحكت "دعاء" لتزيد من حنق "نور":

-اللـــي غيـــران منـــا يقلـــدنا، وبعـــدين مكنـــاش بنحب في بعض ولا حاجة.

نظـــرت لهـــا "نـــور" بشـــك وأردفـــت: أمـــال بتضحكي ليه؟

ازدادت ضـــــــحكات "دعـــــــاء" لتقـــــــول بصعوبة:

-والله خايفة أقولك بضحك ليه تزعلي.

جـــذبت "نـــور" منهـــا الهـــاتف: ورينـــي كـــده، بيتكلم عليا صح؟

نظـــرت للهـــاتف لتجـــد آخـــر رســـالة منـــه تخصـــها، فاشـــتعل غضـــبها وهـــي تقرؤهـــا بصوت مرتفع بعض الشيء:

«حبيبتـــي، ابعـــدي عـــن نـــور ومنـــار، عشـــان دول كـــوارث متحركـــة، بيعشـــقوا المصـــايب قـــد عنـــيهم. النهـــارده بيفشـــكلوا خطوبـــة جيهـــان، بكـــرة لـــو لقـــوا نفســـهم فاضـــين هيحـــاولوا يعملـــوا مشـــاكل بينـــا، وأنـــا مصدقت أمورنا بخير.»

كـــانوا يســـتمعون لهـــا بتركيـــز، لتبتســـم "جيهـــان" عنـــدما لـــم يـــذكر اســـمها بيـــنهم، وتشـــير لهـــن بغـــرور. لكنهـــا ســـرعان مـــا تلاشـــت ابتســـامتها عنـــدما أكملـــت "نـــور" قراءة الرسالة بعصبية:

«وكمـــان ابعـــدي عـــن جيهـــان دي كمـــان نفـــس النـــوع. بصـــي خليكـــي مـــع بســـملة، تقريبًا هي أفضل الوحشين.»

ضـــحكت "بســـملة" بعـــدما نظـــرت لملامحهـــم الغاضبة، لتتنهد براحة مصطنعة:

-الحمـــدلله، ظهـــر الحـــق وطلعـــت أحســـن واحدة.

ســـخرت منهـــا "نـــور" ثـــم قـــرأت الرســـالة الأخيرة:

«ولا أقولـــك، اقطعـــي علاقتـــك بالشـــلة دي، صاحبيني أنا أحسن.»

صـــاحت "منـــار" بضـــيق: ماشـــي يـــا فـــارس، لما أروح لك بقى أنا كارثة متحركة!

خشـــيت "دعـــاء" أن تحـــدث مشـــكلة بيـــنهم بسببها، فقالت بلهفة:

-هو ميقصدش والله، هو بس بيهزر!

اعترضت "نور" على حديث "منار":

هو أنا لسة هستنى لما تروحي له؟ أنا هرد دلوقتي.

حاولت "دعاء" جذب هاتفها، وعندما لم تستطع نادتها بتحذير:

- نور!

ردت "نور": بلا نور بلا بتاع، مش هسكت!

ودونت رسالة له:

«مالها نور إن شاء الله، بتعض ولا بتعض؟»

جاءها الرد فورًا لأنه كان ينتظر "دعاء" لتجيب، ولكن عندما تأخرت استنتج سبب تأخرها:

«كارثـــــة متحركـــــة، ورجعـــــي التليفـــــون لصاحبته لو سمحتي.»

ابتسمت "دعاء" وهي تقول بهيام:

-يـــاربي، عســـل يـــا نـــاس! شـــوف بيحترمـــك إزاي، بيقولك لو سمحتي.

ثـــم نظـــرت لـــ"نور" المصـــدومة: أنتـــي فـــي حـــد احترمـــك قبـــل كـــده وقالـــك لـــو ســـمحتي؟ لا، صـــــح؟ عشـــــان تعرفـــــي إن فارســـــي الحبيب مفيش منه.

صدح صوت "نور" الحانق الساخر:

-والله!

انتقلـــت "نـــور" بنظراتهـــا بيـــنهم كإشـــارة، لتـــرى "دعـــاء" نظـــراتهم المشـــتعلة تجاههـــا لتقول وهي تعود للخلف بريبة:

-فيه إيه؟ بتبصولي كده ليه؟ هو اللي غلط مش أنا!

تقدموا منها ببطء كذئب يترصد فريسته، وهي ابتلعت ريقها بتوتر لينقضوا عليها...

***

"منزل تامر... "

كانوا يجلسون يتناولون وجبة العشاء بحزن يغلف قلوبهم، ولا أحد يتحدث بكلمة، حتى قطع حالة السكون صوت "كريم" الذي قال بهدوء وهو ينظر لوالده: بابا، في واحد عايز يقابل حضرتك.

نظر له "حسني" بتساؤل: واحد مين؟

تنحنح "كريم" وقال بخفوت: مارس اللي حكيتلك عنه إنه ساعد ديالا، كلمني وعايز يطلب إيدها. هو كل شوية يكلمني ومصر إنه يقابل حضرتك.

صمت "حسني" لدقيقة كاملة يفكر في الأمر، ثم قال:

-قوله يجي الخميس الجاي لوحده.

رد "كريم" بجدية، فهو لا يقبل أن يُقلل من شقيقته:

-هستنى لما يرن عليا هو، وبعدين أقوله.

عاد الصمت ليخيم على الأجواء حتى قالت "إيمان" بحزن وهي تحرك الملعقة بشرود:

-تامر وحشني أوي.

تـــذكرت "ســـلمى" شـــجارها الـــدائم مـــع "تامر"، فتمتمت بحزن:

-وأنا كمان، والله يا عمتو.

مســـد "كـــريم" علـــى رأســـها بحنـــان، متـــذكرًا رسالة الوداع التي تركها "تامر".

Flashback

بعـدما غـادر "كـريم" غرفـة شـقيقته، ذهـب يبحـث عـن شـقيقه الـذي لا يعلـم أيـن اختفـى منـذ أمـس، وكيـف نسـي وجـوده؟ صـعد للأعلـى، ثـم إلـى غرفـة "تـامر" ليجـد البـاب مفتوحًـا. ولـج للـداخل ليجـد زوجتـه تجلـس علـى الفـراش وبيـدها شـيء تبكـي بصـوت مكتـوم. ركـض لهـا بلهفـة متسـائلًا عمـا حـدث، وهـي ارتمـت فـي أحضـانه تبكـي

بشـــدة وتهمـــس بكلمـــات غيـــر واضـــحة.

أبعدها قليلًا وسألها بحنان:

-حبيبتي، فيه إيه؟

لـم تتحـدث، فقـط ناولتـه الورقـة التـي كانـت تقبض عليها، ليبدأ في قراءتها بهدوء:

«أنـا آسـف يـا كـريم. حقـك عليـا. متـزعلش منـي إنـي مقلـتش لـك إنـي مسـافر، بـس غصـب عنـي. مـش هقـدر أقابـل بابـا وأشـوف فـي عينـه نظـرة اتهـام إنـي السـبب فـي اللـي حصـل لـديالا. عـارف إنـك هتقـول عنـي ضـعيف، بـس والله مـش هقـدر أسـتحمل نظرتـه ليـا. خلـي بابـا وديـالا يسـامحوني وخلـي بالـك مـنهم. وقـول لماما متـزعلش إنـي مشـيت مـن غيـر مـا أشـوفها. وقـول لـإيمان إنـي بحبهـا أوي

وخلـــي بالـــك منهـــا. وســـلملي علـــى المصـــيبة اللـــي متجوزهـــا، وقولهـــا إنهـــا هتوحشـــني أوي. خلـــي بالـــك مـــنهم يـــا كـــريم لأنـــي هســـتقر هنـــا ومـــش عـــارف هرجـــع تـــاني ولا لا. سلام.»

"تامر"

طـــوى "كـــريم" الورقـــة وهـــو يتنهـــد بحـــزن، ليسمع "سلمى" تتساءل:

-مش هيرجع تاني، صح؟

ابتســـم لهـــا وهـــو يجـــذبها إلـــى أحضـــانه، عالمًـــا بحزنهـــا لغيـــاب "تـــامر". فقـــد أخبرتـــه كثيـــرًا أن "تـــامر" هـــو عائلتهـــا الوحيـــدة، فهـــي لـــيس لهـــا أحـــد غيـــره، وتتمســـك بـــه لأنه شقيقها في الرضاعة:

-هيرجـــع يـــا حبيبتـــي، متقلقـــيش. وبعـــدين أنا موجود، مش ده كفاية؟

بادلته العناق وهي تهمس: كفاية طبعًا.

Back to present

عـــاد "كـــريم" مـــن شـــروده علـــى صـــوت والده الذي صاح بغضب:

- مسمعش حد فيكم جايب سيرته تاني!

تحدثت "عايدة" بحزن:

-هـــو عمـــل إيـــه يعنـــي؟ ده ابنـــي اللـــي مـــش عايزنا نجيب سيرته!

قال "حسني" بحدة: ابنك مات!

بكـــت "عايـــدة" بصـــوت مرتفـــع وهـــي تنهض لتغادر:

- بعد الشر عليه!

راقبها "حسني" وهي ترحل بحزن، ثم نهض خلفها، فهو يعلم أنها لم تعد تحتمل المزيد من الحزن.

***

"منزل إبراهيم"

كان يجلس على أحر من الجمر، يخشى أن يخلف بوعده لها ويخسرها، بل سيخسر حياته، فهي منذ رآها أصبحت أغلى من حياته.

أجاب بلهفة عندما صدح رنين الهاتف:

-عملت إيه؟

رد الطرف الآخر بحنق: طيب قول السلام عليكم الأول!

تنفّس "إبراهيم" ليهدأ وقال: وعليكم السلام، ها يا أشرف، حصل إيه؟

صمت "أشرف" عمدًا ليثير غضبه، فهو يعلم أنه نادرًا ما يغضب، وحدث ما أراد في ثوانٍ، حين صاح "إبراهيم" بنفاد صبر:

- ما ترد يا زفت! حصل إيه؟

ابتسم "أشرف" بتكبر وأردف: لما تكلمني باحترام هرد.

بكل غضب يمتلكه، صاح باسمه: أشرف!

رد "أشرف" عليه بجدية: الخطوبة توقفت، وهو اتقبض عليه.

تنهد "إبراهيم" بسعادة: الحمد لله... طيب، انت فين.

أجاب "أشرف" بعدما تحدث مع أحدٍ بجواره:

-أنا في المركز معاهم. في النهاية مش هينفع أسيبهم عشان نور.

تفهم "إبراهيم" الأمر وقال قبل أن يغلق المكالمة:

- تمام، بس لازم تجيني الصبح عشان تقولي التفاصيل.

بعدها ترك الهاتف على الطاولة، عاد ليجذبه ويدون لها رسالة:

«أول مرة أكون سعيد لدرجة دي، رغم التصرف اللي عملته، اللي بعيد عني كل البعد، وخلاني أحس إني شرير. دي أول مرة أأذي حد، بس أنا ممكن أكون أسوأ من كده لو حد قرب منك أو حاول يبعدني عنك، بحبك.»

***

-تفتكـــروا اللـــي إحنـــا عملنـــاه صـــح ولا غلـــط؟ ســـؤال تحـــرر علـــى لســـان "منـــار" بعـــدما قصـــت "نـــور" علـــيهم مـــا اتفقـــت عليـــه مـــع "أشـــرف" و"إبـــراهيم". ردت "دعاء" بجدية:

-طبعًا غلط، دي فيها كلام؟

تســـاءلت "منـــار" مـــرة أخـــرى بحيـــرة: طيـــب طالمـــا عـــارفين إنـــه غلـــط، ليـــه بتعملـــوا كده؟

ردت "نـــور" بجديـــة: لأن مفـــيش حـــل تـــاني. أحيانًـــا بيكـــون لازم نغلـــط عشـــان نصلح الغلط.

قالـــت "منـــار" بتعجـــب: إزاي؟ مـــش فاهمة.

وضحت لها "بسملة" مقصدها: يعني مثلًا لو عمو "عثمان" رفض الخطوبة دي، إحنا كنا هنعمل كده عشان نوقفها؟ أكيد لا. إحنا بس بندافع عن حقنا. هما اللي علمونا إننا منسكتش لو حد ظلمنا. فتفتكري لما هما يظلمونا هنسكت؟ عادي؟ طبعًا لا. عشان كده غلطنا عشان نصلح الغلط الأكبر.

كادت "منار" تتساءل، ولكن قاطعتها "نور":

- أكيد حاولنا نتكلم معاهم، بس هما رفضوا.

وأردفت "جيهان" بحزن: كل الناس بتشوف الصورة من بعيد، بس محدش فكر يقرب ويشوفها على الحقيقة. يعني

كلـــه شـــايفنا مجـــانين، بـــس محـــدش يعـــرف الحقيقة.

صـــمتت "جيهـــان" تتـــنفس بهـــدوء، ثـــم نظرت إلى "بسملة" وقالت:

-عنـــدك مـــثلًا "بســـملة"، ربنـــا رزقهـــا بـــأب وأم فـــي غايـــة الجمـــال، وكـــأن الحنـــان اللـــي فـــي العـــالم كلـــه اتـــزرع فـــي قلـــوبهم. بـــس اتحرمـــت مـــن إنهـــا يكـــون عنـــدها إخـــوات. فهـــي حاســـة طـــول الوقـــت إنهـــا وحيـــدة. بصـــي فـــي عنيهـــا وإنـــتِ بتتكلمـــي عـــن أخـــــوكي أو أختـــــك، هتشـــــوفيها إزاي موجوعـــة. كـــان نفســـها يكـــون عنـــدها إخـــوات تتخـــانق معـــاهم، وتتصـــالح. حـــد يشـــاركها حياتهـــا كلهـــا مـــن يـــوم مـــا فتحـــت عينيهـــا علـــى الـــدنيا. أخ يزعـــل لمـــا تتجـــوز

رغم خناقه معها الدائم ودعائه عليها إنها تتجوز بسرعة عشان يرتاح منها. بس لما تيجي اللحظة دي، يبقى كاره الدنيا كلها عشان ما تبعدش عنه. كان نفسها يكون عندها أخت حنونة تتخانق معها ليل نهار وتحلف بأغلظ الإيمان إنها مش هتكلمها تاني، وبكلمة واحدة يتصالحوا وكأن ما حصلش حاجة. حاجات محدش هيفهمها ولا هيحس بيها غير اللي جربها وجرب إحساسه الدائم بالوحدة.

أغمضت "بسملة" عينيها بوجع لتشاركها الحديث:

-أنتي ما تعرفيش حاجة عننا يا "منار". يعني عندك "نور"، الكل بيقول عليها

مجنونة، بس هي جواها طفلة اتحرمت من إنها تعيش طفولة طبيعية. فلما بتسمح لها الدنيا بفرصة تعيش طفولتها، مش بتقصر. هي محتاجة شخص يحبها بجد، ووقتها هيشوف تصرفاتها قمة العقل. هي مش مجنونة. كل واحد بيشوفها حسب عقله، مش حسب تصرفاتها.

ابتسمت لها "نور" بحب، ثم قالت بحزن:

-و"دعاء"، اللي الكل شايفها عاقلة وهادية، وهي أصلًا مش كده. الحكاية إنها خايفة. خايفة تقرب من حد يرفضها. خايفة تتكلم مع حد يقولها: "ما تدخليش". خايفة حد يتريق عليها

أو يوجعهـــا بكلمـــة. تصـــرفات "دعـــاء" مـــش عقـــل، ده خـــوف مـــن المجتمـــع الظـــالم اللـــي عـــايز الكـــل كامـــل، ونســـي إن الكمـــال لله وحده.

خـــيم الحـــزن علـــيهم. اقتربـــت "جيهـــان" مـــن "دعـــاء" لتعانقهـــا بعـــدما رأت دموعهـــا التـــي تكـــاد تســـقط تـــأثرًا بحـــديث "نـــور". بادلتهـــا "دعـــاء" العنـــاق، ثـــم ابتعـــدت قلـــيلًا وقالت بصوت مختنق:

-و"جيهـــان" طـــول الوقـــت بتضـــحك وتهـــزر، وأغلـــب البنـــات بيلقبوهـــا بـــ"أم ضـــحكة جنـــان". بـــس يـــا تـــرى دي حقيقتهـــا؟ للأســـف لا. هـــي بـــس بتمثـــل إنهـــا فرحانـــة عشـــان مـــا تحـــبش حـــد يشـــوفها

زعلانـــة. ومحـــدش شـــاف ولا عـــاش اللـــي عشته بسبب مرات أبوها.

تنهـــدت "نـــور" لتنهـــي هـــذا الحـــوار الـــذي جعلهم يحزنون:

-كـــل واحـــدة فينـــا ليهـــا حكايـــة مختلفـــة، وجـــرح محفـــور جـــوه قلوبنـــا، ومحـــدش يعلـــم بيـــه غيـــر ربنـــا. رغـــم ضـــحكنا وهزارنـــا طـــول الوقـــت، بـــس إحنـــا مقتنعـــين إنهـــا دنيـــا فانيـــة، وهيجـــي اليـــوم اللـــي هينتهـــي فيـــه كـــل ده. يبقـــى طـــظ فـــي الـــدنيا، ونعمـــل اللـــي يريحنـــا طالمـــا مـــا ظلمنـــاش حـــد ومـــا تخطيناش حدودنا.

حزنـــت "منـــار" ممـــا اســـتمعت إليـــه لتقـــول بأســـف بعـــدما رأت الحـــزن الـــذي خـــيم علـــى الجميع:

- أنا آسفة، ما قصدش أزعلكم.

ابتسمت "نور" بمرح:

-بس يا أخت البروفيسور المعفن!

انتفضت "دعاء" في جلستها تصرخ في وجه "نور":

-نور، إلا "فارس"!

غمزت لها "نور" بمشاكسة وكادت أن تجيب، لولا سؤال "جيهان":

-المهم، أنتم مش هتروحوا؟ الوقت اتأخر.

تحدثت "نور" وهي تتمدد على الفراش:

-أنا هنام هنا.

وكذلك جلست "بسملة" بجانبها: وأنا كمان. ماما عارفة إني هنام هنا.

اقتربت "دعاء" من خزانة الثياب لتجذب ثيابها وثياب "منار" وهي تتفوه:

-فارس جاي في الطريق يروحنا.

ثم ألقت الثياب لـ"منار"، التي قالت بضيق:

- كنا قعدنا معهم ومشينا بكرة.

قالت "دعاء" وهي تبدّل ثيابها: أخوكي مش هيرضى، واحمدي ربنا إنه سابنا لحد دلوقتي. يلا عشان هو زمانه على وصول. وبعد دقائق معدودة، جاء "فارس" لتغادر "دعاء" برفقة "منار" على وعد بأن يلتقوا غدًا في الجامعة.

***

غـــاب القمـــر لـــ تُشـــرق الشـــمس بعـــد ليلـــة حنـــين أخـــرى، ليلـــة قضـــاها وحيـــدًا يشـــعر بالنـــدم علـــى تركـــه موطنـــه وجميـــع مـــن بـــه ضعفًا منه أنه لانه يستطيع المواجهة...

فـــي إحـــدى الشـــركات الخاصـــة بمجـــال التصـــميم وإدارة المشـــاريع فـــي بيـــروت، كـــان يجلـــس فـــي مكتبـــه الجديـــد يتـــابع العمـــل بتركيـــز شـــديد، إلـــى أن قـــاطع تركيـــزه دخـــول الســـكرتيرة التـــي تســـير بغـــنج، لتجـــذب نظراتـــه وتحـــرك مشـــاعره اتجاههـــا. أبعـــد نظراته عنها سريعًا، لكنها قالت بدلال:

-المدير طالب حضرتك يا بشمهندس.

تنهـــد "تـــامر" وأبعـــد عينيـــه عنهـــا، ثـــم قـــال بحدة:

-تمام، اتفضلي.

بعـــدما غـــادرت، جـــذب هاتفـــه ليـــرى صـــورتها. نعـــم، لديـــه صـــورة لهـــا التقطهـــا دون أن تعلـــم. تحـــدث إلـــى الصـــورة بشتياق:

- أنـــا آســـف لأنـــي بصـــيت عليهـــا، بـــس أقســـم لـــك إنـــي بحـــاول... لأنـــي مصـــر إنـــي أتغيـــر عشـــان تكـــوني ليـــا. أنتـــي وحشـــتيني أوي، على فكرة.

ثـــم أدار الصـــورة ليـــرى صـــورة جماعيـــة تضم عائلته، وهمس بحب وحنين:

-وحشتوني أوي.

***

فـــي إحـــدى الكافيهـــات الراقيـــة، كانـــت تجلـــس بتـــأفف وضـــيق، ليبتســـم "أشـــرف" ويتساءل باهتمام:

-مالك يا وزه؟ من ساعة ما قعدتي وأنتِ مش طايقة نفسك.

كانت "نور" تنتظر سؤاله لتنفجر فيه بضيق:

-أنت ليه طلبتلي عصير وطلبت لنفسك قهوة؟ هو أنا مش قلت عايزة أطفح قهوة؟ ولا هنبدأ من أولها تمشي كلامك عليا!

لم يغضب منها رغم نبرتها المرتفعة بعض الشيء، بل ابتسم كي تهدأ وقال:

-لا يا حبيبتي، مش بمشي كلامي عليكي، بس أنتي لسه مفطرتيش، فمينفعش تشربي قهوة على الريق.

أجابت بعناد: يعني أنت فطرت؟

رد عليها بمشاكسة: لا، أنا راجل.

تحـــدثت "نـــور" بعصـــبية: نعـــم يـــا خويـــا، حتى القهوة فيها راجل وست!

حـــدّق فـــي وجههـــا بغـــيظ وقـــال: أخـــوكي؟! أنا اللي جبته لنفسي.

كـــادت أن تـــرد عليـــه ليوقفهـــا بإشـــارة مـــن يده وهو يقول:

-كنـــت بهـــزر معـــاكي يـــا قلبـــي. طلبتلـــك عصـــير عشـــان لـــو شـــربتي قهـــوة علـــى الصـــبح هتتعبـــي، وأنتـــي لســـه قـــدامك يـــوم طويل.

ابتســـمت بخجـــل مـــن تصـــرفها المبـــالغ فيـــه وتلـــك الكلمـــة التـــي يرددهـــا بتلقائيـــة ولا يعلم تأثيرها عليها:

- أنا... كنت...

قاطعها "أشرف" بجدية: ولا يهمك يا وزه. المهم، في حاجة مهمة كنت عايز أحكيلك عليها، بس عايزك تفهميني يا نور من غير تسرع.

نظرت "نور" له بجدية، تفكر فيما يريد قوله ويطلب منها ألا تتسرع، ولكن قاطع أفكارها صوت امرأة تقف أمام الطاولة وتصيح في وجه "أشرف":

-فين مازن يا أشرف؟

رد "أشرف" بغضب مكتوم:

ميخصكيش، وياريت تمشي من هنا.

ضحكت المرأة ضحكة لا معنى لها ثم قالت بسخرية:

-ميخصنيش؟ آمال يخص مين يا روحي؟

نهضت "نور" من على مقعدها بغضب وهي تنظر للمرأة:

-طلعت روحك يا بعيدة! أنتي مين أصلاً؟

جذب "أشرف" يد "نور" وهو يتحدث:

-اهدي يا نور، واقعدي.

ثم نظر لمن تقف تنتظر إجابة سؤالها وقال بحزم:

-وأنتي، أظن إني قلتلك ميخصكيش، فتفضلي من غير مشاكل.

تجاهلت المرأة حديث "أشرف" وقالت لـ "نور" التي جلست بهدوء:

-أنتي اللي مين يا حبيبتي؟ أوعي تقولي إنك مراته!

نظـــرت لهـــا "نـــور" بتحـــدي: حبـــك بـــرص وعشـــرة خـــرص! أيـــوة، مراتـــه، عنـــدك اعتراض؟ أنتي بقى مين؟

تحـــدثت المـــرأة باســـتفزاز وهـــي تجلـــس أمـــام "أشرف" الذي أغمض عينيه بقوة:

-طليقته.

همست "نور" بصدمة: طليقته؟

****

الفصل الخامس والعشرون

سوريا جرحها ينزف كل يوم

والسّودان تباد سرًّا وغزّة تحترق.

إييه يا أمّة المليار مسلم!

ستسألون، واللهِ وباللهِ وتاللهِ

ستسألون!..

***

رددت الكلمة أكثر من مرة بعدم فهم وهي تنظر إلى "أشرف" الذي حاول أن يتحدث ويخبرها بما حدث، لكن قاطعته بضحكة ساخرة رنت في المكان، لتجذب انتباه الجميع.

وضعت "نور" يدها على فمها تمنع نفسها من الضحك، ثم قالت بهدوء:

-آسفة، افتكرت حاجة ضحكتني.

أردف "أشـــرف" بعـــد صـــمت طـــال، عنـــدما رأى "نور" تنهض من على المقعد:

- نور، اسمعيني الأول.

لـــم تهـــتم بـــه وهـــي تجـــذب حقيبتهـــا وتضـــع بهـــا الهـــاتف، وتتحـــرك خطـــوتين، ليمســـك "أشرف" يدها وهو يقول:

-عشان خاطري، اسمعيني.

جـــذبت "نـــور" يـــدها منـــه وهـــي تقـــول بحـــدة يراها منها لأول مرة:

-لـــو اتحركـــت ورايـــا خطـــوة، هتخســـرني بجد.

غـــادرت المكـــان، ليعـــود "أشـــرف" إلـــى مقعـــده، ثـــم تـــذكر مـــن تجلـــس أمامـــه، تبتســـم بشماتة، ليصيح بها بغضب:

-هَـــدفعِك الـــتمن غـــالي علـــى اللـــي حصـــل دلوقتي.

ضـــحكت "هـــاجر" بســـعادة، لـــتهمس بثقـــة ونظراتها مثبتة عليه:

-أحب أشوف. فين ابني بقى؟

قـــال "أشـــرف" بغضـــب: انســـي، ده مـــش ابنك.

ردت "هـــاجر" بتحـــدي: ابنـــي غصـــب عنـــك وعن الدنيا كلها.

سخر "أشرف" منها:

- ابنـــك اللـــي ســـبتيه وهـــو عنـــده ســـنتين ومهتمتـــيش إيـــه اللـــي ممكـــن يحصـــل لـــه؟ أهـــم حاجـــة عنـــدك إنـــك تكـــوني حـــرة، وهـــا أنتِ حرة. مالك بقى بابني؟

قالت "هاجر" بانفعال: أنت إزاي نسيت اللي حصل؟ واحد زيك محدش يقدر يستحمله يوم واحد، وأنا استحملتك أربع سنين. لما سبت ابني كان غصب عني، مكنش بإرادتي.

لم يهتم "أشرف" بما تفوهت به، ليقول بحزم لإنهاء النقاش:

-اسمعي يا دكتورة هاجر، ابنك تنسيه، لأن أنا مستحيل أسيبه مع واحدة أنانية زيك.

غضبت "هاجر" من سخريته ولا مبالاته تجاهها، وقالت بغضب:

-اسمع، أنا جيت أتكلم معك بالحسنى، وأنت رفضت. أنا رفعت عليك قضية

حضـــانة، وهاخـــد ابنـــي مـــن المحكمـــة غصب عنك وعن الدنيا كلها.

نهـــض "أشـــرف" لكـــي يغـــادر وهـــو يخبرها:

-مـــازن عنـــده خمـــس ســـنين وعـــارف هـــو عـــايز يعـــيش مـــع مـــين، لأنـــه مســـتحيل يختار يعيش مع واحدة ميعرفهاش.

أنهـــى حديثـــه، ثـــم دفـــع الحســـاب وغـــادر، محاولًا الاتصال بـ "نور" لكنها لا ترد.

***

ســـقطت دموعهـــا التـــي حاولـــت إخفاءهـــا علـــيهم. يـــا الله! هـــو يكـــذب، هـــو كـــاذب، كـــذب مـــرة واثنتـــين، وهـــي حمقـــاء لا تفهـــم مـــا حـــدث. أخبرهـــا أن زوجتـــه "رحمهـــا الله"، والآن تـــرى المرحومـــة أمـــام

عينيها. وهو، هو ماذا؟ هو لم يخبرها الحقيقة. إذن ماذا تفعل الآن؟ هي تحبه، بل تعشقه. متى وكيف أحبته لهذه الدرجة؟ لا تعلم، لكن قلبها الأحمق يتألم بشدة...

جلست على جانب الطريق تضع يدها على وجهها، وهي تبكي بعنف. دقائق مرت عليها وهي تبكي بانهيار ولا تهتم بالمارّة، ولا بالفتيات اللواتي جلسن بجوارها يحاولن معرفة ما حدث لها.

تساءلت إحدى الفتيات التي كانت تجلس بجوارها، تربت عليها بحنان:

-أنتِ كويسة؟

رفعت "نور" وجهها للفتاة، لترى فتاة ترتدي زيًّا شرعيًا وتضع نقابًا يظهر منه

عيناها التي تبتسم بتشجيع أن تخبرها ما حدث. انتقلت الابتسامة إلى "نور" وهي تمسح دموعها:

- أنا كويسة.

نهضت "نور" لتنهض الفتاة معها، وتحاول ترتيب مظهر "نور" الذي أصبح فوضويًا بسبب ما حدث. لتقول "نور" بحرج:

-شكرًا... بعد إذنك.

تحركت "نور" بعيدًا عن التجمع، لتجد نفس الفتاة تسير خلفها. وقفت لتقترب الأخرى منها:

- أنتِ رايحة فين؟

أجابت "نور" بخفوت: الجامعة.

تحدثت الفتاة بمرح: حلو، يبقى طريقنا واحد.

ثم مدت يدها لتصافحها: أنا مريم، وأنتِ؟

صافحتها "نور" بهدوء: أنا نورهان، بس أصحابي بيقولولي يا نور.

ابتسمت "مريم" وهي تسير بجانبها:

-ماشي يا نور.

نظرت لها "نور" من أعلى لأسفل، ثم نظرت لنفسها وقالت بتردد:

-ينفع أسألك على حاجة؟

ردت "مريم" بجدية: طبعًا يا بنتي، اتفضلي.

ترددت "نور" ثم تساءلت بخجل من تدخلها فيما لا يعنيها:

-هو أنتِ إزاي لابسة كده في الحر ده؟

وعلى عكس المتوقع، شعرت "مريم" بالسعادة من سؤالها، لتجيب:

-"فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ."

ثم أضافت: ركزي معي يا نور. مفيش خلاف إن الجو حر، المشكلة كانت لما واحد قرر ما يجاهدش نفسه ويستحمل الحر ده. هي دي. ربنا يا نور، عمل الدنيا كده، صعبة وفيها مشاكل. وعمل الطاعة كده، ساعات تقيلة ومحتاجة قوة. وعمل المعاصي كده، فيها لذة

وجاذبيـــة نحـــو شـــهواتك. وكـــل ده عشـــان يبـــان... مـــين لمـــا يشـــوف "الحـــر" ده هييجـــي علـــى نفســـه، ومـــين هـــيفكس ويقـــرر يقعـــد فـــي الظـــل ويـــريح دماغـــه. هتلاقـــي "الحـــر" ده فـــي الحجـــاب وفـــي الصـــدقة، هتلاقيـــه فـــي الفرجـــة علـــى الحـــرام والغيبـــة والشـــتيمة، في كل صغيرة وكبيرة.

ثـــم قالـــت بابتســـامة: فهمتـــي يـــا نـــور إنـــك لازم تجاهـــدي نفســـك عشـــان الجنـــة تستاهل.

ابتســـمت "نـــور" وقـــد تناســـت ســـبب حزنـها:

-فهمت.

قالـــت "مـــريم" بعـــدما انتهـــى طريقهـــا لتنظـــر إلى "نور":

-مش هسألك عن المشكلة اللي خلتك تقعدي تعيطي في الطريق لأنها حاجة خاصة، بس هقولك آية قرآنية المفروض ترددها كل ما يحصلك حاجة، لأنك متعرفيش فين الخير. كمان ما تاخديش بظاهر الأمور، لأن أكيد في حاجات مخفية وراء كل حاجة بتحصل. وخدي عبرة من قصة الخضر مع موسى عليهما السلام

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ."

أنهت "مريم" حديثها ثم استأذنت، تاركة "نور" تعيد حساباتها.

كانت "مريم" كعابر سبيل ترك أثرًا جميلًا في قلب "نور" لا يزول ورحلت، لتنطبق عليها المقولة:

"فما نحنُ في الدُنيا إلا ضُيوف، وما على الضيف إلا الرحيل."

انتهت المحاضرة الأخيرة ليتحرك الجميع للخارج، ولم يتبقَ إلا القليل، ومنهم ثلاث أفراد من فرقة "المجانين".

انتقلت نظرات "بسملة" في المدرج، تقول بحزن:

-خلصنا.

تساءلت "دعاء" بشرود في ذكرياتها معهم:

- تفتكروا هنتقابل تاني؟

ردت "جيهان" عليها: إن شاء الله، بس مش زي الأول، لأن كل واحدة فينا هيكون ليها حياة تانية. ممكن نتقابل في المناسبات.

اقتربت "بسملة" من "دعاء"، تضع رأسها عليها، تهمس بحزن:

- أنا مستعدة أعيد السنة مرة واتنين، المهم إنكم تكونوا معايا، لأني مش عايزة أسيبكم.

ردت "نور" ممازحة: بسملة اللي من يوم ما عرفتها عايزة تتخرج وتحقق حلمها بتقول كده؟

ظهرت شبه ابتسامة على وجه "بسملة"، لتعتدل وهي تنظر إلى "نور"

التـــي أتـــت لتـــو وتحركـــت لـــتجلس بجانـــب "دعاء":

-لـــو حلمـــي هيبعـــدني عـــنكم يـــا نـــور، أنـــا مش عايزاه.

ربّتـــت "جيهـــان" عليهـــا بحنـــان: مفـــيش حاجة هتبعدنا عن بعض.

ثـــم أكملـــت بمـــرح: وبعـــدين لســـه فيـــه امتحانات، استني يمكن نعيدها كلنا.

ســـخرت "نـــور" منهـــا: ليـــه يـــاختي، همـــا فاشلين زيك؟

(مشـــيرة إلـــى "دعـــاء") دي واحـــدة جوزهـــا دكتـــور، طـــول الليـــل يـــذاكرلها ويجـــي عنـــدها يشرح لها اللي مش فاهماه.

(ثم مشيرة إلى "بسملة") ودي واحدة بتذاكر ليل نهار، فاكرة نفسها حفيدة 'عبد الرزاق السنهوري'.

(عبد الرزاق السنهوري: رجل القانون وواضع صياغة القانون المدني المصري قديمًا).

تذمرت "بسملة" منها وهي تضربها بخفة على وجهها:

-الله أكبر الله أكبر في عينك.

نظرت لها "جيهان" بحنق: لما نشوفك إنتِ يا نوره هانم.

ردت "نور" بتكبر وغرور مصطنع:

-هتشوفي، استني وشوفي أشهر محامية في التاريخ.

قاطعت "دعاء" حديثهم وهي تتساءل:

-آمال كنتِ فين يا نور؟

تذكرت "نور" ما حدث، لكنها لا تريد أن تخبرهم الآن وتزيد حزنهم عليها، فكل واحدة منهن تحمل همًّا، لتجيب باقتضاب:

-كنت مع "أشرف". المهم، امتحاناتكم امتى؟

ردت "بسملة": بعد أسبوعين.

تنهدت "نور" تقول بشرود: يااااه، معقول السنة خلصت بسرعة كده؟

ردت "دعاء" بمرح: الحمد لله، وهخلص منكم وأتجوز.

اشتعلت النظرات بينهم ليحدقوا بها، وهي تتساءل بخوف:

-إيه؟ مش هتجوز؟

أردفت "جيهان" بتحذير، وهي تنظر إليهم:

-محدش هيتجوز من غيري.

غمزت لها "بسملة" بمشاكسة: ولا غيري يعني. هتستنوا لما أدور على فارس أحلامي.

رفضت "دعاء" هذا التحذير الذي ينبثق من أعين "جيهان":

-انسي. أنا هخلص الامتحانات وأتجوز. ولو 'فارس' ما اتجوزنيش، هتجوزه أنا.

صفعتها "نور" على رأسها تصيح بحنق:

-اتقلي شوية ياختي، وخلي عندك كرامة.

ردت لها "دعاء" الصفعة:

-اتقلي إنتِ. أنا هتجوز بعد ما أخلص، اللي عايز يتجوز معايا ينجز، قدامكم شهر. وأنتِ يا جيهان، مقولتيش هتعملي إيه؟

تنهدت "جيهان" ثم أخبرتهم بعد تفكير:

-محتارة وخايفة بعد اللي حصل... صح، أنا ما أعرفش "إبراهيم" كويس، بس ما توقعتش يعمل كده.

دافعت "نور" عنه: هو ما كانش موافق على فكرة، بس إحنا اللي أقنعناه.

صاحت "جيهان" بضيق: وتقنعوه ليه يا مصيبة؟ اللي محبوس ده ابن خالك!

ردت "نور" بلا مبالاة:

- ياختي هيطلع يعني. هيحصلوا إيه؟

أردفـــت "جيهـــان" بجديـــة: هـــو ده اللـــي هيحصـــل. اتصـــلي بـــ "أشـــرف" وهـــو يتصرف بسرعة.

ردت "نور" بغضب: لا!

نظر لها الجميع بتساؤل، لتجيب بخفوت:

-قصـــدي، لســـه قافلـــة معـــاه. كلمـــي "إبراهيم" إنتِ، وهو يكلمه.

تســـاءلت "بســـملة" بشـــك: إنـــتِ متخانقـــة معاه ولا إيه؟

ردت "نور" بهدوء: لا... هو... بس...

قاطعتها "دعاء" بتحذير: نور؟

أغمضت "نور" عينيها بقوة:

- هقـــولكم بعـــدين. الموضـــوع كبيـــر ومـــش حابة أتكلم دلوقتي.

تفهموا ما تمر به، لتتحدث "بسملة":

-المهم كده إحنا خلصنا، الحمد لله. فأنا عايزة أروح مشوار مهم قبل ما أرجع البيت، عشان كده مش هطلع من البيت غير لما تبدأ الامتحانات.

يعلمون أين تريد أن تذهب، ومع ذلك تساءلت "نور":

-مشوار إيه؟

أجابت "بسملة" ببعض الحرج: عايزة أطمن على 'ديالا'. هتيجوا معايا؟

نفت "جيهان" برأسها وقالت:

-أنا لازم أتكلم مع 'إبراهيم' ضروري. فخدي 'نور' و'دعاء'.

رفضت "نور" هذا الاقتراح: لا، أنا هروح معاكِ إنتِ، و'دعاء' تروح مع 'بسملة'."

نظـــرت "بســـملة" إلـــى "دعـــاء" لتضـــحك الأخيرة: هتصل بـ 'فارس' وأقوله...

***

وصـــلت "جيهـــان" و"نـــور" إلـــى المشـــفى وتحركتـــا نحـــو الطـــابق المنشـــود، لتقـــول "نور":

-حـــاولي متـــرغيش كتيـــر، عشـــان عـــايزة أرجع البيت وأنام.

نظرت لها "جيهان" وتسألت بحيرة:

-مـــن إمتـــى وإنـــتِ بتنـــامي فـــي النهـــار؟ وبعدين مقولتيش مخبية إيه؟

كـــادت "نـــور" أن تجيـــب بـــرد مقتضـــب، ولكـــن قاطعهـــا اصـــطدامها بجســـد امـــرأة أثنـــاء ســـيرهما باتجـــاه مكتـــب "إبـــراهيم"، لتسقط أرضًا بسبب عدم توازنها.

اعتـــدلت "نـــور" وعـــدلت ثيابهـــا لتـــنهض، ولكـــن أثنـــاء ذلـــك ســـمعت صـــوت الســـيدة التي اصطدمت بها تعتذر بلباقة:

-آســـــفة، كنـــــت مركـــــزة فـــــي التقريـــــر وماشفتكيش.

نهضـــت "نـــور" ونظـــرت إليهـــا لتخبرهـــا أنـــه لا بـــــأس، فهـــــي أيضًـــــا مخطئـــــة. لكنهـــــا صُـــدمت... تلـــك الســـيدة لـــم تكـــن ســـوى "الدكتورة هاجر"، طليقة زوجها!

يـــا الله، مـــن بـــين جميـــع مـــن فـــي المشـــفى، لا أصطدم سوى بها؟

ابتســـمت "هـــاجر" بســـخرية مـــن صـــدمتها لتتساءل:

-مالك، اتخضيتي ليه؟

نظرت لها "نور" بتحدٍ وغضب خفي:

-وهتخض ليه؟ شوفت عفريت؟

اقتربت منها "هاجر" وربتت عليها بحنان كأنها صغيرتها، وقالت:

-اسمعيني يا حبيبتي، دي نصيحة لوجه الله: ابعدي عن "أشرف". ده أسوأ شخص ممكن تشوفيه في حياتك. أنا مش هقولك تفاصيل، بس إنتِ لسه صغيرة على الهم اللي هتشيله لو كملتي الجوازة دي.

حدقت بها "نور" بتشتت وخوف من نبرتها ونظراتها التي لا تمتّ للحقد والكره بصلة:

- ليه؟

ابتسمت "هاجر" بوجع حينما مر شريط حياتها أمامها، وغادرت دون كلمة.

شعرت "نور" بالوجع الذي تسرب من نظراتها ولا تعلم الآن ما عليها فعله.

كانت "جيهان" تتابع ما يحدث بصمت إلى أن غادرت الطبيبة بعد حديث لم تفهم منه شيئًا. فسألت "نور" التي تتنفس بصعوبة:

-مين دي يا نوره؟ وليه بتقول كده عن "أشرف"؟ أنا مش فاهمة حاجة! وإنتِ ليه خايفة كده وزعلانة؟ فهميني، فيه إيه؟

لكن "نور" كانت في عالم آخر، لم تستمع لشيء ولا تفهم شيئًا. خائفة، بل تكاد تموت رعبًا من أن تكون الطبيبة على صواب. ولكن قلبها ما زال ينبض باسمه، يكذّب كل ما يحدث، ويبرر له

إخفـــاء أمـــر طلاقـــه، ويضـــع لـــه أســـبابًا منطقية.

هـــي تثـــق بـــه، تثـــق أنـــه شـــخص رائـــع لـــم يكن سيئًا معها أبدًا.

مـــع ذلـــك، تكـــاد تقســـم أن الطبيبـــة لا تكـــذب. حـــديثها الـــذي يقطـــر حنانًـــا، ونظراتهـــا التـــي تتوســـل لهـــا أن تبتعـــد، خوفًـــا عليهـــا مـــن تجربـــة مـــرّت بهـــا قبلهـــا، كلهـــا أمـــور أربكتها.

فاقـــت مـــن شـــرودها علـــى يـــد "جيهـــان" التي تسألها بخوف عما حدث لها:

-نوره، فيه إيه؟

ابتسمت لها ابتسامة باهتة وقالت: مفيش. ويلا نروح للدكتور بتاعك عشان نخلص.

وعلى بعد صغير، كان يسير كعادته بين طرقات المشفى بابتسامة تأسر القلوب، فرأى "إبراهيم" "جيهان" تتحدث مع صديقتها، فتقدم منهما بسعادة ظاهرة، وقال عندما اقترب:

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

انتقلت ابتسامته إليهما وهما تردّان السلام:

-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ليقول "إبراهيم" وما زالت الابتسامة لم تغادر وجهه كالمعتاد:

- المستشفى نورت بوجودكم.

خجلت "جيهان" بشدة وهي تنظر بعيدًا عنه، لترد "نور" عليه:

-منورة بوجود حضرتك.

ثم وجهت حديثها إلى "جيهان":

-أنا هنزل أشتري حاجة عبال ما تخلصي، عشان ما نتأخرش.

تساءلت "جيهان" بشك: حاجة إيه؟

أخبرتها "نور" وهي تبتعد عدة خطوات:

-هشتري حاجة آكلها، عشان جعانة.

كانت تكذب، و"جيهان" تعلم ذلك، لتقول:

-استني يا نوره، أنا هروح معاكِ.

قاطعتها "نور" بجدية: لا، شوفي إنتِ جايه هنا تعملي إيه لحد ما أجي.

وغـــادرت لتظـــل "جيهـــان" تنظـــر لأثرهـــا بقلق. فسألها "إبراهيم" باهتمام:

- فيه إيه؟

صـــرفت نظرهـــا عـــن "نـــور"؛ فيجـــب أن تنهـــي مـــا جـــاءت لأجلـــه، وبعـــدها تتفـــرغ لـــ "نور" وتعلم ما بها. فقالت:

-كنت عايزة أتكلم مع حضرتك.

أشـــار صـــوب مكتبـــه وهـــو يخبرهـــا بصـــدق:

ده شيء يسعدني.

***

وصـــلت "بســـملة" و"دعـــاء" إلـــى منـــزل "تـــامر"، لتـــدق جـــرس البـــاب. وبعـــد دقيقـــة، أتـــى "كـــريم" ليفـــتح البـــاب ليتفاجـــأ بوجودها.

قالت "بسملة": السلام عليكم، "ديالا موجودة؟

فهم "كريم" سبب وجودها، هي جاءت لتطمئن على شقيقته وربما شقيقه هو من طلب منها ذلك. تنحنح بعدما ظل واقفًا في مكانه ولم يرد عليها:

-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. اتفضلي.

تركهما عند الباب ودخل ليخبر "سلمى" أو والدته لاستقبالهما.

وبعد دقيقتين، أتت "سلمى" ترحب بهما ودلتهما على غرفة الاستقبال، لكنها لم تتعرف على "بسملة" لتسألها بتساؤل:

-هو أنا شفتك قبل كده؟

ردت "بسملة" عليها باقتضاب: أيوة.

تساءلت "سلمى" مرة أخرى: فين؟

يـــا الله، هـــذه الســـيدة تريـــد إحراجهـــا! ردت بخفوت:

-فـــي بيتنـــا لمـــا جيتـــي مـــع الجماعـــة تطلبـــوا إيدي.

تـــــذكرتها "ســـــلمى"، وتـــــذكرت حـــــزن "تامر" في ذلك اليوم، لتقول بحزن:

- أيـــوة... وإنـــتِ رفضـــتي مـــع إن 'تـــامر' كويس مش وحش زي ما إنتِ فاكرة.

انتقـــل الحـــزن إلـــى "بســـملة"، لتـــرد باختصار:

-نصيب.

ابتســـمت "دعـــاء" وهـــي تســـأل: آمـــال 'ديالا" فين؟

بادلتها "سلمى" الابتسامة وقالت:

- شوية وجاية لأنها كانت نايمة، وأكيد 'كريم' قالها إنكم هنا. وأنتِ مين؟

أجابت "دعاء": أنا 'دعاء'، صاحبة 'بسملة' واتعرفنا على 'ديالا' من فترة قريبة.

صمتت "دعاء" للحظة وهي ترى نظرات صديقتها التي تبحث عن شيء في المنزل كأنها لا تصدق أن "تامر" غادر البلد. فسألت:

-هو الأستاذ 'تامر' مسافر، صح؟

حدقت بها "سلمى" بشك: وأنتِ عرفتي منين؟

ردت "دعاء" بهدوء:

-من 'مارس'، أخو جوزي. أكيد عارفه إنه طالب إيد 'ديالا'.

المفاجأة لم تكن من نصيب "سلمى" فقط، بل من نصيب "بسملة" التي لم تكن تعلم أن شقيق "فارس" يريد الزواج من "ديالا". نظرت إلى "دعاء" التي فهمت نظراتها، وأشارت إليها بمعنى: "سنتحدث لاحقًا."

قالت "سلمى" بمرح: يعني أنتِ هتكوني سِلفة 'ديالا'.

ابتسمت لها "دعاء": إن شاء الله.

همست "سلمى" باشتياق: تامر وحشني والله... يا رب يرجع بسرعة.

وقحة! نعم، كيف تتجرأ وتقول هذا أمامها؟ ألا تخجل؟ هي زوجة أخيه!

نظرت لها "بسملة" بشر، ثم قالت بحدة مقصودة:

-'ديالا" فين لو سمحتِ؟ لو لسه نايمة يبقى نجيها وقت تاني.

نظرت لها "سلمى" بحرج من طريقتها، وقبل أن ترد سمعت صوت "ديالا" تقول بهدوء:

-السلام عليكم.

نهضت "دعاء" لتعانقها وهي ترد السلام، وكذلك فعلت "بسملة" التي تناست ما قالت "سلمى" وردت عليها السلام بمرح:

-وعليكم السلام يا جميلة الجميلات. كله ده تأخير؟

أجابتها "ديالا" بحرج: معلش، كنت نايمة. "نور" مجتش معاكم ليه؟

ردت "بسملة": عندها مهمة وطنية.

ضحكت "ديالا": يا خوفي من وطنية 'نور'.

"بسملة" أضافت "ديالا" في جروب "فرقة المجانين"، ودائمًا تتصل بها وتتحدث معها. وهذا أحد الأسباب الرئيسية التي جعلت "ديالا" تشفي مما حدث لها.

شاركتها "دعاء" الضحك وهمست:

-إنتِ لسة في البداية، مشفتيش الوطنية اللي بجد.

توقفت "ديالا" عن الضحك وقالت: لا يا عم، كفاية اللي شوفته في اليومين اللي فاتوا.

تساءلت "بسملة" بحنان وهي تربت على يدها:

-المهم طمنيني عليكِ يا قلبي.

تنهدت "ديالا" وأجابتها بشبه ابتسامة:

-الحمد لله على كل حال.

واستمر الحديث بينهن لما يقارب الساعة بين مرح وجد، ونظرات "بسملة" المصوَّبة نحو "سلمى" التي لا تفهم لماذا هي غاضبة منها.

***

نظراته تابعتها باهتمام وهي تجلس بتوتر وخجل شديد منه. تنحنح بحرج ليسأل باهتمام:

-قلتي إنك عايزة تتكلمي معايا، أنا سامعك.

تمالكت نفسها لتقول بجدية: متوقعتش منك اللي حصل، مكنتش أتوقع إنك تعمل كده. خيبت ظني فيك.

كلماتها سقطت عليه كالنيران، ليدافع عن نفسه:

-أقسملك إني كنت رافض، بس مكنش فيه حل تاني.

تنهدت وهي تتحاشى النظر له ولم تقبل ما قال:

-فيه ألف حل إلا إنك تظلم شخص بريء بتهمة زي دي.

يعلم أنه مخطئ ولا يوجد مبرر لما ارتكبه بحق نفسه قبل حقها وحق من تم اعتقاله بسببه. قال بصوت منخفض:

-أنا عارف إني غلطان، بس صدقيني مكنش فيه حل تاني عشان الخطوبة تتلغي.

نظرت له برفض:

-حتى لو، مكنش ينفع تعمل كده. لأن اللي في الحبس ده ابن عمي، وتحبس بسببنا.

نهض ليجلس في المقعد المقابل لها، يتوسلها بنظراته أن تغفر له:

-أنا آسف... بس فكرة إني أخسرك كانت أقوى من كل حاجة، أقوى من مبادئي وكل اللي اتربيت عليه. عشان كده اتنازلت عن كل ده ووافقت على اقتراحهم.

تنهد وهو يقول: صعب عليا جدًا إن أخسرك. إنتِ لحد اللحظة دي متعرفيش إنك أغلى عندي من الدنيا وما فيها. أنا عارف إني غلطان، بس مكنش ينفع إنك تكوني لحد غيري.

رغم انزعاجها الشديد مما حدث، لكنها ابتسمت له، وشعور السعادة يزداد داخلها كلما التقت به. هذا الرجل هدية القدر لها. قالت بعفوية:

-حصل خير. المهم قولي حصل إيه بالظبط، ومحمد هيطلع إمتى؟

انزعج من اهتمامها بابن عمها، لكنه تغاضى عن ذلك وهو يتذكر ما حدث ويرد عليها:

Flashback

كعادتهـــا، اتخـــذت "نـــور" دور القائـــد رغـــم أنها أصغرهم:

-الحل عندي!

نظـر لهـا الثلاثـة بترقـب، فقالـت وهـي تنظـر لـ "أشرف" الذي يجلس أمامها:

-اســمع يــا "أشــرف باشــا"، أنــت هتســتغل معارفــك وتلبســه قضــية وتقــبض عليــه، وبعدها...

قاطعتهـــا "بســـملة" بصـــفعة علـــى رأســـها وهي تصيح بحنق:

-قضــية إيــه يــا مصــيبة! عــايزة تــودي ابــن خالك في داهية؟!

أردفت "نور" بتذمر وهي تنظر لها:

-عشـــان أنقـــذ صـــحبتك! وبعـــدين اصـــبري عشان أفهمكم.

نظـــر "إبـــراهيم" إلـــى "أشـــرف"، ليـــراه يبتســـم بســـمة ســـوداوية وكأنـــه يوافقهـــا الرأي. فاعترض:

- لا طبعًـــا! فكـــري فـــي حاجـــة تانيـــة. مســـتحيل نظلـــم حـــد حتـــى لـــو شـــخص حقيـــر زي ابن خالك.

رد "أشـــرف" عليـــه: اســـمعها الأول. كملـــي يا "نور".

قـــال جملتـــه الأخيـــرة وهـــو ينظـــر لـــ "نـــور"، لتكمل:

-كـــده كـــده هيطلـــع، بـــس لـــو مـــا عملنـــاش كـــده يبقـــى انـــسَ 'جيهـــان'. أنـــا ســـمعتهم بيتكلمـــوا عـــن كتـــب الكتـــاب مـــش بـــس خطوبة، و'جيهان' حتى ما تعرفش!

مـــا زال "إبـــراهيم" معترضًـــا رغـــم صـــدمته ممـــا تقـــول. هـــل ســـيتم عقـــد قرانهـــا ويخسرها للأبد؟! قال:

-ماشي، بس أكيد فيه حل تاني غير ده.

نفـــت "نـــور" برأســـها: لا. مفـــيش غيـــر الحـــل ده. لازم 'محمـــد' مـــا يكـــونش موجـــود بكرة.

اعتـــرض وأصـــر، لكـــن فـــي النهايـــة رضـــخ لاقتراحهم خوفًا من أن يفقدها.

تحـــدث "أشـــرف": مـــا تقلقـــش يـــا 'إبـــراهيم'. هو يومين وهيطلع.

تســـاءلت "بســـملة": طيـــب يعنـــي حضـــرتك هتتهمه بإيه؟

رد "أشرف" عليها:

-فيه قضية ماسكها واحد صاحبي عن بنت تم الاعتداء عليها. هخليه متهم فيها، وبعدها البنت لما يتعرض عليها أكيد مش هتعرفه وقتها وهيطلع. الموضوع كله هيأخد يومين مش أكتر.

وضعت "بسملة" يدها على فمها بصدمة:

-يا ربي! هتودوا الراجل في داهية عشان هيخطب؟!

زجرتها "نور": بس، إنتِ مالكيش دعوة. وأنا و'بسملة' و'دعاء' هنحاول نخليهم ما يلبسوش الشبكة لحد ما تيجي الحكومة.

ثم صفقت بحماس: كده كله تمام، وكل واحد عارف هيعمل إيه!

نظـــرت لهـــا "بســـملة" بضـــيق، و"إبـــراهيم" بعـــدم فهـــم لمـــا تفعـــل. هـــل هـــي ســـعيدة بمـــا ســـتفعله بـــابن خالهـــا؟! أمـــا "أشـــرف"، فكان ينظر لها بابتسامة وحب.

Back

بعدما قص عليها ما حدث، أخبرها:

-اطمنـــي، ابـــن عمـــك هيطلـــع بكـــرة. وحقـــك عليا... مكنش قصدي أزعلك.

ابتســـمت لـــه بامتنـــان وقالـــت بصـــدق: أنـــا مـــش زعلانـــة منـــك. بـــالعكس، أنـــا مبســـوطة جـــدًا إنـــك متمســـك بيـــا، بـــس مكنـــتش عـــايزة إنك تتصرف تصرف زي ده بسببي.

يـــا الله! ابتســـامتها تجعلـــه يفقـــد صـــوابه. هـــذه الفتـــاة بكـــل مـــا فيهـــا لعنـــة أصـــابته منـــذ رآها. قال:

-مستعد أعمل أي حاجة عشانك.

***

ولجت إلى مكتبها ثم جلست على أقرب مقعد بإهمال، تتذكر كيف واجهت الجميع وتزوجت من شخص لا يرحم. عائلتها كلها رفضت زواجها منه، ولكن مع إصرارها رضخ والدها للأمر. وليته لم يقبل.

Flashback

صرخت بألم مما يفعله بها، لتترجاه ببكاء:

-أشرف، أنا آسفة! حقك عليا، والله ما هعمل كده تاني. بس كفاية... مش هقدر أتحمل أكتر من كده!

انطلقت منه ضحكات ساخرة وهو يقول بغضب، ويده ما زالت تجذب شعرها بقوة:

-ده لو أنا سبّت فيكِ نفس، تعملي كده تاني!

عاد يضربها بقوة وغضب، كأنها عدوة له وليست زوجته، وهي ما زالت تصرخ بوجع وقلة حيلة. عادت لتترجاه لعله يرحمها ويتركها تذهب لطفلها الصغير، الذي يبكي منذ ساعة ويكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة:

-خلاص، والله هسمع كلامك! ولو رن عليا مش هرد! بالله عليك، سبني... 'مازن' هيموت من العياط، عايزة أسكته.

صفعها على وجهها بغضب: قلتلك مية مرة، أنا بكره أبوكي ومش عايزك تكلميه! وحذرتك، بس إنتِ غبية مبتفهميش!

بكت وجعًا، بكت ندمًا، بكت خذلانًا، بكت ظلمًا. فإن كان هو ظالمًا، فهي كذلك. وأول من نال ظلمها طفلها الحبيب، الذي ابتُلي بأب كهذا.

ظل يوجه لها الضربات لوقت لا تعلم عدده، ثم تنهد وهو يضربها بقدمه مرة أخرى ويبصق في وجهها بتقزز قبل أن يغادر:

-جاكِ الهم... تعبتيني.

تحاملت على نفسها لتنهض وتتجه صوب طفلها بلهفة وألم. جذبته من

الفـــراش لتحتضـــنه وهـــي تجلـــس بـــه علـــى الأرض، وتهمس له ببكاء:

-حقك عليا... سامحني.

Back

مســـحت دموعهـــا بأنامـــل مرتجفـــة وهمســـت لنفسها بكلمات داعمة:

-انتهـــى كـــل ده... دلـــوقتي ميقـــدرش يعملـــك حاجة.

اعتـــدلت فـــي جلســـتها وهمســـت مـــرة أخـــرى بوجع:

-حقك عليا يا 'مازن'... يارب تسامحني.

***

الفصل السادس والعشرون

يموتُ الأنسانُ حزناً إذا خذله أحدُهم

فما بالك بمن خذلتهُ أمّة !

رفح🤲PS ❤

***

عـــادت إلـــى المنـــزل لتجـــد والـــدها وزوجتـــه يجلســـان أمـــام التلفـــاز برفقـــة شـــقيقاتها. ســـخرت داخلهـــا مـــن هـــذا الوضـــع، لمـــاذا هـــي الوحيـــدة المنبـــوذة بيـــنهم؟ لمـــاذا زوجـــة أبيهـــا تبغضـــها؟ لمـــاذا لـــم تجلـــس معهـــم يومًـــا لتضحك وتمرح برفقتهم؟

تغاضـــت عـــن كـــل ذلـــك، وتنفســـت بعمـــق كـــي تهدأ، ثم ألقت السلام عليهم بهدوء:

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رد الجميـــع عليهـــا: وعلـــيكم الســـلام ورحمـــة الله وبركاته.

اقتربت بخطوات من والدها، وقالت برسمية:

-عايزة أتكلم مع حضرتك يا بابا.

نظر لها "عثمان" باهتمام: خير؟

نظرت لزوجة أبيها لتجدها تنظر لها برفض، كأنها تحذرها من الحديث، ولكن لم تستسلم لنظراتها، وقالت باقتضاب:

-محمد.

أجابها والدها كي يطمئنها، إذ ظن أنها تقلق بشأنه:

-متقلقيش، المحامي طمني وقال هيطلع النهارده، وبعدها أبقى نشوف يوم نكتب الكتاب على طول.

توترت قليلًا، ولكن تمالكت نفسها، وهزت رأسها نافية:

- أنا مش قلقانة عليه... أنا مش عايزاه أصلًا.

انتفض والدها صارخًا في وجهها، لتعود خطوات للخلف بخوف:

-بتقولي إيه؟"

ردت "جيهان" ببكاء: بابا، حرام عليكم! أنا مش عاوزه أتجوز 'محمد'!

صفعها والدها صفعة دوّى صوتها في الأجواء. وضعت يدها على وجهها، وأكملت حديثها بوجع:

-إشمعنى أنا اللي أُجبر على واحد مش عايزاه! مين اللي اختارلك يا بابا أو جبرك تتجوز ماما؟

جذبتها زوجة أبيها بعيدًا، تحثها على المغادرة:

- امشي دلوقتي!

رفضت "جيهان" وهي تبعد يدها عنها:

-مـــش همشـــي! يعنـــي هيرضـــيكم لمـــا أتجـــوزه وأرجـــع مطلقـــة بعـــد شـــهر ولا اتنين؟

عـــاد والـــدها يجلـــس مكانـــه، يســـمع صـــوت بكائهـــا، وقـــال بهـــدوء لا يناســـب مـــا حـــدث منذ ثوانٍ:

- يعني أنتِ عايزة إيه؟

كفكفـــت دموعهـــا، وقالـــت برجـــاء: بـــالله عليك يا بابا، أنا مش عايزة أتجوزه.

ســـألها والـــدها وهـــو ينظـــر لهـــا بدقـــة: وابـــن عمك هنقوله إيه؟

تحـــدثت بلهفـــة، وصـــوتها يحمـــل آثـــار البكاء:

-أنا... أنا أول ما يطلع هتكلم معاه.

أردف "عثمـــان" بجديـــة لا تقبـــل النقـــاش بعدما رأى نظرات زوجته:

-اعتبـــري الموضـــوع خلـــص، أنـــا هكلـــم عمك وهقوله.

ابتسمت بسعادة تصل عنان السماء:

-شكرًا... شكرًا أوي يا بابا!

تحركـــت خطـــوتين لتغـــادر، لكنهـــا عـــادت تنظـــر لهـــم بخجـــل وتـــوتر، ليبتســـم والـــدها وهو يقول ليرفع عنها الحرج:

-هتصـــل بيـــه عشـــان أحـــدد معـــاه ميعـــاد يجـــي يتقدملك.

همست بصدمة مما قال: بجد؟

أخبرهـــا بصـــدق: هـــو شـــخص كـــويس ومحتـــرم، وأنـــا مكنـــتش رافضـــه. أنـــا كنـــت

عـــايزك تتجـــوزي 'محمـــد'، بـــس طالمـــا أنـــتِ مش موافقة يبقى براحتك.

اقتربـــت منـــه وعانقتـــه بفرحـــة لا توصـــف.

يـــا الله، هـــل يعقـــل أن يتحقـــق حلمهـــا بهـــذه الســـرعة؟ والـــدها وافـــق ببســـاطة دون جـــدال ولا صـــفعات! فهـــي الآن كـــل مـــا تمنتـــه أن تنهـــي هـــذه الخطبـــة، ولـــم تفكـــر حتى بشأن الزواج.

***

دقـــت "نـــور" بـــاب منزلهـــا، لتقـــوم والـــدتها بفتح الباب، فدخلت خلفها وهي تتساءل:

-آمال بابا فين؟

ردت والـــدتها وهـــي تشـــير إلـــى غرفـــة الاستقبال:

-في الصالون مع 'أشرف'.

اشتعلت حدقتا "نور" غضبًا، وانـدفعت لترى ما الكذبة الجديدة التي أتى بها. دخلت الغرفة لترى والدها وشقيقها يتحدثان معه بتلقائية وكأنه فرد من العائلة. إذًا، هو لم يخبرهم ما حدث! لا بأس، ستخبرهم هي.

انتبه لوجودها شقيقها، ليقول بمشاكسة وهو يشير لها بالاقتراب:

- إيه؟ أول ما عرفتي إنه هنا جيتي جري؟ تعالي.

لم تهتم بما قال، فألقت السلام بهدوء واقتربت لتقف أمام "أشرف" مباشرةً، وقالت والغضب يسيطر عليها:

-إيه اللي جابك هنا؟

تفاجأ والدها وشقيقها من طريقتها.

وقبل أن يتحدث أحدهما، نظر "أشرف" إليهما وأردف بهدوء:

-بعد إذنك يا عمي، ممكن أتكلم معها لوحدنا؟

ردت بعصبية بالغة: مفيش بينّا كلام! اتفضل من هنا، وابعتلي ورقتي، وإلا قسمًا بالله هخليك تندم!

صاح والدها بغضب وكاد أن يصفعها لتجاوزها الحدود مع زوجها، لكن "أشرف" وقف أمامها ليمنعه من صفعها. ثم عاد يقول طلبه مرة أخرى:

-حقك عليا يا عمي، بس مينفعش تمد إيدك على مراتي. معلش، سبني معها خمس دقايق، وكل حاجة هتتحل.

صـــاحت "نـــور" بعصـــبية: مفـــيش حاجـــة هتتـ...

قاطعهـــا "أشـــرف" بنظـــرة حـــادة وهـــو يهتف:

-نـــور، خمـــس دقـــايق، لـــو معجبكـــيش كلامي همشي.

ثـم نظـر لوالـدها الـذي بـدوره نظـر إلـى ابنـه الذي يتابع بصمت، وقال وهو يخرج:

-سيب أختك مع جوزها يا 'محمد'.

نظـــر "محمـــد" لشـــقيقته، يعلـــم أنهـــا لـــن تغضـــب مـــن أجـــل لا شـــيء. ربمـــا فعـــل لهـــا شـــيئًا ســـيئًا جعلهـــا تثـــور هكـــذا. ورغـــم اعتراضـــه الشـــديد علـــى تركهمـــا، إلا أنـــه تركهمـــا مجبـــرًا. وقبـــل أن يخـــرج، ألقـــى

نظـــرة مهتمـــة لشـــقيقته ونظـــرة حـــادة لزوجها، وكأنه يحذره في صمت.

وبعـــدما غـــادر وأغلـــق البـــاب، نظـــرت "نور" إلى "أشرف" وقالت بسخرية:

-بسرعة كده لقيت كدبة جديدة؟

لم يهتم بسخريتها، وهو يقترب منها:

-اقعدي يا "نور"، نتكلم بهدوء.

انتفضـــت "نـــور" للخلـــف عنـــدما اقتـــرب منها، ورفعت يدها كتحذير ألا يقترب:

-إيـــاك تلمســـني! ومتقـــوليش يـــا "نـــور"، اســـمي "نورهـــان" لأن "نـــور" دي بيقولهـــا أصـــحابي أو النـــاس اللـــي بحـــبهم... مـــش أنت!

تنهـد بضـيق وهـو يبتعـد عنهـا، ثـم جلـس ينظر لها وأشار إلى المقعد:

-اقعدي.

نظـرت لـه بغضـب وهـي تلقـي حقيبـة يـدها على المقعد:

-مش هقعد مع واحد كداب!

لـم يتحمـل طريقتهـا الفظـة، فظـل دقيقـة أو اثنتـين صـامتًا كـي يهـدأ. ثـم ألقـى لهـا بعـض الأوراق علـى المقعـد وهـو ينظـر لها بدقة:

-شوفيهم.

لـم تتحـرك "نـور" وظلـت تحـدق بـه: إيـه؟ دي لعبة جديدة عشان تضحك عليا؟

"يـا الله! هـذه الفتـاة كارثـة بكـل المقـاييس، أعانني الله عليها."

هـذا كـان حـديث "أشـرف" بينـه وبـين نفسه، ليتنهد وهو يبتسم لها:

-شـــوفي يـــا "نـــور" الـــورق اللـــي قـــدامك، وبعدين اتكلمي.

ظلـــت "نـــور" تنظـــر لـــه وهـــي تفكـــر... هـــل هـــذه ورقـــة طلاقهـــا؟ أيعقـــل أن يكـــون فعلهـــا بهـــذه البســـاطة؟ لـــم يهـــتم بهـــا وبمـــا ستشـــعر بـــه بعـــد هـــذه الورقـــة؟ عـــادت تنظـــر إلـــى الأوراق بحزن.

-واللهِ مقـــدر أســـتغنى عنـــك، ولا يهـــون عليـــا زعلك.

كـــان يتـــابع نظراتهـــا لـــلأوراق ولـــه بشـــرود، فعلـــم بمـــا تفكـــر. تحـــدث "أشـــرف" بنبـــرة حنونـــة أيقظتهـــا مـــن شـــرودها وكأنـــه استمع لأفكارها.

نظـــرت لـــه ليبتســـم وهـــو يشـــير إلـــى الأوراق:

-اقعدي يا "نور"، شوفيهم ومتخافيش، مش هكدب عليكِ تاني. كده كده كنت هقولك، بس نصيب تعرفي بالطريقة دي.

عاد يخبرها بعتاب: وأنا مقدر زعلك، عشان كده مش هعاتبك على طريقتك قدام أهلك.

جلست "نور" بعد تفكير، وجذبت الأوراق لترى شهادة ميلاد وبطاقة شخصية قديمة وشهادة ثانوية وشهادة جامعية. جميعها تحتوي على صورته، إذًا هذه الشهادات تعود له. ولكن ما لفت انتباهها وأدهشها أن الاسم المدون لم يكن اسمه. نطقت الاسم باستغراب وهي تنظر له:

"شـــــريف أبـــــو الســـــعود محمـــــود المصري؟!"

***

وقــف "فــارس" يتــابع العمــال بجديــة برفقــة شــقيقه، ليجــد والدتــه تــدخل إلــى الــداخل وتقتــرب مــنهم بخطــوات واثقــة، تنظــر يمينًــا ويســارًا، ثــم قالــت بضــيق وهــي تــرى تصميم الشقة وما يفعله "فارس" بها:

-خسارة فيها.

نظر لها "فارس" بتأفف: ماما!

لتبادلــه النظــرة بســخرية وهــي تشــير إلــى العمال:

-نعــم يــا روح مامــا، كــل دول عمــال عشــان شقة السنيورة؟

مسح وجهه لكي يهدأ، ثم أردف: ماما، هي مش هتاخد الشقة معها وتمشي، وأنا قلت لحضرتك لو مش عايزنا نعيش معاكم، ممكن أوقف الشغل في الشقة عادي.

لم ترد عليه وهي تنظر إلى "مارس"، ليتحدث الأخير بسرعة:

-ماما بالله عليكِ مش وقت كلام في أي موضوع دلوقتي، وخصوصًا إن فيه ناس غريبة في البيت.

أشاحت بوجهها عنهم، ورفعت رأسها بشموخ وغادرت بثقة، ليتنفس "مارس" براحة وهو يستند على أخيه:

-أمك دي غريبة يا أخي، فيه كده؟

ابتسم "فارس" وهو يمسد على شعره بحنان:

-هي لو سمعتك هتقول أمك هتعملك بان.

ضحك "مارس" وهو يبتعد عنه:

الحمدلله إنها مش بتسمعني وأنا بتكلم، كانت اتبرّت مني.

رد "فارس" وهو ينظر له ويتابع لمعة عينيه التي تحكي الكثير:

-متهونش عليها، دأنت الغالي. المهم، احكيلي، طالع تساعدني ومش بتذاكر ومش مبطل ضحك، أنت وأصحابك اللي جابرهم يشتغلوا مع العمال، إيه اللي حصل خلاك مبسوط بالشكل ده؟

لم يستطع "مارس" أن يخفي سعادته التي حصل عليها من مكالمة لا تتعدى

الـــدقيقتين، فـــرد علـــى شـــقيقه بحمـــاس: كلمـــت الـــدكتور "كـــريم" وقـــالي أجـــي أقابـــل أبـــوه يـــوم الخمـــيس. فقلـــت إنهـــاردة إجـــازة مـــن الدراســـة بمناســـبة الخبـــر الحلـــو ده. ولمـــا لقيتـــك جايـــب عمـــال فـــي الشـــقة، قلـــت أجيب العيال وأجي نساعدك.

-عيال في عينك!

تفـــوه بهـــا أحـــد أصـــدقائه الـــذي اســـتمع إليـــه وهو يقترب منهم.

عـــدل "مـــارس" حديثـــه بضـــحكة: أجـــدع رجالة يا باشا.

رفـــع "فـــادي" رأســـه بغـــرور مصـــطنع: أيـــوة كده، اتعدل.

ثـــم وجـــه حديثـــه لـــ"فارس": ربنـــا يـــتمم على خير يا دكتور.

ابتسم له "فارس": اللهم آمين، وعقبالكم يا شباب.

أنهى حديثه، ليرتفع رنين هاتفه. نظر إلى الشاشة ليرى اسمها مدونًا "الدنيا وما فيها"، لتتسع ابتسامته وهو يبتعد عنهم ليقف عند الشرفة ويرد عليها بحب:

-السلام عليكم يا حبيبتي.

خفق قلبها بعنف إثر تلك الكلمة التي خرجت منه بتلقائية، لترد بخجل:

-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

سأل باهتمام: وصلتِ البيت يا حبيبتي؟

ابتسمت وهي تجيب عليه، فهو طلب منها أن تهاتفه عندما تعود للمنزل ليطمئن:

-أيوة، لسه واصلة، ورنيت عشان أقولك زي ما قلت.

صوتها الخجول جعله يحلق في السماء، ليقول:

- حمدالله على سلامتك يا حبيبتي. معلش مش هقدر أجي أشوفك اليومين دول، لأني مشغول في تجهيز الشقة. هخلصها وهنروح مع بعض نشتري كل حاجة عايزاها.

شعرت بالحرج والحزن، فهو أخبرها أنه سيتولى تكاليف كل شيء ينقصها. ورغم رفض والدها طلبه، لكنه أقنعه بكل الطرق أن كل شيء سيأتي لمنزله في نهاية الأمر ولا فرق بينهم، فهو لا يريد سوى قلبها. ردت بصوت خافت:

-أنا مش عايزة حا...

قاطعها بجدية لا تقبل النقاش: دعاء، إحنا أتكلمنا في الموضوع ده كتير، فبلاش تفتحيه تاني عشان كلامك ده بيزعلني.

ردت عليه بخفوت: مقصدش أزعلك، بس... قاطعها مرة أخرى: مفيش 'بس' يا حبيبتي، أنا فاهم قصدك كويس، بس عشان خاطري، بلاش تفتحي سيرة حاجة تزعلني منك.

همست بحياء: حاضر.

أردف بحب: وحشتيني أوي.

ارتفعت دقات قلبها، وهمست له بحب:

-وأنت وحشتني أوي.

***

«شريف أبو السعود محمود المصري.»

تفوهت بالاسم مرة أخرى وهي تترقب ما يقول، ولم يتأخر لثوانٍ، فقال:

-الحاجات اللي في إيدك دي بتاعتي، أنا اسمي كان "شريف" مش "أشرف".

تساءلت "نور" بتردد: إزاي؟

تنهد "شريف" وهو يخبرها بما أخفى عنها وعن الجميع:

-"أشرف" أخويا التوأم، نسخة طبق الأصل مني، مفيش اختلاف بينا غير شخصيتنا. كل واحد فينا شخصية مختلفة.

نظر لها وجدها تتابع باهتمام شديد، ليكمل:

-من سنين كنا عيلة سعيدة، بس في يوم بابا قال لـ"ماما" إنه هيخدنا معاه القاهرة لأنه معزوم على فرح واحد صاحبه، بس أنا رفضت أروح من غير "ماما". فسافر هو و"أشرف"... ومرجعوش.

تساءلت "نور" وهي تتابع نظرات الحزن التي علت وجهه:

- أنتم كنتم ساكنين فين؟

أجاب وهو يتحاشى النظر لها:

بورسعيد.

عادت "نور" لتسأل: كان عندك كام سنة؟ وليه مرجعوش؟

رد عليها بشرود: خمستاشر سنة.

وأردف بعد برهة: بابا كان متعرف على واحدة أجنبية، وطلبت منه إنه يروحلها

ويعيش معاها، وهو وافق وباع التلات محلات اللي كانوا عندنا. ولأنه متعلق بينا، كان عايز ياخدنا معاه، وده اللي حصل. لما سافر القاهرة، فضلوا أسبوع هناك، وقدر يقنع "أشرف" إنه يسافر معاه. و"مي" كانت صغيرة يعني كلمتين سهل يقنعوها بيهم. وسافر بيهم واتقطعت أخباره عننا. "ماما" دورت عليهم ومعرفتش حاجة. فدخلت كلية الشرطة مخصوص عشان أدور عليهم، وطلبت من "ماما" نعيش في القاهرة عشان جامعتي. ومن وقتها واحنا هنا.

صمت ليتنفس بهدوء. لتسأل "نور" وهي تقترب لتجلس بجواره:

-وبعدين حصل إيه؟ عرفت هما فين، صح؟

ابتسم عندما اقتربت، ليرد عليها: عرفت هما سافروا فين، وحاولت التواصل مع "بابا" أكتر من مرة، لحد ما رد. تقريبًا كان قاطع علاقته بكل الأرقام المصرية. المهم، كلمته واقنعته إنه ينزل وإني مسامحه. وهو، لأنه كان ندمان على اللي حصل، رضي وقالي إنه هينهي شغله وهيسحب ورق "مي" من الجامعة وهينزل. يومها كنت فرحان أوي. "بابا" هيرجع، وأخويا اللي كنا بنتشارك كل حاجة مع بعض، وكان حلمنا نكون دكاترة وفي نفس المجال، هتقابل معاه بعد كل السنين دي. وأختي الصغيرة

اللـــي كنـــت بعتبرهـــا بنتـــي رغـــم إنـــي كنـــت صـــغير، مـــش كبيـــر أوي. فرحتـــي يومهـــا مكنش ليها حدود.

عبثـــت "نـــور" فـــي الحجـــاب بضـــيق، ليقتـــرب هـــو منهـــا عنـــدما لاحـــظ انزعاجهـــا. جـــذب الـــدبابيس ووضـــعهم فـــي يـــدها، ثـــم جـــذب الحجـــاب ووضـــعه بجـــواره. لتضـــع "نور" رأسها على قدمه وهي تتساءل:

-ولما نزلوا حصل إيه؟

بعثر شعرها بحنان وهو يخبرها بحزن:

-يومهـــا كانـــت صـــدمة ليـــا لمـــا شـــفتهم. "بابـــا" شـــكله كبـــر ميـــة ســـنة بســـبب الهـــم، و"أشـــرف" حقـــق حلمـــه وبقـــى دكتـــور، لكـــن بقـــى صـــايع، بيشـــرب، وكـــل يـــوم مـــع بنـــت، وبقى عصبي وعنيد.

أكمل بحسرة بعدما صمت للحظات:

-تخيلي "أشرف" اللي كان بيتخانق معايا لما نتأخر على الصلاة، بقى شخص مدمن. أما بقى الصدمة الأكبر لما عرفت إن أختي الصغيرة حامل من غير جواز. جات تسألني ببساطة لو أعرف دكتور عشان ينزل البيبي. يومها جن جنوني وأنا بصرخ في "بابا" وفيها. وأجبرتها تتصل باللي غلطت معاه وتخليه ينزل، وأجبرته يتجوزها وكتب عليها وبعدين طلقها وسافر.

ربتت على ظهره بمواساة، وكادت أن ترفع رأسها من على قدمه، ليرفض بإشارة من يده. عاد للعبث في شعرها وهو يسمعها تهمس بخفوت:

-طيب فين "أشرف" وإزاي بقيت "أشرف" وأنت "شريف"؟

رد عليها وهو يميل ليقبل جبينها: بعد ما "مي" اتطلقت، "بابا" مات. لكن قبل ما يموت، وصاني ماقلش لـ"ماما" إنه مات ولا رجع أصلا.

تساءلت "نور" بضيق وحيرة: أبوك ده رجل ظالم! ليه مرضيش يخليك تقولها؟ يعني بعد ما حرمها من ولادها سنين، مش عايزها تعرف إنهم رجعوا؟

دافع عن والده بحب فطري: "بابا" مكنش يقصد يظلمها مرة تانية. هو بس مكنش عايزها تعرف عشان ما تزعلش. قال إنها أكيد نسيتهم، فحرام تعرف

ويكـــون ســـبب فـــي حزنهـــا. وخصوصًـــا إن إخواتي مكنوش حاجة تشرف.

تـــابع بعـــد تنهيـــدة: المهـــم، انشـــغلت عـــنهم فتـــرة، وبعـــدين رحـــت أشـــوفهم. لقيـــتهم الاتنـــين متجـــوزين ومـــش معتـــرفين بوجـــودي، فزعلـــت وقلـــت خـــلاص مـــاليش دعـــوة بـــيهم. وبعـــد تـــلات ســـنين، كنـــت بـــتكلم مـــع واحـــد صـــاحبي وعرفـــت إن "هـــاجر" مـــرات "أشـــرف" رافعـــة عليـــه قضـــية خلـــع وســـافرت، والمحـــامي كســـب القضـــية. ســـألت علـــى "أشـــرف"، عرفـــت إنـــه اتقـــبض عليـــه بتهمـــة تعـــاطي، واتنقـــل لمصـــحة لعـــلاج الإدمـــان. يومهـــا كنـــت ضـــايع، مـــش عـــارف أعمـــل إيـــه، فقـــررت أقـــول لـــ"ماما" يمكـــن يســـمع كلامهـــا ويقبـــل العـــلاج لأنـــه

كان رافض الكلام معايا. المهم وصلت البيت، وقبل ما أقول لـ'ماما' حاجة، رن التليفون برقم المستشفى وبلغوني إن 'أشرف' انتحر.

تفوه بجملته الأخيرة بوجع شديد: يومها مات 'شريف' وعاش 'أشرف'.

وبعدها دخلت في حالة انهيار ووقف معي 'إبراهيم' و'مصطفى' صاحبي لحد ما عديت الفترة دي. وكنت حاسس بالذنب إني السبب في اللي حصله. واتفاجأت لما رحت لـ'مي' إن معها طفل. سألتها:

-ابن مين؟ قالت إنه 'مازن' ابن 'أشرف'. يومها أخذته منها وأقسمت

أنـــي هـــاعتبره ابنـــي وهتكفـــل بـــه. يمكـــن "أشرف" يسامحني لما يجي يومي.

رجعـــت بـــه وقلـــت لمامـــا إنـــه ابنـــي وكنـــت متجوز في السر وأمه ماتت.

اعتـــدلت "نـــور" فـــي جلســـتها تتســـاءل باستغراب:

-لحظـــة بـــس، بعـــد كـــل اللـــي حصـــل أمـــك معرفتش؟

رد عليهـــا بجديـــة: مامـــا عارفـــة إن بســـبب شـــغلي بغيـــب عنهـــا كتيـــر. ولمـــا غبـــت الفتـــرة دي مســـتغربتش لأنـــي بغيـــب دايمًـــا. زعلـــت شـــوية إنـــي خبيـــت عنهـــا، وبعـــدين تقبلـــت الموضـــوع وبقـــت تحـــب "مـــازن" أكتـــر منـــي. وده شيء فرحني.

أخذ نفسًا عميقًا وتابع: ورحت أنا غيرت اسمي في السجل وبقي "أشرف" بدل "شريف".

لم تتوقف "نور" عن طرح أسئلتها: وأمك إزاي معرفتش إن "مازن" اسمه "مازن أشرف" مش "شريف"؟

ظهرت شبه ابتسامة على محياه أبعد ما يكون عن السعادة:

- "أشرف" كان دايمًا متعلق بماما ومش بيروح مكان من غيرها. واليوم ده كان فرحان ونفسه يسافر، بس مكنش عايز ماما تزعل منه. فقلت له: روح أنت على أساس أنا. وماما افتكرت إن "شريف" هو اللي سافر مش "أشرف". بس بابا كان عارف لأنه سمعنا وإحنا بنتكلم.

استمعت له "نور" بتركيز وهي تقول:

-إزاي أمك معرفتش إن اللي قاعد معها "شريف" مش "أشرف"؟ وخصوصًا إن الأم هي الشخص الوحيد اللي مستحيل يغلط في ابنه وأكيد عارفة تفرق بينكم.

نظر لها وهو يخبرها: كنا نسخة واحدة، فصعب تفرق بينا. وأنا كنت بتعامل معها بنفس طريقة "أشرف"، عشان كده معرفتش إني مش هو.

هزت "نور" رأسها بتفهم، ليجذبها إليه ويقبل جبينها ويخبرها بصدق:

- قسمًا بربي مكدبتش عليكِ في حرف، ومستعد أثبتلك كل كلمة في كلامي.

هي ما زالت لم تستوعب كل ما قال.

لينهض ويعدل ثيابه ويقول:

-هستنى ردك، وأتمنى تكوني واثقة إني معرفتش ولا واحدة قبلك ولا بعدك، وإنك أول بنت تلفت انتباهي وأول واحدة سكنت قلبي.

عندما وجدها صامتة، تحرك إلى الباب وفتحه لكي يغادر، لكن توقف مكانه عندما استمع لصوتها تنطق اسمه الحقيقي لأول مرة:

-'شريف'.

استدار لها ليجدها تهرول اتجاهه وتعانقه بحب. ليبادلها العناق وهو يتنفس رائحتها ويهمس في أذنها:

-'شريف' مات يا "نوري". بلاش تقولي حاجة من اللي قلتهالك لحد.

همست له بعشق: بحبك أوي.

أبعدها عنه ليقبل وجنتها ويهمس: وأنا محبتش ولا هحب حد قدك. أنتِ عمري يا "نوري".

***

في الساعة الثانية عشرة، وبعدما أُغلقت الأضواء، جذبت هاتفها وفتحت تطبيق خاص بالدردشة «الواتس آب». بدأت تتحدث مع أصدقائها لتخبرهم بما تريد فعله غدًا. وجدتهم ما زالوا مستيقظين، فكتبت ما تريد قوله ولم تنتظر طويلًا.

-انسي يا "جيهان"، مش هيحصل.

جملة دونتها "بسملة" بضيق في جروب فرقة المجانين

لتعود "جيهان" تكتب بتوسل:

-عشان خاطري يا "بسو"، آخر مرة، ومش هتشوفي وشي تاني غير يوم الإمتحان.

ردت "دعاء" على "جيهان":

-خلاص يا بنتي، بطلي زن، قلنا لا.

عادت "جيهان"، تكتب"، بضيق:

-عشان خاطري، آخر مرة والله، وإنتم هتكونوا معايا يعني مش هشوفه لوحدي.

انزعجت "نور" من عدد الرسائل التي تحتوي نفس الكلام منذ المساء:

-هو مش بعد يومين جاي يقابل أبوكي؟ اهدي ياختي، وهتشوفيه في بيتكم.

-"جيهان":

قلـــتلكم آخـــر مـــرة، عـــايزة أقولـــه حاجـــة ضروري.

رفضـــت "دعـــاء" هـــذا الهـــراء الـــذي يحـــدث وقالت بجدية:

-"جيهـــان" فيـــه إيـــه؟ ومـــن إمتـــى وأنـــتِ كـــدا؟ أنـــتِ قابلتيـــه مـــرة واتنـــين وإحنـــا ســـكتنا رغـــم إنـــه غلـــط ومكـــنش ينفـــع تقابليـــه أصـــلًا؛ فكفايـــة كـــدا، لمـــا يجـــي بيـــتكم ابقـــي قوليله الحاجة المهمة اللي أنتِ عايزاها.

ردت "جيهان" عليها:

-عارفـــة إنـــي اللـــي عملتـــه حـــرام، بـــس والله مـــا تخطيـــت حـــدودي معـــاه بحـــرف، ودي هتكـــون آخـــر مـــرة أشـــوفه بـــره البيـــت، وإنـــتم هتكونوا معايا.

لم يرد عليها أحد لتتنهد بيأس من اقناعهم وكادت أن تغلق الشات لتجد رسالة من "منار"، بعد قليل:

-روحي يا "جيهان"، وأنا هاجي معاكِ. دول عيال معقدين.

ردت عليها "دعاء" بانزعاج طفيف:

-إحنا مش معقدين يا "منار"، إحنا خايفين عليها وهي عارفة كدا كويس. ثم إن الحلال بين والحرام بين، وهي واثقة إن اللي هتعمله حرام.

تنهدت "جيهان"، بحزن:

-عارفة طبعًا، بس قولتلكم آخر مرة.

ردت "منار"، باقتراح:

عندي فكرة ونخلص الموضوع. إحنا نعمل تصويت، لو الأغلبية قالوا

متـــروحيش يبقـــى خـــلاص واقفلـــي علـــى الموضـــوع. ولـــو العكـــس يبقـــى نـــروح معـــاكِ كلنا، وبالمرة نشم هوا.

وافقت "دعاء" بسرعة:

-فكـــــرة حلـــــوة، هعملهـــــا أنـــــا وأحـــــط الاختيارات.

(بعد دقيقة.)

"دعاء"، تكتب السؤال:

"جيهان تروح تقابل إبراهيم ولا لا؟"

ثم وضعت أربع اختيارات:

١. تـــــروح (محـــــدش يختـــــار دي عشـــــان حرام).

٢. متـــروحش (اللـــي يختـــار دي ليـــه عنـــدي هدية).

٣. حـــرام يـــا مصـــيبة (واللـــي يختـــار دي ليـــه مني بوسة).

٤. متـــــروحيش واتقلـــــي لأحســـــن يفكـــــرك واقعه.

قـــرأت "جيهـــان" الاختيـــارات بضـــيق ثـــم دونت:

-وعلى إيه الاختيارات وتعبه نفسك؟

ضحكت "بسملة"، وهي ترد:

-الديمقراطية في أبهى صورها.

ضحكت "نور" كذلك:

-إيـــه يـــا "دعـــاء" يـــا حبيبتـــي، حـــد مســـلطك عليها؟

شـــاركت "ديـــالا" فـــي الحـــوار والتـــي كانـــت تتابع في صمت:

-أنـــا اتصـــدمت مـــن الاختيـــارات دي، بـــس كنـــت متوقعـــة إن "دعـــاء" مـــش هترضـــى بسهولة.

-"منار":

أنـــا كمـــان اتصـــدمت فعـــلًا، مكنـــتش متوقعـــة الاختيارات دي.

ردت "دعاء"، بجديّة:

-يعني أمال عايزني أرضى كدا بسهولة؟

كتبت "جيهان"، باختصار:

-خلاص، مش رايحة.

"دعاء"، بابتسامة انتصار:

-أحسن.

كتبت "بسملة" بتعجب:

-إيـــه يـــا "دعـــاء"؟ أنـــتِ جايـــه تبقـــي زي "نـــور" بعـــد مـــا خلصـــنا؟ أمـــال لـــو مكـــنش

الـــــدكتور موصّـــــيك تبعـــــدي عنهـــــا كنـــــتِ عملتي إيه؟

ردت "نور"، بحنق:

-ومالهـــــا "نـــــور" إن شـــــاء الله يـــــا أســـــتاذة "بسملة"؟

ابتسمت "بسملة"، بمشاكسة:

-أحـــدهما قـــال إنـــك كارثـــة أو مصـــيبة، أيهمـــا أقرب.

ردت "نور"، بغضب:

-ماشـــــي يـــــا "بســـــملة"، لمـــــا أشـــــوفك. وأحـــــدهما ده هيجيلـــــه يـــــوم وهطلـــــع عينـــــه. هخليه يشوف المصيبة على حق.

(تقصد "فارس")

"دعـــــاء": خـــــلاص بقـــــى أنـــــتِ وهـــــي.

"جيهان"، نمتي؟

أجابت "جيهان"، باقتضاب:لا.

ردت "دعـــاء": طيـــب، لـــو الحاجـــة اللـــي أنـــتِ عـــايزة تقوليهـــا لـــ "إبـــراهيم" مهمـــة، ممكـــن تتصـــلي بيـــه وتقوليهـــالو. بـــس المكالمة متزدش عن خمس دقايق.

ردت "جيهـــان"، بســـرعة وفرحـــة: بجـــد؟ أنتِ أحلى "دعاء" في الدنيا.

"نور": مادية حقيرة.

(ضـــحكت "جيهـــان" ولـــم تهـــتم بالوصـــف، وأغلقت المحادثة مطمئنة.)

*****

الفصل السابع والعشرون

قـــال حذيفـــة: دخلـــت علـــى عُمـــر فرأيتـــه مهمومًا حزينًا، فقلت له:

-ما يُهمَّك يا أمير المؤمنين؟

فقـــال: إنـــي أخـــاف أن أقـــع فـــ مُنكـــر فـــلا ينهاني أحدٌ منكم تعظيماً لي!

فقـــال حُذيفـــة: والله لـــو رأينـــاك خرجـــت عـــن الحق لنهيناك

ففـــرح عمـــر وقـــال: الحمـــدلله الـــذي جعـــل لـــي أصحابًا يُقومونني إذا اعوججت.

"اللهم صَحبًا كـ صاحب عمر"

***

كأســـير تـــم إطـــلاق ســـراحه بعـــد أعـــوام لا يعلـــم عـــددها، ليـــرى أخيـــرًا شمسًـــا تضـــيء الحيـــاة وتضـــيء كـــل شـــيء داخلـــه، وتجعـــل دموعـــــه تنهمـــــر بســـــعادة لا يســـــتطيع

وصفها. هذا هو شعور "مارس" بعدما أتى موعد المقابلة مع "حسني"، والد "ديالا". وها هو يجلس برفقته في أحد الكافيهات، ليسمع صوت "حسني" الذي سأله بجدية وهو ينظر له بدقة يدرس كل همسة منه:

-أنت عايز تتجوز 'ديالا" شفقة منك لأنك كنت موجود يوم الحدثة وشفت اللي حصلها؟

انتفض "مارس" ينفي هذه التهمة الموجهة إليه وهو يقول بصدق:

- أقسملك بالله إن ده مش السبب، ولو ده السبب كده يبقى أنا بظلمها معايا مش بساعدها، لأن مشاعر الشفقة مع الوقت هتروح.

تساءل "حسني" مرة أخرى وهو يرى صدق ما يقول الآخر:

-وإيه السبب اللي يخلي شاب في بداية عمره يتجوز واحدة...

صمت للحظات بحزن، ثم أكمل بقوة بعدما تغاضى عن وجعه على صغيرته:

-رغم إنك تقدر تتجوز أي بنت تتمناها وتكون عذراء؟

صاح "مارس" به وهو يظن أنه يرى ابنته جانية وهي المجني عليها:

-حضرتك ليه بتتكلم وكأنها هي المذنبة؟ هي معملتش حاجة وملهاش ذنب في كل اللي حصلها. هي أحسن بنت في الدنيا وأنا هكون محظوظ لو اتجوزتها. الناس

المتخلفين بس هما اللي بيفكروا بالطريقة الرخيصة دي.

أخفى "حسني" ابتسامته ببراعة. فهذا الشاب الذي يقبع أمامه مثال للأخلاق والشهامة. يا لحظ عائلته به، ويا ليت ابنه مثله. ولكنه عاد يسأل بجمود فهو يخشى على صغيرته من أن تقع في زواج فاشل يدمرها أكثر:

-السبب؟

تنفس "مارس" بهدوء ثم قال: أنا شغال في مطعم وشفت بنت حضرتك أكتر من مرة فيه، وكنت معجب بيها وبأخلاقها. كنت أتمنى أتجوزها بس أنا لسه قدامي مشوار طويل فكنت بدعي إنها تكون من نصيبي.

تنهد "حسني" براحة شديدة وهو يقول:

-أنت بتقول إن قدامك مشوار طويل، إيه اللي جد؟ ليه مستنتش تخلص مشوارك وبعدين تيجي تتقدملها؟

أردف "مارس" بحزن: اللي حصلها خلاني عايز أكون معاها في الظروف دي وأشاركها كل وجع هتخفيه عن اللي حواليها. ولأني لو استنيت مشواري يخلص وجيت متأخر وهي بقيت كويسة لوحدها يبقى وجودي وغيابي واحد.

يا الله! هذا الشاب مثال للرجولة بكل ما تحمله الكلمة من معنى. ابتسم "حسني" له وقال:

-طيب، هتقدر تصرف عليها ولا هتخلي أبوك يصرف عليكم؟

لم يقبل "مارس" هذه الإهانة ليقول بجدية وحدة غير مقصودة:

- أنا بابا مصرفش عليا جنيه من يوم ما خلصت الثانوية، ومستحيل أقبل إن حد يصرف على مراتي جنيه.

لم يخفِ "حسني" ابتسامته هذه المرة، وقال بمشاعر أب صادقة:

-المستحيل بجد هو إني ألاقي واحد زيك تاني. أنت راجل بجد ويبخت أبوك بيك. أنت هتكون عوض ربنا لبنتي الوحيدة، فأوعى تكسر ثقتي فيك.

ابتسم "مارس" براحة وقال: مستحيل أكسر ثقتك فيا، وشرف ليا إنها تكون من نصيبي.

لـــم تُـــبْنَ ثقـــة "حســـني" بـــ"مارس" علـــى حديثـــه فقـــط؛ بـــل بُنيـــت علـــى ســـيرته الحســـنة. فهـــو ســـأل عنـــه الكثيـــر، والكـــل أخبره أنه فتى رائع لا غبار عليه.

-مارس... مارس... مارس!

فـــاق "مـــارس" مـــن شـــروده علـــى صـــوت صديقه المزعج، ليرد عليه بضيق:

- فيه إيه؟

رد "ربيـــع" بمشاكســـة: كنـــت ســـرحان فـــي إيه يا جميل؟

ابتسم "فادي" بخبث وهو يغمز للآخر:

-هيكـــون فـــي إيـــه يعنـــي؟ أكيـــد فـــي مـــرات أخونا يا غالي.

حـــدّق بهـــم "مـــارس" بشـــر، ليضـــحك الاثنان بمرح، ويقول "ربيع":

-خـــلاص يـــا عـــم بنهـــزر. المهـــم، اتفقتـــوا على إيه لما العيلة كلها راحت؟

رد عليـــه "مـــارس": بعـــد مـــا رحـــت قابلـــت عمي 'حسني' يوم الخميس، قالي:

-هـــات عيلتـــك وتعـــال اتقـــدملها بشـــكل رســـمي. رحنـــا، وطبعًـــا مامـــا مكنـــتش موافقـــة، بـــس مـــش مشـــكلة. المهـــم عمـــي قـــال نتخطـــب لحـــد مـــا أخلـــص دراســـتي، لكـــن أنـــا اعترضـــت علـــى الخطوبـــة. أنـــا عـــايز كتب كتاب...

قاطعه "فادي" بكلمة مشاكسة: طماع!

رد "مـــارس" وهـــو يعتـــدل فـــي جلســـته: مـــش طمـــاع والله، بـــس عـــايز أكـــون قريـــب منهـــا. والخطوبـــة مـــش هتســـمح بكـــده. كمـــان أنـــا رحـــت عنـــدهم مـــرتين وفـــي

المـــرتين مشـــفتهاش، وهمـــا بيقولـــوا إنهـــا نايمـــة بســـبب الأدويـــة. بـــس واثـــق إنهـــا خايفـــة تقابـــل حـــد، عشـــان كـــده عـــايز أكتـــب الكتـــاب عشـــان أقـــدر أتعامـــل معاهـــا بـــدون خوف.

تفهـــم أصـــدقاؤه مـــا يقـــول، ليقتـــرب منـــه "ربيع" ويربت على كتفه بحنان:

-ربنـــا يكتبلـــك كـــل الخيـــر ويســـعدك يـــا صاحبي.

ابتسم "مارس" له وهو يهتف بتمني:

-اللهـــم آمـــين، أنـــا وإنتـــوا. بـــس يـــا رب أبوها يرضى لأنه قال: هفكر وأرد عليك.

اقتـــرب "فـــادي" مـــن الجهـــة الأخـــرى وقـــال بتفاؤل:

-إن شـــاء الله يرضـــى ونفـــرح بـــيكم قريـــب.

المهم، أنت هتعمل إيه بعد الامتحانات؟

أخبـــره "مـــارس" بمـــا يريـــد فعلـــه: عـــايز أدور على شغل تاني ضروري.

تساءل "ربيع": طيب، والامتحانات؟

قـــال "مـــارس": بـــاقي مـــادتين ونخلـــص. وأنـــا هحتـــاج مصـــاريف كتيـــر الفتـــرة الجايـــة، وكمـــان أنـــا قلـــت لعمـــي 'حســـني' إنـــي همضـــي علـــى شـــيك بـــتمن المهـــر عشان كتب الكتاب.

أردف "فـــادي" بجديـــة وخـــوف علـــى صديقه الذي يحمل نفسه فوق طاقته:

-اســـمعني يـــا صـــاحبي. أنـــت مـــش هتقـــدر علـــى شـــغل تـــاني فـــي الوقـــت ده. ازاي هتخلـــي بالـــك مـــن الدراســـة والشـــغل فـــي

المطعـــم؟ ولا هتخلـــي بالـــك مـــن خطيبتـــك اللـــي هـــي أهـــم حاجـــة عنـــدك دلـــوقتي؟ وكمـــان نفســـك ليهـــا عليـــك حـــق. لـــو تعبـــت، مش هتعرف تعمل أي حاجة.

فكـــر "مـــارس" لـــدقائق، ثـــم قـــال بثقـــة: سيبها على الله وربنا يسهل الحال.

عـــاد كـــل مـــنهم يتـــابع دراســـته بتركيـــز، فقـــد تبقـــى مادتـــان فقـــط وينتهـــي العـــام الدراســـي على خير.

***

في غرفة بسملة...

تجلـــس علـــى مكتبهـــا تـــذاكر بتركيـــز شـــديد، تحفـــظ القـــوانين بدقـــة، وتضـــع أمثلـــة للقضـــايا وتقـــوم بحلهـــا بمهـــارة اكتســـبتها مـــن والـــدها ودراســـتها. مـــرت دقـــائق،

ساعات، لا تعلم وهي ما زالت منهكة في دراستها، لتجد والدتها تلج إلى الداخل وتقول بضيق:

-يا بنتي يا حبيبتي، كفاية كده، متعبتش؟ قومي كلي حاجة وتعالي اقعدي معايا شوية.

رفعت "بسملة" رأسها من على الأوراق وهي تقول بإرهاق:

-شوية بس يا ماما، هخلص اللي في إيدي وهاجي.

اعترضت والدتها على ما تقول بعصبية:

-أنتِ كل شوية تقولي نفس الكلام! قومي نتعشى وبعدين كملي.

ابتسمت لها "بسملة" لكي تهدئها:

-حاضر يا ماما، خلاص قربت أخلص و...

قاطعتها والدتها حديثها المتكرر: دلوقتي تقومي وبعدين تخلصي براحتك. حرام عليكِ نفسك! أنتِ مش بتقومي من على الكرسي ده ليل نهار. تذاكري مش هتستفيدي حاجة لو تعبتي. وازني يا حبيبتي الأمور. الدراسة مهمة ومهمة جدًا كمان، بس برضو لازم تدي نفسك راحة عشان جسمك وعقلك يستوعب كمية المعلومات اللي بتذاكريها.

نهضت "بسملة" من على المقعد تقترب من والدتها لتعانقها، ثم همست بتعب واضح في صوتها:

-معـــك حـــق، هحـــاول أوازن الأمـــور، وهرتـــاح شـــوية عشـــان خـــاطر عيونـــك. أنـــتِ بس تأمري.

بادلتهـــا والـــدتها العنـــاق وهـــي تربـــت عليهـــا بحنان وحب وقالت:

-أنـــا معنـــديش غيـــرك يـــا حبيبتـــي، ومـــش عـــاوزاكِ تتعبـــي نفســـك عشـــان خـــاطر أي حاجة.

ابتعـــدت "بســـملة" عنهـــا لتخبرهـــا: التعـــب خـــلاص خلـــص. أنـــتِ جايـــة تعترضـــي علـــى الكـــام يـــوم اللـــي قاعـــدين. وبعـــدين أنـــا برضـــو مـــاليش غيـــرك. ادعيلـــي أنـــتِ بـــس إن حلمـــي يتحقـــق، لأن هـــو ده اللـــي هيتعبني.

ابتسمت لها والدتها بقلق وتمنت داخلها أن يتحقق حلم صغيرتها في بلد يسير كل شيء به بالواسطة. تثق في قدرة صغيرتها على التفوق، فهي منذ الصغر تحتل المركز الأول في كل الاختبارات، والمرة الوحيدة التي احتلت المركز الثاني في المرحلة الإعدادية قامت بسجن نفسها في غرفتها لمدة أسبوع دون طعام، وصوت بكائها كان يصلهم بالخارج. حاول والدها بكل الطرق الممكنة أن يجعلها تتقبل الأمر. فماذا لو لم يتحقق حلمها؟ تقسم أنها ستنهار كليًا.

هتفت والدتها بهدوء:

-ربنا يكتبلك كل الخير ويبعد عنك كل الشر.

ولج والدها إلى الغرفة حينما وجدهما تأخرتا على العشاء وهو يتساءل:

- بتعملوا إيه كل ده؟ أنا هموت من الجوع!

ردت "بسملة" بلهفة عندما رأته: تعالى يا بابا، عايزة أوريك حاجة مش فاهمها.

زجرتها والدتها، وضحك والدها وهو يقول:

-نتعشى الأول وبعدين نشوف إيه اللي مش فاهماه.

نظرت له وهي تهمس بضيق: حتى أنت يا بابا؟ شكل ماما ثبتتك وعاملة أكل بتحبه.

جذبها "علي" له وهو يضحك: في دي معك حق، هي عاملة محشي وأنا بضعف قصاده. يلا بسرعة قبل ما يبرد!

تحركت معهم بسعادة، وجلست تتناول الطعام في أجواء مليئة بالبهجة، وهي تحمد المولى على نعمة وجودهم في حياتها.

***

وعلى عكس "بسملة"، كانت هي تستلقي على الفراش بهدوء وتنعم بنومة هانئة، لا يعكر صفوها شيء ولا يشغل تفكيرها أحد، وكأن وزير التعليم والدها. تقلبت يمينًا ويسارًا بانزعاج عندما صدح رنين هاتفها، لترد بنعاس دون أن ترى من المتصل:

-عايز إيه؟

تفاجأ من ردها وعلق بدهشة: فيه واحدة تقول لخطيبها عايز إيه؟

ردت عليه بنعاس وهي تغمض عينيها: ما أنت اللي رنيت متأخر.

نظر إلى ساعته وجدها تشير إلى التاسعة مساءً، ليرد بسخرية:

-الساعة تسعة متأخر؟ وليه نايمة بدري كده يا جيهان؟

ردت "جيهان" باقتضاب وهي تعتدل من نومها وتجلس:

- مفيش.

تساءل "إبراهيم" باهتمام: مالك يا جيهان؟

انتقل لها إحساسه واهتمامه عبر الهاتف لتقول بحزن:

-مش عارفة، حاسة إني زعلانة، ولما بكون زعلانة بنام ومش بحس بالدنيا، ولما بصحى بنسى كل حاجة.

أردف بحزن وهو يسمع صوتها الحزين:

-مفيش حاجة في الدنيا كلها تستاهل زعلك، قوليلي إيه اللي مزعلك.

عدلت من وضع ثيابها التي تأثرت بالنوم، ثم نهضت وهي تقول بمرح ينافي ما كانت عليه منذ قليل:

-مفيش يا دوك، أنا بس نكدية شوية. المهم، فيه حاجة؟ مش متعود ترن عليا في وقت زي ده.

رد عليها بابتسامة وهو يستلقي على الفراش:

-بكرة عندك امتحان، فقلت أطمّن. بتعملي إيه؟ بس اتفاجأت إنك نايمة.

جذبت كتاب "أصول الفقه" لتقوم بمراجعة ما درسته طوال الفترة السابقة، وقالت:

-خلاص، صحيت وهراجع وربنا يستر بقى.

ابتسم ورد لكي يشجعها: متقلقيش، إن شاء الله خير. وربنا يوفقك ويعوض تعبك خير. هسيبك أنا عشان تذاكري وهتصل بيكي الصبح. تصبحي على خير.

ردت عليه بانزعاج واضح: أنت اللي هتنام، مش أنا!

رد "إبراهيم" بمرح: وأنتِ كنتِ نايمة وأنا لا.

ضحكت وهي تتحدث: أيوة، صح. تصبح على خير.

تنهد "إبراهيم" ثم قال بحب: وأنتِ من أهلي، سلام.

أغلقت الهاتف وبدأت في مراجعة المادة بتركيز. وبعد مرور ساعة، تركت الكتاب لتأخذ قسطًا من الراحة. هذه عادة لديها، تقوم بوضع تنبيه أنها أتمت ساعة دراسة لتأخذ هدنة عشر دقائق. جذبت الماء من على الطاولة لترتوي، فهي

تشعر بالعطش الشديد بسبب هذه الأجواء الحارة.

تسطحت على الفراش مرة أخرى بعدما كانت تجوب الغرفة ذهابًا وإيابًا وهي تحفظ القوانين. وهذه عادة أخرى لديها؛ لا تستطيع أن تدرس وهي جالسة.

تذكرت مكالمتها مع "إبراهيم" منذ عدة أيام بخصوص "رحيم" أو "حمزة"، هذا الطفل الصغير الذي جمعها القدر به لتصبح أمًّا أخرى له. فطلبت من "إبراهيم" أن يطلب من والدها عندما يلتقي به أن يتم عقد قرانهما لكي يستطيع تجهيز الأوراق المطلوبة لتبني الصغير. لكن رد "إبراهيم" فاجأها عندما قال بجدية:

ربنا سبحانه وتعالى حرم التبني عشان اختلاط الأنساب. فالتبني هو نسبة الإنسان إلى غير أبيه، بحيث يأخذ أحكام الابن من الصلب، في المحرمية، والإرث والصلة، وكده بيترتب عليه الوقوع في الكثير من المخالفات الشرعية كالخلوة والمصافحة والرؤية لمن لا يحل له.

وعشان كده حرم التبني. قال تعالى: «ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ».

سرد لها الموضوع باختصار وبدأ يذكر قصة سيدنا زيد بن حارثة.

فتساءلت بحزن بعدما علمت أنه لا يجوز أن تنسبه لها:

-يعني إيه؟

ابتسم بحنان رغم أنها لا تراه، لكنه يثق أنها تشعر به، وقال:

- متقلقيش. هنتكفل بيه، والكفالة بديل التبني، وقد حث عليها الإسلام، ودعا ليها، ورتب عليها أجر عظيم، ورفع مرتبة الكافل إلى درجة تُقارب درجة الأنبياء في الجنة. قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أن وكافِل اليتيم في الجنة هكذا»، وأشار بالسبابة والوسطى."

تساءلت باستغراب من معلوماته الدقيقة:

-أنت عرفت الكلام ده منين؟

ضحك بخفوت وهو يرد عليها بمرح: إيه ده؟ أنتِ متعرفيش إني أزهري ولا إيه؟

عادت من شرودها على صوت إشعار رسالة. جذبت الهاتف وقرأت محتوى الرسالة التي أرسلها لها:

-«دي مني عشان تذاكري كويس. متقلقيش ولا تتوتري، أنتِ عملتي اللي عليكِ وربنا مش هيضيع تعبك. بالتوفيق، وانجزي عشان الجوازة واقفة عليكِ.»

ضحكت بسعادة وعادت تدرس بحماس ونشاط.

***

أن أخبرها أحدهم من قبل أنه سيكون رفيق دربها والضلع الحامي من حياة أهلكت روحها، لسخرت منه. ولكن الآن، يجلس بجوارها حقيقة ملموسة؛ إنه هنا، زوجها وحياتها بأكملها.

ابتسمت حينما رأته ينظر إليها ويعانق عينيها بعينيه بدفء خاص به. حركت أهدابها عدة مرات وتحاشت النظر له، ليبتسم على خجلها ويقول بنبرة حانية:

-كده تمام يا حبيبتي؟ في حاجة تاني؟

هزت "دعاء" رأسها نفيًا، ليضيف هو وهو يبعد الأوراق عنه:

-تمام. همشي أنا عشان تقدري تنامي شوية وتصحي فايقة.

تنحنحت "دعاء" بخفوت وهي تقول بخجل:

-شكرًا لأنك جيت وتعبت نفسك عشان تشرحلي اللي مش فاهمة.

ابتسم وهو يحدق بها، ثم اقترب ليقبل عينيها وهمس:

-عشان عيونك، أجيلك من آخر الدنيا.

ابتعد عنها ليراها تتنفس بصعوبة إثر فعلته، وضربات قلبها مرتفعة. أخبرها بحب:

-لو وجودي معاكِ تعب، فأهلًا بالتعب. ويا ريت كل التعب يكون حلو كده... زيك.

-فارس...

نطقت اسمه برجاء أن يتوقف عن حديثه الذي يصيبها بقشعريرة تسري في جسدها. ورغمًا عنها، تعشق اقترابه منها. تعشق كل شيء يقترن به، وكيف لا تعشقه وهو نصفها الآخر؟ المعجزة التي أتت من السماء، ولو ظلت طوال عمرها تشكر الله عليه، لن يكفي.

ابتسم "فارس" عندما رأى تأثيره عليها، وقال بعيون صادقة وحب نابع من الروح لرفيقة الروح:

-عيون "فارس" وقلبه وروحه ودنيته كلها.

انهمرت دموعها بفرحة حينما رأت صدق عينيه وحديثه الذي يجعلها تحلق في السماء كما الطيور. وبدون سابق

إنـــذار، وجـــدت نفســـها تبـــادر بمعانقتـــه وتتشـــبث بـــه بقـــوة، وكأنهـــا تخشـــى أن يختفي من أمامها.

***

-بـص يـا باشـا، سـلامة فـي خيـر وخيـر فـي سـلامة. اتجنبنـي لحـد مـا أخلـص امتحانـات عشـان أنـا ببقـى واحـدة تانيـة فـي الأيـام دي.

حـديث أحمـق تفوهـت بـه "نـور"، هـذه المجنونـة، لزوجهـا الـذي أتـى ليطمـئن عليهـا ويكـون بجانبهـا فـي اختبـارات نهايـة العـام. كـان اليـوم أول اختبـار لهـا، لكنها لم تكن تريد شيئًا سوى النوم.

سخر منها ومما تفوهت به، ورد بتهكم:

-أنـــتِ علـــى طـــول واحـــدة تانيـــة، يعنـــي اطمني.

انطلـــق الشـــرار مـــن عينـــي "نـــور" بســـبب سخريته، وهتفت بعصبية:

-أنـــت عـــايز إيـــه دلـــوقتي؟ جـــاي تعصـــبني وخلاص؟

نظـــر لهـــا ببـــراءة مصـــطنعة كنظـــرات الأطفـــال عنـــدما يخطئـــون، ثـــم قـــال وهـــو يشير إلى نفسه:

-أنـــا؟ أبـــدًا... أنـــا جـــاي أطمّـــن علـــى مســـتقبل ولادي وأشـــوف أمهـــم بتعمـــل إيـــه فـــي امتحاناتها.

لاح علـــى وجههـــا ابتســـامة حنـــين بســـبب حديثـــه ونظراتـــه، ولكـــن تلاشـــت ابتســـامتها بعـــدما فهمـــت مغـــزاه. هـــل يشـــكك فـــي

تفوقهـــا؟ إذن عليهـــا الـــدفاع عـــن نفســـها بجدية:

-أنـــت فـــاكرني فاشـــلة ولا إيـــه؟ وضـــح كلامـــك يـــا كـــابتن، لأن مـــش أنـــا اللـــي دخلـــت الشرطة بوسطة!

ألقـــت حـــديثها فـــي وجهـــه بعصـــبية، مـــذكّرة إيـــاه بمـــا أخبرهـــا ســـابقًا عـــن أن عمـــه ســـاعده فـــي بدايـــة عملـــه لأنـــه يتـــولى منصـــبًا هامًـــا فـــي الشـــرطة. لكنـــه علـــى عكـــس المتوقـــع، ابتســـم ببـــرود وهـــو يعـــود برأســـه للخلـــف علـــى المقعـــد الـــذي يجلـــس عليـــه، ثـــم قال:

-مـــش هنكـــر إن عمـــي ســـاعدني فـــي البدايـــة، بـــس مركـــزي دلـــوقتي وصـــلت لـــه بتعبـــي. وبرضـــه، مـــاجبتش فـــي الثانويـــة

خمسين في الميه زي ناس، ودخلت حقوق انتساب بالعافية.

يا الله، إنه يرد لها الضربة بضربة أقوى. اشتعل الغضب داخلها لتنهض وهي تصيح: أنت مش طبيعي على فكرة! جاي تقولي سايب شغلك وتاعب نفسك علشان تعصبني!

نهض "أشرف" من مكانه، واقترب منها، وبحركة مفاجئة قَبّل وجنتها قبلة خاطفة جعلت جسدها يرتجف من هول المفاجأة. زاد الطين بلة وهو يهمس بنبرة خافتة أفقدتها صوابها:

-مقدرش يا "وزة" أعصبك... أنا جيت عشان وحشتيني، وأقولك إني بحبك.

كـــادت أن تســـقط مـــن تـــأثير قربـــه وصـــوته الـــذي جعلهـــا تنســـى مـــن تكـــون. أدرك هـــو الأمـــر، فأمســـك يـــدها وأجلســـها، وســـألها بجدية:

- بكرة ما عندكش امتحان، صح؟

نظـــرت لـــه بتشـــتت، ولـــم تســـتوعب ســـؤاله، فما زالت تحت تأثير فعلته. همست:

-هاا؟

ضـــحك بصـــوت عـــالٍ، واقتـــرب منهـــا ليقبّـــل وجنتها مرة أخرى:

-هاا إيه يا "وزة"؟

انتفضـــت مـــن مقعـــدها وســـألته بتـــوتر ونبـــرة مهتزة دون انتظار الجواب:

-أنت بتعمل إيه؟

أجـــاب ببســـاطة، وكـــأن مـــا فعلـــه شـــيء عادي:

-ببـ...

قاطعتـــه بجنـــون قبـــل أن يُكمـــل: اوعـــى تنطقها!

نظـــر لهـــا "أشـــرف" بعـــدم فهـــم، فهتفـــت "نور" بضيق بعدما استعادت ثباتها:

-أنت قليل الأدب.

ضـــحك بشـــدة وقـــد أدرك أن صـــراخها نـــابع مـــن خجلهـــا بســـبب قربـــه منهـــا. قـــال بعـــدما هدأ من نوبة الضحك:

-عارف... شوفي حاجة جديدة.

لـــم تُجِـــب، بـــل ابتعـــدت وجلســـت علـــى مقعـــد بعيـــد عنـــه. عـــاد ليســـألها عـــن موعـــد اختبارها القادم، فأجابت باقتضاب:

-بعد يومين.

ابتسم لها بحب، واقترح:

-حلـــو. بكـــرة هعـــدي عليـــكِ الســـاعة أربعـــة ونتغدى برة، تغيّري جو شوية.

بادلتـــه البســـمة بـــأخرى حانقـــة، وهتفـــت: يـــا راجـــل، ده أنـــا لـــو عـــدوتك مـــش هتقـــولي أســـتناك لحـــد أربعـــة عشـــان أتغـــدى! وبعـــدين هو في غداء الساعة أربعة؟

ثـــم همســـت بصـــوت واضـــح كأنهـــا ترثـــي حالها:

-يـــا عينـــي عليـــكِ يـــا "نـــور"، يـــا بنـــت أم "نـــور"... آخرتـــك هتتجـــوزي واحـــد يموتـــك مـــن الجـــوع! وأنـــتِ اللـــي بتحبـــي الأكـــل أكتـــر مـــن نفســـك وبتـــاكلي فـــي الســـاعة خمـــس مرات وبتكوني جعانة.

وقف مصدومًا مما سمعه، لكنه تدارك الصدمة بسرعة وهو يقترب منها:

-خلاص يا حبيبتي، اتغدي في معادك بألف هنا، وناكل تاني مع بعض.

ثم نظر في ساعة يده، ووجدها تشير إلى العاشرة مساءً، فقال:

-همشي أنا يا "وزة" عشان الوقت اتأخر، وهشوفك بكرة

نهضت واقتربت منه، وألقت نفسها بين ذراعيه. بادلها العناق، وربّت على ظهرها بحنان وحب، وهمس:

-بحبك، وبحب كل تصرفاتك المجنونة.

ابتعدت عنه وهمست بخجل فطري:

- أنا آسفة لو تصرفاتي بتزعلك، بس والله بحبك.

قبّل قمة رأسها وقال بصدق:

-مستحيل أزعل منكِ. أنتِ حبيبة قلبي.

***

أشرقت شمس يوم جديد تعلن عن بداية تحقيق الأحلام. وصلت "جيهان" إلى المبنى الذي تُقام فيه الاختبارات، تبحث بعينيها عن صديقاتها. لم يطل البحث كثيرًا حتى وجدت "دعاء" تقترب منها مبتسمة، فقالت "جيهان" بضيق:

-بتضحكي على إيه يا حزينة؟ فيه حد عنده امتحانات ويضحك؟

ضحكت "دعاء" عليها وهتفت بمرح:

-طيب استني، أصبّح عليكِ الأول!

حدقت "جيهان" فيها بحنق، وقالت:

-صبّحي يا أختي، صبّحي!

وقفت "دعاء" أمامها والسعادة ترتسم على وجهها بوضوح كوضوح الشمس، وقالت: -مبسوطة أوي، أول مرة أحس إن حد مهتم بوجودي. "فارس" طول الليل يراجع معايا، والصبح جه بدري فطر معانا وجابني هنا.

انتقلت السعادة منها إلى "جيهان"، التي ابتسمت وهي تتمنى في سرها أن يديم الله عليها السعادة، ولا يحرمها من زوجها الذي يمثل مفهوم السعادة بالنسبة لها. لكنها أخفت ابتسامتها ببراعة وقالت بحقد مصطنع:

-أيوة يا عم، حد قدّك؟ أكرمنا يا رب!

تلاشت ابتسامة "دعاء" وكادت أن ترد

عليهـــا، ولكـــن قاطعتهـــا تحيـــة "بســـملة"، التي أتت في تلك اللحظة تلقي السلام:

-الســـلام علـــيكم ورحمـــة الله وبركاتـــه يـــا حلويات! عاملين إيه؟

ردت "دعـــاء" الســـلام بهـــدوء، وهـــي تنظـــر لها:

-وعلـــيكم الســـلام ورحمـــة الله وبركاتـــه. الحمد لله، في نعمة.

وكـــذلك فعلـــت "جيهـــان"، وهـــي تـــرد السلام، ثم سألت:

-اتـــأخرتي ليـــه يـــا 'بســـملة'؟ وليـــه مجيتـــيش مع 'دعاء'؟

ســـخرت منهـــا "دعـــاء"، التـــي تنظـــر كـــل ثانيـــة وأخـــرى فـــي ملخـــص المـــادة الـــذي تحمله بيدها:

-يا ذكية، هو أنا مش لسه قايلالك إني جاية مع "فارس"؟

صفعت "جيهان" رأسها بخفة وهي تضحك:

-آه، صح! نسيت.

دارت بينهم أحاديث كثيرة ومناقشات عديدة وهم يراجعون المادة قبل موعد الاختبار. وها هو الموعد المنتظر قد أتى، بمثابة نقطة النهاية لتحقيق أحلام جميع الطلاب الذين ينتظرون أمام المدرجات. منهم المبتسم، ومنهم المتوتر، ومنهم الخائف، ومنهم غير المبالي بما يحدث وكأنه يعلم النتيجة مسبقًا. تحرك كل واحد إلى مكانه،

وكـــذلك فعلـــت الفتيـــات، وهـــن يـــتجهن نحـــو المدرج. تحدثت "جيهان" بهدوء:

-هتحطي المذكرات فين يا 'دعاء'؟

أجابـــــت "دعـــــاء"، وهـــــي تجـــــذب منهـــــا الملخص:

-هوديهم بسرعة مكتب 'فارس' وأجي.

أردفـــــت "بســـــملة": طـــــب بســـــرعة، مـــــش هندخل غير لما تيجي.

تحركـــــت "دعـــــاء" بعيـــــدًا عنهمـــــا، لتقـــــول "بسملة" لـ"جيهان":

-شـــوفي كـــده معـــاكِ قلـــم خطـــه حلـــو؟ لأنـــي نســـيت قلـــم بابـــا اللـــي بمـــتحن بيـــه علـــى المكتب، والقلم اللي معايا خطه وحش.

نظـــرت لهـــا "جيهـــان" بعـــدم فهـــم، وهـــي تتساءل:

-هو مش المفروض الامتحان ده بابا شيت؟ يعني مش هنكتب أصلًا!

ردت "بسملة" بجدية مطلقة: أيوة، بس هكتب اسمي يعني. يرضيكي اسمي يتكتب بخط وحش؟

سخرت منها "جيهان": لا طبعًا، ده كلام!

ثم جذبت حقيبتها تبحث بها عن قلم إضافي. لكنها أسقطت الحقيبة، لتصطدم بجسد صلب، وتسقط خلف الحقيبة بسبب فقدانها للتوازن. بدأت تسب وتلعن من اصطدمت به.

-أنا حاسس إني اتسرعت...

***

الفصل الثامن والعشرون

ثم قالت:

إن أبـــي أعـــز و أغلـــى مـــن أن يـــذوق عـــذاب القبر بسبب ضيق ملابسي

***

جـــذبت حقيبتهـــا تبحـــث فيهـــا عـــن قلـــم إضـــافي، لتســـقط الحقيبـــة وتصـــطدم بجســـد صـــلب، وتســـقط خلـــف الحقيبـــة بســـبب فقـــدان توازنهـــا، لتبـــدأ فـــي الســـب واللعـــن لمن اصطدمت به.

-أنا حاسس إني اتسرعت.

صـــدح صـــوت "إبـــراهيم" الســـاخر، وهـــو يعلـــق علـــى "جيهـــان" التـــي لـــم تتوقـــف عـــن ســـبّه ولعنـــه، رغـــم أن الاصـــطدام كـــان بالخطأ.

رفعت عينيها له بحرج بسبب لسانها السليط، وصدمتها من تواجده هنا. تحركت "بسملة" بسرعة لمساعدتها على النهوض، بينما ظلت "جيهان" تنظر له دون أن تتحرك.

تنحنحت بحرج، وهتفت بخجل واضح:

-آسفة، مقصدش.

ابتسم "إبراهيم" بخفة، ولم يرد إحراجها أكثر، فقال:

-ولا يهمك، أنا جيت أشوفك قبل ما تدخلي الامتحان وأطمن عليكِ. وعلى فكرة، اتصلت بالأستاذ 'عثمان' واستأذنت منه.

شعرت "جيهان" وكأنها تريد القفز إلى السماء والتحليق كالطيور من شدة

سعادتها. لم تخفِ ابتسامتها، بل أطلقت ابتسامة واسعة، وهي تنظر له بتساؤل:

-جاي عشاني؟

أشار برأسه موافقًا على كلامها، لتتسع ابتسامتها أكثر وتهتف:

-شكرًا أوي إنك جيت، بجد دي أول مرة في حياتي حد يهتم بيا للدرجة دي.

لمعت عيناه بحنان، وأخبرها بصدق:

-مستعد أعمل المستحيل عشانك، مش حاجة بسيطة زي دي.

في تلك اللحظة، أتت "دعاء" التي تعجبت من وجوده، ورغم ذلك، نظرت لصديقتيها وقالت:

-يلا، اتأخرنا.

سارت أمامهم، وخلفها "بسملة" و"جيهان". وبعد أن خطت "جيهان" خطوتين، عادت لتسأله بجدية:

-أنت دخلت هنا إزاي؟

أجابها بمشاكسة: معايا واسطة.

كان يقصد "فارس"، لتتذكر أنه أخبرها أن "فارس" صديقه منذ أعوام. ابتسمت وأشارت له بيدها قائلة:

-سلام.

غادر "إبراهيم" الجامعة، بينما ولجت "جيهان" اللجنة لتجلس في مكانها. على يمينها جلست "بسملة"، وفي اللجنة المجاورة جلست "دعاء" في الأمام.

الجميع يتضرع إلى الله بقلب خائف على مستقبله المعلق بتلك الورقة التي تقبع أمامهم. وكأن سعادتهم متوقفة على تلك الشهادة. لكن الحقيقة أن من يعتقدون أن السعادة مرهونة بالشهادة الجامعية مخطئون، بل حمقى. هؤلاء يظنون أن من ليس لديه شهادة فاشل، ولا يصلح لشيء، وليس له الحق في إبداء رأيه.

أعتذر لوقاحتي، لكنك أحمق يا عزيزي إن كنت تظن ذلك. لن تشعر بالسعادة إن لم تدخل مجالك المفضل، والقليل منا فقط يصادف القدر بدخول مجاله المفضل. إن كانت السعادة تعتمد على هذه الورقة، فكيف عاش "أديسون" سعيدًا؟ لقد صنع السعادة بيديه، وجعل

اسمه يخلد في التاريخ. لذلك لا تخشى شيئًا، سيحدث لك أفضل مما تريد. ثق بالله فقط، ولا تهتم بشيء آخر.

بعد مرور أكثر من نصف الوقت، وضعت "جيهان" يدها فوق رأسها، تفكر في حل الأسئلة التي لم تجب عليها.

همست بتضرع: يارب، سترك.

أما "بسملة"، فسقطت دمعة هاربة من عينها عندما عجزت عن تذكر حل إحدى النقاط الهامة. همست بخوف:

- يارب.

لكن "دعاء" كانت هادئة. لديها يقين أن الله لن يضيع تعبها، لذلك جلست تفكر بتمعن قبل أن تضع القلم على الورقة، ومع كل إجابة تهمس:

- يارب.

تصـــدح صـــوت الموســـيقى العاليـــة، تـــزعج أصـــحاب المنـــزل، لكنهـــا لا تهـــتم. تتحـــرك بحركـــة شـــبابية، تتـــراقص وتدنـــدن معهـــا بصوت مرتفع ينافس صوت المغني:

"ولو في يوم لبست قضية...

في ناس ميزتها هي إيه؟

ميزتها إنها تجيب براءتك...

بس ركز في اللي جاي... ركّز!

محـــدش عاجبـــه حالـــه، حالـــة غيـــره اللـــي بتحلاله...

دايمًـــا شـــرقي بيغـــرب، وأيســـر نفســـه يبقـــى أيمن،

تخـــين بيخســـس، والتـــاني رفيـــع نفســـه يتخن،

أســـمر بيفـــتح، وأبـــيض نفســـه يبقـــى black فحمًا...

مـــن خلفلـــه بـــتّ بيزعـــل، نفســـه يخلـــف ولد... أيوه، أيوه، أيوه!

إنســـان مـــا بيرضـــى بحالـــه، دايمًـــا عاجبـــه حال الغير...

مهمـــا تكـــون حالتـــك، دايمًـــا باصـــص للتغيير.

صـــدقني لـــو بصـــيت جـــواك، هتلاقـــي يامـــا كتير...

قدرات، مميزات، إن كنت غني أو فقير.

مـــتقللش مـــن نفســـك، ده انـــتَ لنفســـك طاقـــة خير...

هتحقـــق اللـــي فـــي نفســـك، واللـــي يمســـك خليه يطير.

ارضَ يا ابن آدم باللي اتقسم عليك،

ولـــو إنـــي عارفـــك مـــش هترضـــى غيـــر بتراب في عينيك.

ربك ميز كل واحد منا بحاجة،

فالناس فعلًا لبعض، دايمًا محتاجة.

دوَّر، والقى ميزتك، حاول حافظ عليها،

طوّرها، اتميز بيها، حياتك هتلاقيها.

مـــا هـــي الأول ماشـــية صـــح طـــول مـــا انـــتَ راضي بيها،

ارضَ بحياتك انتَ، واقبلها باللي فيها.

ده الرضا نعمة كبيرة، احمد ربك عليها.

وخـــدها منـــي كلمـــة: مـــافي حاجـــة بتســـاويها، بيه"

وقفت للحظة تسأل نفسها بسخرية:

-حد يترجم لي؟ بيقول إيه الواد ده؟

ثم أجابت نفسها بضحكة خفيفة:

-أنا أقولك... عيقول:

متحاولش تبقى حد تاني، غير نفسك...

خليـــــك واثـــــق فـــــي نفســـــك، واااه، واااه، ولاااا!

قوم دوّر بنفسك جوا نفسك،

هتلاقي حاجة محدش فيها ينافسك...

سواه، سواه، واااااه يا بوي!

لو ملكش عازة، مكنتش اتخلقت،

ولا اتحسبت من الناس، ولا اترزقت."

كعادتهـــــا، عاشـــــقة لـــــ"مكي"، تســـــتمع لنصـــــائحه وتنفـــــذها كأنـــــه والـــــدها. منـــــذ صـــــغرها، وهـــــي لا تســـــتمع لأي هـــــراء، بـــــل تبحث عما يفيدها بين كلمات الأغاني.

دفعت والدتها الباب بعصبية، ثم ولجت إلى الداخل وهي تصيح:

-اقفلي أم الزفت ده، وشوفي لك حاجة نافعة تعمليها!

توقفت "نور" عن الرقص، وتفحصت والدتها بنظراتها لتكتشف سبب عصبية والدتها الحبيبة. جذبت الهاتف، أوقفت الأغنية، وسألت:

-حصل إيه مخليكي متعصبة كده؟

جلست والدتها، ثم أخبرتها بقلق: أشرف كلم أبوكي عشان يحدد معاد الفرح، وأنتِ لسه ناقصك حاجات كتير في الجهاز.

جلست "نور" بجوارها وربتت على يدها، قائلة:

-سيبيها على الله يا ماما، وبعدين كل الناس بتجيب بالقسط. هنجيب الحاجات المهمة، والحاجات اللي ملهاش لازمة بلاش منها.

ردت والدتها بجدية: لازم نجيب كل حاجة زي الناس. مينفعش تكوني أقل من حد.

أردفت "نور" بيأس من هذا التفكير السطحي:

- يا ماما، احنا مالنا ومال الناس؟ كل واحد يجيب على قد مقدرته. الناس دي هي اللي خلت الشباب تضيع، والعنوسة تزيد.

ردت والدتها بعصبية: أيوه، عايزة الناس تجيب سيرتنا وتقول:

-بصـــي جايبـــة إيـــه، ومجبـــتش إيـــه؟ وبعـــدين، ســـيبك مـــن الشـــعارات بتاعتـــك دي، مـــتكلش معانـــا! كلمـــي جـــوزك، خليـــه يأجل شوية.

جملـــة ســـخيفة تفوهـــت بهـــا والـــدتها، تعكـــس اهتمامهـــا بكـــلام النـــاس. فقالـــت "نـــور" بضيق:

-يـــا مامـــا، احنـــا اتفقنـــا أنـــا والبنـــات إن كلنـــا هنتجـــوز فـــي نفـــس اليـــوم. يعنـــي ميـــنفعش يتأجـــل. وكـــلام النـــاس مـــش فـــارق لـــي. مـــش عـــايزة حاجـــة غيـــر إن فرحـــي يكـــون مـــع صحابي.

نظـــرت لهـــا والـــدتها بحنـــق قبـــل أن تغـــادر، قائلة:

-قولي كده: عايزة تتجوزي مع أصحابك، وإحنا نشيل الهم!

وقفت "نور" تنظر في أثرها، تفكر ماذا تفعل.

***

جلس في غرفة الاستقبال ينتظر خروجها بفارغ الصبر، إلى أن طلت عليه بهيئتها البريئة، تقدم قدمًا وتؤخر الأخرى، حتى وصلت أمامه. ألقت التحية بتوتر ونبرة مهتزة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كانت ترفض مقابلته، لكن "تقى" أقنعتها بضرورة ذلك، وأن تخرج من قوقعتها. فهي، منذ الحادثة، لم تتحرك

من المنزل ولم ترَ أحدًا سوى أفراد عائلتها.

رد "مارس" عليها بهدوء: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

أشار "حسني" إلى ابنته أن تجلس، فجلست بجواره. تحدث وهو يمسد على رأسها بحنان:

-مارس عايز يتكلم معاكي، هسيبكم شوية وهقعد بره. متخفيش، الباب مفتوح وأنا هنا.

نظرت له برفض، لكنه أشار لها بعينيه أن تطمئن وغادر. عادت بنظرها للأرض، تتجنب ملاقاة عينيه المراقبتين لها.

تنحنح ليلفت انتباهها وقال: أنا آسف إني أصريت أقابلك، بس أنا عايز أسمع رأيك.

رفعت "ديالا" عينيها لتتقابل مع عينيه البنيتين الشبيهتين بكوب قهوة دافئ، وقالت بعدما أبعدت نظرها عنه:

-مش عايزة أتجوز.

أخبرته "تقى" أنها مشتتة، ولا تعلم الصواب من الخطأ، لذلك عليه أن يتقبل كل أفعالها. فسألها برفق:

-ممكن أعرف السبب؟

ظلت ثواني، أو ربما دقائق، صامتة تستجمع قوتها، لكن محاولاتها تلاشت عندما نطق اسمها بنبرة حنونة تحثها على التحدث. قالت بارتباك بعدما تذكرت

حديث الجميع عنه وعن صفاته، التي باتت نادرة بين شباب الجيل:

-خايفة.

ابتسم لها بحب يلمع في عينيه وأخبرها بصدق:

-أول مرة شفتك كنتِ داخلة المطعم. بنت هادية، جميلة، خجولة، خطواتها مدروسة. لا بتبصي يمين ولا شمال. لابسة فستان أزرق واصل للأرض، وخمار أبيض جميل. كنتِ شبه الفراشة، ملفتة للأنظار. عشان كده وقفت أبص عليكي من بعيد لحد ما قعدتي على تربيزة عليها بنت. رحت أشوفك تطلبي إيه. رديتي برقة واحترام، لدرجة إني فضلت واقف شوية، ومتحركتش غير

لمـــا صـــحبتك اتكلمـــت. صـــوتك كـــان حلـــو ودافـــي. كـــل حاجـــة فيكـــي جميلـــة. يومهـــا، أول مـــا روحـــت، صـــليت ركعتـــين واتمنيـــت أشوفك تاني وتكوني ليا.

تنهـــد، ونظـــر لهـــا ليـــرى وجههـــا يشـــع ضـــوءًا مـــن الخجـــل. ابتســـم وهـــو يكمـــل حديثه:

-بعـــدها بيـــومين شـــفتك، فرحـــت قـــوي، وعرفـــت إنـــي حبيتـــك مـــن أول نظـــرة. ومـــن ســـاعتها، فـــي كـــل صـــلاة، أدعـــي إنـــك تكـــوني ليـــا وتســـتنيني لحـــد مـــا أتخـــرج وأظـــبط أموري.

تساءلت "ديالا" وهي تنظر إلى الأرض:

-طب ليه اتقدمت لي دلوقتي؟

أجـــاب "مـــارس" بتلقائيـــة: عشـــان أكـــون جنبك.

ســـألته بارتبـــاك وبصـــعوبة، كأنهـــا طفـــل يتعلم النطق:

-همـــا... همـــا قـــالوا إنـــك... إنـــك أنـــت اللـــي وديتنـــي المستشـــفى... بـــس أنـــا مـــش فاكرة، لأني أغمى عليا...

قالـــت جملتهـــا الأخيـــرة بنبـــرة باكيـــة ودموعهـــا تنهمـــر. قاطعهـــا بســـرعة قبـــل أن تخوض في الموضوع:

-أحســـن إنـــك مـــش فـــاكرة، ووعـــد منـــي هخليكـــي تنســـي كـــل اللـــي حصـــل. بـــالله عليـــكِ وافقـــي علـــى كتـــب كتابنـــا، وأقســـملك بـــالله إنـــك مـــش هتنـــدمي لحظـــة. خوفـــك ده

طبيعـــــي، بـــــس والله هعمـــــل المســـــتحيل عشان تطمني ومتخفيش.

حديثـــه زرع الراحـــة فـــي قلبهـــا. تنهـــدت ونظـــرت لـــه. ابتســـم لهـــا بســـمة مهلكـــة، وكـــأن بســـمته عـــدوى انتقلـــت لهـــا فـــي اللحظة نفسها. قالت بخجل:

-ماشي.

دخـــل فـــي هـــذه اللحظـــة والـــدها، جلـــس بجوارهـــا، ووضـــع يـــده عليهـــا، يجـــذب رأســـها لتتوســـط صـــدره. تـــابع بعينيـــه حركات ابنته الخجولة.

تنحنح "مارس" وقال باحترام شديد:

- ديـــالا وافقـــت يـــا عمـــي. فبعـــد إذنـــك تحـــدد معـــاد كتـــب الكتـــاب، وبابـــا هـــيكلم حضـــرتك ويجي يتفق مع حضرتك على كل حاجة.

ربت "حسني" على حجابها بحنان، وقال لـ"مارس":

-بص يا بني، أنا بنتي طول عمرها ست البنات، ويبخت أي حد بيها. واللي حصلها كان غصب عنها.

كاد أن يقاطعه، لكن "حسني" أشار له بالتوقف:

-عارف هتقول إيه. أنا هسلمك بنتي بإيدي. أكيد مش هبص على فلوس ملهاش لازمة. وأنا راجل ابن أصول، مينفعش يمضي جوز بنته على شيكات. والدهب اللي أنت عايز تمضي شيك عشان نضمنه، هو المفروض هدية من العريس للعروسة. أهم حاجة تخلي بالك

من بنتي، لأن لو زعلتها هتشوف وش تاني عمرك ما تخيلته.

رد "مارس" بلهفة: وأنا عمري ما أزعلها. حياتي كلها فداها. ووالله يا عمي، عمرك ما هتندم على ثقتك فيا.

ابتسم له "حسني" براحة وهو ينظر لابنته، ثم قال:

-تقدر تيجي أنت وعيلتك يوم الجمعة نحدد كتب الكتاب.

***

انتهى الاختبار، وتم تسليم الأوراق للمراقب. لم تكن مجرد أوراق فارغة، بل أوراق تحمل مجهود عام كامل. ورقتان تحملان آمال وأحلام الطلاب الذين ينظرون إليها بحسرة وخوف،

وكـــأنهم يودعونهـــا الـــوداع الأخيـــر برفقـــة أحلامهـــم، متمنـــين مـــن المـــولى أن يفـــرح قلوبهم.

عنـــدما خرجـــت الفتيـــات، تبـــادلن النظـــرات بصـــمت. تحركـــت "بســـملة" لتعـــانق "جيهـــان" بخـــوف علـــى حلمهـــا. ربتـــت "دعاء" على رأسها لتطمئنها قائلة:

-إن شـــاء الله خيـــر يـــا بســـوا، اطمنـــي. ربنـــا هيعوض تعبك خير وحلمك يتحقق.

ربتـــت "جيهـــان" فـــوق ظهرهـــا بحنـــو، عنـــدما شـــعرت بأنهـــا تكـــتم بكاءهـــا ولا تريـــد الابتعـــاد عنهـــا، كأنهـــا طفلـــة صـــغيرة تخشـــى مغادرة والدتها. قالت بحنان:

-اتفـــائلي يـــا بســـملة. كـــل اللـــي ربنـــا هيجيبـــه خيـــر. وبعـــدين لمـــا أنـــتِ بتعيطـــي أنـــا أعمـــل

إيـــه؟ أجيـــب شـــوية تـــراب وأدفـــن بـــيهم نفسي!

اختتمـــت جملتهـــا الأخيـــرة بمـــرح جعـــل "بســـملة" تضـــحك بخفـــوت وتبتعـــد عنهـــا.

نظـــرت إلـــى "دعـــاء"، لكنهـــا قاطعتهـــا بلهفـــة قبـــل أن تبـــدأ بالحـــديث، لأنهـــا تعـــرف مـــاذا تريد:

-لا بـــالله عليـــكِ! لـــو راجعـــت معـــاكِ هكتشـــف إن كـــل اختيـــاراتي غلـــط. يبقـــى ســـبيني علـــى عمايا وربك يستر.

نظـــرت "بســـملة" لهـــا بحنـــق، ثـــم وجهـــت نظرها إلى "جيهان" وسألتها:

-وأنتِ يا جيهان، عملتي إيه؟

ردت "جيهـــان" بمـــزاح، وهـــي تصـــفعها بخفة على رأسها:

-اختـــرتهم كلهـــم غلـــط، لأنـــه هـــو الحاجـــة الوحيـــدة الصـــح فـــي حيـــاتي. وللأســـف، مكنش من ضمن الاختيارات.

حـــدقت بهـــا "دعـــاء" بتشـــنج وهتفـــت بنـــزق، وهـــي تلـــوي فمهـــا بحركـــة شـــعبية متعـــارف عليها:

-ياختي على المحن. الله يرحم!

بينمـــا هتفـــت "بســـملة" بســـخرية: ومـــن أمتى الرومانسية دي ياختي؟

نظـــرت إليهمـــا "جيهـــان" بهيـــام مصـــطنع وابتسامة واسعة:

-من يوم ما قبلته... دكتور قلبي.

نطقـــت "دعـــاء" اســـمها بتحـــذير مـــن تماديها في الحديث عنه:

-جيهان!

لكن "جيهان" أصابت الهدف ببراعة، ونجحت في تشتيت تفكيرهما عن الاختبار ومراجعته، لأنها تعلم أن "بسملة" إذا اكتشفت أخطاءً، فقد تنهار، مما يؤثر على أدائها في باقي الاختبارات.

قالت "جيهان" بسرعة: قلب جيهان! روحي بس شوفي الدكتور اللي بقاله ساعة يبص عليكي ومستني تحني وتيجي تطمنيه.

التفتت "دعاء" على الفور لتجد "فارس" ينظر إليها من بعيد، ويشير بعينيه لتلبية ندائه. سارعت نحوه دون أن تهتم بأصدقائها، رغم أن صوت "بسملة" وصلها وهي تقول بسخرية:

-البِت واقعة خالص!

ردت "جيهان" بهيام: الحب وسنينه.

ابتسمت "بسملة" عندما مر بخاطرها طيف شخص تعرفه. تذكرت مشاكسته وغمزاته، فهتفت همسًا وصل إلى "جيهان":

-وقح!

تساءلت "جيهان" بتعجب:

-مين ده اللي وقح؟

توترت "بسملة" وهي تنفي برأسها: لا لا، مش حد. يلا نستنى دعاء بره لحد ما تيجي.

ردت "جيهان"، وهي تنظر إلى "دعاء":

-لا، اســـتني دقيقـــة وهتيجـــي. نمشـــي مـــع بعض بدل ما تمشي وحدها.

عنـــد "دعـــاء"، وقفـــت أمـــام "فـــارس" بفرحـــة لاهتمامـــه بهـــا. ســـألها بابتســـامة عندما اقتربت:

-ها يا حبيبتي، عملتي إيه؟

ردت بثقة:

- الحمـــد لله، كلـــه تمـــام وإن شـــاء الله خيـــر. بس ادعيلي.

ابتسم لها بحنان وهو يربت على يدها:

-الحمـــد لله يـــا حبيبتـــي. أنـــا علـــى طـــول بـــدعيلك. خلـــي بالـــك مـــن نفســـك وأنـــتِ مروحـــة. هتروحـــي مكـــان ولا هتروحـــي على طول؟

بادلتـــه ابتســـامة ممتنـــة وهتفـــت: هـــروح على طول، لأني هموت وأنام.

قـــال بلهفـــة: بعـــد الشـــر عليكـــي يـــا حبيبتـــي. خـــلاص، يـــلا روحـــي عشـــان أصـــحابك مســـتنيينك. واتصـــلي بيـــا أول مـــا توصـــلي. بحبك يا دودو.

نظـرت لـه بخجـل وهتفـت برقـة: وأنـا بحبـك أوي.

تركتـــه وعـــادت إلـــى أصـــدقائها. خـــرجن مـــن الجامعـــة، وتوجهـــت "بســـملة" و"دعـــاء" إلـــى مكـــان الســـرفيس الـــذي ينقلهمـــا إلـــى قريتهمـــا، بينمـــا "جيهـــان" ســـارت إلـــى منزلهـــا. أثنـــاء ســـيرها، جاءهـــا اتصـــال مـــن "إبراهيم" ليطمئن عليها.

***

في أحد المطاعم الراقية في المدينة، جلس "أشرف" ينتظر قدومها بعد أن رفضت أن يأتي ويصطحبها بنفسه. مرت أكثر من نصف ساعة منذ أن أخبرته أنها على وشك الوصول. تنهد بضيق من هذا التأخير ورفع هاتفه ليعاود الاتصال بها، لكنها رفضت المكالمة. ظن أنها قريبة، لكنها لم تصل. زفر بعصبية وأعاد الاتصال مرة أخرى، لكنها رفضت المكالمة مجددًا.

قرر أن ينهض للبحث عنها، بعدما ساوره القلق من أن يكون قد حدث لها شيء. وقبل أن يخرج من المطعم، اصطدم بها وهي تولج بسعادة، تحرك حقيبتها في الهواء بحماس. رغم الضيق

الـــذي كـــان يعتلـــي وجهـــه، إلا أنـــه ابتســـم لســـعادتها وأشـــار لهـــا بهـــدوء نحـــو الطاولة.

تحركـــا معًـــا، وســـحب لهـــا المقعـــد برُقـــي لـــتجلس، ثـــم جلـــس أمامهـــا متســـائلًا عـــن سر سعادتها.

أجابتـــه "نـــور" بحمـــاس: كلمـــت البنـــات وقـــالوا إن الامتحـــان كـــان ســـهل الحمـــد لله، وعدى على خير. عبال الباقي يا رب.

نظـر إليهـا بإعجـاب. لـم يـرَ فتـاة نقيـة القلـب مثلهـا، تضـع سـعادة الآخـرين قبـل سـعادتها دون تفكير. همس لها بحب:

- إنتِ جميلة أوي يا 'وزة'.

أجابتـه "نـور" بمـرح: مـش أجمـل منـك يـا حب.

ضحك عليها بشدة وهو يقول بيأس من أفعالها:

-يا بنتي، اتقلي شوية، وخليكي زي البنات. فين الكسوف والخجل؟

حركت يدها بلا اهتمام وردت بغمزة وهي تمزح معه:

-اتقل إيه؟ دانا واقعة يا باشا في العيون السود!

صدحت ضحكات "أشرف" وملأت المكان، وشاركتْه الضحك. لكنه سرعان ما توقف ليسألها بجدية:

-المهم، اتأخرتي ليه كده؟ وليه مردتيش لما رنيت عليكي؟

تنهدت "نور" وأجابت باقتضاب: كنت بصفي حساب قديم.

سألها "أشرف" باهتمام: حساب إيه؟ أوعي تكوني بتعملي حاجة...

ردت "نور" بمشاكسة: قصدك حاجات؟ وبعدين بستغل إن جوزي ظابط! أنا زمان كنت بعمل تلات أربع خناقات، وأبويا كان راجل عادي. دلوقتي جوزي ظابط، يعني هنرفع مستوى الخناقات!

نظر إليها بتركيز محاولًا فهم ما تخفيه:

-طب يا 'وزة'، احكيلي عملتي إيه عشان أعرف أتصرف لو حصل حاجة.

ردت "نور" بلا اهتمام: حصل خير. ده موضوع خاص وحساب قديم.

أصر "أشرف" على معرفة التفاصيل وقال:

-مفيش حاجة اسمها خاصة بينا. وبعدين أنا مش زي أصحابك اللي أكيد قولتي لهم. اعتبريني يا ستي صاحبك!

ابتسمت له وقالت بمرح: إيه ده؟ أوعى تكون بتغير من أصحابي! أزعل يا باشا.

ثم تنهدت وهتفت عندما رأت نظرته التي تنذر بالخطر:

-بص، الموضوع حوار كده حصل معايا أنا وصحابي وكام بنت تاني. وبعدين مش هينفع أقولك. لو خاص بيا كنت قولتلك.

رغم القلق الذي اعتلى وجهه، تنهد وقال:

-مع إني مش مقتنع بكلامك وحاسس إنك بتتهربي، بس تمام. المهم إنك بخير.

ولـــو فيـــه أي حاجـــة، تيجـــي تقـــوليلي، لأن مفـــيش أســـرار بينـــا. وأكيـــد لـــو قـــولتي مـــش هـــروح أقـــول لحـــد. بـــس أنـــا هســـيبك علـــى راحتك.

اتســـعت ابتســـامتها وهتفـــت بمـــرح لتغييـــر الموضوع:

-باشـــا، أنـــا شـــكلي اســـتعجلت واختـــرت غلـــط. أنـــت بخيـــل وهتجـــوعني، وهتفـــرح فيـــا الحاجـــة لمـــا قولـــت لهـــا محـــدش بيمـــوت من الجوع. وأنا أهو هموت!

لـــم يجبهـــا، بـــل أشـــار للنـــادل ليـــأتي. وعنـــدما حضـــر، طلـــب لهـــا طعامهـــا المفضـــل. بعـــدما غادر النادل، تساءلت باهتمام:

-عرفت منين إني بحب الأكلة دي؟

غمز لها وهمس: ده سؤال تسأله واحدة كتومة، مش واحدة كل ما تشوف وشي تقول عايزة أكل!

نظرت له بغضب ظنت أنه سيهدئها بكلام معسول عندما اقترب منها وهمس، لكنها تفاجأت. هتفت بضيق:

-طب، أكدب عليا وقول مقدرش أنسى!

رد "أشرف" باستفزاز: الكدب حرام يا 'وزة'.

***

في منزل "تامر حسني"، كانت "إيمان" تجلس مع "ديالا" في غرفتها حتى داهمها النوم وراحت في ثبات عميق. استغلت "إيمان" الفرصة، جذبت هاتفها

واتصلت به. بعد ثوانٍ، جاءها صوته المحبب لقلبها وهو يهتف بحب:

-أمنيتي، وحشتيني أوي.

ردت عليه "إيمان" بلهفة وحب يضاهي حبه أضعافًا:

-حبيبي، وأنت وحشتني أكتر. كده من امبارح مش سامعة صوتك!

أردف بأسف: حقك عليا يا أمنيتي، أنا كنت مشغول. بس كنت هكلمك. طمنيني، 'ديالا" عاملة إيه؟ ومامـا والكل عندك أخبارهم إيه؟

أجابته لكي يطمئن قلبه: الحمد لله كلنا بخير. والنهارده 'ديالا" وافقت على كتب كتابها. والصراحة الواد عاجبني وشكله محترم. بس أمك على طول زعلانة

عليك، وأنا عايزاك تكلمها. حرام هي تعبانة.

تنهد "تامر" بحزن واشتياق لوالدته الحبيبة:

-مش هقدر أكلمها. هتفضل تعيط وتوجع قلبي، وأنا أصلا مش متحمل. بالله عليكِ يا عمتو، خلي بالك منها عشان خاطري، وطمنيها إنه هيجي يوم وأرجع. والحمد لله إنكم بخير، و'ديالا" هتكون بخير مع 'مارس'، أنا واثق.

ردت عليه "إيمان" عبر الهاتف بحنان:

-حاضر يا حبيبي، متقلقش. أنا مش بسيبها لحظة، و'سلمى' طول الوقت معاها. المهم، أنت خلي بالك من نفسك عشان خاطري.

قاطعهمـــا صـــوت "فـــارس " الـــذي ولـــج للغرفة وتسأل بفضول:

-مين ده اللي يخلي باله من نفسه؟

*****

الفصل التاسع والعشرون

"يكفيكَ عاراً يا تارك الصلاة بأن العلماء أختلفوا أأنتَ فاسقٌ أم كافر..."

***

ردت عليه عبر الهاتف بحنان: حاضر يا حبيبي، متقلقش. أنا مش بسيبها لحظة، و'سلمى' طول الوقت معاها. المهم أنت خلي بالك من نفسك عشان خاطري.

-مين ده اللي يخلي باله من نفسه؟

سؤال خرج من "كريم" بتعجب بعدما ولج غرفة شقيقته ووجد عمته تتحدث في الهاتف.

توترت "إيمان" وهي تقول بعدما خفضت الهاتف عن أذنها لكنها لم تغلق المكالمة:

-ده... ده مش حد.

تفحص توترها بنظرات خبيرة وهو يقول بجدية:

-سلميلي عليه، وقوليله إني زعلان منه، ولما يجي فيه بينا حساب.

أخفضت رأسها بخجل منه؛ فمنذ أيام سألها عنه، وأخبرته أنها لا تعلم شيئًا ولم يتواصل معها. لكنهما استمعا لصوت "تامر" يصدح من الهاتف بجديّة:

-قوليله إن دي أول مرة أكلمك.

استمع "كريم" للصوت، فجذب الهاتف من "إيمان" برفق وهو يقول:

-أهلا بالبشمهندس الجبان اللي أضعف من مواجهتي.

تنحنح "تامر" بحرج وهتف بشوق:

عامل إيه يا 'كريم'؟ طمني عليك.

رد "كريم" بتهكم رغم اشتياقه الشديد لأخيه:

-بخير يا خويا، المهم أنت عامل إيه؟ وجاي إمتى؟ ولا مش ناوي تيجي كتب كتاب أختك؟

تنهد "تامر" بحزن وهو يهتف: حقك عليا يا 'كريم'، متزعلش مني. أنا مليش غيرك، بس مش هقدر أجي. البركة فيك وفي بابا. أنا مش هقدر أواجه أبوك؛ لأني عارف إنه هيخليني أحس إني السبب في اللي حصل لـ'ديالا'. وأنا والله بحاسب نفسي كل يوم على اللي حصلها بسببي.

رأف "كـــريم" بحـــال شـــقيقه بعـــدما اســـتمع لصوته الحزين، فزفر بقوة ثم قال:

-أنـــا مـــش زعـــلان منـــك، أنـــا زعـــلان عليـــك لأنـــك شـــايل هـــم أكبـــر منـــك. اللـــي حصـــل لـــ"ديالا" نصـــيب، وربنـــا يجزيهـــا علـــى صـــبرها خيـــر. وأنـــت مـــش ذنبـــك. "ومـــا كـــان ربـــك بظـــالم للعبيـــد." ربنـــا مـــش هيحاســـبها هـــي علـــى ذنبـــك. ده اختبـــار ليهـــا، وربـــك غفـــور رحـــيم. اســـتغفر عـــن ذنوبـــك وربـــك هيغفرلـــك ويراضـــيك. وبالنســـبة لأبـــوك، فهـــو أكيـــد مـــش هيحاســـبك علـــى اللـــي حصـــل. هـــو بـــس زعـــلان إنـــك مشـــيت مـــن غيـــر مـــا حـــد يعـــرف وفـــي وقـــت زي ده. فأنـــت لـــو رجعـــت، كـــل حاجـــة هترجـــع زي الأول بإذن الله.

كم أراد أن يشكر القدر على دخول شقيقه غرفة عمته، ليعلم أنها تحدثه لكي تطمئن عليه. فهو قال لعمته ألا تخبر أحدًا أنه يحدثها؛ لم يكن لديه القدرة على مواجهة أحد. لو كان يعلم أن شقيقه سيقول هذا الحديث، لكان تواصل معه منذ مغادرته البلاد. ابتسم براحة وهو يقول بصدق:

-أنت وحشتني أوي يا "كريم". وكان نفسي تكون معايا دلوقتي. أنا من يوم ما سافرت ما حسيتش بالراحة غير لما كلمتك. أنت غالي عندي أوي والله العظيم، متزعلش مني.

رد عليه "كريم" بحنان: بس يا أهبل. أزعل منك إيه؟ هو أنا عندي أغلى منك؟

أنت سندي في الدنيا. لو أنت محتاجني، فأنا محتاجك أكتر منك. أنا ببقى ماشي رافع رأسي ومطمن عشان أنت في ضهري. تعالى يا "تامر". وكلمة مني: مش هخلي أبوك يقولك حاجة تزعلك. وأنت عارف إني قد كلمتي.

اطمأن "تامر" كثيرًا أن علاقته بشقيقه على ما يرام، وأنه لم يغضب منه بل هو غاضب لأجله. لذلك ابتسم وهو يقول:

-عارف، بس خليها شوية لأني مش هقدر أنزل دلوقتي. خلي بالك من ماما وعمتي و"ديالا". وسلملي على "سلمى". هي كويسة؟

كمـــا هـــو دائمًـــا، رغـــم مشـــاغبته، لكنـــه حنـــون للغايـــة. ابتســـم "كـــريم" وهـــو يخبره:

-هـــي كانـــت زعلانـــة شـــوية لمـــا مشـــيت، بـــس هـــي بخيـــر الحمـــد لله. المهـــم خلـــي بالـــك أنـــت مـــن نفســـك، ومـــا تشـــغلش بالـــك بينـــا. إحنـــا كويســـين، ورن عليـــا يـــا هندســـة عشان ما أزعلش.

قـــال جملتـــه الأخيـــرة بمـــرح، فـــرد "تـــامر" بنفس المرح قبل أن يغلق المكالمة:

-أنـــت تـــؤمر يـــا دوك. هـــو إحنـــا عنـــدنا كـــام "كـــريم"؟ هقفـــل دلـــوقتي عشـــان مشـــغول وهكلمك تاني. سلام.

ودعـــه، ثـــم أغلـــق الهـــاتف وناولـــه لـــ"إيمان". اقتـــرب مـــن شـــقيقته الغافيـــة

بســـلام، وقبّلهـــا مـــن جبينهـــا، ثـــم نهـــض ينظـــر إلـــى عمتـــه التـــي بادلتـــه النظـــرة بأســـف وهي تقول:

-متـــزعلش يـــا "كـــريم"، بـــس "تـــامر" قـــالي ماقولش لحد إني بكلمه.

تفهـــم "كـــريم" مـــا تقولـــه. اقتـــرب منهـــا وربت على رأسها بحنان:

-أنـــا عـــارف يـــا "إيمـــان" إنـــك بتكلميـــه مـــن يـــوم مـــا ســـافر. ومـــش زعـــلان منـــك إنـــك خبيتـــي؛ لأنـــي عـــارف إن "تـــامر" اللـــي قالـــك ما تقوليش لحد.

ارتمـــت عليـــه تعانقـــه وهـــي تقـــول ببكـــاء: أنـــا زعلانـــة أوي علـــى اللـــي حصـــلنا. "ديـــالا" طـــول الوقـــت ســـاكتة، و"تـــامر" ســـابني ومشـــى، وأنـــت دايمًـــا مشـــغول، و"ســـلمى"

يعينـــي متفرقـــة بينـــا. كـــل شـــوية تـــروح تقعـــد مع حد فينا عشان تطمن عليه.

بادلهـــا العنـــاق وهـــو يهتـــف: كـــل حاجـــة هتعـــــدي، وهنرجـــــع زي الأول وأحســـــن. سبيها على الله.

***

فـــي المســـاء، كانـــت تجلـــس علـــى الفـــراش، وبيـــــدها اليســـــرى كتـــــاب "قـــــانون المرافعـــات"، بينمـــا يـــدها اليمنـــى تـــدق علـــى الدُّف وهي تحفظ القوانين:

"من قتلا يُقتل ولو بعد حين

لا أما ياخد عشر سنين

المادة ٤٧ صفحة ٨ على اليمين

المادة ٤٧ صفحة ٨ على اليمين

المادة ٤٧ صفحة ٨ على اليمين."

ظلت تردد رقم المادة بسرعة، وما زالت يدها تدق على الدف بقوة، إلى أن قاطع مجهودها المبذول رنين هاتفها. نظرت إلى الشاشة لتجد اسم "دعاء". ما إن أجابت، حتى صدح صوت "دعاء" الغاضب:

-إيه اللي أنتي عملتيه ده يا مصيبة؟

ردت عليها "نور" ببرود، وهي تعلم جيدًا عن ماذا تتحدث الأخرى:

-عملت إيه؟

بنفس الغضب، ردت "دعاء": نور! متستعبطيش. 'بسملة' قالتلي.

هتفت "نور" بصدمة مصطنعة، فهي كانت تعلم أن "بسملة" ستخبرهم:

-آه يا فتّانة يا 'بسملة'! وربي لأربيها. أقولها ما تروحش تقول لكم، وهي تروح تقول!

زاد غضب "دعاء"، فصاحت بها: نور! اخلصي وقولي عملتي كده ليه؟

تنهدت "نور" بضيق واضح، ثم أخبرتها باختصار:

-هما اللي عصبوني. أنا كنت رايحة أشوفكم قبل ما أقابل "أشرف". ملقتكمش. كلمت 'بسملة' قالت إنكم روحتوا. كنت ماشية، فوقفت "نرمين" و'علا' قصادي، وقعدوا يقولوا كلام سخيف عنك وعن الدكتور. رحت جبتها من شعرها عشان تعرف الله حق.

حاولت "دعاء" أن تهدئها، فتحدثت بهدوء لتخبرها أن تتحكم بنفسها:

-يا بنتي، مش كل حاجة تتحل بالضرب. ربنا خلق العقل عشان نفكر ونتصرف صح. إحنا مش عايشين في غابة.

لم تهتم "نور" بما قالته "دعاء"، فردت بلا مبالاة:

-فكك مني يا 'دعاء'. اتصرفي أنتِ بعقلك. دي أشكال ميتنفعش معهم غير كده. وبعدين أنا ربيتها وخلاص الموضوع خلص.

ردت "دعاء" بيأس: مفيش فايدة فيكي يا 'نور'.

قالت "نور" بمرح: قلب 'نور' أنتِ! المهم، رني على 'بسملة' و'جيهان' شوفيهم مختفين فين.

أجابت "دعاء" بهدوء: هرن أنا على 'جيهان'، وأنتِ رني على 'بسملة'.

ما هي إلا دقيقة، واجتمع الأربعة في مكالمة جماعية، لتقول "جيهان" بمشاكسة:

-هاه؟ في حد اتضرب تاني ولا كفاية مرة في الأسبوع؟

ردت "دعاء" ساخرة وهي تقلد "نور":

-أنا كنت بعمل مصيبتين تلاتة وأنا واحدة عادية. دلوقتي جوزي ضابط، ماعملش تلاتة أربعة. فتفتكري هكتفي بمرة في الأسبوع؟

ردت عليهم "نور" بضيق: أنا غلطانة إني بدافع عنكم. المرة الجاية هشاركهم الكلام عليكم!

سألت "جيهان": جبتي الفستان لـ"نونه" يا 'بسملة'؟

ردت "بسملة": آه، وطلعت عيني عشان يعجب ماما. كل ما أوريها واحد تقول: لا مش حلو، عايزة واحد أحلى. لحد ما تعبت وقلت لها تجيب هي، راحت قالت: خلاص هاتي أي واحد.

سألت "نور": ابن مين النونة ده؟

سخرت "بسملة" منها: يا ذكية! بقلك فستان يعني لبنوتة. بنت عم ماما خلفت بعد سنين. عشان كده ماما كانت عايزة تجيب لها فستان هدية.

ردت "دعـــاء" بهـــدوء: ربنـــا يبـــارك لهـــا فيهـــا، ويـــرزق كـــل محتـــاج بالذريـــة الصـــالحة. أمَّـــن الجميـــع علـــى الـــدعاء، ثـــم قالـــت "بســـملة" بعـــدما تـــذكرت الفتـــاة التـــي جلست بجوارها في وسيلة المواصلات:

-النهـــارده فـــي المواصـــلات، فيـــه بنـــت كانـــت راكبـــة جنبـــي وبتخبّـــي الموبايـــل وهـــي بـــتكلم حـــد علـــى الـــواتس. مـــش عارفـــة دي هبلـــة ولا إيه؟

أكملـــت بضـــيق: قـــال يعنـــي أنـــا هـــبص عليهـــا! مـــالي أنـــا ومـــال "أحمـــد" بتاعهـــا ده اللـــي هتقابلـــه بكـــرا الســـاعة ٤ بعـــد درس الفرنســـاوي، علشـــان تديـــه هديـــة وتصـــلحه. أصـــله كـــان زعـــلان منهـــا عشـــان هزارهـــا

مـــع 'محمـــد' اللـــي بياخـــد معاهـــا فـــي درس الكيمياء.

صـــدحت ضـــحكات الفتيـــات بعـــدما صـــدقن أســـلوبها الغاضـــب وهـــي تحكـــي، وكأنهـــا لا تعلـــم لمـــاذا كانـــت الفتـــاة تخفـــي الهـــاتف عنها.

شاركتهم "بسملة" الضحك وهي تقول:

-مـــش عارفـــة ليـــه كـــان عنـــدي فضـــول أعرف هتصالحه إزاي!

***

بعـــد مـــرور أســـبوعين، عـــاد "إبـــراهيم" إلـــى المنـــزل فـــي الصـــباح بعـــدما قضـــى الليلـــة الســـابقة فـــي المشـــفى. وجـــد شـــقيقته تجلـــس أمـــام التلفـــاز تتـــابع مسلســـلها المفضـــل

"التفاح الحرام". تنحنح كي ينتبهها، ثم وقف أمام الشاشة ليزعجها قائلاً بمرح:

-يلدز في الليل والنهار؟ ارحمي نفسك يا ماما!

ضحكت عليه وهي تحاول النظر خلفه لتتابع المشهد المحبب لقلبها، ثم قالت بحماس:

-اوعى! 'دوغان' هيعترف لـ'يلدز' إنه بيحبها.

جلس بجوارها متسائلًا بتعجب: هو أنا مش كلمتك بالليل وقلتي إنك بتسمعي 'يلدز'؟

ردت دون اكتراث: أيوة.

سألها باستنكار: أمال إيه ده؟

أجابت ببساطة: الإعادة.

حدق بها بنظرات غاضبة وهو يقول:

ولما هي إعادة، بتسمعيها تاني ليه؟

ابتسمت بفرحة، كأن "دوغان" نفسه اعترف لها بحبه، وقالت:

- أصل المشهد ده فرحني أوي! أنت مشوفتش 'دوغان' وهو بيمسك إيد 'يلدز' ويبصلها بنظرة مليانة حب ويقول: 'بحبك يا يلدز'!

ثم عانقته بحماس وقالت: يااااه، مشهد حلو أوي!

ابتسم لها وبادلها العناق وهو يربت على كتفها بحنو، لكنها انتفضت فجأة عندما رأت "دوغان" يدخل المنزل في المشهد، فوثبت على الأريكة تتوسل كأن "يلدز" تسمعها:

-يلا يا يلدز، وافقي! يلا عشان خاطري!

انتهت الحلقة عند هذا المشهد قبل أن ترد "يلدز"، لتتجلس "حنان" بإحباط وحزن. ضحك "إبراهيم" بشدة على وجهها الحزين، وقال بصعوبة بسبب ضحكه:

-يا بنتي أنتي مجنونة؟ مش سمعتيها في الليل وعارفة إنها هتخلص كده؟ زعلانة ليه دلوقتي؟

ردت عليه "حنان" بحزن: كنت عايزاها ترد عليه.

قربها منه وربت على رأسها بحنان:

-هترد عليه في الليل، متقلقيش.

تشبثت به قليلًا قبل أن تسأله بتردد:

-إبـــراهيم، هـــو أنـــت بتحـــب "جيهـــان" زي مـــا "دوغان" بيحب "يلدز"؟

أبعـــدها عنـــه قلـــيلًا لينظـــر إليهـــا، ثـــم أجـــاب بعدما تجاهل الجزء الثاني من سؤالها:

-آه، بحبها. بتسألي ليه؟

أجابـــت ببـــراءة وحـــب صـــادق: عشـــان لـــو بتحبهـــا هتبقـــى فرحـــان، وأنـــا عـــايزاك تكـــون فرحـــان ومـــش عـــايزاك تزعـــل أبـــدًا. الزعـــل بيـــنقص العمـــر، وأنـــا ملـــيش غيـــرك ومـــش عايزاك تسيبني.

قالـــــت جملتهـــــا الأخيـــــرة وهـــــي تبكـــــي، ليجـــذبها إليـــه مـــرة أخـــرى ويربـــت علـــى ظهرهـــا ليهـــدئها، ثـــم همـــس بصـــوت مختنق:

-وأنـــا كمـــان ملـــيش غيـــرك. أنتـــي عيلتـــي كلهـــا وأغلـــى مـــا ليـــا. أنتـــي الحاجـــة الوحيـــدة اللـــي طلعـــت بيهـــا مـــن الـــدنيا... أنتـــي بنتـــي وأختي وصحبتي وحبيبة قلبي.

ابتســـمت ومســـحت دموعهـــا بيـــده، فهـــي لا تريـــده أن يراهـــا تبكـــي. لقـــد تحمـــل الكثيـــر معهـــا، وكـــان دائمًـــا ســـندها، حتـــى فـــي أحلـــك لحظاتهـــا، خاصـــة عنـــدما كانـــت تبكـــي لرؤيـــة فتيـــات مـــع أمهـــاتهن. كـــان يواســـيها دائمًـــا، ولا يتركها إلا بعدما يضحكها.

أبعـــدت عنـــه بحركـــة خفيفـــة، ثـــم ســـألت بمرح لتخفي آثار الحزن على وجهها:

-طـــول عمـــرك بتقـــول إن الـــدنيا حلـــوة وتتحـــب، وإن النـــاس هـــي اللـــي بتصـــعبها. طيب بتحب "جيهان" أكتر ولا الدنيا؟

رد عليها بحب: أنا محبتش الدنيا غير بوجودها. هي أجمل ما مر في العمر.

نظرت له بسعادة، لكنه تنحنح فجأة وكأنه تذكر شيئًا وقال:

-شوفتي؟ بسبب 'يلدز' نسيت أقولك حاجة مهمة.

سألته باهتمام: حاجة إيه؟

أجاب بجدية:

-خدت إجازة أسبوع، وهنروح إسكندرية نقضي يومين حلوين مع بعض ونرجع.

قفزت بسعادة وقبلته على وجنته، ثم بدأت تدور حول الأريكة وهي تردد بحماس:

-يحيا إبراهيم! يحيا إبراهيم!

ابتسم إبراهيم بهدوء وهو يتابعها، ثم قال قبل أن يذهب إلى غرفته: جهزي نفسك، هنطلع بعد العصر.

***

انتهت اختبارات الفتيات، وتبقى فقط آخر اختبار لـ"نور" لينتهي العام الدراسي. لذلك، اقترحت "نور" أن يخرجوا معًا بعد الامتحان. وها هي تدخل المدرج بخطوات واثقة، كأنها تملك العالم، ثم جلست في مكانها تنتظر ورقة الامتحان، وهي تهمس بدعاء خافت للمولى أن يوفقها.

بعد مرور بعض الوقت، سقط قلمها على الأرض. وعندما انحنت لتلتقطه، اقترب

منهـا المراقـب ونظـر إليهـا بشـك، ثـم سـألها بحدة:

-بتعملي إيه؟

أجابـت بـاحترام: القلـم وقـع منـي يـا دكتـور، وكنت بجيبه.

رد بثبـات ونبـرة صـارمة: اقعـدي مكانـك، ولمـا القلـم يقـع تقـولي لحـد مـش تتحركـي لوحدك. أنتِ قاعدة في لجنة.

نفخت وجنتيها بضيق وقالت باقتضاب:

-حاضر.

انتهـى الوقـت، وسـلمت ورقتهـا وغـادرت المـدرج. أثنـاء خروجهـا، اصـطدمت بفتـاة كانـت تـدخل ولـم تعتـذر الفتـاة، فتأففـت "نـور" بامتعـاض وهـي تقـول بصـوت منخفض:

-التعليم على اللي هيتعلموا!

توجهت إلى مكان تجمع الفتيات، فوجدتهن في انتظارها. وعندما اقتربت منهن، سمعت "دعاء" تقول بنبرة ضيق: -خلاص يا "بسملة"، سبيها على الله، وإن شاء الله تعبك مش هيضيع. خلتينا كلنا قلقنا بسبب توترك.

نفخت "بسملة" وجنتيها بضيق، ثم قالت بقلة حيلة:

-ربنا يستر.

جلست "نور" دون أن تلقي التحية، فبادرتها "دعاء" بحنق:

-طب ارمي السلام ياختي وأنتِ قاعدة!

ألقت "نور" السلام سريعًا، فسألتها "بسملة" باهتمام:

-ها يا "نور"، طمنيني. عملتِ إيه لكـــن قبـــل أن تـــرد، قاطعتهـــا "دعـــاء" بيأس:

-يـــا بنتـــي، اتهـــدي! هـــو مفـــيش غيـــر الامتحانـــات فـــي حياتنـــا؟ طـــالعين نتـــنفس شـــوية بعـــد مـــا اتخنقنـــا، نـــتكلم فـــي الامتحانات برضه؟

زفـــرت "بســـملة" بضـــيق، بينمـــا ردت "نور" أخيرًا على سؤالها قائلة:

-الحمـــد لله، عـــدى علـــى خيـــر. لكـــن الـــدكتور المراقب ضايقني.

سألتها "دعاء" بفضول: ليه؟ عمل إيه؟

ردت "نـــور" بضـــيق: القلـــم وقـــع منـــي، ولمـــا نزلـــت أجيبـــه مـــن الأرض شـــافني. مـــن وقتهـــا وهـــو دايـــر حواليـــا، فـــاكرني بغـــش.

حتى وأنا بأتنفس، كان يبصلي كأني عاملة جريمة، وأنا أصلاً مكنتش بغش ولا حاجة.

علقت "دعاء" بهدوء:

-حصل خير. الحمد لله خلصنا. يلا بقى نتكلم في حاجة تانية غير الامتحانات، أنا خلاص هتجنن منكم!

ابتسمت "نور" بحماس وقالت: طب هنجيب لبس التخرج منين؟

ردت عليها "جيهان" بسخرية: هنجيب؟ قصدك هتجيبوا. أنتِ لسه قدامك سنة ياختي!

نظرت "نور" إليها بغضب مصطنع وقالت بتحدي:

-ها! هنجيب منين؟

قالت "بسملة" بلا مبالاة: مش لما تظهر النتيجة الأول وبعدين نفكر؟

تنهدت "دعاء" بخوف على "بسملة"، فهي تعرف مدى خوفها من النتائج. حاولت طرد تلك الأفكار من رأسها وقالت:

-سبيك من النكدية دي. سمعت عن مكان البنات بيقولوا إنه بيفصل روب التخرج بشكل حلو، وممكن يكتبوا عليه أي حاجة. 'جيهان' تعرف المكان.

أضافت "جيهان" بجدية: بس فيه مشكلة.

سألت "بسملة": مشكلة إيه؟

أجابت "جيهان" بهدوء: الواد اللي في المحل ابن عم 'علا' وخطيبها. وعلا

بتقف هناك كتير، يعني ممكن نشوفها وتحصل مشكلة.

تحدثت "نور" بلا اكتراث: وإيه يعني؟ إحنا هنروح ننفعهم. ولو اتكلمت، يبقى تتربى. يلا بس نروح، أنا متحمسة أوي.

سألتها "جيهان" بشك: أنتِ متحمسة عشان لبس التخرج ولا عشان 'علا' هناك؟

ضحكت "نور" وقالت بمرح: لما عرفت إنها هناك، طبعًا! دي فيها كلام.

ضحكت "دعاء" بيأس، وشاركتها "بسملة"، بينما بقيت "جيهان" صامتة. لاحظت "بسملة" صمتها، فسألتها باهتمام وهي تغادر الكافيه معهن:

-مالك يا 'جيهان'؟ من ساعة ما جينا وأنتِ ساكتة. فيه إيه؟

ردت "جيهان" بحزن لم تستطع إخفاءه:

-'إبراهيم' كلمني الصبح وقال إنه مسافر. وأنا زعلانة إنه هيسيبني.

توقفن عن السير ونظرن إليها بدهشة.

سألتها "نور":

-هيسافر فين؟ وهيسيبك إزاي؟ مش فاهمة.

أجابت "جيهان" بحزن: إسكندرية.

صاحت الثلاثة بدهشة: نعم؟!

نظرت "جيهان" إليهن بتعجب وسألت:

-إيه مالكم كده؟

صرخت "نور" بغضب مصطنع:

-إسكندرية وهيسيبك، وزعلانة؟ أمال لو سافر الصعيد كنا هنجي نعزي فيك!

تنهدت "دعاء" وقالت: يا رب صبرني على الجنان ده. يا 'جيهان'، هو مش مهاجر. إسكندرية بينها وبين القاهرة ساعتين ونص. لو حصل أي حاجة مهمة، هيبقى عندك بسرعة. وبعدين، أنتِ محتاجة منه إيه؟ ده خطيبك مش جوزك!

ردت "جيهان" بخوف: أنا خايفة وزعلانة ومش عارفة ليه. مش عايزاه يسافر، ولولا إنه وعد أخته كنت طلبت منه ميسافرش.

ابتسمت "بسملة" وهي الوحيدة التي شعرت بما تمر به "جيهان". فقالت بهدوء:

-متزعليش. إن شاء الله خير. إحساسك طبيعي لأنك اتعودتي عليه، لكن الموضوع أبسط مما تظني. هيروح ويرجع.

ابتسمت "جيهان" وردت: طب يلا نروح نشوف هنجيب إيه.

هتفت "نور" بمرح: سيبولي نفسكم خالص، وأنا هفسحكم فسحة تحلفوا بيها!

***

في منزل "أشرف"

كان مستلقيًا واضعًا رأسه على قدم والدته، وهي تعبث بخصلات شعره بحنان، قبل أن تسأله بابتسامة:

-ما قلتليش، حددت معاد الفرح مع حماك ولا لسه؟

ابتسم "أشرف" بشوق عندما مر طيفها في خياله، ثم قال:

-آه، يا ماما. بعد حفلة التخرج بتاعت أصحابها، لأنهم متفقين يعملوا فرحهم مع بعض.

نظرت إليه والدته باستغراب:

-وأنت تعرف أصحابها متجوزين مين عشان تعمل فرحك معاهم؟

رد عليها "أشرف" بهدوء: "إبراهيم" هيتجوز بنت خالها، وصحبتها هتتجوز

الـــدكتور "فـــارس"، صـــاحب "إبـــراهيم". اتقابلنـــا مـــرة قبـــل كـــده. يعنـــي مفـــيش مشكلة.

قبّلت جبينه بحنان، ثم قالت متمنية:

-ربنـــا يـــتمملكم علـــى خيـــر ويســـعدكم يـــا حبيبـــي. أنـــا كنـــت زعلانـــة منـــك، كـــان نفســـي أشـــاركك أول فرحتـــك فـــي جوازتـــك الأولـــى، وأشـــوفك عـــريس زي القمـــر. بـــس الحمـــد لله، ربنـــا كتـــب لـــي أشـــوفك عـــريس مـــرة تانية.

شـــعر بـــالخوف مـــن أن يخبرهـــا بالحقيقـــة، فتصـــدم وتتـــدهور صـــحتها، فـــالتزم الصـــمت وقال: "

-إبـــراهيم" ســـافر هـــو و"حنـــان" مـــن نـــص ساعة، وقال هيكلمك ويسلم عليكِ.

كادت أن ترد، لكن قاطعها صوت طرقات على الباب. اعتدل "أشرف" في جلسته وسألها باستغراب:

-مستنية حد يا ماما؟

هزّت رأسها نافية: لا... هستنى مين؟ يمكن حد من الجيران.

قام "أشرف" ليفتح الباب، لكنه فوجئ بشخص لم يتوقع رؤيته. ذلك الشخص نظر إليه بسخرية، ودفعه بعيدًا عن الباب ودخل دون إذن. وقف "أشرف" مذهولًا، وضع يده على وجهه محاولًا استيعاب الموقف، ثم أغلق الباب والتفت بحدة وهو يسأل:

-أنتِ عايزة إيه؟

تسألت والدته بحيرة: أنتِ مين؟

نظـــرت "هـــاجر" إليهـــا بـــتفحص، ورأت الشـــبه الواضـــح بـــين "أشـــرف" ووالدتـــه. بـــدت عليهـــا الطيبـــة، ممـــا جعلهـــا تتســـاءل كيـــف أخبرهـــا "أشـــرف" أن والدتـــه توفيـــت بعـــد ولادتـــه؟ قـــاطع أفكارهـــا صـــوت "أشرف" الغاضب:

-هتفضلي ساكتة كتير؟ عايزة إيه؟

ردت والدتـــه بحـــرج: عيـــب يـــا "أشـــرف". دي ضيفة. اتفضلي يا بنتي.

تحركـــت "هـــاجر" مـــع والـــدة "أشـــرف" بشـــموخ إلـــى مكـــان الجلـــوس وجلســـت بثقة، بينما والدته قالت بابتسامة هادئة:

-تشربي إيه؟

رد "أشرف" بغضب، رافضًا وجودها:

-هي كمان هتشرب!

لكـــن "هـــاجر" لـــم تبـــالِ بغضـــبه، وقالـــت بابتسامة مستفزة:

-شـكرًا يـا طـنط، أنـا مـش جايـة أضـايف. أنـا جاية أشوف ابني.

نظرت إليها والدته بعدم فهم: ابنك؟

حـــــدقت "هـــــاجر" بـــــ"أشرف" قائلـــــة بسخرية:

-آه، معلـــش نســـيت أقولـــكِ. "مـــازن" ابنـــي، وأنا مرات ابنك سابقًا.

تفوهت والدته بصدمة: المرحومة؟

صرخ "أشرف" غاضبًا في وجهها:

-اخرســـي بقـــى واطلعـــي بـــره! إلا وقســـم بـــالله هطلعـــك علـــى نقالـــة! أنتـــي إيـــه يـــا شيخة؟ معندكيش دم؟

وقفت "هاجر" أمامه تصيح: مش هخرس! ده ابني اللي أنت حرمتني منه سنين، ومش هخرج من هنا من غيره!

رد "أشرف" بكل غضب: نجوم السماء أقربلك!

قاطعتهم والدته بصوت مرتفع: بس!

ثم نظرت إلى "أشرف" متسائلة بحدة: أنا عايزة أفهم، مين دي؟ مش كنت بتقول إن مراتك ماتت؟

مسح "أشرف" وجهه بعنف، وهو يشعر أن اللحظة التي كان يخشاها قد وقعت. وقبل أن يجد الكلمات المناسبة، تولت "هاجر" المهمة وهي تبكي:

-حضرتك عندك بنت، وأكيد مش هترضَي يحصل فيها اللي حصل معايا.

ابنك المحترم كان مدمن، وكل يوم كان بيضربني ويذلني، ومعيشني في جحيم. لحد ما هربت منه وسافرت أتعالج نفسيًا وجسديًا. قعدت فترة لحد ما رجعت كويسة، وبابا رفع قضية خلع وكسبتها. وبسبب اللي كان حصلي، ما فكرتش في "مازن"، لأني كنت في مستشفى الأمراض النفسية. وممكن أديكم عنوان المستشفى وتتأكدوا. وأول ما بقيت كويسة، رجعت أدور على ابني.

أخذت نفسًا عميقًا وأكملت: لكن ابنك المحترم مش عايز يخليني أشوف ابني، وبيتهمني إني فكرت في نفسي وسبته ومشيت. طيب لو حضرتك مكاني، ولا "مي" بنتك، هترضَي يحصل فيها كده؟

صدمة...

لم تقع فقط على والدته، بل على "أشرف" نفسه. كان كالنيران تشتعل داخله، لا يصدق أن شقيقه فعل ذلك، وأنه شارك في ظلمها حينما ظن أنها تركت ابنها. هز رأسه بعنف، رافضًا التصديق:

-أنتي كدابة! "أشرف" مستحيل يعمل كده!

مسحت "هاجر" دموعها بأناملها، ثم أخرجت هاتفها من الحقيبة، وفتحته لتعرض الصور عليهما:

-شكلك نسيت أنت عملت فيا إيه؟ اتفضلي يا طنط، شوفي بنفسك. ابنك كان بيصورني وهو بيضربني

ويبعتهالي. وكان يقول: "عشان لما تشوفيهم تخافي تغلطي".

تناولت والدته الهاتف بيد مرتعشة، وما إن رأت الصور حتى اتسعت عيناها بدهشة وصدمة. الصور كانت تُظهر "هاجر" مقيدة ووجهها ملطخ بالدماء، ترتدي ثيابًا منزلية، تبكي ودموعها تنهمر على وجه منتفخ من الصفعات، وشعرها مشعث. وتبع الصور فيديو يظهر "أشرف" وهو يضربها بلا رحمة، وعنف شديد، بينما صوت بكائها مكتوم بسبب اللاصق على فمها. في الخلفية، كان صوت بكاء الصغير يقطع القلوب.

جذب "أشرف" الهاتف من يد والدته عندما سمع صوت بكاء الصغير. رأى ما

جعلـــه يغلـــق عينيـــه بقـــوة، رافضًـــا التصـــديق. هبطـــت دموعـــه بوجـــع، ثـــم فـــتح عينيـــه بتـــردد، يتمنـــى أن يكـــون مـــا يـــراه مجرد كابوس.

قطـع صـمته صـوت والدتـه وهـي تشـير إلـى غرفة بجانب المطبخ:

-ابنـك فـي الأوضـة اللـي جنـب المطـبخ. هـو نومـه تقيـل، عشـان كـده مسـمعش اللـي حصل.

ابتسـمت "هـاجر" بسـخرية، ونظـرت إلـى "أشرف":

-زي أبـوه، لـو اتقتـل قتيـل جنبـه مـش هيحس.

ركضـت بلهفـة لتـرى طفلهـا، أمـا "أشـرف" فراقـب تحركهـا بحـزن. تحـرك

خطـــوة نحـــو والدتـــه، لكنهـــا رفعـــت يـــدها لتوقفه وهي تقول بصوت مكسور:

-فين "أشرف"؟ مات، صح؟

نكـــس رأســـه ولـــم يُجـــب. انهمـــرت دموعهـــا كالأمطـــار بعـــدما اســـتوعبت الحقيقـــة. مـــن كـــان بالفيـــديو لـــيس "شـــريف" الـــذي كـــان يخـــدعها طـــوال الوقـــت ويـــدّعي أنـــه "أشـــرف"، بـــل هـــو "أشـــرف" الحقيقـــي. كانـــت النظـــرات فـــي عينيـــه تؤكـــد لهـــا أنـــه هـــو مـــن فقدتـــه منـــذ أعـــوام بســـبب رجـــل كـــان يلقب بزوجها.

وعنـــد هـــذه اللحظـــة، ســـقطت والدتـــه مغشـــيًا عليها، فاقدة لكل معاني الحياة.

هـــرع إليهـــا "أشـــرف" وهـــو يصـــرخ برعب:

-مامـــا!

*****

الفصل الثلاثون

يقول شمس التبريزي :

"البشـــــر يميلـــــون للإســـــتخفاف بمـــــا لا يمكنهم فهمه"

ولهـــذا عنـــدما سُـــئل تلميـــذه جـــلال الـــدين الرومي:

"نـــــراك تقـــــرأ وتكتـــــب كثيـــــرًا ، فمـــــاذا عرفت"؟

فردّ قائلاً : "عرفت حدودي"

وما أجملها من معرفة!

***

جمعـــت "روبـــين" أغراضـــها فـــي حقيبـــة، وقـــررت أن تتـــرك المنـــزل بعـــد أن علمـــت أن صـــغيرها قـــد عُقـــد قرانـــه دون أن يخبرهـــا أحـــد. واليـــوم، اكتشـــفت بالصـــدفة أن الأمـــر قـــد انتهـــى، وأصـــبحت زوجتـــه

رسميًا، ولن تستطيع تغيير الحقيقة.

شعرت بأنها فقدت صغيرها بسبب تلك الشمطاء، لكنها لن تستسلم وستجعلهم يندمون على إخفاء الحقيقة عنها.

تحركت بخطوات غاضبة لتنزل درجات السُلَّم، ممسكة بالحقيبة، لتجد "منار" واقفة عند نهاية الدرج.

سألتها "منار" باستغراب: رايحة فين يا ماما؟

تجاهلتها "روبين" وهي تتابع طريقها نحو الباب دون إجابة. كانت غاضبة من الجميع، حتى من فتاتها التي كانت تعلم بالأمر ولم تخبرها. أمسكَت "منار" بيدها لتوقفها قائلة برجاء: عشان

خـــاطري يـــا مامـــا، متـــزعليش. إحنـــا عملنـــا كده عشان "مارس" ما يزعلش.

التفتـــت إليهـــا "روبـــين" غاضـــبة، وهتفـــت بحدة:

- مـــا يـــزعلش "مـــارس" وأنـــا أولـــع؟! يعنـــي إيـــه ابنـــي يتجـــوز مـــن غيـــر مـــا أعـــرف؟! يعني إيه تخبّوا عني كلكم؟!

حاولـــت "منـــار" الـــرد، لكـــن والـــدتها قاطعتها بصياح غاضب:

- يـــومين! يـــومين بـــس اللـــي غبـــتهم، أرجـــع ألاقـــيكم كـــاتبين كتابـــه مـــن غيـــر علمـــي؟! وقلتوا لهم إيه؟ أمه ميتة؟!

قالـــت الجملـــة بـــتهكم وســـخرية، فأجابتهـــا "منار" بنبرة هادئة:

-يا ماما، هي ظروفها خاصة، وإحنا ما عملناش حاجة غلط. هو جه المأذون كتب كتابهم ومشينا. حتى "مارس" ما قعدش معاها.

لكن "روبين" صاحت بغضب أكبر:

وإحنا إيه اللي يجبرنا نجوز واحدة رخيصة زي دي؟!

تفوَّهت بالكلمات والغضب يسيطر عليها، ثم أضافت بصوت مرتفع:

-واحدة زبالة هي وعيلتها! ضحكت عليكم!

وفي تلك اللحظة، دخل "مارس" المنزل. كان حضوره غير مناسب، كما فكرت "منار"، إذ توقعت أن وجوده سيشعل الحرب أكثر.

أمـــا "مـــارس"، فـــدخل بهـــدوء وهـــو يعلـــم تمامًـــا مـــا يـــدور فـــي ذهـــن والدتـــه. وقـــف أمامها بثبات، وقال باحترام وثقة:

- ماما، أنـا مـش هسـمح لمخلـوق يغلـط فـي مراتـي، مهمـا كـان مـين! عشـان كـده، دي آخـر مـرة تقـولي عنهـا أي كلمـة غلـط. هـي أعظـم وأغلـى مـن إنـي أسـمح لحـد يجيـب سـيرتها بالباطـل. حقـك إنـك تزعلـي إنـي خبيـت عليكـي، وأنـا والله مـا كنـت عـايز كـده. بـس الظـروف جبرتنـي. فأنـتِ لـو عـايزة تحاسـبي حـد، حاسـبيني أنـا. وأنـا راضـي بـأي حاجـة تقوليهـا أو تعمليهـا فيا، طالما هي بعيدة عن الموضوع.

نظـرت إليـه والدتـه لثـوانٍ قبـل أن تقـول بغرور:

-تمـــام. خليهـــا بعيـــدة. أنـــا دلـــوقتي بخيّـــرك بينـــي وبينهـــا. أنـــت اختـــار: أمـــك ولا مراتك؟

وقـــع حـــديثها عليـــه كالصـــاعقة. كيـــف يمكنـــه أن يختـــار بـــين والدتـــه، أول حـــب لـــه فـــي حياتـــه، وزوجتـــه التـــي تحتاجـــه الآن أكثـــر من أي وقت مضى؟

هتفـــت والدتـــه بثبـــات، وهـــي تجـــذب حقيبتهـــا: -فكـــر واختـــار. ولمـــا تختـــار، أنـــت عارف مكاني فين.

وصـــلت الفتيـــات إلـــى مكـــان متخصـــص فـــي منتجـــات الـــ "هانـــد ميـــد"، وصـــاحب هـــذا المكـــان هـــو خطيـــب الفتـــاة التـــي تشـــاجرت معهـــا "نـــور" ســـابقًا. ولســـوء حظهـــن،

كانت هي من تدير المكان. زفرن بضيق من وجودها، فقالت "دعاء" بثبات:

-إحنا جايين نشوف اللي عايزينه ونمشي، مش جايين نتخانق. فاهمة يا "نور"؟

نظرت إليها "نور" بحنق وردّت:

-واشمعنى أنا؟!

أجابتها "دعاء" بثبات: عشان محدش بيعمل مشاكل غيرك.

لم ترد "نور"، وتقدمت إلى الداخل بخطوات تحمل غرورًا مصطنعًا. نظرت "دعاء" إلى صديقاتها بقلة حيلة، ثم تبعنها. وما إن رأتهم الفتاة، حتى تحدثت بسخرية:

-يـــا أهـــلاً وســـهلاً! المكـــان نـــور بوجـــودكم...

أوه، قصدي ضلم بس.

ابتسمت لها "نور" باستفزاز وردّت:

-روحـــي، يـــا شـــاطرة، نـــادمي حـــد كبيـــر أتكلـــم معاه.

بادلتهـــا "عـــلا" الابتســـامة بـــنفس الدرجـــة من السخرية، ثم قالت بجمود وشر:

-اطلعي برا المكان.

ردّت "نـــور" بعصـــبية وتحولـــت للســـخرية قائلة:

-نعـــم يـــا أختـــي! ليـــه؟ فـــاكراني قاعـــدة فـــي بيـــت أبـــوكي؟ فـــوقي يـــا ماما بـــدل مـــا أجيبـــك من شعرك يا منكوشة!

اشـــتعلت "عـــلا" غضـــبًا وقالـــت بصـــوت مرتفع:

-تجيبي مين يا ماما؟! دانا أدفنك مكانك وماخدش فيكي ساعة!

تقدمت "دعاء" ودفعت "نور" بلطف لتزيحها جانبًا وقالت بهدوء:

- إحنا مش جايين نتخانق، جايين نشتري لبس التخرج وعايزينك تطبعي عليه.

ردت "علا" بعصبية: بطلنا! مش هنعمل حاجة لحد!

في تلك اللحظة، صدح صوت شاب من خلفهن:

-فيه إيه؟

التفتت الفتيات ليجدن شابًا في أواخر العشرينات، يرتدي ترنجًا رياضيًا أسود، ذو بشرة سمراء، وعيون سوداء بنظرة

حـــادة وشـــعر مجعـــد. عنـــدما لاحـــظ نظـــراتهن المتعجبة، قال بحدة:

-فيه إيه يا "علا"؟

ردّت عليـــه "عـــلا" بغضـــب وهـــي تشـــير إلـــى "نور" بنظرة شريرة:

-فيـــه إنـــي مـــش بتعامـــل مـــع الزبالـــة، وطلبهم مش موجود.

اقتـــرب منهـــا الشـــاب وتحـــدث بصـــوت منخفض:

-احترمـــي نفســـك. فيـــه حـــد يقـــول للـــرزق لأ؟!

ثـــم التفـــت بهـــدوء إلـــى "دعـــاء" وقـــال: تحـــت أمرك.

قبـــل أن تـــرد "دعـــاء"، صـــاحت "عـــلا" بعصبية:

-تحت أمر مين؟! يا أنا يا هما في المكان ده!

نفد صبره وردّ بحدة: امشي يا "علا" دلوقتي!

شعرت "نور" بالحرج وخافت أن تكون السبب في مشكلة بينهما، فقالت بهدوء:

-هنجي مرة تانية. يلا يا بنات.

انسحبن واحدة تلو الأخرى، وقالت "جيهان" بضيق:

-قلتلكم إنها هتكون هناك، يا ريتنا ما رحنا!

أردفت "بسملة" وهي تسير بجوارها:

-خلاص يا ستي، حصل خير. المهم دلوقتي هنروح فين؟

ردّت "نـــور": هنـــروح نـــدور علـــى مكـــان تاني.

وفـــي تلـــك اللحظـــة، صـــدح رنـــين هـــاتف "جيهـــان". أجابـــت علـــى المكالمـــة، وبعـــدما أنهت حديثها، قالت:

-أيوة، "نور" معايا، خدي كلميها.

ناولتهـــا الهـــاتف، وبعـــد دقيقتـــين أغلقـــت "نـــــور" المكالمـــــة وأعـــــادت الهـــــاتف لـ"جيهان"، التي سألتها بتعجب:

-أمال فين تليفونك؟

ردّت "نور" بلا مبالاة: فصل شحن.

***

تحـــرك "أشـــرف" خطـــوة نحـــو والدتـــه، لكنهـــا رفعـــت يـــدها لتوقفـــه وقالـــت بصـــوت مكسور:

-فين "أشرف"؟ مات... صح؟

نكس رأسه ولم يُجب. انهمرت دموعها كالأمطار حين استوعبت الحقيقة. من ظهر في الفيديو لم يكن "شريف" الذي خدعها طوال الوقت وأخبرها أنه "أشرف"، بل كان "أشرف" الحقيقي. نظراته أكدت لها أنه ابنها الذي فقدته منذ سنوات بسبب رجل بلا رحمة لقب بزوجها. وعند تلك اللحظة، سقطت مغشيًا عليها، فاقدة لكل معاني الحياة.

صرخ "أشرف" برعب: ماما!

ركض نحوها بلهفة بعدما سقطت على الأرض. وضع رأسها على ساقيه وبدأ يصفع وجهها برفق، يبكي كطفل صغير:

-ماما بالله عليكِ، أوعي تسيبيني لوحدي. أنا ماليش غيرك!

سمعت "هاجر" صراخه من الداخل، فجاءت راكضة بخوف. وعندما رأت المشهد أمامها، قالت بلهفة:

-أوعي يا "أشرف"، سبني أشوفها!

لم يرد عليها، فاضطرت لإبعاده بالقوة. تحسست نبض والدته، ثم ابتسمت براحة عندما تأكدت أنها ما زالت على قيد الحياة. قالت له بلهجة جدية:

-"أشرف"، مامتك لازم تروح المستشفى بسرعة!

رفع نظره نحوها، تائهًا وكأنه لا يعلم ما يجب فعله. قالت له بحزم بعدما رأت نظراته الزائغة:

-شـــيلها لحـــد العربيـــة وقعـــدها ورا، واقعـــد جنبهـــا. أنـــا هســـوق لأنـــك مـــش هتعـــرف تسوق بالحالة دي.

فعـــل مـــا طلبتـــه، حمـــل والدتـــه وأشـــار لهـــا بمكـــان مفـــاتيح الســـيارة. وقبـــل أن يخطـــو خارج المنزل، قال بتشتت:

-مازن؟

ردت عليه بثبات:

-حاولـــت أصـــحيه لكنـــه رفـــض. ممكـــن نخلـــي حـــد مـــن الجيـــران يـــبص عليـــه، وانـــت ارن على "نور" خليها تيجي تقعد معاه.

هـــز رأســـه موافقًـــا، ثـــم توجهـــت إلـــى الشـــقة المقابلـــة وطلبـــت مـــن الجيـــران البقـــاء مـــع الطفـــل حتـــى تـــأتي "نـــور". بعـــدها نـــزل

بالمصعد، ووضع والدته في المقعد الخلفي على قدميه.

بعد لحظات، ركضت "هاجر" إلى السيارة، ولجت إليها بلهفة وقادتها بسرعة.

أما "أشرف"، فحاول الاتصال بـ"نور"، لكن هاتفها كان مغلقًا. زفر بضيق وقال بخفوت:

- "نور" قافلة تليفونها عشان عندها امتحان.

وصلت السيارة إلى المشفى في أقل من ساعة. هبطت "هاجر" أولًا، ركضت إلى الداخل وأحضرت فراشًا متحركًا ومعها ممرض. وضع "أشرف" والدته على الفراش، وتحركوا بسرعة إلى الداخل.

أتى الطبيب على الفور وأمر بتجهيز غرفة العمليات. وقف "أشرف" ينتظر أمام الغرفة، يترقب بخوف وقلق بينما والدته ولجت إلى الداخل.

***

في مدينة الإسكندرية، حيث الجمال والدلال، وصل "إبراهيم" بعد ساعتين ونصف من السفر، برفقة شقيقته. نظر إليها فوجدها تخرج من السيارة بحماس، تفرد ذراعيها، تستقبل الهواء بسعادة. ابتسم لها وقال:

-افتحي يلا باب الشقة لحد ما أجيب الشنطة.

ركضت لفتح الباب، ثم دخلت وهو خلفها. قال لها بابتسامة:

-يـــلا يـــا مجنونـــة، ادخلـــي ارتـــاحي شـــوية لحد ما أخد دش وأنزل أجيب الأكل.

ردت عليه باستنكار واضح:

-أرتـــاح؟! أنـــا جايـــة هنـــا أرتـــاح؟! أنـــا جايـــة عشـــان أتفســـح يـــا بابـــا. يـــلا، أنـــت ادخـــل خـــد دش بســـــرعة وتعـــــال ننـــــزل ناكـــــل بـــــره ونتمشـــى ســـوا. وصـــح، الـــبس حاجـــة تليـــق على فستاني.

ســـألها بـــتهكم: ولونـــه إيـــه فســـتانك يـــا ســـت هانم؟

ردت بمرح:

-لوني المفضل يا دوك، اللافندر طبعًا.

بعـــد ســـاعة، خرجـــا ســـويًا لتنـــاول الطعـــام. كانـــت تســـير بجـــواره ويـــدها فـــي يـــده بعـــدما رفضـــــت أن يـــــذهبا بالســـــيارة. ابتســـــمت

بسعادة وهي تراه يرتدي ثيابًا شبابية: سروال أبيض من خامة الجينز وتيشيرت أبيض به نقوش باللون الأسود.

أما هي فكانت ترتدي فستانًا طويلًا بلونها المفضل يعانق منحنياتها، ضيقًا عند الخصر ثم يتسع حتى الأرض، مع حجاب أبيض عليه نقوش بلون الفستان.

وصلوا إلى المطعم. بعد أن طلب لها طعامها المفضل، سألها باهتمام:

-ها يا "حنون"، مش هتحكيلي مالك؟ بقالك كام يوم زعلانة، وكل ما أسألك تقولي "مفيش حاجة". وأنا سايبك براحتك، مستني تيجي تحكيلي لوحدك، بس ده محصلش. فممكن تقوليلي مالك؟

تـوترت مـن نظراتـه، تفكـر كيـف تخبـره بمـا تشـعر. هـو لـن يفهـم مـا تمـر بـه، لـذلك قـررت أن تصـمت. وعنـدما طـال صـمتها، سألها مرة أخرى:

-"حنـان"، أنتـي بنتـي. لـو محكتيلـيش أنـا، هتحكـي لمـين؟ مـش أنتـي قـولتي إنـك ملكيش غيري؟

تنهـدت أخيـرًا، ثـم أخبرتـه بحـزن: زعلانـة قـوي وحاسـة إنـي وحيـدة... ملـيش حـد. هـي مامـا مكنـتش بتحبنـي؟ ليـه تسـيبني لوحـدي وتمشـي؟ هـي مـش عارفـة إنـي محتاجاهـا؟ مـن سـاعة مـا أخـدت الإجـازة وأنا كل يوم بحلم بيها.

اسـتمع إليهـا باهتمـام وحـزن، ثـم قـال بهدوء:

-مامـــا كانـــت بتحبـــك أوي ومكنـــتش بتســـيبك لحظـــة، بـــس ده قضـــاء ربنـــا... اللهـــم لا اعتـــراض. حقـــك عليـــا، أنـــا مـــن خـــوفي عليكي مخلتش ليكي أصحاب. سامحيني.

ابتســـمت لـــه بخفـــة وقالـــت: أنـــت ملكـــش دعـــوة، أنـــا اللـــي ملقـــتش أصـــحاب كويســـين. بس أوعى أنت تسيبني أو تبطل تحبني.

صفعها على رأسها برفق وقال ممازحًا:

-أســـيبك إيـــه! هـــو فـــي حـــد يقـــدر يســـيب بنتـــه حبيبتـــه؟ كـــل مـــا تفتكـــريهم، ادعـــيلهم بالرحمـــة. وأنـــا موجـــود، أي حاجـــة عايزاهـــا قـــوليلي وأنـــا هعملهـــا إن شـــاء الله، حتى لو قلبتلك قرد!

ضحكت على مزاحه، فابتسم وقال:

-وبعدين يا ست الحسن، أنتي جايبانا هنا تنكدي علينا؟

هتفت بمرح: مش بالظبط، بس آه.

ضحك وهو يشير إلى الطعام الذي وضعه النادل على الطاولة.

***

عادت الفتيات إلى نفس المحل الذي كنَّ فيه منذ قليل، بعد أن أكدت "نور" أن "علا" قد غادرت المكان. كان المحل بالنسبة لهن الأفضل من حيث الأسعار وما يرغبن في تدوينه على ثياب التخرج. وقفن على مسافة مناسبة من المحل، لتقول "بسملة"، محاولة كسر تردد "جيهان" و"دعاء"، اللتين خشيتا

أن تكـــون "نـــور" تنـــوي المشـــاجرة مـــع الفتاة:

-أنـــا مـــع "نـــور"، أكيـــد "عـــلا" روَّحـــت. إحنـــا هنـــدخل نقـــول اللـــي عايزينـــه، نـــدفع الفلـــوس، ونرجـــع بعـــدين ناخـــد الحاجـــة. مش هنطوّل.

ردّت "جيهـــان" بحجـــة واهيـــة: بـــس هيبقـــى شـــكلنا وحـــش قـــدام الراجـــل. قلنـــا مـــش عايزين ومشينا، نرجع ليه؟

أيـــدتها "دعـــاء": معـــاكِ حـــق. خلينـــا نـــروح مكان تاني أحسن.

قالـــت "نـــور" بضـــيق واضـــح: مـــا تخلّصـــوا يا ست أنتي وهي! هندخل ولا نمشي؟

تبـــادلوا النظـــرات، ثـــم اســـتقروا أخيـــرًا علـــى رأي "نـــور". تحركـــوا خلـــف بعضـــهم

بخطـــوات متـــرددة. دخلـــت "دعـــاء" أولًا، لكنهـــا توقفـــت فجـــأة، كـــأن الـــزمن تجمـــد عنـــدها، بينمـــا تبعتهـــا "نـــور"، التـــي وضـــعت يـــدها علـــى فمهـــا بـــذهول. أمـــا "جيهـــان"، فقـــد انهمـــرت دموعهـــا بخـــوف وهـــي تتقـــدم بـــبطء، و"بســـملة" أغلقـــت عينيها بقوة، غير مصدقة ما ترى.

فـــي الـــداخل، كـــان هنـــاك شـــاب يجلـــس علـــى مقعـــد، والـــدماء تتـــدفق بغـــزارة مـــن معدتـــه بســـبب طعنـــة ســـكين غـــائرة. كـــان بالكـــاد يتـــنفس، ويصـــدر أنينًـــا مكتومًـــا مـــن شـــدة الألم.

اقتربـــت "جيهـــان" رغـــم ارتجـــاف قلبهـــا وخوفهـــا الـــذي يكـــاد يقتلهـــا. مـــدت يـــدها، تســـحب الســـكين برفـــق مـــن معدتـــه، لكـــن

جسده انتفض بقوة رغم محاولتها الترفّق، ثم انطفأت الحياة في عينيه وأغلق جفنيه إلى الأبد.

انفجرت "دعاء" في البكاء، بينما نظرت "جيهان" للسكين بصدمة ثم ناولتها بشكل غريزي إلى "بسملة"، التي أخذتها دون أن تعي ما تفعل.

صرخت "نور" بجنون وهي تقترب منهن:

- أنتي يا مصيبة! عملتي إيه؟! يخربيتكم!

زادت "دعاء" من بكائها وصراخها وهي تقول بصوت مرتعش:

-بس يا "نور"! حرام عليكي!

وضعت "نور" يدها على رأسها، محاولة السيطرة على أعصابها، وقالت بحدة:

-حرام على مين؟ الله يسامحكم!

قالت "دعاء" بصوت باكٍ ومختنق: طيب شوفيه يا "نور"، يمكن لسه عايش!

اقتربت "نور"، وهي تدعو الله أن يكون لا يزال على قيد الحياة. دفعت "جيهان" و"بسملة" برفق جانبًا لتتفحص نبضه. وبعد لحظات طويلة، تنهدت بحدة، ثم رفعت رأسها ونظرت إليهن بأسف وهمست:

-مات.

انهـــارت "دعـــاء" تمامًـــا ووضـــعت يـــديها علـــى وجههـــا، بينمـــا "بســـملة" جلســـت علـــى الأرض منهـــارة، والســـكين مـــا زال في يدها.

قالـــت "نـــور" بحـــزم وهـــي تحـــاول الســـيطرة على الموقف:

-لازم نمشـــي مـــن هنـــا حـــالًا. محـــدش فينـــا عمل حاجة. إحنا جينا ولقينا المنظر ده.

ردت "دعـــاء" بلهفـــة: أيـــوه صـــح! يـــلا نمشي، إحنا معملناش حاجة!

اقتربـــت "نـــور" مـــن "بســـملة"، التـــي كانـــت تنظـــر إلـــى الجثـــة بصـــمت، وجـــذبت يـــدها برفق وهي تقول:

-فـــوقي، يـــا "بســـملة"! بـــالله عليكـــي، يـــلا نمشي!

نظـــــرت إليهـــــا "بســـــملة" بتشـــــوش، وهمست:

-إيه؟

وفجـــأة، قطـــع صـــوت هـــاتف "جيهـــان" الصـــمت. تجمـــدت الفتيـــات فـــي أمـــاكنهن، وتســـــارعت دقـــــات قلـــــوبهن. أخرجـــــت "جيهـــان" الهـــاتف مـــن حقيبتهـــا بيـــد مرتعشـــة ونظـــرت إلـــى الشاشـــة. كـــان "أشرف" هو المتصل.

قالـــت بخـــوف: "أشـــرف" بيـــرن، يـــا "نور"! خدي، ردي إنتي.

أخـــذت "نـــور" الهـــاتف وأجابـــت بصـــوت خافت:

-ألو؟

جاء صوت "أشرف" من الطرف الآخر، يتحدث بلهفة:

-"نور"، الحمد لله أنك رديتي. ماما تعبت وأنا معاها في المستشفى. "مازن" في البيت لوحده، وبالي مشغول عليه. ممكن تروحي تقعدي معاه؟

ردت "نور" بقلق:

-طب إنت كويس؟ وهي في مستشفى إيه؟

قال بصوت مرهق: أنا كويس. المهم دلوقتي، "مازن" لوحده. روحي عنده، وأنا هطمنك لما أقدر.

أغلق معها المكالمة سريعًا. نظرت "نور" إلى الفتيات وقالت بثبات زائف:

-لازم نخـــرج حـــالًا. مـــش هنقـــول حاجـــة، إحنا معملناش حاجة.

بـــدأت "نـــور" فـــي مســـح دمـــوعهن، ثـــم جـــذبت يـــد "بســـملة" بيـــد و"جيهـــان" باليـــد الأخـــرى، وأشـــارت لـــ"دعاء" أن تتحـــرك معهـــن. دون أن تشـــعر "دعـــاء"، ســـقط خلخالها أثناء خروجهن.

اســـتقلوا ســـيارة أجـــرة بصـــمت، ووجـــوههن شـــاحبة، والـــدموع تمـــلأ أعيـــنهن. توقفـــت السيارة أمام منزل "أشرف".

تساءلت "بسملة" بخفوت: إحنا فين؟

ردت "نـــور" بهـــدوء: ده بيـــت "أشـــرف". أمـــه فـــي المستشـــفى وهـــو معاهـــا، وابنـــه فـــي البيـــت لوحـــده. إحنـــا هنقعـــد هنـــا شـــوية

عشان نهدى، وميـنفعش نـروح لبيوتنا بالشكل ده.

تحركت أمامهم، وهم خلفها كالأشباح، لا ينطقون بكلمة. أخذت المفتاح من الجيران بعدما اتصلت بـ "أشرف" وأخبرته بوصولها إلى الشقة مع الفتيات. دخلت إلى الداخل، وهن خلفها. جلسن كل كأنهن جثث هامدة.

أغلقت "بسملة" الباب ثم جلست على الأرض في وضع الجنين، وهي تضم قدميها وتضع رأسها بينهما. "دعاء" جلست على أحد المقاعد، وضعت يدها فوق رأسها، بينما جلست "جيهان" بجوار الجدار على الأرض، تنظر إليهن بضياع. أما "نور"، فقد ذهبت إلى

الـــداخل باحثـــة عـــن "مـــازن". وعنـــدما وجدتـــه مـــا زال نائمًـــا، هـــدأت قلـــيلاً ثـــم خرجـــت إلـــيهن. وعنـــدما رأتهـــن بهـــذه الحالـــة، تـــألم قلبهـــا، لكـــن كـــان عليهـــا أن تبقـــى قويـــة، إذ إن استســـلامها للضـــعف سـيجلب الـدمار بعـد مـا حـدث. لـذا قالـت لكي تلفت انتباههن:

-المنظـــر ده مـــش طبيعـــي، مـــش فاهمـــة إزاي أنـــتم محـــاميين ودرســـتوا قضـــايا وعـــارفين أن فـــي قضـــايا أصـــعب مـــن دي. المفـــروض إننـــا كنـــا بلغنـــا مـــن غيـــر مـــا نلمـــس حاجـــة، لكـــن الأســـتاذة "جيهـــان" دمَّرت كل شيء لما مسكت السكين.

أخذت نفسًا عميقًا:

-المهم دلوقتي، قوموا اغسلوا وشكم بشوية مية واهدوا شوية علشان نفكر.

فعلوا كما قالت، وعادوا للجلوس على المقاعد. فقالت "نور":

-أنا عايزة أسيبكم هنا شوية وأروح المستشفى أشوف "أشرف"، وأحاول أقوله اللي حصل. أكيد هو هيقدر يساعدنا

ردت "بسملة" بلهفة وأمل: ياريت يا "نور"، بالله عليكي. هو أكيد هيعرف يتصرف.

أردفت "نور" وهي تنهض: أنا كلمت أمك يا "بسملة" من تليفون "جيهان" وقلت لها إنك معانا هنا. وكلمت أبوكي يا "دعاء" وقلت له إنك هتتأخري شوية

علشان قاعدة معانا. وأنتِ يا "جيهان"، قلتِ لماما إنك معايا وهي أكيد هتقولهم.

تساءلت "دعاء" باستغراب: كلمتهم إمتى؟

ردت "نور" بهدوء: وإنتوا جوه بتغسلوا وشكم، خلوا بالكم من نفسكم ومن "مازن". وأنا مش هتأخر. ولو حصل حاجة، رنوا عليَّ. أنا خدت الباور بتاع "أشرف" من جوه علشان أشحن التليفون.

***

جلس "تامر" يتابع المباراة بتركيز شديد وهو يتناول الطعام بمفرده، لكنه شعر بنغزة قوية في قلبه، وألمه الشديد. هذا الشعور الغريب المؤلم يقسم أنه

يخصـــها، لا غيرهـــا يشـــعر بـــه. منـــذ أن رآهـــا، وكلمـــا حـــدث لهـــا مكـــروه، أصـــابته هـــذه النغـــزة القاتلـــة. أغلـــق المبـــاراة وظـــل لـــدقائق يتنهـــد بقلـــق. ثـــم نهـــض ليتوضـــأ ويصـــلي ركعتـــين لله، لعـــل الله ينجيهـــا ممـــا هي فيه.

بعـــدما صـــلى، ظـــل ســـاجدًا يتضـــرع لله أن يحفظها من كل شر.

نهـــض بعـــدما ظـــل يـــدعو لهـــا كثيـــرًا، ثـــم توجـــه يبحـــث عـــن هاتفـــه ليتواصـــل مـــع عمتـــه. جـــذب الهـــاتف، ثـــم تحـــرك نحـــو الشـــرفة وقـــام بالاتصـــال بهـــا. وبعـــد ثـــوانٍ، أتاه الرد، ليقول:

-إزايك يا "إيمان"، عاملين إيه؟

ردت "إيمـــان" بفرحـــة: "تيمـــور" حبيبـــي، عامل إيه؟ وحشتني أوي!

أردف بابتســـامة: الحمـــد لله يـــا "أمنيتـــي"، وأنـــتِ وحشـــتيني والله. "ديـــالا" عاملـــة إيه؟

أجابـــت "إيمـــان" وهـــي تتحـــرك نحـــو غرفـــة "ديالا":

-بخيـــر الحمـــد لله، وزي الفـــل. اســـتنى، كلمها.

وصـــلت الغرفـــة ثـــم دخلـــت لتجـــد "ديـــالا" تجلـــس، تنظـــر للكتـــب بحـــزن بعـــدما لـــم تـــتمكن مـــن دخـــول اختبـــارات الثانويـــة وأجلهـــا والـــدها للســـنة القادمـــة. قالـــت "إيمان" أثناء دخولها:

-"ديالا"، "تامر" عايز يكلمك.

ابتسمت بحنين وهي تتناول منها الهاتف، وردت عليه برقتها المعهودة:

-"تامر" عامل إيه؟

همس باشتياق لصوت صغيرته: بخير يا قلب "تامر"، وحشتيني يا "ديدي". إنتِ عاملة إيه؟

أجابت بهدوء: الحمد لله بخير. هتيجي إمتى؟ أنت وحشتني.

رد بثبات رغم الحزن الذي يسيطر عليه:

-قريب إن شاء الله. بس عايز أسألك على حاجة، ممكن؟

عقدت ما بين حاجبيها بتعجب، ورغم ذلك قالت:

-طبعًا، اسأل.

تسائل بتردد: بتكلمي "بسملة"؟

- أيوة.

- إمتى آخر مرة كلمتيها؟

- من يومين.

- طـــب معلـــش، ممكـــن تكلميهـــا وتطمنـــي عليهـــا؟ حاســـس إن فـــي حاجـــة حصـــلت معها، ومش عارف إيه هي.

ردت عليـــه بهـــدوء: مـــتقلقش، إن شـــاء الله خير. هكلمها واتصل بيك.

أغلـــق معهـــا الهـــاتف بعـــدما تحـــدث مـــع والدتـــه و"ســـلمى"، واطمـــأن علـــيهم. ثـــم تمنـــى أن يطمـــئن علـــى "بســـملة" أيضًـــا وتكـــون علـــى مـــا يـــرام. نظـــر للســـماء وهمس بقلق: يارب تكون بخير.

***

بعـــدما غـــادرت "نـــور" المنـــزل، ظلـــوا يفكـــرون فـــي حـــل تلـــك المعضـــلة التـــي وقعـــوا فيهـــا، لتقـــول "بســـملة" بحـــزن غلـــف قلبهـــا بعدما أدركت ما حدث:

-قعـــدت ســـنين أذاكـــر وأتعـــب، وفـــي الآخـــر ضـــاع كـــل شـــيء. حتـــى لـــو طلعنـــا منهـــا ومحـــدش اتحـــبس، مســـتحيل يقبلـــوا فيـــا. يعني خلاص، حلمي ضاع.

صـــمتت لحظـــة، ثـــم قالـــت بتشـــتت: لـــو كنـــت أعـــرف إن حلمـــي اللـــي تعبـــت عشـــانه ســـنين مش هيتحقق، مكنتش تعبت كده.

بكـــت بحرقـــة وقالـــت: والله يـــارب، مكنـــتش بنـــام. تعبـــت كتيـــر أوي، وفـــي الآخـــر يحصـــل كده.

زاد بكاؤها وهي تقول: حرام والله، حرام. أنا ما عملتش حاجة. ليه أتوجع كده؟ ليه حلمي يضيع بالطريقة دي؟ يارب، يارب.

اقتربت منها "دعاء" و"جيهان"، لتعانقها "دعاء" وتربت "جيهان" على ظهرها بحنان، وهي تحدث نفسها:

-متخفيش يا "بسملة". لو حصل حاجة واتهمنا في قتله، مستحيل أسمح إنك تتأذّي حتى لو بموتي.

نفس الحديث قالته "دعاء" لنفسها، أنه إذا حدث ما يخشونه، ستتحمل الجريمة بمفردها وتعترف أنها فعلتها.

ابتعدت "دعاء" عن "بسملة" لتجدها كما هي، تبكي بخوف من القادم. ظلوا

كما هم حتى أتت "نور" برفقة "مي" شقيقة "أشرف"، وأخبرتهم بالعودة إلى المنزل. خرجوا الأربعة ثم وقفوا على الطريق يبحثون عن سيارة أجرة. وبعد دقائق، أتت واحدة، وصعدوا بها إلى منزل "بسملة" ثم "دعاء". بعدها عادت السيارة إلى منزل "جيهان"، وأخيرًا إلى منزل "نور"، بعدما أصرت "نور" على توصيلهم إلى منازلهم لكي تطمئن عليهم، وأخبرتهم ألا يخبروا أحدًا وينتظروا ماذا سيحدث.

دخلت "نور" منزلها ثم غرفتها مباشرة بعدما ردت على والدتها باقتضاب عن صحة والدة "أشرف"، أغلقت باب الغرفة وجلست خلفه تنهار بعدما ظلت

وقتًا طويلًا صامدة لأجل أصدقائها. لم تتحمل المزيد، فظلّت تبكي لما يقارب الساعة، إلى أن صدح هاتفها برقمه. مسحت دموعها وردت عليه، ومازال صوتها يحمل أثر البكاء، ليتسأل "أشرف" بلهفة وقلق:

مالك يا "نور"، أنتِ لسه تعبانة؟

ردت عليه بهدوء: أنا بخير، متقلقش. المهم أنت عامل إيه؟ وطنط بخير صح؟

رد عليها بتعب: كله تمام، والحمد لله. ماما فاقت وبقيت كويسة. المهم، أنتِ مالك؟ أنا حاسس إن في حاجة حصلت معاك ومخبيها عليا. قولي يا "وزة"، مالك؟

أجابت همسًا بعدما تنهدت: مفيش حاجة، أنا كويسة.

تساءل بجدية: طب إيه سبب وقوعك في المستشفى واغْمِي عليكِ؟

تذكرت عندما استمعت لصراخ إحدى العائلات في المشفى بعدما وصلهم خبر وفاة مريضهم. في ذلك الوقت، لم تستطع الصمود لتسقط مغشيًا عليها. حينها حملها "أشرف" وأدخلها إحدى الغرف ليطمئن عليها، ثم أجبرها على المغادرة، وطلب من شقيقته "مي"، التي أتت عندما تواصلت معها "هاجر"، أن تذهب هي وتعتني بـ "مازن".

فكرت "نور" لحظة ثم قالت: لما سمعت البنات بتصرخ، مقدرتش أتحمل

الصـــوت. وكمـــان لأننـــي مـــا نمـــتش طـــول الليـــل بســـبب الامتحـــان وتعبانـــة. هنـــام شوية وهصحى بخير، متقلقش.

أردف "أشـــرف" بحنـــان: طـــب يـــا عمـــري، نامي. ولما تصحي، طمنيني عليكِ.

أغلقـــت معـــه الهـــاتف ثـــم تســـطحت علـــى الفـــراش، وهـــي تتمنـــى أن يمـــر الليـــل مـــرور الكرام.

***

وللحـــق، لـــم يمـــر علـــيهم مـــرور الكـــرام. فالأربعـــة لـــم يـــزورهم النـــوم، وعيـــونهم مـــا زالـــت تفـــيض بالـــدموع كالشـــلالات التـــي لا تتوقـــف. اختفـــى القمـــر لتشـــرق الشـــمس، وتنيـــر الأرض، ويبـــدأ يـــوم جديـــد يحمـــل العديد والعديد من التساؤلات.

مـــر الوقـــت ونـــاموا فـــي الصـــباح بعـــدما أغلقـــت كـــل مـــنهم غرفتهـــا وأخبـــرت مـــن بـــالمنزل أن يتركهـــا وشـــأنها حتـــى تخـــرج هـــي. فـــي منـــزل "بســـملة"، اســـتمعت لصـــوت أذان العصـــر بعـــدما ظلـــت طـــوال اليـــوم لـــم تتحـــرك مـــن علـــى الفـــراش. قامـــت وأدت فريضـــتها ثـــم جلســـت تـــدعو المـــولى مـــن قلبهـــا أن يكـــون مـــا يحـــدث كابوسًـــا مزعجًـــا، ولكـــن مـــا حـــدث بعـــد ذلـــك أكـــد لهـــا الحقيقة المؤلمة.

عنـــدما دقـــت والـــدتها علـــى بـــاب غرفتهـــا وهـــي تناديهـــا بقلـــق، فتحـــت البـــاب لتجـــد والدتها تقول:

- "بسملة"، في حكومة بره وعايزينك.

ابتسمت لوالدتها ثم عانقتها بشدة لدرجة جعلت والدتها ينتابها القلق، لكن "بسملة" كانت في وادٍ آخر. تركت والدتها وتحركت للخارج، لتقف أمام الضابط بثبات، رغم ضعفها.

ليقول الضابط بقوة: أنتي "بسملة علي"؟ ابتسمت وهي تهز رأسها، ليقول الضابط باستهزاء:

-مطلوب القبض عليكِ في جريمة قتل.

وأشار لأحد العساكر أن يقبض عليها.

صرخت والدتها بعدما استمعت لما قال، أما هي فقد ابتسمت لها وسارت معهم بدون نقاش. كانت قد انتظرتهم، وهي ترتدي ثياب خروج.

تحركت سيارة الشرطة بعدما ظلت والدتها تصرخ باسمها، إلى أن جلست على الأرض تبكي على ابنتها الوحيدة.

تحركت السيارة إلى منزل "دعاء" وتم القبض عليها كما حدث مع "بسملة".

جلسا سويًا في نفس السيارة، نظروا لبعضهم، وابتسامة ساخرة رسمت على وجوههم.

*****

الفصل الواحد والثلاثون

لم تكُن إنتكاسه عاديه أبدًا!!

طالَ بُعدي؛

طـــالَ أمـــدي؛ هلـــكَ قلبـــي؛ غفـــوتُ عـــن قيـــامي؛ ثقُلـــت صـــلاتي؛ قـــلَّ وِردُ قرآنـــي؛ زادت وَحشَتي..

دنيـــا كهـــذه مليئـــةٌ بـــالفتن صـــارت تعصـــف بقلبي عصفًا!

من يحمِل عني أوزاري يوم القيامة؟

أيّ عملٍ لي سينقذني!!

أعني عليَّ فإني عَدوّي.

***

أمـــام قســـم الشـــرطة توقفـــت الســـيارة ليهـــبط منهـــا الضـــابط، ثـــم أشـــار إلـــى أحـــد العســـاكر وهـــو يقـــول: ارمـــيهم فـــي الزنزانـــة لحـــد مـــا الظابط يجي.

أدى العسكري التحية ثم جذبهم بعنف إلى إحدى الزنزانات. فتح الباب ودفعهم بقوة، ليختل توازن "دعاء" بسبب فعلته، وكادت أن تسقط. لكن قبل أن تصل إلى الأرض، كانت "جيهان" تسندها كي لا تقع، ثم عانقتها لتبكي "دعاء" بوجع على تلك الإهانة التي تعرضت لها.

جلست "بسملة" بجوار "نور" التي وضعت يدها على رأسها وهي تبكي بصوت مكتوم، بعدما فقدت قوتها الواهية. جذبت "بسملة" رأس "نور" برفق، ثم وضعتها على قدمها وهي تربت على حجابها بحنان، وتشاركها الوجع والبكاء. جلست "دعاء"

و"جيهان" بجوارهما، تنظران إليهما بحزن.

نهضت سيدة ترتدي ثيابًا شعبية، سمراء اللون، ونظراتها حادة كالصقر، وصاحت بهن:

-بس يا بت انتي وهي! أكلتوا راسنا! بدل ما أجي أجيبكم من شعركم.

نهضت "بسملة" وقالت باحترام، وبصوت يحمل أثر البكاء:

-هو حد كلم حضرتك؟

كانت "نور" منهكة لا تستطيع الجدال مع أحد، يكفي ما بها. ومثلها "جيهان"، التي تنظر حولها بتشتت وهي تفكر كيف يمكنها إخراج صديقاتها من هذا المكان. لكن "دعاء" فقدت صبرها وقوة

تحملهـــا، فنهضـــت وصـــرخت فـــي وجـــه السيدة:

-ابعـــدي يـــا ســـت انتـــي عننـــا، وملكـــيش دعـــوة بينـــا! وإلا قســـمًا بربـــي لأنـــدمك! أنـــا جايّة في قتل، وممكن أعملها تاني!

نظـــرت "بســـملة" إلـــى "دعـــاء" بشـــر، ثـــم جذبتها من مرفقها وقالت بضيق:

- بتعملـــي إيـــه يـــا مصـــيبة انتـــي؟ هتلبســـينا تهمة احنا ما عملناهاش أصلاً!

لـــم تهـــتم "دعـــاء" بمـــا قالتـــه "بســـملة"، وظلت تنظر إلى السيدة بغضب:

-أبعـــدي يـــا ســـت انتـــي عننـــا، عشـــان هـــي مش ناقصة!

اقتربـــت المـــرأة بغـــيظ، وعلـــى حـــين غـــرة جـــذبت "دعـــاء" مـــن حجابهـــا بعنـــف.

تدخلت "بسملة" على الفور، تحاول أن تبعدها، لكن وجدت امرأة أخرى تحول دون ذلك. نهضت "نور" و"جيهان" بسرعة واقتربتا من صديقتهم. دفعت "نور" المرأة بقوة لتسقط على الأرض، لتصيح المرأة وهي تسبهم:

-بتوقعيني أنا يا بنت *****؟ روّقوهم يا نسوان!

اجتمع من بالزنزانة عليهن، وهن في المنتصف. لكن بسبب غضبهن، كانت قوتهن عالية، ليهجمن دفاعًا عن أنفسهن. ولم تنتهِ المعركة التي اشتعلت بينهن وبين الأخريات إلا على صوت الضابط، الذي أتى مسرعًا عندما سمع الجلبة. صرخ بغضب:

-بس يا مرا منك ليه! بدل ما أجي أربيكم!

حاولت المرأة، التي كانت سبب المشاجرة، أن ترد عليه قائلة:

-هما يا باشا...

لكن قاطعها بغضب: اخرسي! ما اسمعش صوتك!

صمتت المرأة، وصمت الجميع. ثم نظر الضابط في جميع الوجوه وقال بحدة:

-لو سمعت نفس ***، هاجي أربيكم يا****!

نظرت المرأة إلى الفتيات بشرّ، ثم جلست مكانها. أما الفتيات، فنظرن إلى بعضهن ليطمئنن على سلامتهن، فلم يجدن سوى خدوش بسيطة. هندمن

ثيابهن وعدلن وضعيات الحجاب، ثم جلسن بهدوء.

***

في منزل "دعاء"

جلس والدها ضائعًا، لا يعلم ماذا يفعل، بينما شقيقتها تبكي بحرقة منذ أن غادرت المنزل. انتفض "مصطفى" فجأة من جلسته، وأخرج هاتفه ليتصل بـ"فارس"، علّه يستطيع مساعدته بعدما تواصل مع المحامي الذي وعده بمعرفة مكانها قريبًا.

***

في منزل "فارس"

كان يجلس في منزل جدته بحي الزمالك الراقي، يحاول إقناع والدته بالعودة إلى

المنـــزل مـــن أجـــل "مـــارس"، الـــذي لـــم يخـــرج مـــن غرفتـــه منـــذ أن غـــادرت والدتـــه، تاركةً إياه في حالة لا تُحسد عليها.

قاطعتـــه نغمـــة هاتفـــه، نظـــر إلـــى الشاشـــة باستغراب قبل أن يجيب بلُطف:

-الســـلام علـــيكم ورحمـــة الله وبركاتـــه يـــا عمي.

رد "مصطفى" بلهفة:

-الحقنـــي يـــا "فـــارس"! "دعـــاء" اتقـــبض عليها.

تجمـــد "فـــارس" لوهلـــة قبـــل أن يســـأل بعـــدم تصديق:

-"دعاء" مين؟

أجـــاب "مصـــطفى" بصـــوت ملـــيء بالخوف:

-بنتـــي يـــا "فـــارس"! الظـــابط جـــه وقـــبض عليهـــا مـــن نـــص ســـاعة، وقـــال إنهـــا متهمـــة بجريمة قتل!

انـــتفض "فـــارس" مـــن مكانـــه وهـــو يهتـــف بصدمة:

-مســـتحيل! فـــي حاجـــة غلـــط... "دعـــاء" مين اللي تقتل؟

تابع "مصطفى" بنبرة مختنقة بالبكاء:

-والله ده اللي حصل، يا بني!

ركـــض "فـــارس" بجنـــون نحـــو الخـــارج، غيـــر مكتـــرث بصـــوت والدتـــه التـــي ســـألته عما حدث. أمسك بهاتفه وسأل:

-هي فين دلوقتي؟

أجابـــه "مصـــطفى" بقلـــة حيلـــة: مـــش عارف.

حاول "فارس" طمأنته: خلاص يا عمي "مصطفى"، أنا هعرف مكانها، وهجيبها. متقلقش، هي معملتش حاجة.

أغلق المكالمة واتصل بصديق قديم يعمل وكيل نيابة. بعد تبادل التحيات، أخبره "فارس" بما حدث، وطلب منه معرفة مكان "دعاء". خلال دقائق، عاد الصديق بمعلومات عن القضية وموقع المركز الذي احتُجزت فيه.

قاد "فارس" سيارته بسرعة جنونية نحو المركز، وهناك وجد صديقه بانتظاره. طلب منه رؤية "دعاء"، ورغم صعوبة الأمر، نجح في إقناع الضابط بالسماح له بمقابلتها.

في الزنزانة

دخـــل العســـكري وســـأل بصـــوت عـــالٍ:

"دعاء مصطفى" فين؟

وقفت "نور"، متسائلة بقلق: ليه؟

رد العســـكري بصـــرامة: فـــي واحـــد عـــايز يشوفك.

نظـــرت "نـــور" إلـــى "دعـــاء" بجانبهـــا وقالت مازحة:

- يا حظك، جايلك زيارة وأنا لأ!

ردت "دعـــاء" بضـــيق: ده وقتـــه يـــا "نور"؟!

ابتســـمت "نـــور" وســـألت: طيـــب، مـــين تفتكري؟

هـــزت "دعـــاء" رأســـها بعجـــز، لتجيـــب "جيهان" من الخلف بثقة:

-أكيد الدكتور "فارس".

عنـــد ســـماع الاســـم، تحركـــت "دعـــاء" بسرعة نحو العسكري، قائلة:

-أيوة، أنا "دعاء".

نظـــر العســـكري لنـــور بتعجـــب، فأكـــدت "نور" بسخرية:

-أيوة هي "دعاء"، صدقني.

أخـذها العسـكري إلـى غرفـة وكيـل النيابـة، وعنـــدما فـــتح البـــاب ورأت "فـــارس"، ركضـــت نحـــوه وعانقتـــه وهـــي تبكـــي بحرقة، دون أن تهتم بمن حولها.

نظـر صـديقه بحـرج وقـال: خـد راحتـك يـا "فارس"، هستنى برة.

ظـل "فـارس" يربـت عليهـا بحنـو، ثـم أبعـدها قلـيلاً ليفحصـها بعينيـه، يتأكـد أنهـا بخير. سألها بقلق:

-حبيبتي، أنتي كويسة؟ حد عملك حاجة؟

هـــزت رأســـها نفيًـــا وهـــي تبكـــي. أمســـك وجههـــا بـــين يديـــه وقبّـــل جبينهـــا بحنـــان، وهمس:

- متخـــافيش يـــا حبيبتـــي، أنـــا معـــاكي. مـــش هســـيبك هنـــا أبـــدًا، بـــس لازم تهـــدي وتحكيلي كل اللي حصل.

أجلســـها علـــى كرســـي، ثـــم جلـــس أمامهـــا على ركبتيه وقال بلطف:

-يلا يا "دعاء"، احكيلي بالتفصيل.

بـــدأت "دعـــاء" تســـرد مـــا حـــدث بصـــوت مرتجف. وعند انتهائها، قالت:

-والله يـــا "فـــارس"، معملنـــاش حاجـــة. إحنـــا أول مـــرة نشـــوفه، بـــس غلطنـــا لمـــا

"جيهـــان" و"بســـملة" مســـكوا الســـكين وهربنا.

أمســـك "فـــارس" يـــديها وقبّلهمـــا، ثـــم قـــال بثبات:

-عـــارف يـــا حبيبتـــي، عـــارف. أهـــم حاجـــة دلـــوقتي، الظـــابط هيحقـــق معـــاكم، وأنـــا مـــش هسيبك.

ألقـــت "دعـــاء" نفســـها فـــي أحضـــانه مـــرة أخرى، متوسلة بصوت منخفض:

-"فارس"، متسبنيش... بالله عليك.

أدرك "فـــارس" أنهـــا تخشـــى أن يتخلـــى عنهـــا بســـبب مـــا حـــدث. أمســـك وجههـــا وقبّل وجنتها وهمس بحب:

-فـــي حـــد يقـــدر يســـيب روحـــه؟ إنـــتِ روحـــي يا "دعاء"، وأنا هنا علشانك.

ثم غادر الغرفة بعد أن شكر صديقه، وبدأ يخطط لمعرفة الحقيقة وتبرئة "دعاء".

***

عاد "أشرف" من المشفى برفقة والدته بعدما أخبره الطبيب أن يهتم بها وألا تتعرض لأي ضغط قد يؤدي بحياتها. ولجت والدته إلى غرفتها بمساعدته، ولم تتحدث معه منذ أن عادت لوعيها حتى الآن. جلست في منتصف الفراش، ثم قالت بجمود:

-اطفي النور واطلع بره.

جلس بجوارها على الفراش وهو يتوسلها أن تسمعه:

- ماما، عشان خاطري اسمعيني. أنا والله عملت كل ده عشانك وعشان عارف إنك كنتِ بتحبيه أكتر مني. فقلتلك إن "شريف" هو اللي سافر مش "أشرف". وكمان أنتي مزعلتيش كتير عليا، عشان كده قلت الحمد لله إنك بخير بسبب إنك متعرفيش، وطالما معايا مش هتفرق "شريف" من "أشرف".

اعتدلت من على الفراش، ثم هتفت ببكاء بعدما استمعت له وهو يهتف بوجع أنها لم تحبه كما تفعل مع شقيقه:

-أنا مبحبكش زيه؟! أنت وهو وأختك كنتم دنيتي، وملیش غيركم. بس هو كان مبيحبش يتكلم ولا يتعامل مع حد غيرنا، عشان كده طول الوقت كان معايا. لكن

أنت من صغرك وأي حد تشوفه تتعرف عليه ويبقى صاحبك، وكنت بتطلع برة كتير تشوف أصحابك. بس هو مكنش عنده أصحاب غيرك، وكان حاسس إنه وحش ومحدش بيحبه، عشان كده كنت ببينله إني بحبه. بس مش معنى كده إني مبحبكش.

محت دموعها، ثم عادت تتحدث:

-صح، معرفتش من البداية. بس كنت حاسة إنك مش هوه. طريقتك كانت بتبان لما بتزعل، هو لما كان بيزعل كان بيجي يحضني، بس أنت بتقفل على نفسك أوضتك ومبتكلمش حد. عرفت إنك مش هو لما كنت بنديك باسمه، عينك كانت بتدمع كأنك بتقولي إنك

"شـــريف" مـــش "أشـــرف". حقـــك عليـــا إنـــي مـــوجهتكش وعرفـــت الحقيقـــة اللـــي كنـــت خايفـــة منهـــا. ســـامحني يـــا "شـــريف"، وحيـــاة حبيبـــك النبـــي متـــزعلش منـــي. أنـــا كنـــت كـــل ليلـــة بمـــوت مـــن الوجـــع وأنـــا مـــش عارفـــة مـــين فـــيكم اللـــي ضـــاع منـــي. أنـــا كنـــت بمثـــل عليـــك إنـــي كويســـة، بـــس يعلـــم ربنـــا إني كنت بموت في اليوم مية مرة.

اقتـــرب منهـــا وعانقهـــا بشـــدة عنـــدما رأى بكاءهـــا. ظـــل يربـــت علـــى ظهرهـــا بحنـــو إلـــى أن غفـــت بـــين ذراعيـــه. ابتعـــد عنهـــا ووضـــعها علـــى الوســـادة برفـــق، ثـــم أغلـــق الإضاءة وخرج من الغرفة.

صـــدح جـــرس المنـــزل، فتحـــرك ليفـــتح البـــاب. تفاجـــأ مـــن وجـــود صـــديقه، لكنـــه

رحب به وظن أنه أتى ليطمئن على والدته. وبعد دقائق من جلوسهما، نظر له "أشرف" بتفحص من تردده، فقال:

-مالك يا "مصطفى"؟ فيه إيه؟ حاسس إنك عايز تقول حاجة ومتردد... خير؟

رد عليه "مصطفى" بثبات بعدما أخذ نفسًا عميقًا:

-بص، شكلك متعرفش، وعشان كده جيتلك هنا ومردتش أرنّ وأقولك في التلفون.

زفر "أشرف" بنفاد صبر: يا بني، ليه الألغاز دي؟ قول على طول... إيه هو اللي أنا معرفوش؟

رد عليه دفعة واحدة: مراتك متهمة في جريمة قتل.

لـــم يفهـــم "أشـــرف" مـــا قـــال، لـــذلك هتـــف بتساؤل:

-مرات مين؟

أردف "مصـــطفى" بجديـــة: مراتـــك أنـــت، "نورهان المهدي".

لم يصدق "أشرف" ما قاله، فقال بثبات:

-أكيد اسم متشابه.

تفهـــم "مصـــطفى" حالتـــه، فقـــال بثبـــات: يـــا بنـــي، والله مراتـــك. واتقـــبض عليهـــا مـــن بـــدري، ودلـــوقتي زمانـــه بيحققـــوا معاهـــا... أنا متأكد.

أخـــرج "أشـــرف" هاتفـــه مـــن جيـــب البدلـــة، ثـــم قـــام بالاتصـــال بهـــا، لكنهـــا لـــم تُجـــب. حـــاول مـــرة واثنتـــين وثلاثـــة، ونفـــس النتيجـــة. قـــام بالاتصـــال بوالـــدها الـــذي أجـــاب

على الفور. وبعد التحيات والسلامات، سأله عنها، فرد "المهدي":

-راحت عند "جيهان" من بدري. وممكن يكون التلفون مش جنبها. هو أنت عايزها في حاجة مهمة؟

رد "أشرف" بهدوء: لا، أنا بس كنت بطمن عليها، ولما مردتش قلقت عليها.

أردف "المهدي": أنت المفروض تقلق على الدنيا من "نور".

ابتسم، ثم أغلق معه الهاتف بكلمات مقتضبة. ثم قام بالاتصال بـ"جيهان"، ولكن لا رد. انتاب قلبه القلق، لذلك نظر لصديقه ليتأكد من حديثه، فوجده يهز رأسه بأسف.

اقتـــرب منـــه "مصـــطفى"، وضـــع يـــده علـــى كتفه، ثم قال:

-تعال معايا وشوفها بنفسك.

جـــذب "أشـــرف" مفـــاتيح الســـيارة، ثـــم تحـــرك معـــه دون تفكيـــر، وحمـــد الله أن "مـــازن" مـــع "هـــاجر"، ووالدتـــه تنـــام بفعـــل الأدوية.

***

فـــي المركـــز، داخـــل مكتـــب الشـــرطي، تـــم التحقيـــق مـــع "بســـملة" أولاً لـــتقص لهـــم مـــا حـــدث بالتفصـــيل. قـــال الضـــابط وهـــو غيـــر مصـــدق لمـــا تفوهـــت بـــه: اتخـــانقتوا مـــع خطيبتـــه وبعـــدين هـــو قالهـــا تمشـــي، واتكلـــم معـــاكم وشـــديتوا فـــي الكـــلام، رحتـــي ضربتيه بالسكين... مش ده اللي حصل؟

نفت "بسملة" بقوة: أقسم بالله ما حصل اللي أنت بتقوله، إحنا دخلنا لقيناه مضروب.

سخر منها ومن قسمها، فقد اعتاد أن كل من يحلف في التحقيق يكذب:

- خليني معكِ... قلتوا إنكم مشيتوا، رجعتم تاني ليه؟

وضعت يدها على رأسها وقالت بنفاد صبر، فمنذ ساعة وهي تقص له ما حدث وهو لا يصدق:

-يا حضرت الظابط، كل أصحابنا بيجيبوا لبس التخرج من هناك، وكمان عشان سعره رخيص شوية.

حدق فيها بتفحص ثم قال ساخرًا: وبنت المحامي بتدور على مكان رخيص؟ ليه؟ بابا "علي" بخيل ولا إيه؟

نفد صبرها عند ذكر والدها، فقالت بنبرة منفعلة:

-ملكش دعوة بـ بابا، وأنا قلتلك الحقيقة. عايز تصدق صدق، مش عايز أنت حر، لكن بابا خط أحمر.

كيف امتلكت تلك الجرأة لتواجهه في مكتبه دون خوف؟ لم يرمش لها جفن، مما جعله يصيح بها، فانهارت دموعها من صراخه:

-بت، اتكلمي عدل وإلا... وقسماً بربي لأكون سبب في لف حبل المشنقة على

رقبتك. بتهددني؟ صح... اللي قتل مرة يقتل تاني.

رفع صوته يستدعي العسكري من الخارج، ثم أشار له أن يأخذها. بعدها استدعى "جيهان" للتحقيق معها.

تقابلت "بسملة" و"جيهان" في الخارج. نظرت لها "جيهان" بأسف عندما رأت آثار البكاء في عينيها. تحرك العسكري بـ"بسملة" لداخل المكتب، ثم خلع الأصفاد من يديها وتركها وغادر. جلست "جيهان" أمام الضابط بكبرياء، متجنبة البكاء. ضعفهم لن ينقذهم مما هم فيه. لم تطلب محاميًا للدفاع عنها، ولم يأتِ أحد من عائلتها إلى الآن. ربما لا أحد يعلم!

قال الضابط بتعجب من جرأتها في الجلوس أمامه دون إذن:

-وده اسمه إيه إن شاء الله؟ أنا قلتلك تقعدي؟

ردت عليه بهدوء: بعد كام يوم هكون خريجة حقوق رسمي. درست أربع سنين واشتغلت لمدة سنتين تحت التدريب مع محامٍ، فأنا مسمعتش طول السنين دي إن مينفعش أقعد قدام الظابط لمجرد إني متهمة... وكمان بريئة. ودلوقتي ممكن حضرتك تبدأ تشوف شغلك.

ابتسم لها بإعجاب صريح، ثم قال بتهكم:

-تمـــام... احكيلـــي بقـــى قتلتيـــه إزاي، بعـــد مـــا صـــحبتك اعترفـــت بالحقيقـــة وإنـــك شـــريكة معهـــا فـــي قتلـــه. حـــاول إنـــه يتعـــدى عليكـــي، عشـــان كـــده ضـــربتيه بغـــل. مـــش بـــس ضربة... دول ثلاثة.

اســـتفزها بجملتـــه الأخيـــرة لكـــي تعتـــرف بالحقيقـــة. أمـــا هـــي، فنظـــرت لـــه بثبـــات وقالت:

-لا طبعًـــا مقـــربش منـــي. بـــس ممكـــن أســـأل حضرتك سؤال وبعدها أقولك الحقيقة؟

رغـــم تعجبـــه مـــن ثباتهـــا، أشـــار لهـــا بالحديث، فسألته:

-لـــو أنـــا اعترفـــت بالحقيقـــة وفـــي واحـــدة فينـــا مظلومـــة، هتـــروح إمتـــى؟ أقصـــد تطلـــع براءة من القضية إمتى؟

أجـــاب بتعجـــب: بعـــد مـــا تتحـــول للنيابـــة ونتأكد إنها بريئة فعلاً.

أخذت نفسًا عميقًا ثم قالت له بكذب:

-مـــن كـــام يـــوم اتخانقـــت أنـــا و"بســـملة". وكنـــت مضـــايقة منهـــا عشـــان هـــي أشـــطر منـــي وديمـــا بتـــذاكر ومفـــيش حاجـــة متعرفهـــاش. وبعـــدين عملـــت إنـــي مـــش زعلانـــة ومفـــيش حاجـــة، لحـــد مـــا أخـــد حقـــي. فكانـــت عنـــدي مـــن يـــومين وبتقطـــع بطـــيخ بالســـكين. وبعـــد مـــا مشـــت، أخـــدت الســـكين وحطيتهـــا فـــي شـــنطتي. ولمـــا رحنـــا المحـــل، الـــواد ده اســـتفزني بكلامـــه، ســـكتّ. و"نـــور" قالـــت: يـــلا نمشـــي. ومشـــينا. وبعـــدين أنـــا قلـــتلهم: اســـتنوا هـــروح أجيـــب حاجـــة وأجـــي. ورجعـــت لقيتـــه قاعـــد علـــى

الكرسي ومغمض عينيه. محسيتش بنفسي غير وأنا بضربه. ونسيت إن السكين هيكون عليها بصماتي معها. بعد ما حسيت على نفسي جريت عليهم ومشينا وسبته غرقان في دمه. ورجعنا تاني لما "بسملة" و"نور" أصروا نروح عشان ده أرخص مكان وبيكتب جمل حلوة.

ركز الضابط نظراته عليها، وعلى ثباتها وجديتها في الحديث، ليقول بعد برهة:

-رغم إن كلامك كله ميتصدقش، بس خليني معاكي. ليه جاية تعترفي على نفسك وإنتي كارها "بسملة" وعايزة تنتقمي منها؟ معترفتيش ليه إنها هي اللي قتلته؟ وكمان لما إنتي قتلتيه، ليه

رجعتي تاني؟ متحججتيش ليه وروحتي أو اتصرفتي ومخليتهمش يروحوا؟

ردت عليه بنفس الثبات: حسيت بالذنب لما النسوان جوه كانوا عايزين يضربونا، وهي دافعت عني. ورجعت تاني مجبرة لما "نور" و"بسملة" فضلوا يزنوا علينا.

هو ضابط شريف ونزيه يعرف من يكذب ومن يقول الصدق، لذلك قال:

- أنا عارف إن كل كلامك كدب، وده مش في مصلحتك، فقولي الحقيقة أفضل ليكي.

ردت "جيهان" بجدية: والله براحتك. تصدق أو متصدقش، بس دي الحقيقة. وأنا اللي قتلته. شوف الإجراء المناسب

واعملـــه، وكمـــان طلـــع المظلـــومين... همـــا ملهمش ذنب في اللي حصل.

ابتســـم لهـــا بســـخرية، فهـــي تظـــن أنـــه سيطلق سراحهم بهذه البساطة.

***

أثنـــاء ذلـــك، كـــان "إبـــراهيم" يجلـــس أمـــام البحـــر برفقـــة شـــقيقته وهمـــا يلعبـــان "الكوتشـــينة". ابتســـم بحـــب بعـــدما رآهـــا تضحك وهي تهتف بمرح:

-أنـــا اللـــي فـــوزت يـــا دوك! كـــده أنـــا هطلـــب طلب، وأنت تنفذ من غير تريقة.

ابتســـم وهـــو يقـــول بمـــرح: عيـــوني، شـــوفي عـــايزة إيـــه وأنـــا أعملـــه... بـــس مـــا تقلشـــي علـــى أخـــوكي، عشـــان أنـــا علـــى وش جـــواز وعليَّ أقساط.

ضـــحكت عليـــه، فاتســـعت ابتســـامته وهـــو يسمعها تقول:

-نفســـــي أروح الســـــينما وأحضـــــر فـــــيلم "الأميرة النائمة".

أردف بســـــخرية: لازم تكـــــون "الأميـــــرة النائمـــــة" حلمـــــك... هيكـــــون مـــــين مثلـــــك الأعلـــــى غيرهـــــا؟ لأنـــــك مقضـــــياها نـــــوم، وبعـــــدين هنـــــروح نتفـــــرج علـــــى واحـــــدة نايمة!

نظـــرت لـــه بحنـــق: أنـــا قلتلـــك مـــن غيـــر تريقة.

زفـــر باستســـلام: حاضـــر... تعـــالي نرجـــع نرتاح شوية، وبعدين هاخدك ونروح.

كـــادت أن تعتـــرض، ولكنـــه أوقفهـــا بإشـــارة من يده:

-هناكل حاجة ونرتاح شوية... وكمان عايز أطمن على "جيهان"، من امبارح بكلمها مش بترد.

ردت "حنان" بتفكير: يمكن زعلانة منك.

نفى "إبراهيم" ذلك برأسه وأردف:

-هتزعل ليه؟! ما عملتش حاجة تزعلها. أنا قلقان تكون موقعه نفسها في مشكلة هي وصحبتها، لأنهم بيتعاملوا مع الدنيا بتهور ومن غير تفكير.

ربتت "حنان" على يده، ثم قالت بسرعة بعدما تذكرت شيئًا:

-طب ما تتصل بـ "أشرف"، وخد منه رقم خطيبته أو خليه هو يسألها عن "جيهان".

اقتـــرب منهـــا وقبَّـــل رأســـها بفرحـــة وهـــو يهتف:

-هـــاتي رأســـك أبوســـها... أنـــا إزاي مـــا خطرش على بالي حاجة زي دي!

قالـــت "حنـــان" بغـــرور مصـــطنع: عشـــان تعرف إنك ملكش غيري.

ابتسم "إبراهيم" وهو يؤكد حديثها:

-عارف من زمان إني مليش غيرك.

أخـــرج هاتفـــه ثـــم اتصـــل بـــ "أشـــرف"، ولكنـــه لـــم يـــرد. حـــاول مـــرة أخـــرى، ليجيـــب بعد برهة بهدوء:

- الســـلام علـــيكم... عامـــل إيـــه يـــا "إبراهيم"؟ و"حنان" عاملة إيه؟

رد "إبراهيم" بهدوء:

-وعليكم السلام، الحمد لله بخير. المهم كنت عايز أطلب منك حاجة.

تعجب "أشرف" من حديثه المقتضب على غير عادته، ولكنه تخطى تعجبه وهو يقول:

-فيه إيه؟

أجاب "إبراهيم" بلهفة: عايزك تتصل بـ "نورهان" وتسألها عن "جيهان"، وليه مش بترد على التلفون. من امبارح وأنا قلقان عليها.

كان "أشرف" في طريقه للمركز بعدما علم أن "نور" وأصدقائها متهمون في الجريمة، ولكنه تردد:

-هل يخبره أم لا؟

قطع أفكاره صوت "إبراهيم" الذي هتف بقلق واضح من صمته:

-فيه إيه يا "أشرف"؟ هو حصل حاجة عندك؟

تنهد "أشرف" وقرر أن يخبره بالحقيقة:

-هي وأصحابها الثلاثة متهمون في جريمة قتل واتقبض عليهم، وحاليًا بيتحقق معهم. أنا لسه عارف من شوية، وادينى في الطريق رايح أشوفهم وأعرف حصل إيه.

قال "إبراهيم" بصدمة: جريمة قتل؟! إزاي؟

قال "أشرف" لكي يطمئنه، وهو أكثر من يحتاج لأن يطمئنها:

-مـــتقلقش، أنـــت. أنـــا هتصـــرف وأشـــوف حصل إيه.

أردف "إبـــراهيم" بجديـــة: بـــالله عليـــك يـــا "أشـــرف"، شـــوف حـــل وخلـــي بالـــك علـــى "جيهان" لحد ما أجي.

أردف "أشرف": خليك وأنا هنا...

قاطعـــه "إبـــراهيم" بعصـــبية: أخلينـــي إيـــه وهـــي الله أعلـــم بيهـــا؟ أنـــا مســـافة الطريـــق وأكـــون عنـــدك. بـــس أنـــت روح شـــوفهم وطمّني عليهم وكلم محامي.

أغلـــق الهـــاتف، ثـــم جـــذب يـــد شـــقيقته لكـــي تنهض وهو يعتذر منها:

-حقـــك علـــيَّ يـــا "حنـــان"، بـــس أنـــا لازم أرجـــع القـــاهرة حـــالًا وإن شـــاء الله أعوضـــك غيرها.

تفهمت "حنان" ما يمر به: مش مشكلة... أهم حاجة نطمن عليها.

سارت معه إلى المنزل، لينظر لها بامتنان لتفهمها الأمر. وبعد نصف ساعة، خرج من المنزل ووضع الحقائب بالسيارة، ثم صعد بجوارها ليقود بسرعة جنونية، كأنه يسابق الزمن. لم يمر بخاطره ما حدث مع والديه وربما يفقد شقيقته بسبب تهوره وقلقه على معشوقته. كان شاردًا بها، وهي الآن تبكي بمفردها، وهو هنا يمرح ويلعب. أثناء شروده، لم يرَ الشاحنة التي كادت أن تصطدم به. تفادى الشاحنة، ولكن السيارة انحرفت عن الطريق. ولسوء

حظه، اصطدم بعمود الإنارة، وآخر ما وصل له صوت شقيقته تصرخ بجنون.

***

وصل "أشرف" مركز الشرطة، ثم تحرك إلى غرفة التحقيق ووقف أمامها بعدما علم أنها بداخلها. بعد دقائق، خرجت "نور" بعدما قصت للضابط ما حدث، وكان حديثها مطابقًا لحديث "بسملة" بالحرف، وهذا ما جعل الضابط يتعجب ويظن أنهن متفقات على ذلك.

تحرك "أشرف" إليها بسرعة، وعندما رأته، ابتسمت بحزن، فقال هو بلهفة:

-"نور"، أنتي كويسة؟ طمنيني عليكي.

هزت رأسها ولم تجب، فهي إن ردت عليه ستبكي في الحال. أما هو، فنظر

للأصفاد التي تحيط يديها بضيق، ثم أشار للعسكري أن لا يتحرك، وتركهم وولج غرفة الضابط بعدما سمح له العسكري بالدخول عندما رأى بطاقته التعريفية.

تحدث "أشرف" مع الضابط وطلب منه أن يتحدث معها في إحدى الغرف بمفردهما. وبعد دقائق، كان يقف أمام مكتب صديقه، بينما العسكري يفك الأصفاد من يديها. وضع "أشرف" يده عليها برفق، ثم دخل بها إلى الداخل وأغلق الباب. التفت لها وهمس باسمها بنبرة حنونة:

-"نوري".

وهـذا كـل مـا احتاجتـه لترتمـي فـي حضـنه وتعانقـه وتبكـي. ظلـت لـدقائق كمـا هـي تبكـي، وهـو يربـت عليهـا، ثـم ابتعـد عنهـا وهـو يقـول: حقـك علـيَّ لأنـي مقصـر معـك وما كنتش أعرف اللي حصل معك.

ردت "نـور" عليـه ببكـاء: والله مـا حـد فينـا لمسـه! الظـابط مـش مصـدق وبيقـول كـل الأدلـة ضـدنا. "جيهـان" مسـكت السـكينة، بـس مـا قتلتـوش، وبعـدين عطتهـا لـ"بسملة". همـا مـا كـانوش فـي وعـيهم، بـس والله مـا قتلـوه! والخلخـال بتـاعي كانت لابسته "دعاء" ووقع منها هناك.

أجلسـها علـى المقعـد، ثـم جلـس علـى المقعـد الثـاني وقربـه منهـا وربـت علـى يدها وهو يقول بهدوء:

-اهـدئي يـا عمـري وفهمينـي براحـة عشـان أعـرف أتصـرف. قـوليلي قـولتي للظـابط إيه؟

قصـت لـه مـا حـدث، ثـم قالـت: الظـابط قولتلـه الحقيقـة، بـس قـالي إن "بسـملة" و"جيهـان" اعترفـوا علـى نفسـهم! يعترفوا إزاي وهما ما عملوش حاجة؟

رد عليهـا بجديـة: هـو بيكـدب عشـان يوقعكـوا فـي الكـلام ويعـرف إذا كنـتم أنـتم اللي عملتوها ولا لأ.

ردت عليـه بقلـة حيلـة: طـب هنعمـل إيـه دلوقتي؟

ابتسـم لهـا، ثـم قـال بغمـوض: أنـا اللـي هعمـل، مـش أنتـي. المهـم يـا "نـور"، مـش

عـــايزك تخـــافي ولا تضـــعفي. مـــرات "أشرف المصري" مش ضعيفة.

هتـف جملتـه الأخيـرة بثقـة وغـرور، فهـزت رأسها بخفة ثم قالت بسخرية:

-هـــو ده وقـــت غـــرور بالذمـــة؟ وأنـــا مقبـــوض علـــيَّ فـــي جريمـــة قتـــل، ومـــش هقـــدر أتكلـــم معـــاك غيـــر لمـــا تطلعنـــي. المهم، أنت هتعمل إيه؟

أردف بثبـــات: مـــا تشـــغليش بالـــك. المهـــم "جيهـــان" كويســـة، عشـــان "إبـــراهيم" ســـألني عليهـــا وقـــال إنـــه هيـــرن تـــاني عشـــان يطمن.

أردفـــت بحـــزن: أيـــوة، كويســـة، بـــس "بسملة" هي اللي خايفة قوي.

قال "أشرف" بثبات: طمنيها إن كل حاجة هتعدي. هي مسألة وقت وهتخلص.

صمت للحظة، ثم تذكر شيئًا: "نور"، أنتم اتقبض عليكم فين وإمتى؟ عشان كلمت أبوكي، قال إنكِ عند "جيهان".

أجابت "نور" عليه: كنت رايحة عند "جيهان"، وقبل ما أدخل الشارع، لقيتها هي كانت جاية عندي. وقبل ما نتحرك، شوفنا عربية الشرطة. ولما وقفت، سألت الغفير: "أنتم جايين عند مين؟"، قالوا "جيهان عثمان". قولت لهم: "هي دي". وبعدين "جيهان" سألتهم عن إسمي، قالوا إنهم هيقبضوا عليها

وبعدين يروحوا عندي. راحت قالتلهم إن أنا "نورهان"، فقبضوا علينا.

قالت جملتها الأخيرة بمرح، لينظر لها بعدم تصديق وهو يقول:

-أمال لو ما كنتوش أصحاب كنتم عملتوا إيه؟

ردت عليه "نور" بضيق: يعني أمال تروح لوحدها؟

رد عليها بسخرية: لا طبعًا! ده كلام؟

*****

الفصل الثاني والثلاثون

مَساء الخير.

وبَعد؛

يأتِ بها الله.. يأتِ بها دائمًا

مثلما نُريد، بل وأحسَن ممّا نُريد،

يأتِ بها وإن

تأخَرت لسببٍ يعلَمه ولا نَعلمه،

يأتِ بها في الوقت المُناسب تمامًا،

وبالطريقة التي اختارها لنا ولم تخطر

لنَا علىٰ بال.

***

انتهى اليوم بعدما تم التحقيق مع "دعاء" وتحويل القضية إلى النائب العام، وغدًا سيقوم وكيل النيابة بالتحقيق معهم. أغلق الشرطي القضية بعد جمع الأدلة، وخلص إلى أن أقوال

المتهمات غير متطابقة، مما يعني أنهن يكذبن.

طلب "أشرف" من الضابط أن يقضين الليلة في غرفة مكتب صديقه، ورغم رفض الضابط في البداية، تدخل "مصطفى"، صديق "أشرف"، وتمكن من إخراجهن من الزنزانة إلى المكتب.

أخذ "أشرف" نسخة من المحضر، وكذلك فعل "فارس"، ليعلم ما حدث بالتفصيل ومن قام بإبلاغ الشرطة. أثناء قراءته للمحضر، أصابته صدمة بسبب ما قرأ عن تلك الحمقاء، زوجته.

مر الليل بصعوبة على الجميع. كانت العائلات في حالة يُرثى لها، خاصة بعد أن علمت عائلة "جيهان" و"نور" بما

حـــدث. الآن، جميـــع الرجـــال يقبعـــون أمـــام مركـــز الشـــرطة ومعهـــم أربعـــة محـــامين؛ الأول أتـــى مـــع "عثمـــان" و"المهـــدي"، والثـــاني أتـــى مـــع "مصـــطفى"، والثالـــث تواصـــل معـــه "إبـــراهيم" قبـــل أن يتحـــرك مـــن الإســـكندرية، والرابـــع كـــان برفقـــة "أشرف".

قـــال "فـــارس" بثبـــات: المشـــكلة أن كلامهـــم عكـــس بعـــض، فـــي واحـــدة اعترفـــت بالحقيقـــة، وفـــي واحـــدة اعترفـــت علـــى نفســـها وفـــاكرة أن كـــده بتنقـــذ أصـــحابها، لكن هما عقدوا القضية.

أيّـــده أحـــد المحـــامين قـــائلاً: بالضـــبط. دلـــوقتي أنـــا هـــدخل أتكلـــم معهـــم قبـــل مـــا يتعرضـــوا علـــى النيابـــة وهفهمهـــم يقولـــوا

إيه بالضبط. والباقي يحاول يعرف كل حاجة عن المجني عليه، لو عنده مشاكل أو عداء مع حد.

تدخل "أشرف" في الحوار: أنا رحت المكان وشفت كاميرات المراقبة اللي في الشارع، وللأسف، التسجيل يدينهم لأنهم وقفوا شوية قدام الكاميرا يتكلموا، وباين عليهم كانوا مضايقين، وبعدين اتحركوا للمحل. ولما خرجوا منه كانوا خايفين.

رد عليه "فارس": أنا شفت التسجيل برضه، بس لاحظت حاجة.

نظروا له باهتمام، فأخرج هاتفه وقام بتشغيل الفيديو، ليقتربوا منه ويشاهدوا التسجيل. لم يفهموا ما الذي يقصده،

لكـــن "أشـــرف" لاحـــظ شـــيئًا ولـــم يتحـــدث.

شرح لهم "فارس" مقصده قائلاً:

-التســـجيل فيـــه جـــزء اتحـــذف. هتســـألوني عرفـــت إزاي؟ هقـــولكم. لـــو ركـــزتم، هتلاقـــوا فيـــه ســـاعة بتعـــد فـــي الشـــمال. بصـــوا، دلـــوقتي الســـاعة تلاتـــة ونـــص وخمســـة، لكـــن بعـــد ثـــواني بقيـــت أربعـــة وعشـــرة. يعنـــي فيـــه خمســـة وتلاتـــين دقيقـــة محذوفـــة، وده أكيـــد الوقـــت اللـــي القاتـــل دخـــل وخـــرج فيه، وعشان كده تم مسحه.

شـــغل "فـــارس" الفيـــديو مجـــددًا، وركـــز علـــى اللحظـــة التـــي تغيـــرت فيهـــا الســـاعة.

قال محامٍ آخر:

- ده دليل معنا، بس مش كفاية. شكله شخص فاهم في الحاجات دي كويس، وحذفها بطريقة محدش يقدر ياخد باله.

أما "أشرف"، فرأى شيئًا آخر تمامًا، لكنه اختار الصمت ليعلم الحقيقة. فماذا رأى يا ترى؟

في منزل "علا"، وهو منزل عائلي يحتوي على والدها وأعمامها الثلاثة، كان البيت يخيم عليه الحزن بعدما قُتل شاب في أوائل عمره بطريقة مأساوية. شاب لم يكن مسالمًا لكنه كان دائمًا على صواب، لم يخطئ في حق أحد، ولكنه لم يسمح لأحد أن يخطئ بحقه. شاب راح ضحية لمجرم انعدم من قلبه الرحمة.

لم يكن الشاب فقط هو من راح ضحية، فوالدته منذ أن علمت الخبر المفجع وهي منهارة على فلذة كبدها، مستلقية على الفراش بانهيار تام. حديثها الذي تهذي به يوجع القلوب ويجعل الحجر يلين، فما بالك بقلوب تسكن هي بها.

اقتربت منها ابنتها، تربت عليها بحزن ووجع على شقيقها الوحيد، ثم هتفت بمواساة:

-حرام يا ماما اللي بتعمليه في نفسك، هو في مكان أحسن.

هتفت المرأة ببكاء: أخوكي يا "سماح" سابني ومشى، مشى من غيري وهو عارف إني ماليش غيره.

ردت "سماح" ببكاء: ربنا يرحمه برحمته ويصبر قلوبنا.

صرخت فيها والدتها ببكاء، فهي ما زالت تحت تأثير الصدمة:

-أنا زعلانة منه ومش مسامحاه ومش هكلمه تاني!

تهدّج صوتها وهي تهتف بتوسل:

-لا، مسمحاه... بس يرجع، خليه يرجع يا 'سماح' عشان خاطري! أنا ماليش غيره!

كان هذا الحوار يدور على مرأى ومسمع "علا"، التي كانت تقف عند الباب ترتدي ثياب الحداد وتبكي بصمت. ركضت إلى غرفتها وهي تبكي. رأها عمها وهي تركض، تألم قلبه وزاد

حزنـــه، ولكنـــه أقســـم أن يأخـــذ حـــق ابنـــه وينتقم من الفاعل.

داخـــل غرفـــة "عـــلا"، جلســـت علـــى الفـــراش تبكـــي، ثـــم جـــذبت هاتفهـــا لتتحـــدث مـــع صـــديقتها لعلهـــا تهـــوّن عليهـــا مـــا حـــدث.

ردت عليها صديقتها بلهفة:

-إيـــه يـــا "عـــلا"، فينـــك؟ مـــن بـــدري أرن، طمنينـــي عليكـــي! أنتـــي كويســـة؟ عرفـــوا حاجة؟

ردت "عـــلا" ببكـــاء: أنـــا قلبـــي واجعنـــي أوي، ومـــرات عمـــي صـــعبانة عليـــا... هـــي مكسورة ومش عارفة أعملها إيه.

ردت الأخـــرى بـــتفهم: طبيعـــي، ده ابنهـــا الوحيـــد. ربنـــا يصـــبر قلبهـــا. بـــس أنتـــي زعلانة ليه كده؟! أنتي مكنتيش بتحبيه.

هتفت "علا" بوجع: بس مش بكرهه... 'علاء' ابن عمي، واللي حصل كان غلط. أنا مش عارفة سمعت كلامكم إزاي!

ردت "نرمين" بحدة:

- 'علا'، اتعدلي! أي كلمة هتقوليها هتودينا كلنا في داهية، والقضية الحمد لله مقفولة. 'دعاء' و'بسملة' و'جيهان' و'نور' شالوها ومش هيخرجوا منها، يبقى إحنا بعيد.

قالت "علا" بتشتت: وحتى دول اتظلموا بسببنا!

أردفت "نرمين" بسخرية: يا حرام، حنيتي! مش دول اللي بتكرهيهم؟

ردت "علا" ببكاء: بكرههم حاجة، واللي حصل فيهم حاجة تانية.

هتفت "نرمين" بغضب: خلاص يا حبيبتي، روحي زي الشاطرة واعترفي بالحقيقة، وشوفي هيحصل إيه؟!

في المكتب

بيقولوا لسه صَغِيرَيْن وَالدُّنْيَا فاتحلنا الإيدين نغلط نُحِبّ ونتجرح وياما هنشوف مِنْ السِّنِينَ. حكايتنا تُشْبِهُ بَعْضُهَا وَاللَّيّ يَقْرُبُ مِنْهَا يُلْقَى الْمَلاَمِح هِيَ هِيَ، نَفْس الْمَشَاعِر وَالْحَنِين. وأحلامنا عِبَارَةٌ عَنْ قَصَصِ بنعيشها فِي مَنَامِنَا، بنرسم رَسْمِه قدامنا نَخْلِي لِلْحَيَاة مَعْنَى وَطَعْم وَلَوْن. وتوجعنا دُموعُنا لَمَّا حَدَّ نَحْبَه يكسرنا، يُصِيبُنَا الْحُزْن ويسيبنا لوحدينا بتفكيرنا اللَّيّ مَش مَوْزُونٌ. أَوْقَات نلاقي نفسنا وَسَطِ الطَّرِيقِ فِي

حَيْـــرَةٍ، فِـــين الِاتِّجَـــاه؟ يَمِـــين؟ شِـــمَال؟ طِـــبِّ مِـــنْ هُنَـــا لَيَّـــة محتـــارين؟ وَالْقَلْـــب تَـــاه. جوانـــا عَـــالِمٌ مِـــنْ الْخَيَـــال وَمِئَـــة سُـــؤَال، مَـــيْن اللَّـــيّ هيجـــاوب عَلَيْـــه؟ مستســـلمين لإحساســـنا ومســـلمين قُلُوبِنَـــا لَيَّـــة؟ وأحلامنـــا عِبَـــارَةٌ عَـــنْ قَصَـــصِ بنعيشـــها فِـــي مَنَامِنَـــا، بنرســـم رَسْـــمِه قـــدامنا نَخْلِـــي لِلْحَيَـــاة مَعْنَـــى وَطَعْـــم وَلَـــوْن وَآيَـــة. مَضْـــمُونٌ فِـــي دنيتنـــا، بنـــتعلم مِـــن الأَخْطَـــاء مُـــدَامٌ عايشـــين، مُـــدَامٌ عايشين.

يجلســـون الأربعـــة علـــى الأريكـــة، كـــلٌ مـــنهم تضـــع رأســـها علـــى الأخـــرى تنتظـــر القـــادم. "نـــور" تضـــع رأســـها علـــى "بســـملة"، و"بســـملة" تضـــع رأســـها علـــى "دعـــاء"، و"جيهـــان" تضـــع رأســـها علـــى "دعـــاء"

من الجهة الأخرى. فقد عادت "دعاء" القوية التي تدافع عنهن، وكانت تربت عليهن بين الحين والآخر بشرود، وكل تفكيرها يتمثل في كيفية خروجهن من هنا.

فاقت من شرودها على صوت "بسملة" وهي تهمس بنبرة خافتة:

-مستقبلنا ضاع.

ردت "دعاء" بحدة لتعيد لهن رشدهن ويفكرن في حل تلك المعضلة:

-مفيش حاجة ضاعت، فوقي أنتي وهي، إحنا هنخرج من هنا غصب عن الدنيا كلها.

ردت "نور" بيأس: إزاي وكل الأدلة بتقول إن إحنا اللي قتلنا؟

بكل جدية وبروح المحامية التي تقبع داخلها، أردفت "دعاء":

-مستحيل يكون المجرم شخص بارع في القتل، لأن بعد كلام الظابط واللي قاله "فارس" متأكدة إن المجرم ضربه لأنه استفزه، فضربه بغل وغضب وفي أماكن مختلفة. وكمان حاسة إنه مش هو اللي مسح البصمات وخفى أي دليل ضده، أكيد في شخص ساعده.

انتبهت "جيهان" بكامل تركيزها، ثم هتفت:

-مش فاهمة ليه متأكدة أوي كده؟

نظرت لها "دعاء" وأردفت بجدية: لما اتحقق معي أنا طلبت أشوف التقرير الطبي، ولما شوفته عرفت إن المجرم

كانت إيده بتترعش في الضربة التالتة. معنى كده إنه كان خايف ومتوتر بعد ما أدرك هو عمل إيه. فمستحيل يقدر يفكر في حاجة، الحاجة الوحيدة اللي هيفكر فيها إنه يجري ويسيب كل حاجة. وده أكيد اللي حصل، وبعدها أكيد في شخص تاني جه مسح الأدلة.

ردت عليها "بسملة" باقتناع: كلامك مقنع، بس مش أكيد. ده ممكن يكون احتمال، ويكون الشخص أدرك اللي عمله، وعشان كده مسح أي دليل يدينه وبعدها مشى. بس إحنا هنثبت الكلام ده إزاي وإحنا هنا؟

قالت جملتها الأخيرة بحزن، لترد "دعاء" بثبات:

-لازم واحـــدة فينـــا تهـــرب وتحـــاول تجيـــب دليل. دي الطريقة الوحيدة اللي هتنقذنا.

أردفـــت "بســـملة" بلهفـــة: خـــلاص، أهـــرب أنا.

ردت "دعـــاء" عليهـــا بنفـــي: لأ، أنتـــي مينفعش.

تـــدخلت "نـــور" تقـــول ببســـاطة: خـــلاص، أهرب أنا.

حركـــت "دعـــاء" رأســـها بنفـــي للمـــرة الثانية وهي تقول:

-ولا أنتي طبعًا ينفع.

تساءلت "نور" بعدم فهم: ليه أنا لأ؟

شـــرحت لهـــم "دعـــاء" وجهـــة نظرهـــا: "نـــور" أنتـــي ميـــنفعش تهربـــي عشـــان أكيـــد هيتهمـــوا جـــوزك إنـــه هـــو اللـــي هربـــك، وكـــده

يبقى حصلت له مشكلة بسببنا. و'بسملة' ميـــنفعش عشـــان مســـتقبلها وحلمهـــا، وعشـــان ميتقـــالش عنهـــا كلمـــة غلـــط فـــي ســـيرتها. وأنـــا مـــش هينفـــع أســـيبكم لوحـــدكم. يبقـــى مفـــيش غيـــر 'جيهـــان' هـــي اللـــي لازم تهـــرب عشـــان تجيـــب دليـــل براءتنا.

ردت "جيهـــان" بتســـاؤل بعـــدما فكـــرت لثـــوانٍ أن هروبهـــا ســـيكون داعمًـــا لاعترافها بالجريمة:

-ماشي، بس أهرب إزاي؟

أردفـــت "دعـــاء" وهـــي تنظـــر لـــ"نور": أنـــا عارفـــة يـــا 'جيهـــان' الموضـــوع صـــعب، بـــس أنتـــي قـــدها. و"نـــور' تكلـــم "أشـــرف' لمـــا يجـــي وتشـــرحلوا وجهـــة نظرنـــا باختصـــار،

وتطلب منه إنه يهرب 'جيهان'. وهو هيعرف يتصرف ومحدش هيشك فيه عشان 'جيهان' متخصوش.

وافقوا على ما قالت، وساد الصمت بينهم لدقائق. بعدها تحركت نظرات "نور" تتفحص أرجاء الغرفة، ثم تساءلت بجدية تامة:

-تفتكروا المكتب ده فيه كاميرات مراقبة؟

نظروا لبعضهم بصدمة، لتغمز لهم "نور" بمشاكسة، لتنطلق ضحكاتهم تملأ المكان، والخوف يتربع داخلهم من أن يكون تم تسجيل حديثهم.

***

في المشفى، وبعد مرور عدة ساعات من الحادث، كان "إبراهيم" مستلقيًا على الفراش، بينما "حنان" تجلس في الخارج بجوار باب الغرفة تبكي. كانت تنتظر أن يعود إلى وعيه بعدما فشلت في تذكر رقم "أشرف"، وقد سقط هاتفها في السيارة أثناء الحادث. جلست بقلة حيلة بعدما عجزت عن تقديم أي مساعدة لشقيقها.

في الداخل، حرك "إبراهيم" جفونه بخفوت ثم فتحهما بتروٍ، وأعاد إغلاقهما قبل أن يفتحهما مجددًا بلهفة بعدما تذكر ما حدث. انتزع الكانيولا التي كانت بيده، ثم نهض بسرعة رغم الألم الذي اجتاحه. كاد أن يسقط بسبب الدوار الذي

هاجمه، لكنه لم يهتم بكل ذلك وهو يتحرك للخارج ليطمئن على شقيقته، متمنيًا أن تكون بخير ولم تُصب بأي أذى بسببه.

فتح الباب ليجدها تنتفض من جلستها وتتحرك نحوه بخوف قائلة:

-إبراهيم، أنت كويس؟ خرجت ليه؟...

قاطع حديثها حينما جذبها بقوة إلى أحضانه ليطمئن قلبه أنها بجواره وبخير، وهتف بصوت مختنق ومليء بالخوف وهو يربت عليها بحنان:

-حنان، أنتي كويسة، صح؟ محصلكيش حاجة؟ حقك عليا والله، أنا آسف. من خوفي عليها كنت هضيعك مني.

تفهمت مشاعره لتبادله العناق وهي تربت على ظهره بلطف:

-متخفش، أنا كويسة والله. المهم أنت، تعالى استريح شوية، لسه فايق.

جذبته برفق إلى الداخل. تحرك معها على مضض وهو يقول بحنق:

- يلا نمشي، مش عاوز أستريح.

أردفت بهدوء:

-تعالى بس ارتاح لحد ما أنادي الدكتور يشوفك.

أجلسته على الفراش، ثم غادرت الغرفة لتعود بعد دقائق برفقة الطبيب، الذي قام بفحصه مرة أخرى. ابتسم لهم الطبيب باطمئنان وقال:

-حمد الله على سلامتك.

سأل "إبراهيم" بهدوء: هو حصلي إيه؟ أو فيا إيه؟

رد الطبيب بعملية: الحمد لله، الحادثة كانت بسيطة. عندك شوية جروح سطحية وفتح في الرأس خد خمس غرز بس، ومفيش حاجة تانية. والسبب اللي خلاك مفقتش غير دلوقتي إنك مريت بحادثة كبيرة، والعقل الباطن كان بيخوفك إنك لو فقت هتشوف خسارة جديدة. يعني كنت في غيبوبة مؤقتة، ونحمد ربنا إنها كانت قصيرة.

نظر "إبراهيم" لشقيقته متفحصًا إياها بعينيه قبل أن يسأل:

-طب وحنان؟ فيها حاجة؟

ابتسم الطبيب بهدوء وأجاب: محصلهاش حاجة، زي الفل.

اعتدل "إبراهيم" في جلسته ثم قال: طب أنا عايز أمشي من هنا.

هز الطبيب رأسه موافقًا وأضاف: تمام، مفيش مشكلة. استرخي شوية لحد ما الآنسة تخلص إجراءات الخروج. بس مينفعش أنت تسوق.

رفض "إبراهيم" قائلاً بإصرار: لا، أنا هقوم أخلص الإجراءات بنفسي.

حاول الطبيب منعه وأخبره بضرورة أن يرتاح قليلًا قبل السفر، لكن "إبراهيم" رفض ذلك رفضًا قاطعًا. تحرك ببطء خلف الطبيب بعدما تأكد أن بطاقة الائتمان لا تزال في جيبه ولم تسقط.

ورغم شعوره بالألم والدوار الذي لم يخبر الطبيب به، كان كل ما يشغل تفكيره الآن أن يطمئن على نصفة الآخر.

بعد مرور نصف ساعة، وقف برفقة "حنان" ينتظران وصول سيارة أوبر لنقلهما إلى القاهرة.

***

ما زالوا جالسين على الأريكة، يفكرون بجدية في كيفية هروب "جيهان". بعد نقاش طويل، توصلوا إلى خطة ذكية. فجأة، دخل عليهم المحامي وخلفه "أشرف" و"فارس"، وكل منهما يحمل حقيبة متوسطة الحجم تحتوي على مأكولات ومشروبات سريعة. ناول كل

منهما زوجته طعامها، ثم جلسوا أمامهم.

بدأ "فارس" الحديث بحدة، موجهًا كلامه إلى زوجته:

- هو ده اللي قولتلك عليه يا "دعاء"؟ تروحي تعترفي على نفسك بالكذب!

نظر إليها الجميع بدهشة، ثم صاحت "جيهان" بغضب:

-إيه اللي أنتي عملتيه ده يا "دعاء"؟ أنتي مجنونة؟

تحدث "أشرف" بسخرية: على أساس أنتي معملتيش زيها.

تبادلت "نور" و"بسملة" النظرات بصدمة، بينما قالت "جيهان" بخفوت:

-أنا عندي سبب خلاني أقول كده.

ردت "دعاء" بنبرة مشابهة: وأنا عندي سبب برضه.

قطع المحامي الحديث بجديته المعتادة:

-أنتم فاهمين غلط. إحنا مش في مدرسة عشان تقولوا للمس إنكم اللي عملتوا كده فتصدق وتعاقبكم مكان أصحابكم. اللي عملتوه عقد القضية أكتر. لازم تسمعوا كلامي وتكدبوا كل اللي اتقال في المحضر وتقولوا اللي هقولكم عليه.

قالت "نور" بثبات: أنا مش هكدب، أنا قلت الحقيقة وهقولها تاني.

رد المحامي بتفهم: مش هتكدبي، أنتي هتقولي جزء من الحقيقة، والجزء التاني اللي ممكن يضركم مش هتقوليه. وعلى العموم، متقلقيش، أنا هكون

معـاكي فـي التحقيـق لـو احتـاج الأمـر. أمـا "دعـاء"، هيحضـر معـاكي "أحمـد" التحقيـق، و"جيهـان" هيكـون معاهـا محـامٍ تاني...

قـاطعتهم "بسـملة" بلهفـة: هـو بابـا مجاش؟

أجابهـا "فـارس" بهـدوء: كـان هييجـي معانـا، بـس جاتلـه مكالمـة مهمـة فوقـف يرد.

هـزت "بسـملة" رأسـها ولـم تعلـق. اقتربـت "دعاء" من "فارس" وهمست له:

-"فـارس"، مشـي المحـامي، عـايزين نقول حاجة.

نظـر إليهـا بتسـاؤل، فأشـارت نحـو المحامي بصمت. شعر بالإحراج وقال:

-طب يا أستاذ "فايز"، في حاجة تانية تقولها لهم ولا خلاص؟

رد المحامي: لأ، هما ينفذوا اللي قولته لحد ما نجمع دليل براءتهم.

قال "فارس" بثبات:

-تمام. تفضل، وإحنا هنطلع وراك.

بعد خروج المحامي، سأل "أشرف" بقلق:

-دكتور "فارس"، فيه حاجة ولا إيه؟

نظر "فارس" إلى زوجته وقال: مش عارف.

عقد "أشرف" حاجبيه بعدم فهم، لكن "نور" نهضت واقتربت منهم قائلة:

-أنا هقولكم فيه إيه.

نظـــر الجميـــع إليهـــا باهتمـــام. أكملـــت حديثها:

-بعـــد مـــا فكرنـــا فـــي اللـــي حصـــل، لقينـــا الحل... "جيهان" تهرب.

-نعم؟!

كلمـــة واحـــدة خرجـــت مـــن "أشـــرف" و"فارس" بصدمة، بينما أكملت "نور":

-اســمعوني، هــي الوحيــدة اللــي تقــدر تجيــب دليل براءتنا. إحنا مش هنقدر.

ســـأل "فـــارس" ســـاخرًا: والأســـتاذة "جيهـــان" هتعمـــل إيـــه إحنـــا منعـــرفش نعمله؟

نظـــرت "جيهـــان" لـــ"دعاء" بضـــيق ولـــم تتحدث. قال "أشرف" بسخرية:

-لـــو عـــايزين إعـــدام، مـــش هتقترحـــوا الاقتراح ده.

صـــاحت "جيهـــان" بغضـــب، موجهـــة حديثها لصديقاتها:

-"نـــور"، "دعـــاء"، كـــل واحـــدة تســـكت جوزهـــا عشـــان أنـــا محترمـــة نفســـي وســـكتة، بـــس أنتـــوا عـــارفين إنـــي مبقـــدرش أعمل ده كتير!

قالـــت "بســـملة" بحســـم: خـــلاص يـــا "جيهـــان". دكتـــور "فـــارس"، كـــابتن "أشـــرف"، إحنـــا محتـــاجين مســـاعدتكم عشان "جيهان" تهرب.

رد "أشـــرف" بجديـــة: ميـــنفعش طبعًـــا. مســـتحيل أعمـــل كـــده. عـــايزيني أهـــرب مجرم؟!

نظروا إليه بحنق. ردت "نور" بتشنج:

-نعم؟!

تنهد "أشرف" وقال: مقصودش، أنا عارف إنكم مظلومين، بس مينفعش. نسيتم إني ظابط؟!

قالت "نور" بهدوء ورقة على غير عادتها:

-عشان خاطري يا "أشرف". "جيهان" تعرف تتصرف أكتر مننا، وإحنا قولنالها تعمل إيه. لو مجابتش دليل براءتنا، مش هنخرج. كل الأدلة ضدنا.

رغم رفض "أشرف" القاطع، تدخلت الفتيات لإقناعه. وبعد توسلات "دعاء"، تمكن "فارس" من إقناعه.

تنهد "أشرف" وقال: طب خلاص، سبوني أفكر. يلا يا "نور"، كلوا حاجة.

فتحت "نور" الحقيبة لتتفقد محتوياتها.

جذبت "بسملة" المولتو منها وقالت بضيق لـ"أشرف":

-شكلك بخيل، مقدرتش تجيب بيتزا وأنا بحبها.

رد "أشرف" بسخرية: المطعم كان قافل.

قالت "نور" وهي تشرب العصير: نصيب ياختي، هنعمل إيه؟ ده مقدرش الظرف اللي أنا فيه، وجابلي أكلي المفضل.

سألها "أشرف" بسخرية: وإيه أكلك المفضل ده؟

أجابت بحماس: حووشي! هتجيبلي، صح؟

حرك رأسه نفيًا ليستفزها. فجأة، قالت "جيهان" بحنق وهي تتناول التوينكيز:

-أنا زعلانة عليكم. وقعتوا وقعة سودة. البخل ده صفة وحشة أوي. يعني إيه يستخسر فينا كام سندوتش كبدة؟!

سأل "فارس" زوجته "دعاء": وإنتِ إيه رأيك؟

قالت "دعاء" بهدوء: معاها حق. البخل صفة وحشة أوي.

تفوه "فارس" بثبات: واللهِ؟ طيب كنتِ عايزة إيه؟

ردت بأسف: للأسف، اللي عايزاه الحكومة مش هترضى بيه.

عقد حاجبيه بدهشة وسألها: يعني كنتِ عايزة إيه؟

قالت بثبات: كشري. نفسي فيه.

نظر إليها "فارس" بعدم تصديق، بينما ضحك "أشرف" بسخرية وهو يقول:

-هو مين اللي ضحك عليكم وفكركم طالعين رحلة؟ أنتم متهمين في جريمة قتل! يا رب تكونوا فاهمين معناها!

ثم أردف ساخرًا من نفسه: وأنا كنت فاكر إن نفسها مسدودة وهتتعبني لحد ما أقنعها تاكل، اتاريها جاية تحقق أحلامها هنا! قال حواوشي قال!

***

هبط من الطائرة بلهفة، وأخذ نفسًا عميقًا بسعادة لعودته إلى أرض الوطن.

تحـــرك بســـرعة لإنهـــاء إجـــراءات خروجـــه مـــن المطـــار، متلهفًـــا للـــذهاب ومعرفـــة مـــا حـــدث لهـــا بعـــدما أخبرتـــه شـــقيقته بـــالأمر.

بعـــد وقـــتٍ لـــيس بالقليـــل، أنهـــى الإجـــراءات وغـــادر المطـــار، ليجـــد رفيقـــه ينتظـــره بفرحة.

ركـــض صـــديقه نحـــوه ثـــم عانقـــه باشـــتياق وهو يهتف:

-وحشتني يا هندسة!

بادلـــه العنـــاق بابتســـامة وهـــو يقـــول بمشاكسة:

- وأنت أكتر يا 'بودي'!

ابتعد "عبده" عنه متذمرًا وقال بحنق:

-'بـــودي' فـــي عينـــك! أنـــا غلطـــان إنـــي جيتك!

ابتسم "تامر" وصفعه بخفة على رأسه وهو يرد:

-بهزر يا 'بودي'، فيه إيه؟

رد "عبده" بهدوء وهو يجذب منه الحقيبة:

-طب يلا أوصلك البيت عشان ترتاح، وبعدين نتقابل بالليل.

أردف "تامر" بجدية: لا يا سطا، مش هروح البيت. عندي مشوار مهم، وأنا هنا عشانه. ومحدش يعرف إني نازل أصلاً. كلمتك أنت مخصوص عشان توصل الشنط، وأنا هخلص مشواري وأحصلك.

تساءل "عبده" باهتمام: مشوار إيه ده اللي نازل مخصوص عشانه؟

رد "تامر" بهدوء: هقولك بعدين. خليني أخلص الأول وأكلمك. معلش هتعبك معايا.

أردف "عبده" بعتاب طفيف: عيب يا "تيمو" الكلام ده. فرحتي برجوعك متتوصفش!

احتضنه "تامر" بحب، ثم ودعه وغادر إلى وجهته.

***

في اليوم التالي، أمر النائب العام بحبس المتهمات أربعة أيام احتياطيًّا على ذمة التحقيقات، لاتهامهن بقتل المجني عليه "علاء حسين محمد"، مع مراعاة التجديد لهن في الميعاد. لم يعترفن بالحقيقة كاملة، بل أخبرن وكيل النيابة

أنهن ذهبن مرة واحدة إلى مكان الحادث وحينها وجدنه مقتولًا، نافيات الهراء الذي سجله الشرطي في محضر التحقيق.

كانت آخر من تم التحقيق معها هي "بسملة"، التي خرجت برفقة العسكري مكبلة بالأصفاد، ووالدها يسير بجانبها، يواسيها ويطمئنها بأن كل شيء سيمر ولا داعي للقلق. أثناء ذلك، رأته واقفًا بجوار "فارس"، يتحدثان. فرقت أعينها بدهشة وعدم تصديق، ثم أغلقت عينيها بقوة وفتحتهما ببطء لتجده هذه المرة يراقبها باهتمام وهو يبتسم لها. لم تصدق أنه هنا! ألم يكن خارج البلاد؟ متى أتى؟ وماذا يفعل هنا؟

أما "تامر"، فقد كان يتابع أخبار القضية، بينما "فارس" يقص عليه التفاصيل باختصار. عندما رأى "بسملة" تخرج من التحقيق، ابتسم لها، وتمنى لو أنه يستطيع الركض إليها، يحتضنها، ويطمئنها بأن كل شيء سيصبح على ما يرام. لكنه أدرك أن الوقت لم يحن بعد. يومًا ما، سيكون هذا حقه عندما تصبح ملكًا له، ولن يسمح لها بالابتعاد عن دفء أحضانه. فهي سكنه ومسكنه، والمعجزة التي قلبت حياته رأسًا على عقب.

تحركت "بسملة" بجوار "جيهان" و"دعاء"، مكبلات معًا، بينما كانت

"نـــور" مكبلـــة بيـــد أحـــد العســـاكر. التفتـــت "جيهان" بحرج وقالت:

-لو سمحت، عايزة أدخل الحمام.

أردفت "بسملة" بخجل: وأنا لو سمحت.

قـــادهم العســـكري باتجـــاه المرحـــاض، وفـــتح الأصـــفاد عـــن يـــد "جيهـــان" لتـــدخل. وقـــف ينتظرها بالخارج.

خطـــت "نـــور" خطـــوتين، لكـــن بالخطـــأ وضـــعت قـــدمها فـــوق قـــدم "دعـــاء"، التـــي دفعتها وهي تقول بألم:

-آه! مش تفتحي يا عميا؟

صـــاحت "نـــور" بهـــا، بعـــدما اختـــل توازنهـــا وكـــادت أن تســـقط لـــولا يـــدها المكبلـــة بيـــد العسكري:

-احترمـــي نفســـك يـــا "دعـــاء"، مكـــنش قصدي! وبعدين تزقيني ليه؟

ردت "دعـــاء" بانفعـــال: احترمـــي نفســـك أنـــتِ! وبعـــدين دوســـتِ علـــى رجلـــي، ورجلي وجعتني بسببك.

تـــدخلت "بســـملة" بتهدئـــة، وهـــي تضـــع يدها على "نور":

-خلاص يا "نور"، حصل خير.

أبعـدت "نـور" يـد "بسـملة" بعنـف، وهـي تقول:

-ملكِـــيش دعـــوة! متـــدخليش فـــي اللـــي ميخصكيش.

قالـت "دعـاء" بعصـبية: قولتلـك إنهـا قليلـة أدب، مصدقتيش!

جـــن جنـــون "نـــور" وتناســـت أيـــن هـــي، لترد بغضب:

-والله يـــا 'دعـــاء' لـــو مســـكتيش، لأجيبـــك مـــن شعرك، ولا هيهمني حد!

صـــاحت "بســـملة" بغضـــب: إيـــه قلـــة الأدب دي يا 'نور'! محدش قادر عليكِ؟

وأثنـــاء المشـــاجرة العنيفـــة، خرجـــت فتـــاة مـــن المرحـــاض ترتـــدي ثيابًـــا ســـوداء تخفيهـــا مـــن رأســـها إلـــى أخمـــص قـــدميها. كانـــت تســـير بثبـــات يُحســـد عليـــه، ولـــم تهـــتم بالشـــجار، الـــذي انشـــغل الجميـــع بـــه ولـــم يلاحظهـــا أحـــد. ســـارت بثبـــات إلـــى أن خرجـــت مـــن المركـــز، لتجـــد شخصًـــا يتحـــدث عبر الهاتف ويقول:

-امشي على طول. هتلاقي عربية آخر الشارع لونها أبيض. اركبي فيها، والسواق عارف هيوديكي فين.

تحركت بسرعة باتجاه السيارة، وصعدت، ليتحرك السائق بها بسرعة فائقة.

وعند المشاجرة، صاح العسكري بعصبية:

-اخرسي يا بت، أنتِ وهي!

صمتن، لكن نظرات الغضب المتبادلة بينهن لم تخفِ نظرات السعادة بنجاح خطتهن. تحرك عسكري بأمر من المسؤول لاصطحاب "نور" إلى الزنزانة، بينما جمع الثاني "دعاء" و"بسملة" معًا، ثم اتجه بهما إلى مكان

احتجازهمـــا. والثالـــث دق علـــى بـــاب المرحـــاض لتخـــرج "جيهـــان" بثبـــات، فقـــال العسكري بعصبية:

-كل ده في الحمام؟

لـــم تـــرد عليـــه، واكتفـــت بالصـــمت، ليعيـــد الأصـــفاد إلـــى يـــدها ويتحـــرك بهـــا نحـــو الزنزانة.

وصـــلت الســـيارة أمـــام منـــزل راقٍ، نظـــرت يمينًا ويسارًا وتسألت:

-إحنا فين؟

رد السائق باحترام وهو يناولها المفتاح:

-"أشـــرف باشـــا" قـــالي أديكـــي المفتـــاح ده، هـــو بتـــاع البيـــت اللـــي قصـــادك. وقـــالي أقولـــك تطمنـــي، مفـــيش حـــد فـــي البيـــت،

وهـــو بالليـــل هيجـــي يشـــوفك. وياريـــت متطلعيش من البيت لغاية ما يجي.

أخـــذت منـــه المفتـــاح، ثـــم هبطـــت مـــن الســـيارة وســـارت باتجـــاه البـــاب، بينمـــا الســـائق مـــا زال منتظـــرًا دخولهـــا. وعنـــدما ولجت إلى الداخل، غادر على الفور.

بـــدأت تـــتفحص المنـــزل وكأنهـــا جـــاءت لتشـــتريه. ثـــم جلســـت فـــي غرفـــة الجلـــوس، لتجـــد حقيبـــة صـــغيرة بـــداخلها بعـــض الثيـــاب، وبجوارهـــا ورقـــة صـــغيرة. جـــذبت الورقة وفتحتها، لتقرأ:

-«ده لـــبس عشـــان تغيـــري اللـــي أنتـــي لبســـاه. مفـــيش حـــد فـــي البيـــت، وأنـــا لمـــا هـــاجي هخـــبط، متقلقـــيش. أنـــا معنـــديش

مفتاح تاني. وفيه أكل في المطبخ، بس أوعي تخرجي من البيت غير لما أجي.»

استرخت قليلًا، ثم دخلت المرحاض وبدلت ثيابها. خرجت لتقف أمام المرآة، وضعت الحجاب، ثم تحركت تبحث عن المطبخ لأن معدتها كانت تتألم من الجوع. بعد دقائق، خرجت بالطعام وجلست في غرفة الجلوس تتناول الطعام.

في تلك الأثناء، ولج "إبراهيم" إلى المنزل برفقة "حنان"، ثم أغلق الباب خلفه. سمع صوت التلفاز وضحكات تصدح في المكان، فتساءل بدهشة عن هوية تلك الضحكات. ونظر إلى "حنان" التي قالت بتفكير:

-تفتكر ده حرامي تعب من السرقة، قال يستريح شوية عندنا؟

تحرك "إبراهيم" إلى الداخل، ليجدها تتناول الطعام باسترخاء وكأنها في منزلها. ورغم دهشته من وجودها، إلا أنه قال بابتسامة:'جيهان'، بتعملي إيه هنا؟

*****

الفصل الثالث والثلاثون

"اللهُم غيرني لما تريد أنت، واختر لي ما تشاء أنت، واجعل قلبي متعلق بك وحدك أنت، وبدل ما تراه عيني جميلا بما تراه أنت، اللهُم إني سلمتك أمري ونفسي في الدُنيا فأجعل دنياي كما تحب، وآخرتي برحمتك أنت وليست بعملي فما لي سواك أنت ياالله."

***

دخل "إبراهيم" إلى المنزل برفقة "حنان" وأغلق الباب خلفه. سمع صوت التلفاز وصوت ضحكات تصدح في المكان، فتساءل بدهشة ونظر إلى "حنان" التي قالت بتفكير:

-تفتكر ده حرامي تعب من السرقة، قال يستريح شوية عندنا؟

تحـــرك "إبـــراهيم" إلـــى الغرفـــة ليجـــد "جيهـــان" جالســـة تتنـــاول الطعـــام باســترخاء وتشــاهد فــيلم "غبــي منــه فيــه". رغــم دهشـــته مـــن وجودهـــا، إلا أنـــه قـــال بابتسامة:

-جيهان، بتعملي إيه هنا؟

انتفضـــت "جيهـــان" مـــن جلســـتها عنـــدما رأته يقف أمامها، لتقول بتوتر:

-أنت بتعمل إيه هنا؟

أجاب ببساطة: ده بيتي.

ردت بدهشة: بيتك؟

أبتسم قائلًا: أيوة.

انتبهـــت "جيهـــان" إلـــى الربـــاط الطبـــي (الضـــمادة) علـــى جبينـــه وملامحـــه

المرهقة، فتساءلت بقلق وهي تشير إلى رأسه:

-مالك؟ اتعورت فين كده؟ ومين ده اللي ضربك؟

ضحك "إبراهيم" بشدة مما تفوهت به، لتجيب "حنان" وهي تجلس بإرهاق:

-متقلقيش، بسيطة، هو عمل بينا حادثة عشان خاطر عيونك، بس الحمد لله عدت على خير

نظرت لها "جيهان" بصدمة وقالت: أنتِ بتتكلمي جد؟

هزت "حنان" رأسها وهي تردف:

-والله بجد. لما عرف أنك في الحبس ساق العربية بسرعة وعملنا حادثة.

عشـــان كـــده مجـــاش، بـــس أنـــتِ مـــش ملاحظة أنك طلعتي بسرعة أوي؟

اقتربـــت "جيهـــان" منـــه بضـــع خطـــوات، وسألته باهتمام:

-أنت كويس؟

ابتســم لهــا وهــو يــردف: الحمــد لله، بخيــر. أهـــم حاجـــة أنـــك بخيـــر. بـــس قـــوليلي، بتعملي إيه هنا ودخلتي إزاي؟

أجابـــت بمـــرح: مـــن البـــاب. وعرفـــت أنـــك عملـــت حادثـــة، جيـــت أطمـــن عليـــك، عشـــان تعرف إني أحسن منك.

رد مازحًا: يسلام!

قالـــت بمـــرح: أمـــال! ده أنـــت حتـــى مقـــدرتش تجيـــب بخمـــس جنيـــه عـــيش وحـــلاوة

وتيجي تزورني، شكلي هضيفك لقائمة البخلاء.

ابتسم بقلة حيلة وقال: يا بنتي، اتكلمي جد. طلعتي إزاي من الحبس؟ "أشرف" قـ...

قطع حديثه، وتابع بتفكير: "أشرف" هو اللي جابك هنا، لأنه معاه مفتاح البيت، صح؟

صفقت بمرح وقالت: والله باشا! إيه يا بني الحلاوة والذكاء ده؟ أنا لو مكانك كنت قعدت سنتين عشان أفهم.

جلس بجوار شقيقته وهو يضحك ثم قال:

-طب يا باشا، اقعدي وقوليلي حصل إيه؟

جلست مكانها وقالت: اسمع يا دوك، اتفقنا أنا والبنات إني ههرب...

قاطها بدهشة: هربتي؟!

ردت "جيهان" بمشاكسة: إيه يا دوك! أنا لسه كنت بقول عليك ذكي، متخلنيش أرجع في كلامي.

أخذ "إبراهيم" نفسًا عميقًا ثم ابتسم لها وقال:

-طب كملي، هربتي إزاي؟

أردفت "جيهان": المهم، اتفقنا إني أهرب عشان أدور على دليل. و"أشرف" و"فارس" ساعدونا. لما طلعت من المركز كان في عربية مستنياني وجابتني هنا. السواق عطاني المفتاح

وقال إن مفيش حد، و"أشرف" هيجي في الليل. وأنا مكنتش أعرف إن ده بيتك.

تفهم "إبراهيم" حرجها، فقال ليخفف عنها:

-"أشرف" فعلًا مكنش يعرف إني هاجي هنا، لأني كنت عنده في البيت عشان اطمن على خالتي، بس "حنان" كانت تعبانه واصرت تيجي البيت. وبعدين، ده بيتك.

تساءلت "حنان" بهدوء:

-طب هربتي إزاي من المركز؟ مش فاهمة.

قصت "جيهان" ما أخبرها به "أشرف":

-"أشـــرف" عمـــل ماســـك شـــكله زي وشـــي. و"فـــارس" طلـــب مـــن أختـــه تكـــون مكـــاني، وهـــي وافقـــت عشـــان صـــحبتي. فجابهـــا القســـم واســـتنتني فـــي الحمـــام. بعـــد التحقيـــق طلبـــت أدخـــل الحمـــام ولبســـت النقـــاب اللـــي هـــي كانـــت جيبـــاه معاهـــا. هـــي خـــدت لبســـي ولبســـت الماســـك. و"دعـــاء" و"نـــور" و"بســـملة" عملـــوا خناقـــة عشـــان العســـاكر يركـــزوا معهـــم ومحـــدش ياخـــد بالـــه وأنـــا خارجـــة. بعـــدين "منـــار" طلعـــت علـــى أســـاس إنهـــا أنـــا، ومحـــدش عـــرف إنّـــي هربـــت. مـــتقلقش، أنـــا هطلـــب مـــن "أشـــرف" أمشـــي من هنا عشان متتأذيش بسببي.

قالـــت جملتهـــا الأخيـــرة لـــ "إبـــراهيم"، ليقول بجديّة:

-بس عبط! أنا كنت هتجنن لما عرفت اللي حصل. تقولي متتأذيش؟ أنا اتأذيت فعلًا لما كل ده حصل لك وأنا مش هنا. الحمد لله أنك بخير وقصادي، وإن شاء الله كل حاجة هتعدي وإحنا مع بعض.

نظرت بعيدًا بخجل من حديثه الصادق، الذي جعل قلبها يخفق كأنها تسمع الطبول. فرّق "إبراهيم" لحيته بحرج بعدما شعر أنه أطال الحديث. نهض وقال:

-هدخل أوضتي. خدي راحتك، ده بيتك، وأنا مش هطلع من الأوضة غير لما يجي 'أشرف'.

ابتسمت له "جيهان" بابتسامة زيّنت محياها، فبادلها الابتسامة، ثم استأذن

ودخـــل غرفتـــه. التفتـــت "حنـــان" إليهـــا بمرح وقالت:

أحســـن إنـــه مشـــي. تعـــالي بقـــى أوريكـــي أوضتي ونرغي مع بعض."

***

فـــي المركـــز وبـــالاخص فـــي الزنزانـــه قالـــت "دعاء" بامتنان:

-مـــش عارفـــه اشـــكرك أزاي يـــا "منـــار" علـــى اللـــي عملتيـــه جميلـــك هيفضـــل فـــوق رأسي طول العمر

ردت "منـــار" بصـــوت مـــنخفض: جميـــل إيـــه يـــا هبلـــة أنتـــي مـــرات اخويـــا والمصـــيبة اللـــي هربت صحبتي

تـــدخلت "نـــور" تقـــول بضـــيق: نعـــم يـــاختي هي بس اللي صحبتك، وأنا إيه؟

ردت "منـــار" بهـــدوء: مقصـــدش كلكـــم اصحابي والله

قالـــت "بســـملة": ســـيبك منهـــا ام لســـان طويـــل دي، بـــس والله اللـــي عملتيـــه مفـــيش كلمـــة شـــكر تـــوفي حقـــك، كـــدا "جيهـــان" هتقـــدر تتحـــرك براحتهـــا مـــن غيـــر مـــا يكـــون في حد بيدور عليها

ابتســـمت لهـــا "منـــار" ولـــم تعقـــب لتقـــول بسملة بتردد:

-انـــتم شـــفتوه هـــو جـــه فعـــلاً ولا أنـــا كـــان بيتهيألي

نظـــرت لهـــا "منـــار" بعـــدم فهـــم لكـــن "نـــور" و"دعاء" نظروا لبعض ثم قالت "نور":

-لا يـــاختي شـــوفناه بـــس هـــو ده وقـــت حـــب وكلام فاضي

نظـــرت لهـــا بشـــر ثـــم هتفـــت تـــدافع عـــن نفسها:

- انـــا بـــس اســـتغربت لانـــي عارفـــه انـــه مسافر جه أمتى

ردت "دعـــاء" بهـــدوء: ممكـــن يكـــون جـــه مـــن بـــدري ولمـــا عـــرف اللـــي حصـــل جـــه عشان "فارس"

هـــزت رأســـها بعـــدما اقتنـــاع هـــي تصـــدق قلبهـــا وقلبهـــا يخبرهـــا انـــه هنـــا لاجلهـــا وهـــذا أكثـــر مـــن كـــافي ليســـعدها وجعلهـــا تبتســـم، انتقلـــت ابتســـماتها للاوجـــه وكأنهـــا عـــدوى وبـــالاخص "نـــور" و"دعـــاء" وهـــم يتمنـــون أن تدوم سعادتها

***

وصل "تامر" المنزل بتردد، لا يعلم كيف سيقابل والده بعد مغادرته البلاد دون علمه. أخذ نفسًا عميقًا وزفيرًا بتروٍ، ثم خطى إلى الداخل ليجد الجميع في انتظاره. كانت أول من ركضت نحوه بلهفة هي "إيمان"، التي عانقته وهي تبكي بشوق. بادلها العناق وهو يربت على ظهرها بحنو، ليسمعها تقول:

-حمد لله على سلامتك يا "تيمور"، وحشتني أوي.

رد عليها "تامر" بحب: الله يسلمكِ يا "أمنيتي"، وأنتِ كمان وحشتيني أوي.

ابتعدت عنه عندما رأت "عايدة"، زوجة شقيقها، تقترب منهما. وقفت "عايدة" أمامه، وفجأة رفعت يدها وصفعته على

وجهه بقوة، مما جعل الجميع في حالة دهشة. لكن سرعان ما اقتربت منه لتعانقه وهي تبكي بشدة.

ابتسم "تامر" وهو يحتضنها وربت عليها بلطف وهو يهمس:

-حقك عليا يا ست الكل، متزعليش مني، أنا ماليش غيرك.

ردت "عايدة" بنبرة باكية: مقدرش أزعل، هو أنا عندي أغلى منك؟ ده أنت آخر صبري.

تدخل "كريم" بصوت يمزج بين الجدية والمزاح:

- نعم يا ست "عايدة"، بتقولي إيه؟ وبالنسبة ليا أنا إيه؟ أباجورة؟ هو معندكيش أغلى منه؟ والأستاذة "سلمى"

بنت قلبك، والآنسة "ديالا" روحك، وأنا إيه؟

نظرت إليه بحب وقالت وهي تبتعد عن "تامر":

- أنت نور عيوني وأول فرحتي.

ضحك "حسني" وقال بمرح خفيف: على فكرة، بتضحك عليك، أنا أول فرحتها.

نظرت "عايدة" لزوجها بضيق، ليقترب منها "كريم" ويعانقها، ثم ابتعد عنها ليعانق أخاه "تامر"، وهمس في أذنه بآية قرآنية:

-﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾. ليك وحشة يا سند أخوك.

اغرورقت عينا "تامر" بالدموع تأثرًا بردّ أخيه، وهمس:

-حقك عليا يا "كريم".

ابتعد "كريم" عنه وهو يبتسم براحة، بينما لمح "تامر" "سلمى" واقفة على بعد تبكي. أشار لها بالاقتراب، فركضت نحوه وأرتمت بين ذراعيه وهي تبكي:

-كده يا "تامر"، تسبني لوحدي وتمشي؟ أنا كنت بعتبرك عيلتي كلها. لما "كريم" يزعلني، أروح لمين وأنت بعيد؟

تدخل "كريم" وهو يبعدهما برفق، واضعًا يده على زوجته:

- يا بنتي، أنا زعلتك أمتى قبل كده؟ والواد ده بتاع بنات، متقربيش منه تاني.

رد "تـــامر" بمشاكســـة: دي أختـــي يـــا حبيبـــي، خالتـــك كانـــت فـــاكرة إنهـــا مخلفـــة توأم وربتني معاها.

همـــس "كـــريم" بصـــوت مـــنخفض وصـــل إلى "سلمى":

-عشان كده طلعتوا الاتنين مش متربين.

وكزتـــه "ســـلمى" فـــي معدتـــه ليصـــرخ بـــألم مصـــطنع، بينمـــا اقتـــرب "تـــامر" مـــن "ديـــالا" ليعانقهـــا بصـــمت. شـــدد مـــن عناقـــه كأنـــه يريـــد أن يخفيهـــا داخلـــه. كانـــت صـــغيرته الحبيبـــة، لكنهـــا تحملـــت نتـــائج أخطائـــه. وجههـــا شـــاحب، تبـــدو كمـــن تخطـــت الأربعـــين، رغـــم أنهـــا لـــم تبـــدأ عقـــدها الثـــاني. ابتســـامتها التـــي كانـــت تشـــبه

شـــــروق الشـــــمس اختفـــــت، وأصـــــبحت صامتة بشكل مؤلم.

ابتعـــدت عنـــه وهـــي تبتســـم بخفـــوت، فقبـــل جبينها وقال:

-وحشتيني يا "دودو".

ردت "ديـــــالا" بابتســـــامة هادئـــــة: وأنـــــت كمان وحشتني أوي.

بخطـــوات متـــرددة، اقتـــرب مـــن مكـــان جلـــوس والـــده. كـــان يعلـــم أن هـــذه هـــي المقابلـــة التـــي يخشـــاها. نهـــض "حســـني" فجـــأة وجذبـــه بقـــوة إلـــى أحضـــانه، ممـــا جعلـــه يقـــف مصـــدومًا كالصـــنم. كانـــت الصـــدمة واضـــحة علـــى الجميـــع، عـــدا "عايـــدة"، فهـــي الأكثـــر درايـــة بشخصـــية زوجها.

رفع "تامر" يده ليعانق والده، وبكى بعنف لأول مرة، وهو يهتف بتوسل:

-حقك عليا يا بابا، بالله عليك تسامحني.

ربت "حسني" على ظهره ثم أبعده عنه، ومسح دموعه بأنامله، وقال بنبرة حنونة كأنه يخاطب طفلًا صغيرًا:

-أسامحك لو زعلان منك؟ أنا مقدرش أزعل من حتة مني. أنت وأخواتك أعظم نعمة ربنا أنعم عليا بيها، وهفضل لآخر نفس أشكره على وجودكم.

عاد "تامر" ليعانقه، ثم جلسوا جميعًا يضحكون ويمرحون، لكن "تامر" كان مشغول البال بمن سكنت فؤاده.

***

في المساء بمنزل "إبراهيم"، حضر "أشرف" و"فارس" للجلوس مع "جيهان" ومعرفة خطتها القادمة. كان "إبراهيم" قد لزم غرفته طوال اليوم، متجنبًا إحراجها، لكنه خرج الآن لاستقبالهم. جلسوا الثلاثة على الأريكة بعد تبادل السلامات، ينتظرون "جيهان".

بعد دقيقتين، جاءت وجلست على مقعد بعيدًا عنهم، وقالت بلا مقدمات:

-أنا هروح المحل اللي حصلت فيه الجريمة. أكيد فيه دليل أو حاجة ممكن تساعدنا وأنتم ما أخدتوش بالكم منها.

سألها "فارس" بجدية: طب هتدخلي إزاي؟ المكان متشمع.

ردت "جيهان" بهدوء: عادي، هاخد معايا سكينة أو أي حاجة، وأحاول أفتحه.

سألها "أشرف" بهدوء: هتروحي إمتى؟

أجابت بثبات: بعد ساعتين. هيكون الوقت متأخر، ومحدش هيشوفني.

أردف "أشرف" بجدية: أنا هروح معاكي.

ردت بنفي وجدية:

- لا طبعًا. في كاميرات في الشارع، وممكن حد يلاحظ حاجة. أنا هروح لوحدي، ودي مفهاش نقاش.

كاد "أشرف" أن يرفض، لكنه توقف عندما قاطعته قائلة بحزم:

- لو سمحت، الحوار خلصان. أنا هروح لوحدي.

ثم التفتت إلى "فارس"، وقالت: دكتور "فارس"، "دعاء" قالت لي إن معاك تسجيل كاميرات المراقبة في الشارع. عاوزة أشوفه.

أخرج "فارس" هاتفه، وشغل الفيديو، ثم نهض ليعطيها الهاتف. وقفت احترامًا له وهي تأخذه، ثم التفتت إلى "إبراهيم" قائلة:

-شغله على الشاشة يا دكتور.

نهض "إبراهيم"، ووصل الهاتف بشاشة العرض، ثم شغل الفيديو. جلسوا جميعًا يتابعون التسجيل بتركيز، مرة واثنتين، حتى صاحت "جيهان" بلهفة:

-وقف الفيديو يا دكتور، بسرعة!

توقف "إبراهيم" عند النقطة التي طلبتها، وسألت وهي تشير للشاشة:

-عاوزة تليفون كاميرته كويسة.

ناولها "إبراهيم" هاتفه، فقامت بالتقاط صورة للشاشة، وكبّرت الصورة لتتضح التفاصيل. عندها لاحظت فتاة تختبئ خلف أحد أركان الحائط. كانت بعيدة جدًا، ومن يشاهد الفيديو يظن أنها نقطة سوداء. عندما أدركت هويتها، أصابها الذهول وبدأت تردد بعدم تصديق:

- مستحيل... مستحيل!

بدأت تسير في الغرفة ذهابًا وإيابًا، واضعةً يدها على رأسها، بينما الثلاثة

يراقبونهـــا بترقـــب. تمتمـــت بصـــوت مسموع:

-"علا"! يا ربّي، إزاي نسيت؟

اقترب منها "إبراهيم" وسألها باهتمام:

-نسيتي إيه؟ ومين "علا"؟

لـــم تســـتطع الإجابـــة، ووضـــعت يـــدها علـــى وجههـــا وهـــي تحـــاول اســـتيعاب الموقـــف. اقتـــرب منهـــا "فـــارس" وناولهـــا كـــوب مـــاء، وقال بهدوء:

-اشربي واهدي، وفهمينا... عرفتي إيه؟

تناولـــت المـــاء، وجلســـت محاولـــة تنظـــيم أنفاسها، ثم قالت:

-لمـــا دخلنـــا ولقينـــا القتيـــل، مـــن الصـــدمة مـــا كنـــتش فـــي وعيـــي. قربـــت منـــه، وخلعـــت الســـكين مـــن بطنـــه، وقتهـــا نطـــق اســـم

"عـــلا" مـــرتين. لمـــا شـــفت الصـــورة، افتكرت.

نهض "أشرف" قائلاً بتخمين:

-يعني قصدك إنها اللي قتلته؟

هـزت رأســها نفيًــا، ثــم قالــت بتشــتت: مــش عارفـــة! ب مســـتحيل. أكيـــد فيـــه حاجـــة غلــط. "عــلا" مســتحيل تعمــل كــده. ده ابــن عمهـــا وخطيبهـــا، وكـــانوا هيجـــوزوا بعـــد فتـــرة. بـــس أكيـــد هـــي عارفـــة مـــين اللـــي عمـــل كـــده، ومـــش بعيـــد تكـــون ســـاعدته. وقوفهـــا فـــي المكـــان ده معنـــاه إنهـــا كانـــت بتراقب اللي داخل وبيخرج.

تســـاءل "إبـــراهيم" بتعجـــب: طـــب ليـــه واثقـــة إنهـــا مـــش هـــي؟ طالمـــا واقفـــة كـــده،

وهو نطق اسمها وهو بيموت، يبقى أكيد هي.

ردت "جيهان" بما تعلمه: واثقة، لأنها أضعف من إنها تعمل كده. لسانها طويل وقليلة أدب، لكن ضعيفة. دي مرة شافت دم في حملة تبرع، وأغمى عليها.

الدكتور "فارس" أكيد يعرفها. "علا حامد"، اللي معانا في الكلية.

أومأ "فارس" وهو يفكر، ثم قال: أنا معاكِ إنها ضعيفة، لكن أوقات الضعيف ممكن يعمل حاجة ما تتوقعيهاش.

وضعت "جيهان" يدها على وجهها وهي تفكر، ثم قالت:

- ممكن. بس حتى لو قلنا الكلام ده في التحقيق، هيشتبهوا فيها. لكن احنا

المتهمين الرئيسيين، وده برضو مش دليل. أنا لازم أروح مكان الجريمة. أكيد هلاقي حاجة.

أخرج "أشرف" هاتفًا صغيرًا من جيبه، وقال:

- تمام. لازم نمشي دلوقتي. ده تليفون بخط جديد ومسجل عليه رقمي. أول ما توصلي هناك، رني عليا. عايز أكون معاكي على الخط وأطمن.

هزت رأسها موافقة وهي تأخذ الهاتف. طلب "فارس" الرقم، فناولته الهاتف فسجل رقمه واتصل على نفسه ثم أعاد الهاتف لها. عندها قالت "جيهان" بمرح طفيف:

ـ إيـــه يـــا دوك، مـــش عـــاوز الـــرقم أنـــت كمان؟

ابتســم "إبــراهيم" مجيبًــا بمــرح: أنــا معايــا صاحبة الرقم. هعمل بالرقم إيه؟

غــادر "أشــرف" و"فــارس"، وبعــد حــديث قصــير مــع "إبــراهيم" عنــد البــاب، عــاد الأخيــر إلــى الــداخل. وجــد "جيهــان" تقــف في الشرفة بحزن، فسألها باهتمام:

ـ مالك؟

تنهــدت "جيهــان" بحــزن، وقالــت: بكــرة عيــد مــيلاد "بســملة". أنــا متأكــدة إنهــا أكتــر واحــدة موجوعــة. هــي عاشــت مــع أفضــل أب وأم فــي الــدنيا، كــانوا بيمنعــوا عنهــا أي حاجــة وحشــة. لمــا اتعرفنــا، كانــت أمهــا حريصــة تعرفنــي عشــان تطمــن عليهــا.

اليـــومين دول "بســـملة" تعبانـــة، وحتـــى مـــش قـــادرة تـــتكلم، لأنهـــا عارفـــة إننـــا كلنـــا تعبنـــا. وده اللـــي خلانـــا أنـــا و"دعـــاء" نعترف على نفسنا عشان هي تخرج.

رفع "إبراهيم" نظره للسماء، وقال:

-صـــداقتكم حلـــوة أوي. أول مـــرة أشـــوف حـــد ممكـــن يخـــاطر بحياتـــه عشـــان صـــحابه. بـــس اطمنـــي... هـــي مســـألة وقـــت، وكـــل حاجة هتعدي. ربنا دايمًا مع المظلوم.

صـــمتت ولـــم تجيـــب وهـــي تنظـــر لســـماء وهمس قلبها برجاء: يارب.

***

"عيد ميلاد الليلة مين؟

عيد ميلاد"بسملة"

أجمل الحلوين

ضحكتها تملأ الدنيا نور

وتفرّح كل القريبين

نور ودعاء ومنار حواليها

فرحتهم لا توصف بيها

جايبين التورتة والهدايا

وبيغنوا أجمل غنايا

عيد ميلاد "بسملة" الحلوة

نغني ونفرح سوا

نتمنى ليها كل أملها

وتعيش أيامها بهنا

يا "بسملة" يا وردة في البستان

عيدك فرحة بكل مكان

ضحكتك أغلى هدية

تعيشي بفرحة طول الزمان

عيد ميلادك يا غالية علينا

نقول "كل سنة وانتي سعيدة"

نورك يشع في كل القلوب

ويزهر أيامك يا أميرة!"

تصاعدت كلمات الأغاني من أفواه الجميع في الزنزانة بعد أن هددتهم "نور"، مدعية بفخر أنها زوجة المقدم "أشرف". شكلوا دائرة في المنتصف، حيث كانت "بسملة"، "نور"، "دعاء"، و"منار" يرقصن احتفالًا بعيد ميلاد العزيزة "بسملة". دموعها امتزجت بالضحكات وهي ترى ما يفعلونه لأجلها.

بدأت "نور" تغني كل أغاني أعياد الميلاد التي تعرفها، وعندما انتهت، عانقت "بسملة" بحب وهي تقول:

-كل سنة وأنتِ طيبة يا "بسو"!

ابتسمت "بسملة" رغم دموعها التي لمعت في عينيها، قبل أن تجذبها "دعاء" إلى أحضانها وهي تهتف بمحبة:

-كل سنة وأنتِ أجمل حاجة في حياتي يا "بسو"!

لكن "نور" أبعدتهما عن بعض بعنف، مظهرة غضبًا مصطنعًا وهي تقول:

-نعم يا أختي، هي أجمل حاجة في حياتك وأنا إيه؟

ضحكت "دعاء" وهي تعانق "نور" بمزاح:

-أنتِ حياتي كلها يا نور!

اقتربت "بسملة" منهما، تختبئ في أحضانهما، وكأنها تريد الهروب من

العـــالم، بينمـــا الثلاثـــة يـــدعون بصـــمت أن تكـــون "جيهـــان" بخيـــر، وأن يعـــود كـــل شيء كما كان.

بعـــد لحظـــات، ابتعـــدوا قلـــيلًا لتقتـــرب "منار" من "بسملة" وتعانقها بمحبة:

-كل سنة وأنتِ طيبة يا "بسملة"!

بادلتها "بسملة" العناق، قائلة بامتنان:

-وأنـــتِ طيبـــة، وألـــف شـــكر علـــى كـــل اللـــي عملتيه عشانا.

ابتســمت "منــار" بخجــل وهــي تــرد: أنــا مــا عملتش حاجة، ده أقل واجب.

عـــادت "نـــور" للغنـــاء والـــرقص، وانضـــمت إليهـــا "منـــار" و"بســـملة"، بينمـــا "دعـــاء" تشـــاركهم الجنـــون بـــين الحـــين والآخـــر.

استمروا طوال الليل بالمرح والضحك، متناسين تمامًا المكان الذي يجمعهم.

***

الساعة الواحدة والنصف صباحًا، ارتدت "جيهان" فستانًا أسود اللون مع حجاب ونقاب سعودي من نفس اللون. كان "أشرف" قد اشترى لها هذه الملابس بناءً على نصيحة "نور"، التي اقترحت هذا الزي ليمنحها حرية الحركة ويخفي هويتها عن الأنظار.

تحركت "جيهان" بهدوء نحو باب الغرفة، أغلقت الباب برفق، ثم ألقت نظرة سريعة يمينًا ويسارًا تبحث عن "إبراهيم"، لكنها لم تجده. شعرت بالارتياح، وحمدت الله أنه نائم، فهي

كانت تعتقد أنها ستضطر لإقناعه بصعوبة لتسمح له بالبقاء. أخذت الهاتف ومفتاح المنزل الذي كانت قد أخذته من السائق، ثم خرجت وأغلقت الباب بهدوء. تنفست بعمق قبل أن تبدأ التحرك.

لكن صوتًا خلفها قطع السكون: اتأخرتي كده ليه؟ أنا افتكرتك نمتي.

كان الصوت صوت "إبراهيم"، الذي كان جالسًا في السيارة وينظر إلى ساعة يده.

تفاجأت من وجوده، واقتربت من السيارة وهي تسأله بتعجب:

-إنت بتعمل إيه هنا؟

رد "إبراهيم" بهدوء: مستنيكي.

أردفت "جيهان" بعصبية:

-وأنا قلت هروح لوحدي!

رد عليها باستنكار: وأنا وافقت؟

هزت رأسها نفيًا وقالت بحزم: إنت متكلمتش أصلاً، يعني معنى كده إنك موافق.

تجاهل مبرراتها وقال بهدوء: ارْكبي طيب، وبعدين نتكلم.

صعدت السيارة وجلست بجواره، تنتظر تفسيرًا. قطع صمتها بقوله وهو يقود السيارة:

-أكيد أنتِ مش غبية عشان تتوقعي إني أسيبك تطلعي من البيت في وقت زي ده لوحدك. لو مش هخاف عليكِ من المكان

اللـــي رايحـــة لـــه، هخـــاف عليـــكِ مـــن الشـــارع وأنتِ ماشية لوحدك. الكلاب مبترحمش.

تنهـــدت بقلـــة حيلـــة وهمســـت: أنـــا مـــش عاوزة حد يتعرض لمشكلة بسببي.

توقـــف بســـيارته بعـــد دقـــائق ونظـــر إليهـــا لثوانٍ قبل أن يقول بجدية:

-اســـــكتي يـــــا "جيهـــــان"، كلامـــــك ده بيزعلني. يلا، انزلي.

نظـــرت إليـــه باســـتغراب وســـألته: هنـــزل ليه؟

رد بهـــدوء وهـــو يهـــبط مـــن الســـيارة: هنـــركن العربيـــة هنـــا. المحـــل فـــي الشـــارع اللـــي ورا ده. أنـــتِ هتمشـــي قـــدامي، وأنـــا وراكِ. لما نوصل، أنا هفتح الباب.

نزلت من السيارة وسارت أمامه بحذر حتى وصلا إلى المحل. تمكن "إبراهيم" من فتح الباب بسهولة باستخدام الطريقة التي علّمها له "أشرف". دخلا معًا، وبدآ في البحث بتركيز في كل زاوية، ولكن مع مرور الوقت، خيم اليأس على "جيهان". جلست على أحد المقاعد بحزن، فحاول "إبراهيم" مواساتها قائلًا:

-ما تيأسيش، أكيد هنلاقي حاجة تبرئكم.

بينما كان يتحدث، وقعت عيناها على شيء أثار انتباهها. نهضت بلهفة، واتجهت إليه وجذبته. تعجب "إبراهيم" مما رآه وسألها باندهاش:

-إيه ده؟

الفصل الرابع والثلاثون

"اللهم طمئن قلبي بما أنت أعلم بِه مني أرحني من أعباء أحملها بمفردي و لستُ أبوح بها وأرزقني الثبات على تقلبات هذه الحياة وأجعلني دائماً تحت ظل رحمتك"

***

في اليوم التالي...

صاح العسكري باسم "بسملة"، يخبرها بوجود أحد يريد زيارتها. تعجبت من الأمر؛ فمنذ نصف ساعة كان والداها هنا، وهي لا تعرف أحدًا غيرهما، فمن الذي جاء لمقابلتها يا ترى؟

تحركت معه بخطوات متثاقلة، بعدما وضع الأصفاد في يديها، لتشعر بالاختناق والعجز. وصلت إلى غرفة

الضـــابط، حيـــث حررهـــا العســـكري مـــن الأصـــفاد، وســـمح لهـــا بالـــدخول. ولجـــت بخطـــوات هادئـــة لتـــرى أحـــدهم يقـــف مُعطيًـــا ظهـــره لهـــا. لكنهـــا لـــم تكـــن بحاجـــة إلـــى أن يســـتدير لتعرفـــه، فقـــد أخبرتهـــا دقـــات قلبهـــا المرتفعة من هو.

اســـتدار بلهفـــة ليراهـــا، فقالـــت هـــي بعصبية:

-إيه اللي جابك هنا؟

كـــان يعلـــم أنهـــا ســـعيدة بوجـــوده، لكـــن كبرياءهـــا يمنعهـــا مـــن الاعتـــراف بـــذلك. وإلا لمـــا رأى بريـــق عينيهـــا يلمـــع كنجـــوم السماء. فرد بهدوء:

-جيت أشوفكِ. استني، اسمعيني قبل ما تتكلمي. أنا قلت لأبوكِ إني جاي أشوفك، وهو عارف إني هنا.

استدارت "بسملة" لتغادر وهي تقول بحدة:

-تمام، أهو شوفتني. سلام.

رد بلهفة قبل أن تخرج: استني يا "بسملة"، دقيقة واحدة بس!

وقفت في مكانها دون أن تستدير، فتحرك ليقف أمامها قائلًا بصدق:

-أقسم لك بالله إني مش بضحك عليك. من أول لحظة شفتك فيها، حياتي اتغيرت للأحسن، وعايز أكمل حياتي معاكي.

نظـرت إليـه بحـدة وردت: هـو أنـت شـايف إن ده مكـان مناسـب عشـان تقـولي كـده؟! بـس ماشـي، أنـا هـرد عليـك. أنـا مـش عـايزاك. أصـلاً ميـنفعش تكـون أنـت الشـخص اللـي عشـت عمـري كلـه محافظـة علـى قلبـي عشـانه. الشـخص اللـي لمـا يجـي يكـون يسـتاهلني، وأنـا أسـتاهله، ويعـرف يقـدر قيمتـي. تفتكـر أنـت الشـخص ده؟

صـمت "تـامر"، ووضـع عينيـه أرضًـا بخجـل مـن أفعالـه السـابقة. ابتسـمت "بسـملة" بسـخرية، تخفـي ألمًـا داخلهـا. قلبهـا الخـائن كـان يؤنبهـا، يخبرهـا أن تعطيـه فرصـة، لكـن عقلهـا كـان أقـوى. صاح عقلها بعنف:

-إن أعطيتـــه فرصـــة، ســـينتهي بـــك الأمـــر متسولة في قارعة الطريق!

قطعـــت حبـــل أفكارهـــا عنـــدما قـــال "تـــامر" بإصرار:

- أنـــا عـــارف إن اللـــي عملتـــه كـــان غلـــط، بـــس عمـــري مـــا هغلـــط تـــاني. صـــحيح، أنتـــي مـــش أول واحـــدة أعرفهـــا، بـــس أقســـم بـــالله إنـــك الأخيـــرة. أنـــا طلبـــت إيـــدك مـــرة تانيـــة مـــن أبـــوكِ، وقـــال لـــي إنـــه هيكلمـــك لمـــا تخلـــص المشـــكلة دي. أنـــا اتغيـــرت عشـــانك، ومســـتعد أعمـــل أي حاجـــة عشـــانك. أنـــا مـــش هســـيبك يـــا "بســـملة"، وهتكـــوني ليـــا غصب عنك وعن الدنيا.

صـــرخت "بســـملة" بغضـــب: إنـــت فـــاكر نفســـك مـــين عشـــان تقـــول كـــده؟ تكـــونش عمرو دياب وأنا مش واخدة بالي!

رد "تامر" بلامبالاة: لأ، تامر حسني.

ظهـرت شـبه ابتسـامة علـى وجههـا، لكنهـا أخفتهـا بسـرعة قبـل أن يراهـا، لكنـه لاحظها بالفعل وقال بابتسامة:

-أنـا رجعـت البلـد عشـانك، ومـش همشـي غيـر وأنتـي مراتـي. براحتـك بقـى. سـلام يـا بسبوسة.

سـألته بفضـول لـم تسـتطع إخفـاءه: إنـت جيت إمتى؟

ابتسـم "تـامر" وهـو يجيـب: مـن يـومين. وجيـت مـن المطـار علـى هنـا عشـان أطمـن عليكي.

سألته مرة أخرى بعدم فهم: وجيت ليه دلوقتي؟

صفع رأسه بخفة بعدما تذكر ما جاء لأجله، ثم أخرج ظرفًا مطويًا باللون الوردي، وضعه على مكتب الضابط، وقال:

- نسيت بسببك. كل سنة وأنتِ طيبة يا بسبوسة، والسنة الجاية إن شاء الله تكوني في بيتي.

تركها وغادر، لتنظر إلى الظرف بتردد قبل أن تجذبه وتفتحه. وجدت سلسلة على شكل رمز إلى ما لا نهاية . ابتسمت بسعادة، غير مصدقة كيف علم بأمنيتها أن تحصل على شيء كهذا. نظرت في

الظـــرف لتجـــد ورقـــة صـــغيرة، جـــذبتها بلهفة وفتحتها لتقرأ ما كُتب بخط يده:

«كـــل عـــام وأنـــتِ بخيـــر يـــا كـــل الخيـــر، أنـــا عـــارف إنـــي مســـتهلكيش بـــس أنـــا هعمـــل المستحيل عشان تكوني ليا »

ضـــاعفت ســـعادتها وهـــي تـــرى تمســـكه بهـــا، وكأنهـــا أســـيرة أُطلـــق ســـراحها. وزادت فرحتهـــا عنـــدما قـــرأت قصـــيدة لشـــاعرها المفضـــل، كانـــت مكتوبـــة فـــي نهايـــة الرسالة.

"لو عايز شئ بشدة ..

إياك تطلق سراحه !

فيه حاجات ياما بغبائنا ..

قولنا نسيبهم فـ راحوا !

لو عايز شئ بشدة ..

اعمل حواليه قوسين !

خلّي عيونك تحاوطه ..

لو حتى يروح لفين !"

***

"في منزل إبراهيم"

كانت "جيهان" تجلس بشرود، تفكر في المعضلة التي وقعت بها. استيقظت من شرودها على صوت "حنان"، التي تجلس برفقتها وتقول:

-مقولتيش يا "جيهان"، حصل إيه امبارح؟

ردت "جيهان" بنبرة ممتلئة بقلة الحيلة:

-محصلش حاجة، دورنا وملقناش حاجة.

ربتت "حنان" على يدها برفق وقالت:

- إن شاء الله هتتحل، متخفيش.

ابتسمت "جيهان" ابتسامة خفيفة وأردفت:

-لو الموضوع يخصني مكنتش زعلت. أنا زعلانة عليهم هما، مش عارفة عاملين إيه؟ يا رب يكونوا بخير.

قالت "حنان" بطمأنينة: متقلقيش، أكيد كويسين. وكمان مش إنتي لسة مكلمة "أشرف" وطمنك عليهم؟

هزت "جيهان" رأسها بهدوء، ثم سألت بخجل:

-هو "إبراهيم" هيجي إمتى؟

ابتسمت "حنان" وردت بما أخبرها به "إبراهيم" قبل أن يذهب إلى المستشفى:

-"إبـــراهيم" عنـــده مناوبـــة فـــي المستشـــفى. وقـــال لـــو احتجتـــي حاجـــة، رنـــي عليـــه، ومتطلعـــيش مـــن البيـــت غيـــر لمـــا تتصـــلي بيه.

تنهـــدت "جيهـــان" وقالـــت بخفـــوت: هـــو هيبات بره البيت بسببي، صح؟

ردت "حنـــان" بصـــدق: هـــو قـــال إنـــه هيقعـــد الفتـــرة دي فـــي المستشـــفى عشـــان تكـــوني علـــى راحتـــك، وهيجـــي كـــل يـــوم يطمـــن علينا ويشوفك لو عايزة حاجة.

صـــدح صـــوت هـــاتف "جيهـــان"، فنظـــرت إلـــى الشاشـــة لتـــرى اســـم الـــدكتور "فـــارس" مـــدونًا عليهـــا. ردت عليـــه بجديـــة بعـــدما ألقى السلام:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا دكتور.

سألها "فارس" عن ما حدث بالأمس، فردت بهدوء:

-للأسف، ملقتش حاجة غير مذكرات المرحوم. ولما قريت اللي مكتوب، عرفت إنه بيكره "علا" وكان مجبور عليها بسبب أبوه. يعني ممكن فعلًا تكون "علا" اللي عملت كدا. بس في حاجة تانية.

تساءل "فارس" بجدية: حاجة إيه؟

قالت "جيهان" بهدوء:

-هو كان بيحب بنت عمه التانية، وهي كمان بتحبه، بس هي مخطوبة. ومن كام يوم، اتخانق مع خطيبها وهدده بالقتل.

فممكن يكون حصل خلاف بينهم تاني، وفي لحظة غضب قتله.

رد "فارس" بأسف: القضية عمالة تتعقد... وبعدين؟

قالت "جيهان" بثبات: أنا من بكرة هراقب "علا". وإن شاء الله نوصل لحاجة، لأن ظهورها في التسجيل دليل إنها أكيد عارفة حاجة ومخبياها.

اعترض "فارس" قائلًا بثبات: مش لازم أنتي اللي ترقبيها. "أشرف" ممكن يبعت حد يراقبها.

نفت اقتراحه بلباقة وقالت: لا، هراقبها أنا. لأن ممكن تحس بالشخص اللي هيبعتوه. وكمان، أنا عايزة أظهر قدامها وأشوف رد فعلها.

حـــاول إقناعهـــا بصـــوته الهـــادئ: لـــو هـــي اللـــي عملـــت كـــده أو تعـــرف اللـــي قتـــل، وشـــافتك، ممكـــن تـــأذيكي وتعرضـــي حياتـــك للخطر.

ردت "جيهـــان" بحـــزن: مـــش هيكـــون أخطر من اللي إحنا فيه يا دكتور.

تحـــدثت معـــه لبضـــع دقـــائق أخـــرى، تخبـــره بخطتهـــا وتطمئنـــه أنهـــا لـــن تعـــرض حياتهـــا للخطـــر. أنهـــت المكالمـــة بعـــدما أوصـــته أن يعتني بـ "دعاء" ويوصل لها سلامها.

***

تحركـــت فـــي الممـــر بلهفـــة وحـــزن علـــى مـــا يحـــدث لصـــغيرتها. أســـوأ مـــا مـــر بخاطرهـــا لـــم يكـــن ليشـــبه هـــذا الواقـــع القاســـي. "هـــل

يُعقل أن تكون ابنتي هنا؟! يا حسرة قلبي عليكِ يا صغيرتي."

هذا ما كان يدور في عقل والدة "نور"، التي توسلت للضابط أن يسمح لها برؤية ابنتها. كان زوجها قد رفض قدومها في البداية، ولكن مع إصرارها وافق على مضض. ها هي الآن تدخل غرفة الضابط، تنتظر ابنتها بفارغ الصبر.

مرت الدقائق كأنها دهور، إلى أن طرق الباب برفق. دخل العسكري ومعه "نور"، مكبلة بالأصفاد. حررها ثم غادر الغرفة، فما كان من والدتها إلا أن جذبتها إلى حضنها في عناق ساحق وكأنها تريد احتواء كل ألمها.

تنحـــنح الضـــابط وهـــو يـــنهض قـــائلاً:

هستنى بره ربع ساعة وجاي.

رد "المهدي" باحترام: اتفضل.

غـــادر الضـــابط، فالتفتـــت والـــدة "نـــور" إلـــى ابنتها، تبكي بحرقة قائلة:

-عاملـــة إيـــه يـــا ضـــي عينـــي؟ يـــا ريتنـــي مكانك وإنتي لأ.

لـــم تســـتطع "نـــور" الصـــمود أمـــام حنـــان والـــدتها، وهـــي التـــي افتقـــدتها بشـــدة. بكـــت بصـــوت مســـموع، متشـــبثة بهـــا كطفلـــة صغيرة:

- وحشـــتيني يـــا مامـــا أوي. بـــالله عليكـــي، خرجيني من هنا. أنا مش قادرة أتحمل.

بكت والدتها بقلة حيلة، واقترب والدها منها، يربت على كتفها بحنو ويقول بقوة:

-أنتِ قوية يا "نور"، متضعفيش. إن شاء الله قريب هتخرجي من هنا، وكل حاجة هتعدي. اصبري.

ابتعدت "نور" عن والدتها واحتضنت والدها بشوق جارف. كانت تفتقدهم جميعًا.

سألت والدتها بحزن عن ابنة أخيها، فردت "نور" بتوتر:

-مـ... مسمحوش غير لواحدة بس إنها تقابلكم.

مر الوقت المخصص بسرعة البرق، وغادر والداها. نظرت "نور" إليهما

بحـــزن وهمـــا يـــرحلان، متعجبـــة مـــن عـــدم دخـــول العســـكري لإعادتهـــا إلـــى الزنزانـــة. وبينمـــا هـــي تخطـــو للخـــارج، ولـــج "أشـــرف" إلـــى الغرفـــة بثبـــات، يقـــول بمشاكسة:

-بتفكري في إيه يا آخر صبري؟

جلســـت "نـــور" علـــى المقعـــد بإعيـــاء واضـــح، ولـــم تجـــب، علـــى غيـــر عادتهـــا. تعجـــب "أشـــرف" مـــن صـــمتها، واقتـــرب منها ليسأل باهتمام:

- مالك يا عمري؟

انهـــارت كـــل حصـــونها، ولـــم تســـتطع الصمود أكثر من ذلك. بكت بحرقة قائلة:

-تعبـــت والله. أنـــا مـــش قـــادرة أتحمـــل. "بســـملة" كـــل شـــوية تقـــول كـــلام يوجـــع

قلبي، وأنا بضحك وهزر عشان متزعلش. بس هي زعلانة أوي، وأنا زعلانة عليها ومش عارفة أعملها إيه. يارتني مقلتلهمش نرجع تاني! "دعاء" و"جيهان" مكنوش عايزين يروحوا، وأنا اللي أصريت. أنا السبب في كل اللي حصل لهم.

انهارت بالبكاء وهي تحمل نفسها فوق طاقتها. كيف تحولت حياتها من الحيرة أمام خزانة الملابس إلى هذه الكارثة؟

جذبها "أشرف" إلى حضنه، يربت على كتفها برفق، تاركًا إياها تبكي حتى تخرج كل ما في قلبها. عندما هدأت قليلًا، أخرجها من حضنه وجلس أمامها،

يمسح دموعها المتساقطة دون توقف قائلاً بحنان:

-اسمعيني يا عمري، اللي حصل نصيب واختبار لينا كلنا. متحمليش نفسك ذنب حاجة مالكيش علاقة بيها. أنا وعدتك إني مستحيل أسيبك. هعمل أي حاجة عشان تخرجي من هنا، بس اتحملي شوية عشان خاطري.

صمت للحظة، وعندما رأى أنها هدأت تمامًا، أضاف بمشاكسة:

- وبعدين، اللي حصل ده خير ليا. كنت فاكر إني متجوز واحد صاحبي، معندوش مشاعر ولا بيحس. بس طلع عندك مشاعر زي البنات أهو، وكل

شـــوية تحضـــنيني... حاجـــة فـــي منتهـــى الحلاوة.

دفشـــته "نـــور" بعنـــف وهـــي تصـــيح باستنكار:

-واحـــد صـــاحبك! كنـــت شـــايفني واحـــد صاحبك يا "أشرف"؟

نهـــض "أشـــرف" معتـــدلًا، يهـــز رأســـه بجديـــة، محـــاولًا كـــتم ضـــحكته. بينمـــا هـــي هتفـــت بغضـــب: وربـــي لوريـــك صـــاحبك ده هيعمل فيك إيه. بس اصبر عليا!

انفجـــر "أشـــرف" ضـــاحكًا، يمـــلأ صـــوته الغرفـــة. تحـــول غضـــبها إلـــى نظـــرات خبـــث، اقتربـــت منـــه فجـــأة، وقبّلتـــه قبلـــة خاطفـــة على وجنته، ثم غمزت بدلع مصطنع:

-باي يا بيبي.

غـــادرت الغرفـــة مـــع العســـكري، تاركـــة "أشـــرف" واقفًـــا فـــي مكانـــه، مصـــدومًا ممـــا فعلته هذه المجنونة.

***

-خليـــك يـــا مـــارس، اتعشَّـــى معنـــا فـــي البيـــت وابقى اطلعوا مرة تانية.

قـــال "تـــامر" الجملـــة محـــاولًا إقنـــاع زوج شـــقيقته بالبقـــاء للعشـــاء معهـــم. ولكـــن "مارس" رد بحرج:

-معلـــش يـــا تـــامر، خليهـــا مـــرة تانيـــة. أنـــا محتـــاج أقعـــد مـــع ديـــالا شـــوية، وهـــي هنـــا بتكـــون مكســـوفة. وكمـــان اليـــومين الجـــايين هكـــون مشـــغول، فمـــش هقـــدر أجـــي أشوفها.

تدخل "كريم" مازحًا: خلاص يا تامر، سيبه براحته. وبالمرة، شوف أختك جهزت الأكل ولا لسه.

ابتسم له "مارس" بامتنان وقال: شكرًا لتفهمك.

رد عليه "كريم" بمرح: أنا لا متفهم ولا نيلة. الحكاية وما فيها إن إيمان هي اللي جهزت الأكل احتفالًا برجوع تامر من السفر، وأنا خايف على أختي لتطلقها لو كلت من أكلها.

نظر إليه "مارس" بتعجب: ليه؟ هي حاطة سم في الأكل ولا إيه؟

ضحك "كريم" على استنتاجه، وقبل أن يرد دخلت "إيمان" وهي تقول بجديّة:

-يلا الأكل جاهز، اتحركوا.

ابتسم "مارس" بخجل وقال: معلش، أنا وديالا هنتعشى بره.

هتفت "إيمان" بغضب:

-نعم يعنيا؟ أنا أقف طول النهار أجهز الأكل وفي الآخر تقولي هتعشوا بره؟!

قال "كريم" بابتسامة: سيبيهم يا إيمان. على الأقل نلاقي حد ينقذنا. أو، لقدر الله، معرفوش ينقذونا يبقى حافظوا على نسل العيلة بدل ما أنتي ناوية تقطعيه.

تدخل "حسني" بهدوء: تعال يا بني، كُل حاجة خفيفة وبعدين روحوا عشان إيمان ما تزعلش.

رد "كريم" بلهفة: إيه يا بابا؟! أنت لو عاوز مارس يطلق ديالا، مش هتقترح الاقتراح ده.

ثم التفت إلى "مارس" وقال مازحًا، مقلدًا شخصية "محي الشرقاوي":

-أنا قولتلك بلاش!

نظر "مارس" إليهم بحيرة، لكنه لم يستطع رفض الدعوة بعدما وجد الجميع ينتظر قراره. أشار لهم بابتسامة هادئة، واتسعت ابتسامته عندما رآها تقترب كالحورية بفستان بني أنيق، يبرز جمالها الفاتن. همس بخفوت، لم يصل سوى إلى "كريم" الجالس بقربه:

-"بسم الله ما شاء الله."

ابتسم "كريم" بحبور، حامدًا الله على وجود هذا الشاب في حياة شقيقته. تحرك الجميع نحو طاولة الطعام،

وجلسوا ينظرون إلى بعضهم بترقب واضح.

مال "مارس" برأسه نحو "ديالا"، التي تجلس بجواره، وهمس بتعجب:

-هما مالهم بصين للأكل كده ليه؟

ضحكت "ديالا" بخفوت قائلة: استنى، هتعرف دلوقتي.

صدح صوت "تامر" بضيق:

-والله يا عمتو، أنتي تعبتي نفسك على الفاضي. أنا مكنتش عامل حسابي أموت النهاردة.

ردت "إيمان" بانزعاج: بطل رغي، ويلا زي العادة ناكل كلنا مع بعض.

تدخل "مارس" بحزم: عيب يا تامر! عمتك تعبت في تجهيز الأكل عشانك.

أقل حاجة تقولها: تسلم إيدك، وتاكل بدل ما تزعل.

ردت "إيمان" بفرحة: ربنا يجبر بخاطرك يا غالي. أنا شكلي هحبك.

قال "تامر" ساخرًا: استنى يا عسل. دوق الأكل الأول وبعدين اتكلم.

أصرت "إيمان" على تناول الجميع الطعام معًا، كما العادة. ولكن ما إن وضعوا أول لقمة في أفواههم حتى بدأ السعال ينتشر بينهم. الكل يسعل ويبصق، ثم يجذب أكواب الماء ليتناولها دفعة واحدة.

اتسعت عينا "إيمان" برعب وقالت: يا رب ما يكونش اللي في بالي!

رد "حسني" بصعوبة، وهو يسعل: ليه يا إيمان؟ حرام عليكي!

قالت "إيمان" بحزن: طب أعمل إيه؟ أنا ماليش في الطبخ.

رد الجميع بصوت واحد: والله إحنا متأكدين! بس يارب أنتي تقتنعي بده.

مسح "مارس" دمعة هاربة من عينه بسبب حرارة الطعام وقال مبتسمًا:

-الأكل حلو... بس حراق شوية.

قال "تامر" ساخرًا وهو يرتشف الماء:

-شوية! ده شويتين تلاتة أربعة! أنتي عايزة تنتقمي مننا ولا إيه؟!

دافعت "إيمان" عن نفسها بلهفة:

-العلبة وقعت بالغلط وأنا بأخد الملح.

افتكرت إنها فاضية، قلبت في الأكل ومخدتش بالي.

لطم "كريم" على وجهه بصدمة وهو يهتف:

-فضيتي علبة الشطة كلها يا إيمان؟ وتقولي بالغلط؟! الله يسامحك يا شيخة! عارفة يا ماما، لو إيمان دخلت المطبخ تاني لتكوني طالق.

ردت "عايدة" بحنق: وتطلقني إزاي يا خويا؟ قول لمراتك الكلام ده، مش لي أنا!

غمز "كريم" لـ"سلمى"، وهو يرسل لها قبلة في الهواء، وقال بابتسامة:

-لأ، سلمى دي العشق. مقدرش أقولها حاجة.

ابتسمت "سلمى" بخجل من فعلته، بينما أضاف "كريم" بخفة ظل وممازحًا والده:

-ها يا بابا، مش أنت اللي أصريت مارس يتعشى معنا؟ هتعشيه إيه بقى؟

***

ضحك "مارس" وهو يجلس مع "ديالا" في أحد المطاعم المطلة على النيل، بينما كانت تقص عليه بحماس إنجازات "إيمان" في المطبخ. قال بصعوبة من شدة الضحك:

-أنا كنت مستغرب إزاي بيكلموها كده، بس والله كتر خيرهم إنهم اتحملوا كل

اللـــي بتقوليـــه ده. بـــس، عارفـــة؟ حســـيت إنها زعلت.

ردت "ديـــالا" بحـــب ودفء تجـــاه عمتهـــا التي تعتبرها أمها الثانية:

-عمتـــو عمرهـــا مـــا زعلـــت مننـــا. هـــي دايمًـــا بتعاملنـــا كأننـــا ولادهـــا، وإحنـــا كلنـــا بنحبهـــا أوي.

ابتســـم "مـــارس" لهـــا وقـــال: ربنـــا يخلـــيكم لبعض. المهم... أنتي عاملة إيه؟

ردت "ديـــالا" بابتســـامة تعلـــو وجههـــا، وفرحة تصل عنان السماء:

-فرحانـــة أوي عشـــان تـــامر رجـــع. كنـــت حاســـة بالـــذنب إنـــه مشـــي بســـببي، بـــس الحمـــد لله، ربنـــا اســـتجاب لـــدعوتي ورجـــع بالسلامة.

قـــال "مـــارس" بنبـــرة يملؤهـــا الحـــب الصادق:

-أنـــا لـــو كنـــت أعـــرف إن وجـــوده هيفرحـــك كده، كنت رجعتهولك من بدري. عارفة؟

تساءلت بخجل: إيه؟

نظـــر إلـــى وجههـــا المحبـــب لقلبـــه وقـــال بصدق:

-مـــن أول لحظـــة شـــفتك فيهـــا، وأنـــا بتمنـــى أكـــون ســـبب فرحتـــك. عـــارف إنـــي مقصـــر معاكي ومش بكلمك كتير بسبب الشغل...

قاطعتـــــه بتعجـــــب: إزاي مقصـــــر؟ أنـــــت بتكلمنـــــي كتيـــــر فـــــي اليـــــوم! مـــــرة تســـــألني صـــليتِ؟ ومـــرة تتأكـــد إنـــي كلـــت، وكـــل شـــوية تبعتلـــي رســـالة تقـــولي عاملـــة إيـــه. يبقـــى إزاي مقصر؟

رد "مـــارس" بإصـــرار: أنـــا حاســـس إنـــي مقصـــر معـــاكي أوي يـــا ســـت البنـــات، بـــس والله الشـــغل هـــو الســـبب. عـــايز أخلـــص بسرعة عشان يجمعنا بيت واحد.

ســـألت "ديـــالا" بهـــدوء: مـــش كنـــت بتقـــول إن أخوك هو اللي هيجهز الشقة"

أجـــاب "مـــارس" بجديـــة: أيـــوة، رغـــم إنـــي مكنـــتش موافـــق فـــي الأول. بـــس رضـــيت لمـــا حســـيت إن فـــارس زعـــل. بـــس خـــدي هنـــا، أنـــتِ شـــايفة الكـــام ثانيـــة اللـــي بكلمـــك فيهم دول يتحسبوا كتير.

ضـــحكت "ديـــالا" بخفـــة علـــى ضـــيقه، فقـــال لها بنبرة مليئة بالحب:

- ضحكتك حلوة زي شروق الشمس بعد المطر. وأنا بحبك أوي على فكرة. ربنا يديمك ليا وميحرمنيش منك.

***

مرت الأيام سريعًا، ولم يتبقَّ سوى أربعة أيام على المحاكمة. دفع ذلك "جيهان" إلى المخاطرة والتسلل إلى منزل المجني عليه، بحثًا عن أي دليل يدين "علا". بعد مراقبتها لها لعدة أيام، لاحظت أنها تلتقي بصديقتها ومعها شخص آخر لم تتعرف عليه. ومن خلال تلك المراقبة، علمت أن جميع أفراد العائلة في المشفى بسبب مرض والدة "علاء".

تحركت "جيهان" بحذر داخل المنزل، تبحث عن غرفته لعلها تجد شيئًا يساهم في كشف الحقيقة. لكنها لم تتوقع أن يأتي أحد إلى المنزل في هذا الوقت. اختبأت خلف أحد الأبواب عندما سمعت صوت خطوات تقترب، فرأت رجلاً يصعد إلى الطابق العلوي. تبعته "جيهان" بحذر شديد حتى رأته يدخل إحدى الغرف.

اقتربت بخطوات خافتة، لتدرك أن هذه هي الغرفة المنشودة، فقد رأته يمسك صورة موضوعة على الكومود ويتحدث إليها بحزن. انتظرت بضع دقائق حتى غادر الغرفة، ثم تنفست الصعداء ورأت أنه هبط إلى الطابق السفلي.

دخلت "جيهان" الغرفة سريعًا وبدأت تبحث بعناية في أرجائها. قلبت الأوراق وفتشت الأدراج، لكنها فجأة تجمدت في مكانها، وتمنت لو أن الأرض تنشق وتبتلعها...

لقد هتف الرجل من خلفها بحدة: أنتِ مين؟ وبتعملي إيه هنا؟!

*****

الفصل الخامس والثلاثون

"أجمل ما قيل في وصف الصديق؟

الصداقة كالمظلّة كلما اشتّد المطر، ازدادت الحاجة لها. صديقتي إذا كنتِ ستعيشِ مئة عام، فإنني أتمنى أن أعيش مئة عام تنقص يوماً واحداً كي لا أضطر للعيش من دونك. الصداقة لا تغيب مثلما تغيب الشمس، الصداقة لا تذوب مثلما يذوب الثلج، الصداقة لا تموت، إلا إذا مات الحب. الصداقة هي الوردة الوحيدة التي لا أشواك فيها."

***

ولجت "جيهان" إلى الغرفة ونظرت حولها بعينين تائقتين، تحاول استغلال كل لحظة لتقرر من أين تبدأ البحث. اقتربت من الفراش ورفعت الوسادة،

لتجد تحتها صورة فتاة بملامح هادئة. لكنها تجمدت مكانها، وكأن الأرض سحبتها إلى أعماقها، حين سمعت صوت رجل خلفها يهتف بحدة:

-أنتِ مين؟ وبتعملي إيه هنا؟

استدارت نحوه بثبات مصطنع وقالت: أنا واحدة جاية تدور على براءتها.

كان الرجل يقف عند الباب، وعلى وجهه علامات الغضب الممزوج بالدهشة. اقترب منها بخطوات ثقيلة وقال:

-إزاي دخلتِ البيت من غير إذن صحابه؟

ردت عليه بثقة تُحسد عليها، وهي ترفع النقاب عن وجهها:

- اسمعني يا عم الحج. أولاً، أنا آسفة على دخولي بيتك بالطريقة دي، بس

والله غصب عني. وثانيًا، أنا واحدة ممكن يتحكم عليها بالإعدام ظلم، ومش بس أنا، في تلاتة غيري.

تأملها الرجل باندهاش، ثم تجهم وجهه وهو يتذكر. نعم، لقد رآها من قبل، أكثر من مرة أثناء التحقيقات. قال بحنق:

-أنتِ واحدة من اللي قتلوا ابني. أنا هبلغ الشرطة حالًا.

تحرك نحو الهاتف، لكنها أسرعت بالكلام بثبات: لو ابنك مكانك، مكنش هيعمل كده.

توقف واستدار نحوها، متسائلًا: تقصدي إيه؟

قالت وهي تقترب منه بحذر: اللي عرفته عن ابنك إنه راجل بجد وعمره ما ظلم

حد. لكن أنت دلوقتي عايز تظلم ناس بريئة.

بدت كلماتها وكأنها اخترقت قلبه. شعر بحزن عميق على فقدانه لسنده الوحيد في الحياة. حاولت مواساته بصدق:

-عارفة إنك موجوع، وربنا يصبر قلبك ويرحمه. بس احنا ملناش ذنب. لو شايف إن عيلتك اتدمرت، ففي أربع عائلات تانية ممكن تدمر ظلم. عارف في واحدة فينا أبوها وأمها خلفوها بعد عذاب، تخيل حضرتك، إحساس أبوها وأمها لو خسروها.

صمتت للحظة عندما وجدته ينظر لها ثم قالت:

- أنا متأكدة انك عايز حق ابنك، وأنا كمان عاوزة أكون حرة واخرج من التهمة دي، فـ ليه متساعدنيش نرجع حق ابنك سوى؟!

تنهد الرجل ثم قال بحزن: حق ابني عندك.

جذبت "جيهان" المصحف الشريف من على الكومود وقالت وهي تضع يدها عليه:

-اقسملك بالله العظيم، إني لا أنا ولا واحدة من اصحابي قتلته، احنا أصلا منعرفش ابنك وده كان أول يوم نشوفه فيه.

صمت الرجل للحظة، يتأمل وجهها الواثق. أخيرًا قال بحذر:

-إنتِ عايزة إيه؟

أجابت بلهفة: سيبني أدور في الأوضة، وكمان أوضة علا.

نظر لها بتوجس قائلًا: علا؟

أجابت بثبات: أنا عارفة إن اللي هقوله ممكن ما تصدقوش، بس دي الحقيقة. علا ليها علاقة باللي قتل علاء ابنك.

صاح بغضب: إنتِ اتجننتِ! بتتهمي خطيبته إنها قتلته؟

-كلامها صح يا عمي.

استدارت "جيهان" بسرعة نحو الصوت. كانت صاحبة الصوت فتاة نحيلة، طويلة القامة، ترتدي ملابس الحداد. وجهها متعب وعيناها مليئتان بالحزن، كأن الخريف أصاب قلبها.

أردف الرجل بغضب: أنتي بتقولي إيه يا "صابرين"؟

تقدمت نحوه وقالت بحزن: أنا مش هسيب حق علاء يا عمي. من كام يوم كنت عند علا عشان مراتك كانت عاوزاها. وقتها سمعتها بتتكلم في التليفون. كانت بتتحسبن على حد وبتقوله إنه السبب، وإنها هتعترف. لكن لما هددها، قالت له إنها مش هتحكي لحد.

نظر الرجل إليها بدهشة، ثم حاول الدفاع عن ابنة شقيقه:

-أكيد سمعتي غلط. وطبيعي تكون زعلانة، علاء كان خطيبها.

صـــرخت؛ "صـــابرين" بجنـــون: هـــي مـــا كـــانتش بتحبـــه! عشـــان تزعـــل عليـــه، وهـــي وافقـــت عليـــه عشـــان تكســـرني! وأنـــت السبب يا عمي هو مكنش عايزها.

انهـــارت باكيـــة، واقتربـــت منهـــا "جيهـــان" لتهـــدئتها. بكـــت بوجـــع علـــى حبيـــب حرمـــت منـــه وهـــو حـــي، ولكنهـــا كانـــت ســـعيدة أنـــه بخيـــر وامـــام عينيهـــا، ولكـــن الآن اخـــذوه منهـــا بـــدون وجـــه حـــق، ربتـــت "جيهـــان" عليهـــا بحنـــو، فاعتـــدلت "صـــابرين" لتحتضن "جيهان" وهي تبكي.

أمـــا هـــو فكـــان يعلـــم أنـــه أخطـــأ بحـــق ابنـــه/ لكـــن لا يعقـــل ان تكـــون ابنـــة أخيـــه مـــن فعلتها؟! ليقول بوجع:

-حقك عليا أنتي وهو أنا عارف إني ظلمتكم بس انا كنت عايز اخلي العيلة كلها مع بعض.

ابتعدت عن "جيهان" وهي تمحي دموعها، لتقول "جيهان" بصوت به غصة بكاء:

-بالله عليك يا عم، سبني ادور على الحقيقة.

بعد لحظات، اعتدلت "صابرين" وقالت لـ"جيهان":

- تعالي دوري في أوضة علا الأول. عشان هي كانت معايا وقالت إنها رايحة تشتري حاجة وراجعه.

قبل أن تتحركا، عادت الفتاة لتضع يد عمها على المصحف قائلة:

-احلف يا عمي إنك مش هتقول لحد دلوقتي. لو لقينا دليل، ما تخفوهش.

تنهد الرجل وأقسم، ثم تبعهم بنظرات مليئة بالشك وهم يتجهون إلى غرفة "علا".

***

قالت "بسملة" بقلق: تفتكروا الكلام اللي قالته "جيهان" لـ دكتور "فارس" يطلعنا من هنا؟

ردت عليها "دعاء" بهدوء: مش كفاية، لأنها كلها استنتاجات ومفيش دليل مادي. ربنا يستر.

أردفت "نور": بس على الأقل يأجل القضية ويعيد التحقيقات تاني.

تحـــدثت "بســـملة" بحـــزن: يأجـــل القضـــية معناه إننا هنفضل هنا كتير.

ردت "نـــور" عليهـــا: أحســـن مـــا يـــتحكم علينا.

قالت "بسملة" بيأس وحزن: أنا تعبت.

اقتربـــت منهـــا "نـــور"، جـــذبتها إلـــى حضـــنها وربتت عليها بحنو بالغ، وهمست:

-اصـــبري يـــا "بســـو". والله هنطلـــع مـــن هنـــا، وكـــل حاجـــة هتعـــدي. وبكـــرة نفتكـــر الأيام دي ونضحك عليها.

بكـــت "بســـملة" بـــين أحضـــان "نـــور" وهـــي تهتف بقهر:

-نضـــحك؟ نضـــحك علـــى إيـــه؟ علـــى الـــذل اللـــي إحنـــا فيـــه؟ ولا علـــى الظلـــم اللـــي اتعرضـــناله؟ بـــدل مـــا نفـــرح إننـــا خلصـــنا

تعلـــيم ونفكـــر فـــي مســـتقبلنا، دلـــوقتي بنفكـــر يا ترى هنطلع من هنا ولا لأ!

شـــاركتها "نـــور" البكـــاء ولـــم تســـتطع التحـــدث. أمـــا "دعـــاء" فقالـــت بقـــوة، بعـــدما رأت انهيـــارهن بطريقـــة حطمـــت قلبهـــا وحاولـــت أن تكـــون قويـــة، إن لـــم يكـــن لأجـــل نفسها، فلأجلهن:

-فـــوقي يـــا "بســـملة"! إحنـــا هنطلـــع. مفـــيش حاجـــة اســـمها ولا. ده اختبـــار لقـــوة صـــبرنا وإيماننـــا بـــالله. إنتـــي معنـــدكيش صـــبر؟ قـــال تعالى:

{وَلَا تَيْأَسُـــوا مِـــنْ رَوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّـــهُ لَا يَيْـــأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}

ربنـــا أخـــرج الميـــاه مـــن الحجـــر وأخـــرج النـــار مـــن الشـــجر الأخضـــر، وقـــادر يخرجنـــا

من هنا. كام مرة وقعنا في مشاكل واتوقعنا إنها متتحلش واتحلت بطريقة غريبة؟ ماتيأسيش يا "بسو". ربنا قال:

{سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا}

{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}.

كلام ربنا ووعده مش كفاية عشان نصبر؟ ثقي في وعد ربك. سيدنا "يوسف" عليه السلام اتسجن، ولما طلع بقى عزيز مصر. متخفيش على مستقبلك. ربنا عالم بيه. فيه آية دايمًا كنتي بتفكرينا بيها لما يحصل حاجة. فاكرها؟

تسألت "بسملة" باستفسار، ثم ردت بخفوت:

-{لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا}.

ربتت عليها "نور" وهي تهمس:

{وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}.

{لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ}.

اصبري يا "بسملة". رب الخير لا يأتي إلا بالخير. خلي عندك يقين بفرج ورحمة ربنا.

زاد بكاء "بسملة" وهي بين أحضان "نور". لتربت "دعاء" عليها وتقول:

-خلاص يا "بسملة"، هانت. استحملي شوية عشان خاطرنا.

ابتعدت "بسملة" عن "نور" وهي تقول ببكاء:

- والله صابرة وراضية، بس أنا أول مرة أتعرض لكل ده.

ردت "نـــور" بهـــدوء: عـــارفين يـــا "بســملة". بــس هنعمــل إيــه؟ مفــيش فــي إيدينا غير إننا ندعي ونقول يارب.

هتفـــت "بســـملة" و"دعـــاء" بإيمـــان: يارب!

تـــدخلت "منـــار" بمـــرح، بعـــدما كانـــت تجلـــس بجـــوارهن وتنصـــت لحـــديثهن باهتمام:

-إيه ده؟ إنتوا طلعتوا نكد أوي يا عيال!

ردت عليهـــا "نـــور" بضـــيق مصـــطنع: عيال في عينك! قوليلي يا باشمحامية.

غمــزت لهــا "منــار" بمشاكســة: أنــا عــايزة أقولك حاجة تانية بس خايفة تزعلي.

رفعـــت "نـــور" حاجبهـــا باستفســـار، لتـــرد "منار" بمزاح: يا رد سجون!

حـــدقت بهـــا "نـــور" بشـــر، فضـــحكت "منـــار" بشـــدة وهـــي تـــنهض، لتـــنهض "نـــور" بـــدورها تريـــد الإمســـاك بهـــا. ركضـــت "منـــار" تحتمـــي بإحـــدى المســـجونات، بينمـــا "نـــور" تلاحقهـــا، وتـــدخلت "دعـــاء" لتهدئـــة "نـــور"، لتقـــول "منـــار" بمشاكســـة: امســـكيها يـــا "دعـــاء".

رد السجون دي!

التفتـــت "دعـــاء" إليهـــا قائلـــة بتهديـــد صريح:

-هسيبها عليكِ.

وبينمـــا الجميـــع يضـــحك، عـــاد الجـــو مليئًـــا بـــالمرح. تناســـوا مؤقتًـــا همـــومهم، وجميـــع مـــن بالزنزانـــة ينظـــر إلـــيهم بتعجـــب. أوقـــات يبكـــون، وأوقـــات يضـــحكون، لكـــنهم دائمًـــا

كانوا واحدًا، مثل جدران الغرفة التي لا يمكن أن يترك أحدها الآخر. إلا أن هذه الغرفة ينقصها جدار غائب، لكنه مقيم دائمًا في قلوبهم: "جيهان"، الجدار الغائب.

«هم من خرقوا قوانين الرياضيات، وجعلوا الأربعة تساوي واحدًا، وسيظلون دائمًا كذلك.»

***

بحثوا في غرفة "علا" ولم يجدوا شيئًا سوى بضع ورقات مدون بها اعتذارات كثيرة. تساءلت "جيهان" بدهشة:

- إيه ده؟ كل ده آسفه؟ هي بتتأسف لمين كده؟

ردت "صابرين" بحزن: أكيد ليه، لأنها ظلمته كتير.

أردفت "جيهان" بنبرة حازمة:

-"صابرين"، كده أنت الوحيدة اللي هتقدري تساعديني. عايزاكي تجيبيلي تلفون "علا" عشان نعرف بتكلم مين ومين الشخص اللي بتقابله دايمًا.

هزت "صابرين" رأسها وقالت بثقة: طب ادیني رقمك عشان لو عرفت حاجة.

أخرجت "جيهان" الهاتف من الحقيبة الصغيرة التي ترتديها ثم وضعته على أذنها وقالت:

-دكتور، أنا هقفل وشوية ونازلة.

رد عليها بلهفة، فهو كان يتابع الحديث باهتمام:

-لا، متقفليش غير لما تكوني قدامي.

أجابتـــــه بهـــــدوء مطمـــــئن: دقيقـــــة والله، ونازلة.

أغلقـــــت معـــــه، فتســـــاءلت "صـــــابرين" باستغراب:

- أنتِ كنتِ بتكلمي حد؟

ابتســـمت "جيهـــان" بحـــب لـــذلك الرجـــل الذي ترك منزله لأجلها وقالت:

-ده خطيبـــي. كـــان معايـــا علـــى الخـــط عشـــان يكـــون مطمـــن عليـــا، عشـــان مرضـــتش أخليه يطلع.

أردفـــت "صـــابرين" بوجـــع: ربنـــا يخلـــيكم لبعض ويبعد عنكم الأنانيين.

أمنـــت "جيهـــان" علـــى دعائهـــا، ثـــم أعطتهـــا الـــرقم، وخفضـــت النقـــاب، وتحركـــت معهـــا

إلـــى بـــاب الخـــروج. قبـــل أن تفـــتح البـــاب، وجدت "علا" تدخل وسألتها باستغراب:

-مين دي يا "صابرين"؟

ردت "صـــابرين" باقتضـــاب وهـــي تبعـــدها عن الباب:

- صاحبتي.

قالت "علا" بلامبالاة: أهلا.

تحركـــت "عـــلا" لـــداخل، وهمســـت "جيهان" بحذر:

-"صـــابرين"، اوعـــي عمـــك يقـــول لـــ "عـــلا" حاجة.

ربتت "صابرين" على يدها لتطمئنها:

-اطمني، طالما حلف مستحيل يقول.

تحركت "جيهان" لترى "إبراهيم" ينتظرها أمام المنزل. وقبل أن تسأل عن سبب وقوفه، قال بعصبية واضحة:

- قفلتي ليه المكالمة؟

ردت عليه بتفهم: كنت هديها الرقم عشان مش حافظة. وبعدين متخفش، أنا كويسة أهو.

سار معها جهة السيارة وقال بقلق: إزاي وثقتي فيها بسرعة كده؟

ردت عليه بثقة: عشان شفت صورتها في أوضة "علاء" الله يرحمه. وبتقول إنها بتحبه وهو بيحبها، يبقى أكيد عايزة تجيب حقه. وبعدين شكلها حزين قوي.

وصـــلا إلـــى الســـيارة، ففـــتح لهـــا البـــاب لـــتجلس، ثـــم اســـتدار إلـــى جهـــة الســـائق وركب، وسأل باهتمام:

-أنتِ كويسة؟

هـــزت رأســـها بـــالنفي وتنهـــدت: لأ، أنـــا زعلانـــة عليهـــا قـــوي. شـــكلها وهـــي بتعـــيط وجـــع قلبـــي. همـــا ليـــه عملـــوا كـــده؟ ليـــه قتلـــوا؟ هـــو عملهـــم إيـــه؟ وحتـــى لـــو عمـــل، مـــين عطـــاهم الحـــق يقتلـــوه؟ همـــا مقتلـــوش شـــخص واحـــد، همـــا قتلـــوا عيلـــة كاملـــة. حسبي الله ونعم الوكيل فيهم.

رد بهـــدوء يواســـيها: ربنـــا يصـــبر قلـــبهم. مع الوقت هينسوا.

نظـرت لــه وقالــت بنبــرة حزينــة: مفـيش حـد بينســى. اللـــي بيمـــوت بياخـــد أرواح اللـــي بيحبوه معاه، فبيسيبهم جسد بلا روح.

تنهّــد بشـــرود، وكأنـــه يتـــذكر: معــك حـــق، مفيش حد بينسى.

ثــم نظــر إليهــا وســأل بتــردد: لــو أنــا مكانــه، كنتِ هتزعلي كده؟

ردت بلهفــة وضــيق: بعــد الشــر عليــك! إيــه اللي بتقوله ده؟

***

"في منزل فارس..."

أتـــى "مـــارس" برفقـــة "ديـــالا" إلـــى منزلـــه بعـدما تصـالح مـع والدتـه، التـي طلبـت منـه أن يستضـــيف زوجتـــه علـــى العشـــاء. جلســوا جميعًــا يتنــاولون الطعــام بصــمت،

إلـــى أن قطعـــت والدتـــه هـــذا الصـــمت عنـــدما سألت "ديالا":

-وأنـــتِ مـــدخلتيش ليـــه امتحانـــات الثانويـــة؟ ولا أنـــتِ مـــن البنـــات اللـــي بتـــروح المدرســـة والجامعـــة عشـــان تـــدور علـــى عـــريس وأول ما تلاقيه تسيب الدراسة؟

نظـــرت "ديـــالا" إلـــى "مـــارس"، الـــذي رد عنها:

-"ديـــالا" مـــش زي حـــد، أنـــا اللـــي طلبـــت منهـــا تأجلهـــا للســـنة الجايـــة، عشـــان الســـنة دي كانت متعبة شوية.

ارتســـمت ابتســـامة ســـاخرة علـــى وجـــه "روبين" وهي تقول:

-وناويـــة تـــدخل الســـنة الجايـــة ولا هيكـــون عندها ظروف؟

رد "مـــارس" بهـــدوء وهـــو يربـــت علـــى يـــد "ديـــالا" التـــي تجلـــس بصـــمت وتنظـــر للأرض:

-هي بدأت في الدروس بتاعتها.

تناولـــت "روبـــين" رشـــفة مـــاء وقالـــت باستهزاء:

-هـــي القطـــة كلـــت لســـانها ولا وكلتـــك المحـــامي بتاعهـــا؟ وبعـــدين شـــكلها كـــده أدبي ومالهاش في التعليم.

أردف "مارس" بثقة وفخر:

-لا يـــا مامـــا، "ديـــالا" بتـــدرس علمـــي رياضـــة، وكانـــت طالعـــة مـــن الأوائـــل فـــي أولى وتانية.

تدخل والده برفق وقال: ربنا يوفقك يا بنتي ويسعدكم في حياتكم اللي جاية ويبعد عنكم الشر.

نظر إلى زوجته وهو يقول جملته الأخيرة، ليخفي "مارس" ابتسامته بعدما رأى نظرات والديه لبعض. ثم قالت "روبين" بنبرة حادة:

- وأنت يا دكتور، معذمتش ليه مراتك ولا هي لسه مطلعتش من السجن؟

هذا هو السبب الذي جعل "روبين" تعود لمنزلها؛ فهي ظنت أن العدالة الإلهية أنقذتها من "دعاء"، تلك التي استولت على قلب وعقل ابنها. وظنت أن الزمن سيجعل ابنها يتركها، فلا يعقل أن يظل مرتبطًا بمجرمة ورد سجون. والآن، أتى

دور تلك المخادعة التي تجلس أمامها متصنعة البراءة.

تذكرت "روبين" شيئًا لتسأل: "منار" من يوم ما سافرت وفونها مغلق، محدش فيكم كلمها؟

توتر "فارس"، ورد "مارس": وأنا كمان حاولت أكلمها، كان مغلق، وبعتلها على الواتس مش بترد.

قال "فارس" بتوتر وكذب: فونها نسيته في أوضتها وجابت فون جديد ورنت عليا عشان تطمنكم. هي مش حافظة غير رقمي.

أردف "مارس" بتعجب: مش معقول! إزاي نسيت رقمي؟ دي حافظة رقمي

القـــومي. غريبـــة. طـــب ابعتلـــي الـــرقم أو خليها ترن عليا، عشان عايزها.

هـــز "فـــارس" رأســـه ولـــم يجـــب. لاحـــظ والـــده تغيّـــر حالتـــه، لكنـــه لـــم يســـأله بوجـــودهم، وقـــرر أن ينتظـــر حتـــى تنتهـــي الجلسة ليجلس معه على انفراد.

همـــس "مـــارس" لـــ "ديـــالا": حقـــك عليـــا مـــن أي كلمـــة قالتهـــا وزعلتـــك. متـــزعليش منها عشان خاطري.

ابتسمت له برقة وقالت بهمس مماثل:

- أنـــا مـــزعلتش منهـــا، وحتـــى لـــو زعلـــت، بعد كلامك ده زعلي اختفى.

غمـــز لهـــا وقـــال بخفـــوت: أقولـــك مامـــا اســـمها إيـــه بـــس متضـــحكيش، لحســـن تطردنا من البيت.

ضحكت بخفوت وأشارت له برأسها أن يتحدث وهي تضع يدها على فمها. قال هو بخفوت وهو ينظر إلى والدته:

-اسمها "روحية"، بس برستيجها شاف إن الاسم ده بيئة، عشان كده غيرته وبقى "روبين". بس لو عرفت إنك عرفتي، هتقوم قيامتي وهتترملي بدري.

انفلتت منها ضحكة خافتة على نبرته الحزينة المتأثرة بما يقول. ابتسم وهو يجذب يدها ويقبلها، ولم يهتم بوجودهم، فسعادته بضحكتها تساوي الدنيا.

***

في اليوم التالي، اتصلت "صابرين" بـ "جيهان" وأخبرتها أن هاتف "علا" معها، لكن لم تستطع فتحه لأنه مغلق

بكلمة سر، فطلبت منها أن يتقابلا ومعها الهاتف. وافقت "جيهان" لأن "علا" فقدت الوعي، وعندما طلبوا لها الطبيب، أعطاها حقنة مهدئة ولن تفوق إلا بعد ساعات.

أغلقت معها، وبعد تفكير، تذكرت "جيهان" حديث "ديالا" عن شقيقها وأنه يستطيع فتح أي هاتف ويمكنه اختراقه من هاتفه، فقامت بالاتصال بـ "فارس" وأخبرته أنها تريد رقم "تامر". ولحسن الحظ كان معه، ولكنه تساءل لما تريده. فأخبرته ما حدث، وعندما أرسل الرقم، اتصلت به وأخبرته أنها تريد مقابلته ضروري بعدما عرفته على نفسها. ورغم تعجبه أنها خارج

الحبس، لكنه وافق وقال إنه سيأتي فوراً.

وبعد مرور ساعة، جلسوا الشباب ومعهم "جيهان" ينتظرون "صابرين". ولم ينتظروا كثيراً، فقد أتت "صابرين" بعد دقائق قليلة، لتنهض "جيهان" وتصافحها وتقوم بتعريفها على الشباب، إشارة إلى "أشرف" وقالت: ده المقدم "أشرف"، جوز "نوره"، بنت عمتي، واحدة من المتهمين في القضية.

وأشارت إلى "فارس": وده الدكتور "فارس"، جوز "دعاء" صاحبتي ومتهمة زيينا.

وأشارت إلى "إبراهيم": ده الدكتور "إبراهيم"، خطيبي.

وأشـــارت إلـــى "تـــامر": وده البشـــمهندس "تامر".

تمنـــى "تـــامر" أن تقـــول "خطيـــب" صـــديقتي، ولكنهـــا لـــم تفعـــل. جلســـوا جميعـــاً لتقول "صابرين":

- ده التلفـــون حاولـــت أفتحـــه بـــس معرفتش.

قال "تامر" بجدية: هاتيه لو سمحتي.

ناولتـــه الهـــاتف، وبعـــد خمـــس دقـــائق ابتســـم وهو يقول:

-اتفتح.

هتفـــت "جيهـــان" بفرحـــة: بجـــد والله بسرعة كده؟

ابتسم لها وهو يقول: خدي شوفي.

جذبت منه الهاتف وقامت بفتح تطبيق "الواتس آب" لتجد أن آخر شخص تحدثت معه مسجل بـ "My Love".

دخلت المحادثة لتقرأها بصمت فعلمت أنه حبيبها، ولكن منذ موت "علاء" بينهما مشاكل وحديث مبهم، ولكن يوحي أنهم من فعلوها.

ومحادثة بينها وبين صديقتها، وعندما فتحتها، رأت أن صديقتها تقوم بتهديدها. أغلقت التطبيق وفتحت سجل المكالمات فرأت أن صديقتها تحدثها باستمرار، وهناك رقم آخر غير مسجل فظنت أنه رقم آخر لحبيبها. تنهدت براحة وهي تقول: الحمد لله على كل حال.

تسأل "أشرف": عرفتي إيه؟

ردت عليه وهي تقوم بالتقاط شاشة للمكالمات ومحادثات الواتس:

-بتكلم واحد عن اللي حصل بطريقة غير مباشرة، بس كل كلامهم يثبت إنهم اللي قتلوه.

أستفسر "فارس": أنتي بتعملي إيه كده؟

أجابت بجدية: بعمل اسكرين شوت للحاجات المهمة وهبعتهم لدكتور عشان عايزة كل الأدلة تكون معايا لما أسلم نفسي.

ثم نظرت إلى "إبراهيم" وقالت: ممكن التلفون يا دكتور؟

أعطاه لها على الفور فقامت بإرسال كل الاسكرينات التي التقطتها ومحتهم من

هـــاتف "عـــلا" لكـــي لا تعلـــم، ثـــم قالـــت لـــ "تامر":

-باشـــمهندس، "ديـــالا" قالـــت لـــي أنـــك تقـــدر تـــربط جهـــازين بـــبعض بحيـــث أي حاجـــة تحصل في ده توصل للتاني.

رد "تـــامر" بجديـــة: أيـــوة أقـــدر، عـــايزة تعملي إيه؟

ناولته هاتف "إبراهيم" و"علا" وقالت:

-عـــايزة أتـــابع كـــل حـــرف بتكتبـــه "عـــلا" على تلفونها.

أخـــذ منهـــا الهواتـــف ثـــم قـــام بتوصـــيلهم بـــبعض، وبعـــد دقـــائق، أعطاهـــا هـــاتف "إبراهيم" وقال:

-كـــده تمـــام. افتحـــي الـــواتس عنـــدك هتلاقـــي حســـــابها هيـــــا. هبعـــــت رســـــالة لنفســـــي وشوفي هتظهر عندك ولا لأ.

قـــــام بإرســـــال الرســـــالة فوصـــــلت لهاتفـــــه وهاتف "إبراهيم". ابتسمت بفرحة:

-ألـــف شـــكر يـــا هندســـة. مـــش عارفـــة بجـــد أقولك إيه.

زجرها "إبراهيم" بنظراته، ثم تسأل:

-بتفكري في إيه؟ وليه وصلتيهم ببعض؟

ردت عليـــه وهـــي تنظـــر إلـــى "صـــابرين" الصامتة منذ جاءت:

-هقـــولكم بـــس مـــش دلـــوقتي. دلـــوقتي عـــايزة أطلـــب مـــن "صـــابرين" وكـــابتن "أشرف" حاجة.

نظر لها "أشرف" باهتمام: حاجة إيه؟

أردفت بجدية: "صابرين"، بكرة عايزكي تطلعي أنتي و"علا" تروحوا أي مكان، وياريت لو مكان في زحمة. وكابتن "أشرف"، أنت أكيد عارف ناس كتير حرامية، فعايزة واحد يسرق شنطة "علا" وهي ماشية مع "صابرين"، وياريت يا "صابرين" يكون التلفون في الشنطة عشان متشكش في حاجة.

-أنا كده مش فاهم، التلفون معك وخدتي منه كل حاجة، ليه عايزة يتسرق؟

هذا ما تفوه به "أشرف" بضيق، لترد بهدوء:

-هشرحلكم أنا بفكر في إيه، بس الأول "صابرين"، هتقدري تطلعيها ولا إيه؟

ردت عليها "صابرين" بشِرّ وغضب من الحقيرة ابنة عمها:

-أكيد، وهبعتلك رسالة أول ما أطلع من البيت.

أخبرتهم "جيهان" خطتها وشاركها بها "فارس"، فهو عدل لها الخطة لكي تنجح وتنتهي هذه المعاناة.

***

مرت الأيام بسرعة البرق، وأتى اليوم الذي انتظره الجميع بخوف وقلق ينهش قلوبهم. اليوم يوم جلسة المحاكمة، والجميع موجود عدا "إبراهيم" و"جيهان".

وقفوا الفتيات بثبات خلف القضبان، وكل منهن تقف أمامها عائلتها ينظرون

إليهن بحزن ويتحدثون بكلمات داعمة لكي يطمئنوا، ولكن الفتيات، كل منهن في عالم آخر، لم يستمعوا لهم. فتيات صغيرات في بداية عمرهن يتعرضن لكارثة مثل هذه، كان الله في العون.

صمت الجميع وعاد الكل يقف مكانه عندما ولج الثلاثة قضاة خلف بعض إلى القاعة. فتحدث كاتب المحكمة قائلاً بصوت جهوري:

-محكمة.

وبعدها جلسوا لتبدأ الجلسة، ليهمس "أشرف" إلى "فارس" الذي يجلس بجواره بقلق:

-متعرفش "جيهان" راحت فين؟

رد عليه بحزن حاول إخفاءه: بعد الخطة اللي عملتها وفشلت وطلع الواد مسافر، وهي قافلة التليفون، ولما كلمت "إبراهيم" قال إنها مش هتسلم نفسها غير لما تجيب دليل براءتهم.

قال "أشرف": أنا قلت للمحامي يطلب تأجيل لأن الأدلة اللي معانا مش كافية.

رد "فارس" بثبات: أنا كلمت المحامين قبل ما ندخل وقلتلهم متأجلوش.

تسأل "أشرف" بتعجب: ليه؟

لم يستطع أن يرد عليه بسبب بداية الجلسة، أنصت الجميع بتركيز لدفاع المحامي. وبعد انتهائه، جلس، لتقول "نور" بصوت عالي:

-لو سمحت يا سيادة القاضي، أنا عايزة أتكلم.

سمح لها بالحديث لتقول: الرسول ﷺ قال: "أن يُخطِئ الإمام في العفوِ، خيرٌ من أن يُخطِئَ في العقوبةِ". وسيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال:

"لان يفلت ألف مجرم من العقاب خير من أن يُدان بريء واحد".

واحنا مش بريء واحد، احنا أربعة متهمين ظلم. يمكن الأدلة كلها ضدنا، بس الحكومة مش بتشوف شغلها كويس، استكفت باللي قدامها ومهماش إذا كان الشخص ده مظلوم ولا لأ. احنا أول مرة نشوفه، معقول نقتله من غير سبب؟ صح، السكين عليها بصمات

"جيهان" و"بسملة"، بس إيه الدافع اللي يخليهم يقتلوه؟ مفيش، لأن احنا ما نعرفوش وهو ما عملناش حاجة.

أخذت نفساً عميقاً وقالت: يا سيادة القاضي، المتهم الحقيقي بره واحنا بنتحاسب على ذنب ما ارتكبناهش. عشان كده، أنا بطلب تأجيل الحكم.

تشاور القاضي مع القضاة ثم قال: تأجل القـ....

-استنى يا سيادة القاضي.

ولجت لداخل بلهفة، فنظر لها الجميع بصدمة من وجود نسختين من "جيهان". أما من يعرف، كان يشعر بالراحة، لكن القاضي ظن أنها شقيقتها، لذلك قال:

-أنتي مين؟

تحركت بسرعة ووقفت في الأمام وهي تقول بثبات:

-أنا "جيهان عثمان"، واحدة من المتهمين في جريمة قتل "علاء حسين".

صُعِقَ الجميع مما قالت، ونظروا لمن تقبع خلف القضبان بعدم فهم.

****

الفصل السادس والثلاثون

من أجمل رسائل الحب:

مـــن الأديـــب الرّافعـــي إلـــى الأديبـــة مـــيّ زيادة:

لـــو رأيتينـــي، وأنـــا أقـــرأُ رســـائلِكِ لرأيـــتِ أنكِـــ لا تكتبـــينّ لـــي كلامًـــا.. بـــل تـــزرعينّ فـــي الورقِ زَهر أنفاسِكِ فيأتيني فأقرأهُ..

***

-استنى يا سيادة القاضي.

ولجـــت لـــداخل بلهفـــة، فنظـــر لهـــا الجميـــع بصـــدمة مـــن وجـــود نســـختين مـــن "جيهـــان". أمـــا مـــن يعـــرف، كـــان يشـــعر بالراحـــة، لكـــن القاضـــي ظـــن أنهـــا شـــقيقتها، لذلك قال:

- أنتي مين؟

تحركت بسرعة ووقفت في الأمام، وهي تقول بثبات:

-أنا "جيهان عثمان"، واحدة من المتهمين في جريمة قتل "علاء حسين".

صُعِقَ الجميع مما قالت، ونظروا لمن تقبع خلف القضبان بعدم فهم. لتنظر "جيهان" إلى "منار" التي رفعت الماسك من على وجهها، ليحدق بها "مارس" بصدمة، ثم نظر إلى "فارس" الذي أخفض نظره بحرج من أخيه، لتقول "جيهان" بجدية:

-إحنا اتعودنا إننا نقدس الصداقة اللي بينا ونحمي بعض حتى لو هنعرض حياتنا للخطر، و'منار' صحبتي ضحت

بنفسها وقبلت إنها تتحبس مكاني عشان أقدر أهرب وأدور على دليل براءتي. فهي مالهاش دعوة باللي أنا عملته، ولو في عقاب لازم يتنفذ، يبقى يتنفذ عليا لأن مفيش حد فيهم يعرف إني هربت.

أردفت "بسملة" بصوت عالٍ: كدابة يا سيادة القاضي، كلنا عارفين، ولو فيه عقاب يبقى نتحمله كلنا.

زجرتها "جيهان" بحدة، وهي تهتف:

-متخليش حد فيهم يقاطعني يا سيادة القاضي، أنا جايّة أسلم نفسي وقابلة بأي عقاب.

تدخل محامي الخصم قائلاً: اعتراض عدالتكم، هذه المتهمة احتالت على الشرطة وقامت بالهروب.

وقف محامي الدفاع قائلاً: أرجو من عدالة المحكمة أن تسمح لموكلتي بالحديث.

قال القاضي: اعتراضك مرفوض.

وأشار لـ "جيهان" أن تتحدث، لتقول بجدية:

-يا سيادة القاضي، إحنا كنا رايحين نشتري لبس التخرج، ولما دخلنا لقينا زميلتنا "علا" في بين خلافات فتخنقنا ومشينا. وبعديها رجعنا تاني، ولما دخلنا المحل لقينا "علاء" مقتول. ولما شوفته بيتوجع، قربت منه وشلت السكينة من بطنه، ولأني من الصدمة مكنتش في وعيي عطيتها لـ "بسملة"، وده سبب وجود البصمات على سلاح الجريمة.

وفي الوقت اللي قربت منه، سمعته بيقول اسم "علا". وقتها بسبب الصدمة مركزتش. وبعدها طلعنا من المحل وإحنا خايفين، والكاميرات اللي في الشارع جابتنا وإحنا بنمشي بسرعة، وده الدليل التاني اللي بسببه بقينا المتهمين في الجريمة.

أخذت نفساً لتهدأ، ثم قالت: بس أنا معايا دليل براءتنا.

قدمت للقاضي ملفاً به ورقاً وقالت: دي اسكرينات أنا أخدتها من تليفون "علا" وطبعتهم. دي محادثات بينها وبين صاحبتها وحبيبها بيتكلموا فيها إنهم اللي قتلوا "علاء".

وقفت "علا" تقول بزعر وخوف بلغ منها مبلغاً:

-يا سيادة القاضي، أنا تليفوني ضاع، وعيلتي كلها عارفة.

ردت "جيهان" بثبات: فعلاً يا سيادة القاضي، لأن تليفونها معايا.

وأخرجت الهاتف وفتحته على المحادثة، وقدمته للقاضي وقالت:

-"دلوقتي ممكن يتقال إني أنا اللي كنت بكلم المجرم، بس لو حضرتك بصيت على التاريخ هتلاقي إن المحادثات بتاريخ قديم قبل ما يضيع تليفونها. بس خلينا مثلاً نقول إني ذكية وعدلت المحادثة وإن كله مزور، بس أكيد مش هقدر أزور صوتها.

(وقامت بتشغيل تسجيل صوتي لـ "علا" وهي تقول:

- "حسبي الله ونعم الوكيل فيك ياخي، بسببك ابن عمي مات وكمان بتهددني.")

ظهرت ابتسامة على وجه الفتيات، و"أشرف" و"فارس" نطقا بخفوت:

-الحمد لله.

أما "إبراهيم" فكان ينصت لها بفخر وحب خالص، لتقول "جيهان" بثبات وقوة وهي تفتح هاتف "إبراهيم" على معرض الصور:

-ده مش بس الدليل. في أدلة تانية، الصور دي أنا صورتهالها وهي قاعدة

معهم، "نرمين" صاحبتها، والشخص القاتل، واللي هو "أحمد محي".

رد محامي الخصم: وجودها مع أصحابها في مكان عام مش دليل إنهم اللي قتلوا.

نظرت للمحامي وقالت: معك حق، بس يا ترى كانوا بيقولوا إيه؟

صمتت وعبثت في الهاتف لثوانٍ، ثم قامت بتشغيل فيديو وهتفت:

-الفيديو ده متصور من ساعتين.

(في الفيديو كانت تجلس "علا" برفقة "نرمين" وحبيبها يتشاجرون، إلى أن أتت "جيهان" وقامت باستفزازهم ببرود ليعترف "أحمد" بالحقيقة ويهدد "جيهان" صراحةً.)

قـــال محـــامي الخصـــم: الفيـــديو ده ملـــوش قيمة لأنه بدون إذن نيابة.

اتســـعت ابتســـامة "جيهـــان" وهـــي تهتـــف ببـــرود أثنـــاء تحركهـــا جهـــة القاضـــي لتعطيـــه إذن النيابة:

-أمال أنا اتأخرت ليه لحد دلوقتي؟

عانقـــت "دعـــاء" "بســـملة" و"نـــور" بفرحة ليس لها حدود، لتقول "جيهان":

-قاعـــد دليـــل واحـــد، بطلـــب مـــن ســـيادتك تسمح للشاهدة 'صابرين حافظ'.

ســـمح لهـــا بـــذلك، لتـــنهض "صـــابرين" وتقـــف فـــي منصـــة الشـــهود وتضـــع يـــدها على كتاب الله وتقول:

-أقســـم بـــالله العظـــيم أن أقـــول الحقيقـــة ولا شيء غير الحقيقة.

وقفت "جيهان" أمامها وهي تقول: احكي لنا يا 'صابرين' حالة 'علا' من يوم ما مات 'علاء'، وإيه اللي شوفتيه واللي سمعتيه؟

أردفت "صابرين" بهدوء رغم نبرتها الحزينة:

-'علا" بنت عمي، ومن يوم ما مات 'علاء' وهي متغيرة، دايماً خايفة ومتوترة ومش بتكلم حد. وكمان كنت رايحة أنادم عليها مرة وسمعتها بتكلم حد وبتتحسبن فيه، والنهاردة الصبح سمعتها بتتكلم في التليفون فسجلت لها.

وقامت بتشغيل التسجيل ليصدح صوت "علا" وهي تقول:

-"أنا مليش دعوة، أنت اللي ضربته بالسكين، و"نرمين" هي اللي مسحت الأدلة.... صمتت للحظات، ثم قالت: مش بسببي، أنت اللي اتعصبت وضربتوا."

انتهى التسجيل لتقول "جيهان": شكراً يا "صابرين". كده أنا ما عنديش حاجة تانية أقولها. كده يا سيادة القاضي، عرفت إني مهربتش عشان عايزة أهرب، أنا هربت عشان كان لازم أهرب وأدور على براءتي بنفسي.

صمتت وصمت من في القاعة، ينتظر اللحظة الحاسمة، ليقول القاضي بعد دقائق من المشاورة:

-بعد الاطلاع على كافة الأوراق والمستندات في قضية رقم ***، قررنا

نحن إلقاء القبض على المتهمين "أحمد محي" و"علا حامد"، و"نرمين السيد" لإعادة التحقيق في القضية.

وبراءة المتهمات "بسملة علي"، و"نور المهدي"، و"دعاء مصطفى"، و"جيهان عثمان" من التهمة المنسوبة إليهن، ويفرج عنهن إن لم يكنّ مطلوبات على ذمة قضايا أخرى.

حمدوا الله بصوت مسموع، ولكن انتظروا بترقب وخوف أن تعاقب "جيهان" بسبب هروبها، ليقول القاضي:

-ويحكم على المتهمة "جيهان عثمان" بغرامة مالية قدرها ****.

أطلقت "نور" صوتًا صاخبًا "زغرودة" بسعادة بالغة، وحمدت الله كثيراً.

غادر القضاة لتقترب "صابرين" من "علا" وتصفعها على وجهها بكل قوتها وهي تهتف بقهر:

-ربنا ينتقم منك زي ما حرمتيني منه.

وبصقت في وجهها، واقتربت من "جيهان" وعانقتها، ثم غادرت. وغادر الجميع منهم حزين ويشعر بالهزيمة، ومنهم سعيد كسعادة الأطفال ليلة العيد.

وتم القبض على "علا"، ووضعت الأصفاد في يد "جيهان" ليتم خروجها من النيابة العامة، وأثناء خروجها بحثت عنه بعينيها فوجدته يبتسم لها. أبتسمت له وغادرت.

احتضـــن "إبـــراهيم" "أشـــرف"، واحتضـــن "فارس" أخيه الذي تساءل بحدة:

-أنت حبست أختك عشان مراتك؟

ابتعـــد "فـــارس" عنـــه وقـــال متفهمًـــا ســـبب غضبه:

-أنـــا مـــا حبســـتش أختـــي عشـــان مراتـــي، أختـــي عملـــت كـــده عشـــان صـــاحبتها.

"منـــار" لمـــا عرفـــت، جـــات تشـــوفهم مـــن غيـــر مـــا تقـــول لحـــد، ووقتهـــا ســـمعت الخطـــة اللـــي كـــان "أشـــرف" عاملهـــا عشـــان "جيهـــان" تهـــرب. راحـــت "منـــار" ودخلـــت وقالـــت إنهـــا تكـــون مكـــان "جيهـــان". ولأن طـــولهم واحـــد، أنـــا مـــا كنـــتش موافـــق، بـــس هي اللي أصرت.

قال "مارس" بنبرة أهدأ من السابق: أنت عارف لو ماما وبابا عرفوا هيحصل إيه؟

رد "فارس" بهدوء: بابا عارف، لكن أوعى تقول لماما.

تعجب "مارس" من معرفة والده أن شقيقته مسجونة مكان رفيقتها، لكنه لم يتحدث لكي لا يزعج شقيقه الذي تلمع عيونه كالنجوم.

وعلى بُعد بسيط منهم، سجد "تامر" لله بعدما نطق القاضي بالحكم، ولم يهتم بوجود أحد، وحمد الله أن معشوقته تمت تبرئتها. وقد لاحظت "بسملة" فعلته تلك وخفق قلبها بجنون.

خـرج الجميـع؛ مـنهم مـن عـاد إلـى منزلـه، ومـنهم مـن ذهـب إلـى المركـز ينتظـر خروج الفتيات.

مـرت أكثـر مـن خمسـة سـاعات، ودفـع "أشـرف" الغرامـة، رغـم أن "إبـراهيم" و"عثمـان" أرادا دفعهـا، لكنـه اعتـرض وقـام هـو بـدفعها. خرجـت الفتيـات خلـف بعـض، وأول خطـوة خطوهـا خـارج المركـز عـانقوا بعضًـا بفرحـة كبـرى، وصـدحت ضـحكاتهم بعـدم تصـديق، كـأنهم لم يصدقوا أنهم خرجوا من ذاك المكان.

ابتعدوا عن بعض لتقول "دعاء":

-شـوفتوا بقـى؟ أهـي عـدت علـى خيـر. يـلا اشـكروني إنـي اختـرت "جيهـان" عشـان تهرب.

ردت "جيهان" بزهو: شفتوني يا عيال وأنا بدافع عنكم؟ أنا كده بقيت محامية رسمي فهمي نظمي.

هتفت "بسملة" بمرح: أيوة يا بنت يا جيجي، كنتِ جامدة.

تساءلت "نور": "أشرف" قال إن الواد اللي قتل سافر. صورتيهم إزاي؟

شردت "جيهان" فيما حدث.

Flashback

كانت تجلس بحزن وبجوارها تجلس "حنان"، التي اتصلت بأخيها تخبره أن "جيهان" حزينة بشدة وترفض تناول الطعام ولا تتحدث، فأخبرها أنه سيأتي. وبعد مرور ساعة أتى وجلس أمامها يتساءل بحنان:

-عاملة في نفسك كده ليه يا "جيهان"؟

رفعت رأسها له وقالت بحزن:

-كل حاجة انتهت. هو سافر، وإحنا هنتحمل جريمته، وبعد كام ساعة هيتحكم علينا.

رد بهدوء: تفتكري إن ده ممكن يحصل وأنا موجود؟

نظرت له بتساؤل ليقول وهو ينهض:

-البت "حنان" من امبارح ترن عليا عشان عاوزه بيتزا، فأنا جبت لينا معها. يلا نأكل، وبعدين هقولك.

ورغم أنها لم تكن تشتهي تناول شيء، لكنها رضخت له أمام إصراره. وبعد الأكل قال:

-إحنا عرفنا إنه سافر من الرسالة اللي بعتها لها. ليه صدقتِ ولغيتي كل حاجة؟

ردت بيأس: لأن كل حاجة مترتبة على وجوده. طالما هو مش هنا، يبقى خلاص.

تساءل: وليه ما يكونش بيكدب عليها؟

نظرت له بتساؤل ليقول: هو فعلًا بيكدب عليها. المهم، أنا خليت "حنان" تكلم "صابرين" من تليفونك وتقولها إنها تطلع مع "علا". وبعدها كلمت الشخص اللي كان متفق معاه "أشرف"، وقلت له يروح يسرق الشنطة من المكان اللي قالت عليه "صابرين". وبعدها خليت "تامر" يفتح التليفون بتاع "علا" ويبعت له رسالة يهدده فيها إنه ما جاش

في المكان ده بعد ساعتين، هيبلغ الشرطة. بعد ثواني رد وقال لها ماشي. و"تامر" بعت رسالة لصاحبتها وقالها تيجي تقابلها، والتانية وافقت. وأنا قبل ما أجي كلمت "صابرين" وقلت لها تاخد "علا" على المطعم بحجة إنها تعبت وعايزة تأكل، وبعدين تسيبها وتمشي. ودلوقتي قومي البسي عشان الخطوة الأخيرة لازم تعمليها أنتِ.

نظرت له بامتنان وكادت أن تتحدث، لكنه قال:

- سيبك من شكرًا والكلام الفاضي بتاعك. يلا عشان ما نتأخرش.

وبالفعل تحركوا اتجاه المطعم ووقف "إبراهيم" على مقربة منهم لكي

يســـــــتطيع أن يصـــــــورهم. وتحركـــــــت "جيهـــان" اتجـــاه موضـــع جلوســـهم، وبعـــد مناقشـــات حـــادة اعتـــرف الفتـــى بالحقيقـــة، وهـــو يســـخر مـــن "جيهـــان" وقـــام بتهديـــدها أنـــه إن تجـــرأت ونطقـــت اســـمه ســـتكون نهايتها.

Back

تســـاءلت "بســـملة": طـــب ليـــه اتـــأخرتوا كده؟ "علا" موجودة من أول الجلسة.

ردت "جيهـــان": عشـــان كـــان لازم ناخـــد إذن نيابـــة عشـــان تســـجيل الفيـــديو. واتصـــلنا بـــ"أشرف" مـــا كـــانش بيـــرد، والـــدكتور "فـــارس" تليفونـــه مقفـــول، فحـــاول "إبـــراهيم" وكلـــم كـــذا حـــد لغايـــة مـــا قدر يجيبه، وبعدها جيت على طول.

نظـــرت "جيهـــان" لـــ "منـــار" بامتنـــان واردفت ببسمة:

-مـــش عارفـــة أقولـــك إيـــه؟ لأن مفـــيش كـــلام يعبـــر عـــن اللـــي عملتيـــه، الـــف شـــكر بجـــد، أنتـــي أجـــدع صـــاحبه فـــي الـــدنيا، ومحظـــوظ اللي في حياته واحدة زيك.

عانقتهـــا "منـــار" بحـــب وقالـــت بمـــرح: مفيش شكر بين الصحاب يا عسلية.

وكـــذلك أقتربـــت مـــنهن الفتيـــات وتعـــانقوا بحـــب وهـــم يشـــكرون "منـــار" علـــى مـــا فعلت.

أردف "أشـــرف" حينمـــا وجـــدهم لـــن يصمتوا ولم يتحركوا من أمام المركز:

- يـــلا نـــروح. أنـــتم أكيـــد تعبـــانين ومحتـــاجين ترتاحوا شوية، وبعدين اتكلموا براحتكم.

وافقوا جميعًا وصعدت "بسملة" سيارة والدها بعدما ودعتهم، ثم صعدت "دعاء" سيارة "فارس" وجلس والدها في الأمام وهي في الخلف وقاد "فارس" السيارة. وصعدت "منار" التاكس مع "مارس"، وكذلك فعلت "جيهان"؛ جلست في سيارة "إبراهيم" في المقعد الخلفي، ووالدها في الأمام، ورحلت السيارة. لتنظر "نور" في آثارهم وقالت:

-أنا مش هقعد من وراء، بابا و"محمد" يقعدوا وراء، وأنا هقعد جنب "أشرف".

هتف "محمد" من بين اصطكاك أسنانه:

-أبوكي هيقعد قدام، وأنتِ هتترزعي معايا وراء.

رفضت ذلك ليقول والدها بقلة حيلة:

-خلاص يا "محمد"، سيبها براحتها.

صفقت بفرحة وفتحت باب السيارة وجلست بجوار "أشرف"، الذي نظر لوالدها بحرج من أفعالها.

***

"في منزل بسملة"

كانت "حورية" تجلس بفارغ الصبر تنتظر ابنتها بعدما أصر زوجها أن تعود للمنزل وهو سينهي إجراءات خروجها وسيأتي بها. وعندما أنصتت لصوت فتح الباب، ركضت بلهفة، وأول ما وقعت عيناها على ابنتها، عانقتها بشدة وبكت باشتياق وحزن لما مرت به صغيرتها.

ربتت "بسملة" على ظهرها وقالت:

-خـــلاص يـــا مامـــا، أنـــا زي الفـــل أهـــو، مفـــيش حاجـــة. ولا انتـــي بتعيطـــي عشـــان مجهزتيش أكل؟

ختمـــت حـــديثها بمـــرح، فابتعـــدت عنهـــا والدتها ثم قبلت جبينها وقالت:

-روحـــي يـــا حبيبتـــي خـــدي دش وتعـــالي أكون سخنت الأكل.

تـــركتهم "بســـملة" واتجهـــت لغرفتهـــا، وأول مـــا دخلـــت تســـطحت علـــى الفـــراش، وانطلقـــت ضـــحكاتها بفرحـــة لا تُوصـــف.

هـــو أتـــى مـــن الســـفر لأجلهـــا، وأهـــدى لهـــا هديـــة كانـــت تتمنـــى أن تحصـــل عليهـــا منـــذ زمـــن. ووالـــدها عـــاد مـــن ســـفره وتـــرك عملـــه وأتـــى لأجلهـــا. و"دعـــاء" اعترفـــت علـــى نفســـها مـــن أجلهـــا. و"جيهـــان"

خـــاطرت بحياتهـــا لأجلهـــا. و"نـــور" كانـــت طـــوال الوقـــت تشاكســـها وتعانقهـــا وتربـــت عليهـــا كأنهـــا والـــدتها، وفعلـــت كـــل مـــا بوســـعها لكـــي تهـــون عليهـــا رغـــم أنهـــا تمـــر بـــنفس الظـــروف. أطلقـــت "دعـــاء" علـــى "نـــور" لقـــب "البهلـــوان" بســـبب مـــا تفعلـــه لأجلها. فهل يعقل أن تحزن بعد كل هذا؟

قامـــت بأخـــذ دش دافـــئ وارتـــدت بيجامـــة بـــاللون الأزرق، ثـــم ربطـــت شـــعرها كـــذيل حصـــان ووضـــعت العطـــر لتنـــزع مـــن ذاكرتهـــا رائحـــة الزنزانـــة الكريهـــة. غـــادرت الغرفـــة وبحثـــت عـــن والـــدها، فوجدتـــه يجلـــس أمـــام التلفـــاز. وعنـــدما رآهـــا فـــتح ذراعيـــه لهـــا، فتحركـــت نحـــوه واســـتكانت بين أحضانه وهتفت بحب:

-أنا بحبكم أوي يا بابا.

رد "علي" وهو يعبث في شعرها: وأنا ماليش غيركِ يا عز أبوكي.

استكانت بين ذراعيه إلى أن أتت "حورية" وأخبرتهم أن الطعام جاهز.

ذهبوا معها لتناول الطعام، وكانت "حورية" تطعم "بسملة" بيديها. وبين الحين والآخر كانت تجذبها وتقبل جبينها وتهمس:

-الحمد لله.

بعد انتهاء وجبة العشاء عادوا للجلوس أمام التلفاز، ليقول "علي":

-عايز أتكلم معكِ في موضوع مهم يا "بسملة".

اعتدلت "بسملة"، التي كانت تجلس في أحضان "حورية":

-خير يا بابا؟ موضوع إيه؟

ابتسم لها كي تطمئن وقال بطريقة مباشرة:

- "تامر".

اسمه جعل قلبها يخفق بعنف، لكنها قالت بثبات:

-ماله؟

رد "علي" بنبرة هادئة: كلمني تاني عنكِ وحكالي السبب اللي مخليكِ مش موافقة عليه. كلنا يا حبيبتي بنغلط، مفيش حد معصوم من الغلط. وهو عارف غلطته وندمان، واتغير عشانكِ. وقال إنه مستعد يعمل أي حاجة عشان

تـــوافقي. كـــده الراجـــل عمـــل أكتـــر مـــن اللـــي عليـــه. أنـــا مـــش عـــايزك تنـــدمي وتضـــيعي حد بيحبكِ بجد.

لا أحـــد يفهـــم مـــا تفكـــر بـــه. هـــي تخشـــى أن تعطيـــه فرصـــة فيعـــود بعـــدها كمـــا كـــان. هـــي لـــن تســـمح أن يخونهـــا أو يكســـر قلبهـــا. لذلك قالت:

-يا بابا، أنت مش فاهم أنا...

صـــمتت ولـــم تســـتطع أن تشـــرح لـــه وجهـــة نظرها. فقال "علي" برفق:

-أنـــا فـــاهم إنـــك خايفـــة إنـــه يخونـــك، وأنـــا مســـتحيل أســـمح لحـــد إنـــه يوجـــع بنتـــي الوحيـــدة. بـــس هـــو فعـــلاً اتغيـــر. اســـألي "جيهـــان" هـــو ســـاعدها إزاي عشـــانكِ. كمـــان كـــان كـــل مـــا يعـــرف حاجـــة مـــنهم،

يتصـــل يطمنـــي. أنتـــي مـــا قـــولتيش إن "جيهـــان" هربـــت، بـــس هـــو قـــالي. أنـــا عمـــري مـــا هخصـــبكِ علـــى حاجـــة وأنـــتِ عارفـــة. فكـــري يـــا حبيبتـــي واســـتخيري ربنا، واللي أنتي عايزاه هيحصل.

اقتربـــت منـــه وعانقتـــه وهـــي تفكـــر: مـــاذا تفعل الآن؟

***

"في منزل نور"

دخلـــت "نـــور" المنـــزل وهـــي تصـــيح بصـــوت عالٍ:

-يا قوم، أنتم فين؟

زجرهـــا "محمـــد" وهـــو يهتـــف بغضـــب: يـــا بـــت، اعقلـــي شـــوية، الله ياخـــدك! جـــوزك معانا هيقول عليكِ إيه؟

ضحك "أشرف" وهو يربت على كتف "محمد":

-مجنونة، ما تقلقش، أنا عارف. المهم، همشي أنا وأجي بكرة أشوفها عشان هي محتاجة ترتاح شوية.

قبل أن يرد عليه "محمد"، تفاجأ من ركض "نور" لداخل. تحركوا خلفها بتعجب من فعلتها تلك، فوجدوها تقف أمام التلفاز، وتحرك يديها في الهواء، وترقص على أغنية "اللمبي". كانت قد ركضت عندما سمعت صوت الأغنية التي تصدح في المنزل. جذبت يد شقيقها لكي يرقص معها وهي تغني:

-طالع خلاص بكرة براءة...

هنام وهصحى على رواقة...

من بكرة همشي في أي طريق...

وبراحتي وبكل جرأة...

راجع لبيتي ولسريري...

راجع لفوطي ولبشكيري...

وهنط جوه التلاجة...

شاركها شقيقها الرقص، بينما والدهم يضرب كفاً بكف بيأس وهو يقول:

-عوض عليا يا رب، عوض الصابرين.

لم يستطع "أشرف" التحكم في صوت ضحكاته الرنانة، فقال بأسف بعدما توقف عن الضحك:

-أنا آسف يا عمي، بس معلش، اتحملها لحد ما أخدها بيتي.

نظر له "المهدي" بشفقة وقال: أنا اللي آسف يا بني على البلاء اللي هتاخده. ربنا يصبرك.

ابتسم "أشرف" وقال: بس بلاء حلو ودمه خفيف.

تنحنح بحرج عندما رأى نظرات "المهدي"، وقال:

-أنا همشي، وابقي قلها تفتح تليفونها عشان أطمن عليها.

قال حديثه وغادر، لتنظر "نور" في أثره بتعجب بعدما انتهت الأغنية وسألت والدها:

-هو "أشرف" مشي ليه من غير ما يسلم عليا؟

نظر لها بحاجب مرفوع وقال بسخرية:

-معلـــش، كـــان عنـــدك نمـــرة ومرضـــيش يعطلك.

ثـــم هتـــف بعصـــبية: بالذمـــة، فـــي واحـــدة محترمة تعمل كده؟

أجابـــت بمـــرح: مـــش أنـــا عملـــت يبقـــى فيـــه! وبعـــدين مالـــك يـــا "ميمـــو"؟ بفرفشـــكم، هـــو فيه حد بيدلعكم غيري؟

ضـــحك "المهـــدي" بقلـــة حيلـــة، وجـــذبها لأحضانه وقال:

-الحمـــد لله أنـــك مـــش هتقعـــدي عنـــدنا كتيـــر. أنـــا راجـــل كبيـــر ومـــش حمـــل يجنـــي نقطـــة بسببك.

***

"في منزل دعاء"

ولجـــوا للمنـــزل، وطلـــب "مصـــطفى" مـــن "فـــارس" أن يتنـــاول معهـــم العشـــاء، لكنـــه رفض بلباقة:

-معلـــش يـــا عمـــي، "دعـــاء" تعبانـــة وأكيـــد محتاجـــة ترتـــاح. همشـــي دلـــوقتي، وأبقـــى أجيها بكرة.

دخـــل "مصـــطفى" إلـــى الـــداخل وتركـــه مـــع "دعـــاء" لتوصـــله للبـــاب. وعنـــدما غـــادر، جـــذبها "فـــارس" إلـــى أحضـــانه وهـــو يهتـــف بشوق:

-وحشتيني أوي يا حبيبتي.

ابتســـمت وهـــي تبادلـــه العنـــاق، وردت عليـــه بخجل طفيف:

-وأنت كمان وحشتني.

ابتعد عنها وقبّل وجنتها قبلة سريعة، ليزداد خجلها، ثم قال:

-افتحي تليفونك عشان أطمن عليكِ، ونامي شوية. أول ما تصحي، رني عليّ، أيًا كان الوقت، عشان عايز أتكلم معكِ. أنتي وحشتيني أوي.

تحرك لكي يغادر، لكنه توقف عندما سمع صوتها تقول بخجل:

-أنا بحبك أوي يا "فارس".

عاد يعانقها وهتف وهو يشدد عناقه لها:

-وأنتي حبيبة قلب "فارس" وحياته كلها.

***

"في منزل جيهان"

وصلوا أمام المنزل، ووقف "عثمان" يشكر "إبراهيم" بعدما قص له ما حدث وأخبره أن "جيهان" كانت تجلس مع شقيقته، فهو ترك المنزل منذ جاءت. كان "عثمان" غاضبًا مما حدث، وظن أن ابنته كانت تقيم في منزل رجل غريب. فشرح له "إبراهيم" كل شيء وأقسم له أن في كل مرة تحدث معها، كانت شقيقته تجلس بينهم ولم يحدث أن تحدث معها بمفرده أبدًا.

قال "إبراهيم" باحترام: مفيش داعي للشكر، ده واجبي. عن إذنكم.

لكن "جيهان" ردت عليه بهدوء: بجد شكراً على كل حاجة عملتها.

ابتسم لها، وقبل أن يرد، صدح صوت هاتفه برنة جعلت ابتسامته تتلاشى:

- "سو يا سو حبيبي حبسوه

سو يا سو حبيبي حبسوه

حبيبي عايز له ترتر، منين أجيب له ترتر

ده حبيبي عايز له ترتر، منين أجيب له ترتر

ده الواد بياع الترتر حبسوني وحبسوه"

نظر له "عثمان" بصدمة، وهو يفكر: هل يعقل أن يضع تلك الرنة الساخرة؟ فهو شخص جاد، هادئ، محترم، ولا تليق به تلك النغمة. بل للحق، لا تليق النغمة حتى بمن وضعتها.

حـــدقت بـــه "جيهـــان" ببســـمة، وتســـاءل "إبـــراهيم" بعينيـــه دون أن ينطـــق، لتـــرد عليه بابتسامة متسعة وهي تهتف:

-إيه رأيك؟ لايقة على الموقف، صح؟

شـــعر والـــدها الآن بالراحـــة؛ فهـــذا جنـــون ابنتـــه. أمـــا "إبـــراهيم"، فـــاكتفى بابتســـامة واستأذن منهم ورحل.

***

فـــي الزنزانـــة، كانـــت تجلـــس "عـــلا" تفكـــر في ذلك اليوم المشؤوم.

Flashback

بعـــدما غـــادرت الفتيـــات، صـــاحت "عـــلا" بغضب:

-أنت بتطردني من هنا عشان دول؟

رد عليها "علاء" بغضب مماثل:

-دول أنـــا معـــرفهمش ومـــش فـــارقلي أعـــرفهم، لكـــن ده رزق وجـــايلي لحـــد عندي، أقول لأ عشان خاطر عيونك؟

فـــي تلـــك اللحظـــة، دخلـــت "نـــرمين" برفقـــة "أحمد"، وهي تقول ببرود:

-أيوة، قوله لأ عشان خاطر عيونها.

حـــدق "عـــلاء" فـــي وجـــه "عـــلا" بغضـــب وقال بضيق:

-خـــدي أصـــحابك واطلعـــي بـــرة يـــا "عـــلا". أنـــا لحـــد دلـــوقتي عامـــل حســـاب عمـــي، لكـــن لـــو محتـــرمتيش نفســـك وقطعتـــي علاقتـــك بـــالمحترم اللـــي واقـــف، وفكرانـــي مـــش عـــارف، هخليكـــي تنـــدمي. دي آخـــر فرصـــة بديهالك.

جلس "علاء" على المقعد ببرود بينما تشتعل النيران داخله. أبيه حرمه من حبيبته وأجبره على الارتباط بفتاة كهذه. ولولا دماء عمه التي تسير في عروقها، لكان أنهى عليها.

تقدم منه "أحمد" يهتف بسخرية: ولو مقطعتش علاقتها بيا، هتحرمها من المصروف؟ ولا هتحبسها في أوضة ضلمة؟

ردت "نرمين" بتهكم: أنت مالكش دعوة تصاحب مين ومتصاحبش مين، خليك في نفسك.

أضافت "علا" بسخرية: هو ميقدرش يخليه في نفسه، لو خلاه في نفسه يموت.

نهض "علاء" غاضبًا وقال بحزم: لو مخرجتيش حالًا، هتصل بأبوكي يجي يتفرج على الهانم بتاعته، مثال الشرف والعفاف.

رد "أحمد" ببرود: ده أخرك.

لكمه "علاء" بغضب أعمى في وجهه، ثم جلس على المقعد مجددًا وهو يهتف بحدة:

-برة يا زبالة، وإن متحركتش حالًا هربيك يا عرة الرجالة.

وضع "أحمد" يده على مكان الضربة، ونظر إلى "علاء" بشر، ثم لمح سكينًا موضوعة في طبق الطعام. جذبها وضربه بها مرة وثانية وثالثة. ارتعشت يده حين أدرك ما فعل.

صرخت "علا" و"نرمين"، لكن باب المحل المصنوع من زجاج عازل للصوت منع الآخرين من سماع صوتهما. بكت "علا" بجنون وهي تضرب "أحمد"، الذي وقف متحيرًا لا يعلم ماذا يفعل.

لكن "نرمين" تدخلت ببرود وقالت: اللي حصل حصل. إحنا لازم نمشي من هنا.

صرخت "علا" بجنون: نمشي من هنا؟ "أحمد" قتل "علاء"! وأنا هبلغ البوليس، ومش هسيبه غير لما يتعدم.

أمسكت هاتفها لتتصل بالشرطة، فردت "نرمين" ببرود:

-اتصلي، عشان أبوكي يعرف إنك مصاحبة اللي قتل ابن عمك. وشوفي

هيعمل فيكي إيه. مش بعيد يقتلك، وغير بنت عمك اللي بتحبه وبتكرهك، هتعمل إيه؟ غير عمك وعيلته، تفتكري هيعملوا إيه لما يعرفوا إنك السبب في موت ابنهم؟

بكت "علا" واقتربت من "علاء"، قائلة بأسف:

-حقك عليا يا "علاء". بالله عليك سامحني.

ابتسمت "نرمين" بسخرية وهي تبعدها عن الجثة، وقالت:

-قومي اهدي، وظبطي نفسك. محصلش حاجة. وأنا همسح البصمات اللي على السكينة وأي بصمات لينا في المكان وكأن محصلش حاجة.

نظـــرت لهـــا "عـــلا" بعيـــون فارغـــة. قامـــت "نـــرمين" بمســـح بصـــمات ســـلاح الجريمـــة وتنظيم المكان كما هو، ثم قالت:

- يـــلا نمشـــي. وأنـــتِ يـــا "عـــلا"، ارجعـــي البيـــت وكأنـــك متعـــرفيش حاجـــة. واتصـــدمي زيهم.

قالـــت "عـــلا" بشـــرود: فيـــه كـــاميرات مراقبـــة فـــي الشـــارع. يعنـــي هيجيبونـــا وإحنـــا داخلـــين وخـــارجين، وهيعرفـــوا الحقيقة.

ردت "نـــرمين": جدعـــة إنـــك قـــولتيلي. "أحمـــد"، شـــوف كـــاميرات المراقبـــة فـــين، وادفـــع فلـــوس لصـــاحبها وامســـح الفتـــرة اللـــي دخلنـــا فيهـــا لحـــد مـــا خرجنـــا. وخلـــي

بالـــك، ظـــبط التســـجيل كـــويس عشـــان محدش يشك في حاجة.

غـــادر الثلاثـــة، وتركـــوا "عـــلاء" ينـــزف حتـــى المـــوت. عنـــدما عـــادت "عـــلا" إلـــى المنـــزل، أعطتهـــا زوجـــة عمهـــا طعامًـــا وطلبـــت منهـــا أن توصـــله إلـــى "عـــلاء"، لأنه اتصل بها وأخبرها أنه جائع.

اتصـــلت "عـــلا" بـــ"نرمين" لتخبرهـــا، فقالـــت "نـــرمين" لهـــا أن تـــذهب وعنـــدما تـــدخل المحـــل تصـــرخ وتـــدعي أنـــه مـــات. فعلـــت "عـــلا" ذلـــك. اجتمـــع النـــاس، ثـــم جاءت الشرطة والإسعاف.

Back

بكت "علا" في الزنزانة، تهتف بتوسل:

-يا رب، سامحني.

اتصل "تامر" بـ"فارس" وطلب منه أن يتواصل مع الشباب لتحديد موعد في كافيه قريب، لأنه يريد التحدث معهم.

في تمام الساعة التاسعة مساءً، وصل الشباب واحدًا تلو الآخر. وبعد السلام، سألوا "تامر" عن سبب تجمعهم، فقال:

-اسمعوا يا شباب، البنات الفترة اللي فاتت كانت صعبة عليهم، وكل ده كان بسبب حفلة التخرج اللي كان نفسهم يحضروها. للأسف، نتيجتهم ظهرت والحفلة اتعملت وهما محضروش، حتى محدش فيهم سأل على النتيجة. فإيه رأيكم نعملهم حفلة خاصة، للعيلة بس؟ يعني كل واحدة وعيلتها، بس نكون كلنا في مكان واحد. وكل واحد فيكم يجيب

هديـــة لخطيبتـــه أو مراتـــه ويقولهـــا نتيجتهـــا بنفسه.

ظهـــرت علامـــات الرضـــا علـــى وجـــوه الجميع، وقال "فارس":

-فكـــرة حلـــوة وعجبتنـــي. أنـــا معـــاك، نشـــوف ممكـــن نحجـــز قاعـــة ونجهزهـــا علـــى ذوقنـــا ونفكر كمان في المفاجآت.

وأضـــاف "أشـــرف": وأنـــا معكـــم، شـــوفوا هتعملوها إمتى.

رد "تامر": بكرة، إيه رأيكم؟

قـــال "إبـــراهيم": أنـــا معنـــديش مـــانع. فيـــه هديـــة كنـــت نـــاوي أجيبهـــا لـــ"جيهان" بكرة، يبقى أديها لها بعد الحفلة.

قال "فارس" بابتسامة:

-وأنا كنت بفكر في هدية لـ"دعاء". الحفلة دي هتفرحها أوي. شكرًا يا "تامر".

وأثناء الحديث، صدح صوت هاتف "إبراهيم" بنغمة:

"سو يا سو حبيبي حبسوه."

ضحك "تامر" بسخرية وقال: تفتكر حبيبك اللي حبسوه ده لو سمع الرنة دي، هيعمل فيك إيه؟

رد "إبراهيم" بابتسامة: هتصدق لو قلتلك إنها هي اللي حطتها؟ وأنا مرضتش أغيرها غير لما هي تغيرها بنفسها.

انفجر "أشرف" ضاحكًا وقال بصعوبة: أنا مصدقك، عشان عندي نسخة منها.

فهم "فارس" أنه يقصد "نور"، تلك المجنونة التي يخشى أن تؤثر على زوجته، فقال:

-أنت صعبان عليا يا "إبراهيم". مش متخيل واحد بهدوئك ورزانتك يتجوز واحدة زي "جيهان". عشان أنا صاحبك، بقولك فكر كويس. أما "أشرف"، فهو اتدبس واللي حصل حصل.

ابتسم "إبراهيم" بشرود وقال بحب: يمكن تكون مجنونة، بس جنونها عاجبني. هي أجمل وأجدع وأفضل بنت عرفتها في حياتي، وربنا يقدرني وأسعدها زي ما هي سبب سعادتي من يوم ما شفتها.

هتف "أشرف" بابتسامة هادئة وهو يتذكر عزيزة القلب:

-"نور" هي السعادة بحد ذاتها. عشت عمري كله ما لفتش نظري أي واحدة، كأني عايش في كوكب ذكوري، ويوم ما شفتها خطفت قلبي زي حرامي محترف بيسرق من غير ما حد يحس. سرقت قلبي بنظرة عنيها، وأنا بحمد ربنا على وجودها في حياتي.

شاركهم "فارس" الحديث بعشق، وقال:

-"دعاء" حاجة تانية، زي جوهرة نادرة، وأنا المحظوظ اللي كانت من نصيبه. فيها حنية العالم، وهدوءها بيجنني، وعنيها فيها سحر. لما تبصلي

بفقد عقلي وبحس إني تايه. أنا من غير حنية "دعاء" هضيع.

اختتم "تامر" بابتسامة، وقال: "بسملة" بقى مزيج بين الهدوء والجنون، حاجة كدا متكررتش مرتين. ويبختي لو بقيت من نصيبي.

****

الفصل السابع والثلاثون

"ولولا صاحبتي الباقية
لـ كُنت فضِلت ف الساقية
بلِّف الدُنيا مش لاقية
ولا احضان ولا رحمة
جميلة الدنيا وانا جنبِك يا أطيب رُكن ف الزحمة"

***

اليوم كان متعبًا على الجميع نفسيًا وجسديًا، والكل خلد للنوم. ولكن "نور" استيقظت الساعة الثانية صباحًا، وشعرت بالضيق وهي لا تعلم ماذا تفعل الآن. حاولت الاتصال بـ "أشرف"، لكن هاتفه مغلق؛ فهو أخبرها منذ ثلاث ساعات أنه سيخلد للنوم وسيقوم بإغلاق

هاتفـــه، وعنـــدما يســـتيقظ سيتصـــل بهـــا.

زفرت بضيق وهي تحدث نفسها:

-أنـــا غلطانـــة، يـــارتني خليتـــه مـــيقفلش التليفون.

ثـــم فتحـــت تطبيـــق الواتســـاب وأرســـلت رسالة في المجموعة الخاصة بهم:

-«حد فيكم صاحي؟»

بعد ثوانٍ، ردت "دعاء":

-«أيـــوة يـــاختي، صـــاحية ليـــه لحـــد دلوقتي؟»

أردفت "نور" ساخرًا:

-«على أساس إنك نايمة وبتحلمي».

زفرت "دعاء" بضيق ودونت:

-«خلاص يا أم لسان طويل».

تساءلت "نور":

-«"جيهان" و"بسملة" نايمين؟»

ردت دعاء:

-«لأ، أنـــا لســـة كنـــت بكلـــم جيهـــان، لكـــن بسملة مش عارفة».

قالت نور:

-«هَرِنّ عليها».

تساءلت دعاء بتعجب:

-«فيه حاجة عاوزة تقوليها ولا إيه؟»

ردت نور بضيق:

-«لأ، بـــس زهقانـــة وعـــايزة حـــد يســـليني. وأنـــتِ رخمـــة، لكـــن بســـملة وجيهـــان هيرغوا معايا».

زفرت دعاء بضجر وهي تكتب:

-«روحي نامي يا نور».

أردفت نور بجدية:

-«أقولك على حاجة بس متقوليش لـ جيهان».

سخرت دعاء منها:

-«على أساس إن جيهان مش هتعرف تقرأ اللي أنتي هتكتبيه. ها، قولي ياختي».

دونت نور:

-«لما كنا محبوسين، أشرف قالي أهرب أنا لأن جيهان ممكن تهرب ومترجعش، وإحنا نتحبس».

أردفت دعاء:

-«وأنتِ رديتي عليه قولتي إيه؟»

ردت عليها:

-«قولتلـه معك حق، أنا أصلًا معنديش ثقة في بسملة وجيهان».

كتبت جيهان بغضب، فهي كانت تتابع الحوار منذ البداية:

-«وحيات أمك يا نورة، لربيكي بس أما أشوفك، أنتي والظابط على ما تفرج ده».

وكذلك بسملة قالت بنفس الغضب:

-«بقى معندكيش ثقة فيا يا حيوانة؟ ماشي، وربي لعلمك الأدب عشان تعرفي متثقيش فيا تاني».

قالت دعاء:

-«دي بتهزر يا بنات».

ردت نور:

-«لأ، مش بهزر ده حقيقي».

كتبت دعاء بعصبية:

-«اخرسي يا مصيبة».

أردفت بسملة بوعيد:

-«سيبها يا دعاء، تكمل عشان أشوف آخرتها إيه بنت المهدي».

ابتسمت نور خلف الشاشة وهي تكتب:

-«آخرتي فل إن شاء الله. وبعدين بهزر يا حلويات، مالكم؟ شفتي يا بت يا دعاء هما مسلين إزاي، مش زيك يا نكدية».

دونت دعاء:

-«النكدية؟ هتنكد على أهلك بس لما نشوفك».

تساءلت جيهان:

-«المهم، هتقولي لدكتور فارس يا دعاء وتيجوا تقعدوا معايا بكرة عشان في حاجات كتير عايزة أقولكم عليها».

قالت بسملة:

-«مـا تيجـوا تقعـدوا عنـدي أنـا، عشـان أنـا كمان عايزة أقولكم على حاجة مهمة».

ردت نور:

-«بصـي يـا عسـلية، منـك ليهـا، أنـتم هتيجـوا عنـدي لأنـي تعبانـة ومـش هتحـرك من البيت لمدة سنة».

وبعـد مناقشـات حـادة بيـنهم، وافقـوا علـى الـذهاب لمنـزل بسـملة. وبعـدها أغلقـوا هـواتفهم، ولكـن أتـى لـ بسـملة رسـالة مـن رقـم مجهـول الهويـة، لكنهـا تقسـم أنهـا تعلـم هويتـه؛ فـلا يوجـد أحـد فـي حياتهـا غيـره. ابتسـمت بسـعادة وهـي تقـرأ مـا دون:

-«تصـبحي مـش لاقيـه اللـي يـدينك علشـان ليكي قلب وماشية وراه

واهــو قلبــك شــاف أحــزان ياما، مــين زيــك لقى حزن واتخطاه

الله يـــا جميـــل خلقـــك واحنـــا، لـــو شـــوفنا جميل بنقول الله

وان شوفتك ما أملكش إلا أقول

إن أنا يشغلني أكون ضهرك

افتحلك عيني لزوم سهرك

وافتحلك قلبي مساحة سير

تصبحي على خير ».

***

في اليوم التالي

وفـــي حـــدود الســـاعة الرابعـــة مســـاءً، وقـــف الشـــباب يتفقـــدون التجهيـــزات الخاصـــة بالحفـــل، وقـــاموا بإخبـــار الجميـــع عـــدا

الفتيات مع توصيتهم بعدم إخبارهن.

تساءل إبراهيم:

-الفساتين دي هتوصلهم إزاي من غير ما يشكوا في حاجة؟ خصوصًا إن الأربع فساتين زي بعض.

تساءل تامر بجدية: هو مين اللي اقترح إن الفساتين يكونوا نفس اللون والتصميم؟

رد فارس بثقة: فكرتي، لأن دعاء قالتلي مرة إن نفسهم يلبسوا نفس الفساتين، فأكيد هيفرحوا بحركة زي دي.

أردف أشرف بعد تفكير: نور قالت إنها في بيت الأستاذ علي، يبقى تامر يتصل بيه ويقابله يديه الحاجة، ويقوله يديهم

الحاجات على أساس إنه هو اللي جايبهالهم بما إنه بيعتبرهم زي بناته.

وافق فارس وإبراهيم على حديثه، لكن تامر قال بتردد:

-كلمه أنت، لأنك متجوز واحدة منهم، لكن أنا لأ.

كان أشرف يريد أن يساعده بعدما تعرف عليه ووجد الصدق والحب في عينيه لصديقة زوجته، لذلك قال:

-أنا مش هقدر عشان عايز أروح أجيب هدية لـ نور قبل ما تيجي، وفارس لازم يقعد هنا يظبط باقي الحاجة، وإبراهيم رايح يجيب أخته، فمفيش غيرك.

وافق تامر بتردد، وذهب كلٌ منهم إلى وجهته.

في منزل بسملة

-جيهان، أنتي كنتي بتكلمي إبراهيم في الليل، صح؟ وطبعًا كنتم بتحبوا في بعض؟

هذا ما قالته دعاء وهي تحدق بجيهان التي تجلس معهم بعقل غائب. ردت جيهان بضيق:

-ياختي اتنيلي، أحب في مين؟! أنتي فاكراه قليل الأدب زي جوزك؟ ده محترم لدرجة بتخليني عايزة أعيط.

تساءلت بسملة بتعجب:

- وأنتي إيه اللي مزعلك إنه محترم؟!

ردت جيهان بضجر وهي تتحرك في الغرفة ذهابًا وإيابًا:

-عشان أنا مش محترمة ومش متعودة أتعامل مع المحترمين، وهو محترم زيادة عن اللزوم. دانا ببقى عايزة أقل أدبي وأقوله إني بحبه، بس باجي قدامه والقطة تاكل لساني بسبب طريقته معايا.

سألت نور بثبات: يعني بتحبي إبراهيم؟

طب ومحمد، نسيتيه؟

لا تعلم لما ما زالت تبغضه وتبغض من يذكر اسمه أمامها، فصاحت بضيق:

-محمد! محمد مين ده؟ مفيش مقارنة أصلًا، وأنا مستحيل أقارن بين إبراهيم وشخص زي ده. إبراهيم شخص ميتكررش مرتين، وياريت يا نور متجيبيش سيرته قدامي.

قالت دعاء لتغير الحديث: وأنتي يا بسملة، قررتي إيه؟

تنهدت بسملة وهي تضع رأسها على قدم نور:

-مش عارفة، بس حاسة إني تايهة، مش قادرة أقرر، ومش عارفة أحدد مشاعري تجاهه عاملة إزاي. هو أول شخص يدخل حياتي، عشان كده خايفة أندم.

ردت جيهان عليها: بس على فكرة يا بسملة، هو شكله بيحبك بجد. أنتي مشوفتيش كان زعلان إزاي وأنتي في الحبس؟ وكمان أول ما اتصلت بيه وقلتله إني صاحبتك وعايزة أشوفه جه

على طول ومترددش لحظة يساعدنا، وديالا بتقول إنه اتغير عشانك.

لم تجب، فقالت نور: حاولي تهدي يا بسملة وادي نفسك فرصة تانية، لأن كلنا بنغلط وأنتي حكمتي عليه ونفذتي الحكم من غير ما تسمعيه.

وأردفت دعاء: وأنا رأيي زيهم، لأن فارس كان بيتكلم عليه وقال إنه شخص محترم.

اعتدلت بسملة في جلستها وقالت: أنا خايفة إن يكون التغيير مؤقت وبعدها يرجع زي ما كان.

ردت دعاء بهدوء: اللي بيتعب عشان يوصل لحاجة مش بيخاطر ويضحي

بيهـــا. وأهـــو أنتـــي مطلعـــة عينـــه عشـــان يرضيكي، فكري كويس ومتتسرعيش.

قالـــت نـــور موجهـــة حـــديثها لـــدعاء: وأنتـــي يا دعاء، إيه أخبارك مع فارس؟

ردت دعـــاء بحـــب: أنـــا متـــوقعتش فـــي حيـــاتي إن نصـــيبي يكـــون حلـــو أوي كـــده وأتجـــوز شـــخص زي فـــارس. أنـــا بحـــس إنـــه كتير عليا، بجد يا بختي بيه.

أردفـــت جيهـــان بحـــب، عنـــدما وجـــدتها تقلـــل من نفسها:

-يـــا بُختـــه هـــو واحنـــا بيكـــي، ويبخـــت أي حـــد دعـــاء فـــي حياتـــه، لأن مفـــيش فـــي الـــدنيا كلهـــا حـــد زي دعـــاء. إن شـــاء الله لمـــا ربنـــا يرزقنـــي ببنـــت هســـميها دعـــاء عشـــان تطلـــع

زيك. أصل أنا خلقي ضيق ومش حمل واحدة زي نور ولا بسملة.

ابتسمت دعاء وهي تفتح ذراعيها:

تعالي هاتي حضن يا بت.

اقتربت منها جيهان وعانقتها، لتفعل نور وبسملة المثل بغيرة واضحة، حينما قالت نور:

- تعالي يا بت يا بسملة في حضني، أشمعنى هما؟

تساءلت دعاء بعدما ابتعدت عن جيهان:

-وأنتي يا نور، إيه أخبارك مع أشرف؟

ردت بسملة بدلًا عنها بمشاكسة: هيكون إيه أخبارها؟ الراجل الله يكون في عونه. شكله أمه كانت بتدعي عليه عشان كده ربنا وقع الابتلاء نور في طريقه.

دفشتها نور بقوة جعلتها تسقط من على الفراش:

- بقى أنا يا جزمة ابتلاء؟!

ثم تنهدت وقالت: والله معاكي حق يا بت يا بسملة. أنا مطلعة عينه ومش عارفة متحملني ليه؟! ده بابا اللي هو بابا عايز يرميني في الشارع.

أردفت دعاء: طب خفي يا أختي على الراجل، حرام عليكي.

ردت نور بحب لم تستطع إخفاءه: صح، مطلعة عينه بس بحبه أوي. هو بقى أغلى عندي منكم.

تساءلت بسملة بمرح: يعني أنا ولا هو؟

ردت نور بدون تفكير: هو طبعًا، ده كلام.

كـــادت بســـملة أن تـــرد، لكـــن اســـتمعت لطـــرق بـــاب غـــرفتهم، فاعتـــدلن ووضـــعن الحجـــاب، إذ تـــوقعن أن الطـــارق والـــد بســـملة، فلـــو كانـــت والـــدتها، كانـــت طرقـــت مرة واحدة ودخلت بعدها.

تحركـــت بســـملة نحـــو البـــاب، وقبـــل أن تفتحه صاحت نور:

- استني، أنا اللي هفتح.

تحركـــت لتفـــتح البـــاب، فوجـــدت علـــي يقـــف على بعد خطوات. سألته بضيق زائف:

-خير يا أستاذ علي، عاوز حاجة؟

ضـــحك علـــي علـــى طريقتهـــا، لتجـــذبها بسملة من مفرقها، وتهمس بضيق:

-يـــا مصـــيبة، اتكلمـــي عـــدل مـــع بابـــا، إذا كان أنا مش بكلمه كده.

أبعدت يدها وهي تعود بنظرها لمن يقف أمامها وقالت:

-نعم، عايز إيه؟

ابتسم علي وقال برفق وهو يرفع الحقائب التي بيده:

-أنا آسف يا أستاذة نورهان على الإزعاج، بس أنا جيت أشكركم على اللي عملتوه مع بسملة، وجايبلكم هدية بسيطة، يارب تعجبكم.

ردت دعاء بجدية وابتسامة هادئة:

مفيش داعي للشكر يا عمو، بسملة أختنا.

لكن جيهان قالت وهي تجذب الحقائب:

-هات بس نشوف الهدية، وبعدين تعرف عجبتنا ولا لأ.

نظـرت لهـا دعـاء بغضـب، لكـن جيهـان لـم تهـتم، وولجـت للغرفـة بالحقائـب. وقالـت نور بضيق وهي تتبعها:

-وليـه تجيـب هديـة بسـيطة؟ مـا تجيـب هدية غالية! هو أنت بخيل ولا إيه؟!

حـدق علـي فـي ظهرهـا بصـدمة مـن رد فعلهـا، وركضـت بسـملة خلفهـم دون أن تهتم بوالدها. فقالت دعاء بحرج:

-إحنـا آسـفين يـا عمـو، بـس همـا عفـويين شوية...

قاطعها بابتسامة هادئة:

-ولا يهمـك. حوريـة كانـت بتحكيلـي عـنهم، بـس متـوقعتش يكونـوا كـده. المهـم، قـولي لهـم يجهـزوا عشـان آخـدكم أفسـحكم، ومـاتقلقيش، أنـا كلمـت مصـطفى وفـارس

وقلـــتلهم، لكـــن التـــانيين معتقـــدش هيكـــون عندهم اعتراض.

تركهـــا وغـــادر، فـــدخلت الغرفـــة بغضـــب تريد الفتك بالحمقاوات صديقاتها.

***

في قاعة الاحتفالات

وصـــل الجميـــع إلـــى القاعـــة، فوجـــدوا أســـماء الفتيـــات مدونـــة علـــى الحـــائط داخـــل قلـــب كبيـــر بلـــون أبـــيض، وكـــل اســـم مكتـــوب بـــاللون المفضـــل لصـــاحبته. دعـــاء اســـمها مكتـــوب بـــاللون الأخضـــر، ونـــور بـــاللون الأرجـــواني، وبســـملة بـــاللون الـــوردي، وجيهـــان بالســـماوي. وفـــوق القلـــب كانـــت هناك جملة مكتوبة باللون الأسود:

-«مبروك النجاح».

في منتصف القاعة، كانت هناك طاولة كبيرة الحجم وضعت عليها أربعة قوالب من الكيك المفضل لكل واحدة منهن.

الكيك الخاص ببسملة كان مكتوبًا عليه: «مبروك التخرج يا بسبوسة»، أما كيك جيهان فكان مكتوبًا عليه:

«مبارك التخرج يا جوجو»، وكيك دعاء كُتب عليه: «مبروك التخرج يا فرحة قلبي»، وكيك نور كُتب عليه: «مبروك النجاح يا مجنونة».

كان الجميع يتابع ما فعله الشباب لأجل الفتيات بفرحة غامرة. المكان كان مبهجًا، الأضواء الهادئة تضفي عليه جمالًا خاصًا، والأسماء التي تلمع كما النجوم مع الأغاني بدون موسيقى كما

طلب إبراهيم، زادت الأجواء بهجة. الأحاديث الجانبية التي أثنت على هذا العمل أضافت سعادة للجميع، بينما كان الشباب يترقبون لحظة وصول الفتيات ليعرفوا رأيهن في المفاجأة.

خلال هذا الوقت، صدح صوت هاتف تامر برسالة من علي محتواها:

«أنا والبنات وصلنا، يلا اجهزوا واطفوا النور».

أخبر تامر الجميع بوصولهم، وظهر الحماس في عيونهم وهم يطفئون الأضواء.

في الخارج

نظرت نور بضيق قائلة لعلي بسبب صمته وعدم إخباره لهن عن وجهتهن:

-أوعى تكون جاي تتجوز على حورية وجايبنا نحضر الفرح، أصل الفساتين الحلوة دي ما تنفعش غير في فرح!

ردت بسملة بعصبية: هتتجوز على ماما يا بابا بعد كل ده! وكمان واخدني أتعرف عليها عشان ماما تزعل مني؟ والله لخلي البنات يخربوا لك الفرح!

نظر لها والدها بصدمة مما قالت، ثم نظر في المرآة إلى الجالسات في المقعد الخلفي وقال:

-عاجبك كده يا نورهان؟

ردت نور بجدية: أيوة، أمال تتجوز على أمها وتسكت لك؟

عنفتها دعاء بضيق:

-اهـدي يـا زفتـة الطـين، وأنـتِ يـا بسـملة اعقلي! في حد يصدق نور برضه؟

هـبط علـي مـن السـيارة وقـال بصـرامة: يـلا انزلـوا، ومـن غيـر كـلام عشـان مـش هـرد على واحدة فيكم.

نزلـوا مـن السـيارة، فقالـت نـور هامسـة لـبسملة:

-تفتكـري أبـوكي شـغال فـي الأعضـاء وجاي يبيعنا؟

ردت جيهـان بـنفس الهمـس: لأ مـش معقول، مكنش جاب لنا فساتين غالية.

ابتسـمت دعـاء براحـة لأن جيهـان لـم تشـارك نـور فـي حماقـة تفكيرهـا، لكـن تلاشـت ابتسـامتها عنـدما وصـلها صـوت جيهان التي قالت بعد تفكير:

-بس ممكن يكون عايز يبيعنا لرجال الأعمال! مش أبوكي يعرف رجال أعمال أغنياء يا بت يا بسملة؟

ردت بسملة بهمس جعل عيون دعاء تتسع:

- أيوة يعرف كتير! والنهارده سمعته بيتكلم في التليفون مع واحد وقاله إن البضاعة غالية وحلوة. تفتكروا كان بيتكلم علينا؟

تساءل علي بتعجب وهو يراقبهم يتهامسون بصوت منخفض:

-فيه إيه مالكم؟ يلا ندخل!

مسحت دعاء وجهها بعنف ودفعت نور وبسملة أمامها وهي تقول بعصبية بعدما فقدت هدوءها:

-اتحركـــوا أنتـــو وهيـــه قـــدامي، ومســـمعش نفس واحدة منكم!

***

داخل القاعة

تحركـــوا لـــداخل القاعـــة فوجـــدوا المكـــان مظلمًـــا، وعلـــي اختفـــى. همســـت نـــور بخوف:

-اجـــروا يـــا عيـــال! ده طلـــع بتـــاع أعضـــاء وجاي يبيعنا!

وفـــي لحظـــة واحـــدة أُضـــيئت القاعـــة وصدحت أغنية حكيم:

"طيـــر بينـــا يـــاقلبي يـــلا علـــى الحـــب وعلـــى الغرام

نحضن ايامنا يلا ننسى الآه والخصام

خايفين من بكره ليه في ايه نخاف عليه

خايفين من بكره ليه في ايه نخاف عليه

هما اللي قبل منا من الدنيا اخده ايه

ونجحنا كله يرقص وفلحنا كله يرقص

وارتحنا كله يرقص اووووه

وسهرنا كله يرقص وذاكرنا كله يرقص

ونجحنا كله يرقص اووووه

اووووه واو واو واو اووووه واو

واو واو

اووووه

الله على الحب لما بيجمع دول ودول

الدنيا بتبقى احلى واللي بيصبر بينول

سلمها للي فوق وانسى الاوهام وفووق

سلمها للي فوق وانسى الاوهام وفووق

دي مصيرها تروق وتحلى

دوق طعم الفرحه دوق

عــل الواحــده كلـــه يــرقص عــل الطبلـــه كلـــه يرقص

عل الصفقه كله يرقص اووووه

هلا هلا كله يرقص ماتيلا كله يرقص

عل البركه كله يرقص اووووه

وسهرنا كله يرقص وذاكرنا كله يرقص

ونجحنـــا كلـــه يــرقص وفلحنـــا كلـــه يــرقص

وارتحنا كله يرقص

عــل الواحــده كلـــه يــرقص عــل الطبلـــه كلـــه يرقص

هلا هلا كله يرقص "

انطلقـــــت ضـــــحكات الفتيـــــات بفرحـــــة واختلطــت مــع الأغنيــة. الجميــع تــابع هــذه اللحظـــة بســـعادة، وعيـــون الفتيـــات كانـــت تلمع كأنها نجوم، وهن يتبادلن العناق.

اقتــرب أشــرف مــن نــور وهــو يمــد يــده لهــا قائلاً بابتسامة مهلكة:

-تعالي يا نوري.

ابتســمت بحــب وهــي تضــع يــدها فــي يــده، فخطــى بهــا إلــى قالــب الكيــك الخــاص بهــا وقال:

-ألـــف مبـــروك النجـــاح، وعبـــال التخـــرج وفرحنا.

هتـــف كلمتـــه الأخيـــرة بخفـــوت، فضـــحكت وقالت بجرأة:

-يا رب فرحنا الأول!

ابتســم لهــا وهــو يضــع فــي يــدها ســكين صغير وعليها فينكة بيضاء وقال:

- قطعي الكيك.

أمـــا فـــارس، فقـــد وقـــف أمـــام دعـــاء وحينمـــا وضـــعت يـــدها فـــي يـــده، قبلهـــا برقـــة دون اهتمـــام بمـــن حولـــه، وحركتـــه تلـــك جعلـــت دعـــاء تكـــاد تمـــوت خجـــلًا بســـبب وجـــود الجميـــع هنـــا، ثـــم تحـــرك بهـــا جهـــة كعكتهـــا، وقال بحب:

-مبروك النجاح يا حبيبتي.

نظـــرت لوالـــدها فوجدتـــه ينظـــر لهـــا بحـــب، بينما هي اكتفت بابتسامة خجولة.

وقـــف إبـــراهيم بجانـــب جيهـــان وقـــال بخفـــة دم:

- مبارك يا باشا!

ردت عليـــه بمـــرح: الله يبـــارك فيـــك يـــا قلب...

قطعت حديثها بصدمة مما تفوهت به، وعادت تعدل من حديثها قائلة:

-أقصد، الله يبارك فيك بس.

اتسعت ابتسامته ولم يتحدث، لتدور حول نفسها بسعادة وهي تهتف:

- إيه رأيك في الفستان؟

تلاشت ابتسامته وقال بجدية: حلو، بس اثبتي كلهم بيبصوا عليكي.

ثم أشار لها بان تتقدمه جهة الطاولة لتغمز له وتسير أمامه بكبرياء ليبتسم بيأس منها ويسير خلفه.

اما تامر فكان يحدق بها من بعيد، عيونها التي تشبه فضاء واسع بلونها الأسود المميز، وجهها الخالي من أي مساحيق تجميل، حجابها الممزوج بين

الأبيض والبني فزادها جمالًا فوق جمالها، فستانها الستان ذات الاكمام الواسعة ويطلق عليها كم مروحة يضيق من عند الخصر ويتسع من الأسفل، ذات لون رائع فلا يوجد أروع من اللون البني الترابي فهو لون بني دافئ ممزوج بالأحمر والبرتقالي والأصفر جعلها كالاميرات، تمنى من كل قلبه أن يقترب ويخبرها كم هي فاتنة، فاقترب والدها منها واصطحبها للطاولة...

وقفوا الفتيات أمام الطاولة ينظرون لبعض بسعادة بالغة وقاموا بتقطيع قالب الكيك، وقامت نور ودعاء باطعام ازوجهم ليصفق لهن الجميع بحرارة اما

جيهـــان وبســـملة فبتســـموا لـــبعض وكـــل منهم تطعم الأخرى.

وبعـــد الانتهـــاء قـــام الجميـــع بتهنـــأتهم بالنجـــاح، وأثنـــاء ذلـــك ولـــج محمـــد ابـــن عـــم جيهـــان للقاعـــة وقـــام بتحيـــة الجميـــع وعيونـــه تتـــابع تلـــك التـــي تتشـــاجر مـــع نـــور ولـــم تـــراه، كـــان إبـــراهيم يتـــابع نظراتـــه بضـــيق منـــذ دخولـــه وعنـــدما شـــعر أنـــه يـــود التحـــرك جهتهـــا قـــام بالاتصـــال بـــ جيهـــان التـــي نظـــرت للهـــاتف بتعجـــب ثـــم حركـــت عيونهـــا تبحـــث عنـــه فوجدتـــه يشـــير لهـــا بـــالاقتراب، تحركـــت إتجاهـــه وتســـألت بتعجب من تبدل نظراته للجدية: مالك؟

رد بضيق: اقفي هنا ومتتحركيش.

نظرت له بعدم فهم، ليقول بنبرة اهدئ:

-حنـــان هنـــا علشـــانك، ومتعـــرفش حـــد غيرك وهي واقفه لوحدها.

ردت باســف وهــي تتحــرك جهــة حنــان: - آسفه بس كنت فرحانة، ومخدتش بالي.

شــعر بــالحزن لنبرتهــا الحزينــة لــذلك أقتــرب منهــا يعطيهــا هــديتها وهــي تجلــس بجوار شقيقته وقال بابتسامة:

-مبــارك النجــاح ومبــارك عليــا أنتــي، أنــا كلمت ابوكي وحددنا معاد كتب الكتاب.

نهضــت بلهفــة وقالــت بفرحــة كبــرى: بجــد، أخيرًا!

اتسعت ابتسامته وتسأل: فرحانة؟

ردت بحــب: أوي، لدرجــة إنــي عــايزة احضـ...

اتسعت عيونها بصدمة مرة أخرى وركضت من أمامه بسرعة، لتنطلق ضحكاته مثل سنفونية عذبه.

على بعد صغير كان فارس يتابع سعادة دعاء وهي بين احضان أبيها، رقيقة هي كفراشة تنتقل بين الأزهار ويا لحظ قلبه بها عيونها الخضراء تشبه جمال النهر وكلما نظر لها غرق بهم، حجابها الأبيض زادها بهائًا مع لون بشرتها السمراء، وفستانها الجميل كجمال عينيها لم يناسب سواها كأنه صنع لها، أقترب منها ليعطيها هدية النجاح وقال بحب:

-مبروك يا دودو.

اخـذتها منـه علـى اسـتحياء، وفكـرت هـو لـم يخجـل وقبـل يـدها أمـام الجميـع إذًا لمـا لا تفعـل المثـل، وعلـى حـين غـرة وجـدها بـين احضانه تهمس بحب:

-أنا بحبك أوي.

رفـع ذراعيـه ليعانقهـا وهمـس بعشـق: مش أكتر مني، يا حته مني.

-هات الهدية بتاعتي يلا؟

نظر لها أشرف بتعجب، لتقول نور:

-متـنحش يـلا هـات الهديـة، وقـولي كـلام حلو زيهم.

رد أشرف بثبات: هدية إيه؟

حـدقت فيـه بشـر وقالـت وهـي تنظـر علـى دعاء وجيهان وما يحملون:

- إيه مش شايف كلهم جايبن هدايا؟

رد بلامبالة: محدش قلي.

-نعم

قالتها بصوت مرتفع وصل للجميع بعدما جعلوا صوت الاغاني منخفض، ليقربها أشرف منه ويقول:

-وطي صوتك هتفضحينا.

نظرت له وقالت بحزن مصطنع: بعد إذنك.

جذب يدها بلهفة قبل أن تتحرك وقال:

-اسف والله بهزر معاكي، جبتلك هدية هو أنا اقدر أنسى، وبعدين أنتي أحلى هدية في الدنيا.

ابتسمت بخجل فطري، ليتحرك هو ويأتي بعد ثواني بحقيبة متوسطة الحجم ويقدمها لها ويقول بصدق:

-كنت محتار اجبلك إيه عشان أي حاجة قدام عيونك ملهاش قيمة.

ثم هتف أشرف بمرح: بحبك يا وزة.

لمعت عينيها بفرحة وضاع هو بهم، عيونها العسلية التي تشبه جمال الشمس بعد المطر وفستانها الذي جعلها كالحورية من حوريات الجنة ، ورغم أن جميعهم يرتدون نفس الثياب لكنه يراها فريدة من نوعها، هتفت نور بحب:

-وأنا كمان بحبك أوي.

أثناء تلك اللحظات الهادئة صدح صوت محمد يعكر الأجواء:

-أستاذ علي انا بطلب منك إيد الانسه بسملة.

وقف الجميع مذهولين من طلب محمد يد بسملة بهذا الشكل المفاجئ، خاصة أنها لم تكن تتوقع الأمر. نظرت له بصدمة، ثم تحركت عيناها سريعًا نحو تامر الذي بدا عليه الصدمة للحظة قبل أن يتحول وجهه إلى ملامح حادة مخيفة.

فقال علي بحسم وهو ينظر إلى محمد: ده شرف ليا يا محمد، بس بنتي أغلى حاجة عندي، ورأيها هو الأهم، وكمان الأمور دي ليها وقتها.

قال محمد بجدية: أنا عارف بس حبيت استغل اليوم الجميل ده، واطلب ايدها، واخد موافقة مبدئية عشان نيجي زيارة أنا وعيلتي.

همسة دعاء بضيق: قصدك تبوظ اليوم الجميل ده.

ابتسم فارس على ما تفوهت به، وتابع ما يحدث كما الجميع، عندما أقترب محمد نحوها وسأل بلطف:

-إيه رأيك؟

نظرت له بسملة بحرج، ثم ردت بهدوء:

-أنا شاكرة اهتمامك... لكن زي ما قال بابا، الموضوع ليه وقته.

تغيرت ملامح محمد، لكن سرعان ما أخفى ارتباكه بابتسامة صغيرة وقال:

-أكيد، أنا تحت أمركم في أي وقت.

شعرت بسملة براحة مؤقته ولم تستطع منع نفسها من التطلع، حيث كان تامر

مـــا زال واقفًـــا، ملامحـــه صـــامتة لكـــن عينيـــه كانت تقول الكثير.

اقتـــرب أشـــرف منـــه وهمـــس بخفـــة ليكســـر الصمت الثقيل:

-إيـــه يـــا هندســـة؟ هتســـيبه كـــده؟ يخطـــف خطيبتك المستقبلية؟

نظـــر لـــه تـــامر بضـــيق، ثـــم قـــال بحـــزم: اســـكت يـــا أشـــرف، الموضـــوع مـــش ســـهل زي ما أنت فاكر.

غمز له أشرف وهو يتحرك بعيدًا عنه:

-تقدر تخليه سهل.

بينمـــا هـــمّ بـــالجلوس، اقتـــرب تـــامر فجـــأة، وقال بصوت واضح أمام الجميع:

-أســـتاذ علـــي، لـــو ســـمحت، ممكـــن آخـــذ دقيقة من وقتك؟

التفت الجميع إليه بدهشة، خاصة بسملة، التي اتسعت عيناها وكأنها لا تصدق ما يحدث.

رد علي باستغراب: خير يا تامر؟

قال تامر بثقة: أنا كمان عايز أطلب يد بسملة رسمي، قدام الكل. صحيح ماعنديش الجرأة اللي عند محمد، لكني عندي استعداد أستنى العمر كله عشان أكون الشخص اللي يسعدها.

ساد الصمت للحظات في القاعة، والكل ينظر إلى بسملة التي كانت في حالة من الصدمة والارتباك. شعرت بشيء يتحرك في قلبها، شيء لم تفهمه لكنها شعرت أنه كان ينتظر تلك اللحظة.

ابتسم علي بخفة وقال: والله يا بنتي، شكلك مش هتعرفي تنامي النهارده.

انطلقت ضحكات الجميع، بينما بقيت عينا بسملة معلقتين على تامر، وكأنها أخيرًا بدأت ترى شيئًا كان دائمًا أمامها ولم تلحظه.

***

بعد مرور ساعة

غادر الجميع ولم يتبقَّ سوى الفتيات والشباب. كان أشرف قد طلب من عائلتهم أن يسمحوا له بتوصيلهم، مؤكداً أنه لن يتأخر. اجتمعوا حول الطاولة، حيث جلست الفتيات من جهة والشباب أمامهم في صمت ثقيل.

قطعت بسملة هذا الصمت بتساؤل شارد:

-أعمل إيه دلوقتي؟ أكيد بابا هيقول لي اختاري واحد منهم... وأنا محتارة.

ردت دعاء بهدوء وبلطف: استخيري ربنا، واللي تحسي إنك مرتاحة له وافقي عليه. خدي وقتك وفكري براحتك، ولو مش مرتاحة لأي حد فيهم، ارفضي. وإحنا معاكي في أي قرار تاخديه.

أضافت نور بابتسامة داعمة: هو صح ابن خالي، لكن إنتِ أغلى عندي منه. اللي يريحك وافقي عليه. وزي ما قالت دعاء، إحنا معاكي مهما كان قرارك.

أما جيهان، فقد كانت تلتزم الصمت منذ أن تحدث ذلك البغيض. كان إبراهيم يراقبها بصمت هو الآخر، والغضب ظاهر في ملامحه.

تساءلت بسملة بتعجب وهي تنظر نحو جيهان:

-وأنتِ يا جيهان، إيه رأيك؟

رفعت جيهان عينيها من على هاتفها، وقالت ببرود:

-بصي يا بسملة، سيبك من كلام دعاء ونور، لأنه مش مهم دلوقتي. أنا هقول لك حاجة واحدة ومفهاش نقاش: وأنتِ بتختاري بين محمد وتامر، اختاري بيني وبين محمد. لو وافقتي عليه، يبقى اعتبري إنك ماعندكيش صاحبة اسمها جيهان.

نهضت فجأة، وجذبت حقيبتها والهدية التي كان قد أعطاها لها إبراهيم، ثم تابعت بصوت حاد:

-بعد إذنكم... وأوه، ما تفكريش تكلميني، عشان عملتلك بلوك. ولما تختاري، هتعرفي توصلي لي سلام.

غادرت القاعة، تاركة الجميع في حالة من الذهول. نظرت بسملة إلى الباب بدهشة وصدمة، فيما كان أشرف يتبادل نظرات الاستفهام مع إبراهيم.

أخيرًا قال إبراهيم بصوت هادئ لكنه مشوب بالحزن:

-وصل حنان معاك يا أشرف، وخلي بالك منها. بعد إذنكم.

ثم نهض وغادر هو الآخر، تاركًا خلفه مشاعر مختلطة بين الحزن والتوتر.

*****

الفصل الثامن والثلاثون

وماذا عن شعور بلال بن رباح عندما دخل مجلسًا يجلس فيه نبينا الكريم وكبار الصحابة،

فجلس بلال آخر المجلس لأنه يرى نفسه أقل منهم،

فناداه النبي من أول القاعة وقال لأبو بكر أن يفسح قليلًا ليجلس بلال بينهما،

فجلس بلال على استحياء وهو يقول في نفسه:

(كيف لعبدٍ أسود مثلي أن يجلس بين أشرف نبي وأفضل صحابي؟)

فقال له النبي: (يا بلال، إني أسمع صوت قرع نعليك في الجنة).

اللهم ونحن ❤

غـــادر إبـــراهيم خلفهـــا، ليجـــدها تقـــف فـــي انتظـــاره، وعنـــدما وصـــل إلـــى مكـــان وقوفهـــا قال بنبرة جامدة:

-تعالي.

نظـــرت إليـــه جيهـــان بتعجـــب وســـألته: هنروح فين؟ وفين حنان؟

رد بـــنفس النبـــرة الجـــادة: حنـــان هيروحهـــا أشـــرف. فيـــه كافيـــه قريـــب، هنـــروح نقعـــد شوية. عايز أتكلم معاكي.

تحركـــت خلفـــه بحيـــرة مـــن تغيـــره المفـــاجئ، حتـــى وصـــلا إلـــى الكافيـــه المنشـــود. جلســـا علـــى الطاولـــة، وبعـــد لحظـــات أتـــى النـــادل ووضع القهوة التي طلبها إبراهيم.

سألته جيهان وهي تراقبه: مالك؟

رد إبـــراهيم بضـــيق واضـــح: مـــالي! مـــش عارفة مالي؟!

ردت بحيـــرة: لأ، هعـــرف منـــين؟! إحنـــا كنـــا كويســـين مـــن شـــوية، ودلـــوقتي بتـــتكلم معايا بطريقة غريبة.

تـــنفس بحـــدة قبـــل أن يقـــول: ممكـــن تفهميني إيه اللي حصل في القاعة؟

فكـــرت جيهـــان لثـــوانٍ، قبـــل أن تـــدرك ســـبب ضيقه. فقالت بتعجب:

-أوعى تكون فاهم إني زعلانة عليه؟!

رد بثبـــات وهـــو ينظـــر إليهـــا مباشـــرة: وهـــي ليها تفسير تاني؟

صاحت بعصبية:

=أيـــوة يـــا دكتـــور، ليهـــا تفســـير تـــاني! بســـملة أختـــي، وعمـــري مـــا هقبـــل إنهـــا تتجوز واحد زي ده.

جـــذب صـــوتها المرتفـــع الأنظـــار إليهمـــا، فمال إبراهيم نحوها قليلاً وقال بجدية:

-صوتك.

نظرت له بحرج ثم اعتذرت بنبرة أهدأ:

-آســفة، مقصــدش أعلــي صــوتي. بــس أنــت بتفكــر غلــط! يعنــي بعــد كــل ده تفكــر إنــي زعلانة عليه؟

نظر إليها بثقة وقال برفق:

-مفـــيش داعـــي للأســـف. بـــس طريقتـــك وزعلـــك عليـــه زعلنـــي. أنتـــي مـــش فاهمـــة حسيت بإيه وأنا شايفك زعلانة عليه...

قاطعت حديثه بصدق: والله ما زعلانة عليه ولا نيلة! أنت فاهم غلط. أنا بس اتفاجأت. وبسملة الفترة دي تايهة ومش عارفة تاخد قرار. خفت تعند قصاد تامر وتختار محمد. وهي أضعف من إنها تتحمل واحد زي ده.

تنهد وهو ينصت لها، ثم قالت باعتذار:

-حقك عليا إنك زعلت بسببي. بس مكنتش أقصد. أنا لما طلعت من القاعة كنت واقفة مستنياك، عشان عارفة إنك مش هتسيبني أمشي لوحدي.

ابتسم لها وهمس بحنو: حقك أنتي عليا وعلى قلبي إني فهمتك غلط. بس كان ممكن تفهميها براحة، لكن زعلك

وطريقتك دي خلتني أفهم إنك لسه بتحبيه.

ردت بلهفة تنفي حديثه: والله أبداً! ولا بحبه ولا حاجة. هو مش فارقلي أصلاً. أنا بس فكرت في بسملة.

نظر إليها بخبث وسأل بتصنع البراءة:

-طب بتحبي مين؟

وبدون تفكير، هتفت: أنت طبعاً.

اتسعت ابتسامته، فأدركت ما قالت.

وضعت يدها على وجهها بخجل، بينما هو يغير الموضوع بجدية كي يمحو خجلها:

-تفتكري بسملة هتختار مين؟ تامر ولا محمد؟

رفعت رأسها بثقة وقالت بابتسامة: أنا.

-سيبك منها ومتشغليش بالك بكلامها، هي قالت كده في لحظة غضب؛ شوية وهتهدها وتكلمك.

خرجت الكلمات من نور محاولة مواساة بسملة التي بدا الحزن واضحًا في عينيها.

أضافت دعاء بلهجة مطمئنة: اختاري اللي يريحك وإحنا معاكي، حتى جيهان، هي بس اتفاجئت. أنا هروح أكلمها.

تدخل فارس بصوته الرزين وقال:

-تسمحيلي أقول رأيي؟

رفعت بسملة رأسها عن صمتها وأجابت:

-طبعًا يا دكتور، اتفضل.

رد فـــارس بجديـــة: ردة فعـــل جيهـــان طبيعيـــة لأنهـــا صـــعب عليهـــا تتعامـــل مـــع محمـــد. هـــو هيكـــون جـــوز صـــاحبتها اللـــي بتشـــوفها دايمًـــا، فـــإزاي تتعامـــل معـــاه وهـــي كانـــت بتحبـــه؟ أقـــل حركـــة أو نظـــرة مـــنهم ممكـــن الكـــل يفهمهـــا غلـــط. الأفضـــل فعـــلًا إنـــك تبعـــدي عـــن الشـــخص ده. أمـــا بالنســـبة لـــتامر، هـــو عـــايزك وشـــخص كـــويس، وأعتقد إنه مناسب.

أردفت بسملة بهدوء:

-أنـــا فاهمـــة جيهـــان وعارفـــة هـــي بتفكـــر فـــي إيـــه. ومحمـــد ده أنـــا مـــش عـــاوزاه ومســـتحيل أفكـــر فيـــه. وكنـــت هقـــول لـــ بابـــا لما أرجع إني مش موافقة عليه.

أضاف أشرف بجديّة: هو ده الصح. لأن نظرته بتقول إنه عايز يتجوزك عشان يكون قريب منها. وده هيدمر علاقتكم ببعض طول العمر. علاقتكم حلوة وقوية، ما شاء الله، فمتسمحيش لحد يدمرها.

هزت رأسها موافقة دون أن ترد، ليقول فارس وهو يخرج علبة صغيرة من جيبه: تامر كان جايبلك هدية، وبعد ما مشى بعتلي رسالة أديها لك. اتفضلي.

وضع العلبة أمامها، لترد بحرج: بس أنا مش هينفع...

قاطعتها نور بحماس: هينفع ونص! هات بس نشوف جايب إيه؟ لحسن يطلع

بخيل زي ناس أعرفهم، أول حرف من أسمهم أشرف وفارس.

ضحك أشرف بيأس دون تعليق، بينما تجاهل فارس المزاح وقال بجدية:

- طب مش يلا نمشي عشان الوقت اتأخر؟

رد أشرف وهو ينظر إلى ساعته: آه، ياريت. أنا قلتلهم مش هيتأخروا. يلا يا نور.

نهض الجميع:

-أشرف ونور ومعهم حنان التي كانت جالسة بصمت طوال الوقت. أرسل أشرف رسالة إلى إبراهيم يخبره أنهم غادروا، ثم قاد السيارة لتوصيل حنان إلى منزلها أولاً، ومن ثم زوجته نور.

بينما فارس قاد السيارة في صمت حتى أوصل بسملة إلى منزلها. بعد ذلك، أوقف السيارة أمام منزل زوجته دعاء، التي كانت تحدق به بشرود طوال الطريق. اقترب منها وقبّل وجنتها فجأة.

تراجعت بحرج وهتفت بخفوت: عملت إيه؟

رد فارس بابتسامة: بثبتلك إنك أحلى.

نظرت إليه بعدم فهم، ففسر لها بابتسامة مشاكسة:

-لما بنشوف حاجة حلوة أوي، بنبقى عايزين نبوسها. لكن لو الحاجة حلوة بس مش أوي، بنتفرج عليها من بعيد. زي ما كنتي بتعملي طول الطريق،

مركـزة فيـا وشـايفاني حلـو. لكـن أنـا عملـت كده لأنك حلوة أوي.

احمـــر وجههـــا خجـــلًا وهتفـــت بضـــيق مصطنع:

- لـــم نفســـك وبطـــل قلـــة أدب! إزاي دكتـــور محترم وتعمل كده؟

رد وهـــو يربـــت علـــى رأســـها كأنهـــا قطـــة صـــغيرة: أنـــا خـــايف أصـــدمك وأقولـــك إن اللـــي حصـــل مـــش قلـــة أدب خـــالص. قلـــة الأدب الحقيقية لسه جاية.

زاد خجلها وقالت بخفوت: بس بقى!

اقتـــرب منهـــا وهمـــس بحنـــو: عارفـــة يـــا دودو؟ عمـــري مـــا فكـــرت فـــي الجـــواز. لكـــن لمـــا شـــفتك، حســـيت إنـــي عـــايز أخطفـــك وأبعد بيكي عن الدنيا كلها.

ردت عليه بخفوت مماثل: مفيش حد يقدر يعيش من غير الناس.

أجابها بابتسامة: إنتي كل ناسي.

ثم ابتعد عنها بمرح وقال: يلا انزلي قبل ما أعملها بجد وأخطفك.

ردت بجرأة لم يعهدها منها:

-وأنا موافقة طالما هكون معاك.

جذب يدها وقبّلها وقال: دايمًا معايا. ويلا بقى، عشان عايز أتجوز. شهر واحد وأكون خطفتك غصب عنك. وسيبك من اتفاقكم السخيف إنكم تتجوزوا في يوم واحد.

اعترضت دعاء بحدة: لأ، هتستنى يا فارس! أنا مش هتجوز من غيرهم. إحنا متفقين على كده.

اقتــرب منهــا وقبّــل جبينهــا وهمــس بحــب: أنــا مســتعد أســتناكي العمــر كلــه طالمــا نهايــة الطريــق هتكــون عنــدك. عارفــه إنــي نفسي أخلف بنت حلوة زيك.

ضــحكت وقالــت بحمــاس: لأ! أنــا عــايزة بنتــي زي نــور، وجدعــة زيهــا، وأســميها نور.

رد عليهــا بضــيق مصــطنع: ومــين قالــك إني موافق؟ بنتي هتكون اسمها دعاء.

نزلــت مــن الســيارة بغضــب قائلــة: خلصــت الأسماء عشان تسميها دعاء؟

أغلقــت البــاب بقــوة وغــادرت. أمــا هــو، فأرســل لهــا رســالة بمجــرد أن دخلــت: «تصــبحي علــى خيــر يــا أســتاذة دعــاء؛

والبـــاب اللـــي كســـرتيه هتـــدفعي تمنـــه، وبرضوا هسمي بنتي دعاء »

***

قـام أشـرف بتوصـيل حنـان إلـى منزلهـا، ثـم تحـرك نحـو منـزل زوجتـه، التـي كانـت تجلـس بجـواره دون أن تبـدي أي اهتمـام بـه. وضـعت رأسـها علـى النافـذة ورددت كلمـات الأغنيـة التـي تصـدح مـن الراديـو.

قطع حالة الصمت متسائلًا بتعجب:

-مالك يا وزة؟

نظرت إليه وابتسمت بخفوت: سلامتك.

زاد تعجبـه، فأمسـك بيـدها بـين راحتيـه وضـغط عليهـا كأنـه يخبرهـا أنـا معـك، ثـم قال:

-مالك يا قلبي؟ زعلانة من إيه؟

هتفت نور بهدوء:

-مش زعلانة، بالعكس. فرحانة أوي ومش مصدقة إنك معايا، وبعد فترة هنكون واحد.

أردف أشرف ببسمة هادئة: أنا اللي مش مصدق إنك في حياتي. بحمد ربنا إن مراتي وأول فرحتي هي أنتي. من أول لحظة دخلتي فيها حياتي وأنتي نورتيها وكنتي اسم على مسمى. أحيانًا بتكوني مجنونة ومتهورة وبتعصبيني، بس على قلبي زي العسل.

قالت بمزاح: هتستحمل؟

رد بثقة: لآخر لحظة في عمري.

تابعت بتحدٍ: هتتعب؟

أجاب بابتسامة: تعبك راحة يا نوري.

أردفت بخوف خافت: هتزهق؟

رد قاطعًا: أزهق من الدنيا كلها وأنتِ لأ.

ترددت قليلًا قبل أن تضيف بصوت مكسور:

-هتبعد؟

اقترب منها وأمسك بيدها بحنان: هبعد عن الكل عشان أكون معاكِ.

قالت بخفوت متردد: أنا خايفة.

قبّل أشرف يدها بحب، ثم قال مطمئنًا:

-اطمني. طالما فيا النفس، هحميكِ من نفسي ومن العالم كله. كام نور عندنا؟

ضحكت بمرح قائلة: واحدة.

نظر إليها بجدية وهو يوقف السيارة أمام منزلها:

- اطمني يا قلبي، واعملي اللي أنتي عايزاه. أنا مستحيل أبعد عنكِ. أنا بحب نور المجنونة، مش الهادية اللي خايفة تعمل حاجة وتزعلني. لأني لو زعلت من الدنيا كلها، مستحيل أزعل منك. بحبك يا نور عيني.

اقتربت منه وعانقته بحب وهمست: وأنا بحبك أوي.

***

جلست بسملة على الفراش تفكر بتامر. كيف حاله الآن؟ وماذا يفكر؟ ربما هو حزين، وهي أيضًا تشعر بالحزن لأجله. قلبها يطالب به ويخبرها أنه السكن والمسكن، لكن عقلها يعترض قائلًا: من خان ربه خان عبده. وجدت نفسها

ضائعة بين الاثنين. هتفت بشرود بجملة شهيرة من إحدى الروايات، تتناسب مع حالها:

-أقسى ما يعذبني معه أنني لا أتصور حياتي دونه... ولا أتقبلها معه...! هو سيد قلبي وعدو عقلي... فماذا عساني فاعلة معه؟!

وكأنه يعلم أنها تفكر به، أرسل لها رسالة يعبر فيها عن إصراره بالحصول عليها. كتب:

-«أنا لستُ جديرًا بكِ، لكن من قال إن الأحمق الآخر الذي تقدم لخطبتك جدير بكِ؟! لكن ما دمتِ ستقعين في قبضة وغد لا محالة، فليكن أنا.»

ارتفعت ضحكتها بسعادة بالغة بعد قراءة الرسالة، وقفزت على الفراش عدة مرات وهي تعانق الهاتف وتضحك.

كتبت له ردًا مختصرًا:

-«موافقة.»

لم يتوقع أن ترد عليه، فنهض من على الفراش بلهفة وكتب:

«موافقة على إيه؟»

ردت عليه وعيناها تلمعان، وقلبها يخفق بعنف:

«هقول لبابا الصبح إني موافقة عليك، وأنت كلمه واتفق معاه.»

أردف بفرحة تسع الأرض بما عليها:

«أرن عليه دلوقتي عادي.»

نظرت للهاتف بتعجب وقالت:

«دلوقتي؟! أنت عارف الساعة كام؟»

رد بضيق:

«خـــلاص، مـــش مشـــكلة، أســـهر لحـــد الصبح وأكلمه.»

ابتسمت وهي تقول:

«أنـــت ممكـــن تنـــام وتكلمـــه لمـــا تصـــحى عادي.»

كتب بفرحة:

«هـــو أنـــا هعـــرف أنـــام فـــي الليلـــة الحلـــوة دي؟ يارب الليل يعدي بسرعة.»

أرادت إنهاء المحادثة، فقالت:

«تصبح على خير.»

فهم هو رغبتها، فرد مبتسمًا:

«وأنتِ من أهلي.»

ثـــم أرســـل رســـالة أخـــرى جعلـــت دموعهـــا تنهمر فرحًا:

«وأكبـــر حلـــم دلـــوقتي أغمـــض عينـــي مـــش قلقان

يجمعني بعينيكِ مكان

وأعيط مرة مش مكسوف

بحبك قبل ما الدنيا تجمعنا أنا وأنتِ

وفتحتـــي فـــ حيـــاتي بيبـــان عاشـــت عمـــر مقفولة

برقـــة وردة خـــدتِ القلـــب وروحـــتِ وجيـــتِ وسكنتِ

وبالعِشرة وبالأيام بقيتِ السيدة الأولى.»

ارتمـــت علـــى الفـــراش تبكـــي بفرحـــة وتقبـــل الهـــاتف بـــين الحـــين والآخـــر. أمـــا هـــو، فلـــم يصـــدق مـــا حـــدث، وأراد الـــذهاب إلـــى

منزلهـــا الآن ليطالـــب بهـــا. خـــرج مـــن غرفته بفرحة وصاح بصوت مرتفع:

-بابـــا، مامـــا، يـــا إيمـــان، كـــرييييم، ســـلمى، يـــا ديالا!

خـــرج الجميـــع مـــن غـــرفهم بقلـــق، وركـــض كريم نحوه متسائلًا بلهفة:

-في إيه؟ مالك يا تامر؟ أنت تعبان؟

لـــم يـــرد عليـــه، بـــل جذبـــه لأحضـــانه قـــائلًا بفرحة:

-بـــاركلي يـــا كـــريم! بســـملة وافقـــت تتجوزني!

حمـــد الله كـــريم فـــي ســـره ورفـــع ذراعيـــه ليعـــانق شـــقيقه. فمنـــذ ســـاعات كـــان تـــامر يبكـــي بـــين أحضـــانه ويخبـــره أنـــه فقـــد البنـــت

الوحيـــدة التـــي أحبهـــا. ربـــت كـــريم عليـــه وقال:

-مبروك يا تيمو، وربنا يسعدكم.

انتشـــرت الســـعادة كالعـــدوى علـــى وجـــوه الجميـــع، فتســـاءلت ديـــالا بتعجـــب وهـــي تقترب منه:

-مين قالك إنها وافقت؟

ابتعـــد عـــن كـــريم واقتـــرب منهـــا ليعانقهـــا وقال والسعادة تقطر من كلماته:

-هـــي! أنـــا كلمتهـــا مـــن شـــوية وقـــالتلي أكلـــم أبوها الصبح.

ابتســـمت ديـــالا وهـــي تبادلـــه العنـــاق وهتفـــت بحب:

-مبارك يا حبيبي!

وكـــذلك فعلـــت إيمـــان ووالدتـــه، لكـــن ســـلمى اقتربت منه، فتحت يدها وقالت:

-هات فلوس عشان أجيب فستان.

نظر لها بتعجب وقال: فستان إيه؟

ردت بحمـــــاس: فســـــتان أحضـــــر بيـــــه خطوبتك.

دفشـــها برفـــق نحـــو زوجهـــا وقـــال مازحًـــا: يـــا شـــيخة، ابعـــدي عنـــي وشـــوفي جـــوزك! بـــدل مـــا تيجـــي تقـــولي مبـــروك، تقـــولي عـــايزة فلوس!

قربهـــا كـــريم منـــه وقـــال بحنـــان: ســـيبك منـــه يا روحي، وأنا أجبلك أحلى فستان.

اتســـعت ابتســـامتها وأخرجـــت لســـانها لتغـــيظ تامر قائلة:

- يخليك ليا يا كيمو، ويبعد عنك الحاقدين أمثال تامر أخوك!

ابتسم لها ولم يعقب، فقد كان في مزاج رائق لا يريد تعكره بسبب تلك المزعجة.

اقترب من والده الذي كان ينظر إليه بضيق وسأله بقلق:

-بابا، مالك؟ أنت مش موافق؟

رد حسني بانزعاج: ومـوافقش ليه ياخويا؟ بس في واحد عاقل يصرخ كده في نص الليل يطلعنا مخضوضين! مش قادر تستنى للصبح وتقولنا؟

احتضنه تامر وقال: فرحان يا بابا، ومكنتش مصدق إنها وافقت!

رد والده بحب: ربنا يسعدك، ويجعلها زوجة صالحة ليك.

ابتعد تامر عن والده وقال بحماس: بكرة جهزوا نفسكم، عشان هنروح نخطبها رسمي!

أردف كريم بجدية: يا بني، أنت لسة هتكلم أبوها وتاخد معاد تيجي فيه! يعني أكيد مش بكرة.

رد تامر بانزعاج: مفيش حاجة اسمها ميعاد! أنا هكلمه بكرة وهقوله إننا في الطريق. أنا استنيت كتير ومش هستنى تاني!

قال كريم بسخرية: وعلى إيه تقوله إننا في الطريق؟ إحنا ناخد معانا المأذون ونحطهم قدام الأمر الواقع ونكتب عليها!

لمعت الفكرة في عقل تامر، فقال بحماس:

-أنا وافق! كلم أنت المأذون وقوله يجي هنا الساعة أربعة!

انطلقت ضحكاتهم بسخرية عليه، فلم يصدق أحد أن تامر مهووس ببسملة إلى تلك الدرجة...

***

انتهى اليوم بسعادة على الجميع ليبدأ يوم جديد بشمس تشرق داخل أحدهما وتغرب عن الآخر، وها هو أتى اليوم الذي انتظره تامر منذ زمن.

الساعة الآن التاسعة صباحًا، كانت بسملة وحورية تقومان بتجهيز الفطور، وعلي يجلس في الشرفة حين صدح هاتفه برقم تامر. تعجب من اتصاله في هذا التوقيت، لكنه رد بجدية:

-السلام عليكم.

رد تامر بسعادة: وعليكم السلام يا عمي علي.

تعجب علي من تامر، فهو منذ معرفته به يناديه بأستاذ علي، فماذا تغير الآن؟

عاد صوت تامر يصدح عبر الهاتف:

-أنا بستأذن حضرتك إني جاي أنا وعيلتي بعد العصر نطلب إيد الآنسة بسملة بشكل رسمي.

لم يعلم علي بماذا يجيب؛ فابنته لم تأخذ قرارًا بعد. صمت يفكر، فأتت زوجته تسأله:

-بتكلم مين يا علي؟

قام بتفعيل كتم الصوت ورد عليها بحيرة:

-تامر اتصل بي يقول إنه عايز يجي هو وعيلته بعد العصر عشان يخطب بسملة، ومش عارف أقول له إيه، هي لسه موافقتش، وأنا مش عايز أضغط عليها.

ابتسمت حورية وربتت على كتفه وقالت:

-قوله يجي ينور. بنتك وافقت، وكانت عايزة تقولك بعد الفطور، بس شكله هو مستعجل.

نظر لها متسائلًا، فقالت: رد عليه الأول، وبعدين هقولك.

كان تامر ينتظر حديثه بتوتر، إلى أن قال علي:

-تيجي تنور في أي وقت.

رد تامر بسعادة: بعد العصر على طول هكون عندكم.

أغلق علي الهاتف ونظر لزوجته، فقالت:

-هنفطر، وهنقولك يعني هنروح فين؟

جلسوا يتناولون الطعام، وبسملة تكاد تموت خجلًا من الموقف ونظرات والدها التي لم تتركها. أنهت طعامها بسرعة ونهضت لتغادر، فأوقفها والدها:

-تعالي يا بسملة، عايز أتكلم معك، وحورية هتعمل لنا شاي.

تحركت خلف والدها بخجل، فقال علي:

-مكسوفة مني يا بسملة؟

حاولت أن تتحدث، لكن الكلمات فرت منها، فقال علي:

-أنا معديش أغلى منك، وتصعب عليّ نفسي وأنتِ بعيدة عني، بس أهم حاجة عندي سعادتك. احكي لي، حصل إيه امبارح؟

صمتت للحظات تخفي خجلها، ثم أردفت برقة:

- بعد ما مشيتوا، جيهان زعلت مني وقالت لو اتجوزت محمد مش هتكلمني تاني، وأنت عارف يا بابا جيهان غالية عندي إزاي.

رد علي بثبات: يعني أنتِ وافقتِ عشان جيهان؟

نفت برأسها وهتفت بخجل طفيف: لأ، أنا وافقت عشان هو كويس، وكمان جيهان فهمتني إني ممكن أخسره بسبب

عنـــادي، فأنـــا هـــدي نفســـي فرصـــة أتعـــرف عليه.

تســـاءل والـــدها بهـــدوء: وهـــو عـــرف منـــين إنك موافقة؟

أخبرتـــه أن ينتظرهـــا، ثـــم توجهـــت لغرفتهـــا، وجـــذبت هاتفهـــا، وفتحتـــه علـــى المحادثـــة وأعطته لوالدها قائلة بحرج:

- أنـــا آســـفة يـــا بابـــا، هـــو بعـــت لـــي كـــذا رســـالة وأنـــا مكنـــتش بـــرد، بـــس امبـــارح لمـــا بعـــت لـــي رســـالة، رديـــت وقلـــت لـــه إنـــي موافقـــة. حضـــرتك شـــوف بنفســـك، أنـــا مخنتش ثقتك والله.

قـــرأ علـــي المحادثـــة وهـــو يبتســـم بفرحـــة، لأن ابنتـــه حصـــلت علـــى شـــخص مصـــرّ بالفوز بها. هتف بمرح:

-الـــواد ده معلـــم فـــي التثبيـــت، دانـــا نفســـي أتثبت. شفتي آخر رسالة كاتب لك إيه؟

«اتـــاري الـــدنيا فيهـــا جميـــل وحلـــو عكـــس مـــا اتقالي

وحظـــي الحلـــو مـــش ضـــايع وكـــان ويـــاكي متشالي.»

ابتســمت لــه ولــم تعقــب، فقــال وهــو يجــذبها لأحضانه:

-ربنـــا يســـعدك يـــا بســـملة، ويجعلـــه الـــزوج الصـــالح، ويرزقـــك الذريـــة الصـــالحة اللـــي تكون سند ليكِ في الدنيا.

بادلتـــه العنـــاق وهتفـــت بحـــب: أنـــا ســـندي فـــي الـــدنيا ربنـــا ثـــم أنـــتَ يـــا بابـــا. أنـــا ملـــيش غيـــرك، ومـــش عـــايزة يكـــون لـــيَّ ســـند غيرك.

قبل جبينها وأبعدها عنه وقال:

-يـــلا، روحـــي قـــولي للمجـــانين صـــحباتك، عشان لو عرفوا متأخر هيخلصوا عليكِ.

ضـــحكت، وقبلـــت يـــده، ثـــم غـــادرت مـــن أمامه.

***

بعد مرور ساعتين في منزل دعاء

-اخلصـــي يـــا دعـــاء، بقالنـــا ســـاعة مســـتنيينك الله.

ردت دعـــاء ببـــرود: وأنـــا بقـــالي تلـــت ســـنين بســـتنى فـــيكم ومتكلمـــتش، اســـكتي بقـــى عشان مش عارفة ألبس إيه.

ردت نـــور بضـــيق: البســـي أي حاجـــة يـــا ستي واخلصي.

أردفت دعاء، وهي تقبع أمام خزانة الملابس بحيرة:

-فارس هيكون هناك، وأنا عايزاه يشوفني حلوة. وبعدين، قال لما تخلص الخطوبة هياخدني ونتمشى شوية مع بعض.

هتفت نور بتهكم: طب يا أختي ابعدي كده، وأنا هختارلك.

اختارت نور فستانًا هادئًا بلوني الأسود والأخضر يناسب جمال عيون دعاء.

قفزت دعاء بسعادة عندما أعجبها الاختيار، وكأنها لم تراه في الخزانة من قبل. وبعدها، قامت بتغيير ثيابها، ووضعت الحجاب بطريقة مختلفة عما

اعتـــادت عليـــه. أعجبـــت بمظهرهـــا، وتمنـــت أن يعجب فارس.

قالـــــت جيهـــــان باستحســـــان لمظهرهـــــا الرائع:

-الفســـتان جميـــل أوي عليـــكِ مـــا شـــاء الله. لمـــا تغســـلي الفســـتان، ابقـــي ابعتيهـــولي عشان عجبني أوي وعايزة ألبسه.

ردت عليهـــا نـــور: حلـــو علـــى دعـــاء لكـــن عليكِ هيطلع وحش.

حـــدقت بهـــا جيهـــان بشـــر، لتقـــول دعـــاء: يـــلا اخلصـــوا، اتأخرنـــا. بســـملة مجنونـــة، مـــش هدخلنا.

نظـــروا لهـــا بســـخرية، فهـــي مـــن أخـــرتهم، والآن تقـــول ذلـــك. خرجـــوا مـــن المنـــزل وتحركـــوا إلـــى منـــزل بســـملة. وبعـــد دقـــائق،

وصلوا، قاموا بطرق الباب، ولم يجب أحد. طرقوا مرة واثنتين، ولم يجب أحد، لتقول نور بضيق:

-افتحي يا بسملة الباب بدل ما أكسره على رأسك.

ردت بسملة، التي كانت تقف خلف الباب ولم ترد وتمنع والدتها من التحدث:

-مكان ما جيتي روحي، أنا مش عايزة حد منكم.

ردت دعاء بهدوء وخبث، وهي تبعد جيهان عن الباب:

-افتحي يا بسملة، عيب كده. كلها عشر دقايق اللي اتأخرناها، وبعدين كنا بنقتع جيهان عشان تيجي، وبرضه مرضيتش.

فتحت بسملة الباب بسرعة، وهي تقول بغضب:

-نهارها أسود كمان، مجتش ولسه عاملالي بلوك، وربي أروح أجيبها من شعرها.

ضحكت نور وهي تعانقها: مبروك يا بسو.

ردت عليها بحب: الله يبارك فيكِ يا نور.

اقتربت دعاء وعانقتها، وهي تقول بمزاح:

-أخيرًا هتجوز.

أبعدتها بسملة عنها بضيق، وهي تقول:

-شوف الوطية فرحانة عشان هتتجوز مش عشاني.

ارتفعت ضحكة دعاء، وهي تهتف: أيوة طبعًا عشان أنتِ اللي معطلاني، ومش عارفة أتجوز بسببك.

قالت بسملة بضيق، وهي تحاول إغلاق الباب في وجههم:

-غوري يا دعاء من هنا. أنا غلطانة إني قلت لكم. يلا، مش عايزة أشوف حد منكم هنا.

زادت ضحكة دعاء، وهي تقول بصعوبة:

-خلاص، خلاص، ألف مبروك يا بسو.

ظهرت جيهان أمامها واقتربت منها لتعانقها بسعادة لأجلها. بادلتها بسملة العناق، وهي تردد باعتذار:

-متـــزعليش منـــي يـــا جيجـــي، أنـــا مكنـــتش أقصد أزعلك.

ربتـــت جيهـــان عليهـــا وقالـــت: متـــزعليش منـــي أنـــتِ، أنـــا عملـــت كـــده عشـــان خايفـــة عليـــكِ. أبعـــدتها بســـملة عنهـــا وهـــي تبتســـم، وعلـــى حـــين غـــرة جـــذبتها مـــن حجابهـــا، وهتفـــت مـــن بـــين اصـــطدام أســـنانها ببعضها:

-بقـــى أنـــا يـــا جزمـــة تعمليلـــي بلـــوك وأجـــي أكلمـــك مـــن عنـــد ماما تعمليلهـــا بلـــوك، كـــان ناقص تعملي لـ بابا كمان.

أردفت جيهان، وهي تحاول إبعاد يدها:

-والله عملتلـــه عشـــان تبقـــوا أســـرة مـــع بعضيكوا.

دفشـــتهم دعـــاء إلـــى الـــداخل، وأغلقـــت الباب، وجذبت يد نور، وقالت:

-لما تخلصوا، تعالوا ورانا.

توســـلتها جيهـــان ببـــراءة مصـــطنعة: خـــلاص يـــا بســـو، عشـــان خـــاطري. مـــش أنـــتِ قولـــتِ إنـــي زي أختـــك؟ فـــي أخـــت تشـــمت فـــي أختهـــا الأغـــراب؟ شـــفتي دعـــاء ونور فرحانين فيا إزاي؟

ابتعـــدت عنهـــا حينمـــا تحولـــت نبرتهـــا للحـــزن، واحتضـــنتها. رفعـــت جيهـــان يـــدها وربتـــت عليهـــا بحـــب. وعلـــى بعـــد صـــغير، كـــان علـــي يتـــابع ابنتـــه وتعلقهـــا الشـــديد بـــ جيهـــان. يعلـــم أن جيهـــان صـــديقتها الأولـــى، وهـــي مـــن عرفتهـــا علـــى نـــور ودعـــاء، ولكنـــه لـــم يتوقـــع أن تكـــون متعلقـــة بهـــا لهـــذا

الحد. في الأمس، سمعها وهي تقول لوالدتها بحزن أن جيهان وضعتها في قائمة الحظر ولا تريد أن تحدثها، فظن أنها تبالغ، ولكن ما رآه الآن جعله يعلم أن ابنته تعتبرها شقيقة لها.

بعد صلاة العصر، تحرك تامر برفقة عائلته كلها إلى منزل بسملة، فوجد علي بانتظاره ومعه فارس وأشرف، الذي أتى مجبرًا بسبب المجنونة خاصته التي هددته أنه إن لم يأتِ، ستحيل حياته للجحيم، فأتى مستسلمًا. أما فارس، فأتى بعدما خدعته دعاء بأنها لم تطلب منه شيئًا، وأن أول طلب يرفضه سيجعلها حزينة، فبكت بتمثيل، وهو يعلم ذلك، لكنه رضخ لها خوفًا من أن تحزن

بالفعل. أما إبراهيم، فرفض لأنه لم يلتقِ بعلي من قبل، وحاولت جيهان معه، ولكنه أخبرها أن لديه عملًا ولن يستطيع أن يأتي، فقبلت على مضض.

اجتمعوا وبعد تبادل التحيات، طلبها حسني لابنه بشكل رسمي، فوجد القبول من علي. بعدها ولجت بسملة، وهي تحمل العصير وقدمته لهم. من خجلها، لم ترفع عينيها عن الأرض، وخرجت على الفور. أما تامر، فخفق قلبه عندما رآها تلمع كأنها النجوم، فهمس لكريم بعدة كلمات خافتة.

قال كريم بود: شرف لينا يا أستاذ علي إن إحنا نناسب حضرتك، واطمّن على

بنتك بسملة. هتكون زي ديالا أختي، وهنشيلها فوق راسنا.

كان علي يشعر بسعادة بالغة أن ابنته ستنتمي لتلك العائلة الراقية، فقال بود:

-زادنا الشرف بكلامك يا دكتور كريم.

ابتسم له كريم وقال: بلاش ألقاب، إحنا بقينا عيلة. وبعد إذنك، ممكن تامر يقعد يتكلم مع بسملة شوية؟ وأي حد يقعد معاهم عشان ما يكونوش لوحدهم.

أردف علي بسخرية: متقلقش، حتى لو أنا عايز يقعدوا لوحدهم، في ناس مش هتسمح بكده. دقيقة.

خرج، وبعدها بدقيقتين عاد، فقد أخبرهم أن تامر يريد التحدث مع بسملة.

فصـــاحت نـــور بحمـــاس، تعلـــن موافقتهـــا وكأن موافقتها ضرورية.

ولـــج تـــامر الغرفـــة التـــي تنتظـــره فيهـــا بســـملة، وهتـــف بمـــرح عنـــدما رآهـــا تجلـــس بمفردها:

-السلام عليكم يا بسبوسة.

-وعليكم السلام يا عسول.

التفـت خلفـه، فوجـد فتـاة لـم يعـرف اسـمها، ولكنـه يعلـم أنهـا صـديقتها؛ فقـد رآهـا يـوم المحكمـة. ولجـت نـور، وجلسـت علـى الأرض أمـام الأريكـة براحـة وكأنهـا بمنزلهـا. تعجـب تـامر مـن جلوسـها. دخلـت جيهان وبيدها تسالي، وقالت بلا مبالاة:

-ادخـل، ومـا تاخـدش فـي بالـك، دي نـوره، عادي.

دخل خلفها بهدوء، وبسملة تكاد تموت خجلًا منه. فقال وهو يجلس على أقرب مقعد منها:

-إزايك يا بسملة؟

-الحمد لله، والله زي الفل. إنت شايف إيه؟ دي طول النهار تزغرد، فاكرة إنه فرح العمدة.

هكذا ردت عليه نور بتهكم، لينظر لها بتعجب، فهو لا يفهم ما يحدث. تغاضى عن حديثها وقال:

-شكرًا لأنك وافقتِ.

-ما فيش شكرًا من غير هدية، ولا إنت بخيل زيهم ولا إيه؟

خرجت تلك الجملة ببرود من جيهان، وهي تتناول التسالي. فقالت بسملة بغيظ منها:

-اطلعي يا جيهان، إنتِ ونور، شوفوا دعاء فين؟

ردت جيهان باعتراض: لأ، روحي إنتِ يا نوره، لأني بحب الحاجات دي أوي.

تساءل تامر بتعجب: حاجات إيه؟

ردت عليه نور، وهي تنهض وأشارت عليهما:

-قصده على المشهد الرومانسي اللي بيحصل.

خرجت نور، ليقول تامر: مبروك.

ابتسمت له وردت: الله يبارك فيك.

أردف تامر: إحنا حددنا كتب الكتاب يوم ٩/١٠، والفرح. عم علي قال إنك عاوزاه مع أصحابك. كده هنستنى لما يحددوا معاد.

كانت جيهان تعبث في هاتفها، وعندما استمعت إلى حديثه، قالت بجدية:

-أنا مش موافقة يا بسملة.

أتت نور، وجلست بجوار جيهان، وقالت بثبات: ولا أنا يا بسملة موافقة.

نظر لهما تامر بدهشة، ولكن بسملة ظنت أنهما يمزحان كعادتهما. لكن حديث دعاء فاجأها عندما قالت بهدوء:

-وأنا كمان مش موافقة.

الفصل التاسع والثلاثون

قالت لي عجوز ذات مرة:

-ولكن يا صغيرتي الشيطان لن يأتيكي برداء أحمر و قرون مخيفة ... إنه سيأتيك في هيئة كل ما تشتهيه و تهواه نفسك فاحذري.

***

أردف تامر: احنا حددنا كتب الكتاب يوم ٩/١٠، والفرح. عم علي قال إنك عاوزاه مع أصحابك. كده هنستنى لما يحددوا معاد.

كانت جيهان تعبث في هاتفها، وعندما استمعت إلى حديثه، قالت بجدية:

- أنا مش موافقة يا بسملة.

وجلست نور بجوار جيهان وقالت بثبات:

-ولا أنا يا بسملة موافقة.

نظر لهم تامر بدهشة، ولكن بسملة ظنت أنهم يمزحون كعادتهم. لكن حديث دعاء فاجأها عندما قالت بهدوء:

-وأنا كمان مش موافقة.

تساءلت بسملة بصدمة: حتى أنتي يا دعاء؟

ردت دعاء بهدوء: لأنه مينفعش يا بسملة.

تساءل تامر تلك المرة: هو إيه اللي مينفعش؟

ردت عليه نور: تاريخ كتب كتابك يا سيدي.

أردف تامر ساخرًا: ليه؟ الأستاذة وراها معاد ولا إيه؟

نظـرت لـه بشـر ثـم هتفـت بضـيق: شـكلي هحطـك فـي الـبلاك ليسـت. واه يـا سـيدي، عنـدي معـاد، مـش بـس أنـا، وبسـملة كمـان معانا.

أردفت بسملة بعدم فهم: معاد إيه ده؟

ردت جيهـان بضـجر: كتـب كتـابي يـا سـتي. أنـا مـش قلـتلكم مـن شـوية إن هيمـا حـدد معـاد كتـب الكتـاب؟ وسـاعتها عمـو علـي نادى عليكي، ومسمعتيش التاريخ.

قالت نور ساخرة: هيما؟

ردت جيهـان بحنـق: أيـوة يـا اختـي، هيمـا، اللي غيران منا يقلدنا.

هتفت نور وهي ترفع أحد حاجبيها:

-يـاختي اتنيلـي. هغيـر مـنكم عـلاء؟

تسـاءلت جيهـان بسـخرية: قـوليلي يـا

نـــوره، لمـــا تحبـــي تـــدلعي أشـــرف، هتدلعيـــه بـأشروفة ولا إيه؟

صـــــدحت ضـــــحكات جيهـــــان عنـــــدما رأت نظرات نور المشتعلة، وقالت بصعوبة:

-وأنـــتِ يـــا دعـــاء، هتقـــولي لـــفارس إيـــه؟ فروسة ولا أبو الفوارس؟

زادت ضـــــحكات جيهـــــان وأشـــــارت إلـــــى بسملة بضحك:

-أنتي براءة يا بسملة، صح؟

أردفـــت دعـــاء بضـــيق وغضـــب مكتـــوم: هـــا يـــا خفـــة، خلصـــتي ضـــحك ولا لســـة؟ عشـــان نتكلم جد.

وضـــعت جيهـــان يـــدها علـــى فمهـــا وأشـــارت لها أن تتحدث. لتقول دعاء بجدية:

-جيهان كتب كتابها يوم ٩، يعني بعد أسبوع. وطبعًا مش هينفع يكون كتب كتابكم معاها.

تساءل تامر بعدم فهم وضيق:

-ليه؟ المأذون مش هيرضى يكتبلنا ولا إيه؟ هما هيكتبوا في بيتهم واحنا هنكتب هنا.

دخل في تلك اللحظة أشرف وفارس، فقال الأول بهدوء:

- مش هينفع عشان هما عايزين يحضروا مع بسملة ومع جيهان.

أردف تامر بإصرار: يعني إيه؟ أنا خلاص حددت، ومش هينفع أروح أقلهم يأجلوا عشان سبب زي ده.

تـــدخل فـــارس وقـــال بعـــد تفكيـــر: خـــلاص بســـيطة. دعـــاء تحضـــر مـــع بســـملة ونـــور تحضر مع جيهان.

اعترضـــت بســـملة علـــى حديثـــه وقالـــت: بـــس أنا عايزة أحضر مع جيهان.

وكـــذلك جيهـــان قالـــت: وأنـــا عـــايزة أحضـــر مع بسملة.

نظـــر أشـــرف لـــتامر كأنـــه يخبـــره أن هـــذا مقصده. فقالت دعاء ببساطة:

-عنـــدي فكـــرة. نخلـــي كتـــب كتـــاب بســـملة فـــي العصـــر، ونحضـــر كلنـــا معهـــا. وبعـــدها نـــروح بيـــت جيهـــان ونخلـــي كتـــب الكتـــاب بعد العشاء.

ابتســـم فـــارس لهـــا بفخـــر: برافـــو يـــا حبيبتـــي. ذكية من يومك.

نظـــرت لهـــم نـــور بضـــيق، وأبعدتـــه عنهـــا، ووقفت بينهم، وقالت:

- ابعد يا عسل. احترمني، أنا واقفة هنا.

نظـــر فـــارس لـــأشرف وقـــال: شـــوف مراتـــك يا أشرف، عشان أنا تعبت منها.

اقتـــرب أشـــرف مـــن نـــور، ووضـــع يـــده عليها ليقربها منه، وهمس بنبرة خافتة:

-ملكيش دعوة بحد يا نور.

لـــم تـــرد عليـــه لقربـــه الشـــديد منهـــا، ابتســـمت وهزت رأسها بصمت. ليقول تامر:

-خلاص، موافق.

أردفـــت نـــور بضـــيق: أصـــلاً محـــدش خـــد رأيك.

كمـــم أشـــرف فمهـــا وقـــال بأســـف: أنـــا آســـف يـــا جماعـــة، بـــس دي نـــور، محـــدش بيقـــدر

يسكتها. لو عندكم حل عشان تخرس وما تدخلش في حاجة، هكون شاكر ليكم.

ابتعدت عنه بضيق، وجذبت يد دعاء وبسملة وقربتهما منها بتملك. ونظرت للشباب بشر، ثم تبدلت نظرتها لأخرى خبيثة، وقالت ببراءة مصطنعة:

-أنا ولا الكائن ده يا بسملة.

ضحك أشرف على المجنونة خاصته، وعلى نظرات الشباب لها. وانقضى اليوم بسعادة وبهجة. غادر تامر مع عائلته، وبعدها الفتيات غادرن على اتفاق باللقاء غدًا لتذهب بسملة وجيهان للاستوديو لالتقاط صور لهما من أجل عقد القران وتجهيز الأوراق المطلوبة.

مر الأسبوع على ما يرام واليوم، واليوم لقاء الأحبة برابط مقدس. اليوم عقد قران بسملة وجيهان، وكان منزل بسملة متكدسًا بالسكان، والأصوات الصاخبة تصدح لتهز القلوب فرحًا. كانت الفتيات يجلسن في غرفة بسملة، يرتدين ثيابهن بعدما تم تجهيز بسملة، التي أصبحت مثل الشمس.

-إيه رأيك يا بسو، فستاني حلو، صح؟

هكذا تساءلت دعاء وهي تدور حول نفسها، لترد عليها جيهان:

-حلو أوي، وأنتي أحلى.

لكن نور اعترضت على الفستان ومن أتى به:

- مش حلو، واللي اشتراه معندوش ذوق. برضه ده منظر فستان؟

نظرت لها دعاء بشر: ملكيش دعوة، محدش خد رأيك.

أردفت نور بلامبالاة: أنتي حرة، أنا خايفة عليكي وعلى شكلك، وبقولك رأيي قبل ما تدبسي في الجوازة. هي في واحدة عاقلة تتجوز واحد اسمه فارس؟

ردت عليها دعاء ببرود: آه، ملكيش دعوة، ع الأقل مسموش أشرف.

هتفت نور تدافع عنه: ماله أشرف ياختي؟ ده زينة شباب البلد، كفاية عينيه السواد.

ولجت حورية الغرفة، فوجدتهم يتشاجرون. هزت رأسها بيأس، ثم

اقتربت من ابنتها التي ترتدي فستانًا مثل السمكة، ملتصقًا على جسدها من عند الصدر باللون الوردي، ومتسعًا قليلًا من الأسفل باللون الرمادي، والحجاب مزيج من الأبيض والوردي. كانت تضع بعض المساحيق التجميلية التي أبرزت جمالها مع لون عينيها الأسود كسواد الليل، وبشرتها الحنطية، وجسدها الكيرفي. كانت حقًا جميلة مثل شمس بعد المطر.

ابتسمت حورية بسعادة وعانقت ابنتها وهي تقول:

- بسم الله ما شاء الله، زي العسل يا حبيبتي.

بادلتها بسملة العناق بفرحة كبرى، والفتيات نظرن إليهما بعيون تلمع كأنها النجوم. ابتعدت عنها حورية وهي تقول:

-تامر وصل مع عيلته ومعهم المأذون.

خرجت الفتيات بعد تلك الجملة وخلفهن حورية. وبعد دقائق، جلس تامر وعلي بجوار المأذون الذي بدأ الحديث المعتاد عن عقد القران، وأنهى حديثه بقوله:

-بارك الله لكم، وبارك عليكم، وجمع بينكم في خير.

ثم ولج علي غرفة جلوس النساء ومعه كريم وشقيقه عز، فهم الشهود على الزواج. طلبوا من بسملة التوقيع والبصم على العقد. فعلت بسملة ذلك، وبعدها انطلقت الأصوات الصاخبة من

أفـــواه النســـاء. جـــذبت جيهـــان يـــد بســـملة لتـــــرقص معهـــــا، واقتربـــــت الفتيـــــات ليرقصـــن. أصـــبحت بســـملة فـــي المنتصـــف والفتيـــات حولهـــا، واســـتمر الـــرقص لـــبعض الوقت إلى أن قالت حورية:

-بســـملة، يـــلا تعـــالي، عشـــان تـــامر عـــايز يشوفك.

اســـتأذنت جيهـــان ونـــور ودعـــاء للمغـــادرة. قـــام فـــارس بتوصـــيلهن إلـــى منـــزل جيهـــان، وذهـــب أشـــرف برفقـــة إبـــراهيم إلـــى منزلـــه إلى أن يأتي الوقت المحدد.

***

ولـــج تـــامر غرفـــة بســـملة التـــي كانـــت تنتظـــره بهـــا. فرحتـــه بلغـــت عنـــان الســـماء، هـــا هـــو قـــد وصـــل إلـــى القمـــر، بـــل امتلكـــه

وأصبح ملكية خاصة لا يحق لأحد أن ينظر إليها. والقمر هي بسملة، التي جلست أمامه تسترق النظر إليه بخجل. اتسعت ابتسامته وأغلق الباب خلفه، ثم اقترب منها. وقبل أن ترفع عينيها عن الأرض، وجدت نفسها بين أحضانه. دار بها حول نفسه وهو يهتف بفرح:

-الحمد لله، الحمد لله! مش مصدق أنك بقيتِ مراتي.

شاركته السعادة، وهتفت بخجل: نزلني.

توقف وهو ما زال يحملها بين ذراعيه، رافعًا إياها عن الأرض كي تصل لطوله، وقال مبتسمًا:

- لأ، أنا مرتاح كده.

استكانت بين ذراعيه، ولم تدرِ كم مضى من الوقت وهما على هذا الوضع، إلى أن أنزلها برفق، ثم قبّل جبينها وألصق رأسه برأسها قائلاً بحب:

-عنيكي جميلة أوي وهي بتبتسم.

ابتعد قليلًا وسألها باهتمام: حاسّة بإيه؟

نظرت له بخجل، وقالت: فرحانة أوي... بس يا رب ما تكسرش ثقتي فيك، وما تجرحش قلبي اللي بينبض باسمك.

كان اعترافًا صريحًا بمكانته في قلبها، لذلك قال بلهفة:

-بموتي، وطول ما أنا عايش هحافظ على قلبك من أي حزن. واليوم اللي يزعل فيه قلبك، هكون أنا تحت التراب.

هتفت بسملة بلهفة: بعد الشر عليك!

ابتعد عنها خطوتين، وقال وهو يتابع عينيها بشغف:

-ولإنك حلوة وبنت أصول وعفيفة ومن بيت راجل جد،

تستاهلي الشخص اللي يشوفك وكأن ما فيش في جمالك حد.

يتعب علشان يوصل باباكِ ويقابل ناسك وأحبابك،

وتعيشي معاه فرح شبابك، ويجيب لك ورد يليق بالورد.

أخرج لها وردة حمراء من جيب بدلته الأنيقة وناولها إياها، ثم غمز بعينه بمشاكسة وعاد يقول:

-الغالي ما ياخدوش غير غالي، وأنتِ الغالية.

أنـــتِ اللـــي تطلـــي الصـــبحية مـــن ســـور البلكونة العالية،

تطلـــي علـــى النـــاس وكأنـــك البنـــت أم الشـــعر المسحور.

اقتـــرب منهـــا ليفـــك حجابهـــا، يـــرى شـــعرها الأســـود الكيرلـــي، وعبـــث بخصـــلاته بحنـــان.

هتف:

-زي الأفـــلام الأبـــيض وأســـود، ومشـــاعرك خام لسه وخالية.

النـــاس عمالـــة تتغيـــر، وأنـــتِ علـــى وضـــعك من يومك.

الأدب اللـــي مـــزين وشّـــك، والـــذوق الواســـع في هدومك.

أمســـك يـــدها وقبّلهـــا، ثـــم بـــدأ يـــرقص معهـــا على دقات قلبه وهو يقول:

-إحنا الرجالة بندور على الست اللي تدوم،

بندور على أم وزوجة تشاركنا الأفراح والهموم،

بندور على ونس الرحلة والنص الحلو من الدنيا،

والست اللي تربت مظبوط، وراجلها يميل تسنده ويقوم.

توقف ونظر إلى ملامحها بحب، ثم وضع يديه على وجهها، وقال:

-البيت الشبعان حنية يطلع إيه غير حنية؟

يطلع إيه غير قلب جميل وملامح هادية ووردية؟

والله يا بخت اللي تحبيه، هيفوز بالدنيا والآخرة.

أنواع الرزق كتير، لكن أحلاها تكون ست وفية.

ابتعد عنها قليلًا ونظر لها بلوم وعتاب لدخولها حياته متأخرًا. عاد يقول:

-تعرفي أنا ليه لسه لوحدي؟ ما دخلتش دنيا وبتهرب،

علشان عندي تاريخ أسود من بعده مش عاوز أجرب.

الناس حوالينا مش أحكي، ما أنتِ أكيد شايفة وعارفة،

بيكونوا بعيد حلوين جدًا والصورة تبوظ لما نقرب.

أخذ نفسًا عميقًا وقال:

-فبقول لكِ نصيحة يا حلوة: خليكي بوضعك وتمامك،

خليكي بأدبك وهدوئك وكسوفك دايمًا في كلامك،

احفظي قلبك من غشم الناس والوضع البايظ حوالينا،

وهيجي الفارس بالخاتم، وهينزل يركع قدامك.

جلس على ركبتيه أمامها، وأخرج علبة صغيرة بها خاتم محفور عليه اسمها.

انهمرت دموع بسملة بسعادة مما يحدث. اقتربت منه ليضع الخاتم في يدها، وقال:

-تستاهلي الحب اللي يطلع وتشوفه الناس ظاهر في النور.

الرجالة يدخلوا من الباب، وما فيش راجل ينط السور.

طول عمرك غالية، فخليكي متشالة بكيسك ولونيسك.

أرتمت بسملة بين أحضانه، وهي تبكي وتقول:

- أنا بحبك أوي يا تامر.

بادلها العناق، وهو يشدد من احتضانها قائلاً:

-وأنا مهووس بيكي يا حياة تامر.

***

-زعلان ليه يا مارس؟

خرج هذا السؤال باهتمام من ديالا، التي تقف معه بعيدًا عن الناس في منزل بسملة، ليرد عليها بضيق: بقولك تعالي

نتمشى مع بعض شوية وأنتي مش راضية.

ردت ديالا بهدوء: امشي إزاي من هنا، والنهارده كتب كتاب أخويا.

أردف مارس بثبات:

- وكتب الكتاب خلص، وتامر قاعد مع مراته يعني مش هيفكر فيكم، وفارس خد مراته وأصحابها ومشي، ومفيش حد هنا غير الكبار، وشوية وهيروحوا كتب الكتاب التاني.

قالت ديالا برقة: وأنا كمان عايزة أحضر عند جيهان.

رد مارس بلهفة: مش هنتأخر، هنتمشى شوية وبعدها هنروح مع بعض.

هـــزت رأســـها بموافقـــة، ليتركهـــا ويتحـــرك يبحـــث عـــن والـــدها. وعنـــدما رآه، اقتـــرب منـــه واســـتأذن أن ديـــالا ســـتذهب معـــه للســـير قلـــيلًا، وبعـــدها ســـيذهب بهـــا إلـــى منـــزل جيهـــان. وعنـــدما وافـــق، خرجـــا ســـويًا مـــن المنـــزل. تحركـــا إلـــى موقـــف الحـــافلات، فوجـــد ســـيارة أجـــرة، أوقفهـــا ثـــم فـــتح لهـــا البـــاب الخلفـــي لتصـــعد، وصـــعد هـــو بجوارهـــا. تحركـــت الســـيارة، وقـــال للسائق: نزلني الغورية.

وبعـــد مـــرور الوقـــت، توقفـــت الســـيارة. نـــزل منهـــا، ثـــم نزلـــت بعـــده. تحركـــا معًـــا جهـــة شـــارع المعـــز. كـــان مـــارس يعشـــق هـــذا المكـــان، لـــذلك أراد أن تشـــاركه المكـــان الذي يحب. أخبرها بقوله:

-عارفة يا ديالا، أنا بحب الشارع ده أوي، بحس إنه شبهي أو بنتمي ليه.

أردفت ديالا بهدوء: يمكن أنا مجتش هنا غير مرة واحدة مع كريم، بس حبيته كفاية إنه محتفظ بكل حاجة قديمة، وخصوصًا المباني. بحب أوي المباني القديمة.

سار معها يبحث بعينيه عن هدية تليق بها. فوجدها تسأله بتردد:

- هو مين اللي اختارلك اسمك؟

نظر لها ورد على سؤالها بسؤال: ليه؟ مارس وحش؟

نفت برأسها وردت توضح سؤالها: لأ، حلو بس غريب. مارس ده شهر من

شـــهور الســـنة. يعنـــي، مـــش عارفـــة، أول مرة أسمع حد اسمه كده.

رد عليهـــا بابتســـامة هادئـــة: هقولـــك يـــا دودو. مامـــا اللـــي اختـــارت الاســـم، مـــع إن بابـــا مكـــنش موافـــق، كـــان عـــاوز يســـميني فادي، بس ماما أصرت واتكتب مارس.

أردفـــت بهـــدوء: طـــب هـــي ليـــه ســـمتك كـــده؟ أو مـــارس معنـــاه إيـــه؟ غيـــر إنـــه شـــهر فـــي السنة.

قـــص لهـــا مـــا أخبرتـــه بـــه والدتـــه عنـــدما سألها:

-شـــهر مـــارس هـــو أول شـــهور الســـنة الرومانيـــة قبـــل إضـــافة شـــهري ينـــاير وفبرايـــر إلـــى التقـــويم الرومـــاني. ومـــن المعـــروف عنـــدهم أن جميـــع أشـــهر التقـــويم

الروماني ترجع تسميتها إلى حدث أو أسطورة في التاريخ الروماني. هحكيلك قصته.

صمت للحظة، فوجدها تتشبث بيده وتتابع باهتمام. قال:

-يعتبر مارس هو إله الحرب في التاريخ الروماني، وكمان من أعظم آلهتهم القديمة بعد إله السماء، الإله جوبيتر. واتذكر كتير مقترنًا بإله الإغريق آريس، سواء في الفن والأدب أو الميثولوجيا.

زادت شهرة الإله مارس بسبب كثرة الحروب اللي خاضوها وانتصاراتهم العظيمة اللي حققوها عبر التاريخ. وكان معروفًا باسم جد روما الأسطوري. غير أن أغلب الأعياد في روما كانت في

شهري مارس وأكتوبر. وشهر مارس كان بداية للحملات الحربية والمعارك.

وظهر مارس في الأعمال الفنية والأدبية المأخوذة من أساطير الإغريق والإلهة فينوس، إلهة الجمال والحب لدى الرومان، واللي أنجبت منه إله الحب آمور. وبكده بدأت حكايات الإله مارس مع الإلهة فينوس مع الفنانين وبقت من الموضوعات المعروفة والمستهلكة.

وبقي موضوع الإله مارس والإلهة فينوس من الموضوعات الشهيرة، ورسمها العديد من كبار الرسامين، وأُلفت عنها الألحان.

تساءلت ديالا بتعجب: هي طنط عرفت كل الكلام ده منين؟

رد مارس وقد وصل للمكان الذي يريده:

-مامـــا مدرســـة تـــاريخ فـــي الثانويـــة بنـــات. طـــول عمرهـــا بتحـــب التـــاريخ وقصـــص الحـــب الأســـطورية، وعشـــان كـــده ســـمتني مـــارس. وأنـــا صـــغير كنـــت بزعـــل، وبعـــدين اتعودت.

ثـــم نظـــر لهـــا وتســـاءل: طـــب وإنتـــي كمـــان اسمك غريب.

أخبرتـــه وهـــي تبتســـم: عمتـــي كانـــت بتحـــب المسلســـلات التركـــي. وكـــان فيـــه مسلســـل جميـــل اســـمه الأرض الطيبـــة، والبطلـــة كانت اسمها ديالا، فسمتني عليها.

دارت بيـــنهم أحاديـــث كثيـــرة، وكـــل واحـــد منهمـــا يتعـــرف علـــى الآخـــر عـــن قـــرب. فقـــد

زاد حب مارس لها، وتمنى أن يوفقه الله ويجمعه بها في القريب العاجل.

***

كطفل تاه بين الزحام وظل يبكي ويرتجف وهو يبحث عن والدته إلى أن وجدها تبحث عنه، فاطمأن قلبه بعد خوفه الشديد أنها لم تتذكره وتعود إلى المنزل دونه. فركض لها وعانقها وتشبث بها بقوة كي لا تتركه مرة أخرى. هذا كان حال تامر الذي لم يترك بسملة تغادر أحضانه، وكلما حاولت أن تبتعد أعادها لتستوطن أحضانه مرة أخرى.

يجلس على الأرض وهي بين ذراعيه ولم يتحدث أيًّا منهما. لتنتفض بسملة

وتبتعد عنه بعدما تذكرت جيهان، ليتساءل هو بدهشة من الذعر الذي أصابها:

-مالك يا حياتي؟

ردت عليه وهي تنهض: اتأخرنا وجيهان هتموتني.

أردف بضيق بعدما نهض: إيه رأيك نقضي اليوم مع بعض بره وسيبك منها؟

وهي أكيد فاهمة إننا محتاجين نقعد مع بعض شوية.

قالت بسملة بجدية: مستحيل، أنا لازم أحضر معاها.

تساءل بتعجب: ليه مستحيل يعني؟ لو محضرتيش هي مش هتتجوز؟

ابتسمت له وهتفت بثقة: مظبوط، جيهان مجنونة وتعملها، وممكن كمان تيجي هنا تاخدني، أو بمعنى أصح تجيبني من شعري.

انزعج من حديثها وقال: ليه يعني كل ده؟ عزمت صاحبتها ومحضرتش، فين المشكلة؟

همست بسملة بحب: أنت قلت صاحبتها، مش أختها. وأنا وجيهان أخوات.

رد تامر عليها: محظوظة جيهان دي لأنك بتحبيها للدرجة دي.

أردفت بسملة بشرود وهي تتذكر الماضي:

-يمكن العكس وأكون أنا المحظوظة. أنا واحدة عاشت عمرها كله وحيدة ملهاش

حد غير أبوها وأمها. ابتدائي وإعدادي وثانوي كلهم كنت لوحدي، رغم إني بكره الوحدة بس مكنش عندي حل تاني. وطول عمري كان نفسي يكون عندي صاحبة أو أخت، بس ماما تعبت في ولادتي وشالت الرحم.

صمتت للحظة، فوجدته ينظر لها باهتمام وأشار لها بعينيه أن تكمل. فقالت:

-ودخلت الكلية وأنا عارفة إني هفضل لوحدي، بس في أول يوم جات جيهان وقعدت جنبي. كانت اجتماعية أوي، فضلت تتكلم معي وكنت فرحانة رغم إني عارفة إن بعد المحاضرة مش هشوفها تاني. لكن هي طلبت رقم تليفوني، ولما عطتهولها، بقيت ترن

عليا وتسألني عن المحاضرات وتحكيلي حاجات خاصة بيها. لحد ما تعلقت بيها وبقيت بحب الكلية عشان هي فيها. ولما ماما شافتني متعلقة بيها وبروح معاها كل مكان بعد ما كنت مبخرجش، طلبت إنها تتعرف عليها. واتقابلت مع ماما وماما اطمأنت إنها كويسة. قضيت أنا وهي سنة بعمري كله، وكانت بتقف جنبي في أي مشكلة، وكانت مرة هتموت بسببي.

تساءل تامر باهتمام: إزاي؟

ردت عليه بسملة بعدما تذكرت ما حدث:

-كنت بخاف أعدي الطريق لوحدي، فهي ضحكت عليا ومرضيتش تمسك إيدي وأعدي معاها. فعدت هي للناحية التانية

وســـابتني، وفضـــلت تقـــولي متخفـــيش تعـــالي. ولمـــا قـــررت أعـــدي، جـــات عربيـــة، فخفـــت وغمضـــت عينـــي ووقفـــت. وقتهـــا جيهـــان جـــرت عليـــا ودفعتنـــي علـــى الأرض والعربية خبطتها.

-وحصلها إيه؟

تنهـــدت بســـملة وقالـــت: اتكســـرت رجلهـــا وقعـــدت خمستاشـــر يـــوم فـــي الجـــبس. ولـــو مـــا تحركنـــاش دلـــوقتي، هتتكســـر رقبتـــي أنا.

أنهـــت حـــديثها ليرتفـــع صـــوت هاتفهـــا. ابتســـمت بســـخرية وهـــي تنظـــر لـــتامر لعلمهـــا مـــن المتصـــل. ثـــم جـــذبت الهـــاتف لتتأكـــد مـــن هويـــة المتصـــل. فتحـــت المكالمـــة

ثم وضعتها على السامعة الخارجية، ليصدح صوت جيهان الغاضب:

-أقسم لك بربي يا بسملة، لو اتأخرتي عن نص ساعة كمان، لأجي أجيبك من شعرك. ولا يهمني حد، عشان الأستاذ علي المحترم معرفش يربي بنته وسايبها مع راجل غريب في البيت لوحدهم.

تدخل تامر يقول بضيق من إفساد يومه، فهو كان يود أن يفعل الكثير من الأشياء برفقتها:

-خير يا أستاذة جيهان، الغريب ده بيكون جوزها لو متعرفيش.

هدأت جيهان وهتفت بثبات: عارف يا هندسة، أنا هدفعك تمن تأخير بسملة

غـــالي. واســـأل مراتـــك اللـــي أنـــت جوزهـــا عني.

قالـــت جملتهـــا الأخيـــرة بســـخرية لتجـــذب نور منها الهاتف وتقول:

-وربنـــا يكفيـــك شـــر جيهـــان ونـــور لمـــا يكـــون لـــيهم حـــق عنـــد حـــد. وأنـــا قلـــت لـــك قبـــل مـــا أمشـــي متتـــأخرش عـــن نـــص ســـاعة، واهـــو مســـمعتش كلامـــي، مـــن أولهـــا يبقـــى استحمل.

وأغلقـــت الهـــاتف فـــي وجهـــه. لينظـــر تـــامر لـبسملة:

-هـــو إيـــه ده؟ مـــش فاهمـــه؟ فـــاكريني هخاف منهم؟

كانـــت بســـملة أمـــام المـــرآة تضـــع حجابهـــا وقالت له:

-أنا لو منك أخاف، لأن مفيش حد عاقل ميخفش من ريا وسكينة لما يجتمعوا.

***

في منزل جيهان

دخلت غرفتها لكي تجهز نفسها، وخلفها دعاء ونور، لتقول نور:

- يلا يا جيهان، شوفي هتلبسي إيه بسرعة، مفيش وقت، المأذون هيجي بعد العشاء، والعشاء قرب.

دارت جيهان حول نفسها بسعادة بالغة وهتفت بمرح:

-يا صغيرة، يا أحلى بنات العيلة، كتبوا كتابك يا عروسة الليلة!

قفزت عدة مرات بفرحة وهي تهتف بسعادة:

-أنا عروسة، أنا بقيت عروسة.

ابتسمت لها نور وقالت:

-طب يلا يا عروسة عشان العريس قرب يوصل.

اقتربت منها جيهان وعانقتها، ثم عانقت دعاء وأردفت بضيق:

-ماشي يا بسملة، هنتحاسب بعدين.

وبعدها ذهبت وارتدت الفستان الذي أرسله لها إبراهيم. وبعد دقائق، انتهت دعاء ونور من وضع الزينة لها لتصبح جميلة حد الفتنة. ارتفعت الأصوات الصاخبة في الخارج لتبشرهم بقدوم العريس. تحركت جيهان بلهفة لتغادر الغرفة، لكن دعاء جذبت يدها وهي تقول:

-استني يا أختي، إنتي العروسة. هتفضلي هنا لحد ما يطلبك المأذون.

جلست بضيق، لتربت دعاء عليها بحنان. ولجت بسملة وهي تقول:

-يلا يا بت يا نور، بيكتبوا الكتاب، تعالي نتفرج.

تحركت معها نور للخارج، لتقول جيهان بضيق:

- يا حيوانة، يا بسملة، مجتش سلمت عليا وقالتلي مبروك.

ضحكت دعاء على تذمرها، لتولج بسملة مرة أخرى وتعانقها وتهتف:

-مبروك يا أحلى جيجي، وربنا يتملكم على خير.

وقبل أن ترد جيهان، تركتها وغادرت بحماس وسعادة ليس لها مثيل.

في الخارج، جلس المأذون وعلى يمينه عثمان وعلى يساره إبراهيم، وبدأ يقول حديثه المعتاد، وعثمان يردد خلفه، وبعدها إبراهيم، إلى أن قال المأذون:

-بارك الله لكم وبارك عليكم وجمع بينكم في خير.

لتنطلق الأصوات الصاخبة من بسملة ونور لتزيد الوضع بهجة. تنهد إبراهيم براحه لأول مرة يشعر بها منذ وفاة والديه، وكأنه محارب ظل لأعوام يحارب ولا يعلم متى تنتهي الحرب. وعلى حين غرة وصل لنهاية المطاف وعلم أن الحرب انتهت. ابتسامته تلك المرة لم

تكن مجاملة بل سعادة من أعماق قلبه.

وتمنى أن يركض الآن ويعانقها لتهدأ ضربات قلبه وتطمئن جوارها، ولكن مهلًا، لم يتبقَ الكثير.

لم تنتظر جيهان بالداخل، بل خرجت لترى بنفسها ما يحدث. وعندما انتهى المأذون، ركضت لها بسملة واحتضنتها بشدة. وعندما ابتعدت عنها جذبت يدها ويد دعاء ودارت بهما بسعادة تخطت كل الحدود.

كانت نور تتابع سعادتهم بسعادة، ولكن خارج إرادتها شعرت بالحزن لأنها لم تحيَ تلك المشاعر. جذبتها دعاء لتشاركهم الرقص.

وبعد الانتهاء من المباركات والتهاني، أمسكت دعاء يد جيهان وأدخلتها الغرفة رغم رفض جيهان وإصرارها على الجلوس معهم، لكن دعاء لم تسمح لها. خرجت من الغرفة فوجدت نور وبسملة يقفان أمام الباب. نظرت لهما بعدم فهم، وتسألت:

- وقفين كدا ليه؟ يلا اتحركوا، إبراهيم دقيقة ويجي.

ردت نور عليها: إحنا مستنينه.

نظرت لها بتساؤل لترد بسملة: هنقوله الوصاية العشرة وبعدها نمشي.

ضربت دعاء كفًا بكف وقالت بيأس: يادي الوصاية العشرة اللي تعبتوا بيهم الناس.

وأثناء حديثهم أتى إبراهيم برفقة شقيقة جيهان، فتساءلت نيرة:

-وقفين كدا ليه يا بنات؟

ردت نور عليها: مفيش، روحي إنتي، واحنا جايين وراكي.

تركتهم وغادرت، لينظر لهم إبراهيم بابتسامة هادئة وقال:

-تحت أمرك.

أردفت بسملة بجدية: بص يا دكتور، أنت اتجوزت أختنا، وأختنا طبعًا مش أي حد. يعني لو فكرت تزعلها يبقى استحمل اللي هيحصلك.

اتسعت ابتسامته، فقد أخبره فارس وتامر عن هذا الهراء. لتقول نور:

-ركز عشان كلامي مش هيتعاد. في شخصين مش هقولك إن اسمهم فارس وتامر، أنا بكرههم وحاطاهم في البلاك ليست، فبلاش أحطك معاهم. يبقى بلاش تزعل البنت وتسمع الكلام. تقولك رايحة عند صحابي توصلها من غير كلام، ماشي؟

رد إبراهيم وهو يرضخ لحديثها: ماشي، في أوامر تانية يا أستاذة نورهان؟

هزت رأسها نفيًا وقالت: مبحبش الألقاب، أنا هقولك يا إبراهيم، وإنت تقولي يا أستاذة. اتفقنا؟

ضحك إبراهيم بخفوت وقال: اتفقنا، في أي أوامر تاني يا أستاذة؟

هــزت رأســها نفيًــا وأشــارت لــه بالــدخول. طــرق البــاب بخفــوت ثــم فــتح وخطــا إلــى الــداخل. وعنــدما أغلــق البــاب تفاجــأ بهــا تركض إليه وتعانقه وتهمس بحب:

-واللهِ بحبك أوي يا هيما.

اتســعت عينــاه مــن هــول المفاجــأة، لكــن هــي لــم تهــتم. تبًــا للخجــل الــذي جعلهــا تنتظــره كــل هــذا الوقــت. ســتعترف لــه أنهــا تهــيم بــه عشــقًا منــذ وجدتــه الملجــأ الوحيــد لأحزانها.

***

اســتأذن تــامر مــن علــي أنــه ســيخرج برفقــة بســملة ولــن يتــأخر، فســمح لــه. غــادر تــامر برفقــة بســملة، وفعــل فــارس المثــل، إذ أخبــر مصــطفى أنــه ســيأخذ دعــاء ويســيران

في الشارع لبضع دقائق في تلك الأجواء الخريفية الرائعة.

لم يتبقَ سوى نور، التي اتصل بها أشرف. ورغم تعجبها، تحركت للخارج تبحث عنه. وعندما لم تجده، أرادت أن تتصل به، لكنها لم ترَ من يقف خلفها يتربص بها. وفي ثوانٍ معدودة، كان يكتم فمها بلاصق طبي ويضع شيئًا على عينيها لتمنعها من الرؤية. حملها ووضعها في سيارة وقاد بسرعة.

كل هذا حدث في لحظات لم تستوعب فيها نور شيئًا. شعرت بالرعب يدب في أوصالها، وانهمرت دموعها، وهمست باسمه بخوف:أشرف...

*****

الفصل الاربعون والأخير

أبو عبيدة بن الجراح ؛ مواسياً عُمر بن الخطاب:

هوِّن عليك فما هي إلا دنيا فأيامٌ ونَمْضِي؛ فلا تحزن فكل ما فيها مُتعِب، وكل من فيها مُتعَب، الحَمدلله أنَّها ليسَت دَارَنا ولا دِيارَنَا وأنّ المُستقر بجوارِ رَبِّ العَالمين، الحمدلله أنها دُنيا وسَتنقضى، وعسَانا فى الجنة نأنَس ويُؤنَسُ بنا، لبَّيك إنَّ العيشَ عيشُ الآخرة.

***

خطى إبراهيم إلى الداخل، وعندما أغلق الباب تفاجأ بها تركض نحوه وتعانقه وتهمس بحب:

-واللهِ بحبك أوي يا هيما.

اتسعت عيونه من هول المفاجأة، لكنها لم تهتم. تبًا للخجل الذي جعلها تنتظره كل هذا الوقت! قررت الاعتراف بأنها تهيم به عشقًا منذ وجدته الملجأ الوحيد لأحزانها. أما هو، فقد أدرك الموقف، فرفع يده ليعانقها مبتسمًا، وهتف بمساكسة:

-كنت هعمل كده بس أنت استعجلتي.

هتفت بمرح وسعادة: مش مشكلة، يلا طوحني.

رفعها عن الأرض ودار بها حول نفسه، وهي تتشبث به. ارتفعت ضحكاتها بسعادة، وكأنها سيمفونية عذبة، وشاركها الضحك. وبعد دقيقة أنزلها، لكنه لم يتركها. نظر في عينيها البنية

بعشـــق، ثـــم قبـــل جبينهـــا ووضـــع رأســـها على صدره وقال:

-عنيكي حلوين أوي.

ابتعـــدت جيهـــان عنـــه وهتفـــت بمـــرح: عاوزه ورد يا إبراهيم.

ضـــحك إبـــراهيم وقـــال بمـــرح: يـــابنتي اهـــدي شوية، خليني أتكلم.

صـــاحت بضـــيق مصـــطنع: نعـــم ياخويـــا؟ يعنـــي أنـــا أقولـــك بحبـــك يـــا هيمـــا، وانـــت تقـــولي بنتـــي؟ أنـــا عنـــدي جفـــاف عـــاطفيّ ومـــش هتحمـــل أكتـــر مـــن كـــده! أنـــا عـــايزك تقـــولي: حبيبتـــي، روحـــي، عمـــري، حيـــاتي، قلبـــي، أي حاجـــة مـــن بتاعـــت العيـــال الصايعين دي.

ارتفعت ضحكات إبراهيم بعدم تصديق، وقال بصعوبة:

-حاضر، هكون من العيال الصايعين. وبعدين بيقولوا الاهتمام مبيطلبش، بس أهو بيطلب عادي.

أشاحت بيدها بلا اهتمام وقالت وهي تجلس على الفراش:

-سيبك من الناس المتخلفة دي، معايا هيطلب عادي. تعالَ بس اقعد.

جلس على مقعد بجوار الفراش، والبسمة تزين وجهه. فقالت:

-اسمع يا دوك، عشان الجوازة دي تتم على خير، عايزك تعمل اللي هقولك عليه.

رد بثبات وهو يحاول إخفاء بسمته من طريقتها:

-سامعك، قولي عايزة إيه؟

أردفت بجدية تتنافى مع حديثها: عايزك تشجعني يعني كل ما أتحرك من جنبك تقولي: شاطرة يا جيجي. لو صحيت من النوم، تقولي: شاطرة يا جيجي. لو شربت مية، تقولي: شاطرة يا جيجي. لو غسلت وشي، تقولي: شاطرة يا جيجي. لو اتنفست، تقولي: شاطرة يا جيجي.

كتم ضحكة كادت أن تفلت منه، وتسأل بثبات:

- طب لو جهزتي الفطار، أقولك إيه؟

اتسعت عينيها وهتفت باستنكار: فطار! أنت ليك عندي إني أجهزلك وجبة

واحـــدة، وانـــت تختـــار غـــدا ولا عشـــا. لكـــن فطـــار؟ مســـتحيل! مـــين العبـــيط اللـــي يصـــحى الصـــبح يجهـــز أكـــل؟ وكمـــان تجبلـــي حاجـــة حلـــوة وانـــت جـــاي، وتقـــولي: شـــاطرة يـــا جيجي.

رد بضـــحك: الحمـــد لله، اطمنـــت علـــى مستقبلي. شاطرة يا جيجي.

ردت بمرح: برافو عليك يا هيما.

نهـــض إبـــراهيم واقتـــرب منهـــا وقبَّـــل وجنتهـــا قبلـــة ســـريعة، ثـــم عـــاد يجلـــس بهـــدوء كأنـــه لـــم يفعـــل شـــيئًا. وضـــعت جيهـــان يـــدها علـــى وجههـــا بخجـــل، فقـــال إبراهيم بهدوء:

-الحمـــد لله أنـــك ســـكتي. ســـبيني أتكلـــم بقـــى، أنا بقالي سنة مستني اللحظة دي.

فرقت بين أصابعها لتفتح عينيها وترى وجهه من بينها، ثم عادت لتضم أناملها وتغمض عينيها. فقال بهدوء:

-نزلي إيدك يا عمري وافتحي عنيكي، الكسوف مش لايق عليكي بعد الحضن اللي قابلتيني بيه.

فتحت عينيها وهتفت بضيق: أنت قليل الأدب.

ابتسم وقال بهدوء: أنتِ أول حد يقولي إني قليل الأدب.

ردت بمرح يتنافى مع خجلها:

-نحن نختلف عن الآخرين يا دوك.

هتف بمراوغة ليزيد من خجلها: واللي أنتي عملتيه من شوية كان اسمه إيه؟

أردفت بحدة: إبراهيم!

-عمره كله.

ابتسمت له، فاقترب منها وجلس بجوارها وعانقها، وقال:

-بحبك يا عمري، اللي ابتدأ بيكي وهينتهي بيكي.

ردت عليه بهمسة وهي تتلذذ بنطق اسمه:

-إبراهيم، اسمك حلو أوي. أنا مش عارفة الناس اللي اسمها مش إبراهيم عايشة إزاي.

ضحك وقال: لو إبراهيم حلو فهو أحلو بيكي.

***

وصلت السيارة التي تحمل نور إلى وجهتها. هبط السائق وحملها بين

ذراعيه، ثم ولج إلى المبنى، وبعدها إلى الشقة المنشودة. ما زالت نور تحاول الصراخ، ولكنه كمم فمها. أجلسها على الأريكة، ووقف خلفها ليحرر فمها ويرفع الشريط عن عينيها. صاحت نور بجنون وهي تنهض:

-يابن الكـ... يا حقـ...

توقفت عن السب بصدمة عندما رأته يقف، وهو يغمض عينيه بيأس منها، وهتف بسخرية:

- كملي يا قلبي، سكتي ليه؟

ردت بتوتر وهي تتراجع للخلف عندما تقدم نحوها:

-آآ أشرف، أنت... أنا ما كنتش عارفة إنك أنت.

أردف أشـــرف بســـخرية: وفكرتـــي مـــين يـــا قلبي اللي هيقدر يخطفك وأنا موجود؟

صاحت في وجهه بغضب:

- وأنـــا أعـــرف منـــين إنـــك أنـــت؟ وبعـــدين، إزاي تعمل كدا أصلاً؟

تراجعـــت للخلـــف وهـــي تـــتفحص المكـــان. رأت الشـــقة مزينـــة بطريقـــة احترافيـــة بالبالونـــات الملونـــة فـــي كـــل الأركـــان، والســـفرة المليئـــة بجميـــع مأكولاتهـــا المفضـــلة، مـــع الإضـــاءة الخافتـــة. زادت صـــدمتها، ثـــم نظـــرت إليـــه بغضـــب ممـــا توصلت إليه، وهتفت بعصبية بالغة:

-اســـتنى، اســـتنى... أنـــت جـــايبني هنـــا عشـــان تســـتفرد بيـــا وصـــارف ومكلـــف نفســـك؟ لا يـــا باشـــا، مـــش نـــور المهـــدي اللـــي

حد يضحك عليها! أنا أقلب الدنيا كلها لو فكرت تقرب مني سنتي.

اتسعت عيون أشرف بصدمة مما قالت.

ضحكت نور بسخرية وهي تقول:

-إيه يا باشا؟ فكرتني غبية ومش هفهم اللي أنت مخطط له؟ لا يا باشا، فوق! أنا نور المهدي.

رد أشرف بانفعال، وهو يمسح وجهه بكف يده:

-والله ما حد غبي غيري، عشان فكرت أعملك مفاجأة! أنا اللي غلطان.

هتفت نور بتعجب: مفاجأة؟

أردف أشرف بسخرية، وهو يجلس على الأريكة:

-آه يا أختي، مفاجأة! وبعدين، إيه كل ما أكلمك تقولي هستفرد بيكي؟ أنتي مراتي يا نور يا مهدي، وبعد شهرين هتكوني مراتي قولاً وفعلاً.

اقتربت نور منه بحرج، وهي تهتف بصوت منخفض:

- ما أنت اللي جايبني بطريقة عجيبة، عايزني أفكر إزاي؟

أشار لها بالجلوس بجواره. جلست بخجل طفيف، فاقترب منها هو وعانقها، وهتف بهمس:

- حبيبتي، أنتي مراتي يعني مستحيل أذيكي. اطمني يا وزة.

استكانت بين ذراعيه لدقائق، ثم ابتعدت عنه بخجل ونهضت متجهة نحو الطعام:

-أنا جعانة أوي.

تناولت قطعة من البيتزا ونظرت إليه، ثم تساءلت وهي تشير للطعام:

-هو مين اللي جهز كل ده؟ وأنت كنت معانا؟

نهض واقترب منها، وقال وهو يجذب القطعة من يدها ويتناولها بتلذذ:

-طلبت دليفري، وخلعت نص ساعة جهزت الحاجة في الشقة، وبعدها جيت أخدك.

هزت رأسها وجلست تتناول الطعام، وهو يتابعها بعشق إلى أن انتهت. نهض ليشغل لها موسيقى رومانسية ويرقص معها. صدحت كلمات الأغنية، فقدم لها كف يده. وضعت يدها بيده، فاجتذبها

إليـــه. تحركـــا بخفـــة، وهـــو ينظـــر لعينيهـــا بحب:

«إوعديني

لو زعلتي مرة مني تعرفيني

لو جرحتك غصب عني تحسسيني

ماتشيليش جواكي حاجة

تحكي ليا كل حاجة

لما هفهم هبقى أحسن صدقيني

إوعديني

لو نسيت يا حبيبتي نفسي تفوقيني

لو خدتني الدنيا منك رجعيني

لو في لحظة زاد غروري

اشتكي لومي وثوري

بس اوعي في يوم تروحي وتسيبيني

أنتِ قلبي وأنتِ روحي وأنتِ عيني

حد عايز أعيش معاه لآخر سنيني

أنتِ بالنسبالي مش حب في حياتي

أنتِ كل حياتي فعلاً افهميني»

كان يردد كلمات الأغنية بصدق، وهي تتمايل بين ذراعيه. عندما انتهت، حملها ودَارَ بها بسعادة. وضعها بجانبه، ثم وضع جبينه على جبينها، وهمس بحب:

-أوعديني يا نور إنك ما تضيعينيش مني.

نظرت إليه بتعجب، وما زالت الابتسامة تنير وجهها. أكمل أشرف حديثه:

-لو ضيعتي مني، هضيع من نفسي.

***

بعد مرور شهرين وفي إحدى القاعات المخصصة للزفاف، وفي إحدى الغرف

الخاصة بتجهيز العروس، كانت الفتيات يجلسن وهن يرتدين ثياب الزفاف، فاليوم هو يوم لقاء القلوب، اليوم الذي انتظره الجميع على أحر من الجمر. وقفت الفتيات ينظرن إلى بعضهن بسعادة بعدما وضعت خبيرة التجميل لمساتها الأخيرة. الآن ينتظرن دخول أول أب ليسلم ابنته لزوجها.

اقتربت نور منهن وهتفت بمرح: تعالى في حضن أخوك فوزي يا فواز.

اقتربوا منها وعانقوها بحب، وكل واحدة منهن تتمنى السعادة لرفيقات دربها. وقد كانت معهن في الغرفة سلمى، وديالا، وحنان، ونيرة، إلى أن وصل الأب الأول وهو علي. تحركت

بسملة نحو والدها ليقبل جبينها بسعادة، وهو يرى صغيرته أصبحت عروسًا، واليوم سيسلمها بيده لزوجها. هتف بنبرة حزينة لفراقها:

-ربنا يسعدك يا عز أبوكي.

بسملة، التي تعلم ما يشعر بهِ أبيها عن ظهر قلب، هتفت بنبرة شبه باكية:

-وأنت كمان هتوحشني يا بابا.

جذبها إلى أحضانه، متشبثًا بها كأنه لا يريدها أن تغادر. لكنها ستغادر لا محالة، فابتعدت عنه لتضع يدها بيده، وهبط بها الدرج الذي يقف تامر عند نهايته. وعندما رآها تامر، لم ينتظر أن تصل إليه، بل صعد خطوات الدرج بلهفة

ووقف أمامهم ليبتسم علي وهو يقول لـ تامر:

-خلي بالك منها، دي زينة بيتي وكل ما ليا، واللي يزعلها امحيه من على وش الأرض. بنتي لو غلطت، تعالى حاسبني أنا، لكن هي، أوعى توجّه لها كلمة واحدة تزعلها.

هتف كلمته الأخيرة بتهديد صريح، فابتسم له تامر وهتف بحب:

-هحطها في عيني وفوق رأسي. من اللحظة اللي اتكتبت فيها على اسمي وأنا اعتبرتها بنتي قبل مراتي اللي نورت حياتي بوجودها، ومستحيل أسمح لحاجة تزعلها.

اتسعت ابتسامة بسملة، وربت علي على كتف تامر، ووضع كف بسملة في كفه.

اقترب منها تامر وقبّل جبينها، ثم تحرك بها جهة المكان المخصص للعروسين.

صعد عثمان إلى الأعلى، فرأى ابنته وابنة شقيقته، فابتسم لهما واقترب من نور، عانقها وهتف بحب:

-مبروك يا نور.

ردت نور بحب: الله يبارك فيك يا خالو، عبال حجك.

تركها ووقف أمام ابنته ليجذبها إلى أحضانه وربت على ظهرها بحنو وقال:

-ألف مبروك يا جيهان، وربنا يسعدكم.

ردت جيهان وهي تتشبث في والدها: الله يبارك لي فيك يا بابا.

ثـــم دارت بالفســـتان حـــول نفســـها وهتفـــت بمرح:

-إيه رأيك فيا وأنا عروسة؟ حلوة صح؟

ابتســـم لهـــا وأردف: زي العســـل، ويبختـــه بيكي.

وضـــعت يـــدها فـــي يـــده وقالـــت: طـــب يـــلا بســـرعة عشـــان إبـــراهيم مســـتني مـــن زمان.

ضـــحكت الفتيـــات علـــى لهفتهـــا، وهـــبط عثمـــان بهـــا إلـــى الأســـفل. عنـــدما رآهـــا إبـــراهيم، الـــذي كـــان يرتـــدي بدلـــة أنيقـــة بـــاللون الأبـــيض ليكـــون مختلفًـــا عـــن بقيـــة الشباب، قالت له بضيق:

-إبـــراهيم، أنـــا مـــش قولتلـــك مبحـــبش اللـــون الأبـــيض؟ دلـــوقتي توســـخه وتطلـــع عينـــي في غسيله.

لـــم يتفاجـــأ مـــن حـــديثها فقـــد توقعـــه، وهـــو يختـــار البدلـــة، فقـــد أراد أن يثيـــر جنونهـــا لكـــي تنســـى خجلهـــا منـــه. أردف عثمـــان بيأس من ابنته:

-أنـــا المفـــروض أقولـــك خلـــي بالـــك منهـــا، بـــس عشـــان أنـــا عـــارف بنتـــي هقولـــك خلـــي بالك من نفسك، وربنا يعينك.

رد عليـــه إبـــراهيم بهـــدوء: جيهـــان فرحـــة عمـــري، وهتكـــون تـــاج فـــوق رأســـي طـــول العمر لأنها كل العمر.

جذب إبراهيم يدها وتحرك بها نحو المكان المخصص لهما، وما زالت هي عابسة الوجه. همس لها:

-افردي وشك، لاحسن يقولوا مخصوبة على الجوازة.

نظرت له بتهديد، لكنه ابتسم لها، لتبادله الابتسامة بأخرى وقالت بمرح:

-أنا عاوزة ورد يا إبراهيم.

في تلك الأثناء، كانت العائلات الأربعة يقفون أسفل الدرج، وعندما تظهر العروس، يصفقون لها ويلقون عليها الورد ويباركون للعروسين. وبعد ذلك، يتوجه العرسان إلى المكان المخصص لهم. كان فارس يقف بينهم ينتظر دوره،

وبجـــواره والـــد دعـــاء. مـــال عليـــه فـــارس وهمس:

-هـــا يـــا عـــم مصـــطفى، نـــاوي تطلـــع تجيـــب دعاء، ولا أروح أجيبها أنا؟

ضـــحك مصـــطفى عليـــه، فمنـــذ أن أخبـــرتهم الفتيـــات أنهـــن انتهـــين مـــن التجهيـــز، وهـــو يحـــاول الصـــعود، لكـــن ســـبقه الآخـــرون. الآن كـــان علـــى وشـــك التحـــرك، فـــرأى المهـــدي وابنـــه يتخطـــون درجتـــين مـــن الســـلم، فنظـــر لـــه بقلـــة حيلـــة وكـــتم ضـــحكته علـــى معـــالم الحـــزن التـــي تربعـــت علـــى وجهه.

***

في الأعلى...

وصل محمد إلى شقيقته نور، التي اقتربت منه لتحتضنه عندما فتح ذراعيه، لكنها توقفت عند سماعه يقول بمشاكسة:

-الحمد لله يارب، أخيرًا هخلص منها وهاخد أوضتها بدل ما أنا نايم في الشارع.

نظرت له بغضب واقتربت منه مهددة:

-طب فكر تقرب من أوضتي وأنا أخلي جوزي يحبسك. هو انت فاكر إيه، البلد مفيهاش قانون؟

ابتسم لأنه نجح في إثارة غضبها، ثم جذبها إلى أحضانه وقال بحب:

-ألف ألف مبروك يا نور.

تلاشى غضبها وهي تقول: الله يبارك فيك يا حموه، عبالك.

ابتعدت عنه وألقت نفسها في أحضان أبيها، وقالت بحب:

-هتوحشني أوي يا بابا.

ربت والدها عليها بحب وقال: وأنتي هتوحشيني أكتر يا نور. البيت هيضلم من غيرك.

تحرك بها إلى الأسفل، حيث كان أشرف ينتظرها خالي اليدين. فقالت بتساؤل:

-إيه ده؟ أنت جاي فاضي؟

لم يفهم أشرف مقصدها، فرد بسؤال: أمال هاجي بإيه؟

ردت بضيق وهي تندب نصيبها: يعيني عليكي يا نور وعلى حظك. كل العرايس

بيتجبّلهـــا ورد ويتقـــال لهـــا: انتـــي وردة حياتي. وأنا جايني إيد ورا وإيد قدام.

تـــدخل المهـــدي مازحًـــا وهـــو يقـــول لـــ أشرف:

-بـــص يـــا بنـــي، أنـــا مـــن امبـــارح بفكـــر هقولـــك إيـــه فـــي اللحظـــة دي. وملقـــتش غيـــر إن ده ابـــتلاء مـــن ربنـــا، ولازم تصـــبر عليـــه. ربنـــا بيبعتلنـــا الابـــتلاءات تكفيـــرًا لـــذنوبنا أو عشـــان تقربنـــا مـــن الجنـــة. فربنـــا يتوب عليك.

خـــتم حديثـــه بابتســـامة وابتعـــد عـــنهم، ليقـــول محمد بمرح:

-علـــى فكـــرة يـــا أبـــو نســـب، البضـــاعة المباعة لا تُرد ولا تُستبدل.

أنهى حديثه بغمزة لشقيقته، ثم تركهم.

نظر أشرف لنور بغيظ وقال:

-لسانك عايز قص. لو صبرتي شوية، هيحصل إيه؟

ردت بضيق: قولتلك هاتلي ورد، وأنت مجبتش.

هتف من بين اصطكاك أسنانه: جبت يا أختي، بس نسيته في الكوشة. يلا يا قلبي.

أردف جملته الأخيرة بحب وهو يشير لها أن تتحرك معه. فابتسمت ووضعت يدها بيده.تحرك أشرف مع نور متجهين نحو الكوشة، وسط تصفيق الأهل والأصدقاء الذين لم يتوقفوا عن التهليل والتصفيق.

وفي الأعلى، وصل مصطفى إلى دعاء التي وقفت تنتظره بفستانها الأبيض الجميل، وإلى جوارها شقيقتها. أقترب منها مصطفى بابتسامة واسعة، ثم قبل جبينها وجذبها إلى أحضانه، وقال بحب أبوي:

-خلي بالك من نفسك يا دعاء، وخليكي فاكرة إنك ست البنات، ومفيش زيك. كفاية عنيكي الحلوة اللي ورثاها من أمك، الله يرحمها.

انهارت دموع دعاء ولم تستطع منعها من الانهمار، وقالت ببكاء:

-أنا بحبك أوي يا بابا. خلي بالك من نفسك عشان خاطري.

حاولـــــت شـــــقيقتها أن تخفـــــف الموقـــــف، فقالت بضيق:

-مـــا تعيطـــيش يـــا دعـــاء، المكيـــاج هيبـــوظ!

فـــي تلـــك اللحظـــة، اقتـــرب فـــارس منهـــا والـــذي قـــد صـــعد خلـــف والـــدها وقـــد ســـئم الإنتظـــار ولـــم يســـتطيع الإنتظـــار أكثـــر، أقتـــرب وهـــي مـــا زالـــت بـــين أحضـــان أبيهـــا. جفـــف دموعهـــا بمحـــارم ورقيـــة، وقـــال بصوته الرخيم:

-يلا يا حبيبتي.

ابتعـــدت دعـــاء عـــن أبيهـــا، ليقتـــرب مصـــطفى ويجـــذب ابنتـــه الأخـــرى إلـــى أحضـــانه، ثـــم قـــال لـــفارس بنبـــرة تحمـــل الكثيـــر مـــن الحـــب والوصية:

-خلي بالك منها يا فارس. دعاء غلبانة وطيبة، وأنا معنديش أغلى منها هي وأختها.

رد عليه فارس بحب وصدق: وأنا كمان معنديش أغلى منها. لو الدنيا كلها اتحطت في كفة ودعاء في كفة، هختار دعاء. وأنا متأكد إنها هتغنيني عن الدنيا كلها.

اقترب فارس من دعاء، وقبل جبينها برفق، ثم أمسك بيدها وتحرك بها إلى الكوشة.

***

في القاعة

اشتعلت الأجواء بالغناء والرقص، بعد أن انضم الجميع إلى الحفل. كان تامر قد

أعد فقرة خاصة مليئة بالمفاجآت، حيث قام الأصدقاء والعائلات بالمشاركة في رقصات جماعية.

اقتربت نور من شقيقها محمد وهمست له بشيء أثار دهشته. سألها باستنكار:

-بتهزري ولا بتتكلمي جد؟

ردت عليه وهي تبتسم: جد طبعًا، يلا روح عشان خاطري.

تحرك محمد باستسلام نحو الدي جي، ليطلب الأغنية التي أرادتها نور. مع بدء الموسيقى، أشارت نور إلى صديقاتها أن يقفن بجوارها. وقفت نور أولًا، وضعت يدها في يد دعاء، ثم بسملة، وبعدها جيهان.

جيهان أمسكت بيد إبراهيم، وأشارت له أن يضع يده في يد تامر. التفت الجميع إلى بعضهم وسط الحماس، وبدأوا في التحرك مع إيقاع الأغنية، وسط تصفيق الحضور الذين لم يتوقفوا عن التشجيع.

مع تصاعد الموسيقى، علت أصواتهم بالأغنية الجماعية:

"ولا بنخاف من الدنيا بحالها

لو عايزين الشمس نطولها

نمسك نجم السماء بإيدينا

والدنيا إن مالت نعدلها

صاحوا بتلك الكلمة:

ولا بنخاااااااااااااااف

غنى تامر بصوته الغذب:

طوول ما بتطلع شمس يوماتي

يملي الغني و الحب حياتي

حلمنا علم و فرحنا اتي

قلبي الحر أهوغنى و قالها

ولا بنخاااااااااف

ولا بنخاف من الدنيا بحالها

لو عايزين الشمس طولها

نمسك نجم السماء بإيدينا

والدنيا إن مالت نعدلها"

كانت الأغنية مليئة بالطاقة والحب، الجميع يردد الكلمات بحماس، ويندمجون في اللحظة. وبعد انتهاء الأغنية، علت ضحكات الجميع. التقطت الصور التذكارية مع الأهل والأصدقاء، ثم بدأ العرسان يتفرقون كلٌ مع عائلته.

تحرك كل عروس وعريس نحو بيتهم الجديد، والفرحة تملأ القلوب. كانت هذه الليلة بداية جديدة، مليئة بالأمل والحب، وكأنها وعد من القدر أن السعادة تنتظرهم طالما كانت المودة والرحمة هي الأساس.

كما قال تعالى:

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً}.

يصدح القرآن الكريم من منزل حسني بصوت مرتفع، ليجعل القلوب تخشع لذكر الله. فقد أراد حسني أن يكون الزفاف خاليًا من المعازف، واقترح على ابنه ذلك؛ لكن ابنه لم يرضخ وهو يقول

إنّها ليلة في العمر. ليته يعلم أن تلك الليلة سيحاسب عليها.

وقفت السيارة التي يجلس بها تامر وبسملة، فهبط هو أولًا وبعده بسملة التي لم يترك يدها كأنّه يخشى أن تكون وهمًا. تحرك بها إلى الداخل، وعندما وصل إلى الدرج حملها بين ذراعيه وصعد بها إلى شقته، وهي أخفت وجهها في صدره بخجل. ولج إلى شقته وأغلق الباب خلفه، وأردف بابتسامة:

-مبروك عليا أنتِ.

نظرت له بخجل، فتهاوى هو في عيونها السوداء. وقف يتأملها بعشق؛ فستانها الأبيض الذي تمنى كثيرًا أن يراها ترتديه له، وقد تحقق الحلم. الآن تقف

أمامه بجمالها الذي يفتن الزاهد، فما بالك بقلب تسكنه هي؟ وما زاد جمالها حجابها الأبيض الذي يخفي خصلاتها، وفوقه تاج جعلها تبدو ملكة على عرش قلبه.

تأوه تامر بحب وهو يقربها منه: آه يا ربي... الجمال ده كله ليا أنا.

ابتسمت بسملة بخجل، وهي تبتعد عنه وهتفت بتوتر وهي تنظر إلى الأرض:

-هدخل أغير عشان نصلي.

جذب يدها، وأردف وهو يتحرك بها جهة الركنة وأجلسها وجلس بجوارها، وما زالت يدها تقبع بين يديه، وقال:

-هنتكلم شوية وبعد كده نصلي.

هــزّت رأســها بخفــوت ولــم تُجــب، ليقــول هو بصدق:

-أنــا عــارف إنــي كنــت وحــش وعملــت حاجــات كتيــر وحشــة، بــس أقســم لــك بربــي إنّــي مــن اللحظــة اللــي حســيت فيهــا بمشــاعر ناحيتــك وأنــا قطعــت علاقتــي بكــل اللــي أعــرفهم. يمكــن أنــا مــش الشــخص اللــي اتمنّيتِــه، بــس أوعــدك إنــك مــش هتنــدمي علــى قــرارك. واوعــي فــي يــوم تقــارني نفســك بواحــدة مــنهم، لأنّــك مفــيش منك اتنين.

قــال حديثــه الأخيــر لأن بســملة حاولــت أكثــر مــن مــرة أن تســأله عــن الفتيــات اللاتــي كــان يعــرفهنّ قبلهــا، ولكنّهــا تراجعــت. وقــد

فهم هو ما يدور في خلدها، لذلك هتف بتلك الجملة.

فقالت بسملة بتردد:

-بس أنت عرفت بنات كتير أوي قبلي...

قاطع حديثها وهو يرد بمرح: طبيعي يا حياتي، عشان أوصل للقمر لازم أعدي على النجوم.

***

في شقة فارس

كانت بين ذراعيه وهي تتحرك معه برقة على صوت الموسيقى، ليضع جبينه على جبينها ويقول:

-مش مصدق أنك بين إيديا، أكيد أنا بحلم صح؟

هــزّت رأســها بنفــي وأردفــت بحــب رغــم خجلها:

- لأ، أنــا اللــي مــش مصــدقة أنــك نصــيبي. أنــت جميــل أوي يــا فــارس، وأنــا بحبــك أوي.

قربهــا منــه أكثــر وقــال بعشــق: وفــارس مجنــون فيكــي يــا حبيبــة قلــب فــارس، وخليكــي واثقــة أن الجمــال اتخلــق منــك وليكي.

استنشــق خصــلات شــعرها بعشــق بعــدما حرّرها من الحجاب، وهتف بهمس:

-روحي اتوضي عشان نصلي.

بعــد دقــائق، خرجــت وهــي ترتــدي أســدالًا أبــيض وتتحــرك نحــوه بخجــل. وضــع هــو ســجادة الصــلاة، وعنــدما اقتربــت منــه، قبــل

جبينها ثم ابتعد عنها وبدأ الصلاة وهي خلفه. شعور رائع أن تتشارك مع من تحب الصلاة.

بعد دقائق، أنهى الصلاة ووضع يده فوق رأسها وأردف:

-بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه. اللهم اجعلها زوجتي في الدنيا والآخرة. اللهم بارك لي فيها واجعلها خير الزوجة الصالحة.

وبعدما انتهى، وضعت دعاء يدها على رأسه وقالت:

-بسم الله على قلبك حتى يهدأ، بسم الله على روحك حتى تطمئن، بسم الله

الـــرحمن الـــرحيم. اللهـــم إن كنـــت خيـــرًا لـــه فاقربـــه منـــي وقربنـــي منـــه، وبـــارك لنـــا. وإن كنـــت شـــرًا لـــه فأبعـــدني عنـــه، ثـــم قـــرب له الخير حيث كان.

جـــذبها إلـــى حضـــنه بحـــب، فتلـــك الفتـــاة هـــي أفضـــل الـــنعم التـــي أنعـــم الله عليـــه بهـــا، وســـيظل إلـــى آخـــر عمـــره يشـــكر الله علـــى وجودها.

***

وكالعـــادة، عنـــدما تشـــعر نـــور بالخجـــل والتـــوتر، تفعـــل أشـــياء جنونيـــة. وقـــد قامـــت بتشـــغيل إحـــدى المهرجانـــات ووقفـــت تـــرقص عليهـــا بطريقـــة عشـــوائية جعلـــت أشـــرف ينظـــر لهـــا بيـــأس وهـــو يقـــول بضيق:

-على فكرة يا قلبي، النهارده فرحنا مش فرح ابن خالتك وانتي بتحيه.

أشارت له بلامبالاة وأردفت: أسكت عشان مرضتش تخليني أرقص في الفرح.

تحرك اتجاهها وأردف بخبث: إحنا ممكن نشغل أغنية رومانسية ونرقص مع بعض.

انقلبت تعابير وجهها للاشمئزاز وأردفت:

-يع يع، مليش في المحن.

هتف ساخرًا: بس ليكي في الهبل ده، صح؟

هزت رأسها بسعادة ولم ترد عليه، ليغلق الأغاني ويجذبها إليه. صمتت

بخجل وهو يطوف بعينيه بين وجهها ويضع يده يتحسس بشرتها الناعمة، ليزيد خجلها بشكل ملحوظ، وأردف:

-نورتي حياتي يا وزة.

أغمضت عينيها بخجل، ليقبل هو عينيها بحب. ابتعدت عنه بخجل شديد وهمست:

-أشرف...

ليقول بعشق: قلبه.

ردت بتوتر وهي تبتعد عنه: هروح... آآآ.

وأشارت إلى الغرفة. ضحك على خجلها وأشار لها، فركضت بسرعة وارتفعت ضحكاته عليها. صفعت الباب بقوة، مما زاد من ارتفاع ضحكاته بسعادة. فقد أصبحت نور مسكنه الوحيد، وهو

سيحرص على الحفاظ عليها لآخر نفس يخرج منه...

***

في منزل إبراهيم

صلى إبراهيم بجيهان وجلس معها على الأريكة وهي تستوطن أحضانه. جلسا بصمت، وهو يهمس في داخله أنه لا يريد من الدنيا شيئًا بعدما حصل على كل شيء، ويقصد بالكل شيء جيهان، الفتاة التي رآها أكثر من مرة وظن أنها عابرة كغيرها، ولم يعلم أنه سيسقط في بحار عشقها. الفتاة المتهورة التي رأت طفلًا صغيرًا في الطرقات فرَقّ قلبها ولم تفكر في كرامتها وهي تأتي إليه طالبة منه الزواج لكي تتبنى الطفل وتكون حماية

لـه مـن قسـوة العـالم. ولـم تعلـم أنهـا لـم تنقـذ الطفـل فحسـب، بـل أنقـذت رجـلًا زهـد الحيـاة وبغـض الوحـدة وظـن أن حياتـه سـتنتهي ولـن يتغيـر شـيء، إلـى أن أتـت وغيرت كل شيء.

ابتعـدت جيهـان عنـه وقالـت: إبـراهيم، أنـت ناسي حاجة؟

أعادها إلى مكانها وأردف:

- لأ، ومتتحـركيش، أنـا مرتـاح وانتـي فـي حضني.

ابتسمت بخجل وهتفت بخفوت: هيما.

رد بحب: إيه يا عمري؟

ابتعـدت عنـه وأردفـت بمـرح: أنـا عـاوزة ورد يا إبراهيم.

حملها بين ذراعيه وهو يهتف بمراوغة:

-الأوضـــــة جـــــوه ملياناـــــة ورد، والـــــورد يستاهل الورد.

وهـــا نحـــن وصـــلنا إلـــى النهايـــة، ولـــن نقـــول إلـــى اللقـــاء فهنـــاك لقـــاء أخيـــر. نلتقـــي فـــي الخاتمـــة، إن شـــاء الله، مـــن روايـــة أربعـــة تساوي واحد.

******

الخاتمة

ثِـــق بـــأنَّ اللهَ سَينصـــركَ نصـــرًا عظيمًـــا ، و سَـــيجبرك جبـــرًا لَـــم تحلـــم بـــه ، ومـــا هـــذا التَّـــأخير إلّا لحكمـــةٍ ليختـــار لَـــك أنسَـــب الأوقـــات التـــي تكـــونُ فيهـــا ســـعيدًا جـــدًا ، وتتمنـــى لـــو أنَّ لـــك جناحـــان تطيـــرُ بهمـــا مـــن شدَّة الفرح بإذنه تعالى

***

-أنتِ يا مصيبتي السوداء، تعالي هنا.

وعنـــدما لـــم تجـــد ردًا مـــن المصـــيبة خاصـــتها، صـــاحت بـــأعلى صـــوت لـــديها باسمها، والشرار ينطلق من عينيها:

-دعاء!

أتـــت دعـــاء بضـــيق وهـــي تهتـــف بتـــأفف، ووضعت يدها في خصرها وقالت:

-نعم يا ماما، عاوزة مني إيه؟ هو مفيش غيري في أم البيت ده؟

فعلت جيهان المثل ووضعت يديها في خصرها وأردفت:

-هو أنا يا بت مش قلتلك صحي أخوكي وخليه يلبس عشان اتأخرنا؟

نظرت دعاء، صاحبة التسع سنوات، إلى يدها التي لا تحمل ساعة، وأردفت:

-لسه بدري، وبعدين إحنا لسة هنستنى هيما لما يجي.

جذبتها جيهان من مرفقها بغضب وهتفت من بين اصطكاك أسنانها:

-عارفة لو قلتيله هيما تاني، أنا هخلص عليكي وريح الدنيا منك! محدش يقوله هيما غيري، سامعة؟ ويلا روحي البسي

وصـــحي أخـــوكي عشـــان لـــو اتأخرنـــا أكتـــر من كده نورة هتقتلنا.

تركـــت يـــدها لتتحـــرك دعـــاء بتـــأفف وتتمـــتم بضيق:

- نـــورة تقتلنـــا، نـــورة تقتلنـــا... إنتـــي بتخافي منها أكتر من بابا.

استمعت جيهان لها فصاحت بعصبية:

-وهخاف من أبوكي ليه يا آخر صبري؟

فـــي ذلـــك الوقـــت، ولـــج إبـــراهيم إلـــى الـــداخل فوصـــل لـــه مـــا قالـــت جيهـــان. تنهـــد بتعـــب وهو يقول بهمس:

-والله إنتم الاتنين آخر صبري.

رأتـــه دعـــاء فركضـــت إليـــه بلهفـــة وهتفـــت بحزن مصطنع:

-بابـــا، اتـــأخرت ليـــه؟ مراتـــك كانـــت عـــايزة تقتلني!

انحنـــى إبـــراهيم إليهـــا وعانقهـــا بحـــب: حبيبـــة بابـــا أنتـــي وأول فرحتـــه، ماما عملتلك إيه؟

اقتربـــت جيهـــان مـــنهم وأبعـــدتهم عـــن بعـــض بعنـــف ووقفـــت فـــي المنتصـــف وقالـــت بضيق:

-أولًا أنـــا أول فرحتـــك مـــش هـــي، ثانيًـــا اســـألها هـــي عملتلـــي إيـــه؟ مـــش أنـــا عملتلهـــا إيه؟

زفـــر إبـــراهيم عـــدة مـــرات لكـــي يهـــدأ وينهـــي هـــذا الـــروتين الـــذي اعتـــاد عليـــه، فمنـــذ تخطـــت دعـــاء عامهـــا الرابـــع أصـــبحت زوجتـــه تراهـــا عـــدوّتها، ولا تصـــدق أنهـــا

نسخة مصغرة منها. بل يجن جنونها إن أخبرها بذلك.

تنهد إبراهيم وسأل: عملتي إيه لماما يا دعاء؟

هتفت دعاء ببرود لتستفز جيهان: ولا حاجة يا بابا. كان عندها فستان عاجبني قولتلها تجبلي زيه، مرضيتش، رحت قصيته.

اتسعت عينا إبراهيم بصدمة وكاد أن يتحدث، لكن جيهان أوقفته بإشارة من يدها ونظرت إلى ابنتها بشر:

-كملي.

ابتسمت دعاء واقتربت من والدها لتختبئ خلفه عند اللزوم، وأردفت:

-وكسرتلها المج اللي هي بتحبه ومش بترضى تخليني أشرب فيه.

اتسعت عينا جيهان واقتربت منها بشر. لم تكن تعلم أنها فعلت ذلك، ليقف إبراهيم أمام ابنته ويمنع جيهان من الاقتراب، وهو يقول بهدوء وبسمة:

-معلش يا عمري، حقك عليا. هعملك واحد أحسن منه.

أردفت جيهان بغضب: اطردها من البيت أو وديها أي ملجأ! عندنا غيرها، لكن دي متقعدش في بيتي.

ابتسم إبراهيم بيأس، فكلما حدثت بينهم مشكلة تأتي الأخرى وتخبره أن يطردها من المنزل. قال بلهجة هادئة:

-اصـــبري يـــا جيجـــي عشـــان خـــاطري.

خليني أشوف عملت كده ليه.

اســـتدار إلـــى ابنتـــه وجلـــس أمامهـــا، وســـأل برفق:

-عملتي كده ليه؟

ردت دعاء بحزن:

-عشـــان هـــي قـــالتلي إنـــك بتحبهـــا أكتـــر منـــي وإنك تعرفها قبلي.

نظـــر إبـــراهيم إلـــى جيهـــان التـــي نظـــرت إلـــى ســـقف الغرفـــة كـــأن الحـــديث لا يعنيهـــا. عـــاد إبراهيم يتطلع إلى ابنته وسأل بحنو:

-وأنتِ صدقتيها؟

ردت عليـــه بثقـــة: أيـــوة، عشـــان أنـــت جبتلهـــا المـــج وحطيـــت عليـــه صـــورتك وصورتها ومعملتليش واحد زيها.

قربهـــا إبـــراهيم منـــه وجعلهـــا تســـتوطن أحضانه وهتف بهدوء:

-حبيبتـــي، طبيعـــي أعـــرف ماما قبلـــك، لأنـــي لـــو مكنـــتش أعرفهـــا مكنتـــيش أنتـــي جيتـــي. واللـــي أنتـــي عملتيـــه مـــع ماما غلـــط. تعـــالي اطلبـــي منـــي اللـــي أنتـــي عـــايزاه وأنـــا أجيبهولك. هو أنا عندي أغلى منكم؟

أبعـــدتها جيهـــان عنـــه وقالـــت بحنـــق: ابعـــدي يـــا بـــت عنـــه، وملكـــيش دعـــوة بيـــه. ويـــلا يـــا إبـــراهيم، ادخـــل خـــد دش وروح هـــات حمزة عشان اتأخرنا.

نهـــض إبـــراهيم بضـــيق وهتـــف: جيهـــان، اعقلي شوية. دي بنتك.

ردت جيهـــان بعنـــاد: لأ، مـــش بنتـــي. أنـــا بنتي اتبدلت في المستشفى.

أردفت دعاء تؤيدها الرأي: ده حقيقي، لأن مش معقول أنا حلوة ومامتي وحشة.

نظرت لها جيهان بشر، ليقول إبراهيم بنفاذ صبر:

-أنا تعبت منكم أنتم الاتنين.

نظرت دعاء إلى جيهان بحزن. بادلتها جيهان النظرة وهي تفكر أن إبراهيم يعاني بسببهما. وفي ثوانٍ، اتسعت بسمتها وهتفت بلهفة قبل أن يخرج من الغرفة:

- إبراهيم!

استدار إبراهيم ليرى ماذا هناك، وأردف:

-نعم؟

-عاوزة ورد يا إبراهيم.

-عاوزة ورد يا إبراهيم.

عبارة اعتاد سماعها منذ عقد قرانه على معشوقته، والآن أصبح يسمعها من كليهما، خصوصًا صغيرته التي أصبحت نسخة من زوجته. ابتسم لهم بيأس وفتح ذراعيه لتركض إليه دعاء، ويعانقها ويقبل وجنتها، ثم ابتعد عنها ليقترب من جيهان ويعانقها.

هتفت بأسف: آسفة لأني تعبتك.

هتف بحب وهو يقبل جبينها: تعبك راحة يا عمري.

ارتفع صوت صراخ الصغيرة التي تخطت عامها الأول منذ شهرين، لتبتعد

عنه جيهان وتتحرك إلى غرفة ابنتها وهي تقول:

-حضرتلك الطقم اللي هتلبسه على السرير. وخلي المصيبة اللي جنبك تروح تصحي الغيبوبة من أوضته.

ابتسم إبراهيم وهو يتذكر ما مر في العمر. لقد مر عشر أعوام على زواجهما ولم يندم لحظة، رغم طباعهما المختلفة. فهو شخص هادئ يحب العزلة، ويفضلها عن ضجيج العالم، أما هي فتمثل ضجيج العالم بحد ذاته. فهي ثرثارة لدرجة مهلكة، لكنه يعشقها ويعشق كل ما يصدر منها.

فاليوم التي تغيب فيه عن المنزل تغيب عنه الحياة، فصبحت كما لقبها عمره

فلن يحسب عمره قبل وجدها؛ فعمره يحسب منذ ولوجها حياته، ويتمنى أن ينتهي برفقتها فهي الوحيدة التي اعطته دون مقابل، فقد اهدته ثلاث جواهر يتمنى من المولى أن يحفظهم فالأولى دعاء اهدتها له بعد زواجهم بعام ويعشقها فوق العشق عشقًا لانها نسخة منها، والثاني محمد أتى بعد شقيقته بعامان ويحبه لأنه نسخة منه في كل شيء، وما يميزة أنه نائم طوال الوقت لا يستيقظ إلا لتناول الطعام ويعود للنوم، والثالثة داليا والتي انارت منزله منذ عام وبضع أشهر، فحمدالله كثيراً على نعمة وجودهم في حياته.

***

كانت تجلس في الشرفة وتحمل كتابًا تقرأ منه بتركيز شديد وهدوء تتميز به مثل والديها، إلى أن قطعت والدتها أجواءها الهادئة بقولها وهي تدخل الشرفة:

- نور، تعالي البسي عشان فارس قرب يوصل.

رفعت نور عينيها من الكتاب وأردفت بهدوء:

-حاضر.

تحركت للداخل ثم وقفت واستدارت تتساءل بهدوء:

-هو بابا كان فين يا ماما؟

ردت دعاء وهي تربت على رأسها: راح يجيب هدية لنونه.

ابتسمت لها وغادرت من أمامها لتغير ثيابها بسرعة. ورغم أنها تحب الجلوس في المنزل، إلا أنها تحب أكثر رؤية أصدقائها فقد اشتاقت لهن وتود الجلوس معهن.

ارتدت فستانًا طويلًا بحمالات، لونه أخضر كلون عينيها التي ورثتها عن والدتها، وتركت شعرها البني القصير يرفرف خلفها. ارتدت سلسلة مدون عليها اسمها وأسماء رفيقاتها الثلاثة، والتي أهدتها لها نور منذ عدة أيام بمناسبة عيد ميلادها الثامن، وقد نالت إعجابها بشدة.

تحركت لخارج غرفتها فوجدت والدها، كما العادة كلما ولج المنزل، يعانق

والـــدتها ويقبـــل جبينهـــا. ابتســـمت وهـــي تقتـــرب منهمـــا، وعنـــدما رآهـــا فـــارس، اقتـــرب منهـــا وحملهـــا وقبـــل وجنتهـــا وهتـــف بحب:

-نور عيوني.

قبلـــت وجنتـــه هـــي الأخـــرى وهتفـــت: فـــارس قلبي.

جملـــة اعتـــادت علـــى ســـماعها مـــن والـــدتها وأصبحت ترددها كلما رأت أبيها.

تركهـــا فـــارس، وقبـــل وجنتهـــا وقـــال: هســـيبك شـــوية وأدخـــل أغيـــر هـــدومي وبعدها هنطلع. تعالي يا دعاء.

جلســـت بانتظـــارهم وتحـــرك فـــارس برفقـــة دعـــاء لغـــرفتهم. وبعـــد دقـــائق أبـــدل فـــارس ثيابـــه ووقـــف أمـــام المـــرآة يصـــفف شـــعره،

ووقفت دعاء تتابع ما يفعل بحب يزداد يومًا بعد يوم، وتضاعف أكثر عندما رزقها الله بنور بعد عامين من زواجهما لتصبح حياتها مكتملة. فقد اكتفت بهم ولا تريد شيئًا من الدنيا غير وجودهم بأمان.

اقترب فارس منها ليقف خلفها ويحاوط خصرها لتعود من شرودها. عندما اقترب منها، ابتسمت له وقالت:

-مالك؟، شكل مزاجك رايق النهاردة.

شدد من تمسكه بها وهتف بمراوغة: أنا طول عمري مزاجي رايق يا حبيبتي. بس إيه رأيك أتصل بـ مارس ياخد نور معاه ونقضي اليوم مع بعض؟

دفشته بعيدًا عنها وأردفت وهي تجذب يده:

- يلا يا بابا نور، ممكن تخليني أرفع قضية خلع عليك لو متحركتش حالًا.

تحرك معها للخارج فوجد ابنته كما تركها. حملها وخرج من شقته وهبط بها للأسفل، فوجد أخيه أيضًا خارجًا وهو يحمل ابنه وزوجته معه. حمل ابن شقيقه وقبله، وبعدها تحركوا جميعًا للخارج.

صعد مارس سيارته ومعه عائلته ذاهبين إلى عيادة الكشف الخاصة بالأطفال، وتحرك فارس جهة سيارته، وأجلس ابنته الوحيدة في المقعد الخلفي وفتح الباب الأمامي لزوجته لتصعد،

وتحـــرك هـــو جهـــة مقعـــد الســـائق وقـــاد السيارة إلى منزل أشرف.

***

"جواكي نقاء مابقاش موجود

حتى جمالِك السر وراه

إنك عاملاه من غير مجهود

مش محتاجة لمكياچ ولا لون

ولا محتاجة لوقفة مرايات

لما بقابلِك باكتب ف النوته

إني الساعة تمانية هقابل خمسة بنات:

واحدة لطيفة

واحدة عنيدة

واحدة ضعيفة

واحدة شديدة

وواحدة كإنها لسه ف مدرسة

جواها مرايل وفيونكات. "

كلمات تصدح من هاتف تامر الموضوع على الكومود، وتقبع بسملة وابنتها أمام المرآة يرقصان على القصيدة التي لا تتناسب مع رقصهما. ليدخل تامر الغرفة برفقة ابنه الذي يرتدي ثيابًا مطابقة له. حتى اللون الأسود أصبح يفضله، فهذا الصغير يريد أن يكون مثل أبيه. أغلق تامر الهاتف وهتف بنفاد صبر:

-اخلصي يا بسملة بقالك ساعتين بتسرحي شعرها، ده لو فرحها مش هتعملي كدا! وأنتِ يا أستاذة جيهان متلمسيش تلفوني تاني.

هتفت جيهان بضيق: قولي يا جوجو، وبعدين ما أنت بتشغله لاما دايمًا وتدور وراها في البيت تغنيلها حد كلمك.

حدق بها تامر بشر ثم وجه حديثه لزوجته:

-ربي بنتك ياختي.

انحنت بسملة تقبل وجنتها وقالت: هو فيه حد متربي زي العسل ده؟

جذب ابنته لخارج الغرفة وهتف: يلا يا بابا على أوضتك غيري هدومك عشان نخلص، وأنتِ يا أستاذة بسملة اخلصي، قدامكم عشر دقايق، لو مخلصتوش همشي وأسيبكم.

كـــاد أن يغـــادر خلـــف ابنتـــه لتجـــذب بســـملة يـــده وتغمـــز لـــه بمشاكســـة. ليبتســـم وينظـــر لابنه ويهتف بخبث:

-اطلـــع يـــا عمـــار، اســـتناني بـــره لحـــد مـــا أعمل حاجة مهمة وجاي.

تحـــرك عمـــار للخـــارج وأغلـــق تـــامر البـــاب خلفـــه، لتقتـــرب منـــه بســـملة بـــدلال وتعانقـــه وتهمس بدلع:

- تيمو.

حاوط تامر خصرها وهمس: حياة تيمو.

هتفت بدلع وغنج لا يناسب ما تتفوه بهِ:

-جوجـــو، كســـرتلك اللابتـــوب اللـــي بتشـــتغل عليـــه، وأنـــا جيـــت أصـــلحه وقـــع منـــي بـــالغلط في المية.

وبعـــدها ابتعـــدت عنـــه لتـــرى نظراتـــه المشتعلة ليهتف بغضب:

-نهارك أسود أنتي وبنتك.

ركضـــت لخـــارج الغرفـــة وركـــض خلفهـــا وهـــو يصـــيح بعصـــبية بالغـــة، لتقـــف خلـــف ابنها تحتمي به وتقول:

-أحميني يا عمار، أبوك عايز يقتلني.

هتـــف تـــامر بغضـــب: لـــو فـــاكرة أن فيـــه حاجة هتحميكي مني يبقى انسي.

تســـاءل عمـــار بهـــدوء: فيـــه إيـــه يـــا بابـــا؟ وماما عملت إيه؟

رد تـــامر بعصـــبية: فيـــه إن المصـــيبة اللـــي بليـــت نفســـي بيهـــا هـــي وبنتهـــا كســـرت اللابتوب اللي عليه كل ملفات الشغل.

أردفت بسملة بحزن مصطنع وهي تبتعد عن ابنها:

-أنا مصيبة يا تامر ابتليت بيها؟ شكرًا يا ذوق، هتصل ببابا يجي ياخدني ويشتريلك لاب غيره.

وتحركت خطوتين وهي تعد بخبث: واحد... اثنين... وقبل أن تنطق الثالثة، جذب تامر يدها ليوقفها وهتف بلهفة:

- أنا آسف والله يا بسبوسة، مقصدش، حقك عليا. أنا بس اتعصبت لأن كل الشغل عليه وللأسف مش عاملله كوبي، بس فداكم. أهم حاجة متزعليش.

أردفت بحزن وهي تبعد يده عنها: ولا يهمك، وبرضو هدفعلك تمن تصليحه أو

هجبلك غيره. أنا مش هسمح لحد إنه يزعق فيا أنا وبنتي عشان خاطر فلوس.

وتركته وولجت غرفة ابنتها، ليزفر تامر بضيق وهو يقول:

-أمك زعلت، فكر معايا نصالحها إزاي؟

رد عليه عمار بحزن: وماما لما بتزعل بتفضل تعيط، وأنا مش بحبها تعيط، ودلوقتي أكيد قاعدة تعيط هي وجيهان.

في الداخل، كتمت بسملة فم ابنتها التي تضحك، وأردفت بحدة:

-اخرسي، هيسمع.

غمزت لها جيهان وقالت: بس طلعتي جامدة يا ماما، خلتيه هو اللي يقولك آسف.

قالت بسملة بفخر وهي ترتدي الحجاب، فكانت تضع ثيابها في غرفة ابنتها لأنها كانت تخطط لكل هذا بعدما أهلكت هي وابنتها الجهاز:

- أيوة يا بنتي، هو أنا أي حد؟

أردفت جيهان بحزن: بس بابا صعب عليا.

أيدتها بسملة هي الأخرى وهتفت: وأنا والله، بس هنعمل إيه؟ ما انتي السبب ياختي.

طرق تامر الباب وهتف بلهفة وخوف مصطنع:

-الحقيني يا بسبوسة، عمار أغمى عليه.

كانت تود أن تتدلل عليه، ولكن عندما استمعت لاسم ابنها، سقط قلبها برعب

وركضت للباب وفتحته بخوف وهي تقول بقلق:

-ماله عمار يا تامر؟

أردف تامر بحزن مصطنع: مش عارف، وقع وأنا بتكلم معاه.

ركضت بسملة تبحث عنه وهي تقول ببكاء:

-عمار يا حبيبي، فينك؟

وجدته يجلس على المقعد، ركضت له بلهفة وتفحصته بنظراتها بخوف:

-مالك يا حبيبي؟

شعر تامر بالندم، فهو يعلم خوفها الشديد على أحبابها، ولكن ظن أن خوفها تلاشى منذ زمن. فهي توقفت عن حديثها عن الخوف، على عكس أول

زواجهما، حيث كانت دائمًا تخبره أنها تخشى كل شيء. فردد بندم:

-هو كويس، بس أنا كدبت عليكي عشان تطلعي من الأوضة.

ابتعدت عن ابنها الذي احتضنته وهي تبكي، ثم نظرت لـ تامر وما زالت دموعها تهبط:

-تكدب عليا في ابني؟ وأنت عارف إن الدنيا كلها في كفة وهما في كفة تانية.

أردف بندم حقيقي: آسف...

قاطعت حديثه ببكاء: إلا ولادي يا تامر.

غادرت من أمامه وهي تبكي. ربما إن رأى أحد هذا المشهد سيظن أنها تبالغ، لكن الحقيقة هي أنها أم تألمت تسعة أشهر، ورزقها الله بتوأم، ولد وبنت،

لكن لم تكتمل فرحتها عندما أخبرهم الطبيب أن لديها مشاكل بالرحم ولن تستطيع أن تنجب مرة أخرى، فإن حدث، سيكون سببًا في وفاتها. ولم تنطتهِ معاناتها هنا، بل علمت أن ابنها لديه ثقب بالقلب ويحتاج إلى جراحة، وعندما تخطىء العام السابع من عمره، تم إجراء العملية ونجحت بفضل الله وأصبح بخير، ولكنها ما زالت تخشى عليه من نسمة الهواء.

نظر تامر لأولاده نظرة جعلتهم يعلمون ما يريد والدهم، فركضوا الاثنين وهو خلفهم إلى غرفتها. وجدوها مستلقية على الفراش، فاقترب منها عمار ويدغدغ خصرها بأنامله حتى ضحكت.

وفعلت جيهان المثل لترتفع ضحكاتها تملأ الغرفة. وشاركها أولادها الضحك، وتامر يقف عند الباب يتابعهم بسعادة. وبعد دقائق، غادروا المنزل وتوجهوا إلى منزل أشرف.

***

تسألت بهدوء وهي تحمل صغيرها:

-أشرف جبت الحاجة اللي قولتلك عليها؟

رد أشرف بجدية وهو يربت على وجه الصغير الذي يقبع بين أحضان نور:

- أه يا نور، وعطيتهم لامك.

تسألت نور باهتمام: طب فين الولاد؟ مشفتهم من بدري وافتكرتهم معك.

قال وهو يحمل منها الصغير: كانوا معايا، شريف قاعد بره مع خاله،

وشاهر أكيد في المطبخ بيأكل، وبسملة هتلاقيها قدام المرايا، مش محتاجة تسألي عليها.

أنجبت نور ثلاث أولاد وفتاة، وقامت بتسمية بسملة لأنها وعدتها بذلك. كانت بسملة ابنتها البكرية صاحبة التسع أعوام، وبعدها بثلاث أعوام أنجبت شريف رغم رفض أشرف للاسم، لكنها أصرت أن تحيي اسم زوجها الحقيقي لأنها تعلم أنه يحبه ولكنه لم يخبرها صراحةً. وبعده بثلاث أعوام أخرى أنجبت شاهر، صغيرها المدلل وأقربهم لقلبها. ومنذ أسبوع أنجبت شادي.

قامت نور بتشغيل أغاني السبوع لتجعل للمنزل بهجة، وتحركت لترى ماذا تفعل

ابنتهـــا، فوجـــدتها كمـــا أخبرهـــا زوجهـــا، تضـــع طـــلاءً لشـــفاهها أمـــام المـــرآة. صـــرخت فيها بغضب:

-أنتِ يا زفّتة بتعملي إيه؟

ردت بسملة بلامبالاة:

-ولا حاجة يا ماما، بجهز نفسي.

أردفـــت نـــور بحـــدة: وحيـــات أمـــك، واللـــي أنتِ مهبباه في وشك ده إيه؟

ردت بسملة ببرود: ميكب.

جـــذبتها نـــور مـــن مرفقهـــا وهتفـــت مـــن بـــين أسنانـها:

-الله يـــرحم أمـــك، مشـــفتش الميكـــب ده غيـــر لمـــا اتجـــوزت أبـــوكِ. يـــلا، يـــا بـــت، امســـحي اللـــي فـــي وشـــك بـــدل مـــا أمســـحك أنـــا مـــن الدنيا كلها.

ذهبت بسملة جهة المرحاض بتأفف لتفعل ما قالته والدتها دون جدال. وبعدها بدقائق ارتدت ثيابها وجلست تنتظر رفيقاتها. ولم تنتظر كثيراً، فقد وصلت إحداهن مع عائلتها.

وصل فارس وعائلته أولًا. قابلهم أشرف، وبعد التحيات جلس فارس وأشرف معًا، وولجت دعاء وابنتها للداخل تبحث عن نور. استقبلتهم بسملة الصغيرة وهي تركض نحوهم بلهفة وهتفت:

-نور، اتأخرتي ليه؟

تدخلت دعاء تقول: إيه يا بسملة، مش هتسلمي عليا ولا إيه؟

نظرت لها بسملة بحرج وأردفت بخجل:

-آسفة يا خالتو، عاملة إيه؟

انحنت دعاء لتقبل وجنتها وقالت بابتسامة:

- الحمد لله يا حبيبتي.

جذبت بسملة يد نور وهي تقول: تعالي، أقولك حاجة.

ردت دعاء بهدوء: خليها تسلم على أمك الأول وبعدها تروح معاكي.

-الله الله، الأستاذة دعاء لسة واصلة!

كلمات خرجت من فم نور وهي تضع يدها في خصرها. لتبتسم دعاء وتقول:

-على فكرة أنا أول واحدة وصلت، يعني قولي الكلام ده لحد غيري.

ردت نور بضيق، ثم أشارت على الصغيرة:

-هحاسبكم بعدين. تعالي يا نور، عيني أسلم عليكي.

ركضت نور الصغيرة لها بفرحة، فهي تحبها كثيراً، وهتفت:

-وحشتيني أوي يا خالتو.

ردت نور وهي تعانقها: وأنتِ وحشتيني أكتر يا قلب خالتو. ووالله، ما حد مصبرني على أبوكِ وأمكِ غيرك.

ضحكت دعاء بيأس. مر أعوام ولم تتغير وما زالت نور ترى أن فارس عدوها، وقالت:

-فين شادي؟

أشارت نور لداخل: جوه، تعالي.

تحركت لداخل بصحبتها، وفي ذلك الوقت وصل إبراهيم وعائلته ومعه

حمـــزة، ذاك الصـــغير الـــذي كـــان ســـببًا فـــي جمعهـــم. فـــتح لهـــم فـــارس البـــاب وتبـــادل الســـلام مـــع إبـــراهيم، لكـــن جيهـــان نظـــرت لـــه بضـــيق. لـــم يهـــتم بهـــا فـــارس، فقـــد اعتـــاد علـــى تصـــرفاتهم، فـــاقترب مـــن دعـــاء الصغيرة وسلم عليها وهو يقول:

-اتـــأخرتِ ليـــه يـــا دودو؟ أنـــا مـــش قلتلـــك إن إحنا طلعنا من بدري.

ردت دعاء الصغيرة بقلة حيلة:

-هعمل إيه ياخويا؟ ربنا بلاني بأم.

نظـــرت لوالـــدتها التـــي نظـــرت لهـــا بشـــر وهـــي ترفـــع إحـــدى حاجبيهـــا، لكـــن دعـــاء لـــم تهتم، وقالت:

-مـــش هقـــدر أتكلـــم، لأنهـــا مهمـــا كـــان أمـــي. ربنـــا يســـامحها علـــى اللـــي بتعملـــه معايـــا. أنـــا

لو عندي بيت تاني كنت رحته، لكن هعمل إيه؟ مفيش حل. إذا كان أبوها وجوزها مش قادرين عليها، هقدر أنا الغلبانة؟

كتم إبراهيم ضحكته على تشنج جسد زوجته التي هتفت بعصبية:

-وحياة أمك اللي محدش قادر عليها، هربيكي يا بنت إبراهيم!

تدخل إبراهيم يقول بمرح: وإبراهيم ماله يا باشا؟

ردت عليه بعصبية: معرفتش تربي بنتك وفضحاني قدام الأعداء، اللي فاكره المحامي بتاعها كل عشر ثواني ترن عليه.

وتـــركتهم وولجـــت للمنـــزل وهـــي تحمـــل صـــغيرتها داليـــا. اعتـــذر إبـــراهيم مـــن فارس:

-آسف يا أبو نور.

رد فـــارس بابتســـامة: ولا يهمـــك يـــا إبـــراهيم، أنـــا اتعـــودت علـــيهم، وعشـــان خاطر دعاء أي حاجة تهون.

داعـــب وجنتهـــا لتضـــحك وهـــي تســـأل: نـــور جات، صح؟

أجاب وهو يبتسم لها: أه يا حـ...

قبـــل أن يكمـــل جملتـــه ركضـــت لـــداخل ليضـــحك عليهـــا إبـــراهيم بيـــأس، فوجـــد صـــغيره يشـــير لـــه أن ينحنـــي قلـــيلًا. فعـــل مـــا أراد وتسأل ليرد محمد بنعاس:

-بابا، عايز أنام.

اعتدل إبراهيم وهتف بحدة: يا بني، ارحمني! هو أنت بتصحى عشان تنام؟

ثم أشار لحمزة: خده معاك يا حمزة جوه، وخليه يلعب مع شريف وشاهر ومازن. جوه، وشوية وعمار هيجي.

أنهى جملته فوجد تامر وعائلته أمامه.

ألقى تامر عليهم التحية:

-السلام عليكم.

رد إبراهيم وفارس عليه: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

جذب عمار يد مازن وهو يقول: تعالَ أوريك حاجة في الفون.

وأشار لمحمد أن يأتي معهم، وبعدها تحركوا لداخل وولجت بسملة وابنتها خلفها، وتحرك الرجال ليجلسوا معًا.

في الداخل، وتحديدًا في غرفة بسملة الصغيرة، أردفت جيهان بهدوء وهي تعبث في الهاتف:

-بصوا أنا عملت إيه.

اقتربوا منها لتريهم صور الرسومات التي قامت برسمها، وأردفت وهي تشير لإحدى الصور:

-دي أنا وطنط جيهان.

تسألت دعاء: اشمعنى ماما؟

ردت جيهان بهدوء: عشان أنا بحب طنط جيهان، وكمان اسمي زي اسمها.

هتفت دعاء بضيق: طب وأنا بحب طنط دعاء أوي، وهي كمان بتحبني أكتر من نور!

أغلقت بسملة الهاتف وقالت: أقولكم حاجة بس محدش يقول لماما.

قالت دعاء باهتمام: قولي.

أردفت بسملة بسعادة: أنا ضربت البت الرخمة أسماء وحطيت وشها في الطين.

هتفت نور بضيق، ورغم أنها أصغرهم لكنها تمتلك عقلًا ناضجًا كوالدتها:

-تاني يا بسملة! أنا مش قلتلك ملكيش دعوة بيها؟

صفقت جيهان بشماتة: تستاهل عشان رخمة.

أردفت نور بهدوء: دلوقتي أبوها هيقول لأنكل أشرف، وهيزعق فيكي. قلتلك لما تكلمك تعالي قولي لطنط نور وهي هتتصرف.

وهتفت دعاء بتشفي: أحسن، عشان هي على طول تضايقنا في المدرسة. وماتخفيش يا بسملة، إحنا هنكون معاكِ ومش هنخلي أنكل أشرف يكلمك.

عاد الزمن بنسخة مصغرة من أمهاتهم. ولم يكتفِ بذلك، بل زرع الحب في قلوبهم وجعلهم يدًا واحدة، كما كانت أمهاتهم. وعادوا ليخرقوا قانون الرياضيات، ويجعلوا الأربعة تساوي واحدًا.

بعد مرور ساعتين، وضعت دعاء شادي في الغربال ليقوموا بتقاليد السبوع المتعارف عليها. وبعدما خطت نور على ابنها سبع خطوات، حملته من الأرض وناولته لدعاء، ثم أمسكت الهون وظلت

تـــدق عليـــه وتغنـــي. كـــان الجميـــع يـــدور حولهـــا فـــي مشـــهد مـــبهج جمـــع الكبـــار والصـــغار الـــذين يحملـــون الشـــموع ويتحركون خلفهم بحماس.

غنـــت جيهـــان بحمـــاس والجميـــع يـــردد خلفها:

"شرفت يا خويا من يجي أسبوع..."

وشاركتها بسملة الغناء بقولها:

"دقّولو الهون وروه وشكم..."

وأردفـــت دعـــاء بســـعادة وهـــي تحمـــل الصغير وتدور به وبجوارها فارس:

"ومتتخضوش لو كان مسروع..."

وهتفـــت نـــور بســـعادة وأشـــرف يمســـك بيدها:

"لسة الدنيا ياما هتهشكه..."

شـــارك إبـــراهيم فـــي الغنـــاء وهـــو يغمـــز لـجيهان:

-هشـــك بشـــك يـــا صـــغنن دانـــا شـــيلك جـــوه عنيا...

هتف تامر بسعادة وهو يحمل الصغير:

-هشـــك بشـــك يـــا صـــغنن أوعـــى لتعملهـــا عليا...

انطلقت الضحكات ليغني أشرف:

-خـد بالـك مـن البـزازة دي هـي أعـز مـا ليـك دلوقت...

وأردف فارس:

-عشـــان تشـــرب فـــي ازازة لســـة الموضـــوع محتاج وقت...

ورددت جيهان:

-فرصة تكبر وتنام وتبرطم أي كلام...

وأردفت دعاء:

-تعقد في الأفه تمام والناس حوليك يجوا مية...

وقالت بسملة وهي تضحك وغمزت لتامر:

-أنا عايزك تطلع شاب تمام ورجولة ومش فرفور.

حملت نور ابنها وهي تغني:

-وتكون كدا لاعب كورة لا أنت محامي ولا دكتور...

حملت جيهان ابنها من إبراهيم وقالت وهي تقبل وجنته:

-هشك بشك يا صغنن دانا شيلك جوه عنيا...

هشـــك بشـــك يـــا صـــغنن أوعـــى لتعملهـــا عليا...

كانـــت هـــذه الجملـــة الأخيـــرة تتـــردد مـــن أفـــواه الجميـــع لتنطلـــق الضـــحكات بســـعادة بالغـــة. كـــلًا مـــنهم ينظـــر لعائلتـــه ويحمـــد الله علـــى وجـــودهم، متمنيًـــا أن يـــدوم هـــذا الجمع للأبد.

«وهنا نقول إلى اللقاء، تمت بحمد الله».

٢٠٢٤/٩/٣٠